تفسير ابو السعود افندي ١٠

وقف في سبيل
الله تعالى جامع
واليده سلطان
مرحومه

بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسر وتمم بالخير

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق انزل عليه اظهر بينات وابهر حجج قرانا عربيا
غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد هاديا الى صراط
العزيز الحميد آمرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه
الجلامد وتنصدع صم الصخور حقيقا بان تسير به الجبال ويتيسر به كل صعب محال معجزا افحم كل مصقع من قحطان وبكت كل مفلق [illegible]
البيان حيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل اية من اياته نزله على فترة من الرسل ليرشد
الامة الى اقوم السبل فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه
واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام في مهاوي الردى وتردى في مهاوي الزور ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور صلى الله عليه وعلى اله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانوار وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى من تبعهم باحسان
مدى الدهور والازمان **اما بعد** فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود بن محمد العمادي
ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان يخرج منها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا
ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف
التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر ايات قدرته في صحائف الاكوان ونصب رايات وحدته في صفائح
الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع وكل حرف رقم في
لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون واية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا
لا ريب فيه منهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو ايات ربه فهل من سامع واع ومجيبا صادقا فهل له من داع بيد ان الناس على
قدر عقولهم وبدرجاتهم بحسب تفاوتهم يحاورونه تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الايات
والدلائل والاستشهاد بتلك الامارات والمخائل والتنبه لتلك الاشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية
وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر وكنوز اثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق القوي القدير
فاذن مدار المراد ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الايات التكوينية والكاشف
عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا اسرار الانس وبه يكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة
خلا انه ايضا من علو الشان وسمو المكان في غاية العز والامتناع وصعوبة الماخذ والمنال في نهاية الغايات القاصية
ونهاية النهايات النائية اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقي
الى مدارجه المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على نفائس الفنون الخفية
والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية منبئا عن اسرار الحقائق المغيبة مخبرا
باطوار الملك والملكوت عليه يدور رحى الاوامر والنواهي واليه يستند معرفة الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع
طراز واحتجب طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقائقه الابية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول
يرد عيون العقول سبحاته وتخطف ابصار البصائر بوارقه ولمعاته ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة
التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار فغاصوا
في لجه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وابرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الاقدار
والفوائد جميلة الاثار اما المتقدمون المجتهدون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب
الاحكام حسب ما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام واما المتاخرون المدققون فراموا مع ذلك

اظهار مزاياه الرائقة وابداء خباياه الفائقة ليعاين الناظر دلائل اعجازه ويساعده شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة
الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة
تقر بها عيون الاعيان وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار التنزيل المتفردان بالشان
الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز كانه مرآة لاجتلاء وجوه الاعجاز وصحائفهما مرايا المزايا الحسان
وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما
وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوائدهما
في سمط دقيق وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته
في اصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق واسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة
شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية
السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها اعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنوا اليها احداق الامم من كل حبر اريب
وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك
افكار تشتبه فيها الشؤون ومدارك انظار تختلط فيها الظنون وابرز من وراء استار الكمون من دقائق السر المخزون في
خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة
العامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو
السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة
الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح ايات الشرع الانور مرغم انوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة
والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق
الاسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او ادنى بخميس عرمرم متلاطم الامواج وعسكر لجب متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع
والغروب وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومنبسطا تحت ظلال راياته الرائعة
فاصبحت منابر الربع المسكون مشرقة بذكر اسمه الميمون فيا له من ملك استوعب مملكة البر البسيط واستغرق فلكه البحر
المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه او بقعة نصبت عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة
الامم قاصم القياصرة وقاهر الروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر
بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين
الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية السلطان بن السلطان سليمان خان بن السلطان
المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحائف
الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لا زالت سلسلة سلطنته
متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان وكنت اردد في ذلك بين اقدام
واحجام لقصور شاني وعزة المرام اين الحضيض من الذرى وشتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك
واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون فابتليت
بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبين ما كنت اخاله تراكم
المهمات وتزاحم الاشغال وهجوم العوارض والعلائق وهجوم الشواغل والعوائق والتردد الى المغازي والاسفار
والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز فرصة من الدهور ويتيسر لي
القرار وتطمئن بي الدار واظفر بحيث يقيض خاطر ابتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه
وجهي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واتعرف سر الحق في كل موجود تلافيا لما فات
واستعدادا لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى لتكميل ما توجهت اليه بفراغ بال واطمئنان
وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر
حول توقعت في امر اشق من الاول امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة
طويلة الذيول وصرت كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وعرف اي غم عزاب ما جرى بين زيد وعمرو
فاضحيت في ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر من يضرب بها الامثال فجعلت امثل لقول من قال لقد كنت

المكون للحوادث برحمة • واستمر في الايام وهي حاجج الى ان تنسلخ • وفيت حوادث • تحقق ان التالفات منلج • فلما
انصرمت عرى الامال عن الفوز بفراغ البال • ورايت ان الفرصة على جناح الفوات • وتمل الاسباب في شرف
الشتات • وقد تمشى الكبر وتضاءلت القوى • والقرب دنى الاجل من الحلول • واشرفت شمس الحياة على الافول عزمت
على انشاء ما كنت انويه • وتوجهت الى املاء ما ظلت ابتغيه • نادرا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه ارشاد
العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم • فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي • وتراكم المشاقة بين يدي • متضرعا الى رب العظمة
والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت • في ان يعصمني عن الزيغ والذلل • ويقيني مصارع السوء في القول والعمل
ويوفقني لتحصيل ما اروم وارجوه • ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه • ويجعله خير عدة وعتاد • انتفع به
يوم المعاد • فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع • ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع
افض علينا شوارق انوار التوفيق • واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق • وثبت اقدامنا على مناهج هداك • وانطقنا
بما فيه امرك ورضاك • ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن • وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان • جئناك على جناب
الاستكانة ضارعين • ولابواب فيضك قارعين • انت الملاذ في كل امر مهم • وانت المعاذ في كل خطب ملم • لا رب غيرك ولا
خير الا خيرك • بيدك مقاليد الامور • لك الخلق والامر واليك النشور

سورة فاتحة الكتاب وهي سبع آيات مكية

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول
كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل
من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه
نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه
لا يلتبس في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ اخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول على معنى
ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطة لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة
فان بلوغ اخر الشيء يعرض للاخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي
فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو
المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة
بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء
الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم انه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة
كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا
جزئي له وعد ان التسمية كونه مبدا للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل
اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرا في الصلاة حتى تعتبر في التسمية مبدئيتها له
واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم القران لكونها اصلا ومنشا له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على
ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية
والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقران هو المراد
بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى به اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والايات الواضحة الدالة على معانيها
لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القران لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه
يبدا بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من
كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القران كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر
والدعاء وتعليم المسالة لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه
السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات تثنى في الصلاة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت

أو من حيث النزول يستدعي
رعاية الترتيب في بقية أجزاء
الكتاب من تلك الحيثية
ولا ريب في أن الترتيب التعليمي
والترتيب النزولي ليسا على
نسق الترتيب المعهود وتسمى أم
صح

مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
وهو مكي بالنص • بسم الله الرحمن الرحيم • اختلف الائمة في شان التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من
القران اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها اية فردة من القران انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية
وقيل هي اية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهم وعليه
يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انها انزلت مع كل سورة وهو ايضا
مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطا وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي
ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة لما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها اية من الفاتحة
مع كونها قرانا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره
القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل انها اية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في
الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها بعض اية في الكل وقيل انها ايات من القران متعددة بعدد السور المصدرة بها
من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول اخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها
اية تامة في الفاتحة وليست بقران في سائر السور ولولا اعتبار كونها اية تامة لكان ذلك احد محتملي تردد الشافعي فانه قد
نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا اولا وقيل بين ان يكون آية تامة
اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها اية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان
ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القران هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة الاول ٥
والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت القدر
المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه
كما لا يستدعي كونها اية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى
وما روي عن ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي
عن ام سلمة من انه عليه السلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وان دل كل واحد منهما
على نفي القول الثاني فليس شيء منهما نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى
متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجا الى ان يقال
ان كونها ايات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض
لحالها في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه
الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها
الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرا او اتلو وتقديم المعمول هاهنا للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك
نعبد وتقديره ابدا لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه
امتثالا لما في الحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال
هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الى آخر
السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال
الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسالة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم
الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء
المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون فادخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دابهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن
ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب
بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها الهمزة الوصلية ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال
باسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة هاهنا فانها تكون
تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين

من اصحابنا لما يمكن به العبد من اداء لوازمه المفضية الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة بإياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز
وعلا وحقيقتهما طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه لو لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كان كل
واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف
بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل البا على التبرك وليستغنى عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك
فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل البا على الاستعانة
الثانية او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال او طولت البا عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس
كما ينبي عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا من معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان
المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون
الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال
والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه
ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه
من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب
لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال
شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها
مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبناء ذات يقوم
ذلك المعنى بها يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور
هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم
يعمل عملها وقيل اشتقاقه من أله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول والافهام واما أله كعبد وزنا ومعنى فمشتق
من الاله المشتق من أله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من أله الى فلان
اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من أله اذا فزع من امر نزل به وآلهه غيره
اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى
احتجب وارتفع اطلق على الفاعل للمبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله
ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك
الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا
صار كالعلم … لعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد
المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه
وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جا لضرورة
الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما
بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في
قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل
والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى
وانما امتنع صرفه الحاقا له بما هو الاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره
يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظايرها من باب فعل يفعل
فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة قبل الاختصاص ايضا في اصلها مما يحقق فيها وجود
فعلى فتمتنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون
القياس تأخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل
صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلايل النعم وعظايمها واصولها احق بالتقديم
مما يدل على دقائقها وفروعها وافرادا لوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة • الحمد لله الحمد هو النعت بالجميل على الجميل

اختيارا

اختيارا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما بين
بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج عامة الافعال
بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني على معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك
قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة
هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله
وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة
فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة
اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحا تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو
مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة
وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه
وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالآخر على الثانية
او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسالني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثالثة
وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من الافاعيل المذكورة بما نسب اليه
منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس
الا اختلاف الفعل واختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما
في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس
بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتأييد فانهما متناسبان معنى من
غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد التقوية
فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من
معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء
بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعا على حمل الحمد
على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء وآداب الجوارح وعقد
القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال [illegible] من قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن
هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد
بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفا وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامره في قوله
صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتدا وخبره الظرف واصله النصب
كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية
ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل
كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه
انتظام الكلام ويتساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعدما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة
لا يخطر ببال احد ان يسأل عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة
حتى يتوهم كونه بيانا للحمد ثم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل
المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف
والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استئناف جوابا لسؤال
يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكأنه قيل ما شأنكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة
والاستعانة فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
والحق الذي لا محيد عنه انه استئناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اختصاصه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة
للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان
ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في

كتحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه
الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع
افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواقعة
بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي
منزلة العدم كما وكيفا وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما
يقتضيه المقام وقرئ الحمدِ لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين
لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل • رب العالمين بالجر على انه صفة لله فان
اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل
عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام ه
وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا
فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى
فعُل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب
الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال
لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما
الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى أأرباب متفرقون
خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر
المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم
النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي
العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم
من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله
ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر وايثار
صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف للاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد
لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه
في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل
انه جمع لا واحد له من لفظه كما ان الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب
المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم ينطلق عليها كأنها آحاد مفرده التقديري
ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل تتناول كل واحد من آحاد الاقوال يتناول
لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية
عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام
لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك
الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق
حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع ه
وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان
وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل
للكل فغني عن الحاجة الى البيان اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات
والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا
اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن ~~ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة~~ يفيض عليه من الجناب الاقدس
تعالى شأنه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته
ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء

وانما

وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه
على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر
ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود
لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء
واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فابقاء تلك
الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد
من افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه • لا تلاحظه العيون بانظارها
ولا تطالعه العقول بافكارها شأنه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون • وفي اقامة مراسم شكره
قاصرون • نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك
ونتوب اليك • الرحمن الرحيم صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل
بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما
في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه
تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على
نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل • والاوفق بمقاصده • مالك يوم الدين
صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك
الذي هو عبارة عن السلطان القاهر • والاستيلاء الباهر • والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة
بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • وقرئ ملْك
بالتخفيف وملَك بلفظ الماضي ومالكا بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع
الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد هاهنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما
تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا • واما الاول في الاول والثاني فليس بجزاء حقيقة
وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى
الصلاة • وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها
بمفعولها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة
فصارت كأنها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة
اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح
وتخصيصه من بين سائر ما وقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر
من القيامة وغيرها من مبادئ الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج
الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور
العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به
الحال او الاستقبال • واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية
كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين • وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق
وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة
على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة
لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة
اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ
بالكلية • واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص
استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت
كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتهما لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى

ربانا لكل ما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه
من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور
المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص ● اياك نعبد واياك نستعين ●
التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة
حسبما يقتضي المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم
والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به
هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة
التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان
حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه
بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات
والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من
عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس ● حاضرا في محاضر الانس كأنه واقف لدى مولاه ماثل بين
يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ● ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك
بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان
ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه
ومئنة للتبتل اليه بالكلية واياه ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب
والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارأيتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما
حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب مما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر واياه دعامة
لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء
والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى
به الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول
فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به ● قال
ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة
من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول
الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا ● واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة
ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان
فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق
الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول هو المعونة في العبادة
والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة
بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله
بأداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه
التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان
يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كأنه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على
اداء حقوقه من غير اعانة منك ووجه الترتيب واضح ● وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها
عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من افعال نفسه ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء
ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور
نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك
انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له

في الحالة العارضة له بناء على تعارض الادلة الملجئة الى ذلك ● وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم ● اهدنا الصراط المستقيم ●
افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كأنه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل
الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها باللام او الى كما في قوله
عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله
تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تنحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى
الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة
التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ● ومنها آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب
الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية
والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسالك الاستدلال
بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون ● وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم
يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها
وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن
علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا
في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية
كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت
صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما
لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي
لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه سرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم
المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط ● صراط الذين انعمت عليهم ●
بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص
على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند
ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها
بحذافيرها ● وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا
مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال
النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات
الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي ● والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي
ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات
نعم جلية في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء
والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي
المرضية وحصول الجاه والمال ● والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو
القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول ● اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة ● غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ● صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك
ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين
اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة
غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين
جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال ● وقيل المراد بالموصول طائفة
من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى

بالمعهود الذهني وما المغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على
ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله
فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين
ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى الكل لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا
من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في
ان قصارى امر ما نحن فيه ان تكتسي بما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون
مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء
ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به
غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه
البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة
وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم
وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب
التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي
هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم
رشدا ولا مزيدة لتأكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا
غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي
وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم
فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بني على
الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا
عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من
القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا يأتي بها
الامام لانه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع
بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع الله عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت
حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين
ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف واللام حرف والميم حرف والذال
حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة
الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد
بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد
الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا
من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة

الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق
الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك
الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة
وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم
للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة
المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح
المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما
الا ترى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما لكونهما
ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه
ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة
بينها وبين مبنى الاصل لكونها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت
عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل
مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا تقصر تارة فيكون حرفا وتمد اخرى فيكون
اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلموا في شأن
هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله عنه
انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور وعن علي رضي الله تعالى عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا
الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال
سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته
تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من
قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي
اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة
وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه
اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها
اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت
فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم
في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء
لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح
الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل
التحقيق فانها لما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم
فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرهم وهم فرسان
حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما
في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص
والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط
فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني
على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا
او تقريبا كما يتضح عند التفحص والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان

بطالعها الاطار وجلت قدرته من ان ينالها ايدى الافكار ● وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة
الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايرادها كلها مرة لذلك ولما فى التكرير والاعادة من زيادة افادة
وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية دون بعض مبنى على التوقيف البحت اما الم فاية
حيثما وقعت ● وقيل فى آل عمران ليست باية والمص اية ● والمر لم تعد اية والرا ليست باية فى شئ من سورها الخمس وطسم
اية فى سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية ● وحم اية فى سورها كلها وكهيعص اية وحمعسق ايتان وص وق ون لم
تعد واحدة منها اية هذا على رأى الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح ايات عندهم فى السور كلها بلا فرق بينها واما من
عداهم فلم يعدوا شيئا منها اية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف
التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل
على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا اذا كانت مفردة مثل ص ● وق ● ون يتأتى فيها الاعراب اللفظى ايضا وقد
قرئ بالنصب على اضمار فعل اى اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا اذا كانت منها ما هو
موازنة المفرد كحم وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال فى باب اسماء السور
من كتابه وقد قرأ بعضهم يس والقرآن وقاف والقرآن فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى ● وحكى
السيرافى ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يكون ذلك فى الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل
القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول
وهو السر فى جعل ما بعد الواو الاولى فى قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة
ولا مجال للعطف هاهنا للمخالفة بين الاول والثانى فى الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية
مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز فى طاسين ميم ان تفتح
نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه فى كتابه ● واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجئ
تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة فى مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما
للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اى مسمى به وانما صحت الاشارة
الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد كما يقال
هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ [crossed out] اى المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل
عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها
واذ ما نحن فيه باباه التردد فى ان المسمى هى السورة او كل القرآن ● ذلك ● ذا اسم اشارة واللام عماد جئ به للدلالة على بعد
المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه فى الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويه بذكر اسمه
وما قيل من انه باعتبار التقضى او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه فى حكم المتباعد ● وان كان مصححا لايراده
لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هى السورة لان المشار اليه هو المسمى
بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ● ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية فى الاول بناء على
ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكيرها بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثانى
مبتدأ ثان وقوله عز وعلا ● الكتاب ● اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة
لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثانى فى محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول
واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمى به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور
واما فعال بنى للمفعول كاللباس من الكتب الذى هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم فى الامور البادية
للحس البصرى ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم فى الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم
عبارة على ان ما له الكتابة والمراد على تقدير كون المسمى هى السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة
اما باعتبار تحققه فى علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته فى اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر
فى فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اى العمدة القصوى منه كانه فى احراز الفضل
كل الكتاب المعهود الغنى عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى

تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان
يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه
بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضى الخصال وعليه قول من قال
هم القوم كل القوم يا ام خالد ● فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس فى فرد من افراده وفى الصورة الاولى من جهة حصر
كمال الكل فى الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده
من الكتب السماوية لا بعضه الذى يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا من الفرد لا باعتبار كونه جزئيا
للجنس على حياله ولان حصر الكمال فى السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق
المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدأ
محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول ومبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ ثانيا خبره ما بعده والجملة
خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هى السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار
بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى
البعد ح ظاهر خلا انه ان كان المسمى هى السورة ينبغى ان يراد بالوعد ما فى قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا كما
قيل وان كان هو القرآن فهو ما فى التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن ● واما على تقدير
كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او
يقدر مبتدأ اى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى ● لا ريب فيه ● اما
فى محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب
خبره او للمبتدأ المقدر آخرا على رأى من جوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى ● واما فى محل
النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة
لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها
واسمها مبنى على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين
للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انها ركبت معها تركيب خمسة عشر كما توهم
وخبرها محذوف اى لا ريب موجود ونحوه كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه
نفى الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض فى الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد
جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول
ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب فى الاصل مصدر رابنى اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس
واضطرابها ثم استعمل فى معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى الحديث دع ما يريبك الى
ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه فى علو الشان وسطوع البرهان حيث ليس فيه مظنة ان يرتاب فى حقيته وكونه وحيا
منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك فى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا الخ فانه
فى قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف فى الاسلوب حيث فرض كونهم فى الريب
لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هاهنا
ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب فى سائر الكتب ليقتضى المقام تقديم الظرف كما فى قوله تعالى لا فيها غول ● هدى ● مصدر
من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اى ما من شانه ذلك ● وقيل هى الدلالة الموصلة
اليها بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته فى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او فى ضلال مبين ● ولا شك فى ان عدم الوصول معتبر فى مفهوم الضلال فيعتبر الوصول فى مفهوم مقابله ومن ضرورة
اعتباره فيه اعتباره فى مفهوم الهدى المتعدى اذ لا فرق بينهما الا من حيث التأثير والتأثر ● ومحصله ان الهدى المتعدى
هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذى هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما
ترى مبنى على امرين اعتبار الوصول وجوبا فى مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا فى مفهوم المتعدى وكلا الامرين
بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما
معتبران فى مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه

الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة
من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم
الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر
هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار
عدمه في مفهوم مقابله فذاك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور منتهى به قطعا لاستحالة التوجه
الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو انما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد
تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه
من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الان
مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه
لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية
مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد
اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما • واما اعتبار
وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر
عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان
له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها
مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة
متمايزة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير
متفككة عنه اصلا اذ لا موثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي
بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم
الذي هو اثر خاص له ذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر له آخر له اسم
القطع الى غير ذلك من الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم بالقياس الى آثاره اللازمة له ومن ذا امر مطرد
في آثاره الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه
اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن موثراتها بواسطة كونه داعيا
اليها فحيث كانت تلك الآثار مستقلة في انفسها مستندة الى موثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة
له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال
المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار
ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا
من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسميهما اسم الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب
المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة او لا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة فعلان
مستقلان في انفسهما صادران عن المامور والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة
للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك مدى المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل
لا يصادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة
فلما لم يعد من متممات الامر والدعوة ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى
من متممات الهداية ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها • ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية
كالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو
لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا او مدعوا وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين
اصلا فالهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل
بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار
وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر

في م

بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا وليس من ضرورة اتصافهما الامتثال والاجابة

من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي
الا اتصافه بمدلولها التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى
واللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يوخذ في مدلولها واستلزام
الاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما
الافعال الاختيارية فليست كذلك كما حققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول
التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة
عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل لان المعلم ليس بمستقل في ذلك فهي استنادة اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه
وتحصيله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب تقتضيه الحال
بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله • واما الهدى الذي هو عبارة
عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن
من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الهداية وان التعلم نوع من انواع
الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو
عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على
ذلك التقدير ان قيل ليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم بحيث لو لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة
فليكن الهداية ايضا كذلك ولنحمل تسمية ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم
عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك • واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة
قصور من جهتها بل انما هو لفقد سبب الموجب له من جهة المهدي وبعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير
اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن طريق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه وتبيين
مسالكه من غير ان نشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع
النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو
شا لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز والكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس
والآفاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هداية
حقيقية فائضة من عند الله سبحانه • والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله • للمتقين اي المتصفين
بالتقوى حالا او ما لا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره • وان كان ذلك شاملا لكل
ناظر من مومن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط
الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى
ان الله يامركم بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب
المتقي من يترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس • وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى
وعن سهل المتقي من تبرا من حوله وقدرته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل
تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر • وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات
لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة
وايثار الموت على الحياة • وعن بعض الحكما انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الى ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف
به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث
مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يوثم
من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا
والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات
استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم
الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى المعالم

التعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم

الاهتداء

مطلق م

او لاحدهما م

من م

باس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه م

التوقي م

في م

الارواح ولو بسرعتهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة
القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين • فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم
الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة
عن ذلك للايجاز وتصديرا للسورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى
المرتبتين الاخيرتين فان عنى بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب احدى الطريقتين
الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بنهاية المرتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة
فانه ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة
وان عنى بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور • واما ان اريد بكونه
هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز
لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدا خبره الظرف المقدم كما اشير اليه
او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل في الجار والمجرور
من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال
كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي
يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم تخلل
بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدا مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به
هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم • وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه
منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما
تقدر له من المبتدا جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة
منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد
عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال • وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة
عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت
الرائقة ما لا يخفى جلالة شانه حسبما حققته • الذين يؤمنون بالغيب • اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه
صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف
شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف
اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات
الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي
غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة
الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال
الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على ساير ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح
بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتي
بيانه فالوقف على المتقين ح وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل • واما على الوجوه الاول فحسن
لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير
النصب والرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم
يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا
في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما
قال ابو علي اذا ذكرت صفات المدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي للتفنن الموجب
لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك
ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال الموصول

عند كونه

عند كونه خبر المبتدا المحذوف كحاله عند كونه خبرا لمبتدا محذوف كما له عند كونه مبتدا خبره اولئك على هدى في انه
تنسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول
عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر
في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعدا لوقف عليه غير تام دون الثانية مقتطعا عنه وعدا الوقف
تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا
لما تضمنه المبتدا اجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل
والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر
في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم
الانتساب الى الموصوف حقه ان لا يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم
بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللائقة كما
ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان
افعال من الامن المتعدي لواحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنتيه غيري ثم استعمل في التصديق
لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد
يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت
ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم
كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظايرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن
منه والاول راي الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام • والثاني مذهب ابي حنيفة
ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزءين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة
امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده
فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير
داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة • والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة
في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه
الاصل كما استعمل في نظايره • وايا ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحدة منهما
ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الاخر
واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد هاهنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف
او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي
يؤمنون متلبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من
شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنهما ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب
ثم تلا هذه الاية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث
نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل
ما يجب الايمان به • ويقيمون الصلاة • اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها
وسننها وآدابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله • وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا
نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها
من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنها بالاقامة

لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر
والى الحقيقة اقرب والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي به
الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعا وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتيان في اعلا الفخذين لان المصلي
يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها
له في تخشعه بالراكع والساجد • ومما رزقناهم ينفقون • الرزق في اللغة العطا ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي
للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله
تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق
الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على
تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال
بالقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال
يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغنى من غير فاحشة من
انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله لقد رزقك الله حلالا
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن
المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق
والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف
الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الاي
وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي
منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه
واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون • والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك معطوف على الموصول الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين
من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى على تقدير الوصل فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد
بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرايع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب
وبالاخرين الذين امنوا بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل • كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين
على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقا للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من
كمال القباحة والمباينة بالشرايع كلها الموجبة للاتقا عنها بخلاف الاخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل هم
متمسكون باصول الشرايع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل
مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما باختلاف الذوات بل باختلاف الصفات كما في قوله الى
الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب للايذان
بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغايبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل
على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للاخر وقد شفع
الاول باداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرايع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان
كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد
اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق البا بالايمان وقد علمت • الحال عند تعلقها بالمحذوف
فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب
المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر
والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه
من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير
القبيلين وتباين السبيلين فالتامل وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم

مومنوا

مومنوا اهل الكتاب بان يختصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل بالذكر اثر ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا
لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعليقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه
بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك
من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والله
تعالى اعلم والمراد بما انزل اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا
حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وساير
الكتب وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه
به في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل الاية والايمان بالكل جملة فرض
وبالقران تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش
وبنا الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبريا وقد قرئ على البنا للفاعل • وبالاخرة هم يوقنون •
الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى ايقانا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان
اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار
لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة
وبنا يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الاخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول
الى مرتبة اليقين والاخرة تانيث الاخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسما وقرئ بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمها مجرى ضمها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان
الى موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود • وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم
بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك الكل منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله عز وجل على هدى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير
لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلا بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم
بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمكنهم بالهدى استعارة تبعية
متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب
للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية
اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كاين من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون
الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الرا بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين
موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون
الكتاب هدى لهم من فنون ما منحوه والشهادة له من الهدى حسبما تحققته لاسيما مع ملاحظة ما يتبعه من الفوز والفلاح وقيل
وانه نوقع الجواب عن سوال ربما ينشا مما سبق قيل كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا وانما كرر حرف النعوت اختصوا
بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام
اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جاز عن سنن الصواب
من قال في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واما على تقدير
كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذا استيناف
وقع جوابا عن سوال ينشا من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قال
المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة هذا شوهم
اخلها بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين ناضلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله
اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كما احسنت الى زيد
زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا

ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه
من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد
جوز ههنا ان يكون الموصول الاول على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدا واولئك الخ خبره وجعل اختصاصهم بالهدى
تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح • واولئك هم المفلحون • تكرير
اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا
منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما تفيده تشبيههم بالبهائم مقررة للاولى واما الافلاح الذي
هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون
فعل او فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد قصر المسند على المسند اليه او مبتدا خبره المفلحون ٥
والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او اشارة الى
ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون
من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الاية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد
الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق • ان الذين كفروا • كلام مستانف سيق لشرح احوال
الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمال
وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي
في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاول مسوق لبيان رفعة شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما
التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان ٥
الاستيناف مبني على سؤال نشا من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة • واما الثانية فسوقه لبيان احوال
الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير
لهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما
اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للاخرين لان العنوان الاخير
ليس مما يورثه كالاول حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على
الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كاني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على
اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين
لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان
وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة
ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده • قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله ٥
قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به
ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند
اليه من قوله تعالى سواء عليهم • والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال
تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي
غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار
بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثاله
ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القران بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه
يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة • واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث
تعلق العلم بالمعلوم • سواء • اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله
تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى • أانذرتهم ام لم تنذرهم • مرتفع به على الفاعلية لان ٥
الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل
استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل

ان الذين

ان الذين كفروا سواء عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ وسواء عليهم خبره قدم عليه اعتناء
بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول
عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقوله تعالى • واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه ٥
سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير
معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدا وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون
الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من
نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما
انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار
اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما
وبتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء
حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن • لا يؤمنون • جملة مستقلة
مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر
لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من جوزه عند كونه جملة والاية الكريمة مما استدل به
على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي
هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان
بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا
لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما
يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلفوا الايمان
بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس
معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك
قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار
بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة • ختم الله على قلوبهم • استيناف تعليل
لما سبق من الحكم لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة او الكيس الملوي والاول هو الانسب
بالمقام اذ ليس المراد به صيانة لما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة
التبعية بان تشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع
عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما
على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من
ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه اي بينها ما خلقت هي له من المرة
بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها
وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور
عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي
منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ • وان كانت لها مدخل في تحقيق وجه الشبه
الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز
باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى
المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم يكن الهيئة المنتزعة منها مما وضع لها ليكون
ما دل على الهيئة المشبهة مما عند استعماله في الهيئة المشبه بها مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي
هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب فيه من المحققين كالشيخ

عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل شعارا له ومن رام تقليل الاقسام عدّ تلك الهيئة المشبهة بها من قبيل الادراكات
الوضعية وجعل الكلام المفيد لها استعماله فيما يشبه من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة تمثيلية
واسناد احداث تلك الحال الذي قلوبهم الى الله تعالى لاسناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى
وورود الاية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها
منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع عليها بكفرهم
ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسالك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن
الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ● ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم
بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب قدّر ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ● ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار
كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم تبق الى تحصيل ايمانهم بطريق سوى
الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد الطريق ايمانه بالكلية
وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما به ومنها
ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما ● ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم ● وعلى سمعهم
عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما
في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها
الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق لها فالختم
عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو بافي على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها
وعلى العضو الحامل لها وهو المراد هنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديمه على حال ابصارهم للاشتراك بينهم
وبين قلوبهم في تلك الحالة او لان جنايتهم من حيث السمع الذي يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم
منها من حيث البصر الذي يشاهد به الاحوال الدالة على التوحيد فبيان حالها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا
السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث
الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن
اللبس واعتبار الاصل او التقدير المصادر اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل
● وعلى ابصارهم غشاوة ● الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي
التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدأ
خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدركه
بالقوة الباصرة من الايات المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا
كذلك واما الايات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر بيان الختم عليها وعلى ما هو احد طريقي
معرفتها اعني القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير
فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة
وعشاوة بالعين المهملة والرفع ● ولهم عذاب عظيم ● وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة والعذاب كالنكال
بناء ومعنى يقال عذب عن الشيء اذا امسك ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا فانه
ينقخ العطش اي يكسره وفراتا فانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به
ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض
الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث

والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل
والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا عما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الايات
ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين ● ومن الناس
شروع في بيان احوال بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه
فنونا اخر من الشر [illegible] وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوالها الهائلة عاجلة واجلة واصل الناس اناس كما يشهد له
انسان واناسي [illegible] حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الالوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
واما قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنين فشاذ وسموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب
بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت
لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المعهود على المصرين حسبما ذكر في الموصول
كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه
مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ونعت لمبتدأ رفع المبتدأ كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك ● اي وجمع منا دون ذلك
من يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول [illegible]
[illegible]

حسب خادع وخدع وهو انه في امر الخادعين بد على ذات تجرده عن معنى الاقبال عليه فيخرج من بابه الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام
فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب
ساير الكفرة واياما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اى
يعاملون معاملة الخادعين واما على طريقة المجاز العقلى بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم
ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر ♦ واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين امنوا
والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله وابقاء
صيغة المخادعة على معناه الحقيقى بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله
يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام
الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المخادعين كما قيل مما لا ترتضيه الذوق السليم اما
الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خداعهم له لم يتصور منهم التصدى للخداع واما الثانى
فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يلحق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها آئلة اليهم من حيث لا يحتسبون
كما يعرب عنه قوله تعالى ♦ وما يخادعون الا انفسهم ♦ فالتعرض لحال الجانب الاخر مما لا يساعده المقام قطعا وهو حال من ضمير يخادعون
اى يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا
انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوى الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما
قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم
او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهى ايضا تغرهم وتمنيهم الامانى الفارغة وقرئ وما يخدعون
من التخديع وما يخدعون اى يختدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته
وقد يقال للروح لان نفس الحى به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به والماء ايضا لشدة حاجتها
اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون ♦ حال من ضمير ما يخدعون اى يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اى ما يحسون بذلك لتمادى غيهم
فى الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اى ما يشعرون بشئ اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم فى الظهور بمنزلة
الامر المحسوس الذى لا يخفى الا على مؤف الحواس مختل المشاعر ♦ فى قلوبهم مرض ♦ المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال
اللائق به ويوجب الخلل فى افاعيله ويؤدى الى الموت استعير ههنا لما فى قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبى صلى الله
عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الروحانى والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس
من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل
ما لهم لا يؤمنون فقيل فى قلوبهم مرض يمنعه ♦ فزادهم الله مرضا ♦ بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير
والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على
قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول
الوحى يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن عند مشاهدتهم لعزة
المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب فى قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد
النبى صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى فى قلوبهم مرض الخ حينئذ
استيناف تعليل لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويدعون انهم مؤمنون ولم لا يجاهرون بما فى قلوبهم من الكفر
فقيل فى قلوبهم ضعف تضاعف هذه حالهم فى الدنيا ♦ ولهم فى الاخرة ♦ عذاب اليم ♦ اى مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع
بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجئ فى قوله تعالى بديع السموات والارض ♦ بما كانوا يكذبون ♦ الباء للسببية او
للمقابلة وما مصدرية داخلة فى الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم او بمقابلة كذبهم
الجديد المستمر الذى هو قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وهم غير مؤمنين ♦ فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء الايمان

ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبى بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون
محمولا على الظاهر بناء على رأى من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به فى قول الشاعر ♦ ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى
وكونك اياه عليك يسير ♦ اى لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر جناياتهم القوية
اما المراد بيان ان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم بسبب اشتراكهم فيما
يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من
العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم
السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضى الله
وروى ايضا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روى ان ابراهيم عليه السلام كذب
ثلاث كذبات فالمراد به التعريض ولكنه لما شابهه صورة سمى به وقيل ما موصولة والعائد محذوف اى بالذى يكذبونه
وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبى صلى الله عليه وسلم او القران وما مصدرية اى بسبب تكذيبهم اياه
عليه السلام او القران او موصولة اى بالذى يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما فى
بيّن فى بان وقلّص فى قلص وللتكثير كما فى موّتت البهائم وبرّكت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشى اذا جرى شوطا
ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف فى امره متردد فى رأيه ولذلك قيل له مذبذب ♦ واذا قيل لهم لا تفسدوا
فى الارض ♦ شروع فى تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل
يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا فى الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها الانهاء والتبليغ
والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشئ
عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله والفساد فى الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن
احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدى الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار
واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك فى النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما
معطوف على ما يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق
بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبى وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا
نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد فى الارض ♦ قالوا ♦ ارادة للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم
الاصلى انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتى توضيحه ♦ انما نحن مصلحون ♦ اى مقصورون على
على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغى ان يرتاب
فيه واما كلام مستأنف مسوق لتعديد شنائعهم ♦ واما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا
عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النوع من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة
الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما فى قوله تعالى بما كانوا يكذبون
فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم امنا بالله وباليوم الاخر ولذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما فى قوله عز وجل
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ♦ فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب
حتما نسيان جانب الاخرة التى من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما فى قوله تعالى ذلك بانهم
قالوا لن تمسنا النار الاية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية ولا ريب فى ان هذه الشرطية
وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شئ منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه
المذكورة حتى يستحق الانتظام فى سلك التعليل المذكور فان حقها ان يكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد
الوجهين معتدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا لا كيف لا وقوله عز وجل ♦ الا انهم هم المفسدون ♦
ينادى بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك
الاستيناف المؤدى الى زيادة تمكن الحكم فى ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفى التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها
فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفى تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما فى قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ♦ ولذلك لا يكاد يقع
ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التى هى من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه
والاستفتاح وان عطف على قوله المعززة للعصبية وعرف الخبر وسط ضمير الفصل لرد ما فى قصر انفسهم على الاصلاح من

التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى • ولكن لا يشعرون • للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن
لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم ٥
وتعديد خبائثهم وهناتهم لتواطئهما وانسدادهما وابانة بطلانهما لما فتح هكذا الباب والله اعلم بالصواب • واذا قيل لهم • من
قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد • آمنوا • حذف المؤمن به لظهوره او
اريد افعلوا الايمان • كما آمن الناس • الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم
او لمصدر ربه او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضمون الجملتين
اي حققوا ايمانكم كما حقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان
اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك
فيقال ليس هو بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا
لايمانهم • قالوا • مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان • انؤمن كما
آمن السفهاء • مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره منطوين فيه على زعمهم
الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية
القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء
عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء
ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله
واياما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر
من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم
لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السياق والسباق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم
لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر
الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى
بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر
عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم
اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل
على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير
وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره
وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء والمجانين
الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين
لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا • الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون • ابلغ
رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة
الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير
كما هو رأي الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار
منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض
التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون
انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى توسط من يتصدى
لاصلاح ذات البين يضلله كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا
وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين ناصحين للاصلاح وبانهم الافساد من حيث لا يشعرون
ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يعاشرونهم الا اشارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال تعيين ما اشير
اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل للكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون

لا بمعنى زعمنا ما تتهموننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم ومراءاة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى
الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الاية والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون
نسأله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الاية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر
السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل
وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال • واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف
به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة بلا يشعرون • واذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا • بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة وسياق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذاهبهم والترجمة
عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض هاهنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير • روي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم
فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ
بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه ٥
وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين
شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال
ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع
المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته
ومنه القيته اذا [illegible] • واذا خلوا • من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية
وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد يجوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى • الى شياطينهم •
لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية الخ وانت خبير بان تعقيبه بقولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له • والمراد بشياطينهم
المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد
له تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل • وقيل معناه هاج واحترق
• قالوا انا معكم • اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم
عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للاباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشيطان ٥
خلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه
• انما نحن • اي في اظهار الايمان عند المؤمنين • مستهزءون • بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وقوله استئناف
مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان
فقالوا انما نحن مستهزءون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون
ذلك نصرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء
بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ مات على مكانه وتهزأ به
ناقته اي تسرع به وتخف • الله يستهزئ بهم • اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في
اللفظ او للمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم ٥
واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان • واما في الاخرة فبما روي انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون • واما استئناف للايذان ٥
بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى الغاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان ٥
يقولوا ما مصير هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار
صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما
كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه قوله
عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون • ويمدهم • اي يزيدهم

ويمدهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره على يزيدهم
للرمز الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد وما يجرى مجراه من الحاجة الداعية اليه كما فى الامثلة
المذكورة وقرئ ويمدهم من الامداد وهو صريح فى ان القراءة المشهورة ليست من المد فى العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء قال
تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل ايضا واليه الاشارة بقوله **فى طغيانهم**
متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد فى كل امر والمراد افراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وقرئ بكسر الطاء وهى لغة فيه
كلقيان ولقيان وفى اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتيب المد على سوء اختيارهم
يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه فى البصيرة وهو التحير كالعمى فى البصر
وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين يتوجه واسناد هذا المد الى الله تعالى مع اسناده فى قوله تعالى واخوانهم
يمدونهم فى الغى محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد
من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم نكبوا الى شعاب التأويل فاجابوا
اولا بانهم لما اصروا على الكفر خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين فى قلوبهم فسمى ذلك مددا فى الطغيان فاسند
ابلاوه اليه تعالى ففى المسند مجاز لغوى وفى الاسناد عقلى لانه اسناد الفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقى هم الكفرة وثانيا
بانه اريد بالمد فى الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما فى قوله تعالى ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فالمجاز فى المسند فقط
وثالثا بان المراد به معناه الحقيقى وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه تعالى لاقداره **اولئك** اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تميز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون على
ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **الذين
اشتروا الضلالة بالهدى** والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال تماديهم فيما حكى عنهم من الاقوال والافعال
باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد
والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب فى الدين والثانى للاستقامة عليه والاشتراء استبدال
السلعة بالثمن اى اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر فى عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون
السلب الذى هو المعتبر فى عقد البيع ثم استعير لاخذ شىء باعطاء ما فى يده عينا كان كل منهما او معنى للاعراض عما فى يده محصلا
به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر سره ومنه قوله اخذت بالجمة راسا ازعرا **وبالثنايا الواضحات الدردرا** وبالطويل
العمر عمرا جيدرا **كما اشترى المسلم اذ تنصرا** فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة
فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان يكون ما جرى مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما جرى مجرى المبيع غير حاصل لهم
اذ ذاك حسبما هو فى البيت ولا ريب فى انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين
فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى تكون
حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد فى الطغيان المترتب على ما حكى عنهم
من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس من اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما فى حيز الثمن نفس الهدى
بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع
المشاركة فى استتباع الجدوى ولا مرية فى ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات
الباهرات والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التى من جملتها ما حكى من
النهى عن الافساد فى الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة
التى هى العمه فى تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء
ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس فى اضاعتها فقط من الشناعة ما فى اضاعتها
مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضى الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا
ضائعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه فى ايديهم بناء على انه يستعمل
اتساعا فى ايثار احد الشيئين الكائنين فى شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق
الترشيح الآتى هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف
النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة

نبوة النبى صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه فى التوراة من نعوته عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى
كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لهم
قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتى ولا مساغ لحمل الكلام
على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة داخل فى حيزها والفاء
للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدى للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال
يقال ربح فلان فى تجارته اى اشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذى هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع
المبنى على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة فى تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى
ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار
التجارة الذى يتحاشى عنه كل احد للاشباع فى التخسير والتحسير ولا ينافى ذلك ان التجارة فى نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه
من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورات الترشيح ان يكون
باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما فى قولك رأيت اسدا وافى اللبد فانك لا تريد به الا زيادة
تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ اللبد معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم
المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما فى قوله فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشش فى وكريه جاش له
صدرى فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقى الذى هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس او اللحية
او للفودين اعنى جانب الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلى لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود
وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين باعتبار المذكور
وقرئ تجاراتهم لتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اى الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة
رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح فى صفقة فربما يتدارك فى صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة
فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين
فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة
له فى الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا **مثلهم** المثل فى الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
ثم اطلق على القول السائر الذى يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن كذلك الا قول فيه غرابة صيره جديرا
بالتسيير فى البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر
غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شىء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اى الوصف الذى له شأن عظيم
وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون اى قصتها العجيبة الشأن **كمثل الذى** اى الذين كما فى قوله تعالى
وخضتم كالذى خاضوا خلا انه وحد الضمير فى قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم
جواز وضع القائل مقام القائلين لان المقصود بالوصف هى الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة
لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته وكذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم
اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوى فيه الواحد
والمتعدد كما هو شأن اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى وكذلك جاء
بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضىء
حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اى سطوعها وارتفاع
لهبها وتنكيرها للتفخيم **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وهى متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اى فلما اضاءت النار ما حول المستوقد
او فلما استضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك

ظرف لاستوقد النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وما لبقت الحول الدوران وقيل للعام حول لانه يدور
ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذى والجمع باعتبار المعنى اى اطفا الله نارهم التى
هى مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه
قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال سائل يقول
ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين
والجواب محذوف كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا فى
الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح فى احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما
لان الانطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما
فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل
له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور
فى الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم فى ظلمات
لا يبصرون فان الظلمة التى هى عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها
على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمى وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين
ولا اثر واما لان المراد بالنار ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التى هى نار الفتنة والفساد كما فى قوله
تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية
التى يوقدها الغواة ليتوصلوا الى بعض المعاصى ويهتدوا بها فى طرق العبث والفساد فاطفاها الله تعالى وخيبت
اما لهم وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته
جزر السباع ينشنه يقضم حسن بنانه والمعصم والظلمة ماخوذة من قوله ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك لانها تسد
البصر وتمنعه من الرؤية وقرى فى ظلمات بسكون اللام وفى ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح
كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التى هى اشتراؤهم الضلالة التى هى عبارة عن ظلمتى الكفر والنفاق
المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدى بالهدى الذى هو النور الفطرى المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى
الذى كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى
وتركه فى ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمى اخبار لمبتدا محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل
المشهور كما فى قوله هذا حلو حامض والصمم افة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم
والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمى به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد
منافذه حيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى
عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا اسماعهم عن الاصاخة
لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوه
من المعجزات الظاهرة على يد رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة فى الآفاق والانفس
بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدى تلك المشاعر بالكلية وهذا
عند مفلقى سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسى التشبيه كما فى قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة فى السماء لا ان المقدر فى النظم فى حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التى يطوى فيها ذكر المستعار له
بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقى كما فى قول زهير لدى اسد شاكى السلاح مقذف له لبد
اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة
لا يعودون الى الهدى الذى تركوه وضيعوه او عن الضلالة التى اخذوها والاية تتمة للتمثيل مفيدة لزيادة
تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم فى ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعرى السمع والنطق والاختلال
مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة والكريمة تتمة للتمثيل
تكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها

بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين فى مكانهم لا يرجعون ولا
يدرون ما يتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدءوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك
الحالة فيهم وقرى صما بكما عميا اما على الذم كما فى قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون
واما على الحالية من الضمير المنصوب فى تركهم او المرفوع فى لا يبصرون واما على المفعولية فالضمير ان للمستوقدين او
كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم فى فنون الكفر والضلال
وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب فى شانهم الامثال ويرخى فى حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد
لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامى الاطناب
والايجاز فما ظنك بما فى ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم فى هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف
المضاف لما سياتى من الضمائر المستدعية لذلك اى كمثل ذوى صيب وكلمة او للايذان بتساوى القصتين فى
الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذى له
وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق
الرعد صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثانى وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل
كالنار فى التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التى هى الصاد المستعلية والياء المشددة
والباء الشديدة ومادته الثانية اعنى الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرى او كصائب
من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهى فى الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن
انها موج مكفوف اى ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان
كل افق من آفاقها اى كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال
تعالى واوحى فى كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية
فيه ظلمات اى انواع منها وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ
بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتى الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته
وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر فى عدم جعل الظلمات هى الاصل
المستتبع للبواقى مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل اوكظلمات فيها صيب الخ لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به
فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها
ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق
الشئ بريقا اى لمع وكلاهما فى الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما فى الصيب باعتبار كونهما فى اعلاه ومصبه ووصول اثرهما
اليه وكونهما فى الظلمات الكائنة فيه والتنوين فى الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال
منه لتخصصه بالصفة او للعمل فيما بعده من الجار او من المستكن فى الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر
فى قوله عز وجل يجعلون اصابعهم فى آذانهم للمضاف الذى اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه
تعويلا على الدليل كما فى قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه
بما قام مقامه من القرية قال حسان رضى الله عنه يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير
الضمير المستكن فى يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانثه وايثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار
الاستقرار على الادخال الذى يفيد مجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة فى بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان
ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع فى بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامالها فحسب كما هو المعتاد
ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد
وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتادة اعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مبنى
على سؤال نشا من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون فى تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله
تعالى من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة
رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدرا كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال

صعقته بالصاعقة اى اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الاذان انما تفيد على التقدير الثانى دون الاول وقرى من
الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اى مجهر بخطبته
• حذر الموت منصوب بجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم
اللئيم تكرما • ولا ضير فى تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اى يحذرون حذرا مثل حذر
الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرى حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت
والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة • والله محيط بالكافرين • اى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به
المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به فى استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة
من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية فى
الصفة متفرعة على ما فى مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثانى تمثيلية قد اقتصر من طرفى المشبه به على ما هو العمدة
فى انتزاع الهيئة المشبه بها اعنى الاحاطة والباقى منوى بالفاظه متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر فى التمثيل كما مر تحريره
فى قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغنى عنهم شيئا
فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان
بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته
من فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد
دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى فى الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تاخيره
لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه • يكاد البرق • استئناف اخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف
حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك • يخطف ابصارهم • اى يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة
الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد مبادئه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا
من كلمة أن لتوكيد اسماء رجحانها كما فى قوله فابت الى فهم وما كدت ابا وكذا تجئ مع ان حملا لها على عسى كما فى مثل قول رؤبة قد كاد
من طول البلى ان يمصحا كما تحمل عليها بالحذف لما بينهما من المقاربة فى اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما فى
عسى وقرى يخطف بكسر الطاء ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها فى الطاء ويخطف بكسرهما
على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم • كلما اضاء لهم • كلما ظرف وما
مصدرية والزمان محذوف اى كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اى كل وقت اضاء
لهم فيه والعامل فى كلما جوابها وهو استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون فى اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا
باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده
قراءة كلما ضاء • مشوا فيه • اى فى ذلك المسلك او فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشى
على ما فوقه من السعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما • واذا اظلم عليهم • اى خفى البرق واستتر والمظلوم وان كان
غير لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة فى موجبات تخبطهم وقد جوز
ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل • ومنه ما جاء فى قول ابى تمام هما اظلما حالى ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول • قاموا • اى وقفوا فى اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة
اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجا يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم
حراص على المشى مترقبون لما يصحح لهم فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير
اللب ما لا يوصف • ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم • كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه
هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر
واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذى لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بنى
الحكم على اعتباره فهى دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعى لاستحالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما فى مادة
الدوران الكلى كما فى قوله عز وجل • ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتنى لاكرمتك نظائر لان وجود المشيئة علة لوجود
الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط
كما فى المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هى لامتناع الثانى لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال
بالانتفاء الثانى لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما فى قوله سبحانه لو كان فيهما الهة

الا الله لفسدتا وقيل فى قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان
لازم لخيريته فى زعم الكفرة ولا ريب فى انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة فى الاول وادعاء بالاطلاق الثانى ضرورة استلزام
انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما فى المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم
بانتفاء الثانى للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثانى واما فى مادة الدوران الجزئى كما فى قولك لو طلعت
الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذى هو طلوعها ليس وجود اى ضوء كان كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو
وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب فى انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بنى الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بنى
على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء
الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه
فى الحقيقة معلق بسبب اخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو ليس مدارا لوجود الضوء فى الحقيقة وانما وضع
موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء القمرى عند طلوع الشمس وان
لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى زينب ابنة ابى سلمة لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى انها
لابنة اخى من الرضاعة فان المدار المعتبر فى ضمن الشرط اعنى كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق
مدار اخر بل بنى الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا وسياق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال
بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما فى قوله عز وجل • قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى
اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان فى الثريا لناله رجال من فارس وقول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعى نقائضها ايذانا بانها فى انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء
اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية فى مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها فى تفسير قوله تعالى او لو كانوا كارهين وقول عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان فى ضمن عدم الخوف بمدار اخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من
قبيل حديث ابنة ابى سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على الاستعمال
الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق • وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة
الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على
انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان
مفعولها مضمونا للجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما فى قوله فلو شئت ان ابكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة
الصبر اوسع اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكمة والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة
الباء كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد فى المشهورة لان السمع مصدر فى الاصل والجملة الشرطية
معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية وقيل على كلما اضاء لهم وقوله عز وجل • ان الله على كل شيء قدير • تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها
الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهانى والشيء بحسب مفهومه اللغوى يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه فى الاصل
مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى فى ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا
كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل
هى صفة تقتضى ذلك التمكن والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لكل ما يشاء كما يشاء
ولذلك لم يوصف به غير البارى جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاءه على الوجود
ابقاه عليه فان علة الوجود هى علة البقاء وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى
قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها
يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفى العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر
ما يقتضيه ارادته او بقدر قوته • وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء
مقدور له تعالى واعلم ان كلا من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما فى قوله كان قلوب
الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه المنافقون فى التمثيل الاول بالمستوقدين وهداهم
الفطرى بالنار وتمكينهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم
وازالته باذهاب النور والنار واخذ الضلالة بمقابلته بملابستهم الظلمات الكثيفة وبقاءهم فيها ويشبه فى التمثيل
الثانى بالسائلة والقران وما فيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحياة الابدية بالصيب الذى هو سبب الحياة

الضوء بسبب اخر كالقمر مثلا ولا ريب فى ان هذا الخبر اشد عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود القمر

الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق و
وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم
مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد
الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه
هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به فتشبه كل واحدة بان ينتزع من المنافقين
واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم
المحكية هيئة بحالها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد عليه هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع
تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة ● يا ايها الناس اعبدوا ربكم ● اثر ما ذكر الله
تعالى علو طبقة كتابه الكريم ● وتحزب الناس في شانه الى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام
وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها
بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل ● اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغا
وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك
به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمه كما في قول الداعي يا الله ويا رب
وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين ● واما لتنبيهه
على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتني بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى ندا
المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه
محلا اشعارا بانه المقصود بالندا واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى الندا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف
اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد
كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها
الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد
بالايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين من الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلات
باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير
داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه
شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري
من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة المشرفة اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية
اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود
هذا الامر لما ان المامور به هو القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها
متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفا شرطها في الآخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا
به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة ● وقد قيل المراد
بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس ان كل ما ورد
في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفريقين
الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم
من الايمان بجميع ما جاء به اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا ● وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم
لسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه
لطيف ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند قوله تعالى وانتم تعلمون ● وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة ● الذي خلقكم ● صفة اجريت عليه سبحانه وتعالى
للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بنا على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب
على ما هو اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشي على تقدير واستوا واصله التقدير

يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف ● والذين من قبلكم ● عطف على الضمير المنصوب
ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا
من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة
كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من
معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية
الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم المتقوى من الظهور بحيث لا يتاتى
لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كاقحام اللام بين المضاف
اليه في لا اباً لك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم ● لعلكم تتقون ● المعنى الوضعي لكلمة
لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك
المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشايع في الاستعمال لان معاني الانشاءات
قايمة به ● واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه لعله يتذكر
او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير
ان يعتبر هناك توقع بالفعل من توقع اصلا فان روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع
التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد
اسبابها برجا الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان
الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى
التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع
من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان
يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي
والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا ● واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة
والتمثيل فاما مؤسس على قاعدة الاعتزال القايلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم
التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغايبين لانهم المامورون بالعبادة اي خلقكم واياهم
مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقه تعالى اياهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بنا
على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة ● واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة
له منزلة ترتب الغرض على ما هو الغرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هي غاية لها بحيث
لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل عليتها للمامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له
ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب
العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا الزموها كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان
به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين الانتظام
في زمرة المتقين الفايزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية
والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر
المشترك بين انشايه والثبات عليه ليرجوه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب الخالد والتجنب
عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات
الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا
على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل ● واما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة
المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما براهم مستعدين للتقوى
جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم
يتحقق الرجا قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس
مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها

فقولا له قولا لينا
بحيثية
افعاله

اولان تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر لانه ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذى
جعل لكم الارض فراشا • وهو فى محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او فى محل الرفع على
المدح اشعارا بانه انشاكالمنادى وحذف المبتدا فى المرفوع اجرا للوجهين على سنن واحد • واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل
فيستدعى ان يكون مناط النهى ما فى حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وما خلق من قبلهم دخل فى ذلك مع كونه
اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوب بان ما بعده مفعولا • وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثانى على الحالية والظرف متعلق به على التقدير
وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما بعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم
لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما فى المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم
لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة
واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها
مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا • والسماء بناء • عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم
بها اكثر واظهر اى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماوة او سماة والبناء فى الاصل
مصدر سمى به المبنى بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امراته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا
• وانزل من السماء ماء • عطف على جعل اى انزل من جهتها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روى ذلك عنه عليه الصلاة والسلام
او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة
بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اى كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة • واما تقديم الظرف على الوجه الاول
مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام
بينه وبين قوله تعالى • فاخرج به • اى بسبب الماء • من الثمرات رزقا لكم • وذلك بان اودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض
قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة
منهما وان كان المؤثر الحقيقى قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع
نفوس المبادى والاسباب لكن له عز وجل فى انشائها متقلبة فى الاحوال ومتبدلة فى الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولى
الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس فى ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به
ثمرات ولتوسطه بين منكرين اعنى ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا
الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
المرزوق ومن الثمرات بيان له وحال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا
منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات
جماعة الثمرة فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من
جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير
كونه بمعنى المرزوق اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عامل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم • فلا تجعلوا
لله اندادا • اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة
والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهى هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم
الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التى عليها يدور امر الوحدانية
واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات • واما معطوف عليه كما فى قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهى او الانتهاء او لان مال النهى هو الامر بتخصيص العبادة
به تعالى المرتب على اصلها كانه قيل اعبدوه وخصوها به والاظهار فى موضع الاضمار لما مر آنفا • وقيل هو نفى منصوب باضمار ان
جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثانى ولا ريب فى ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذى هو اصلها ومبناها
وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اى خلقكم لتتقوا
وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل فى بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم
بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد • وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذى جعل الخ على تقدير رفعه على المدح • اى هو
الذى حفظكم بهذه الايات العظام والدلايل النيرة فلا تتخذوا له شركا ومنه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم

والعظيم تقدير المبتدأ قالـ ... ان مالك الزمه حذف الفعل في المنصوب على المدح

اوشباع

بمنزلة

بمعزل من مناطية النهى مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول فى حقه وقد عرفت ما فيه مع ان هو المصير الى ارتكاب
فى تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما فى قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المنادى من ند ندودا
اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوى بالمماثل فى المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من
دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى فى صفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى
الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل
وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفى ذلك قال
موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل
الرجل البصير وقوله تعالى • وانتم تعلمون • حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهى من قبح المنهى عنه ووجوب
الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم
والمعرفة بدقايق الامور واصابة الامور او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله
شىء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما فى قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شىء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذى يستدعيه عموم الخطاب فى
النهى لجعل المنهى عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المؤمنين
حسبما مر مثله فى الامر واما صرف التقييد الى نفس النهى فيستدعى تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر
النهى على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بما ينافى بطريق المبالغة فى التوبيخ والتقريع
بناء على ان تعاطى القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور فى حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهى مع تعميم الخطاب
للمؤمنين ايضا فقد ناى عن التحقيق ان قلت ليس فى تخصيصه بالكفرة فى الامر والنهى خلاص من امثال ما مر من التكلفات
وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا محيد فى اية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه
من رباء محل المومنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام فى سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر
فى صدر السورة الكريمة مستغنون فى ذلك عن الامر والنهى قلت ـــــــ بلى انه وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب
اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل • وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا • شروع فى تحقيق ان الكتاب الكريم الذى من جملته
ما تلى من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
كما ان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر فى مطلع السورة الشريفة
من النعوت الجليلة التى من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع انهم جازمون
بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان نفى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا فى غاية
ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب فى شانه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره
وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع • واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة
الريب الضعيف لكمال وضوح دلايل الاعجاز ونهاية قوتها • وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من
المبالغة فى تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع
فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافى اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام
ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن فى مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب
فى الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه لما ان
معنى كونهم فى ريب منه ارتيابهم فى استقامة معانيه وصحة احكامه بل فى نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وعلا وايثار
التنزيل المنبى عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشا ارتيابهم وبناء التحدى عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا
اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادى الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم فى شان ما نزلناه على مهل وتدريج
فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى
غاية ما يكون من المجاراة وعا يكون فى التبكيت وازاحة العلل وفى ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير
الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل • وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا
والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا

لدو سيمنا عليه والامر في قوله تعالى • فأتوا بسورة • من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فأت بها من المغرب والفاء
للجواب وسببية الارتياب للامر او الاتيان للمامور به لما اشير اليه من انه عبارة عن جرمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا ه
وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه •
سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن المعنونة محدودة على حيالها او محتوية على فنون رائعة من العلوم احتواء سور
المدينة او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة • في المجد ليس غرابها بمطار • فان سور القرآن مع كونها
في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في مراتب يرتقي اليها
القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى • من مثله • بيانية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق
والبيان البديع الفائق وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن
الاتيان ببعضه كانه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها
مدارا للعجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا
ان هذا الا اساطير الاولين او على التهكم بهم بإباء ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك ه
منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الاخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله او بعشر سور مثله
وقيل هي ابتدائية • فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما ان رجعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر
التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه خلاف رجعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية
والعربية والامية بدون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات
المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى
او مجتمعين مع انه يستدعي اعجاز المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة
وامرهم بان يجتهدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى • وادعوا شهداءكم من دون الله
ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما اتى به واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن
عدم الخوف بما اخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل الحديث اي ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان ه
استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية
هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما
يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة
ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد
يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب
بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب لاسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ه
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الاية والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها
من الجملة الاستئنافية وقيل على كلما اضاء لهم وقوله عز وجل • ان الله على كل شيء قدير • تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها
الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه ه
كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم
والاخبار عنه فقط • وقد خص ههنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة
عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ
لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء • ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى
على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في ه
تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده
وان لم يشأ لم يوجده • وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان الباقي

الظاهر واقلها ثلث آيات وقد اوردها اصلته منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن م
على ثانيهما

والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ
ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم ه
بشهادتها لهم انهم على الحق فان ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل اولئك عدتكم
فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم ووجه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة
لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظ دون مستعار من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من شيء لقدامه كما في قول
الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكمال
رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى لتقبيلكم في
المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى
فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن
الذي اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من ههنا تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما
ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد بقيا
كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن
خاصة وقيل المراد بالشهداء مداره القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر من ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون
لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم الذين انا باتهم ايضا لا يشهدون بذلك • وانما قدر
المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله يقابل ذكر الاصنام والمقصود
بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا
بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فاظهروا ايضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر
الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك
الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا في اثبات مماثلته للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك • ان
كنتم صادقين • اي في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فأتوا بسورة من
مثله الخ واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام
في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع
والايام لاسيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به • فان لم تفعلوا • اي
ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعدما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل
صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل
مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري استدعاه المقام وهو الايذان بان المقصود
بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية
اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية
من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى
الفعل • واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك ترى انهم
يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع
يفعل الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني باخ لكم من ابيكم
فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر وبما عرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في
الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا
بمفعوله تحقيقا للمطالبة واعراضا عن مقصدهم هذا وقيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء
الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال
بمعونة قرائن الحال في الخبر وانما ذكر ان المفيد للشك على ادامع تحقق الجزم بعدمه فطام منهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة
او تهكما بهم • ولن تفعلوا • كلمة لن لنفي المستقبل كلا الا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء
لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب لتاكيد المعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية

اي م

معرّز لمضمون ما قبلها ومؤكد لايجاب العمل بما فيها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف
لا ولو عارضوه بشيء يداني في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف • فاتقوا النار • جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز
من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار
كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة
النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه
وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح
صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه
واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة • صفة للنار موردة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد
به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى
انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب
او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها الى المنتسب اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم
سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوه قبل هذه الاية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس
والحجارة فاشير هنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع اياتها كذلك كما هو المشهور • واما ان الصلة
ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب فالخطب فيه هين لا لما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر
انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية • اعدت للكافرين • اي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم
والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل
الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الان والجملة استئنافا لا محل
لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال
باضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف
• وبشر الذين امنوا • اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس
الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقران ووصف ثوابهم على قصة الكافرين
به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد فكان تغيير السبك لتخييل كمال
التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير
بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة
فضلا عن ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار
بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه
صلى الله عليه وسلم لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه
حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح
اوائل ضوئه • وعملوا الصالحات • الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كلما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل
واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها
متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكاليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار
استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به • ان لهم جنات •
منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره
تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي
جنة سحقا • اي نخلا طوالا لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الشجرة وعلى الارض ذات الشجرة قال
الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم وحق المصدر ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار
الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها

السبع على ما ذكره ابن عباس جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة
منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات
فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي
من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة
على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري
والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله
عز وعلا انهار من ماء غير اسن الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات
والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي والمجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان اسنادا
عقليا كما في سال الميزاب • كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل • صفة اخرى للجنات
اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها
او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها
كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان
موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه
منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة وصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة
بيانا قدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر
جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا
مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة
كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه
اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى
عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد
والطعم مختلف وكما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى
فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما
عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل
واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن
ابن عباس • من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن
والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة
بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة بحسب تفاوتها فيجوز ان يريدوا هذا
ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات
من قبيل الثواب • واتوا به متشابها • اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما
رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق • ولهم فيها
ازواج مطهرة • اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل
في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال
واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد
الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما
التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس
في مفهومه اعتبار التوالد الذي يوهمه ارتباط النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما
ان المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة • وهم فيها خالدون • اي دائمون
والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله
خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز وعلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد هنا

الدوام قطعا لما يقتضيه من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات
المودية الى الانحلال والانفكاك مدارة قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيد بها الخالق
بحيث لا يعتريها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متقاومة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى
شئ منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا
لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح حسبما يقضيه الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال
ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا
لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل ۝ ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة ۝ شروع في تنزيه ساحة التنزيل
عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي
والقام الحجر والحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس ۝ ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات
والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما
نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الاية قالت اليهود اي قدر للذباب
والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس
مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير بل هو اوضح من ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان
التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة
الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه
الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيته
وجوب التماثل بين المثل والممثل به في مناط التمثيل فتمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة
ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من القراد واضعف من بعوضة
... والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي واشتقاقه من الحياة
... وحشي من الحشا والنسا والحشا يقال شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كأن من يعتريه الحياء
يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه ۝ والاول لا يتعدى الا بحرف الجر
وقد حذف منه احدى الياءين ومنه قوله تعالى ... لا يستحيي منا الملوك وتتقى محارمنا لا يبرح الدهر بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد فكما انه اذا اسند الى الله سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة
المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل
حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك كلا منهما حياء كذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد
الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي منه لا سلب وصف
الحياء عنه تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شأنه في الجملة فالمراد هاهنا
عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتآخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور
في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ۝ ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا
بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به
لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في موارد صدورها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لتعدد
الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا
الاعتبار بل باعتبار الاول قطعا وهو مأخوذ اما من ضرب الخاتم لما في التطبيق من التأثير كما ان ضربه تطبيقه بما لديه كذلك استعمال
الامثال في مضاربها تطبيقها بما كان من المضارب فوائد تقريب الامثال على ما كانها لكن لا بمعنى ۝ انها تتبعها حسبما نعدان لو لم يكن
كذلك بل بمعنى انها توجد منطبقة على مضاربها الحاصلة عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق
مع ان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديه بنفسه
النصب على المفعولية واما على تقدير تعديه بالجار فعند الخليل الجر باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها
ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيدها تقاربه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من

الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف
بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ۝ اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها بحذف الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على
قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك اي بحذف الصدر ومحل ما على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب
على ان مثلا حال كما ذكر وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك اي صفة مثلا ۝ واما على تقدير كونها استفهامية ففيه تنبيه على ان ما على
قراءة النصب لا يكون موصولة ولا موصوفة فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل
بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها او احقر كجناحها كما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها
عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف ۝ واما على تقدير رفعها فهو عطف
على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل
والمعنى ما بعوضة فما الذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر
للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا اخلال بالشيوع بل يقرره ويؤكده
بطريق الاولوية ۝ والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن
لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت ۝ وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون كالثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فأي شيء فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي
عن ... سقط فسطاط فضحكت ... رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما جاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما اصاب
المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما جاوزها في الالم كالخرور ۝ فاما الذين امنوا ۝ شروع في تفصيل
ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل
فيضربه فاما الذين ... وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد
امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته
توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد يذكر جميعها وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين
في قلوبهم زيغ قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين
كما ان المراد بالموصول الثاني فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون ۝ فيعلمون انه الحق من ربهم
كما يؤذن به تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة
على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من
الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان
ضرب المثل تربية لهم وارشاد لهم الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله
الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه
كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا للايذان بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغني عن الذكر
۝ واما الذين كفروا ۝ ممن حكينا قولهم واحوالهم ۝ فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ۝ اوثر يقولون على لا يعلمون حسبما
يقتضيه ظاهر تربية دلالة على كمال علومهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها
والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعى عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم
المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلمها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا
وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه ۝ واما الذين كفروا فلا يعلمون
ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
وتامل ولكن على الحق المبين وماذا اما مولفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد
محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا ۝ واما منزلة اسم واحد بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس

النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التي هي مبدأه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا
في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا تكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هو علمه
باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الاخر وتخصيصه
بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز
او على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة
مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة
تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل ▪ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ▪ جواب عن تلك
المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة في كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال
المنهمكين في الغواية ووضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما
بالفعل ونظمهما من الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لابهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب
المثل هو التذكير والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ▪ ونظائره واما الاضلال فهو امر
عارض مترتب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدرين
كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون
اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوءهم ويفت اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى ▪ وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق
وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل
الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل
فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد قلة الاولين الكرام من حيث العدد وفي الاخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال
▪ ان الكرام كثير في البلاد وان ▪ قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ▪ واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع
الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه
التصريح بالسبب وقرئ ▪ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية
وتأكيدها ▪ وما يضل به ▪ اي بالمثل او بضربه ▪ الا الفاسقين ▪ عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد
اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون
الضلال وزيادة فيه وقرئ ▪ وما يضل به الا الفاسقون ▪ على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن
قشرها والفارة عن جحرها اي خرجت قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة
الخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة ولها طبقات ثلاث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا
مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم
يبلغه الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده لم يمكن لهم
ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين
ههنا العاتون المتمادون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص
الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال
فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا ▪ الذين ينقضون عهد الله ▪ صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق
والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه
من ارتباط احد المتعاهدين بالاخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا
الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس
تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه ▪ والمراد
ههنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب وجوده تعالى ووحدته وصدق رسوله

وبه اول

وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث
اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله
عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ▪ ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الاول
ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا بربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه ▪ والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه ▪ من بعد ميثاقه ▪ الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة
والاحكام ▪ واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه
به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف
على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد
ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني
للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول ▪ واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل
▪ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ▪ يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة
بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه
يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شأن
لفظا ومعنى ▪ ويفسدون في الارض ▪ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور نظام العالم وصلاحه
▪ اولئك ▪ اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز منتظمون بسبب
ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد ▪ هم الخاسرون ▪ الذين خسروا باهمال العقل
عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس
من انوارها واشتروا النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب ▪ كيف تكفرون بالله ▪ التفات الى
خطاب المذكورين مبني على ايراد ما عدد من قبائحهم السابقة لزيادة السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام لا بمعنى
انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه
من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى
جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل ▪ وكنتم امواتا ▪ الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة
للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها
على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي
حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت
كالاقوال جمع قيل واطلاقه على تلك الاجسام باعتبار عدم الحياة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى آية لهم الارض الميتة ▪ فاحياكم ▪
بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض
كما اشير اليه آنفا ▪ ثم يميتكم ▪ اي عند تقضي آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة
الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي مستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحياة فان زمان الاماتة
غير متراخ عنه ▪ ثم يحييكم ▪ بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر
▪ ثم اليه ترجعون ▪ بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الاحوال وان كان
بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يتسنى مقارنته ثم بهما للموجود منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون
بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وما له التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه ▪ وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع
في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة
العلل والاعذار والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلائعها
وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب
قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى

مقتضٍ لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام • هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا • تقرير للانكار وتاكيد له من
الحيثيتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود بالخطابين لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق به هذا اتم من الاحياء والاماتة
والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة
على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اي خلق
لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون
الصانع تعالى شانه وللاستمتاع بكل واحد منها على ما يليق به من لذات الاخرة والامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل
كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل جميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من
العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي يدور عليه
انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو
دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل • ثم استوى الى السماء • اي قصد اليها
بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم
استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصها بالذكر هاهنا اما لعدم تحققها في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض
ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما • واما لاظهار كمال العناية
بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات
لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
ولما روي عن الحسن رضي الله عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات
العلو • فسواهن • اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور فانه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا
يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على
الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى • سبع سموات • كما في
ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة
على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في
ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى حسبما سيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل
باذن الله تعالى • وهو بكل شيء عليم • اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي
على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها
يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد • واذ قال ربك • بيان لامر آخر من جنس
الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل
النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض
جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام
ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام
وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع الانباء عن تشريفه عليه السلام
ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه
اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة
في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت
حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على الظرفية وقيل اذكر الحادث فيه فحذف المظروف واقيم الظرف
مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام غب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق
بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه
وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكروا النعمة في خلق السموات والارض او تدبروا ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام

تذكير المخاطبين بمواجب الشكر وتنبيههم على ما تقتضيه وان ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه
انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر
دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الى آخره ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد تلك الخلق بذلك الوقت وقيل
خلقكم او احياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زائد ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز قائلا •
للملائكة • للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم
والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال
والتاء لتاكيد تانيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة وهي
الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل
او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر
المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام
وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما جارية منها مجرى الشمس
من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق بمعرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة
للابدان ونقل في شرح [illegible] انه عليه السلام قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه
ملك ساجد وراكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء
كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة
ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة
الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما
فيه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون
حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبرائيل عليهم السلام لا يحصى
اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو • وروي انه عليه السلام
حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه
السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم
سألا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة
الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المخاطبون مع ابليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا
فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا وقد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله
عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء
واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين هم كل الملائكة
لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى • اني جاعل في الارض خليفة • في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل
ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل
اولهما خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم صير في الارض خليفة فمعناه بعد [illegible] اي جاعل خليفة من الخلائف او خليفة بعينه كائنا
في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا • وانما يقتضيه هو الاخبار
بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول
الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر ولئن وقع حالا مما بعده لكونه نكرة • واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه
كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حيث حذف المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا قوله تعالى
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم
خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة هاهنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما ستفصله
كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه

حذف من الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا
من طين ان قلت كيف يصح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت
وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عن الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما
عن اثبته ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وكان الظرف في التعلق والتقديم
كما مر فلا يكون ناشيا من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا
ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا
والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما ادم عليه السلام وبنوه وانما اقتصر عليه
استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى بذكر ابي القبيلة بذكر ابيهم كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلق بعد خلق فيعمه عليه السلام
وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى
الى الملك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم بقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك
فيعم حينئذ الجميع ● قالوا ● استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة فقيل قالوا ● اتجعل فيها من يفسد فيها ●
وهو ايضا من الجعل المتعدي لاثنين فيقال فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف نعته بما ذكر في الكلام السابق
كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكر هنا قال وقائلة لا تحلنا على غرابك انا طالما وقد ورثنا الاعادي حذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جاريا
على غرابك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان
في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد
موكلة وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه
تقضي ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء
احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من شان بني نوعه الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام
وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم
من الحكم التي ترتبت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته
اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما يختلج في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه
عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم
من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الاخر ● ويسفك الدماء ● السفك والسفح والشكب والسبك انواع من الصب
والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما هو
اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويُسفِك من اسفك وسفّك وقرئ يُسفَك على البناء للمفعول وحذف الراجع
الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم ● ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ● جملة حالية مقررة للتعجيب السابق ومؤكدة له على
طريقة من يجد في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره المستخدم العصاة وانا المجتهد كانه قيل اتستخلف من من شان ذريته الفساد
مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع
لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها
الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا تحررتا من القوة العقلية ومرنتا على الخير حصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر
عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط بدائرة الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه
سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك التقديس تعالى من قدس في الارض اذا ذهب
فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن
كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال
والحمد لتذكير صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله
واما للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقة بمحذوف اي تقديسنا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك
وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو
تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الاثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع ● قال ● استيناف كما سبق ● اني اعلم ما لا تعلمون ●

ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا تعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق
التاكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل
مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته به تعالى وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكم المتقنة
وصدا لهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى
كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على تردد منهم في
اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا امل هي امر راجع
الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم
ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية ● وعلم ادم الاسماء كلها ●
شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره
على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة
لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعابر وفالغ لا افعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة او الادم
بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك
اختلفت الوان ذريته او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع
لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد هنا اما
الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه
العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير الهدى
وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم
السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فالمعنى علمه تعالى اياه بان خلق فيه اذ ذاك بموجب
استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او القى في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت
وكيت وذاك بعير وحاله كيت وكيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فتلقاها عليه السلام حسبما تقتضيه استعداداته وتستدعيه قابليته
المتفرعة على نظرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رضي الله عنهم
علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم
القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم ادم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات
والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات
وتفاصيل كيفيات استعمال الاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن ثمة جملا مطوية عطف عليها
المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الخ ● ثم عرضهم على الملائكة ● الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الراس
شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها وفي الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض
عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها ● فقال انبئوني باسماء هؤلاء ● تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة
ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد
يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد هنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم
خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ● ان كنتم صادقين ● اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه
مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق
هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اريد
بان يقال ما في زعمكم اني استخلف من غالب من الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانباء
وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ● قالوا ● استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا لما ظهر عجزهم عما كلفوه او لا فقيل
● قالوا سبحانك ● قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين
كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر ● واما في قوله سبحانا ثم سبحانا نعوذ به فتقليل صرفه للضرورة وقيل انه مصدر منكر
كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول اسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعن ابداء لك
تسبيحا ناشئا عن كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف ادم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها ناشئا

عن ذلك وازداد وابه انهم قالوه عن ادعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه
الخلافة وقوله عز وعلا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا * حسب قابليتنا من العلوم المناسبة
لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها
عائدها او مصدرية * ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بل جعلوه
من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان * انك انت العليم * الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى
تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون * الحكيم * اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة
للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد
للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى
وما فهم من ذلك من علم ادم عليه السلام ما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد ادم عليه السلام
لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي
لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم ادم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام
الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها * قال * استيناف كما سلف * يا ادم انبئهم * اي اعلمهم اوثر على انبئوني كما وقع في امر الملائكة
مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل ادم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه بها امر واضح
غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيرهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة
فيهما * باسمائهم * التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها * فلما انبأهم باسمائهم * الفاء فصيحة عاطفة للجملة
الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون
كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار
لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه انبأهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم
احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل
التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه
السلام * فلما انبأهم * بذلك * قال * عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له * الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض لكن
لا لتقريره فقط كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في ادم عليه السلام بظهور مصداقه
وايراد ما لا تعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من
عجزهم وعلم ادم عليه السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير
اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه * وقوله تعالى * واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون * عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه
وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم فالمراد بما تبدون قولهم * اتجعل * الخ وبما تكتمون استبطانهم انهم احقاء
بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم * روي انه تعالى لما خلق ادم رات الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا
خلقا الا كنا اكرم عليه منهم وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناده الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا
فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الاية الكريمة بيان لشرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو
المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات
توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة
وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى * وما منا الا له مقام معلوم * وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام
لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها * واذ قلنا للملائكة * عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب
مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بمضمر دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ
وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المفصلة
للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم باظهار الجلالة وتربية المهابة
مع ما فيه من تاكيد الاستقلال * وكذا اظهار الملائكة في موضع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ
بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى * اسجدوا لادم * كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة
والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام

على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما
كان ادم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم
الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله
عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله
عز وجل * فسجدوا * عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى * الا ابليس * استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة
متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ومنهم ابليس او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك
لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو الياس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان التي تقتضيه
هذه الاية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر
التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة * ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة
الكهف وسورة طه من قوله تعالى * وكما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع لذي ورد الامر التعليقي ولكن ما في
سورة الحجر من قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين هذا وقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون * وقوله تعالى فقعوا له ساجدين وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك
للملائكة اني خالق بشرا من طين الى اخر الاية * يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما
شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه
الروح بلا تاخير وتاويل الايات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه يكون في حكم
التنجيز يابا ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي
والاعتذار بحمل التراخي متعلق بقوله حكاية الامر على التراخي الرتبي او التراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان
في عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى
بينه وبينهم عليه السلام في شان الخلافة وما قالوا فيه في شانه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته
عليه السلام وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل
والنقل والا لتجافي التقصي عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف يتهو
عن ضيق المجال فالذي تقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه
من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار
بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح * اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ
الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب
النداء * لقوله تعالى * اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الاية وبعدم وجوب اقامة الصلاة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا
اطماننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي اثر ذي
اثر انما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التامل في شانه عليه السلام ليتدبروا في احواله ظرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستنهضهم
ما عسى يشتبه عليهم في امره عليه السلام لانبائه على حكم ابيه واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي
ويتم الامتثال ولذا قالوا لو احسب ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين
عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة
المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام
ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله ثم لبشر مع عدم سبق معرفة الملائكة بذلك وحيث صير اليه مع انه
لم يرد به نقل فما ظنك بما وقع المصرح به في مواضع عديدة فلعله تعالى القى اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي
اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وبينت لكم
شانه فقعوا له ساجدين خلعه شرواه * ولعل ينبه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا ثم القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط
المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هكذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايدة

الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهد وامنه ما شاهد وافعد ذلك ورد الامر التنجيزي اعتنا بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكى
بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة
ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ
يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملا الاعلى الملائكة وادم عليه السلام وابليس حسبما اطلق عليه جمهور الامة وباختصامهم
ما جرى بينهم في شان خلافة ادم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء من قضيته الجلية
ووقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه
من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام
الاختصام بمجرد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة ابتنائه على
الانباء بالاسماء فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الامر ◦ ابى واستكبر ◦ استئناف
مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتامل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره
والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع
كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره والاقتصار في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون
مع الساجدين ◦ وكان من الكافرين ◦ اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن ولذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود
لادم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة
على ان كلا من الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما يقتضيه الفاء ◦ وقلنا ◦ شروع في حكاية ما جرى بينه سبحانه وتعالى وبين ادم
عليه السلام بعد ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة ولا يقدح في ذلك تخلل ما بينهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان
ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء
في قوله تعالى ◦ يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة ◦ للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص اصل الخطاب به عليه السلام
للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة
وانت تاكيد للمستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي
الله عنه وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها ادم بقي فيها وحده وما كان
معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها
عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة تجربة لعلمه ما هذه قال امراة قالوا لم سميت
امراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي ◦ وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا ادم وحواء على سرير من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى
يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى
امتحانا لادم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه تعالى كان في الارض بلا
خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها
ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل
ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع ◦ وكلا منها ◦ اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف
والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكنى
فانها تابعة له فيه ◦ رغدا ◦ صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها ◦ حيث شئتما ◦ اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث
ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما
عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى ◦ ولا تقربا ◦ بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري
قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه ◦ هذه الشجرة ◦ نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق
اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او
العنبة او التينة وقيل شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع ولا قرينة مدينة اليه وبكسر شين الشجرة وتاء تقربا وقرئ الشيرة

والمبس من الاقوال والافعال وقد ترك حكاية الجلس حيث ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اختصارا لما فصل على ما فصل في سائر السور الكريمة تمت للملا عليهم

الشين وفتح الياء ◦ فتكونا من الظالمين ◦ مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب
لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود
الله تعالى ◦ فازلهما الشيطان عنها ◦ اي اصدر زلتهما اي زلقهما وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه ما في قوله تعالى
وما فعلته عن امري او ازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة فازالهما وهما
متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة الخلد وملك
لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه
الايات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الارض الى حين
البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم ◦ فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة
كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لادم وحواء ◦ فاخرجهما مما كانا فيه ◦ اي من الجنة ان كان ضمير
عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او
من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة ◦ وقلنا اهبطوا ◦ الخطاب لادم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا
وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهما وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
او يدخلها مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء ◦ بعضكم لبعض عدو ◦ حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم
على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول
◦ ولكم في الارض ◦ التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم اي لاستقرار ◦ مستقر ◦ اي استقرار او موضع استقرار
◦ ومتاع ◦ اي تمتع بالعيش وانتفاع به ◦ الى حين ◦ هو حين الموت على ان المعنى تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس
في ضمن بعض الافراد والجملة كالتي قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع او استئنافا ◦ فتلقى ادم من ربه كلمات ◦ اي استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب ادم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت ◦ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى
قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم
والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه
السلام للتشريف والايذان بعليته لالقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها ◦ فتاب عليه ◦ اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء
للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم
العود اليه واكتفي بذكر شان ادم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة ◦ انه
هو التواب ◦ اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن
المعصية واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة ◦ الرحيم ◦ المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين
وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه ◦ قلنا ◦ استئناف مبني على سؤال
ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا ◦ اهبطوا منها جميعا ◦ كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه
لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا لنوع رافة به عليه السلام
لما بين الامرين من الفرق لتغير كيفية لان الاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها
والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا
بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن
باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وياباه التعرض لاستقرارهم
في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا ◦ فاما ياتينكم مني هدى ◦ الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط
المفهوم من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتاكيدها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد
وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل
لما مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى ◦ فمن تبع هداي منكم

وقيل قام عند الباب فناداه وقيل
تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به
وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم
عند الله تعالى

خوف عليهم ولا هم يحزنون كان قولك ان جيتنى فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لاحالة الايمان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفى فى وجوده افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال والجرى على سنن العظماء فى ايراد عسى ولعل فى مواضع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداى منكم فلا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما تقرر فى موضعه ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثانى ما هو اعم من الهدايات الشرعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اى والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التى انزلها على الانبياء واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والاية فى الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها عما بعدها وقيل لانها جمع كلمات منه ويكون من قولهم خرج بنو فلان بايتهم اى بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حى مثلنا باياتنا نزجى اللقاح المطافلا واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى او من اوى اليه اى رجع واصلها اوية او اية فابدلت عينها الفاء على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او ايية كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الكفر والفساد وهو مبتدا وقوله عز وجل اصحاب النار اى ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول واسم الاشارة بدل من الموصول وعطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون فى حيز النصب على الحالية لورود التصريح به فى قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونها حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او فى محل الرفع على انه خبر اخر لاولئك على راى من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود فى الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام يا بنى اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بعنوان النعم الغابية عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكيرهم بالنعمة العامة لبنى ادم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك واذ قلنا للملائكة لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامى واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة فى الارض وسجود له الملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قيل اريد بها ما انعم به على ابائهم من النعم التى سيجئ تفصيلها وعليهم من فنون النعم التى اجلها ادراك عصر النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتى باسكان الياء واسقاطها فى الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدى بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال واخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه اوفوا بعهدى فى اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم فى رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر

اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الاية وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد واياى فارهبون فيما تاتون وما تذرون خصوصا فى نقض العهد وهو اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقدم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت افراد الايمان بالقران بالامر به لما انه العمدة القصوى فى شأن الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التورية والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما فى تضاعيفها المؤدى الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتورية انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش واما ما يرى من مخالفته لها فى بعض جزئيات الاحكام المتغايرة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع وليس فى التورية دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هى ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القران الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة فى الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتاكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضى الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اى لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من امن به لما انكم تعرفون شانه وحقيته بطريق التلقى مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجئ فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم فى الكفر به مع ان مشركى العرب قد تقدموا منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسى او اول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتى اى لا تاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هى الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذى هو العمدة فى عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التى تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة مقصدا واياى فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الاية الثانية فصلت بالرهبة التى هى من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذى هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالاخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذى تكتبونه فى تضاعيفه او تذكرونه فى تاويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه والاخفاء او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه وتكتمون اى وانتم تكتمون اى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجئ فى قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهى عنه اذ فى التصريح باسم الحق ما ليس فى ضميره وانتم تعلمون اى حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهى به كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا

الصلاة وآتوا الزكاة • اى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر
باصوله • واركعوا مع الراكعين • اى فى جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل عن صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس
فى المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال
الاضبط ابن قريع السعدى لا تعادى الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه • اتأمرون الناس بالبر • تجريد
للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيه للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر الذى
هو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة
الاقارب وبر فى معاملة الاجانب • وتنسون انفسكم • اى تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس انها نزلت فى
احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا فى الهدايا والصلات
التى كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى انهم كانوا يأمرون الناس
بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس
بالصلاة والزكاة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطفت هى عليه • وانتم تتلون الكتاب • تبكيت
لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اى والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان به او بالوعد
بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل • افلا تعقلون • اى اتتلونه فلا تعقلون ما فيه
او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او الى انكم تتلون
فلا تعقلون فالانكار متوجه الى الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال
الذى يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمى به النور الروحانى الذى به تدرك النفس العلوم الضرورية
والنظرية لانه يحبسه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وعدم
تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع والاحمق الخالى عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها
بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب
وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع
الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان
العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت لتهدى الانام ولا تهتدى الا ان ذلك لا ينفع فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد
ولا تقطع فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله سبحانه • واستعينوا بالصبر
والصلاة • متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على
حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف
المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان
ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب • وروى
انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء • وانها • اى الاستعانة بهما او الصلاة
وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر كما فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها • لكبيرة • لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الا على الخاشعين •
الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع
بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين عليها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون فى مناجاة ربهم فلا
يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلاة والسلام وقرة عينى فى الصلاة والجملة حالية
او اعتراض تذييلى • الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون • اى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده من
الثواب والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان مبينا ان اضافته اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه
للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب
كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية
والمالكية للحكم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق

عليه لتضمين معنى التوقع قال فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وجعل خبران فى الموضعين
اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم • يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم • كرر التذكير للتأكيد
وليربط ما بعده من الوعيد الشديد به • وانى فضلتكم • عطف على نعمتى عطف الخاص على العام لكماله اى فضلت اباكم على
العالمين اى عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا
فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان تغيروا • واتقوا يوما • اى حساب يوم او عذاب يوم • لا تجزى نفس عن نفس شيئا •
اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ
اى لا تغنى عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة يوما
والعائد منها محذوف • اى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجرى المجرور مجرى المفعول به
ثم حذف كما حذف فى قول من قال فما ادرى اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اى اصابوه • ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل • اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا
فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها تساوى المفدى
وتجزى مجزاه • ولا هم ينصرون • اى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونه عبارة عن العباد والاناس والنصرة ههنا اخص
من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل
فانه اما ان يكون قهرا اولا والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثانى اما ان يكون باداء
عين ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او باداء غيره وهو ان يعطى عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفى الشفاعة
لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة فى الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب
معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم • واذ نجيناكم من آل فرعون • تذكير لتفاصيل
ما اجمل فى قوله تعالى نعمتى التى انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اى واذكروا وقت تنجيتنا اباكم
فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى الاخطار كا
لانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان
لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل
ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام
فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فرأى فى ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخا بدرهم فقال فى نفسه
ان تيسر لى اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من
المكاسين اخذ واحدة بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى بوجهه ورأى اهل البلد
متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض
لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطونى خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى
جمع فى مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب
من غيرهم فأبوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام
قال لم يقمنى احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرنى احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا
الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولنى امورك ترنى امينا كافيا فولاه اياها
فسار بهم سيرة حسنة انتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره فى العدل
والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر
من اربعمائة سنة • يسومونكم • اى يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب فى طلب الشئ
سوء العذاب • اى افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية
ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما • يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم • بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا
بهم ما فعلوا لان فرعون رأى فى المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم

من قضا الله عز وجل شيا قيل وسلكوا تلك الطريقة لتسعماية الف مولود او تسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس
موسى من القوة على التصرف ما كان يعطيه اوليك المقتولين لو كانوا احيا ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة
وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحيا او الى الانجا منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنا
قوله تعالى بلا محنة وبلية وفي استحيا نسائهم اى استبقائهن على الحياة محنة وبلية ومحن مع انه عفو وترك
للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلا الاختبار ولكن لما كان ذلك
في حقه سبحانه وتعالى محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل
يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلا القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي
الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السرا والضرا من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر
على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد
بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجا من الغرق اى واذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم
كقوله تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرى بالتشديد
للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اى من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به
العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا ال
فرعون اريد به فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول
اللهم صل على ال محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك اى غرقهم واطباق البحر
عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى
انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطى
البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا
ان نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوا فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون
فراه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة
عظيمة لاوايل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا
تاثرت اوايلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكرها وروايتها فيالها من عصابة ما اعصاها وطايفة
ما اطغاها واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب
له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم
بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم
ثلاثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة
للتلاقي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف
المضاف اى تمام اربعين ليلة وقرى وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الاها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي
من بعده اى من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم للشي في
غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اى وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو
محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجي لازما قال عفت المنازل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل
هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو
بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة
واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اى التورية الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل
وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد
به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان

لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اى معبودا فتوبوا اى فاعزموا على التوبة الى باريكم اى الى من
خلقكم بريا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيآت مختلفة واصل التركيب للخلوص عن الغير اما بطريق
التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشا كما في برا الله ادم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها
ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل
في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم
بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى ان الرجل كان يرى قريبه فلم
يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سودا لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون
عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفا الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى
ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند باريكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف
على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم
الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير باريكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحيا لقبول التوبة التي هي
عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارؤكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد
التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره
ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وحكاية لوعد موسى عليه السلام لقومه
بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الاية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين
بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اى الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اى لن نؤمن لاجل قولك
ودعوتك او لن نقر لك او المومن به اعطا الله اياك التورية وتكليمه اياك او انك نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اى
عيانا وهي في الاصل مصدر كقولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات
والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرى بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة
او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل والقايلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روى انهم لما ندموا على ما فعلوا
وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضرهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة
فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يامره وينهاه وكان كلما كلمه الله تعالى اوقع الله على
جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا
ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شا الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته
انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمومنين في الاخرة وللافراد من الانبيا الذين بلغوا من صفا
الجوهر الى حيث تراهم كانهم ليسوا من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جات نار من
السما فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما راوا تلك الهيئة
الهايلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام
ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى
فلما افاق وانتم تنظرون اى ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة وقيد البعث به لما انه قد يكون من
النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناكم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اى نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم باس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى جعلناه
بحيث يلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون
في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل
انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اى قايلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق
للايذان باقتضا جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبايحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار
بانه امر محقق غني عن التصريح به اى فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم

ضرورة وتقدير المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق في ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغة الماضي والمستقبل للدلالة
على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر وإذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا
لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت
المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان
المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى ضرورة ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب
القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم
يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة
اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا
اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون
من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا
مكانه قولا غير الذي قيل لهم روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز
وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه
فانزلنا عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل
والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدرا
منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به
بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم
توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به
الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان
ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب
التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بتذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول
الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه
السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من
الادرة فاشار اليه جبريل ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف
بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع والعصا عشرة اذرع على
طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة
على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف
اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم
كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء
وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار وفيه ان المامور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه
تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى
فقلنا الخ ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد
فقيل لهم لا تمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لما ان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد
وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث
خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة
والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا

بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك
اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى العكر فاجتووا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقا
فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا
اي يوجد لنا ويظهر لنا وبوجد الجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي
في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الخ وقيل بدل باعادة الجار
والبقل ما ينبت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ
قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى انكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا
قال لهم فقيل قال اتستبدلون اتاخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال
وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ وقد حملت المشهورة على انها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير
اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر
بالايمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول
ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما مر في صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اي انحدروا
اليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف
لسكون وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرائيم فعرب
فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤولة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل
فانه كثير فيه مبتذل لكل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا
بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر
اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم وباؤوا اي رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف
وهو صفة لغضب مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان
بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب
الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات
الساطعة الظاهرة على يد موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة
التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق للايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا احقية قتل احد منهم
عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا داوم عليها
ادت الى كبائرها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر
والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وجوز الاشارة الى
المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة ابن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كأن ما ذكر والذي
حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ان الذين آمنوا اي بالسنتهم
فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها
بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما
عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب
عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري
سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال
الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل
هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا
اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر اي من احدث من
هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك

اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللايق فمن اما فى محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفا لتضمن
الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضماير الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد
ما فى الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هى خبر ان والعايد الى اسمها محذوف اى من امن منهم الخ واما فى محل النصب على البدلية من اسم
ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفى اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم
وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مامون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار
العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد
بالذين امنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فح لا بد من تفسير من امن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ
والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من
المنافقين وساير الطوايف وفايدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب للباقين فى الايمان ببيان ان تأخرهم فى الاتصاف به غير مخل بكونهم
اسوة لاولئك الاقدمين فى استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدايم واما ما قيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا
بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب فى دين الاسلام واما بيان حال من مضى على
دين اخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته فى زمانه فى الجملة ان المنافقين
والصابئين لا يتسنى فى حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ
ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته فى وقت من الاوقات ولو سلم ان كان لهم دين سماوى ثم خرجوا عنه فمن مضى
من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين
وارتكاب ارجاعه الى المجموع الطوايف من حيث هو مجموع لا الى كل واحد منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة انه كان من اهل
الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوايف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع انه لا وجه لاندراجهم فى حيز اسم ان ليس لهم فى حيز خبرها عين ولا اثر فتامل وكن على
الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما فى التورية ورفعنا
فوقكم الطور عطف على اخذنا اى وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روى ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من
الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكى
تتقوا المعاصى وتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا فى سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اى
اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله
عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بالانهماك فى المعاصى والخبط فى مهاوى الضلال
عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة
او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفى ومعناها امتناع الشئ لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند
سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل لفعل
محذوف اى لولا ثبت فضل الله عليكم ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم فى السبت روى انهم امروا بان يتمحضوا يوم
السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم فى زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون
قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق فى البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم
ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد
والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان فى الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن فى
قردة لانه فى معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل
اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين
بغير همز فجعلناها اى المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما
خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين واشتهرت قصصهم فى الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها

من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من
قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ اخر لاخلاف بنى اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اى واذكروا
وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه طمعا فى
ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا
استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا
بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اى اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزو نفسه استبعادا
لما قاله واستخفافا به قال استيناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزو فى اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى
عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما
لما اقدموا عليه من العظيمة التى شافهوه عليه السلام بها قالوا استيناف كما مر كانه قيل ماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو
الامتثال وقالوا ادع لنا اى لاجلنا ربك يبين لنا ما هى ما مبتدأ وهى خبره والجملة فى حيز النصب بيبين اى يبين لنا
جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما
وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما فى ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال
طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باى لكنهم لما رأوا ما عليه على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله
قال اى موسى عليه السلام بعدما دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحى انه تعالى يقول انها اى البقرة المامور بذبحها بقرة
لا فارض ولا بكر اى لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اى اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت اخرها
وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اى نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال السنبل اعناق الهوادى نواعم بين ابكار
وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا
امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور به ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما فى قوله
تعالى امرتك الخير فافعل ما امرت به فما قالوا استيناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافى والامر المكرر فقيل
قالوا استيناف كما مر جملة فقيل ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اى موسى عليه السلام بعد
المناجاة الى الله تعالى ومجئ البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان فى كل مرة الى الله عز وجل لاظهار
كمال المساعدة فى اجابة مسؤلهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك
تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانى وفى اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من
تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما فى جد جده وعن الحسن رضى الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله
تعالى جمالات صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها
بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر وعن على رضى الله عنه
من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف كنظايره ادع لنا ربك يبين لنا ما هى زيادة استكشاف عن حالها كانهم سألوا بيان
حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها فى الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة فى اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم
ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدى الى تشخيص ما هو المامور منها
ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت المعدودة ليست بمخصصة للمامور بها بل صادقة على ساير افراد الجنس
وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والادغام على التذكير
والتانيث وتشابهت وقد نسب التشديد فيه الى الغلط مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه
ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها فى الجملة وانما بقى اشتباه بشرف الزوال
كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اى لمهتدون بما سألنا من البيان الى المامور بذبحها
وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب
وسقى الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وقرئ تسقى من اسقى مسلمة اى سلمها الله
تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اى لا لون فيها
يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا عند ما سمعوا هذه

قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين
الاولين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد راوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل
من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة
بها دون غيرها وقرئ بالان بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها والفاء فصيحة كما في فانفجرت
اي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا
اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي وماله استثقال استقصائهم واستنباطهم وانهم لفرط تطويلهم
وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها وقيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كانوا يفعلون ذلك
لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه
فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة
بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان
الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المامور به اول
ذي اثر هل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال
وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضماير في الاجوبة اعني انها بقرة الخ للمعينة قطعا
ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فيكون هي المعينة وهو
مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص
فسالوا عنها فرجعت الضماير الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر
هي المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير
الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها وقد قال عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله
عن حبر المفسرين عبد الله بن عباس ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع
حكم المطلق بالكلية واستحالته الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت
مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة وان الامتثال بالامر بدونها لو توقف على المامور به مما لا يكاد يتأتى
فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مر نظايره والخطاب لليهود المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارئ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا
وتخصيصهما بالاسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادارأتم
فيها اي تخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر وتدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم
فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر لما كتمتموه لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على الاستمرار واعمال مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما
اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص والقتيل ببعضها
اي ببعض البقر اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم
الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة لانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس
المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة
حقيقة بان تنعى عليهم عليحدة ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منهما بما يخصها من التوبيخ وانما حكي
الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب الى ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام
والافتيات على رايه كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي وقلنا
كذلك الخ فحذف الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك والخطاب في كذلك الخ للحاضرين
عند حياة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عنده
قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته
ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة

من ترتب الحياة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اي لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من
قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا
واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين
وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر
هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة
نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها
لا شية بها من قبائحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال
ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي عليه السلام والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن
التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية
لما ان المراد بيان بلوغهم مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه
امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة
الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور
فهي كالحجارة في القساوة او اشد منها قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة
كالحديد بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية
للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مثابتها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك
احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة
ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة
او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر فيكون
منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق اي يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اي
يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة
ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فيكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في
لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
من متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال
السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عدد هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب
ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون
على تقدير كون المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه
نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اي اتنظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم
وتعلمون احوالهم فتطمعون وما للمعنى بعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شدة الشكيمة
والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا ومحلها بعد حذفه في محل النصب
او الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل
اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي ويتفق على ما فيه من المزية باذن الله تعالى
وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون
كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى
وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنه هم قوم من السبعين
المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهي عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور
فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما تقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اي فهموه

وسيطره يعقلوه ولم يبق في معلومه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا لما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا
سمعنا الله تعالى يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال
القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا وقيل هم روسا اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعد ما احاطوا
بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره وبدلوا اية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال
على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الاية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول
هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واوفى التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها
اكثر لاسيما روساؤهم المباشرين للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى
افتطمعون في ان يومن هؤلا بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن هنا ظهر ما في ايثار الكريمة على ما سواه من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل **وهم يعلمون**
جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطا في بعض مقدماته
بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون **واذا لقوا** جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر
عن اشياعهم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب اخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة
الحالية والضمير لليهود لما سيقت على سبيل لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزا حقيقة **الذين امنوا** من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **قالوا** اي المنافقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين
كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا والعاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على
نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض ارائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم **امنا** لم يقتصروا
على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ
الاتي **واذا خلا بعضهم** اي الساكتون منهم اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين **الى بعض** اي منافقيهم وهم منافقوهم بحيث
لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقا المؤمنين كما اشير اليه انفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم متعلق بمحض
الحكم ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم للكلام من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب
قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا **اتحدثونهم** اي المؤمنين **بما فتح الله عليكم** ما موصولة والعائد محذوف
اي بينه لكم خاصة في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه
احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل
واللام في قوله عز وجل **ليحاجوكم به** متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك لاجل هذا
الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن
فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم **عند ربكم** اي في حكمه
وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفا لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون
يومئذ حدثوا به اولم يحدثوا والاعتذار بان الزام المومنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا
وصدق نبينا اكثر فضوح الحق بكون الحد ورغم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع
بالاخفا لا يساعده الاية الكريمة كما يستعمل عليه بانه عز وجل **افلا تعقلون** من تمام التوبيخ والعتاب والفا للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطا الفاحش او شيا من الاشيا التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل
ابتداء او تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه
خطاب من جهة الله سبحانه للمومنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى
اولا يعلمون فانه الى اخره جميل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون توسيط خطاب المومنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر
ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمومنين من التعسف في تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى
والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة
المحاجة ولا يعلمون **ان الله يعلم ما يسرون** اي يسرونه فيما بينهم من المومنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق
الاولى **وما يعلنون** اي يظهرونه للمومنين ولاصحابهم حسبما سبق ومن يظهر الله تعالى للمومنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في اية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فايدة في اللوم والعتاب

ومن مما لمنا تبين ان الجحد وعدمه سوا في المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى ينتفع بالاخفا
وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لاباهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم ان جميع ما يسرون
وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف كلام الله واظهار ما اظهروه افترا وانما قدم
الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه
بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء
في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشيا البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفا على الابدا لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة
على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية **ومنهم اميون** وقرئ بتخفيف اليا جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى
انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراة فانهما ليستا من شوون النسا بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه
في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشيا كقولهم عامي اي على عادة العامة وروي
عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي
الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستانفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنايع الطوائف السالفة
وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجا الخير منهم وان لم يكن فيه ما حسم مادة الطمع عن ايمانهم كما هو مضمون الجملة
الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله تعالى بعد سماعه والعلم بحقيته كما وقع من
الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اي ومنهم طايفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة
لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلايل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة
يأباه سياق النظم وسياقه **الا اماني** استثنا منقطع والاماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى
تلا كما في قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى
الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثنا منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني
حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان اباهم الانبيا يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة
الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل
الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم الا يظنون** ما هم
الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين
حال هولا في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبحسب كيفية اضلالهم وتعيين
مرجع الكل بالاخرة فقيل على وجه الدعا عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال
من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله
الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل
الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بمعنى ذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعا عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال
ابن عباس رضي الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد
في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من
ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدا خبره قوله عز وعلا **للذين يكتبون الكتاب** اي المحرف او ما كتبوه من التاويلات الزايغة **بايديهم**
تاكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون هذا** اي جميعا على الاول وخصوصا على الثاني **من عند الله** روي ان
احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل
اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة
فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سالهم سفلتهم عن ذلك قروا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته صلى
الله عليه وسلم فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتاويل الزايغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس

التحريف والتاويل وامثالهما ليشتروا به اى ياخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا وهو ما اخذوه من الرشا بمقابلة ما فعلوه من التحريف والتاويل
الذى هو المقصود بالذات فى عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة
والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان جل فى نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوا به من العذاب الخالد
فويل لهم تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه فى حيز الصلة
وبعضه فى معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن فى قوله عز وجل مما كتبت ايديهم تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار
فى الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اى كتبته او مصدرية والاول ادخل فى الزجر عن تعاطى المحرف والثانى فى الزجر
عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذى فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد والفصل الى التعليل
بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادى ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل فى التعليل به وقالوا
بيان لبعض اخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التى اختلقوها ولم يكتبوها فى الكتاب لن تمسنا
النار فى الاخرة الا اياما معدودة قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عنهم عليه
السلام وحكى الاصم ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروى عن ابن عباس ومجاهد ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة
وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه ان اليهود زعمت انهم وجدوا فى التورية
ان ما بين طرفى جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون فى كل يوم مسيرة سنة فيكملونها قل تبكيتا
لهم وتوبيخا اتخذتم باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها فى الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها فى التاء عند الله عهدا
خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعونه لا يكون الا بناء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء
فصيحة معربة عن شرط محذوف كما فى قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اى ان كان
الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية
واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا
اوليا وفيه دلالة على ان التصريح بمحض مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكن ليس لجهة الوجود من الاشعار [illegible] قطعا
اعنى اتخاذ العهد ام تقولون على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه
مع ان مكان التوبيخ اسنادهم مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما لا يعلمون عدم وقوعه للمبالغة فى التوبيخ والتنكير فان التوبيخ
على الاول مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكى وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له
لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدى الى التبكيت لتحقق العلم
بالشق الاخير كانه قيل اَم لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها
الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما يفيده تعميمها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما فى قوله عز وعلا
قل الله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الخ جواب عن قولهم المحكى وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال
تفصيلا فى ضمن تشريع كلى شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة
والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفى
خبرا واستفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اى كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع
وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا
وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التى كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق فى
الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه وابى هريرة رضى الله عنه وابن جرير
عن ابى وائل ومجاهد وقتادة والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى
قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئاته وخطاياه على القلب
والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفى ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدا اصحاب النار خبره والجملة خبر
للمبتدا والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار
بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان
الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما
اسند اليهم فى تلك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به فى حالة الانفراد وصاحبية النار فى حالة

فى حالة الاجتماع اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها فى الاخرة حسب ملازمتهم فى الدنيا
لما يستوجبها من الاسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم
بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار لما فى التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها
خالدون دائما ابدا فانى لهم التقصى عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة فى الاية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت
من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب فى مقام التهويل والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة فى ارشاد العباد
من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل شروع فى تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف
اليهود مما ينادى بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التامل فى احوالهم
الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون فى عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا
الله على ارادة القول اى وقلنا او قائلين لا تعبدون وهو اخبار فى معنى النهى كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول
تذهب الى فلان وتقول له كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من اعتبار ان المنهى حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكانه انتهى عنه
فيخبر به الناهى ويؤيده قراءة لا تعبدوا او عطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف الناصب ورفع الفعل كما فى قوله الا ايهذا
الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف
الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق
بمضمر اى وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم ومسكين
مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا سماه حسنا للمبالغة
وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهى لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
يريد بهما ما فرض عليهم فى شريعتهم ثم توليتم ان جعل خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بنى
اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم ح على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة فى حيز القول
المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هى عليهم وان جعل خطابا للمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم
بالخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولى بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد فى التوبيخ اى اعرضتم عن المضى
على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله
بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض
الذهاب عن المواجهة والاقبال الى الجانب العرضى واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر
من التغليب ونعى عليهم اخلالهم بمواجب الميثاق الماخوذ منهم فى حقوق العباد على طريقة النهى اثر بيان ما فعلوا بالميثاق الماخوذ
منهم فى حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلى من النهى عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة
به تعالى اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم فى التورية وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار
فى معنى النهى غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهى الشديد عن تعرض بعض بنى اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير
عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا للمبالغة
فى الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهى عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق
تحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث
انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتى من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء
على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فمحتمل للوجهين مفاد الاول كون المنهى
دماء الغاية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثانى كونه دماء حقيقية للمخاطبين والنظمان متقاربان فى افادة المبالغة فتدبر
واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدى الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دماءكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا
ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى
فمما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اى بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم
تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا
الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد لما ارتكبوه بعد ما كان ما كان من الميثاق والاقرار

والشهادة عليه فانتم شهيد او هو لا جرم ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزلة منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء
المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجملة الاتية فان قوله عز وجل تقتلون انفسكم بيان له وتفصيل لاحوالهم
المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اى الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون
بالتشديد للتكثير ﴿وتخرجون فريقا منكم﴾ الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اى من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم
جعلوا انفس المخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين فى ذلك العنوان الذى عليه يدور فلك المبالغة فى تاكيد
الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم فى النقضة ﴿من ديارهم﴾ الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب
ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر فى الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هى ديارهم
لا من حيث هى ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان فى حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم ﴿تظاهرون عليهم﴾ بحذف احدى التائين
وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون احدى التائين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او مفعوله او
منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة
والمعاونة ﴿بالاثم﴾ متعلق بتظاهرون حال من فاعله اى ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر
عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب ﴿والعدوان﴾ وهو التجاوز فى الظلم ﴿وان ياتوكم اسارى﴾ جمع اسير وهو من يوخذ قهرا فعيل بمعنى
مفعول من الاسر اى الشد وجمع اسرى وهو اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الحالية ﴿تفادوهم﴾ اى تخرجوهم من
الاسر باعطاء الفدا وقرئ تفدوهم قال السدى ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا
يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم ثم
اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون قد امرنا ان نفديهم
وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيى ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة ﴿وهو محرم عليكم اخراجهم﴾ هو ضمير الشان وقع مبتدأ
ومحرم خبره وفيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبرا لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مفعول ما لم يسم
فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير فى
تخرجون او من فريقا كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل
عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة فى امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم
على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشىء من دية او قصاص وهو
السر فى تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدى فلان نظر
افاعيلهم المتناقضة فى سمط واحد من الذكر ادخل فى اظهار بطلانها ﴿افتؤمنون ببعض الكتاب﴾ اى التورية التى اخذ فيها الميثاق
المذكور والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى انفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة
﴿وتكفرون ببعض﴾ وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله داخلا فى
الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعى فى المقام
الخطابى اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما اذ لا سر فى ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا
لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض كما نعيده ان يقال افتجمعون بين الايمان
على الكفر بعضها ودلالة اشارة الى الكفر ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس ﴿فما جزاء من يفعل ذلك﴾ ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل
لـيفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من
القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى ﴿منكم﴾ حال من فاعل يفعل ﴿الا خزى﴾ استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزى الذل والهوان مع الفضيحة
والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية ﴿فى الحياة الدنيا﴾ فى حيز الرفع على انه صفة
خزى اى خزى كائن فى الحياة الدنيا او فى حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزى ولعل بيان جزائهم بطريق القصر لقطع اطماعهم الفارغة
من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض ﴿ويوم القيامة يردون﴾ وقرئ بالتاء او بصيغة الجمع نظرا الى
معنى من بعدما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع ﴿الى اشد العذاب﴾ لما ان معصيتهم اشد المعاصى وقيل
اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم فى الدنيا من الخزى والصغار واما تغيير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيامة
للايذان بكمال التنافى بين جزائى النشأتين وتقديم يوم القيامة على ذكر ما يقع فيه لما مر من الاهتمام بالخطب وتفظيع الحال من اول الامر

وما الله بغافل عما تعملون ﴿من القبائح التى من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد ﴿اولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من
الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿الذين اشتروا﴾ اى آثروا ﴿الحياة الدنيا﴾ واستبدلوها ﴿بالآخرة﴾ واعرضوا عنها مع تمكنهم
من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية ﴿فلا يخفف
عنهم العذاب﴾ دنيويا كان او اخرويا ﴿ولا هم ينصرون﴾ بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية
او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ شروع فى بيان بعض آخر من جنايتهم
وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضى الله عنه ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل
موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها ﴿وقفينا من بعده
بالرسل﴾ يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اى ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان
وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ المعجزات
الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم
وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل
اذ لم يثبت فعيل ﴿وايدناه﴾ اى قويناه وقرئ آيدناه ﴿بروح القدس﴾ بضم الدال وقرئ بسكونها بكسرهما اى بالروح المقدسة وهى روح
عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب والارحام
الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل فى القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى
بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بذكر وصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت للتنفيذ
احكام التورية وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه عليه السلام
ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام ﴿افكلما جاءكم رسول﴾ من اولئك الرسل ﴿بما لا تهوى انفسكم﴾ من الحق الذى لا يحيد عنه اى
لا تحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شىء آخر
وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر
يناسب المقام اى الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم ﴿استكبرتم﴾ على الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ﴿ففريقا
منهم﴾ ﴿كذبتم﴾ من غير ان تتعرضوا لهم بشىء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب ﴿وفريقا﴾ آخر منهم ﴿تقتلون﴾ غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا
ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا فى الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايراد صيغة الاستقبال فى القتل
لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال
صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فهذا اوان قطعت ابهرى ﴿وقالوا﴾ بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة
اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقبحها من اهل
الحق والقائلون هم الموجودون فى عصر النبى عليه السلام ﴿قلوبنا غلف﴾ جمع اغلف مستعار من الاغلف الذى لم يختن اى هى مغشاة باغشية
جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روى
عن ابى عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضى الله عنه وعطاء وقال الكلبى يعنون
ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته ايضا ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ رد لما قالوه وتكذيب لهم فى ذلك والمعنى
على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة
وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثانى بل ابعدهم من رحمته فانى لهم دعوى العلم
الذى هو اجل اثاره وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدى اليها ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾ ما مزيدة للمبالغة اى
فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا
آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والمعنى لا ايمانا معدوما يؤمنون لا ايمانا موجودا اى فلا يؤمنون اصلا اذ لا معنى للقليل
اما تهكما بهم او مبالغة فى نفى ايمانهم باخراجه مخرج المستحيل الذى هو كون الايمان المعدوم محققا موجودا ونظيره قوله تعالى قليلا ما تذكرون وامثاله وعلى ذلك
مبنى ما حكاه الكسائى عن العرب من قولهم مررنا بارض قلما تنبت يريدون لا تنبت شيئا الا على ما توهم من ان ما نافية قدم عليها ما فى حيزها حسبما جوزه الكوفيون
فمن منع هذا التعبير لاستعمال هذا التركيب فى مثل قوله فلا يؤمنون الا قليلا وجوزه فى مثل قولهم قل رجل يقول ذلك وكلما تقرر بعد بعدا عن الحق وهام
فى مهاوى الضلال والفاء سببية اللعن لعدم الايمان ﴿ولما جاءهم كتاب﴾ هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل ﴿من عند الله﴾ اى كائن من
عنده للتشريف ﴿مصدق لما معهم﴾ من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما فى تضاعيفها المؤدى الى العلم بكونه مصدقا

لما معهم مصدقا على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اى من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اى وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون
به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضى الله عنه وقتادة والسدى نزلت فى بنى قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما فى استعجب
اى يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله
عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان [illegible]
لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأى المبرد
او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة
على القصة والمراد بما عرفوا النبى صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا
من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبى الذى عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اى عليهم ووضع
المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا اذ الكلام
فيهم وايا ما كان فهو محض المضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شئ منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا
صفته اى بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا على زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وايا ما كان لا يكون المذموم
ما كان حاصلا لهم لاختصاصهما ما كان ذا بالاضم والخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته
وتبديل الانزال بالمجئ للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا للفصل
من الفصل بما هو اجنبى بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغى مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا اسيما ولا
تعليلا ما سيأتى من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وهو انما الذى يحسبه وبينه علاقة مع كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم
كفرهم المعلل بالبغى الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذى هو الوحى على من يشاء اى يشاؤه ويصطفيه من عباده المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة
وما له تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل هنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكرره حسب تكثره
فباءوا بغضب على غضب اى رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبى الحق
وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين
اى لهم والاظهار فى موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم وذلهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى
كان مبنيا على الحسد المبنى على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلاة والسلام واذا قيل لهم من
جانب المؤمنين لهم اى لليهود وتعديته بالجار والمجرور قد مر وجهه لاستمام امر التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به
الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما فى حيز الصلة وموافقته له فى
المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اى نستمر على الايمان بما انزل علينا
يعنون به التورية وما انزل على انبياء بنى اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم
فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما فى المنزل من الاحكام واما انبياء بنى اسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم
ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما فى حكمها خاصة لكن
ايرادهما بعنوان الانزال عليهم مبنى على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم
يلزم من مباشرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا
على واحد من بنى اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرض له بحسب الاعتبار والوراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اى قالوا
ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد مجرد بيان ان ايمانهم بما انزل عليهم مقارن للكفر بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من
الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اى المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال
من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة وصاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقا
واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اى احقه مصدقا لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن
والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به واما له انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزمهم من
الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض فى اقوالهم فلم

اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريقة التغليب
وحيث كانوا مشاركين فى العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو
جواب شرط محذوف قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله
تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اى ان كنتم مؤمنين لم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين
ما حذف ثقة بما اثبت فى الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يأتى الا على رأى الكوفيين وابى زيد وقيل ان نافية اى ما كنتم
مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص فى تضاعيف تعداد النعم التى من
جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اى والله لقد جاءكم موسى بالمعجزات الظاهرة التى هى العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم
والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجئ بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل
اى الها من بعده اى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التوبيخ من جملة البينات وثم للتراخى فى الرتبة والدلالة
على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم العجل ظالمون بعبادته واضعين لها فى غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله
تعالى او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله سبحانه وتكذيب لهم فى ادعائهم الايمان بما انزل عليهم
بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم اى واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
اى خذوا بما امرتم به فى التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استئناف مبنى على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء
وكفروا بها فى تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا فى قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما فى قوله تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب
كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى قل توبيخا لحاضرى
من اليهود اثر ما بين من احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون فى كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية
حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفى اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة
الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح فى دعواهم الايمان بما انزل عليهم من
التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها
مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق
لما انهم من تبكيتهم وابطال دعاويهم فى امر آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه فى تضاعيف الكلام حيث
قيل ان كانت لكم الدار الآخرة اى الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة
الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار فى الخبر اعنى لكم وقوله تعالى من دون الناس فى محل النصب بخالصة
يقال خلص له كذا اى كذا واللام للجنس اى الناس كافة او للعهد اى المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص
اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا ابالى اسقطت على الموت او سقط الموت على
وقال عمار بن ياسر بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه وكان حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب
على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على
تحقق الشرط فى نفس الامر فقط بل فى اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين
فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه
الدال على كذبهم فى دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى عليه السلام والقرآن وتحريف
التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم
بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بالظلم فى جميع الامور التى من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه
عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب
وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبى صلى الله
عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى يهودى على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلى
وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير فى قوله تعالى على حياة للايذان بان
مرادهم نوع خاص منها وهى الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل

ادهم الناس ومن الذين اشركوا افرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم لشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان
حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف
ثقة بانبا المعطوف عليه عنه اى واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون
في حيز الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اى ومنهم طائفة يود احدهم اى
كان اى كل واحد منهم ● لو يعمر الف سنة ● وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله
ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي ● وما هو بمزحزحه من العذاب ● ما حجازية والضمير العائد
الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه اى يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل
عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد
المعنى والعرض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون
● والله بصير بما يعملون ● البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اى عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم لا محالة
وقرئ بتا الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد ● قل من كان عدوا لجبريل ● نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات
ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي ياتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت
نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل غلاما مسكينا فدفع جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فباي
حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على
مدراس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك
في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك
هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى
قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال رضي الله عنه ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم
اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه
بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل
كسلسبيل وجبرئيل كجحمرش وجبرئيل وجبرال وجبرائيل وجبرايل كجبراعل وجبراييل كجبراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله
● فانه نزله ● تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة
شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته ● على قلبك ● زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي
فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة ● باذن الله ● بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب
وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى ● مصدقا لما بين يديه ● اى
من الكتب الالهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى ● وهدى وبشرى للمؤمنين ● والعامل في الكل نزله والمعنى
من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله الكتاب
مصدقا لكتابهم موافقا له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس
احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا
عدوله ● من كان عدوا لله ● اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام
بذكره الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل
وملائكته ورسله وجبريل وميكال ● وانما افردا بالذكر مع انهما اول من اشتملت عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما
السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة
اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله
سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى ● فان الله عدو للكافرين ● اى لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه
الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين
كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور
وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل ● ولقد انزلنا اليك آيات بينات ● واضحات

للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار
عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب واصحاب لدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل ● وما يكفر بها الا الفاسقون ●
اى المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا
استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اى الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون
لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ● اوكلما عاهدوا عهدا ● الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله ● وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا ● من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان
التقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر
مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد ● نبذه فريق منهم ● اى رموا بالذمام ورفضوه وقرئ نقضه
واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه ● بل اكثرهم لا يؤمنون ● اى بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون
وان من لم ينبذه جهارا فهم يؤمنون بها سرا ● ولما جاءهم رسول ● هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم ● من عند الله ● متعلق بجاء
او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ● مصدق لما معهم ●
من التوراة من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام
جاء على وفق ما نعت فيها ● نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب ● اى التوراة وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون
به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وايراد هذا
النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم
لما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة
عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم
في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ ● كتاب الله ● اى الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة
فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى
ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنه بكتاب الله تشريفا له وتعظيما لحقه عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر به وقيل كتاب الله القرآن
نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون بمجيئه من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا
له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم معرب عن مجيء الكتاب ● وراء ظهورهم ● مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية
مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه ● كانهم لا يعلمون ● جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد
بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين
لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم
عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم
بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جيل اليهود
اربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون
وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا
بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون ● واتبعوا ما تتلوا الشياطين ●
عطف على جواب لما اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال
ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم
فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا ● على ملك سليمان ● اى في عهد ملكه قيل كانت الشياطين
يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان
عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير
والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة
توسل اليه قوم من المنافقين وكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته

و اطلاع الناس على ذلك الكتب اوسموه انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء ﴿وما كفر سليمان﴾ تنزيه
لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعبير عنه بالكفر للمبالغة في اظهار نزاهته
وكذب باهته بذلك ﴿ولكن الشياطين﴾ وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها
وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا ﴿كفروا﴾ لاستعمال السحر وتدوينه ﴿يعلمون الناس السحر﴾
اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال
او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة
هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا اعني اماطالعنه واما استينافية فحسب واعلم ان السحر
انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر
الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث
الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها
وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان
وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة غالبة نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها
ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر
على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير
الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني
وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله
سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد
معرفة صدق الانبياء والرسل علاوة عليهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان من يستعين
به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي
لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة
لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما بدون اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما
يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر
عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه
في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس ﴿وما انزل على الملكين﴾ عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما
واحد والعطف بتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل وهما ملكان انزلا لتعليم
السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان
واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين
واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني ادم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء
الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك
قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعدما ركب فيهما
ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق
وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من
اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها
عن نفسها فابت فانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى
السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه وتعالى كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما
فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجا اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا
الاول لانقطاعه فقيل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما
لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي يقصد
بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر ﴿ببابل﴾

الظاهر انها بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه
بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية ﴿هاروت وماروت﴾ عطفا بيان
للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرا الملكين بكسر اللام
او قال كانا رجلين صالحين فهما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع
على هما هاروت وماروت ﴿وما يعلمان من احد﴾ من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق
كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام ﴿حتى يقولا انما نحن فتنة﴾ الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما
لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطئة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف
الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء
من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي
على الايمان ﴿فلا تكفر﴾ باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها الزام
المخاطب بموجب النصح لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل
النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم
على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى
وما انزل نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة
السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين
اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون سلوكا فيا باه ان مقام وصف الشياطين بالكفر
والاضلال للناس مما لا يلايمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام من الاعتناء بالابدال
في حكم تنحية المبدل منه ﴿فيتعلمون منهما﴾ عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن
والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين ﴿ما يفرقون به﴾ اي بسببه وباستعماله ﴿بين المرء﴾
وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة ﴿وزوجه﴾ بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند
ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر
في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم ﴿وما هم بضارين
به﴾ اي بما تعلموه واستعملوه من السحر ﴿من احد﴾ اي احدا ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد لافادة تاكيد الاستغراق
والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد ﴿الا باذن الله﴾
لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد
لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير
المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور
والفصل بينهما بالظرف ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ﴿ولا ينفعهم﴾
صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار
بالاكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة
التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر يقع فيه ﴿ولقد علموا﴾ اي اليهود الذين
حكيت جناياتهم ﴿لمن اشتراه﴾ اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية
لام الابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ﴿ما له في الاخرة من خلاق﴾ اي من نصيب
جملة من مبتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له
خلاق في الاخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى
اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو
مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما
له في الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفي عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما
غالبا فتكون الجملتان مقسما عليهما ﴿ولبئس ما شروا به انفسهم﴾ اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف

بالذم محذوف اى والله لبئس ما باعوا انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة
وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتحرير لكون الشرا بمعنى الاشترا انما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو ما تلوا الشياطين ولان متعلق الذم
هو المأخوذ لا المبذول كما اشير اليه فى تفسير قوله تعالى بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اى يعملون بعلمهم
جعلوا غير عاملين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان
المنفى لهم اولا هو التوكل العقلى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب عليه من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى
لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اى بالرسول المومى اليه فى قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله او بما انزل اليه من الايات
المذكورة فى قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التى اريدت بقوله تعالى
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصى
المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك
الى ما عليه النظم الكريم لا له على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة للتقليل متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اى لشئ ما من المثوبة كائنة من عند الله تعالى خير وقيل جواب لو محذوف
اى لاثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود فى كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه انهم من
فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة بالنصب وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن
يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين
فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة فى الرعى وهى حفظ الغير وتدبير
اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اى
راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعينا قيل
معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبى صلى الله
عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روى ان سعد بن عبادة رضى الله
تعالى عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الاية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما فى معناها
ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اى انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من
النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اى قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا
وكان سببا للسب بالرعن اتصف به واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية
واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهى والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم
عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اى اليهود الذين توسلوا
بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤا عليه من
العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشئ
مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لعدم
ودهم ولعل تعليقهم بما قبله من حيث ان القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحى المعبر عنه فى هذه الاية بالخير فكانه اشير
الى ان سبب تحريفهم له ما حكى عنهم ليس لانهم فى الموعد فى اثر ما حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة
ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم فى ذلك ومن فى قوله تعالى من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما فى قوله
عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتأكيد النفى ان ينزل عليكم فى حيز النصب على انه مفعول
يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعيين الفاعل والتصريح به فيما سيأتى وقوله تعالى من خير هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق
والنفى وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحى وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما
سيأتى بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه مدار الغضب ومن فى قوله تعالى
من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعلية لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم
التنزيل على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم
الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبى صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبى

صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلوص عن الدراسة عند اليهود وعن الرئاسة عند المشركين والمعنى انهم يرون
انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون
فى مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات
الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر
لا سيما فى اثناء ذكر ابتلائهم به لم يكتف بعطف المشركين عليهم بل زيدت كلمة لا لتأكيد النفى والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت
لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحى كما فى قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك
عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال على رضى الله عنه برحمته خص بها محمدا صلى الله عليه
وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء واشارة على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله
على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اى يؤتى رحمته من
يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه حسب ارادته عز وعلا تفضلا لا لاستعداده الى غيره وقيل
الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على الثانى يسرى وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه
وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرموه ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته
الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار فى الثانية
مبنى عن توقفها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذى هو فرد من افراد تنزيل الوحى وابطال مقالة
الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحى ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام يأمر
اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت الكتاب اى نقلته ونسخ الاية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية
وقرئ ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسأ اى نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها على خطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه
الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نأت بخير منها اى نوح اخر هو خير للعباد بحسب الحال فى النفع والثواب
من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل جار فيما
دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التى عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو
حسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم يقتضيه
الحكمة فى حال يقتضى فى حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما فى قوله سبحانه
اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبى عليه السلام وقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير ساد مساد
مفعولى تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثانى محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى
على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء
علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء
من احكام الالوهية وكذا الحال فى قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما
والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان لله ملك السموات والارض للقصد الى تقوى الحكم
بتكرار الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما فى حيزها على ما سبق من مثلها روما لزيادة التأكيد واشعارا
بالاستقلال العلم بكل منهما وكفايته فى الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اى الم تعلم ان الله
له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته
لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شئ من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير معطوف على
الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب للامة ايضا وانما افراده عليه السلام
بما مر لان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة
للقوة والعزة والمراد بهذا الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى
على ذلك لا يستدعى حصوله البتة وانما الذى يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا
انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة فى امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولى مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق

واما مجاريه ولكونهما المنصوب عنه لان خبر تقديمه واسمها من ولى ومن مزيده لما ذكر من دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له
فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او
دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما
قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ● ام تريدون ● تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها
الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى
التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون
متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون ● ان تسالوا
وانتم مؤمنون ● رسولكم ● وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما
يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عليه
السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله
تعالى ● كما سئل موسى ● مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا
الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سأل قوم موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين
لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام حتى يشبه بمسؤولية موسى عليه السلام ولعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز
النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر كما ذكر في قوله تعالى
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد يجوز ان تكون موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال
الذي سأله موسى عليه السلام وقوله تعالى ● من قبل ● متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ● ومن
يتبدل الكفر ● اي يختره وياخذه لنفسه ● بالايمان ● بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل
ذلك اي السؤال المذكور وارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة حسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي
هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها ● فقد ضل سواء السبيل ● اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى
وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه
كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية روما للمبالغة
في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء
على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر
بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ● ود كثير من اهل الكتاب ● هم رهط من احبار
اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا الى
ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة
اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالاسلام دينا وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت ● لو يردونكم ● حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن
وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على
حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك ● من بعد ايمانكم ● متعلق بيردونكم وقوله تعالى ● كفارا ● مفعول
ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله [فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا]
وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر
وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين
المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان
له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه تنبيه المؤمنين ما لا يخفى ● حسدا ● علة لود وما لا يريد به نعت الجمع اي حاسدين لكون الحسد
الاسف على من له خير غيره ● من عند انفسهم ● متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل شهوتهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق
ولو زعموا او حسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه ● من بعد ما تبين لهم الحق ● بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا
من التوراة من الدلايل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل ● فاعفوا واصفحوا ● العفو ترك المؤاخذة والعقوبة

والصفح ترك التثريب والتانيب ● حتى ياتي الله بامره ● الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ باية السيف ولا يدفع في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون
ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ● ان الله على كل شيء قدير ● فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه
ما قبله ● واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ● عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية
● وما تقدموا لانفسكم من خير ● كصلاة او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم ● تجدوه عند الله ● اي
تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ● ان الله بما تعملون بصير ● فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافر
● وقالوا ● عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا ● لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ● اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا
من كان هودا وقالت النصارى مثله وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجههما بل انفسهم على
ما هم عليه لا نحوا انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعود جمع عائد وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار
لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا ● تلك امانيهم ● الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة
والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف
اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويردوه وقوله
تعالى ● قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ● فانما ليس مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله
آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا اما تقتضيه المقام حسب النظر الجليل
والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص به فان قوله
تعالى ● بلى ● الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون
المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حالة بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل
دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد موردا الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال
صريح لما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من
الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفي الدخول فحيث ثبت
حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته ثم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من انتظمه قوله سبحانه ● من اسلم وجهه لله ●
اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر اثار الخضوع الذي
هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره ● وهو محسن ● حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع
اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي
وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ● فله اجره ● الذي وعد له على عمله وهو
عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة
نيله بدونه وقوله تعالى ● عند ربه ● حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم
الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه
الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز
ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما
ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ● ولا
خوف عليهم ● في الدارين من لحوق مكروه ● ولا هم يحزنون ● من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا
يحزنون والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ ● وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ●
بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه
وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما منه اصلا مبالغة
في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل ● وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ● على الوجه المذكور وكفروا بموسى
والتوراة لا انهم قالوا ذلك بناء على الامر بمنسوخية التوراة ● وهم يتلون الكتاب ● الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان
كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة
● كذلك ● اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك

لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين
ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله وقالوا
كونوا هودا او نصارى
اي من كل فريق من افراد
الفريقين
منه

العول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ واما على انها
حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اى قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذى سمعت به مثل قولهم اما بدل
من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث
نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة
غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالتهم لان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيامة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير
فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف
الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤس الاى لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم من فعل
ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم
من فلان او لا افضل من فلان فالمراد حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان وان كان سبب
النزول فعل طايفة معينة فى مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم
غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضى الله عنه ان ططيوس الرومى ملك النصارى واصحابه غزوا
بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا
حتى بناه المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما
متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل
هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة
القايلين لكل من عداهم لستم على شئ ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وكقوله تعالى
وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اى كراهة ان
يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون فى خرابها ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان
يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان
لهم فى علم الله تعالى وقضائه بالاخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد وروى
انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلفت الائمة فى ذلك فجوزه
ابو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا كاحمد وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم اى لاولئك المذكورين فى الدنيا خزى اى
خزى فظيع لا يوصف بالقتل والسبى والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا
وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وتقديم الظرف فى الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزى والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه
التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن عنده وروده فضل تمكن كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وقوله تعالى وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض التى هى عبارة عن ناحيتى المشرق والمغرب لا تختص به من حيث الملك
والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منه دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة فى المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا
اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبنى على الفتح ولا يتصرف سوى
الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط اى هناك جهته التى امر بها فان امكان التولية غير مختص
بمسجد دون مسجد ومكان دون مكان او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمى اى فهو عالم بما فعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء
واللام اى فاينما توجهوا لعدلت احدى التاءين للقبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم
بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهوا وقيل
فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد او مقلده ثم تبين له الخطا لم يلزمه
التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون فى جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم
الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على منع لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود
والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى
المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول
الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل واستعماله

على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب
والابعاد فى الارض ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل الاخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به
ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى
بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى
لشئ من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع
امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجرى مجرى الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات
التى من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم له قانتون
منقادون لا يستعصى شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشئ ومن حق الولد ان يكون من جنس
الوالد وانما جئ بما المختصة بغير اولى العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء فى قانتون
للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اى مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق
على المبتدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع
فى قوله امن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو
المشهور اى بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر
الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر المبتدا
محذوف اى هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير فى له على راى من جوز الابدال من الضمير المجرور كما فى قوله على جوده
لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اى اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية
المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الى اخره فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام
اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير
لسرعة حدوثها بما هو علم فى الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوى المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه
بان اتخاذ الولد شان من يفتقر فى تحصيل مراده الى مبادى يستدعى ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال
الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من قبايحهم وهو قدحهم فى امر النبوة بعد حكاية قدحهم فى شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى
واختلف فى هؤلاء القايلين فقال ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم
بالتوحيد والنبوة كما ينبغى او لعدم عملهم بموجب علمهم او لما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير
هم مشركوا اهل العرب لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اى
هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تاتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من
العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا
ما اتاهم من البينات الباهرة التى تخر لها صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر
عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام
واحد الاية وقالوا هل يستطيع ربك الاية الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء واولئك فى العمى والعناد
والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الايات اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر
الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقايق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم
الاية وفى تعريف الايات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذى طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية
فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة
له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقران كما فى قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما فى قوله تعالى
احق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك ملتبسا بالقران حال كونك بشيرا لمن امن
بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم
ما احبوا لا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن
تسال او ما تسال وقرئ لا تسال على صيغة النهى ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغايتها فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها

على لسانه او لا يستطيع السامع ان يصح جبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حالهم مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم
المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى
منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة
اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود
في امثال هذه العظائم اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم
وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه
صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى
الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالهم في
انفسهم ومقالهم فيما بينهم واما اظهارهم لها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك وان بالغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا كما قيل فما يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل ﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾ صريح
بان ما وقع منهم اجراء باعثه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء
فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي
يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ولئن اتبعت
اهواءهم﴾ اي اراءهم الزائفة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه
الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ اي الوحي
او الدين المعلوم صحته ﴿ما لك من الله﴾ من جهته العزيزة ﴿من ولي﴾ يلي امرك عموما ﴿ولا نصير﴾ يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي
نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتاكيد ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ﴿يتلونه
حق تلاوته﴾ بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له
﴿اولئك﴾ اشارة الى الموصوفين باتيان الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل
﴿يؤمنون به﴾ اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ﴿ومن يكفر به﴾ بالتحريف والكفر بما
يصدقه ﴿فاولئك هم الخاسرون﴾ حيث اشتروا الكفر بالايمان ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم﴾ ومن جملتها التوراة
وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به
عليه السلام ﴿واني فضلتكم على العالمين﴾ افردت هذه النعمة مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لاناقتها فيما بين فنون النعم
﴿واتقوا﴾ ان لم تؤمنوا ﴿يوما لا تجزي﴾ في ذلك اليوم ﴿نفس﴾ من النفوس ﴿عن نفس﴾ اخرى ﴿شيئا﴾ من الاشياء او شيئا من الجزاء
﴿ولا يقبل منها عدل﴾ اي فدية ﴿ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة
في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح ﴿واذ
ابتلى ابراهيم ربه بكلمات﴾ شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي
هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية
ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الانبياء عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة
نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة
الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات لما مر مرارا في تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر
مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف
على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال
فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك
انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين
قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مبادئ العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم
اعجمي قال السهيلي كثيرا ما وقع الاتفاق والتقارب بين السريانية والعربية الا يرى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته

سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في
الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه
السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي تظهر حسن قيامه
بحقوقها وقدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق
اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد
ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم عليه السلام كما سياتي واختلف في الكلمات
فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه ياباه الفاء فانهن نحو الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه هي عشر خصال
كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن
الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول
من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم
ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام وعشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ
وعشر في المؤمنون وسال سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم
والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجته قومه والصلاة والزكاة والصوم والضيافة والصبر
عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الايات
ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم
ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا ﴿فاتمهن﴾ اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير
تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما ساله من غير نقص ويعضده ما روي عن
مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم ربه بقوله رب اجعل هذا بلدا آمنا الايات وقوله عز وجل ﴿قال﴾ على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة
وقعت جوابا عن سؤال نشا من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما
ترتقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال ﴿اني جاعلك للناس اماما﴾ او بيان لقوله تعالى ابتلى على راي من جعل الكلمات
عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصابه بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف
القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل
بمعنى المضارع والكلمات للدلالة على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس
او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وموجب تعدد بني الا
كان من ذريته مامورا باتباع ملته ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال
﴿ومن ذريتي﴾ عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما يقال وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف
اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون
من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذريت والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية
ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية
منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء فصارت [illegible]
فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعلية من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء
الزائدة في المبدلة او فعلية من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسرى وتقضى وتظنى
فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ
ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾
ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد
الامامة حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين
منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة
على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين ليلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة في سلك
المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع

الحاكم القارعة من بليهما و انما اوثر النسل على الجعل ايماء الى ان اقامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن اقامة ابراهيم عليه السلام تنالهم في وقت قدرة الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى ● واذ جعلنا البيت ● اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل ● مثابة ● اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه او اشباههم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى الايداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى ● للناس ● متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين ● وامنا ● اي امنا كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي امنا من حجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة رضي الله عنه ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب ● واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ● على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا لخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا لخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر للاستحباب كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلاة او موضع الدعا روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار ومعنى اتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها ● وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ● اي امرناهما امرا مؤكدا ● ان طهرا بيتي ● بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا والجار كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي محققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوسل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اي طهراه على ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بنا البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وكان اسماعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا العهد بلوغه سبق الامر والنهي وتمام البنا بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطوائف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به ● للطائفين ● حوله ● والعاكفين ● المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلاة كما في قوله عز وعلا للطائفين والقائمين ● والركع السجود ● جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما اولا خلاصته لهولا لئلا يغشاه غير حسود فيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه ● واذ قال ابراهيم ● عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر ● رب اجعل هذا بلدا امنا ● ذا امن كعيشة راضية او امنا اهله كليله نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم فقالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة

ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه صلى الله عليه وسلم سال ولا كلا الامرين البلدية ثم الامن فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعا والابتهال او كان المسؤول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لاتيه المقصد الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل ● وارزق اهله من الثمرات ● انما دعا بذلك لانه كان بواد غير ذي زرع فتحصل فيها ذلك ان يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام ● من امن منهم بالله واليوم الاخر ● بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعا اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشان اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب ● قال ● استيناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ● ومن كفر ● عطف على مفعول فعل محذوف تقديره وارزق من امن ومن كفر وقوله تعالى ● فامتعه ● معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتدا وقوله تعالى فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفا تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من امن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ● قليلا ● تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ● ثم اضطره الى عذاب النار ● اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعا ابراهيم عليه السلام وفي قال ضمير وانما فصله عما قبله لكونه دعا على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى العذاب كما ان الايمان سبب للرزق فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما جاورها بلا عكس ● وبئس المصير ● المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها ● واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ● عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احدى الطريقتين المذكورتين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البنا عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع المرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التئما صارا شيئا واحدا فكانهما نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساف فان البنا كل ساف قاعدة لما يبنى عليه وبرفعها بنا بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعا الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطنة مرتفعة عالية بالبنا روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السما الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فبناها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاء جبريل بالحجر الاسود من السما وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضا من يواقيت الجنة فلما مسته الحيض في الجاهلية اسود وقال القاضي تقي الدين الفاسي في تاريخ البلد الحرام والله تعالى حصل من جملة ما قيل في عدد بنا الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بنا الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق ادم عليه السلام ومنها بنا ادم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى ادم عليه السلام فقال له ولحوا ابنيا لي بيتا فخط جبريل لادم عليه السلام فجعل ادم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اذا اصاب الما نودي من تحته حسبك يا ادم فلما بنياه اوحى الله

ان تطوف به فعيل له انسا اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بنا بني ادم عند مات
الخيمة التي عزى الله تعالى بها ادم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه
هم ومن بعدهم الى ان مسه الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بنا الخليل عليه السلام وهو منصوص
عليه في القران مشهور فيما بين الناس وذاك ومنها بنا العمالقة ومنها بنا جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
ومنها بنا قصي ابن كلاب ذكره الزهري بن بكار في كتاب النسب ومنها بنا قريش وهو مشهور ومنها بنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بنا
الحجاج ابن يوسف وماكان ذلك بنا لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى
حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم ● واسماعيل ● عطف على ابراهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان
الاصل في الرفع هو ابراهيم واسماعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ● ربنا تقبل منا ● على
ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير
ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسماعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم
هو الرافع واسماعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسماعيل يقول ربنا تقبل منا
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة
وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء
كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية ● انك انت السميع ● لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا ● العليم ● بكل المعلومات التي من زمرتها
نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث
ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر
صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى
من الامور المحكية هو الابتلاء وما اتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر
بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك اخر واما قوله تعالى ومن كفر الى اخره فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم
لاقتضاء المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه
لذلك ● ربنا واجعلنا مسلمين لك ● مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات
على ما كان عليه من الاخلاص او الاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما او لان مراتب الجمع ● ومن ذريتنا امة مسلمة لك ● اي واجعل
بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة
الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من تبيينية قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف
والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا ● وارنا ● من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف
اي بصرنا او عرفنا ● مناسكنا ● اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس ● وتب علينا ●
استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما الترغيب لكفرة في التورية والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما
وارشادا لذريتهما ● انك انت التواب الرحيم ● وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له
فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ● ربنا وابعث فيهم ● اي في الامة المسلمة ● رسولا منهم ● اي من انفسهم فان البعث
فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد
استجيب لك وهو في اخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام
بالاستجابة لما انه الاصل في الدعاء واسماعيل تبع له عليهما السلام ● يتلوا عليهم اياتك ● يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من البينات
● ويعلمهم ● بحسب قوتهم النظرية ● الكتاب ● اي القران ● والحكمة ● وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة
● ويزكيهم ● بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم من دنس الشرك وفنون المعاصي ● انك انت العزيز ● الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد
● الحكيم ● الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة
ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ● ومن يرغب عن ملة ابراهيم ●

انكار

انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء ● الا من سفه نفسه ●
اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قاله المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له
ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه
والم رأسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة ابن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك
لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن
سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن
امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ● ولقد اصطفيناه في الدنيا ● اي اخترناه
بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاجتباء اتخاذ جبوته واللام جواب قسم محذوف والواو اعتراضية
والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى ● وانه في الاخرة لمن الصالحين ● اي من المشهود لهم بالثبات
على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر كما لا يخفى
فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا من سفه نفسه او متسفه اذل نفسه
بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه حدث
في الاخرة والتأكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها وكلمة
في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر
في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة كقولك بعض رعيا اي لك
هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين

او من غير لفظه اي لمن الصالحين يعني في الاخرة

● اذ قال له ● ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة
او تعليل له او منصوب باذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت ليتحقق على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال
الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ● ربه اسلم ● اي لربك ● قال اسلمت لرب العالمين ●
وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس
وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص واستقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات
مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه
السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده
كما هو المأمور به ● ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ● شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب
الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا
وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما ينبئ عنه
قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب
عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه ● يا بني ● على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند
الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا ● انا راينا رجلا عريانا ● فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق
بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابراهيم عليه السلام كانوا اربعة اسماعيل واسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية
وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخر وزبولون وزوانا وتفتونا وكودا
واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام ● ان الله اصطفى لكم الدين ● دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى
● فلا تموتن الا وانتم مسلمون ● ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا
عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا
يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم
ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ● ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ● ام منقطعة مقدرة
ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء
والمراد حضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى
بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب باليهودية حسبما حكي عنهم

ما نعيم الامر احتفالا بسائر الانبيا عليهم السلام كانبا ينبا باه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون
ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اى ما كنتم
حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله تعالى لبنيه ما تعبدون من بعدى اى اى شى تعبدونه بعد موتى فمن اين لكم ان تدعوا عليه
عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه
عليه السلام اراد بسواله ذلك تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به وصيته بقوله فلا
تموتن الا وانتم مسلمون وما اما لمبهم كل شى ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلا بمن اذا سول عن شى ما لم يعرف كما اذا عرف خص العقلا
بعينه وان سال عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب تعرفه تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشا عن حكاية
سوال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق
حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسوال اى نعبد الاله المتفق على وجوده والاهيته ووجوب عبادته وعد واسماعيل من ابائه
تغليبا للاب والجد لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية ابائى وقرى ابيك على انه جمع بالواو
والنون كما في قوله لما تبين اصواتنا بكينا وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له
واسماعيل واسحاق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته
التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشى من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدا وخبر والاشارة
الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هى الجماعة التى تؤمها فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون بها قد خلت
صفة للخبر اى مضت بالموت وانفردت عما عداها واصله صارت الى الخلا وهى الارض التى لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اى لها ما كسبته
من الاعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم
عطف على نظيرها على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا
بدمنها في الحال اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصر على المسند اليه كما في قوله تعالى لكم دينكم ولى
دين اى لكم دينكم لا دينى وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا كما يقال لما لا يساعده المقام اذ
لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هولاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذى يتوهم انتفاع هولاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة
مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهولاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام
يا بنى هاشم لا ياتينى الناس باعمالهم وتاتونى بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون ان اجرى السوال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون
ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به سببه اعنى الجزا فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين
وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهانى في ضمن قاعدة كلية هذا
وقد جعل السوال عبارة عن المواخذة والموصول عن السيئات فقيل اى لا تواخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما
لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه وقالوا
شروع في بيان فن اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المودن
باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبين والاعراض عنهم وتعديد قبائحهم عند غيرهم اى قالوا للمومنين كونوا هودا او نصارى
ليس هذا القول مقولا لكلهم او لاى طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضا مغنيا عن التصريح
عنه اى قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فعلى هذا النظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
اى قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اى لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته
عليه السلام وقيل بل نتبع ملته عليه السلام وقد يجوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرى بالرفع
اى بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اى اهل ملته حنيفا اى مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رايت وجه هند
قائمة وقد مر في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام
مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمومنين بعد خطابه عليه السلام بردمقالتهم الشنعا على الاجمال
وارشاد لهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اى قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه امنا بالله وما

وما انزل الينا يعنى القران قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه للايمان بها وما انزل الى ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين
بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القران منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب
عليه السلام او ابناوه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق وما اوتى موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر
المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتا لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام
مع اليهود والنصارى وما اوتى النبيون اى جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الايات البينات والمعجزات الباهرات لا
نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام
عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوى
فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه
وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الروس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفى وصحة
دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جا سالما ابو حجر الا ليال
قلائل اى بين الخير وبينى وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق
بينهم والجملة حال من الضمير في امنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اى مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا فان امنوا
الفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر حجة لاهل الكتابين لما انه مشتمل على الحق ومقبول عندهم
بمثل ما امنتم به اى بما امنتم به على الوجه الذى فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه
ويعضده قراءة ابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابى بالذى امنتم به ويجوز ان يكون البا للاستعانة على ان المومن به محذوف لظهوره بمورده الفا
او على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اى فان امنوا بما مر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم او ان يكون الاولى زائدة والثانية
صلة لانتم وما مصدرية فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا او ان تكونا للملابسة اى فان امنوا ملتبسين بمثل ما امنتم ملتبسين به
او فان امنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبيا عليهم السلام فان وجل منهم ما
يصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمومنين لا عينه بخلاف المومن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه
كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا
فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطريق فيأباه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق اخر وراه
وان تولوا اى اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشى من ذلك كان امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم
فانما هم في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اى الجانب فان
احد المخالفين يعرض عن الاخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اى هم مستقرون
في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما امن به المومنون والجملة اما على جواب الشرط كما هى على
ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان بجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم
في ذلك واما بتاويل فاعلموا انما هم في شقاق هذا هو الذى يستدعيه فخامة شان التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الخ
من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد
فقد اهتدوا اذ لا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه مما لا يليق بحمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك
مما يودى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المومنين بوعد النصر والغلبة وضمان التاييد
والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال
وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلا بنى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه
سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المون والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة
الاعدا من وظائف الروسا فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد
وتاكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعوا به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع
ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمومنين
صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذى فصل
لكونه تطهيرا للمومنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل

للمشاكلة التقديرية فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويزعمون أنه تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم وإضافتها إلى
الله عز وجل مع إسناده إلى ما أسلف إلى ضمير المتكلمين للتشريف والإيذان بأنها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها وهي إذن
مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمنزلة فعله كأنه قيل صبغنا الله
صبغته وقيل هي منصوبة بفعل الأمر أي الزموا صبغة الله وإنما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان أنه الإيمان الحق
وبه الاهتداء ومسارعة إلى تسليته عليه السلام ● ومن أحسن من الله ● مبتدأ وخبر والاستفهام للإنكار والنفي وقوله تعالى ● صبغة
نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته أحسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما
أي لا صبغة أحسن من صبغته على معنى أنها أحسن من كل صبغة على ما أشير إليه في قوله تعالى ومن أظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل ه
على تعميم الحسن للحقيقي والفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه أنها أحسن من كل صبغة على ما أشير إليه في قوله تعالى الخ أن يكون في صبغة غيره
تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ● ونحن له ● أي لله الذي أولانا تلك النعمة الجليلة
● عابدون ● شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل عطف على آمنا داخل معه تحت الأمر وإيثار الاسمية
للإشعار بدوام العبادة أو على فعل الأمر المقدر أي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون لقوله تعالى ومن أحسن من
من الله صبغة ح يجري مجرى التعليل للإغراء ● قل أتحاجوننا ● تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل على الأمر
الوارد بالخطاب العام لما أن المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقرئ بإدغام النون والهمزة للإنكار والتوبيخ أي
أتجادلوننا ● في الله ● أي في دينه وتدعون أن دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون
تارة لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وتارة كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ● وهو ربنا وربكم ● جملة حالية وكذا ما
عطف عليها أي أتجادلوننا والحال أنه لا وجه للمجادلة أصلا لأنه تعالى ربنا أي مالك أمرنا وأمركم ● ولنا أعمالنا ● الحسنة الموافقة
لأمره ● ولكم أعمالكم ● السيئة المخالفة لحكمه ● ونحن له مخلصون ● في تلك الأعمال لا نبتغي بها إلا وجهه فأنى لكم المحاجة وادعاء
حقية ما أنتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس إليه وكلمة أم في قوله تعالى ● أم تقولون ● إما معادلة للهمزة في قوله
تعالى أتحاجوننا داخلة في حيز الأمر على معنى أي الأمرين تأتون إقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما أنتم عليه والحال ما ذكر أم
التشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء وتقولون ● إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ●
فنحن بهم مقتدون والمراد إنكار كلا الأمرين والتوبيخ عليهما وإما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ
على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقرئ أم يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير وهي غير داخلة تحت
الأمر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وإنكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا وأما ما قيل من أن المعنى
أتحاجوننا في شأن الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي أن أهل الكتاب قالوا الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أنه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من
عباده فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كما يكرمكم بأعمالكم كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه إفحاما وتبكيتا فإن كرامة النبوة إما تفضل
من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء وإما إفاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص فكما أن لكم أعمالا
ربما يعتبرها الله تعالى في إعطائها فلنا أيضا أعمال ونحن له مخلصون أي لا أنتم فمع عدم ملاءمته لسباق النظم الكريم وسياقه
لا سيما على تقدير كون كلمة أم معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما أن المراد بالأعمال من الطرفين ما أشير إليه من الأعمال الصالحة والسيئة
ولا ريب في أن أمر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الأعمال في استحقاق
النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب ● قل أأنتم أعلم أم الله ● إعادة الأمر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الإنكار
عليهم بل للإيذان بأن ما بعده ليس متصلا بما قبله بل هو كلام مبتدأ للمخاطبين مرتب على ما سبق منتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا ه
لظهوره وهو تفضيحهم بما دعوا عليه من الافتراء على الأنبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قال
فما خطبكم أيها المرسلون وقوله عز قائلا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي فإن تكرير قال في الموضعين مع توسط
قول قائل واحد للإيذان بأن بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالأول والثاني بالتعجيب والاستبعاد كأنه قيل فأي كذبهم في
ذلك وبكتهم قائلا أأنتم أعلم أم الله وقد نفى الأمرين عن إبراهيم عليه السلام حيث قال ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا
واحتج عليه بقوله تعالى وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام أتباعه في الدين وفاقا فكيف
تقولون ما تقولون سبحان الله عما يصفون ● ومن أظلم ● إنكار لأن يكون أحد أظلم ● ممن كتم شهادة ● ثابتة ● عنده ● كائنة ● من الله ●
وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله

جيء بهما لتعليل الإنكار وتأكيده فإن ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من أقوى الدواعي إلى إقامتها وأشد الزواجر عن كتمانها
وتقديم الأول مع أنه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الأدنى إلى الأعلى والمعنى أنه لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة ه
وأثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الأظلمية بمطلق الكتمان للإيماء إلى أن مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة
البيان أو لا أحد أظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم إقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية أظلمية أهل الكتاب على نحو ما أشير إليه وفي
إطلاق الشهادة مع أن المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل
● وما الله بغافل عما تعملون ● من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الأنبياء عليهم السلام دخولا أوليا
أي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك أشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير إما لمن كتم باعتبار المعنى
وإما لأهل الكتاب وقوله تعالى ومن أظلم الخ الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد ● تلك أمة قد
خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ● تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على ه
أعمالهم وقيل الخطاب لسابقيهم وهذا للتحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالأمة الأولى الأنبياء عليهم السلام وبالثانية أسلاف اليهود
● سيقول السفهاء ● أي الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه إذا كان خفيف
النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه ومجاهد رضي الله عنه قالوه إنكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل
هم المنافقون وهو الأنسب بقوله عز وعلا ألا إنهم هم السفهاء وإنما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة
الأولى وبطلان الثانية إذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون قالوه كراهة للتحويل إلى مكة بل طعنا في الدين فإنهم كانوا
يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها وليرجعن إلى دينهم أيضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى
● من الناس ● أي الكفرة لبيان أن ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن أشقيائهم المعتادين
للخوض في فنون الفساد وهو الأظهر إذ لو أريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم
بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وله تضاؤهم إياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا أو بالعبارة المحكية ● ما ولاهم ● أي أي شيء
صرفهم والاستفهام للإنكار والنفي ● عن قبلتهم ● القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها
كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة إذا لم يهتد لجهة أمره غلبت على الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة
والمراد بها ههنا بيت المقدس وإضافتها إلى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى ● التي كانوا عليها ● أي ثابتين مستمرين على التوجه
إليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الإنكار فإن الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فإن
أريد بالقائلين اليهود فمدار الإنكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم أنه خطأ وإن أريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد إلى الطعن في
الدين والقدح في أحكامه وإظهار أن كلا من التوجه إليها والانصراف عنها واقع بغير داع إليه لا لكراهتهم الانصراف عنها أو التوجه
إلى مكة وتعليق الإنكار بتوليهم عنها لا بما يوجههم إلى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما أن ترك الدين القديم أبعد عند العقول
والإنكار بسببه أدخل للإيذان بأن المنكرين هم اليهود بناء على أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية قبلة أخرى أو هم المشركون
بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه إلى الكعبة لأنه الحق عندهم فإنه بمعزل من ذلك كيف لا
والمنافقون من أحد الفريقين لا محالة والإخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد
ما يبكتهم فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق والمعد والجواب العتيد لشغب الخصم الألد أرد وقوله عز وجل ● قل لله المشرق والمغرب ●
استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا أقول عند ذلك فقيل قل الخ أي لله تعالى ناحيتا الأرض أي الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا
اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل إنما هو بأمر الله سبحانه ومشيئته ● يهدي من يشاء ● أي هدايته مشيئته
تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها إلا هو ● إلى صراط مستقيم ● موصل إلى سعادة الدارين وقد هدانا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت
المقدس تارة وإلى الكعبة أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الأبية ومصالح خفية ● وكذلك جعلناكم ● توجيه الخطاب
إلى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك إشارة إلى مصدر
جعلناكم لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي
دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه
بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت
لمصدر محذوف وأصل التقدير جعلناكم أمة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة

للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك الجعل البديع جعلناكم **امة وسطا** لا جعلا آخر ادون منه والوسط فى الاصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوزاز والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائى ثم استعير للخصال المحمودة الكائنة فى الوسط المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار فى هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التى جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفى الافراط والتفريط كالعفة التى طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التى طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التى طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التى هى كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كما هو شأن سائر الاسماء التى يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هى ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذى عبر عنه بالصراط المستقيم الذى هو الطريق السوى الواقع فى وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع فى وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اى متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل **لتكونوا شهداء على الناس** بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فما من مذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هى الكيفية المتشابهة المتولدة من العفة التى هى فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التى هى فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التى هى فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة فى الكتاب المبين المنطوى على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط الشهادة عليهم روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا **ويكون الرسول عليكم شهيدا** وكلمة الاستعلاء لما فى الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها** ترك الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشئ من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثانى كما فى قولك جعلت الطين خزفا فينبغى ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثانى هو القبلة فكلام صناعى يتسارع اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدى الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود او هى الصخرة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه من ان قبلته عليه السلام بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتأتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها اولا ثم ذى اثر يعنى الكعبة وعلى الثانى وما جعلناها التى كنت عليها قبل هذا الوقت وهى الصخرة **الا لنعلم** استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعلنا ذلك لشئ من الاشياء الا لنمتحن الناس اى نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ **من يتبع الرسول** فى التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الا لما نعلم الآن الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالى اى ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز الذى هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او متعلق بما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب الخ اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه **وان كانت لكبيرة** اى شاقة ثقيلة وان هى

وان هى المخففة من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اى ما كانت الا كبيرة والضمير الذى هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما فى قوله واخوان كانوا لنا كرام او اصله وان هى لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق **الا على الذين هدى الله** اى الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اى ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر سعيكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام فى ليضيع اما متعلق بالخبر المقدر لكان كما هو رأى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اى ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففى توجيه النفى الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس فى توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأى الكوفية ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى عملها وقوله تعالى **ان الله بالناس لرؤف رحيم** تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له بان اتصافه عز وجل بهما يقتضى لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر فى وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة فى الكمية والرأفة اقوى منها فى الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كندس **قد نرى تقلب وجهك فى السماء** اى تردد وجهك وتصرف نظرك الى جهتها تطلعا للوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع فى روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل عليه السلام بالوحى بالتحويل **فلنولينك قبلة** الفاء لدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهى فى الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اى فوالله لنولينك اى لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او لنجعلنك تلى جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اى الى قبلة وقيل هو مفعول ثان **ترضاها** اى تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته **فول وجهك** الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اى فاصرفه **شطر المسجد الحرام** اى نحوه وهو منتصب على الظرفية من ول او على نزع الخافض وعلى انه مفعول ثان له وقيل الشطر فى الاصل اسم لما انفصل من الشئ ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان فى مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما على ان العرب روى عن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك فى رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء فسمى المسجد مسجد القبلتين **وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تأكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحضا للامة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم فى محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هى منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى **وان الذين اوتوا الكتاب** من فريقى اليهود والنصارى **ليعلمون انه** اى التحويل او التوجه المفهوم من التولية **الحق** لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وتفاصيلها لما هو مسطور فى كتبهم من انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولى يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق او خبرا ثانيا لان وهم او صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الكائن من ربهم **وما الله بغافل عما يعملون** وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب** وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يزعهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا فى قبوله **بكل آية** اى حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى **ما تبعوا قبلتك** جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى **وما انت بتابع قبلتهم** جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له عليه السلام وطمعا فى رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها فى البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفى هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع

الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت أهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم
ببطلانها وحقيقة ما أنت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والإلهاب للثبات على الحق أي ولئن اتبعت أهواءهم فرضا
إنك إذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فإن من ليس بصدد ذلك إذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب
من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك وإذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم إن وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة
إذ كان حدها أن تتقدم أو تتأخر فلم تتقدم لئلا يتوهم أنها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لأن المذكور جواب القسم ولم تتأخر
لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور
الذنب من الأنبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب أي علماؤهم إذ هم العمدة في إيتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد
للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات إلى الغيبة للإيذان
بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها
أنه عليه السلام يصلي إلى القبلتين كأنه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل من إضمار
قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه عليه السلام وأنه علم معلوم بغير إعلام وفيه تأمل وقيل الضمير للعلم أو لما سبق الذي هو الوحي أو القرآن أو التحويل
ويؤيد الأول قوله عز وجل كما يعرفون أبناءهم أي يعرفونه عليه السلام بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه أبناؤهم
وتخصيصهم بالذكر دون من عداهم من البنات لكونهم أعرف عندهم منهن بسبب كونهم أحب إليهم عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله ابن سلام رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك فيه أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته
خانت فقبل عمر رأسه رضي الله عنهما وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فإنهم
يظهرون الحق ولا يكتمونه وأما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم بصدد الإظهار ولا بصدد الكتم وإنما كفرهم
على وجه التقليد الحق بالرفع على أنه مبتدأ وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والإشارة إلى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وإلى
الحق الذي يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه لا غير كالذي عليه أهل الكتاب وعلى أنه خبر مبتدأ محذوف
أي هو الحق وقوله تعالى من ربك إما حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية
مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من إظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين أي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به
وقيل في أنه من ربك وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لأنه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل إما تحقيق الأمر وأنه
بحيث لا يشك فيه ناظر أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ ولكل أي ولكل أمة من الأمم على أن التنوين عوض من المضاف إليه
وجهة وقبلة وقد قرئ كذلك أو لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها أحد المفعولين محذوف أي موليها وجهه أو
موليها إياه وقرئ ولكل وجهة بالإضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ هو مولاها
أي مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات أي تسابقوا إليها بنزع الجار [illegible]
وهو أبلغ من الأمر بالمسارعة لما فيه من الحث على إحراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع أنواعها من أمر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين
أو الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا أي في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الأجزاء ومتفرقها
يحشركم الله تعالى إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من أعماق الأرض وقلال الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم
كأنها صلاة إلى جهة واحدة إن الله على كل شيء قدير فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت
تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الأمر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول أو بمحذوف عطف هو عليه أي من أي
مكان خرجت إليه للسفر فول وجهك عند صلاتك شطر المسجد الحرام أو افعل ما أمرت به من أي مكان خرجت إليه فول الخ وإنه
أي هذا الأمر للحق من ربك أي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ
يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت إليه في أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول
وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا وحيثما كنتم من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين حسبما يعرب عنه إيثاره كنتم على خرجتم
فإن الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين
في الأماكن المختلفة من حيث إقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما أن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان
الشبهة والفتنة فبالحري أن يؤكد أمرها مرة بعد أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق
بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل عرفناكم ذلك لئلا الخ والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن
المنعوت في التوراة من أوصافه أنه يحول إلى الكعبة واحتجاج المشركين بأنه يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته إلا الذين ظلموا منهم

وهم أهل مكة أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده أو بدا له فرجع
إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة للمبالغة في نفي الحجة رأسا كما في قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة أن لا حجة للظالم وقرئ ألا الذين بحرف التنبيه على أنه استئناف فلا تخشوهم فإن مطاعنهم لا تضركم
شيئا واخشوني فلا تخالفوا أمري ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم أي وأمرتكم بما أمرتكم لإتمامي
النعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة وإرادتي اهتداءكم لما أنه صراط مستقيم مؤد إلى سعادة الدارين كما أشير إليه في قوله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم وفي التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى أو عطف
على علة مقدرة أي واخشوني لأحفظكم منهم ولأتم الخ أو على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم إلى آخره بينهما للمسارعة إلى التسلية
والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبل
والظرف الأول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام
النعمة أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة إتماما كائنا كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة
لا كفو لها نعمة قط وقيل متصل بما بعده أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني الخ وإيثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنانا و
جريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا مشعرة بكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو أي يحملكم على ما تصيرون به
أزكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة أخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب
القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كلا من الأمور المترتبة
نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة
بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الأحاديث الشريفة
من الشرائع وقوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف
تعليمه على تعليمهما وما ذاك إلا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم أنه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي
فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الأمر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع
الإشعار بما يوجبه واشكروا لي ما أنعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما أمرتكم به يا أيها الذين آمنوا وصفهم
بالإيمان إثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الأمر استعينوا في كل ما تأتون وما تذرون بالصبر
على الأمور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقاتلتهم والصلاة التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومحل المطالب
ومنهاج رب العالمين إن الله مع الصابرين تعليل للأمر بالاستعانة بالصبر خاصة لما أنه المحتاج إلى التعليل وأما الصلاة فحيث كانت
عند المؤمنين أجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الأمر بالاستعانة بها إلى التعليل ومعنى
المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة وإجابة الدعوة ودخولها على الصابرين لما أنهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك
الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان أن لا غائلة للمأمور به وأن الشهادة التي ربما يؤدي إليها الصبر حياة أبدية
لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة
الجسمانية وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل
إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الألم والوجع قلت رأيت في المنام سنة تسع وتسعمائة الخلد
قبور شهداء أحد رضي الله تعالى عنهم وأنا أتلو هذه الآية وما في سورة آل عمران وأرددهما متفكرا في أمرهم وفي نفسي أن حياتهم روحانية
لا جسمانية فبينما أنا على ذلك إذ رأيت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في أحسن ما يكون من الهيئات والمنظر ليس عليه شيء من اللباس
قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر إلا أني أعلم يقينا أن ذلك أيضا كالظاهر وإنما لا يظهر لكونه عورة فنظرت إلى وجهه ورأيته
ينظر إلي متبسما كأنه ينبهني على أن الأمر بخلاف رأيي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة
عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
رضوان الله عليهم أجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة
الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم إصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع أي بقليل من ذلك فإن ما وقاهم منه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة وكذا ما يصيب به

حجة مع أنها الغير إلا باطل من قبيل ما في قوله
تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا
ساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق
الاحتجاج وقيل الاستثناء

الفكر

المرتبة الرابعة

والمنبر

معاندهم وانما اخبرهم قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزدادوا يقينهم عن مشاهدتهم له حسبما اخبرهم وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة
حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم
رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات الاولاد عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد
قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام
كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى
عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة
الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة من الله
سبحانه المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم
والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت
الجليلة عليهم فنون الرافة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند
المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال
العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم
المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما ان ذلك مقدم عليهما فلا يتسنى لتاخيره
عما هو نتيجة لهما من داع بوجه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب
ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم
الدينية والدنيوية فان من نال رافة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان
والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة
غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به فلا
جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف فادغمت التاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان
بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي انه ركن وايراده بعدم
الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة اخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود
فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف نصب
على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله
يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يطوع خيرا فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد
عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه
قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية
من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم
انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول
فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره
وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء اخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات
من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي والايات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه
والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المراد بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله
عز وجل هدى للناس وبينات وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس
متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب
فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا
في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه

بين

بينا في نفسه وهدى موكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته
ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وجل فويل للذين يكتبون
الكتاب الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد
منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة للاشعار بعليته باظهار اسم الذات الجامع للصفات
لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدا صدور اللعن اي الدعاء عليهم باللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدا الانزال
والتبيين من صفة الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد
بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء في قوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان
ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم
اولا واخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا بها سمة ما كانوا فيه
ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله
تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم
اي بالقبول واضافة المغفرة والرحمة وقوله وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله
والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدا في فعليه تعالى السابق واللاحق
ان الذين كفروا جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما
يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك
الامور الثلاثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع
للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما في قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء
وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان
ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة
او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته
من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه
وايراد الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام
لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى
للخبر او اعتراض واياما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدا او
لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه
في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلاثمائة
وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما
على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون
الارض واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للاخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما
في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف على ما قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة او بانه جمع
فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم
مما يحمل فيها من انواع المنافع اي ينفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل
وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب
لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية واياما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد
بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة
عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم
والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل
في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله وان لساني

ممدة تستحق بها ولكن من صنعه الله علم وقوله لعل الذي اصعدني ان يردني الى الارض ان لم يجد الخبر قادره اي اصعدتني به على
معنى فاحيى بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح اي على ما عطفه على ما انزل اي تقليبها
من مهب الى اخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين
السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح
حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما
مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها اية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض
اية واحدة لايات اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي ايات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة
الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول
وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم اية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول
والا فمن تامل في تلك الايات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى
واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لاثار معينة
واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما
تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد
او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لحال ركاكة اراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير
الايات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة
في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر ومن دون الله متعلق بيتخذ اي
من الناس من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات
اندادا اي امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما ياتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سياتي من وصفهم
بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وجل يحبونهم مبني على ارائهم الباطلة في شانها من وصفهم بما لا يوصف
به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منهما حب على حد مد لكن
الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره
ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لاندادا او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار
معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق او حال من مصدره كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا
كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم
في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل
الحب لا في وصفه كما وكيفا لما سياتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغني عن
ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير ما اسلفناه في تفسير قوله عز قائلا
كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين امنوا اشد
حبا لله جملة مبتداة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي المؤمنون اشد حبا له
تعالى منهم لاندادهم وماله ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل
ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم
لكونه منوطا بمبان فاسدة ومبادي موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون
صنما اياما فاذا وجدوا اخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال
حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الاخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سياتي والعبارة على
ما تقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وايثار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته
ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة اي لو علموا اذ عاينوه
وانما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقيق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي
يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب
شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما

علم

لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا تستطيعه المعبرة او المستمع من الضجر والتفجع عليه اي لو علموا اذ راوا العذاب قد حل بهم ولم يغن عنهم منه
احد من اندادهم ان القوة لله جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب لرايت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله
شديد العقاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرا الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا
ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون
من قبل وقرئ بالعكس اي تبرا الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل وراوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرا والضمير في
راوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك
والسبب الاصل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرا وتوسيط الحالية بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال
الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم
هناك كما تبرؤوا منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء اخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار
اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على
المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تالم القلب وانحساره
عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات
عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستانف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول
الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا
يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها من اصناف الماكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله
عنه نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله
تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا
ويرد الاولين قوله تعالى طيبا فانه صفة له ذو وصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم
الحلال على نفسه من هذا القبيل من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة
من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي
وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي
اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء
والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر
ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء
اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله تعالى بانه حرم هذا وذاك ومعنى
ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه
منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني على الابلغ وجه واكده
وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه
الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه
بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه
مفعول ثان له متعد الى اثنين نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد
والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة
من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا واعلم منا فعلى هذا يعم ما انزل الله
تعالى التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى ردا
لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان ارائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كما التي في قوله تعالى اولو كنا كارهين

وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان امتناع الشيء في الزمان الماضي لامتناع غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذفت ثقة بدلالة ما قبلها عليه
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال
بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان
الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهو معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي
والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك [illegible]
وعلى ذلك واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل
المذكور ثبوتا ونفيا والمقصود بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به واما في جزئه على ما هو عليه من الاستبعاد
والبطلان فيما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقتضيه بيان تحققه على كل حال بمدلوله لا بمدلول المذكور
من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما تعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته
للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة واما في جزئه لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا
انه خرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة ابائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر
قد ركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لابائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما ذكر احتمالا بعيدا
فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى التقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو
كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من ابائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين ابائهم
حال كونهم عاقلين وجاهلين هذا لبين انكار الحالة الفاذة كلامهم من الاتباع على كل حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على
انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا عن اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابائهم
جاهلين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلنا الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان
الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا ترى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى
هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون ابائهم عاقلين ومهتدين انكار
الاتباع لا نفسه الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلو اختلف الحالتين كما قلنا ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال
وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي
يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه
كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع وتفيد مع كونه بمنزلة صيغ النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين
وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا • ومثل الذين كفروا • جملة ابتدائية واردة
لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر
السابقة لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقية لغرابتها بان
تسمى مثلا وتسير في الافاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه
من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا افهامهم الى ما يلقى عليهم • كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء • من
البهائم فانها لا تسمع الا صوت الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة
عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الايات
كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها
بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويت على البهائم وهذا اغنى عن الاضمار لكن
لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل عن ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين • صم بكم عمي • بالرفع
على الذم اي هم صم الخ • فهم لا يعقلون • شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل
باستماع ايات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل
وطرق الفهم بالكلية • يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم • اي من مستلذاته • واشكروا لله • الذي رزقكموها والالتفات
لتربية المهابة • ان كنتم اياه تعبدون • فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس
والجن في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري • انما حرم عليكم الميتة • اي اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك

والجراد خارجان عنها بالعرف واستثناء الشرع خروج الطحال من الدم • ولحم الخنزير • انما خص اللحم مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم
ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له • وما اهل به لغير الله • اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال
لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره • فمن اضطر غير باغ • بالاستيثار على مضطر
اخر • ولا عاد • سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول احمد رحمه الله • فلا اثم عليه • في تناوله • ان الله غفور • لما فعل • رحيم • بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم
من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا
اليها • ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب • المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقال
ابن عباس رضي الله عنه نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم • ويشترون به • اي ياخذون بدله • ثمنا قليلا • عوضا
حقيرا والتعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة لما ... • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما
في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه
من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى • ما يأكلون في بطونهم الا النار • والجملة خبر
لان واسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها
فكانه عين النار واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في المال يوم القيامة عين النار
عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا • في بطونهم • متعلق بيأكلون • وفائدته تاكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما
في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطونكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من
النار مع تقديمه على حرف الاستثناء والاقتصار على تعليقه بيأكلون يؤدي الى قصرها يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها
• ولا يكلمهم الله يوم القيامة • عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى • ولا
يزكيهم • لا يثني عليهم • ولهم • مع ما ذكر • عذاب اليم • مؤلم • اولئك • اشارة الى ما اشير اليه [illegible] باعتبار المذكور خاصة لا مع ما تلوه
من اخواتهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته هنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها
الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه وابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدا خبره الموصول في قوله
• الذين اشتروا • بالنسبة الى الدنيا • الضلالة • التي ليست مما يمكن ان تشترى قطعا • بالهدى • الذي ليس من قبيل ما يبذل مقابلة شيء وان جل
• والعذاب • اي اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب الذي لا يليق كونه مما يشترى • بالمغفرة • التي يتنافس فيها المتنافسون • فما اصبرهم على النار • تعجيب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب
النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجيب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصص شر في شر اهر ذا ناب
خبرها ما بعدها اي شيء ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة
وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع • ذلك • العذاب • بان الله
نزل الكتاب • اي جنس الكتاب • بالحق • اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل
هذا من انواع العذاب • وان الذين اختلفوا في الكتاب • اي في جنس الكتاب الالهي بان امنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها
او في التوراة بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف
التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تاويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكي عن المشركين • لفي
شقاق بعيد • عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب • ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب • البر اسم جامع لمراضي الخصال
والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين
المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما
لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه
الى الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما في قوله • سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم • فليس سواء عالم وجهول • وقوله البر عظيما
ان تولوا • ولكن البر • [illegible] معقول وانما اخير ذلك لما ان المصدر اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير حيث انه لا يوصف به والاعرف
احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فالوجه على الترتيب المعهود لغات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب
المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذاك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك
بقوله عز وجل • ولكن البر من امن بالله • وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر ما لا يختلف باختلاف الشرائع وما

ونعوته
اي يعرون عن الزجر الاسم ... منه
الرسل م
ولا يوصف
تعلق ثاني خبر الاسم ... الجملة اسمية منه

عطف باختلافهما اى ولكن البر المعهود الذى يحق ان يهتم بشانه ويجد فى تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا
كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر وعلى ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لن تمسهم
الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفى تعليق
البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد
اللذين هو المشرق والمغرب فى الحقيقة والملائكة اى وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحى
وانزال الكتب والكتاب اى جنس الكتاب الذى من افراده الفرقان الذى نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبى صلى الله عليه
وسلم والشرائع مما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب
بين جملة الوحى وبين النبيين واضح وسياق فى قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير فى
آتى والضمير المجرور للمال اى آتاه كائنا على حب المال كما فى قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
وقول ابن مسعود رضى الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وقيل الضمير لله تعالى اى آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لما فعل الرشى واخذها لتغيير التورية وقيل
للمصدر اى كائنا على حب الايتاء ذوى القربى مفعول لآتى قدم عليه مفعوله الثانى اعنى المال للاهتمام به او لان فى الثانى مع ما عطف
عليه طولا لو روعى الترتيب لفات تجاوب الاطراف فى الكلام وهو الذى اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثانى واليتامى
اى المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوى القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون
لما ان الخلة اسكنته حيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اى المسافر سمى به لملازمته اياه كما سمى القاطع ابن الطريق
وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفى الرقاب
اى وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول
عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما ادوا كما فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما فى
الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لما ان فى الظرفية المنبئة عن مجلبيتهم لما يؤتى واقام الصلاة اى
المفروضة منها وآتى الزكاة اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة فى الحث
عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه
فى قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا
يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين
نصب على الاختصاص غير معطوف على ما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو فى الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو على اذا ذكرت صفات
للمدح او الذم وخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب فى استماع المذكور
ومزيد اهتمام بشانه وقد مر فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين فى البأساء اى فى الفقر والشدة والضراء
اى المرض والزمانة وحين البأس اى وقت مجاهدة العدو فى مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة
انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجليلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم
الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار
التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة
فى خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال
والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم
مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا
شروع فى بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافى لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التى عليها بنى اساس المعاش والمعاد
كتب عليكم اى فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولى على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او
القاتلين القصاص فى القتلى اى بسبب قتلهم كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها
اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن
الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباووا وليس فيها دلالة على عدم قتل

الحر بالعبد عند الشافعى ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه فيما وانما
تمسك فى ذلك هو ومالك رضى الله عنه بما روى عن على رضى الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة
ولم يقده وبما روى عنه رضى الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا
لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة
من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة فى العصمة وهى بالدين او بالدار
وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفى له من اخيه شىء اى شىء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار
بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وهو لو وقع ايضا فى العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شىء من العفو من جميع
الاولياء وقيل معنى عفى ترك وشىء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما فى قول من قال دبار عفاها
جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محى له من اخيه شىء صرف للعبارة المتداولة فى الكتاب والسنة
عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما ولا فى استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو فى باب الجناية الا فيما ذكر من قبل وعفا
يعدى بعن الى الجانى والذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل
فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما لحكم كونهما من بنى آدم عليه السلام لتحريك
سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافى بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف
من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس ذلك اى ما ذكر من الحكم
تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى
العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى
بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما فى الدنيا
فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما فى الآخرة فبالنار ولكم فى القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته
حيث جعل الشىء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان فى هذا الجنس نوعا من الحياة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به
يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل
سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بالحياة هى الاخروية فان القاتل
اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة والظرفان اما خبران لحياة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ
فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او فى القرآن حياة للقلوب يا اولى الالباب اى ذوى العقول الخالصة عن شوائب الاوهام
خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التأمل فى حكمة القصاص لعلكم تتقون اى تتقون انفسكم من المساهلة
فى امره والاهمال فى المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى اليه كتب عليكم بيان لحكم
آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن
الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله
سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشىء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد
الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف درهم قالت
كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشىء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير
فعله لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه ايضا للفصل او على تأويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الضمير فى قوله تعالى
من حيث تعلقه بهم تعلقا تعليميا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه
عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن
ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذى
حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم فى سلك المتواتر فى صلاحيته للنسخ عند
ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هى آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا
الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال
بالمعروف اى بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى بيان طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات
واعطى كل ذى حق منهم حقه الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرأيكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة

المنفية بلا النافية للجنس وتصدرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان اية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث
انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة اياها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله
عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من
ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث بيانا للانصباء فلفظ الايصاء فهم منها تنبيه
النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم
فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول اية الوصية حيث كان تفويضا للامر
الى اراء المكلفين على الاطلاق وتسنى الخروج عن عهدة التكليف بما ادى اليه اراؤكم بالمعروف تكون اية المواريث الناطقة بمراتب ه
الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما
لا يشتبه على احد وكقوله تعالى ● حقا على المتقين ● مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا ● فمن بدله ● اي غيره من الاوصياء والشهود ● بعد
ما سمعه ● اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه ● فانما اثمه ● اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل ● على الذين يبدلونه ● لانهم خانوا وخالفوا
حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتأكيد الايذان بعلية ما في حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بشمول د
المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا او الايمان بشمول الاثم لجميع الافراد ● ان الله سميع عليم ● وعيد شديد للمبدلين ● فمن خاف من موص
اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص ● جنفا ● اي ميلا بالخطأ في الوصية ● او اثما ● اي تعمدا للحيف ● فاصلح
بينهم ● اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة ● فلا اثم عليه ● اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول
● ان الله غفور رحيم ● وعد للمصلح وذكر المغفرة للمطابقة وذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم ● يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام ● بيان لحكم اخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع
اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الاية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت
عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية
عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس ● كما كتب ● في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتابا كائنا كما كتب
او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب وما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام
اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب ● على الذين من قبلكم ● من الانبياء
عليهم السلام والامم من لدن ادم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد
بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد
تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى
صادفوا حرا شديدا فاجتمعت اراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة
لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين ● لعلكم تتقون ● اي المعاصي فان الصوم
يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك
الى رتبة التقوى ● اياما معدودات ● موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها
اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل
بينهما باجنبي بل بمضمر دل عليه اي صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على الوجهين وفيه ان الايام ليست
محلا للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا ● فمن كان منكم مريضا ● اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه ● او
على سفر ● مستمر عليه وفيه تلويح بان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر ● فعدة ● اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر ● من ايام اخر
ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه لظهوره وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية
وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه ● وعلى الذين يطيقونه ● اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا ● فدية ● اي اعطاء فدية ● طعام مسكين
وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا
متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء
في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد
قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر
وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم

وطاقتهم ومبلغ وسعهم ● فمن تطوع خيرا ● فزاد في الفدية ● فهو ● اي التطوع او الخير الذي تطوعه ● خير له وان تصوموا ● ايها المطيقون او المطوقون
وتحملوا على انفسكم وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين ● خير لكم ● من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التأخير الى
ايام اخر والالتفات الى الخطاب للتحريض والتنشيط ● ان كنتم تعلمون ● اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره
اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك ● شهر رمضان ● مبتدأ خبره ما بعده او خبر لمبتدأ
محذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول
تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف
والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب وقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سمي بذلك
اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة ● الذي
انزل فيه القران ● خبر للمبتدأ على الوجه الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدأ انزاله فيه وكان
ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشيئة الربانية او انزل في شأنه القران وهو قوله
عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة
والقران لاربع وعشرين ● هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ● حالان من القران اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز
وغيره وايات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ● فمن شهد منكم الشهر ● اي حضر فيه ولم يكن مسافرا
ووضع المظهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدأ معنى الشرط او زائدة على تقدير
كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبره وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه
● فليصمه ● اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك
شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ● ومن كان مريضا ● وان كان حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا ● فعدة
من ايام اخر ● اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه ● يريد الله
بكم اليسر ● ولا يريد بكم العسر ● لغاية رأفته وسعة رحمته ● ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم ه
تشكرون ● علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة
ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير وتعديته فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم وجوز ان تكون
معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون
ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدرية والموصولة اي
على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد ● واذا سألك عبادي عني ● في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله ● فاني قريب ● اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم
واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت ● اجيب دعوة الداع اذا دعان ● تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة ● فليستجيبوا لي ● اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم ● وليؤمنوا بي ● امر بالثبات على ما هم عليه ● لعلهم يرشدون ● راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ
بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الكريمة
الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال
● احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ● روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا
ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه
وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم
مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن ● هن
لباس لكم وانتم لباس لهن ● استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل
كل من الرجل والمرأة لباسا للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان
كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور ● علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ● استئناف اخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة

كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اى لما تبتم
مما اقترفتموه وعفا عنكم اى محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى يستلزمها
وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اى واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته فى اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغى
ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة فى خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا
المحل الذى كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق
وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه
وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد
رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت
الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل
اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون
فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف
يكون فى المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطء فيه حرام ومفسد له لان النهى فى العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اى
الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى للعبادة فلا تقربوها فضلا عن ان تتجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة فى
النهى عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يريد بحدود الله تعالى
محارمه ومناهيه كذلك اى مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الاحكام التى شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة
اوامره ونواهيه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهى عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهى عن اكل اموال
انفسهم فى نهار رمضان اى لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها
الى الحكام عطف على المنهى عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من
اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون اى مبطلون فان ارتكاب المعاصى
مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف
امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض لعبدان فنزلت
وروى انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو
ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقى لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما
ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم
يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هى مواقيت للناس والحج كانوا سألوه عليه السلام عن الحكمة فى اختلاف حال
القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون معالم للناس فى عباداتهم لاسيما الحج فان الوقت
مراعى فيه اداء وقضاء وكذا فى معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة المطلقة امتداد
حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس
البر بان تأتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب
او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اى بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله
بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم فى الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم
ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب
بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم فى السؤال
وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله وأتوا
البيوت من ابوابها اذ ليس فى العدول بر فباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله فى تغيير احكامه او فى جميع اموركم امر
به للاصلاح بعد بيان ان البر من اتقى اظهارا لزيادة اعتنائه بشأن التقوى وتمهيدا لقوله تعالى لعلكم تفلحون
لكى تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول
الصريح لابراز كمال العناية بشأن المقاتلة الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم
والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة

جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على
ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده فى اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة
او المثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن جرى مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اى لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهى
واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما او عملا وفيه معنى الغلبة
ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفونى فاقتلونى فمن اثقف فليس الى الخلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح
بمن لم يسلم منهم والفتنة اشد من القتل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وتألم النفس بها وقيل شركهم فى الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اى لا تفاتحوهم
بالقتال هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته
فاستحقوا اشد العذاب وفى العدول عن صيغة المفاعلة التى بها ورد النهى والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم
فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما رأوا [illegible] فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
اى شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
اى فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما فى قوله عز وجل فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام
بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء فى ذى القعدة ايضا وكراهتهم القتال
فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اى كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه يجرى
فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله فى الانتصار واحذروا ان
تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم بالنصر والتمكين وانفقوا فى سبيل الله امر
بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اى لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف
عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوى العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه انه قال
لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدى الى الهلاك المؤبد
ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد
بالايدى الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اى اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين
اى يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند الشروع فيهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم
من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما فى انفسهما من الوجوب وعدمه كما فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان
لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله ولا لاستلزام ما له الحلال وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله
تعالى ولله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب
العمرة قطعا وادعى ان الامر باتمامهما امر باتيانهما تامين كاملين حسبما يقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على
خلافه دليل مما لا اسناد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة
على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغى من غير تعرض لحالهما فى انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما
المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشئ منها هكذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن على وابن عباس
وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تجعل نفقتهما
حلالا وقيل ان تخلصوهما بالعبادة ولا تشوبوهما بشئ من الاغراض الدنيوية وايما كان فلا تعرض فى الآية الكريمة بوجوب العمرة اصلا واما
ما روى من ان ابن عباس رضى الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضى الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة
مكتوبين على فاهللت بهما وفى رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روى عن جابر انه قال يا رسول الله
العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اى منعتم من الحج بعد

نحو الحصر العدو واذا حبسه ومنعه من المضى لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعى رضى الله عنهما لقوله تعالى فاذا
امنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابى حنيفة رضى الله عنه لما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى اى فعليكم او فالواجب ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا
اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث
بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى
الحرم بلغ مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم فى ذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على
المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا الى
الحلق او به اذى من راسه كجراحة او قمل ففدية اى فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم اى الاحصار او كنتم فى حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج اى فمن استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل
من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى اى فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم
جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعى وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اى الهدى فصيام ثلاثة ايام فى
الحج اى فى اشهره بين الاحرامين وقال الشافعى فى ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذى
الحجة وثامنه وتاسعه فلا يجوز يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اى نفرتم وفرغتم من اعماله وفى احد قولى
الشافعى اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم
ان الواو بمعنى او كما فى قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد
بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة فى المحافظة على العدد
او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به تنتهى الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمالها فى بدليتها من الهدى ذلك اشارة
الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعى لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند
الشافعى ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك واتقوا الله فى المحافظة على اوامره
ونواهيه لا سيما فى الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار
لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اى وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عندنا
وتسعة بليلة النحر عند الشافعى وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن
فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهران
وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر فى غير العقلاء تجىء بالالف والتاء فمن
فرض فيهن الحج اى اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدى فلا رفث ولا فسوق اى لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا
خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اى لا مراء مع الخدم والرفقة فى الحج
اى فى ايامه والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله
عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا
فى نفسه ففى تضاعيف الحج افحش كلبس الحرير فى الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج من مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة
وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر
العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزى به خير جزاء وهو حث
على فعل الخير اثر النهى عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا
يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس
واتقون يا اولى الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بها هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس

عليكم جناح ان تبتغوا اى فى ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اى دفعتم منها
بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه علمية وتانيث لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما بالتاء المذكورة وهى ليست تاء التانيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة
جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما فى سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها لما انها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما
سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما اراه قال
عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهى من اسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب
الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا او وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك
عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمى عرفة ووادى المحسر ويؤيد
الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادى محسر واذكروه كما هداكم اى كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية
او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى الفارقة
وقيل هى نافية واللام بمعنى الا كما فى قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما فى قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين
اى الناسى على ان يراد به ادم عليه السلام من قوله تعالى فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم
فى تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه وهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم
المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم اى فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فى ذلك كما تفعلون بذكر ابائكم فى مفاخرهم
وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما
مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه
بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر دل
عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير
الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام فى سلك الاخير من يقول اى فى ذكره ربنا اتنا فى الدنيا اى اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا
خاصة وما له فى الاخرة من خلاق اى من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله فى الاخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله فى الدنيا
وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا اتنا فى الدنيا حسنة هى الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفى الاخرة حسنة
هى الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروى عن على كرم الله وجهه ان الحسنة فى الدنيا المراة الصالحة وفى الاخرة الحوراء
وعذاب النار امراة السوء وعن الحسن ان الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات
والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثانى باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر من
الاشارة الى علو درجاتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين فى قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثانى للتنويع
اى لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا
لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا
قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعة واكتساب الحسنات واذكروا الله اى كبروه فى اعقاب الصلوات
وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى ايام معدودات هى ايام التشريق فمن تعجل اى استعجل فى النفر او النفر فان التفعل
والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل فى الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما فى قوله قد يدرك المتانى
بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل فى يومين اى فى تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا
فرغ عن رمى الجمار فلا اثم عليه بتعجيله ومن تاخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعى بعده فقط
فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه افضلية الثانى وانما ورد بنفى الاثم تصريحا بالرد على اهل

الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر • لمن اتقى • خبر المبتدا محذوف اى الذى ذكر من التخيير الثانى والمغاير ونفى الاثم عنهما
عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر لو لاجله بترك ما يهمه منهما • واتقوا الله •
فى مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبا بكم وتنتظموا فى سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص واحذروا الاخلال
بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل • واعلموا انكم اليه تحشرون • اى للجزاء على اعمالكم بعد الاحيا والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق
وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب من الامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزا كان ذلك من اقوى الدواعى الى ملازمة التقوى • ومن
الناس من يعجبك قوله • تجريد للخطاب وتوجيه له عليه السلام وهو كلام مبتدا مسوق لبيان تحزب الناس فى شان التقوى الى حزبين وتعيين
كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اى ومنهم من يروقك كلامه ويعظم
موقعه فى نفسك لما تشاهد فيه من ملائمة الفحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان لسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه • فى
الحياة الدنيا • متعلق بقوله اى ما يقوله فى حق الحياة الدنيا ومعناها فانها الذى يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى
الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له فيها لا امر لعين بهذه الصفة او يعجبك اى يعجبك قوله فى الدنيا حلاوته وفصاحته لا فى الاخرة
لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة واتحيز بانه لا يباح الفدح فى سوء حالة فان ماله بيان حسن كلامه فى الدنيا
وقبحه فى الاخرة وقيل معنى فى الحياة الدنيا اى لا يصدر منه فيها الا القول الحسن • ويشهد الله على ما فى قلبه • اى بحسب دعائه حيث يقول الله
يعلم ان ما فى قلبى موافق لما فى لسانى وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما فى قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضى الله
عنه والله يشهد على ما فى قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله • وهو الد الخصام • اى شديد
العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى فى كقولهم ثبت العذر او اشد الخصوم خصومة على انه
جمع خصم ككعب وكعاب قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى
الاسلام والمحبة وقيل فى المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور فى قوله او من المستكن فى يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين
• واذا تولى • اى من مجلسك وقيل اذا صار واليا • سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل • كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم
واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث
والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهى لغة وقرئ على البنا للمفعول
من الاهلاك • والله لا يحب الفساد • اى لا يرتضيه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييل • واذا قيل له • على نهج العظة
والنصيحة • اتق الله • واترك ما باشرته من الفساد او النفاق واحذر سوء مغبته • اخذته العزة بالاثم • اى حملته الانفة وحمية
الجاهلية على الاثم الذى نهى عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه • فحسبه جهنم • مبتدا وخبر اى
كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل حسبه سد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتماده على الفا الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل
ماض اى كفته جهنم • ولبئس المهاد • جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطا
للجنب والجملة اعتراض • ومن الناس من يشرى نفسه • مبتدا وخبر كما مر اى يبيعها ببذلها فى الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك
فى الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل • ابتغاء مرضاة الله • اى طلبا لرضاه وهذا كما ان التقوى وايراده فيهما
للاول من حيث ان ذلك يانف من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرومى اخذه
المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه
ماله فاتى المدينة فيشرى بمعنى جريان الحال على صورة الشرى • والله رؤف بالعباد • ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب
والجملة اعتراض تذييل • يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم • اى الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهى
لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى • كافة • حال من الضمير فى ادخلوا او من السلم مونثا مثل الحرب كما فى قوله عز وجل حتى تضع معا
كما فى قوله خرجت بها تمشى تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل وهى فى الاصل اسم للجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت فى معنى جميعا وتاؤها
ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مونثا مثل الحرب كما فى قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفى قوله السلم تاخذ منها ما رضيت
به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى للكل كما فى قامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرة وباطنة
والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم
القديم بعد اسلامهم او فى شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبيا والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على
طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشى منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب
اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الان ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه • ولا تتبعوا خطوات
الشيطان • بالتفرق والتفريق او مخالفة ما امرتم به • انه لكم عدو مبين • ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهى او الانتها

• فان زللتم • اى عن الدخول فى السلم وقرئ بكسر اللام وهى لغة فيه • من بعد ما جاءتكم البينات • الآيات والحجج القطعية الدالة على
حقيته الموجبة للدخول فيه • فاعلموا ان الله عزيز • غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم • حكيم • لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين
المستعصين على اوامره • هل ينظرون • استفهام انكارى فى معنى النفى اى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتثال
بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه • الا ان ياتيهم الله • اى امره وباسه بحذف المضاف لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان
بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم
فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها • فى ظلل • جمع ظلة كقلل فى جمع قلة وهى ما اظلك وقرئ فى ظلال
كقلال فى جمع قلة • من الغمام • اى السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع
واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير • والملائكة • عطف على الاسم الجليل اى
وياتيهم الملائكة فانهم وسائط فى اتيان امره تعالى بل هم الاتون به على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الاتيان اولا
من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ
بالجر عطفا على ظلل او الغمام • وقضى الامر • اى اتمام اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة
الماضى دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستانفة جى بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة • والى
الله • لا الى غيره • ترجع الامور • بالتانيث على البنا للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البنا للفاعل بالتانيث من الرجوع • سل
بنى اسرائيل • الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل واحد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقريب لمن البينات
• كم اتيناهم من اية بينة • معجزة ظاهرة على ايدى الانبيا عليهم السلام او اية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية
مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتدا على حذف العائد من الجزاء الى مميزها • ومن يبدل نعمة الله • التى هى اياته الباهرة
فانها سبب للهدى الذى هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها الزائغ • من بعد ما جاءته •
ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجى للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها
كما فى قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
به لظهوره • فان الله شديد العقاب • تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب والاظهار
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة • زين للذين كفروا الحياة الدنيا • اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا
عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مسند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البنا للفاعل
اذ ما من شى الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الامور البهية والاشيا الشهية مزين بالعرض
• ويسخرون من الذين امنوا • عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقرا المؤمنين كبلال
وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدئة
منهم • والذين اتقوا • هم الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها
محلة يستلزم الجنايات لعدم شاغلة عنه • فوقهم يوم القيامة • لانهم فى عليين وهم فى اسفل سافلين او لانهم فى اوج الكرامة وهم فى
حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم فى الاخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار
الاسمية للدلالة على دوام مضمونها • والله يرزق من يشاء • اى فى الدارين • بغير حساب • بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة
وابتلاء اخرى • كان الناس امة واحدة • متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين ادم وادريس او نوح عليهما السلام او بعد
الطوفان • فبعث الله النبيين • اى فاختلفوا فبعث الخ وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وانما حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه
• مبشرين ومنذرين • عن كعب الذى علمته من عدد الانبيا عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة
وثلاثة عشر والمذكور فى القران ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال فى فترة ادريس او
نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم • وانزل معهم الكتاب • اى جنس الكتاب او مع كل واحد منهم
من لهم كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى
خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام • بالحق • حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق
نزل • ليحكم • اى الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين • بين الناس • اى المذكورين والاظهار فى موقع الاضمار
لزيادة التعيين • فيما اختلفوا فيه • اى فى الحق الذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم • وما اختلف فيه • اى فى الحق او

الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية إلا الذين أوتوه أي الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف وإزاحة الشقاق والتعبير عن الإنزال
بالإيتاء للتنبيه من أول الأمر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فإن الإنزال لا يفيد تلك الفائدة أي عكسوا الأمر حيث جعلوا
ما أنزل لإزالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات أي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام
أي فاختلفوا وما اختلف فيه إلخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع إلا عمله كما في قولك ما قام إلا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما
تعلقت به من أي اختلفوا بغيا وحسدا لا لشبهة فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه أي للحق الذي اختلف فيه
من اختلف من الحق بيان لما وفي إبهامه أولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم بإذنه بأمره أو بتيسيره ولطفه والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم موصل إلى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق أم حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم إثر بيان اختلاف الأمم على الأنبيا
عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الأنبيا ومن معهم من قبلهم من مكابرة الشدائد ومقاساة الهموم وأن عاقبة أمرهم
النصر وأم منقطعة والهمزة فيها للإنكار والاستبعاد أي بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
من الأنبيا ومن معهم من المؤمنين أي والحال أنه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الأحوال الهائلة التي هي مثل في
الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استئناف وقع جوابا عما ينساق إليه الذهن كأنه قيل كيف كان مثلهم فقيل
مستهم البأساء أي الشدة من الخوف والفاقة والضراء أي الآلام والأمراض وزلزلوا أي أزعجوا إزعاجا شديدا بما دهمهم من
الأهوال والأفزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه أي انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضجر إلى أن يقول الرسول وهو أعلم الناس
بشؤون الله تعالى وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره متى أي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له
واستطالة لمدة الشدة والعنا وقرئ حتى يقول بالرفع على أنه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم أن الأمر
بلغ الغاية لا مطمح وراءها ألا إن نصر الله قريب على تقدير القول أي فقيل لهم حينئذ ذلك إسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني
وفي إيثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها
وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما أنها في حكم إنشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها
دون حكاية نفس النصر مع تحققه للإيذان بعدم الحاجة إلى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز أن يكون هذا واردا من جهته تعالى
عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز إلى أن الوصول إلى جناب القدس لا يحصل إلا برفض اللذات ومكابدة
المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون أي من أصناف أموالهم
قل ما أنفقتم من خير ما إما شرطية وإما موصولة حذف العائد إليها أي ما أنفقتموه من خير أي خير كان ففيه تجويز الإنفاق من جميع
أنواع الأموال وبيان لما في السؤال إلا أنه جعل من جملة ما في حيز الشرط أو الصلة وأبرز في معرض البيان المفرد حيث قيل فللوالدين
والأقربين للإيذان بأن الأهم بيان المصارف المعدودة لأن الاعتداد بالإنفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي
الله عنهما أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت واليتامى
أي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب إما اكتفاء بما ذكر في المواقع الأخر وإما بناء على دخولهم
تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فإنه شامل لكل خير واقع في أي مصرف كان فإن الله به عليم فيوفي ثوابه
قيل ليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال بيانا للفعل للمفعول ورفع القتال
أي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل أي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى
وهو كره لكم حالية أي والحال أنه مكروه لكم طبعا على أن الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة أو بمعنى المفعول
كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على أنه بمعنى المضموم كالضعف والضعف أو على أنه بمعنى الإكراه مجازا كأنهم أكرهوا عليه لشدة
كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الأمور الشاقة التي من جملتها القتال
فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على أن في القتال خيرا لهم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه من الأمور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الإعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك
يأمركم به وأنتم لا تعلمون أي لا تعلمون ذلك ولذلك تكرهونه والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك
رأيكم وامتثلوا بأمره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش

على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه
الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا لن نبرح حتى تنزل توبتنا
ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على أن قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما أن سؤالهم كان
عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير
العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب
بقل وإنما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه إما بالوصف إن تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له أي قتال كائن فيه وإما بالعمل
إن تعلق به وإنما أوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وإيذانا بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أي قتال كان عن عطاء أنه سئل عن القتال
في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل أنها منسوخة بقوله
تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده أي ومنع عن الإسلام الموصل للعبد
إلى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله أي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من أفراد
الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لأنه ليس بأجنبي محض وقيل هو
معطوف على صد بتقدير المضاف أي وصد المسجد الحرام وإخراج أهله وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه أي من المسجد الحرام
وهو عطف على كفر به أكبر عند الله خبر للأشياء المعدودة أي كبائر قريش أكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ
وبناء على الظن وأفعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة أي ما ارتكبوه من الإخراج والشرك وصد الناس
عن الإسلام ابتداء وبقاء أكبر من القتل أي أفظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم وإصرارهم على
الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل وإضافة الدين إليهم لتذكيرهم ما بينهما من العلاقة الموجبة
لامتناع الارتداد إن استطاعوا إشارة إلى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأنى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه
تحذير من الارتداد أي ومن يفعل ذلك بإضلالهم وإغوائهم فيمت وهو كافر بأن لم يرجع إلى الإسلام وفيه ترغيب للرجوع إلى الإسلام بعد
الارتداد فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد
منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر إلى المعنى أي أولئك المصرون على الارتداد إلى حين الموت حبطت أعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة
الإسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الأحكام الدنيوية والأخروية وأولئك الموصوفون بما ذكر سابقا
ولاحقا من القبائح أصحاب النار أي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة إن الذين آمنوا نزلت في أصحاب
السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فلا أجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع أن المراد بهما واحد لتفخيم شأن
الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمة الله
أي ثوابه أثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لأن في فوزهم
اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم بإجزال الأجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها
يسألونك عن الخمر والميسر تواردت في شأن الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون
يشربونها ثم إن عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت
هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد
ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها
في بئر فبنيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنه لو أدخلت أصبعي فيها
لم تتبعني وهذا هو الإيمان والتقى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخمر مصدر خمره أي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد
لتغطيتها العقل والتمييز كأنها نفس الستر كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته
إذا قمرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وتعب وإما من اليسار لأنه سلب له وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح هي الأزلام والأقلام
الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب للفذ سهم والتوأم سهمان والرقيب ثلثة

والحلس اربعة والنافس خمسة والمسبل ستة والمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج
باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه
وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار
من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه
ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما ● قل فيهما اثم كبير ●
اي في تعاطيهما ذلك الاثم لان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ● ومنافع للناس ●
من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمهما ووصفه
بالكبر وتاخير ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى ● واثمهما اكبر من
نفعهما ● اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ● ويسالونك ماذا ينفقون ● عطف
على يسالونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقونه قيل سائله عمرو بن الجموح ايضا سال اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال
فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من اي اصنافها ينفق امن خيارها ام من غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه فقيل
● قل العفو ● بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي
ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما يكون فاضلا عن الكفاية وهو قول
قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر
ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فرماها عليه حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق
به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى ● كذلك ● اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر
محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسولة المارة ● يبين الله لكم الايات ● الدالة على الاحكام الشرعية
المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات تنزيلها مبينة المعنى واضحة
المدلول لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة ● لعلكم تتفكرون ● لكي تتفكروا فيها
وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى ● في الدنيا والاخرة ● متعلق اما بيبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والاخرة
الايات واما بمحذوف وقع حالا من الايات اي يبينها لكم كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد من الاعتناء به
ببيان التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اي تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة في الاحكام الواردة في اجوبة الاسولة المارة
فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور
المتعلقة بالدنيا والاخرة فذلك حينئذ اشارة الى ما مر من البيانات كلا او بعضا لا الى مصدر ما بعده فانه فعل مستقبل لا يعبر به عن
تلك البيانات والمراد بالايات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الايات والدلائل لعلكم
تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والاخرة وتاخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الايات المبينة
● ويسالونك عن اليتامى ● عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تحامى الناس عن مخالطة
اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ● قل اصلاح لهم خير ● اي التعرض لاحوالهم واموالهم
على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء ● وان تخالطوهم ● وتعاشروهم على وجه ينفعهم ● فاخوانكم ● اي فهم اخوانكم في الدين الذي هو
اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة ● والله يعلم المفسد من
المصلح ● العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة او من يقصد
بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان في تقديم
المفسد مزيد تهديد وتاكيدا للوعيد ● ولو شاء الله لاعنتكم ● اي لو شاء ان يعنتكم اي يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل
ولم يجوز لكم مداخلتهم ● ان الله عزيز ● غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم وهو تعليل لمضمون الشرطية
وقوله عز وجل ● حكيم ● اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده
كلمة لو من انتفاء مقدمها ● ولا تنكحوا المشركات ● اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين

● حتى يؤمن ● والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما تقتضيه عموم التعليلين الاتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالاية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات
فهي ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في
الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاستامره فاستامره فنزلت ● ولامة مؤمنة ● تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدرت بلام
الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصل امة اموة حذفت لامها على غير قياس وعوض منها تاء التانيث
ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا ترامى بنو الاموان بالعار وظهورها في المصدر يقال
امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدا لما فيها من لام الابتداء والوصف اي ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق
وقلة الخطر ● خير ● بحسب الدين والدنيا ● من مشركة ● اي امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ● ولو اعجبتكم ● وقد مر
ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها
عليه مع انصبابها بالمعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على
الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان
الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة على
نظيرها المقابل لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم
تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المآل ولامة مؤمنة خير من امراة مشركة حال عدم اعجابها اياكم وحال
اعجابها وتسبيها اياكم بما ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر ها هنا على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها
على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة
مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف ثم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر
● ولا تنكحوا المشركين ● من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء ● حتى
يؤمنوا ● ويتركوا ما هم فيه من الكفر ● ولعبد مؤمن ● مع ما به من ذل المملوكية ● خير من مشرك ● مع ما له من عز المالكية ● ولو اعجبكم ●
بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته ● اولئك ● استيناف مقرر لمضمون التعليلين المذكورين اي اولئك المذكورون
من المشركات والمشركين ● يدعون ● من يقارنهم ويعاشرهم ● الى النار ● اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب
عن مقارنتهم ومقاربتهم ● والله يدعوا ● بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم ● الى الجنة والمغفرة ● اي الى الاعتقاد الحق والعمل
الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تتقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء ● باذنه ●
متعلق بيدعوا اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ● ويبين
اياته ● المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة ● للناس لعلهم يتذكرون ● اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا
اليه من الجنة والغفران وهذا وقد قيل معنى والله يدعوا واولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الجزاء اعني قوله تعالى ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه
المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مشعرا باتحاد مرجع الضمير من المذكورين الكائنين في الجملتين
المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدا لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم
ما اوضحناه اولا وايراد التذكر هنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ● ويسالونك عن المحيض ● عطف
على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسولة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع
كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن
كداب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فنزلت ● قل
هو اذى ● اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له ● فاعتزلوا النساء في المحيض ● اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة
المحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان
اثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استاثرناها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا
حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا
يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ● ولا تقربوهن حتى يطهرن ● تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به

عدو قربانهن لا عدو القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رضي الله عنه فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان
كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلاة وعند الشافعي ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد
ويدل عليه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل
ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر
نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما
مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم
من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا
الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما تنتفعون به واجتنبوا
اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان
من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلون الخطاب وجعل المبشر رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث
الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض
للامر كما في قوله ولا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله حاجزا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان
لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك
وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف
عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس
عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف
به تعالى على تركها ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى اخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها واعتبر بانه
يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من
نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان
الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين
والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط
من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله عليه السلام ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعند ابي حنيفة هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه
ثم يظهر خلافه فانه لا يقصد فيه الا الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال
فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت
قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسبا للسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة
المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة
المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى
واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر
كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد
بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث الحالف
ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان
ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا اي رجعوا عن اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا
الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولى بفيئته التي هي كتوبته

اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق
وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا
يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر
او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءان او شهران يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتأكيد باشعاره بان المأمور به مما
يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص فيخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيده
بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على الانتظار بل يبعث عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء على
الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية
او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام
دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله
تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد
كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا
في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر جواب الشرط محذوف يدل عليه
ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الاخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن
البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر نعت به مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن اي
ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة والضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى نكاحهم بالرجعة اليهن في
ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة يأباها وجب ايثار قوله على قولها لان لها ايضا
حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية
قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من
الحقوق التي يجب مراعاتها ويحرم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحقوق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف
وترك الضرار ونحوها او فزية في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركوهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة
الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف احكامه حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق هو بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح
باحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا مرتان اي
اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقع مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا ايضا فامساك اي
فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله
عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله
تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث
فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدأ وتخيير مستانف والفاء للترتيب على التعليم فكأنه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم
احد الامرين ولا يحل لكم ان تأخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم
سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ما اتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان يأخذوا مما لا تعلق له
بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم
لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي
الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اي الا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على
البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي
الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت
به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب
الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك

اى الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المعتدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم
الظالمون اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل فى المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة و
وتعقيب النهى بالوعيد للمبالغة فى التهديد فان طلقها اى بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اى من بعد هذا الطلاق و
حتى تنكح زوجا غيره اى حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روى
ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه مثل هدبة الثوب
فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وبمثله يجوز الزيادة على
الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطئ والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا
والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لو سكت الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثر لقوله صلى الله عليه
وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اى الزوج الثانى فلا جناح عليهما اى على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا اى يرجع كل منهما
الى الاخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التى اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة
ولان ان الناصبة للتوقع المنافى للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هاهنا حدود الله اى
احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتى بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف
وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة
لقوم يعلمون اى يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان
لا يقف عليه الا الراسخون فى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى اخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ
هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هاهنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك
بعد تحقق بلوغ الاجل اى فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى تنقضى عدتهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم فى بعض صوره اعتناء بشانه
ومبالغة فى ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اى
لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه
بعد ما امر بضده مالذكر وضرارا نصب على العلة او الحالية اى لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام فى قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا
اى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته
فى الشر والفساد فقد ظلم نفسه فى ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع اياته وهى
داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اى مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا فى المحافظة على ما فى تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد فى
الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزؤ بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها
هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهى عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله صورة لظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزؤ
وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق
واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من نعمة الله اى كائنة عليكم او صفة لها على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها
الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح فى عمله تاء التانيث لانه مبنى كما فى قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا
كالموارد وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن فى قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اى
من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين بناء على ان العطف لتغاير الوصفين كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفى ابهامه اولا ثم
بيانه من التفخيم ما لا يخفى وافراده بالذكر مع كونه اول ما دخل فى النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة فى البعث على مراعاة ما ذكر
قبله من الاحكام يعظكم به اى بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله فى شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه
الواجبة واعلموا ان الله بكل شئ عليم فلا يخفى عليه شئ مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل
الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار
حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم
فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التراجع بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة
على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن

يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما الازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما الناس كافة
فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة
الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل
فى استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اى من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل
هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما
باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فالاعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء
والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضى وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضى مفيد لرسوخه واستحكامه
بالمعروف بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اى تراضيا
كائنا بالمعروف واما بتراضوا اى تراضوا بما يحسن فى الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك
اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما
بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما فى
قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر
فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه تعالى ومنكم اما متعلق بكان عند من يجوز عمله فى الظرف وسيبويهما واما بمحذوف
وقع حالا من فاعل يؤمن اى كائنا منكم ذلكم اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اى انمى وانفع واطهر من ادناس الاثام واوضار
الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التى من جملتها
ما بينه هاهنا وانتم لا تعلمونها فدعوا ارائكم وامتثلوا باوامره تعالى ونواهيه فى كل ما تاتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن
شروع فى بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا واثر ما ذكر وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة فى الحمل على تحقق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب
المخصوص بما اذا لم يقبل الصبى ثدى الغير او فقد الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم
عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقى لا تقريبى مبنى على
المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل
اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اى الوالد
فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة
لهن واختلف فى استيجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت فى النكاح او العدة وجائز عند الشافعى رضى الله عنه بالمعروف حسبما يراه
الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد
ما لا يطيقه وذلك لا ينافى امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اى لا يكلف كل واحد منهما الاخر
ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او للمفعول وعلى
الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه والتنبيه على انه جدير بان يتفقا
على استصلاحه ولا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل
او تفسير معترض والمراد به وارث الصبى ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعى رضى الله عنه هو وارث الاب وهو الصبى
اى تمان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبى مال وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه
السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اى الوالدان فصالا اى
فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف وقع صفة لفصالا اى فصالا كائنا
ناشئا عن تراض منهما اى من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب
باعطاء الاجرة وتشاور فى شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج
الراى من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح عليهما فى ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما
على ان صلاح الولد فى الفطام وقلما يتفقان على الخطا وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الاباء
لهزهم الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال
ارضعت المراة الصبى واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثانى بحرف الجر يقال استرضعت المراة للصبى اى ان تسترضعوا المراضع لاولادكم

وقوله

حذف حرف الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد
ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم
من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد
بعث لهم الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس
التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل
في استصلاح شأن الاطفال واتقوا الله في شأن مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك اظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون
منكم اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة
الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتدأ في الخبر اي يتربصن بعدهم
كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها
غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك
قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كان
انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل
منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام
والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف
ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول
السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب
والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب اي الشأن الذي له خطر لما انها شأن من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل
من الخطاب لانه نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهن ان يقول لها
انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح
بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على
السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه
الذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور
الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن
وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا
وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا
وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر
اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت
الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقدة النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة
المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس
الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه
بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم

اذن

وقيل

التاء في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط
على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تأتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى
اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليه من المدة او الزمان
كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك
وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة
اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه
على المفعولية ويجوز ان تكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال
الا في حال التسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المسيس فعليه في صورة التسمية
تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا
فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع
وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون
الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل
متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم او الى جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه اي على موسعكم وهذا اذا لم
يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف
اي بالوجه الذي يستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى
انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي وان طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اي عند النكاح مهرا على ان الجملة
حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبني للفاعل او للمفعول وان يقارن
حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق
فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر
وقرئ بالنصب اي فادوا النصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري
تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام امتعها
ان لا شيء لها متعها ولو بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط
ذلك حينئذ وحيث ان ظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاول ضمير والنون
علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ناثره فيما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو
بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه
اليها كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على
حال عدمه فرجع الاستثناء الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان
ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه يكون لهن الزيادة على
ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب
عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رضي الله عنه ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا ان
الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه
انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا
ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما
تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ
عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل اتمامها للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء
بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال
بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتآخذة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلاة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي
صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة

الان

الحا

التي شغل عنها سليمان بن داود عليه السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار
ح وقيل هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى
الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلاة الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة
العصر وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاة النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي صلاة العشا
لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام يقرا والصلاة الوسطى وصلاة العصر
فيكون الحد الاربعة تخصصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ وعلى الصلاة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى
﴿وقوموا لله﴾ اي في الصلاة ﴿قانتين﴾ ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير
اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح ﴿فان خفتم﴾ اي من عدو او غيره ﴿فرجالا﴾ جمع راجل
كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ رجلا اي راجلا ﴿او ركبانا﴾ جمع راكب
اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تؤخروها ما امكن الوقوف في الجملة وتجوز الشافعي رضي الله عنه اداءها حال المسايفة
ايضا ﴿فاذا امنتم﴾ بزوال الخوف ﴿فاذكروا الله﴾ اي فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانها معظم اركانها ﴿كما علمكم﴾ متعلق بمحذوف
وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ﴿ما لم تكونوا تعلمون﴾ من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه
ان تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايراده بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي
تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلاة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد
الشرطية الاولى بكلمة ان المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع
الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المتبنيين على تنزيل مقام وقوع المامور به فيهما منزلة مقام وقوع
الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول لكل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة واللطف لا يخفى ما فيه عبرة لاولي
الابصار ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا﴾ عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينهما
بما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك ﴿وصية لازواجهم﴾ اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ
كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدا او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل
الوصية ﴿متاعا الى الحول﴾ منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة ﴿غير اخراج﴾ بدل منه او مصدر
مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار
لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه
وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي
هي باقية ﴿فان خرجن﴾ من منزل الازواج باختيارهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ ايها الائمة ﴿فيما فعلن في انفسهن من معروف﴾ لا ينكره الشرع
كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن
الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها ﴿والله عزيز﴾
غالب على امره يعاقب من خالفه ﴿حكيم﴾ يراعي في احكامه مصالح عباده ﴿وللمطلقات﴾ سواء كن مدخولا بهن اولا ﴿متاع﴾
اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة
العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد ﴿بالمعروف﴾ شرعا وعادة ﴿حقا على المتقين﴾ اي مما لا ينبغي
﴿كذلك﴾ اي مثل ذلك البيان الواضح ﴿يبين الله لكم آياته﴾ الدالة على احكامه التي شرعها لعباده ﴿لعلكم تعقلون﴾
لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ﴿الم تر﴾ تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان
سماعهم لها بمنزلة الرؤية البصرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشياع
بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وان لم يكن ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام
قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى
في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعديته الرؤية
بالى في قوله تعالى ﴿الى الذين خرجوا من ديارهم﴾ على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا
لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم ﴿وهم الوف﴾ اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون

الغا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل ﴿حذر الموت﴾ مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا
منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى من امرهم فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذاهم قيام
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذر الموت فاماتهم الله تعالى
ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم
ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر امر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون ﴿ثم احياهم﴾ عطف على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة
تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لانه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان
الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ﴿ان الله لذو فضل﴾ عظيم ﴿على الناس﴾ قاطبة اما
اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار
﴿ولكن اكثر الناس لا يشكرون﴾ اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار والاظهار الناس في مقام الاضمار
لمزيد التشنيع ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله باعتبار ما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم
ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب ﴿واعلموا ان الله سميع﴾ يسمع
مقالة السابقين والمتخلفين ﴿عليم﴾ بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة
﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم
العمل العاجل طلبا للثواب الاجل والمراد هنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما
مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا ﴿قرضا حسنا﴾ اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا
﴿فيضاعفه له﴾ بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرض الله وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك
مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة والسببية وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب ﴿اضعافا﴾
جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى التصيير او مصدر موكد على ان الضعف اسم للمصدر
والجمع للتنويع ﴿كثيرة﴾ لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة ﴿والله يقبض ويبسط﴾ اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر
تارة ويوسع اخرى حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير
البسط من القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبسط لمجاورة القاف ﴿واليه ترجعون﴾ فيجازيكم
على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا ﴿الم تر﴾ تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجب مع ان له مزيد ارتباط
بما وسط بينهما من الامر بالقتال ﴿الى الملأ من بني اسرائيل﴾ الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من
لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لما انهم يملؤون العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية كما في
قوله تعالى ﴿من بعد موسى﴾ ابتدائية وعاملهما مقدر وقع حالا من الملأ اي كائنين بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى
عليه السلام والاصل في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى ﴿اذ قالوا﴾ منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصتهم
الملأ او حديثهم حين قالوا ﴿لنبي لهم﴾ هو يوشع بن نون ابن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية ابن علقمة
من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسماعيل قال مقاتل هو من نسل هارون عليه
السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا ﴿ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب
عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين للقتال او استئناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء
مجزوما او مرفوعا على الجواب للامر او الوصف لملكا ﴿قال﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن لانه قيل فماذا قال
لهم النبي حينئذ فقيل قال ﴿هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا﴾ فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل
قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعث
لكم ملكا لحج مع انهم الطف تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال
عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان المراد ما ذكر وربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث
لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة ﴿قالوا﴾ استئناف كما سبق ﴿وما لنا الا نقاتل﴾ اي اي سبب لنا
في ان لا نقاتل ﴿في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا﴾ اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن

الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابنا بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس العمالقة
وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل
واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابنا ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ● فلما
كتب عليهم القتال ● بعد سؤال النبي عليه السلام وبعث الملك ● تولوا ● اى اعرضوا وتخلفوا لكن لا فى ابتداء الامر بل بعد مشاهدة
كثرة العدو وشوكته كما سيجى تفصيله وانما ذكر هاهنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافى والتباين ● الا قليلا
منهم ● وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر ● والله عليم بالظالمين ●
تذييل تضمن وعيدهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد ● الا قليلا منهم ● وهم الذين اكتفوا بالغرفة وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وفى
اوامرهم وافعالهم والجملة اعتراض ● وقال لهم نبيهم ● شروع فى تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة
الاجمالية الى مصير حالهم اى قال لهم بعدما اوحى اليه ما اوحى ● ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ● طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من
الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روى انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا
طالوت ● قالوا ● استئناف كما مر ● انى يكون له الملك علينا ● اى من اين يكون او كيف يكون ذلك ● ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال ● الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين فى الحكم اى كيف يملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من
هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بنى اسرائيل
وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما بل من
السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقا ● قال ان الله اصطفاه عليكم ● لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه
وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم
ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه
الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا ● وزاده بسطة فى العلم ● اى العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحى
اليه ونبى ● والجسم ● قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل
بالجمال وقيل بالقوة ● والله يؤتى ملكه من يشاء ● لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده ● والله
واسع ● يوسع على الفقير ويغنيه ● عليم ● بمن يليق بالملك ممن لا يليق واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ● وقال لهم نبيهم ● توسيطه فيما بين قوليه
المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه
عليه السلام آية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روى انهم قالوا ما آية ملكه فقال ● ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت ● اى
الصندوق وهو فعلوت من التوب الذى هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور
ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه
السلام سخطا على بنى اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السما
والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وقال ارباب الاخبار ان الله
تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين فكان عند آدم عليه السلام
الى ان توفى فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقى فى ايدى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام
فيضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بنى اسرائيل وكان عنده الى ان توفى ثم تداولته ايدى بنى اسرائيل وكانوا
اذا اختلفوا فى شىء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت
الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة
فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه فى موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده
ابتلى بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران
يسيران ووكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما رأوا بينهم التابوت ايقنوا بملك طالوت قال
لهم النبى ان آية ملكه انكم تجدون التابوت فى داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه ● فيه سكينة من ربكم ● اى فى اتيانه سكون لكم
وطمأنينة كائنة من ربكم او فى التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على ما مر ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
اليه نفوس بنى اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت
نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة

ويقية مما ترك آل موسى وآل هرون ● هى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشىء من التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام
والآل ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بنى اسرائيل ● تحمله الملائكة ● حال من التابوت اى ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة
وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ● ان فى ذلك ● اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام
كلام النبى عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جىء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف
الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقدير من بتاويل الفريق او غيره كما سلف ● لآية ● عظيمة ● لكم ● دالة على ملك طالوت او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هى عليه من غير سماع من البشر ● ان كنتم مؤمنين ● اى مصدقين بتمليكه عليكم او بشىء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف
ثقة بما قبله وقيل هى بمعنى اذ ● فلما فصل طالوت بالجنود ● اى انفصل بهم عن حيث المقدس والاصل فصل نفسه ولما اكثر حذف مفعوله صار لكثرة الاستعمال
محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وتجويز ان يكون متعديا بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وصد صدودا
وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اى متلبسا بهم مصاحبا لهم روى انه قال لقومه لا يخرج معى رجل
بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون
الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجرى الله تعالى لهم نهرا فقال لما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبى عليه السلام
او بطريق الوحى عنده من يقول بنبوته ● قال ان الله مبتليكم بنهر ● بفتح الهاء وقرئ بسكونها ● فمن شرب منه ● اى ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه
الشرب منه حقيقة ● فليس منى ● اى من جملتى واشياعى المؤمنين وقيل ليس بمتصل بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كانه بعضه لكمال اختلاطهما
● ومن لم يطعمه ● اى لم يذقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اى نوما
● فانه منى الا من اغترف غرفة بيده ● استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة
فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغترف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بالمحذوف وقع صفة لغرفة اى غرفة
كائنة بيده روى كانت الغرفة تكفى الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش ● فشربوا
منه ● عطف على مقدر يقتضيه المقام اى فابتلوا به فشربوا منه ● الا قليلا منهم ● وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولى وقرئ الا
قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن اعتبار اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه فى قوة ان يقال فلم يطيعوه لحق ان يرد المستثنى مرفوعا
كما فى قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف فان قوله لم يدع فى حكم لم يبق ● فلما جاوزه ● اى النهر ● هو ● اى
طالوت ● والذين آمنوا معه ● عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل لو وحالية والظرف متعلق بمحذوف
وقع خبرا عن الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان ● قالوا ●
اى بعض من معه من المؤمنين لبعض ● لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ● اى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا
منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكى السلاح ● قال ● استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال
● الذين يظنون انهم ملاقوا الله ● قيل اى الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك
الوصف لا لنفى الايمان عن الباقين فان درجات المؤمنين فى التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله
تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير فى قالوا للمتخلفين عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما ● كم من فئة ●
اى فرقة وجماعة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثانى فلة ● قليلة غلبت فئة
كثيرة ● وكم خبرية كانت او استفهامية معيدة للتكثير وهى فى حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات
الكثيرة ● باذن الله ● اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه
وعدده وتلك روعى فى الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل الطاقة بعينه كثرة حسبما وقع فى كلام اصحابهم مبالغة فى رد مقالتهم وتسكين قلوبهم
وهذا كما ترى جواب ناش من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل فى ذلك الظن للقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان
العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا للتوقع ثوابه تعالى ولا ريب فى ان ما ذكر فى حيز الصلة ينبغى ان يكون وصفا ملائما فلعل المراد بلقائه
تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كانه عين لقائه نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل ● والله مع الصابرين ● فان المراد به
معية نصره وتوفيقه حتما وحملا على المعية بالاثابة كما فعل ناباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلى تشجيعا لاصحابهم
وتثبيتا لهم على الصبر المودى الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جىء به تقديرا
لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبى او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد حرف ان اسم اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ● ولما برزوا ●
اى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى البراز من الارض فى موطن الحرب ● لجالوت وجنوده ● وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد

وايقنوا انهم غير مطيقين لهم عادة ● قالوا ● اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى وتضرعوا الى الله تعالى مستعينين به
● ربنا افرغ علينا صبرا ● على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفى التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
واشار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى ● وثبت اقدامنا ● فى مداحض القتال ومزال النزال وثبات
القدم والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر فى حيز واحد ● وانصرنا على القوم الكافرين ● بقهرهم وكسرهم
ووضع الكافرين فى موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ
الصبر الذى هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذى هو الغاية القصوى ● فهزموهم ● اى كسروهم بلا مكث ● باذن الله
بنصره وتأييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فاتاهم الله ثواب الدنيا للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة
كثيرة باذن الله ● وقتل داود جالوت ● كان ايشى ابو داود فى عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا
يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة احجار دعته كل منها احملنى فانك بنا
تقتل جالوت فحملها فى مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته فى المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم فى المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى
البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فنحا ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به
طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتى واعطيه شطر ملكى ثم برز له داود
ورماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه فى صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرة وقيل انما كانت الاحجار عند بروزه جالوت فى المعركة
فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطى
النبوة وذلك قوله عز وجل ● واتاه الله الملك ● اى ملك بنى اسرائيل فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها ● والحكمة ● اى النبوة ولم يجتمع فى بنى
اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط اخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط ● وعلمه مما يشاء ● اى مما يشاء الله
تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظمه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع فى امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته
كالسرد بالانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ● ولولا دفع الله الناس بعضهم ● الذين يباشرون الشر والفساد
● ببعض ● اخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما فى القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله ان صيغة المبالغة
للمبالغة ● لفسدت الارض ● وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر
المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة
● ولكن الله ذو فضل ● عظيم لا يقادر قدره ● على العالمين ● كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائى مؤلف من وضع نقيض المقدم
منتج لنقيض التالى خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعنى كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل
فى ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض
فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم ● تلك ● اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه ● ايات الله ● المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى ● نتلوها
عليك ● اى بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الايات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب ● فى حيز
النصب على انه حال من مفعول نتلوها اى ملتبسة باليقين الذى لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة
لما فى كتبهم او من فاعله اى نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اى ملتبسا بالحق والصدق ● وانك لمن المرسلين
اى من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجرى بيننا وبين غيرهم وهى شهادة
منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين بها ● تلك الرسل ● استيناف
نبه فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين
من جملتهم النبى صلى الله عليه وسلم واللام للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى
الذين ذكرت قصصهم فى السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم ● فضلنا بعضهم على بعض ● فى مراتب الكمال بان خصصناه
حسبما تقتضيه مشيئتنا بمآثر جليلة خلا عنها غيره ● منهم من كلم الله ● تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اى فضله بان كلمه تعالى بغير سفير
وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفى الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقيل كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى
كما كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق
من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ● ورفع بعضهم درجات ● اى ومنهم من رفعه
على غيره من الرسل المتفاوتين فى معارج الفضل بدرجات متباعدة ومراتب سامية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من الاختلاف

الحال فى درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك فى قوة بعضهم
فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة
للحصر والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه العلم الفرد الغنى عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل
ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل عليهم السلام ● واتينا عيسى ابن مريم البينات ● الايات الباهرة
والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل ● وايدناه ● اى قويناه ● بروح القدس ●
بضم الدال ● وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهى روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه
السلام لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل جبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل
الكتابين فى شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والاية ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار يجوز تفضيل بعضهم
على بعض ولكن بقاطع ● ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ● اى جاءوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اى ولو شاء الله عدم اقتتالهم
ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة
وقيل تقديره لو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك ● من بعد ما جاءتهم ● من جهة اولئك الرسل ● البينات ● المعجزات
الواضحة والايات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدى الى الاقتتال ومن متعلقة
باقتتل ● ولكن اختلفوا ● استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائى مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه
قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل
ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا ● فمنهم من امن ● اى بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ● ومنهم
من كفر ● بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ● ولو شاء الله ● عدم
اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ● ما اقتتلوا ● وما نبض منهم عرق التطاول والتعادى
لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم
كما يفهم ذلك من وضعه فى الاستدراك موضعه بل الله سبحانه مختار فى ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما ينبئ عنه الاستدراك
بقوله عز وجل ● ولكن الله يفعل ما يريد ● اى من الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك
ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه
خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا ● يا ايها الذين امنوا انفقوا ● فى سبيل الله مما رزقناكم اى شيئا مما رزقناكم على ان ما موصولة حذف
عائدها او التبعيض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما فى قوله تعالى ● وانفقوا مما جعلكم مستخلفين ● والمراد به الانفاق الواجب
بدلالة ما بعده من الوعيد ● من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ● كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف
معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون على تلافى ما فرطتم فيه اذ
لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ● ولا شفاعة الا لمن اذن
له الرحمن ورضى له قولا وكما اصحابها حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم فى حط ما فى ذمتكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها
فى التقدير جواب اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل ● والكافرون ● اى والتاركون للزكاة
وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما فى قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ● هم الظالمون ● اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب او وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير
وجهه ● الله لا اله الا هو ● مبتدأ وخبر اى هو المستحق للمعبودية لا غير وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف
● الحى ● الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة
له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت ● القيوم ● فيعول من قام بالامر اذا حفظه اى دائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره ● لا تأخذه سنة ولا نوم ● السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدى بن الرقاع
العاملى وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينيه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس راسا والمراد بيان انتفاء اعتراء شىء منهما له سبحانه
لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم
الكريم على طريقة المبالغة والترقى بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوى كما فى قولك فلان يقظ لا
تأخذه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجى وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما كما فى قوله

تعالى عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الاية واما التعبير عن عدم الاعتراء العروض بالاخذ فلمراعات الواقع اذ عروض السنة
والنوم بمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تاكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه
احدهما يكون مؤف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استيناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم ● له ما في
السموات وما في الارض ● تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما
ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم ● من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ● بيان لكبرياء شانه وانه لا يدانيه
احد ليقدر على تغيير ما يريده بشفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا ومناصبة ● يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ● اي ما قبلهم
وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه
او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات وما في الارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة
والانبياء عليهم السلام ● ولا يحيطون بشيء من علمه ● اي من معلوماته ● الا بما شاء ● ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده
تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته ● وسع كرسيه السموات والارض ● الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد فكانه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه وسعة سلطانه عز وجل
واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كلما كان اعظم يكون عظمة
القاعد اكثر وافر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل
هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع بقوله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة
في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش ● ولا يؤده
اي لا يثقله ولا يشق عليه ● حفظهما ● اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه ● وهو
العلي ● اي المتعالي عن الاشباه والانداد ● العظيم ● الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الاية الكريمة على امهات
المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية واجب الوجود لذاته
موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول بري عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه
ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بجميع
الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه ولا يشغله شان عن شان متعال
عما يناله الاوهام عظيم لا يحيط به الافهام تعرفت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية
في القران اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت
هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك
فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله وقال عليه الصلاة والسلام سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص سيادته
عليه السلام للعرب بالذكر في اثنا عدا السادات الخاصة لا تدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع
من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر ● لا اكراه في الدين ● جملة مستانفة جي بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشئون الجليلة
الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم
وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب
حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعثه عليه السلام ثم قدما المدينة
فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما ● قد تبين الرشد
من الغي ● استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله تعالى قد بلغت من لدني عذرا اي قد تميز
بما ذكر من نعوته التي يمتنع توهم اشتراك الغير في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو
الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية ● فمن يكفر بالطاغوت ● هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه
فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتذكير لارادة الالهة وهو راي سيبويه

وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يكفر بما تبين انه الباطل من موجب الحجج الواضحة والايات البينة ويكفر
بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى وصد عن عبادته تعالى لما تبين كونه بمعزل من استحقاق العبادة
● ويؤمن بالله ● وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد
وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية ● فقد استمسك بالعروة الوثقى
اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه ● لا انفصام لها ● الفصم الكسر من غير ابانة
كما ان القصم هو الكسر بابانة يدل على الانتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة
والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة
الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد من التمسك بالحبل
المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر
الصحيح المودي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيح للاستعارة الاولى ● والله سميع
بالاقوال ● عليم ● بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد ● الله
ولي الذين امنوا ● اي محبهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه ايمانهم في الجملة مالا او حالا ● يخرجهم ● تفسير للولاية او خبر
ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من ضمير في ولي ● من الظلمات ● التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض
مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بل بالقياس الى مراتبها العلوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان
كما ستعرفه ● الى النور ● الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة
التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال ● والذين كفروا ● اي الذين
ثبت في علمه تعالى كفرهم ● اولياؤهم الطاغوت ● اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان
والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم
الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا ● يخرجونهم ● بالوساوس
وغيرها من طرق الاضلال والاغواء ● من النور ● الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي
صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها ● الى الظلمات ● ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا
عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر والاخراج من حيث السببية الى الطاغوت ولا يقدح في استناده من حيث الخلق
الى قدرته سبحانه ● اولئك ● اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح ● اصحاب النار ● اي يلابسونها
ويلازمونها بسبب ما لهم من الجرائم ● هم فيها خالدون ● ماكثون ابدا ● الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ● استشهاد على ما ذكر
من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى
للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو
اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث
تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير الى مضمونه اجمالا بقوله تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته
علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فاظهروا التعجب منه وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
تشريف له وايذان بتاييده في المحاجة ● ان اتاه الله الملك ● اي لان اتاه اي ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله وضعا للمحاجة
التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لاني احسنت اليه او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله
الملك للكافر ● اذ قال ابراهيم ● ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الاخير ● ربي الذي يحيي ويميت ● بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه
عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الموت والحياة في الاجساد ● قال
استيناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال ● انا احيي واميت ● روي انه دعا برجلين فقتل
احدهما واطلق الاخر فقال ذلك ● قال ابراهيم ● استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة فماذا
اي فقيل قال ● فان الله ياتي بالشمس من المشرق ● حسبما يقتضيه مشيئته ● فات بها من المغرب ● ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى
ثم لما بعث عليه السلام الى مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي
في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس ● فبهت الذي كفر ● اي صار مبهوتا وقرئ بناء الفاعل على ان الموصول

تمثيل اى تقلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر فى حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا ● والله لا يهدى
القوم الظالمين ● تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى لا يهدى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية
الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيامة ● او كالذى مر على قرية ● استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين
وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على الواو الجامعة كى يتوهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية
كما اختاره قوم جى بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كانه قيل او ارايت مثل الذى مر واما زائدة كما ارتضاه آخرون
والمعنى او لم تر مثل الذى او الى الذى مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اى قد
رايت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب فى ان الله ولى الذين آمنوا هذا واما جعل الهمزة لمجرد التعجيب على ان يكون المعنى فى الاولى الم تنظر
الى الذى حاج اى انظر اليه وتعجب من امره وفى الثانى او ارايت مثل الذى مر اى انا بان حاله وما جرى عليه من الغرابة بحيث لا يرى
له مثل كما استمر عليه راى الجمهور فمخل بجزالة التنزيل وفخامة شانه الجليل فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع
وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدى وقيل ارميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله
بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع
وقيل هى دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبى هى دير سابر اباد وقال السدى هى دير سلما باد والاول هو الاظهر والاشهر روى ان بنى
اسرائيل لما بالغوا فى تعاطى الشر والفساد وجاوزوا فى الطغيان كل حد سلط الله عليهم بخت نصر البابلى فسار اليهم فى ست مائة الف راية
حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بنى اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا
مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى
منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فراه على اقطع مراى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل ● وهى خاوية على عروشها ● اى ساقطة
على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اى تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند
من يجوز الحال من النكرة مطلقا ● قال ● اى تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار اليأس عنها ● انى يحيى هذه الله ● وهى على ما ترى
من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناش من جهتها لا من جهة الفاعل وانى
نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيى واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء
والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ايدى سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذى هو علم فى البعد عن الوقوع عادة تهويلا
للخطب وتاكيدا للاستبعاد كانه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل ● بعد موتها ● وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد
ما تهالك على ابلغ وجه واكده اراه الله تعالى ابعد الامرين فى نفسه ثم فى غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة فى ازاحة ما عسى
يختلج فى خلده واما حمل الحياة على احياء اهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا
وعظاما مع كونه ادخل فى الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على انه لو تعلق ارادته تعالى باحيائهم لما تعلقت
بعمارتها واحيائها بالاهل كما سيحيط به خبرا ● فاماته الله ● اى البثه على الموت ● مائة عام ● روى انه لما دخل القرية ربط حماره وطاف
بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله فى منامه وهو شاب واما
حماره وبقية تينه او عنبه او عصيره عنده ثم عمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله
عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة الف عامل فجعلوا
يعمرونه واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم فى
الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ● ثم
بعثه ● وايثاره على احياه للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على البارى تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته
عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال ● قال ● استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال ● كم لبثت ●
ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشئونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين فى الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده
بالمرة ويطلع فى تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا
من غير تغير وكم منصوب على الظرفية مميزها محذوف اى كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودى
من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت ● قال لبثت يوما او بعض يوم ● قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا للمدة لجهله وما يقال
من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على وجه الاضراب
فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه لجزمهم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله ● قال ● استئناف كما سلف ● بل لبثت

مائة عام ● عطف على مقدر اى ما لبثت ذلك القدر بل لبثت هذا المقدار ● فانظر ● لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا ● الى طعامك وشرابك لم يتسنه ●
اى لم يتغير فى هذه المدة المتطاولة مع تداعيه للفساد روى انه وجد تينه او عنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى
لم يمسسهم سوء وانما افرد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده
قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لمادتها اما هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون
فقلبت نونه حرف علة كما فى تقضى البازى وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التى مرت عليه يعنى بل هو بحاله كانه
لم يلبث مائة عام وفى قراءة لم يسنه بادغام التاء فى السين ● وانظر الى حمارك ● كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين
لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ● ولنجعلك آية للناس ● عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق
الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق اى فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية
للناس الموجودين فى هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوى عنهم منذ احقاب من علم التوراة
كما سيأتى او متعلق بفعل مقدر بعده اى ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا وهو على التقديرين دليل على ما ذكر من البعث
المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر فى قوله تعالى ● وانظر الى العظام ● مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان
المامور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر من حيث تعتريها الحياة ومباديها والنظر الى عظام
الحمار لتشاهد كيفية الاحياء فى غيرك بعد ما شاهدت نفسه فى نفسك ● كيف ننشزها ● اى العظام البالية اى نرفع بعضها الى بعض ونردها
الى اماكنها من الجسد ونركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائى نلينها ونعظمها ولعل من ضم تحييتها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من
قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اى احياها لا معناه الحقيقى لقوله تعالى ● ثم نكسوها لحما ● اى نسترها به كما يستر الجسد باللباس
واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطى كما قاله الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اى وانظر
اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اى وانظر الى العظام كيف انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضى
الحكمة بيانه روى انه نودى ايتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمع فاجتمع كل جزء من اجزائها التى ذهب بها الطير والسباع وطارت بها
الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحلها والرأس بموضعها ثم الاعصاب
والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق ● فلما تبين له ● اى اتضح له ما دل عليه الامر بالنظر
اليه من كيفية الاحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور والتعبير عنه بالتبين للايذان بظهوره وتحققه واستغنائه عن الذكر
والاشعار بسرعته ووقوعه كما فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها
الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اى اتضح اتضاحا تاما ● قال اعلم ان الله على كل شئ ● من الاشياء التى من جملتها
ما شاهده فى نفسه وفى غيره من تعاجيب الآثار ● قدير ● لا يستعصى عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك
مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادى
واستعظاما للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اى فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير وقرئ تبين على صيغة المجهول
وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روى انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم
منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد
فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانى عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتنى الله مائة عام ثم بعثنى قالت ان عزيرا
كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لى يرد على بصرى حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومى باذن
الله فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم فى انديتهم وكان
فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فانى بدعائه
رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد
كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرأ التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ منهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم
عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت نصر حدثنى ابى عن جدى انه دفن
التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان اريتمونى كرم جدى اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم
عزير عن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هذا ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ● واذ قال ابراهيم ● دليل آخر على ولايته
تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كالذى قبله بان يقال او كالذى قال رب لجريان
ذكره عليه السلام فى اثناء المحاجة ولانه لا دخل للمستشهد عليه السلام فى اصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه

بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف متعلق بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء
اي واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله تعالى لتقف على ما لهم من ولايته تعالى وهدايته والظرف منتصب
بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي واذكروا وقت قوله او توجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون
ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع
فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية
او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا ● رب ● كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة ● ارني ● من الرؤية البصرية
المعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما تعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا
● كيف تحيي الموتى ● بان تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيها
تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام
هاهنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما سأله ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا
على اطمئنان واما ما قيل لان نمرود لما قال انا احيي واميت قال له ابراهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى برد الارواح الى الاجساد
فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان ● قال ●
استئناف كامر غير مرة ● اولم تؤمن ● عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحياء كيف اشاء حتى تسألني اراءته ● قال ●
صلى الله عليه وسلم
استئناف علم بانه اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين ● قال ● بلى ● علمت
وآمنت بانك قادر على الاحياء كيف تشاء ● ولكن ● سألت ما سألت ● ليطمئن قلبي ● بمضامة العيان الى الايمان والايقان
وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة ● قال فخذ ● الفاء جواب شرط محذوف اي ان اردت ذلك فخذ ● اربعة من الطير ●
قيل هو اسم جمع كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة
بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير
بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك ● فصرهن ● من صاره يصوره
اي امله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره
اذا جمعه فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن ● اليك ● لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها لم ينتقل
من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك
رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله سبحانه وتعالى ● ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ● اي جزئهن وفرق اجزاءهن
على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا
بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف ● ثم ادعهن ● يأتينك ● في حيز الجزم على انه جواب
الامر لكنه بني لاتصاله بنون جمع الاناث ● سعيا ● اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية امره
تعالى من غير تعرض لامتثاله صلى الله عليه وسلم ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته سبحانه وتعالى كما روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة
الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها
عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل الجليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن
الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى ما سأله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما
السلام ● واعلم ان الله عزيز ● غالب على امره لا يعجزه شيء عما يريده ● حكيم ● ذو حكمة بالغة في افعاله فليس بناء افعاله على الاسباب
العادية لعجزه عن ايجادها بطريق خرق العادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح ● مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ●
اي في وجوه الخيرات من النفل والواجب كمثل حبة لا بد من تقدير المضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر
حبة ● انبتت سبع سنابل ● اي اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة
والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف
كانها حاضرة بين يدي الناظر ● والله يضاعف ● تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى ● لمن يشاء ● ان يضاعف له بفضله
على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب ● والله واسع ● لا يضيق عليه ما يتفضل
به من الزيادة ● عليم ● بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه ● الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ● جملة

مبتدأ اخرج بيانا لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ● ثم لا يتبعون ما انفقوا ● اي ما انفقوه او انفاقهم
● منا ولا اذى ● المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه
عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في
عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين اتى النبي صلى
الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم ولم يكن خطر ببالهما شيء من المن والاذى ● لهم اجرهم ● اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ
صدقة ولم يكن
وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله ● عند ربهم ● من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء
المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح
بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ● ولا خوف
عليهم ● في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ● ولا هم يحزنون ● لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم
ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية
استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته استقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام ● قول معروف ● اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء ● ومغفرة ● اي ستر لما وقع من السائل من الالحاح
في المسألة وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او
بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول ● خير ● اي للسائل ● من صدقة يتبعها اذى ● لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص
الاولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد
الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في
الجملة مع بطلانها بالمرة ● والله غني ● لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى ● حليم ● لا يعاجل اصحاب
المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبله مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل
قطعا ● يا ايها الذين آمنوا ● اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي ● لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى ● اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما ● كالذي ● في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال
الذي ينفق ماله رئاء الناس ● واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق اي الذي يبطل انفاقه بالرياء
وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد
به المنافق لقوله تعالى ● ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ● حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا ● فمثله ● الفاء لربط ما بعدها بما قبلها ● اي فمثل المرائي
في الانفاق وحالته العجيبة ● كمثل صفوان ● اي حجر املس ● عليه تراب ● اي شيء يسير منه ● فاصابه وابل ● اي مطر عظيم القطر ● فتركه صلدا ● اي
املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا ● لا يقدرون على شيء مما كسبوا ● لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا لقوله تعالى فجعلناه هباء
منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم
اصحاب المن والاذى كذلك والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او
الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ ● والله لا يهدي القوم الكافرين ● الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر
لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوا عنها ● ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله ● اي لطلب رضاه ● وتثبيتا من انفسهم ● وليثبتوا بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم
هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله
وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم
ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة ● كمثل جنة بربوة ● الربوة
بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه
البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها
من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة ● اصابها وابل ● مطر عظيم القطر ● فآتت اكلها ● ثمرتها وقرئ بسكون الكاف
تخفيفا ● ضعفين ● اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابه من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال

ونصبه على الحال من اكلها اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فطل يكفيها لجودتها وكرمها نباتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير
القطرة وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز
ان يعتبر التمثيل من حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير والقليل فكما ان كل
واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى
والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الريا ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل
استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما في اضرب اى لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار
وما يتبعها من الاحراق ان تكون له جنة من نخيل واعناب اى كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين
الجامعين لفنون المنافع والباقي من الاشجار مستتبعات على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عيني
في غربي مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ على الاول لابد من تقدير
مضاف اى من تحت اشجارها وكذا الامر من جعل اسناد الاحراق اليها باعتبار ما فيها مجازا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل
واعناب كذلك او في محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اى صفة
للمبتدأ قائمة مقامه اى رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما
هو الكثيرة كما في قوله تعالى واوتيت من كل شئ واصابه الكبر اى كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها كما لا العجز عن تدارك اسباب المعاش
والواو حالية اى وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية ضعفا لا يقدرون على الكسب
وترتيب مبادي المعاش فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السما على هيئة العمود فيه
نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها
يوم القيامة عند كمال حاجته اليها ثوابها هباء منثورا في التحسر والتاسف عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اى
مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها
من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا
من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب
والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل بمعنى القصد اى
لا تقصدوا الخبيث اى الرديء الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا يذكر موصوفها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير
للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اى مختصا به الانفاق وايا ما كان
فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف
التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله كانه في الجلد
توليع البهق او للثاني وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اى لا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما
كسبتم ومما اخرجنا لكم او ومما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اى منفقون والحال انكم
لا تاخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم فيه وهو مجاز
عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيها
او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استانف فقيل على طريقة
التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه وما له الا الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الخ واعلموا
ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطا الخبيث وايذان
بان ذلك من اثار الجهل بشانه تعالى فان اعطا مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الاخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد
مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر
مترتبا على شئ من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اى يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان
عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والتعبير عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجي الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار وتحقيق مجيئه كانه
نزله في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة حسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون
وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء اى الدنية ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور على فعل المامور به
والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات والله

يعدكم اى في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي افادها تنكيرها
اى مغفرة اى مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى ما تعلموا ابتغاء من الله وفضل ونظائره اى وفضلا
كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الاخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم
به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال
للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة هي القران والعلوم والفقه وروي عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن
ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشيا وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشيا وقيل هي الاقدام على الفعل الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسير في
القران باربعة اوجه تارة بمواعظ القران واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلوم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم
الاحكام المبينة في تضاعيف الايات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعمل والعلم بها اى يبينها ويوفق للعلم
والعمل بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه في ضمن الاي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلاح
ما نفعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول لتقديم المفعول الثاني للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها
ومن يؤت الحكمة على بنا المفعول وقرئ على البنا للفاعل اى من يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتنا بشانها وللاشعار
بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اى اى خير كثير فانه قد حاز خير الدارين وما يذكر اى وما يتعظ بما اوتي من الحكمة او وما يتفكر فيها
الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان
الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال واما اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر
بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اى وما انفقتموه من نفقة اى نفقة كانت في حق او
باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اى نذر كان في طاعة او معصية
بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصلاة والصيام ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في
الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا احتيج الى
التاويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المتقدم واخرى رعاية للاول كما في قوله عز وجل واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الاية وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويل
بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ونحوهما مما عطف عليه بالواو والجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى
ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر
ففيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او منع الصدقات وعدم الوفا بالنذور او بانفاق
الخبيث او بالريا والمن والاذى ونحو ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي حقه ان يوضع فيه من
انصار اى اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا بشفاعة ولا بمدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير
من انصار والجملة استئنافية مقررة لمضمون ما قبله من الوعيد منبه لفظاعة حال من يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان
تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا
ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وفتح العين وقرئ بكسر النون واخفا حركة العين
وهذا في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفا افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اى تعطوها خفية اى
تعطوها وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقرا مع انه واجب في الابدا ايضا لما ان الاخفا مظنة الالتباس والاشتباه فان
الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اى فالاخفا خير لكم من الابدا وهذا في التطوع
ومن يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين
ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اى والله يكفر او الاخفا ومن تبعيضية
اى شيئا من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على راى الاخفش وقرئ بالنون مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا معطوفا
على محل ما بعد الفا او على انه خبر مبتدا محذوف اى ونحن نكفر او على انه جملة مبتداة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفا وما بعده لانه جواب
الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان
بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي
اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة

جي بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة
في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية
وقيل لما كثر فقرا المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس
عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقرا المشركين بل فيه تلوين
فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى الخطاب للمكلفين لزيادة ترغيبهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب
بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شي تنفقوا كاين من المال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه
ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقرا حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقرا المشركين وما
تنفقون الا ابتغا وجه الله استثنا من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشي من الاشيا الا لابتغا وجه الله او ليست في حال من
الاحوال الا حال ابتغا وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا
من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه
واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما خلفه وهو من نتايج دعايه عليه السلام بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك
تلفا وقيل حجت اسما بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقرابتهم
من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت
وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيا مما وعدتم من الثواب المضاعف
او من الخلف للفقرا متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل عز وجل في تسع ايات الى من ترغبون اي اعمدوا للفقرا او اجعلوا ما تنفقونه للفقرا
او صدقاتكم الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة
وهم اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعماية من فقرا المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم
والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسالة
تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن
له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسالون الناس الحافا اي الحاحا من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
والمعنى لا يسالونهم شيا وان سالوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره اي
لا منار ولا اهتدا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزا فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هولا الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شان الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم
يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان
بمزية الاخفا على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفا للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون
الربا اي ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار
او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلاة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي
من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استوا كخبط العشوا من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله
ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوموا او بيتخبط فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون
تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة
المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضايهما الى الربح فاستحلوه
استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق
بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضايع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربا
انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية

لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجي الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ واتبع النهي فله ما سلف
اي ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتدا ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف
على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهايه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد
الى تحليل الربوا فاوليك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما ويربي المال الذي اخرجت منه الصدقة روي
عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب
اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله
وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال
الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدا وخبر واقعة خبر لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله
عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه
ات ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا
بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مومنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه
ثقة بما قبله اي ان كنتم مومنين فاتقوه وذروا الخ روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان
لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقا وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها
من اذن بالشي اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فاذنوا اي فاعلموا بها غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مويد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها موكدة لفخامتها اي بنوع
من الحرب عظيم لا يقادر قدره كاين من عند الله تعالى ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم
من الارتبا مع الايمان بحرمته بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رووس اموالكم تاخذونها كلا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة
والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله
اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم
مرتدون ومالهم المكسوب في حال الردة في للمسلمين عند ابي حنيفة رضي الله عنه وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم
ولا شي لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رووسهم فكيف برووس اموالهم والا فكذلك عند
ابن عباس رضي الله عنه فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات
اصلا فان لم يتوبوا لم يسلم لهم شي من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من غرمايكم ذو عسرة على ان كان
تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة اي فعليكم نظرة وهي الانتظار والامهال وقرئ فناظره اي فالمستحق ناظره
اي منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين
وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بحذف
احدى التايين وقرئ بتشديد الصاد اي وان تتصدقوا على معسري غرمايكم بالابرا خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة
ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برووس اموالهم كلا او بعضا على غرمايهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد
بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي
ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيامة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقا به للمبالغة في التحذير عما فيه من
الشدايد والاهوال ترجعون فيه على البنا للمفعول من الرجع وقرئ على البنا للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالتا على
طريق الالتفات وقرئ تردون وقرئ تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي
تعطى كملا ما كسبت اي جزا ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس لعدم ان المعاقبين وان كان تعذيبهم مويدا غير مظلومين
في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزا كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنه انها اخر اية نزل بها جبريل
عليه السلام وقال ضعها في راس الماتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل
احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف

المعاوضات الجارية فيما بينهم بيع التسليم بالنقود فيعد مثال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامل نسيئة معطيا او اخذا وفائدة
ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب
المتصل بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام والاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة
لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله
عنه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها
اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما للتعيين او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب
ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلاميهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن
بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه دين حتى يجي كتابه موثوقا به معدلا بالشرع وجوز ان يكون حالا من الفاعل اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق
ولا ياب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى
بالعدل ولا يابى ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة
المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق الاملال لغة في الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه
جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق الذي عليه
على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما
وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان
الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف
والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع
للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل
اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين
اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا
ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات
الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر
عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب اخر من الاسباب فرجل
وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند
الشافعي رضي الله عنه ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامراتان اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور
مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل
بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المراتين وبين تعليله
وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين بعض الشهداء لعلمكم
بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد
في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل
لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى
لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحدهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ
فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
او التحمل وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحوا العظيم فيه القوم فلا
يتبعه منهم احد فنزلت ولا تساموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي
هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا
او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا
في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله

اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط بمعنى
ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله
وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت تبايعكم او تجارتكم تجارة حاضرة
بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح الا تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان
وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا
لانه احوط والاوامر الواردة في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
نهي عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرا ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتابة
والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه
نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم
واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله
بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه
على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاول حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر
اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به
وفعليكم او فليوخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك
لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام
التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توفقا واعوازا والجمهور على وجوب
القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم
بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي امنه الناس ووصفوه
بالامانة فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المدين وانما عبر عنه بذلك
العنوان لتعيينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن
بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطا لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق
الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة اي ايها الشهود
او المديونون اي ولا تكتموا الشهادة على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبران وقلبه مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ياثم قلبه او مرتفع بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبران واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة
الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان
فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنه ان اكبر الكباير الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور
وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اي جعله اثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به
من خير فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما
من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم
من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه لاحد الوجهين ولا يندرج
فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله
يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم
الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلان المعلق بما في انفسهم هنا
هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال
عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدو الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس
فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء
ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزمهما

الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظير جزم الجزاء على البدلية من الشرط في قوله متى تاتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغم ابو عمرو الراء في اللام لحن ﴿والله على كل شيء قدير﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى
على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب ﴿آمن الرسول﴾ لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة
ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها
الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرة الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم
بها اذ ليس فيما ذكر من حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من
فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار الامم الخالية وغير ذلك مما لا تقتضيه الحكمة بين وجه ونبه على انهم المتصفون بها
وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره
هنالك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب المشهود له ولم يتعرض هنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من
جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الاتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى ﴿بما انزل اليه﴾ ومزيد
توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه لغيره تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله
عليه وسلم وتعيين لعنوانه اي آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه ﴿من ربه﴾ ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام
والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو
ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل
اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم ﴿والمؤمنون﴾ اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام
عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل ﴿كل﴾ مبتدأ ثان وقوله تعالى ﴿آمن﴾ خبره
والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان
ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار
بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما مختلفان
من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الاتي من نوع خفاء محوج
الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم آمن ﴿بالله﴾ وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية ﴿وملائكته﴾ اي من حيث
انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات
ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم ﴿وكتبه ورسله﴾ اي من حيث مجيئهما
من عند الله تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل
منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الاية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك
الكتاب وذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول عليه السلام ومستند اليه لما نطق به من الاية
الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام
كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام
هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيامة وانما لم يذكر هنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب
كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق وبينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس
والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا
بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور
المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه
السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من
الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب

واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة اليه في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره
الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين
معا كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه
تقدم المؤمنين بدخل المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال
اجلال شأنه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم
من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حمل على ما يليق بشان احاد الامة
كان ذلك حطا لرتبته العلية عليه السلام وان حملا على ما يليق بكل واحد ممن نسب اليه من الاحاد ذاتا وتعلقا بان يحمل بالنسبة
الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى احاد الامة على الايمان المكتسب من جهته
عليه السلام اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى ﴿لا نفرق
بين احد من رسله﴾ في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه
خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيد به ايمانهم
تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقل اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام
ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم تحقيقا للحكم بما كفروا من رسالته عليه السلام بالطريق رموا نفيهم لهم فيما آمنوا به وهكذا
كما ترى صريح في ان القائلين في احاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقولوا لا نفرق بين احد من رسله
وهو يريد اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما
لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد
الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبران لكل كما قيل في القول
المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند
قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال
بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج
الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة ﴿وقالوا﴾
عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم ﴿سمعنا﴾ اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته
﴿واطعنا﴾ ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك ﴿غفرانك ربنا﴾ اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك
ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعات حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول
ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار ﴿واليك المصير﴾ اي الرجوع بالموت والبعث
لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ جملة مستقلة
جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد
السؤال كما سيجيء وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد
انزل اليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا
بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك
ربنا واليك المصير فسرهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله تعالى فيغفر لمن يشاء فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب
عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة
والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة
والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع
التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال
بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاته منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به
مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واختصاص مضرته به من اشد الزواجر عن مباشرته
اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على

عزمها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعمال ما تشتهيه
النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ● ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ● شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي
لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطا من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما
من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ مؤد الى الهلاك
فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله
ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم
بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ● ربنا ولا تحمل علينا
اصرا ● عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد
التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمّل بالتشديد للمبالغة
● كما حملته على الذين من قبلنا ● في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة
لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة
في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم
قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شأنهم
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون
من المسخ والخسف والمسح والغرق ● ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ● عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء
عما يؤدي اليها من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا
في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع
مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد
هاهنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني ● واعف عنا ● اي امح آثار ذنوبنا ● واغفر لنا ● واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد ● وارحمنا ●
وتعطف وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية ● انت مولانا ● سيدنا ونحن عبيدك
او ناصرنا او متولي امورنا ● فانصرنا على القوم الكافرين ● فان من حق المولى ان ينصر عبيده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه
اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسبما امروا في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما
دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام
من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول
سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط
القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة

سورة آل عمران مائتا آية مدنية

● الم الله لا اله الا هو ● قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين
الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز
على الوقف سواء جعلت اسما او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة
ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت
على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حكما في حكم الثابت المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم
الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء الساكنين التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد
سقوط همزتها واعتبر بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات
الهمزة على حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وصفا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل وحركة
اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلتها مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها
اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ ونحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل

القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منهما لان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فالاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة
مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله تعالى ● الحي القيوم ● خبر آخر له والمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ
او بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على اختصاص
استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال الحي القيوم وروي ان عيسى عليه
السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا
رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة
عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم السيد
واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه
لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا
بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال
كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة
واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير
وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك فقال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم
يكن ولدا لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى
من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى
من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى عليه السلام في الرحم كيف شاء وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث
قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام
ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة
الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون ● نزل عليك الكتاب ● اي القرآن
عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به
التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ
نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل عليك الكتاب من عنده
● بالحق ● حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها
خبر التوحيد وما يليه في وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة ● مصدقا ● حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير
كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف والابدالية حال من محل الحال الاولى
على البدلية وقيل من المكن في الجار والمجرور ولا تدخل تحت ضمير القيامة فيها وعامله المتمم له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة
وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتاب على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه
حتما ● لما بين يديه ● مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة
وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه
الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف
باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع المختلفة باختلافهما من حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه

الحكمة الشرعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾
تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب
قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما
السلام وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبراني والثاني سرياني ويعضده القراءة
بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الورى والنجل تعسف ﴿من قبل﴾ متعلق بانزل
اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان ﴿هدى للناس﴾ في حيز النصب على العلة للانزال اي انزلهما
لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هاديين لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف
اي ذوي هدى وتشترك ارادة هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد
هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقهما القران فيها ومن
جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة ﴿وأنزل الفرقان﴾ في الاصل مصدر كالغفران اطلق على
الفاعل مبالغة والمراد به هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض
مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة وابا واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم
يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا
والذين معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ والرابعة اما فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد
الزاجرة عن الشر والفساد والباطل والعناد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا للعزة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام
والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القران نفسه فذكر بنعت مادح له بعدما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وتكرير او لا
تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه
واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل ﴿ان الذين كفروا بآيات الله﴾ وضع موضع الضمير
العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا
لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها
والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا
بما ذكر من آيات الله تعالى الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه سبحانه وتعالى عما لا يليق بشأنه الجليل كلا او بعضا مع ما بها
من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقران اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه
حتما واسالة ايضا بان كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القران ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وغيروها ﴿لهم﴾ بسبب كفرهم ﴿عذاب﴾ مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم
والتعظيم اي عذاب ﴿شديد﴾ لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق
بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الطغيان والكفر والعصيان ﴿والله عزيز﴾ لا يغالب
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ذو انتقام﴾ عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا
عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ﴿ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء﴾ استئناف كلام
سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال
قدرته وعزته تمهيدا لما يتلوه من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات
الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء﴾
ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شأنه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه
من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف
وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق
الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر عن كل العالم بهما لانهما قطراته وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء
بشأن احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت
بالنسبة الى علومنا ﴿هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء﴾ جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى
وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء

قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة
بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم
اي يصوركم كائنا على مشيئته تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة
من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة والى الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك
من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة هذه المواسير المتقلبين في هذه الاطوار على
مشيئة البارئ عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته ﴿لا اله
الا هو﴾ اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الصورة العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته ﴿العزيز الحكيم﴾ المتناهي في القدرة والحكمة
ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع ﴿هو الذي انزل عليك الكتاب﴾ شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القران في نعت عيسى
عليه السلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى بادرة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته
تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا
فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم
عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه
لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشأن بشارته بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم
لا سيما عند الاشعار برفعة شأنه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه ﴿منه
آيات﴾ الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني
ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستانفة او في حيز النصب
على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية
﴿محكمات﴾ صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه ﴿هن ام الكتاب﴾ اي اصل
فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما
عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل
بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض
واما جلدها فصليب اي واما جلودها ﴿واخر﴾ نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول من الاخر ومن آخر ﴿متشابهات﴾ صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في
استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالمتشابهة في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة
وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها
وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من
تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها
من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها
وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل
او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها
معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول ﴿فاما الذين في قلوبهم زيغ﴾ اي ميل عن الحق
الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم
على الشر والفساد ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان
بكونه من عند الله تعالى بل ﴿ابتغاء الفتنة﴾ اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد
﴿وابتغاء تاويله﴾ اي وطلب ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله تعالى ﴿وما
يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم﴾ فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص
به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء
تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شيء وانما يبتغونه وليس بحاصل
اصلا لانه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله من المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة

وجوامع الاعداد لعدد الربانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره والدليل على ما هو المراد به ● يقولون آمنا به ● اى بالمتشابه وعدم التعرض
بالحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين وعلى الثانى خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى ●
كل من عند ربنا ● من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اى كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما
او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشى
الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال
ويجئ الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ● ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا من تمام مقالة
الراسخين اى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء
اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ● بعد اذ هديتنا ● اى الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين
وبعد نصب بلا تزغ على الظرفية واذ فى محل الجر باضافته اليه خارج عن الظرفية او بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان ● وهب لنا
من لدنك ● كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثانى بمحذوف هو حال من المفعول اى كائنة من لدنك ومن لابتداء
الغاية المجازية ولدن فى الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد
يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم خصهما بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما فى قوله تنتفض الرعدة فى ظهيرى من لدن الظهر الى العصير
ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى أن وصلتها كما فى قوله وليت فلم تقطع لدن ان وليتنا
قرابة ذى رحم ولا حق مسلم اى من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما فى قوله تذكر نعماه لدن انت يافع ● والى الجملة
الفعلية ايضا كما فى قوله ● لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم ● فلا يك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو من كلمة من كما فى البيتين الاخيرين ● رحمة ●
واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا ورد لها تمكن
عندها فضل تمكن ● انك انت الوهاب ● تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول وانت اما مبتدأ او فصل او تأكيد لاسم ان واطلاق الوهاب
ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شئ ● ربنا انك
جامع الناس ليوم ● اى لحساب يوم او لجزاء يوم فحذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه ● لا ريب فيه ●
اى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتأكيد
لاظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ● ان الله لا يخلف الميعاد ● تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء
الريب والتأكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما فى
آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتى وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان تكون الجملة
مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم
العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ● ان الذين كفروا ● اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب
الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع فى بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل
لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب ● لن تغنى عنهم ● اى لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون
الياء جدا فى استثقال الحركة على حروف اللين ● اموالهم ● التى يبذلونها فى جلب المنافع ودفع المضار ● ولا اولادهم ● الذين بهم يتناصرون
فى الامور المهمة وعليهم يعولون فى الخطوب الملمة وتأخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفى بينهما اما لعراقة الاولاد فى كشف الكروب
اولان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب ● من الله ● من عذابه تعالى ● شيئا ● اى شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى
البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما فى قوله تعالى ان الظن لا يغنى من الحق شيئا اى بدل الحق ومنه قوله ● ولا ينفع ذا الجد
منك الجد اى لا ينفعه جده بدلك اى بدل رحمتك كما فى قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان
احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو اللائق بتفظيع حال الكفرة
وتهويل امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى ● واولئك هم وقود النار ● ومن قوله فأخذهم الله اى اولئك المتصفون بالكفر
حطب النار وحصبها التى تسعر بهم فان اريد بيان حالهم عند التسعر فايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فللايذان
ان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم فى الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ابتلائهم
بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستأنفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها
تعيين للعذاب الذى بين ان اموالهم واولادهم لا تغنى عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اى اهل وقودها

كدأب آل فرعون ● الدأب مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف وقد جوز النصب بلن تغنى او بالوقود اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم والاخبار المذكورة تفسير
للدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأى المجوز والايقاد للنار كما هو فحمل على التعليل
وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبى على تقدير النصب بلن تغنى وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان
يجعل استئنافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اى دأب هؤلاء فى الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون
● والذين من قبلهم ● اى من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول فى محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى ● كذبوا بآياتنا ● بيان وتفسير
لدأبهم الذى فعلوا على طريقة الاستئناف المبنى على السؤال كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى ● فأخذهم الله ●
تفسير لدأبهم الذى فعل بهم اى فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل
فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اى دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم
الكريم والالتفات الى التكلم اولا للجرى على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا لاظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة ● بذنوبهم ●
ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جئ بها تأكيدا لما تفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم
فالباء للملابسة جئ بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخرى اى فأخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما فى قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم
كافرون والذنب فى الاصل التلو والتابع وسمى الجريمة ذنبا لانها تتلو اى تتبع عقابها فاعلها ● والله شديد العقاب ● تذييل مقرر
لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له ● قل للذين كفروا ● المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان يهود المدينة
لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبى الامى الذى بشرنا به موسى وفى التورية
نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة
جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم
فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اى قل لهم ● ستغلبون ● البتة عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل
بنى قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روى عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر
وان الموصول عبارة عن مشركى مكة وانه قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد
فيأباه انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر ● وتحشرون ● اى فى الآخرة ● الى جهنم ● وقرئ الفعلان بالياء على انه
عليه السلام امر بان يحكى لهم ما اخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كأنه قيل ادّ اليهم هذا القول ● وبئس المهاد ● اما من تمام ما يقال
لهم او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم ● قد كان لكم ●
جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به جئ به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة
وللتوسط بينها وبين اسمها ترك التأنيث كما فى قوله ان امرأ غره منكن واحدة ● بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور وكان التأنيث هنا
غير حقيقى او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى والله قد كان لكم ايها
المغترون بعددهم وعددهم ● آية ● عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون ● فى فئتين ● اى فرقتين او جماعتين فان المغلوبة
منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لحقها ما لحقها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية
كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية ● التقتا ● فى حيز الجر على انه صفة فئتين اى تلاقتا بالقتال يوم بدر ● فئة ● بالرفع
خبر مبتدأ محذوف اى احداهما كما فى قوله اذا مت كان الناس صنفان شامت واخر مثن بالذى كنت اصنع ● اى احدهما شامت واخر مثن وقوله حتى اذا
ما استقل النجم فى غلس وغودر البقل ملوى ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما فى الفئتين من الآية وقوله تعالى
● تقاتل فى سبيل الله ● فى محل الرفع على انه صفة فئة كأنه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم
واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار فى تحقق الآية وهى دولة القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفريق
● واخرى ● نعت لمبتدأ محذوف على ما حذف من الجملة الاولى اى وفئة اخرى وانما نكرتا والقياس تعريفهما كما قيل لهما لوضوح ان التفريق
للنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى ● كافرة ● خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل
صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل
كل من المتعاطفين بدل من الضمير فى التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصفه لبدل الجملة العائد

من ضمير اى فيه منهما فئة تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبرا اى فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى
كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اى منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل البعض من كل وقد مر انه لا بد من ضمير
عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما فى قول كثير عزة وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة الخ
بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود
بالذكر وصفاهما كما فى قولك جاءنى زيد رجلا صالحا يرونهم اى يرى الفئة الاخرى الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية
لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة فى محل الرفع على انها صفة للفئة الاخرى او مستأنفة مبينة لكيفية الاية مثليهم اى مثلى عدد
الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان
فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابى الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا
من المسلمين فسألوه كم كنتم قال كنا ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلى عدد المرئيين اى ستمائة ونيفا وعشرين
حيث كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من المهاجرين سبعة وسبعون ومن الانصار مائتان وستة وثلاثون رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنه وكان
فى العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابى مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ منهم
من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله عز وجل عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم
ويجبنوا عن قتالهم مددا منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم فى اعينهم عند
تراءيهما ليجترءوا عليهم ولا يهربوا اولا لا مرحين بتجنبهم الحرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخرى مثلى انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليثبتوا
ويطمئنوا بالنصر الموعود فى قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين
بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم
يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى ايضا فى اعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا اقل من انفسهم
قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم
كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم فى نفس الامر كما فى سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر
فى مقام الاية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب فى قلوبهم
بسبب ذلك ادخل فى كونها اية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل
بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا اسوا وجعل الجملة صفة او مستأنفة اولى من
العكس هذا ما تقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغى جعل الخطاب لمشركى مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر
كما هو جوابه نظام الامر به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التى شاهدت تلك الاية الهائلة هم المخاطبون ح فالتعبير
عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليهم مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع فى الزام الحجة وادخل فى التبكيت
مما لا داعى اليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها ان اقتضى توجيه الخطاب لمشركى المشركين
لكنه ليس بنص فى ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد
فى الكفر والاتفاق فى الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة فى البيان
وتحقيقا للعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد الكثرة ولا ريب فى صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول
من الاراءة اى يريهم او يريكم الله تعالى كذلك راى العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كانت الرؤية بصرية او مصدر تشبيهى ان كانت قلبية
اى رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اى يقوى بنصره من يشاء ان يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية
كما ايد الفئة المقاتلة فى سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة
لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكى السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل لعبرة العبرة فعلة
من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اى لعبرة عظيمة كائنة لاولى الابصار
لذوى العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهذا اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا
لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه
رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس
الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة فى كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم فى حبها

بحيث احبوا شهواتها كما فى قوله تعالى انى احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو البارى سبحانه
وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعى والحكمة فى ذلك الابتلاء قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية فانها
ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء
وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائى بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى
وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين فى محل النصب على انه حال من الشهوات وهى مفسرة لها فى المعنى وقيل من لبيان الجنس
وتقديم النساء على البنين لعراقتهن فى معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد حبهن والقناطير المقنطرة
جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا
وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الفا دينار وقيل ما بين الف ومائة رطل وقيل مائتا مثقال وقيل الف ومائة درهم وقيل دية النفس واصله
لان وزنه فعلال لا فنعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على
بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف على القناطير قيل هو جمع لا
واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اى المعلمة من السومة وهى العلامة
او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعى او المطهمة التامة الخلق والانعام اى الابل والبقر والغنم والحرث
اى الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اى ما ذكر من الاشياء المعدودة متاع الحياة الدنيا اى ما يتمتع به فى الحياة الدنيا اياما قلائل
فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفى تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدأ
واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد فى ملاذ الدنيا
وطيباتها الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم شروع فى تفصيل ما اجمل اولا من شان مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب جاء الامر للنبى صلى الله
عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة فى الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اى اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة
لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار
مع المجرور خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط فى ذلك اعتماد الجار على ما فصل فى محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى
والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب فى تحصيله والثبات عليه وعند نصب
على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات
بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان لغيرهم خيرا اخر لا تجرى فى محل الرفع او الجر صفة
لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق بتجرى فان اريد بالجنات نفس الاشجار فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها
مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن فى للذين والعامل ما فيه من معنى
الاستقرار وازواج مطهرة عطف على جنات اى منزهة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم
وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة اى رضوان واى رضوان لا يقادر قدره كائن
من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد
لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل
من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النصب على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد
كذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد معترضة وتأكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط فى ترتيب
الدعاء عليه فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته فى استحقاق المغفرة والوقاية من النار
الصابرين نصب على تقدير كون الموصول فى محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعنى واما على تقدير كونه فى محل النصب والجر فهو نعت له والمراد
بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين فى اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين
على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم فى سبيل الله والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبى اى المصلين
بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح فى جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما
يحيى الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون فى اول الليل
حتى اذا كان السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة ح اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما
للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه

بفتح الهمزة اى بانه او على انه **لا اله الا هو** اى بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية
الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء
شهد مجرى قال او باعتبار الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء لله
بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف واما ما له الرفع على المدح اى هم شهداء الله وهو اما جمع شهيد كظرفاء
في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر **والملائكة** عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازى شامل للاقرار والايمان بطريق
عموم المجاز اى اقروا بذلك **واولوا العلم** اى آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام
وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى
بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة
النصب على الحالية يؤدى الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولى العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف
لدلالة الكلام عليه اى والملائكة واولوا العلم شهدوا بذلك ولك ان تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا في حسن العطف على المستتر على كل حال
وقوله تعالى **قائما بالقسط** اى مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله
كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة
ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه
على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه
والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفى اى لا اله قائما الخ والفصل بينهما من قبيل ومعا
وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فلزم الفصل بينهما
كان الصفة او على انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط **لا اله الا هو** تكرير للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به
بعد اقامة الحجة وليجرى عليه قوله تعالى **العزيز الحكيم** فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى
ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روى في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة
فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروى عن
سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الاية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبى قدم
على النبى صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم
الذى يخرج في اخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا انا نسألك عن
شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الاية فاسلم الرجلان
ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشريعة
الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله للاسلام وقرئ ان الدين الخ على انه بدل
من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير
اليه **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب** نزلت في اليهود والنصارى حيث تركوا الاسلام الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وانكروا
نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتى ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والشناعة
وقوله تعالى **الا من بعد ما جاءهم العلم** استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اى وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا بعد ان علموا بانه الحق الذى لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامى حالهم
في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى **بغيا بينهم** اى حسدا كائنا بينهم وطلبا
للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع **ومن يكفر بآيات الله** اى باياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله تعالى هو الاسلام
ولم يعمل بمقتضاها او باية اية كانت من اياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا **فان الله سريع الحساب** قائم مقام جواب الشرط علة
له اى ومن يكفر باياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اى ياتى حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة
لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر باياته تعالى مزيد تشديد خصوصية حالهم من كونهم كفروا بعدما اتوا الكتاب
وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغى دلالة على كمال شدة عقابهم **فان حاجوك** اى في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد
ما اقمت عليهم الحجج **فقل اسلمت وجهى** اى اخلصت نفسى وقلبى وجملتى وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر
ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء **لله** لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه

عليهم

بلغ

الحجج ودعت اليه الايات والرسل عليهم السلام **ومن اتبعن** عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التاكيد بالمنفصل
اى واسلم من اتبعنى او مفعول معه **وقل للذين اوتوا الكتاب** اى من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفى
المتعاطفين **والاميين** اى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب **أأسلمتم** متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه
ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد وهذا كقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه
فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف
وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى **فان اسلموا** اى كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به حسما لاطلاق
اسم الاسلام على شيء اخر بالكلية **فقد اهتدوا** اى فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوى الضلال **وان تولوا** اى اعرضوا عن
الاتباع وقبول الاسلام **فانما عليك البلاغ** قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى
كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى
عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا **والله بصير بالعباد** عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد **ان الذين يكفرون بآيات
الله** اى باية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا اوليا **ويقتلون النبيين
بغير حق** هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول
قتل النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير
والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق **ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** اى بالعدل ولعل
تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا
يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا
من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا
من اخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين **فبشرهم بعذاب اليم** خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء
بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله تعالى
اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كما في قولك الشيطان فاحذره ومن جعل الاول استينافا واسم الاشارة مبتدأ وما
فيه من معنى البعد للدلالة على ترامى امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول مع ما في حيز صلته خبره اى اولئك المتصفون بتلك
الصفات القبيحة او المبتلون باسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقى لهم اللعنة
والخزى في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة **وما لهم من ناصرين** ينصرونهم من بأس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع
في مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار **الم تر** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته
اى الم تنظر **الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** اى التوراة على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام
التقريع بكون التوراة من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التوراة
والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير
عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التى يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير
لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم **يدعون الى كتاب الله** الذى اوتوا نصيبا منه وهو التوراة والاظهار في مقام الاضمار لايجاب
الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجب مبنى على سؤال نشأ من
صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى حال من الموصول **ليحكم بينهم** وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال
صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهم صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابوا
وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على البناء للمجهول فيكون
الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون **ثم يتولى فريق منهم** استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب
الرجوع اليه **وهم معرضون** اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم قوم
ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل **ذلك** اشارة الى ما مر من التولى والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بانهم**

او حاصل بسببها ثم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل وسببه
اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء يشفعون لنا
او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم
المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب
فيه اي في وقوعه وفي وقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان
بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه
وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة
عذاب او نقص ثواب بل يصيب كل منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم
الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء
ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيف ما يشاء ايجادا واعداما
واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان
لبعض وجوه التصرفات الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار
الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء
اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والاخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك
الاول عام والاخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين وتعز من تشاء اي في
الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة
بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا يقدر احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا
حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير
كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير فمتفضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه
فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام
واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه
يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء
قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني
وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن
من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب
قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القران على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى ترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد
قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته
على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتين من ال عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله
تعالى بغير حساب متعلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب يقلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرؤكن
احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين
حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد
اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله
عليه الصلاة والسلام كما تكونوا يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة

والمعاشرة

والمعاشرة كما في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون
حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين
اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم
اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار وللايماء الى استهجان بذكره فليس من الله اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية
فان ولايات المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى
الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم
اولياء ظاهرا وباطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع
المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه
السلام كن وسطا وامش جانبا واصله وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته
المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي
المتاخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه
دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم من الضمائر
التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء وقد
مر في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في
الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل
لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي
المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس اي من النفوس
المكلفة ما عملت من خير محضرا عند ربها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار
معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود
عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم
امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة
ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود حالا
من كل نفس او استئنافا مبنيا على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان سائلا
قال حين امروا بذكر ذلك اليوم ماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها او تجد مقصورا على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا يكون ما
شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم
الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤوف بالعباد من ان تحذيره
تعالى من رافته بهم ورحمته الواسعة او ان رافته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرافة بل
هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل
لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد
اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي
الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز
عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم
اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم
الجليل موضع المضمر للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت
في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا
من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام
وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسماعيل

عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله تعالى زلفى وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله
تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اذ اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم ● قل اطيعوا الله و
الرسول ● اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق
الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعليتها فان الاطاعة المأمور بها اطاعته عليه السلام من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا
ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها ● فان تولوا ● اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب حذف احد
التاءين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان
اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم ● فان الله لا يحب الكافرين ● نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم
وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعليته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة
كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ● ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ● لما بين الله عز وجل
ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط
باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم
الصلاة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما
عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته
العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وطاعته منزهون عن احتمال
الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا
لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما يأتي تفصيله
وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب
المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر
من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد
الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الآل لا تقرب ادعاء حقيته في الآل وهم الذين
الى اضافة الآل الى ابراهيم وفرضه نوح وآدم عليهما السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس
القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة بالرسالة وبنفس المصطفى كان كافة الرسل عليهم السلام
او فيمن يلابسه وينشأ منه كما في من ذكر وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه
الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزوج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة
دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم
واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام
الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آل الذي دعوته قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية وكذلك قال عليه السلام انا دعوة
ابراهيم وآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازار بن ابي هود بن زرب بابل بن شالتيان بن يوحنا بن اوشيا بن موزن بن منشك
بن حازقيا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشا بن عوبد بن سلمون
بن ياعز بن نحشون بن عمياذب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر
بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج في آل ابراهيم
عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام لانتظامهما في سلك آل ابراهيم عليه السلام
انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ● ذرية ● نصب على البدلية من الآلين
او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى ● بعضها من بعض ● في محل النصب على انه صفة الذرية اي
اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في
الدين فالاستمالة على الوجه الاول تعريضية وعلى الثاني برهانية ● والله سميع ● باقوال العباد ● عليم ● باعمالهم البادية والخافية
فيصطفي من يشاء من خلقه من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها
● اذ قالت امرأة عمران ● في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران كيفية اي اذكر لهم
وقت قولها وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية بما قبله

اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت فيكون من عطف الجمل
على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان كفالة زكريا عليه السلام
قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه
وسلم في شأن يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فتأويله ان الاخت كثيرا ما يطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا ابني الخالة
ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح
الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا
فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل ● رب اني نذرت لك
ما في بطني ● لا بد من حمله على التكرير لتأكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن
افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه
من اسمائه وصفاته وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به والتعبير عن الولد بما لابهام امره وقصوره
عن درجة العقلاء ● محررا ● اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه
نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به
التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها ● فتقبل مني ● اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا
في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى ● انك انت السميع ● لجميع المسموعات
التي من جملتها تضرعي ودعائي ● العليم ● بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى
سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا
وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية
مبالغة في الضراعة والابتهال ● فلما وضعتها ● اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز
الشرط اذ عليه يترتب جوابه اعني قوله تعالى ● قالت رب اني وضعتها انثى ● لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتا قالت
الخ وقيل تأنيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة واستخبر بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز
الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة
الرجاء او لما مر من التأويل بالحبلة او النسمة فالحال مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا
ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل ● والله اعلم بما وضعت ● تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه
وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية
وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ وضعت
على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود
لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات
ظاهر وقوله تعالى ● وليس الذكر كالانثى ● اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد
اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها
لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كالانثى التي وهبت
لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول
فمعناها تأكيدا لاعتذارها ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس
وقوله تعالى ● واني سميتها مريم ● عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم
في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهاره وانها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة
بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه ● واني اعيذها بك ● عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها
بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف واتوني افرغ ● وذريتها ● عطف
على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به ● من الشيطان الرجيم ● اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة

من النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع
في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ مريم ورضي بها
في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة
والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال
الرضى وموافقته للعناية الزائدة فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان
كان المراد به في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد
وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة
روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم
دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها
وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي
قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول
حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل
مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها او ضامنا لمصالحها قائما بتدبير
امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور
الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكريا ممدودا
وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعا اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها
ثم بعيان جهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب
كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلما ظرف على ان ما مصدرية
والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيه جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل
عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل لها ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتا وفي الشتا
فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة
هذه الآية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اي من اين يجيء لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو
دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه
السلام فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة
من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استئناف كما قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال
ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اي بغير
تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز
وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهرى رضي الله تعالى عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها
فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجمع اهل بيته
فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم
لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء
ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم
في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها
منه تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولدها في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة
كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها نبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعا من غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم
الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك هو الموجب للاقبال على الدعا فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها

كبيرته عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسيرا للدعا وبيانا لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك
كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة
كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من لدنك بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد
هنا ولد واحد فالتانيث في الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال وهذا اذا
لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ايقاع جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعا اي
مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل
والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبريل
عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة
وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعا وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم او خبر
ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية
او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى في المحراب اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضميره
لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم على تقدير البدلية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر
الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي وايا ما كان فينبغي ان يكون هذا الكلام الخ
محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه السلام
في الجواب الى قوله تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبريا كما في قوله
خليفة امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي هنالك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية
منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن
الفعل كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال
القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف نحو ولادة الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة
من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام
عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ
وقال ابن عباس رضي الله عنه ان يحيى كان اكبر من عيسى عليه السلام بستة اشهر وكلمت بثلاث سنين وقيل قتل قبل رفع عيسى عليهما السلام بمدة يسيرة
وعلى كل تقدير يكون بين ولادة عيسى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت وهي بنت ثلاث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله
اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس
كافة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فياله من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات
مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة
من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبيا عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة
لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبني دعا سليمان عليه السلام
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب
الملك المنادي له مع انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة
وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر
عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها انى يكون لي غلام فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير
كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل الصريح
لما مر من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة
له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال
من يا المتكلم اي ادركني كبر السن واثر في كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان
لا يكاد يتركه قيل كان له تسعة وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل
خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر اي ذات عقر وهو ايضا حال من يا المتكلم عند من يجوز تعدد الحال

اي ان بلغني اي كيف يكون لي ذلك والحال اني وامراتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة
وثوقه بقدرة الله تعالى لاسيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعجيبا منها واعتدادا
بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو
بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه ● قال ● استئناف كما سلف ● كذلك ● اشارة الى مصدر يفعل وقوله عز وجل ● الله
يفعل ما يشاء ● اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت
لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ثم
نظيره هي قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او في محل
الرفع على انها خبر والجلالة مبتدأ اي على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان له كذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدأ
محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له ● قال رب اجعل لي اية ● اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سألها
لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر
ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر
او بثلاث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الاية اللهم الا ان يكون المجاز
بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد بعدت من حملها من يكون في الصغر بموجب طولها الحكي والجعل ابدالي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا
من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من اية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما اية وثانيهما لي والتقديم
لانه لا مسوغ لكون اية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ ● قال ايتك الا تكلم الناس
اي ان لا تقدر على تكليمهم ● ثلاثة ايام ● اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت ايته ذلك
لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كانه قيل اية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب
ما اشتق من السؤال ● الا رمزا ● اي اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء
منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا
بضمتين على انه جمع رامز كخدم وخادم وبفتحتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا ● واذكر ربك ● اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية
● كثيرا ● اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ● وسبح ● اي سبحه تعالى او افعل التسبيح ● بالعشي ● اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب
صدر الليل ● والابكار ● من طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار ● واذ قالت
الملائكة ● شروع في شرح بقية احكام اصطفاء ال عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام
اياها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر
السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرات عمران منصوب بناصبه فتدبر اي واذكر
ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام ● يا مريم ● وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام
الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وتفردها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها
وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه
السلام لما ان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة وقيل الهموها ● ان الله اصطفاك ● اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل
غيرك انثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية ● وطهرك ● اي مما يستقذر من الاقوال
والافعال ومما قرفك به اليهود بانطاق الطفل ● واصطفاك ● اخرا ● على نساء العالمين ● بان وهب لك عيسى عليه السلام
من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما اية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان تكون تقدم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها
بعيسى عليه السلام ايذانا بكونهما لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون
الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهم فلا اشكال في ترتيب النظم الكريم
على ما ذكر ولا على جعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايضا اذ يكونان قبل ذلك متوفرا على الطاعات والعبادات حسبما
امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى منقطعة اليه متسلية عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها ● يا مريم

وتكرير النداء للاشعار بمزيد الاعتناء بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده واما ما قبله من تذكير النعم فكان تمهيدا لذكره وترغيبا في العمل
بموجبه ● اقنتي لربك ● اي قومي في الصلاة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال
بالامر ● واسجدي واركعي مع الراكعين ● امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته
كل منهما واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة واقصى مراتب الخضوع ولا
يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما لتقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلاتهم
ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد
الامر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما وبالسجود الصلاة لما مر من انه ركنها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت
دما وقيحا ● ذلك ● اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ● من انباء الغيب ● اي من الاخبار المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى
● نوحيه اليك ● جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحيه
من انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد ● وما كنت لديهم ● اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم
وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الاية وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية
فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث الواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة
فنفيت تهكما بهم ● اذ يلقون اقلامهم ● ظرف للاستقرار العامل في لديهم والاقلام اقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التوراة تبركا ● ايهم يكفل مريم ● متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها ● وما
كنت لديهم اذ يختصمون ● اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون
على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره عند الاختصام
مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لاسيما ان اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له ● اذ قالت
الملائكة ● شروع في قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق
وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتقاربهما
وتقارنهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد
الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم عليها السلام من اولها
الى اخرها والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر ● يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ● من لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل ● اسمه ● ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره ● المسيح
وقوله تعالى ● عيسى ● بدل منه او عطف بيان وقيل خبر لمبتدأ محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى
● ابن مريم ● صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما يتميز به المسمى عن سواه فالخبر مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع من
عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع
والتصدي لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسحه جبريل
عليهما السلام او لمسح الارض او لم يقم في موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرا وبانه كان في لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل
الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين ● وجيها
في الدنيا والاخرة ● الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان
ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة
● ومن المقربين ● اي من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه
قوله تعالى ● ويكلم الناس في المهد وكهلا ● اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي
من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ● ومن الصالحين
حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة او من الضمير في يكلم ● قالت ● استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة
ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها ● رب انى يكون ● اي كيف يكون او من اين يكون ● لي ولد ● على وجه الاستبعاد العادي والتعجب
واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة وانى واللام متعلقان بها

وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من الامر ولهذا لو تاخر لكان صفة له
واما ناقصة واسمها ولد وخبرها انا اى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسنى بشر
جملة حالية مقررة للاستبعاد اى والحال انى على حالة منافية للولادة قال استيناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه السلام
كذلك الله يخلق ما يشا الكلام فى اعرابه كما مر فى قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك ان ولادة العذراء
من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فانى فكان الخلق المنبى عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك
عقب بيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اى اراد شيا كما فى قوله تعالى انما امره اذا اراد شيا واصل القضا الاحكام اطلق
على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له
كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتى المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها
بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوى المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشيا مدرجا لاسباب ومواد معتادة
يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اى الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اى
العلوم وتهذيب الاخلاق والتورية والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما
وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف
اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا الى بنى اسرائيل منصوب بمضمر يقود اليه المعنى معطوف على يعلمه
اى ويجعله رسولا الى بنى اسرائيل اى كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبى وقيل بعد البلوغ
وكان اول انبيا بنى اسرائيل يوسف واخرهم عيسى عليهم السلام وقيل اولهم موسى واخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى انى
قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اى رسولا ناطقا بانى الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اى ويقول
ارسلت رسولا بانى قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها فى حكم الغيبة مع كون هذا فى حكم التكلم لما
عرفت مرارا من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا بانى الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والبا فى قوله تعالى
باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ
بايات اى جئتكم على انها للتعدية ومن فى قوله تعالى من ربكم لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لاية اى جئتكم ملتبسا
باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم اية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب
الامتثال بما سياتى من الاوامر وقوله تعالى انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى انى قد جئتكم ومحله النصب
على نزع الجار عند سيبويه والفرا والجر على راى الخليل والكسائى او بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدر اى اعنى انى الخ وقيل مرفوع على
انه خبر مبتدا محذوف اى هى انى اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اى اقدر لكم اى لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياى من
الطين شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة
اى اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار بذلك
الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش وروى انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا
وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السما والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من
خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهى تحيض وتطهر وتلد كسائر
الحيوانات وتضحك كما يضحك الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما ترى فى ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة
بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اى الذى ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن
العرب تنفر من شئ نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الداءين لانهما مما اعيى الاطبا وكانوا فى غاية الحذاقة فى زمنه
عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روى انه ربما كان يجتمع عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعا واحيى الموتى باذن الله كرره مبالغة فى دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قالوا الكلبى
كان عليه السلام يحيى الموتى بيا حى يا قيوم واحيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله فنزل
من سريره حيا ورجع الى اهله وبقى وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيى من كان قريب العهد من الموت
فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحى لنا سام بن نوح فقال دلونى على قبره فقعدوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد
شاب راسه فقال له عيسى عليه السلام كيف شبت ولم يكن فى زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت
ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسال عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتى وكان بينه وبين موته اكثر من

اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فامن به بعضهم وكذبه اخرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك
كذا وذلك قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم اى بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال
والتخفيف ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لاية عظيمة وقرئ لايات لكم دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة ان
كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اى انتفعتم بها او ان كنتم ممن يتاتى منهم الايمان دلتكم على صحة
رسالتى والايمان بها ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف على المضمر الذى تعلق به قوله تعالى باية اى وجئتكم ملتبسا باية الخ او على
ومصدقا الخ او على رسولا على الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما فى رسولا اى وجعله مصدقا ناطقا بانى اصدق الخ او يقول
ارسلت رسولا بانى قد جئتكم الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا ناطقا بانى اصدق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى
وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضميره المستتر فى الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار
المضمر فى الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اى وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على
معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذى حرم
عليكم اى فى شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت قيل احل من السمك والطير ما لا
صيصية له واختلف فى احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على انه
كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وتاخير المفعول عن الجار
والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وقرئ
بايات فاتقوا الله فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية هى قوله
ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذى اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون اية بينة على انه عليه
السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح على البدلية من اية او قد جئتكم باية على ان الله ربى وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لما سبق اى قد جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابرا الاكمه والابرص والاحيا والانبا بالخفيات وبغيره من ولادتى
بغير اب ومن كلامى فى المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفا قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون
اى لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربى
وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتها
عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت ثم استقم فلما
احس عيسى منهم الكفر شروع فى بيان ما ال اليه احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفا فصيحة تفصح عن تحقق
جميع ما قالته الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما فى قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله تعالى
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفا بحكاية الملائكة وايذانا
بعدم الخلف وثقة بما فصل فى المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام فى سلك النقل فاما للاعتنا بامرها او لعدم مناسبتها لمقام
البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام الشدائد ومعاناته للمكايد والمراد بالاحساس الادراك القوى الجارى مجرى المشاهدة وبالكفر
اصرارهم عليه وعتوهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل فى امثال هذه المواقع عند كون متعلقه
امرا محذورا مكروها كما فى قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبنى اسرائيل اى ابتدا الاحساس من جهتهم
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاهتمام والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر قال اى لخلص اصحابه
لا لجميع بنى اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الاية وقوله تعالى فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ليس نصا فى توجيه
الخطاب الى الكل بل يكفى فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصارى الانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا
من اليا اى من انصارى متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصارى مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل
ينصرونى كما ينصرنى وقيل الى بمعنى فى اى فى سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع قال استيناف مبنى على سوال ينساق اليه الذهن
كانه قيل فماذا قالوا فى جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان اى صفوته وخالصته من الحور وهو
البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من
اثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة
لا يزال ياكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه فتبعه مع اقاربه

فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام
فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا
منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك
ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا امنوا بعيسى عليه السلام
واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج
منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه
سلمته الى صباغ يوما ان يشتغل بعض مهماته فقال له عليه السلام هاهنا ثياب مختلفة وقد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان
فغاب فجعل عليه السلام كلها في حب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال
قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به عليه السلام
وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم
من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار
دينه ورسوله امنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه
واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم يشهد
الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا امنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه
تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة
دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه
السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من
يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر حيث انه في الاصل حيلة تجلب
بها الغير الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام
امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السما فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه
فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة
واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال
لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام ورفعه
الى السما فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا
فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امراة ابراها
الله تعالى من الجنون جعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك
فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحاق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام
ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم
احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم
عن عيسى عليه السلام فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر
اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك اخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم
يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلاث
عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلاثين سنة
ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين
اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر
لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى
عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السما
ورافعك الان او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السما واليه
ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس

رضي الله عنه واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبرهم
ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال رجل منهم انا يا نبي الله
فالقى الله عليه مدرعة وعمامة من صوف وناوله عكازة والقى عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه
الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشروب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك
تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السما وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية
وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم
فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك
من الذين كفروا اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل
والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى
فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة
والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم
النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيامة غاية للجعل
او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك
الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد
لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات
فانه ابلغ في التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته
والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والاخرة
متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الاخرة واحدهما يوم القيامة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل
وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيامة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود
لان الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك خلعة لا تتاخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر وما لهم
من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين امنوا بما ارسلت به وعملوا
الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري
التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبريا والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم
فان هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون
للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبا عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد
للدلالة على عظم شانه المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه من ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله
عز وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الايات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر
وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها
اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القران فمن تبعيضية وقيل
هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اي في تقديره
وحكمه كمثل ادم اي كحالته العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل
لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبهة الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق ادم
عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا
اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم للتراخي في الاخبار لا للتراخي في المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذرا
البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان ادم عليه
السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبا عيسى عليه السلام وامه والنظر حال اي كائنا من ربك او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل هو مبتدا

وجز اى الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الايات
الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة
الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء
واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اى من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اى في شان عيسى وامه زعما منهم انه ليس على
الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اى ما يوجبه ايجابا قطعيا من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال
فقل لهم تعالوا اى هلموا بالرأي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن
من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها
وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال
امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه وهو السر في
تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم
نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اى تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلوا
قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه
فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي
خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك
وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا
قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي
حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو
لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى
يهلكوا ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من الاكاذيب للنصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام
لكونه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص والحق خبران والحق صفته او مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر
ان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر على جميع
المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي
قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اى بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض
عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعدما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل
الكتابين وقيل خطاب وفد نجران وقيل خطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان
لا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم
بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام
اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك
فقولوا اى قل انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به
الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة حيث بين اولا
احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعاهم
الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعاهم الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما
ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم
اي في ملته وشريعته تنازع اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التورية على موسى عليه السلام والانجيل

على عيسى عليه السلام الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليه السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يكون معهما
افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او اتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف
التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية
والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم
على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اى محل النزاع
او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اى مائلا
عن العقائد الزائغة كلها مسلما اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اى
اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اى في زمانه وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ
والنبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم وتخصيص
المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا
حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم
على ما هم عليه من الدين القويم اى وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم
ويأباه قوله وما يشعرون اى باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اى بما نطقت به التورية
والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اى والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته
في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازكم الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز
بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق
اى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون اى حقيقته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا اى اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اى اوله واكفروا آخره اى اظهروا ما انتم عليه
من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تامل ثم تاملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اى المؤمنين
يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل
عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا
من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد
في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اى لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اى لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار
الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا
لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد
لطائل وجوز ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اى الان يؤتى احد الخ دبرتم وقرئ ان على
انها نافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على
الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته اى يجعل رحمته مقصورة على من يشاء
والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين
والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء اما بتقدير الموصوف كما في قوله ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك
على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اى بمال
كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص
بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة
الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اى لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال
دوام قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه
من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اى بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اى في شأن من ليس من اهل الكتاب

سبيل ● اى عتاب ومؤاخذة ● ويقولون على الله الكذب ● بادعائهم ذلك ● وهم يعلمون ● انهم كاذبون مفترون على الله تعالى ●
وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم
حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي
الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ● بلى ● اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى ● من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ●
استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر
عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ● ان الذين يشترون ● اى يستبدلون ويأخذون ● بعهد الله ● اى بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات ● وايمانهم ● وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ● ثمنا قليلا ●
هو حطام الدنيا ● اولئك ● الموصوفون بتلك الصفات القبيحة ● لا خلاق ● لا نصيب ● لهم في الاخرة ● من نعيمها ● ولا يكلمهم الله ● اى
بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته
والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ● ولا ينظر اليهم يوم القيامة ● فانه مجاز عن الاستهانة بهم
والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد
والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيامة متعلق
بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ● ولا يزكيهم ● اى لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ● ولهم عذاب اليم ● على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت
في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث
اذن يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعة في السوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به ● وان منهم ● اى من اليهود المحرفين ● لفريقا ● ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما ● يلوون
السنتهم بالكتاب ● اى يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف ويعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة
ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن ● لتحسبوه ● اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الى اخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين
● من الكتاب ● اى من جملته وقوله تعالى ● وما هو من الكتاب ● حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم
ايضا ● ويقولون ● مع ما ذكر من الليّ والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض ● هو ● اى المحرف ● من عند الله ● اى منزل من عند الله ● وما
هو من عند الله ● حال من ضمير المبتدأ في الخبر اى والحال انه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال
جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ● ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ●
انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وتاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود الذين قدموا
على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي
عندهم ● ما كان لبشر ● بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه
عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اى ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية
منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ● ان يؤتيه الله الكتاب ● الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهي عن الاشراك ● والحكم ● الفهم
والعلم او الحكمة وهي السنة ● والنبوة ثم يقول ● ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤنه
العالية ● للناس كونوا عبادا لي ● الجار متعلق بيقول ● من دون الله ● متعلق بلفظ عبادا لما فيه
من معنى الفعل او صفة ثانية له وعمل الحالية لتخصيص النكرة بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز
متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام
معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى وان نأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم
عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
● ولكن كونوا ● اى ولكن يقول ● كونوا ربانيين ● الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو
الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه ● بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ● اى بسبب مثابرتكم
على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته فان جعل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم
واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم
وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدارسون وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كأكرم بمعنى كرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا
بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ● ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ● بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة

لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط
الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه اثر نفي ما لا يليق به ويمتنع صدوره واما ما قيل
من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيفضي الى فساد المعنى لما ذكر من
توسيط الاستدراك بين المتلازمين المتعاطفين ضرورة انهما في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ● ايأمركم بالكفر ● فانه صريح في ان المراد
بيان استحالة الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستيناف وتجويز الحالية بتقدير المبتدأ اى وهو
لا يأمركم ليس بمنبئ عن الفساد لما عرفته انفا وقوله تعالى ● بعد اذ انتم مسلمون ● يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للسجود له عليه السلام
● واذ اخذ الله ميثاق النبيين ● منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اى اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم ● لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ● قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى واحرى وقيل معناه
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق
الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل او سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف
وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
ثم مجيء رسول مصدق اخذ الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين
اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا ● قال ● اى الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق ● ااقررتم
بما ذكر ● واخذتم على ذلكم اصري ● اى عهدي سمي به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به ● قالوا
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ● اقررنا ● وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك ● قال ● تعالى ●
فاشهدوا ● اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة ● وانا معكم من الشاهدين ● اى وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم
شاهد وادخاله مع المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ● فمن تولى ● اى اعرض عما ذكر ● بعد ذلك ●
الميثاق والتاكيد بالاقرار والشهادة ومعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق ● فاولئك ● اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد
في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون
بالصفات القبيحة ● هم الفاسقون ● المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد ● افغير
دين الله يبغون ● عطف على مقدر اى ايتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار وقرئ بالخطاب على تقدير وقل لهم ● وله اسلم من في السموات والارض ● جملة حالية مفيدة لركادة الانكار ● طوعا
وكرها ● اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت
او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم ● واليه يرجعون ● اى من فيهما والجمع باعتبار
المعنى وقرئ بالخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستأنفة سيقت للتهديد والوعيد ● قل امنا بالله ●
امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى ● وما انزل علينا ● وهو
القران لما هو منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده
والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى
الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ● وما انزل على ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط ● من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا يرى الى قوله تعالى بما انزل اليك الخ وقوله امنوا بالذي انزل على الذين
امنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه
والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام
● وما اوتي موسى وعيسى ● من التورية والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما
بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى ● والنبيون ● عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اى وما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم
● من ربهم ● من الكتب والمعجزات ● لا نفرق بين احد منهم ● كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم
وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول

بين عليه كما في مثل المال بين الناس واما سبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة ● فما كان بين الخير لو جاء سالما ● ابو حجر الا ليال قلائل ● اي بين الخير وبيني ● ونحن له مسلمون ● اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ● ومن يبتغ غير الاسلام ● اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين ● دينا ● ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام ● فلن يقبل ● ذلك ● منه ● ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى ● وهو في الآخرة من الخاسرين ● اما حال من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ● كيف يهدي الله ● الى الحق ● قوما كفروا بعد ايمانهم ● قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه ● وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات ● استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان امنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان ● والله لا يهدي القوم الظالمين ● اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية ● اولئك ● اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله تعالى ● جزاؤهم ● مبتدأ ثان وقوله تعالى ● ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ● خبره والجملة خبر لاولئك وهذا بمنطوقه يدل على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون من الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه ● خالدين فيها ● في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يذكر لدلالة الكلام عليها ● لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ● اي يمهلون ● الا الذين تابوا من بعد ذلك ● اي من بعد الارتداد ● واصلحوا ● اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح ● فان الله غفور رحيم ● فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ● ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ● كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان ● لن تقبل توبتهم ● لانهم لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء ● واولئك هم الضالون ● الثابتون على الضلال ● ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به ● لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأ به وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد ● اولئك ● اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة ● لهم عذاب اليم ● مؤلم وهو الاشارة مبتدأ والظرف خبره والعذاب مرتفع على الفاعلية او مبتدأ والظرف خبره ● وما لهم من ناصرين ● في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد ● لن تنالوا البر ● من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته ● حتى تنفقوا ● اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى ● مما تحبون ● تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي ما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى

انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى عنهم ورحمهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله تعالى عنه ورحمه الى ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه ورحمه ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه ابن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى ● وما تنفقوا من شيء ● ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائن من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه ● فان الله به عليم ● تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الرديء ما لا يخفى ● كل الطعام ● اي كل افراد المطعوم او كل انواعه ● كان حلا لبني اسرائيل ● اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله سبحانه وتعالى لا هن حل لهم ● الا ما حرم اسرائيل على نفسه ● استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي صلى الله عليه وسلم الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله سبحانه وتعالى فيه وهو كتحريمه ابتداء ● من قبل ان تنزل التورية ● متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان التقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم عليهم بظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة مما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا الآية وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمنا ما قصصنا عليك من قبل الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيتهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها ● قل فاتوا بالتورية فاتلوها ● امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ● ان كنتم صادقين ● اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدق تكلمنا بدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ● فمن افترى على الله الكذب ● اي اختلقه عليه تعالى بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم ● من بعد ذلك ● من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح ● فاولئك ● اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال ● هم الظالمون ● المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخلة تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتورية ● قل صدق الله ●

اى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما اوحى فى شأن التحريم وقيل فى قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الخ او صدقه فى كل شأن من الشؤن وهو داخل فى ذلك
دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح ● فاتبعوا ملة ابراهيم ● اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين
لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيئة
الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا
عليه ● حنيفا ● اى مائلا عن الاديان الزائغة كلها ● وما كان من المشركين ● اى فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود
وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام فى الاصول
لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ● ان اول بيت وضع للناس ● شروع فى بيان كفرهم
ببعض اخر من شعائر ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روى انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة
لانه مهاجر الانبياء وفى الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اى ان اول بيت وضع للعبادة
وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى ● للذى ببكة ● خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها
نكرة لتخصصها بشيئين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اى للبيت الذى ببكة اى فيها وفى ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة
فى مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما فى قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط فى اسم موضع بالدهنا وقولهم امر راتب وراتم
وسبد رأسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وهى علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم
بعضا او لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل
للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم
للبلد لقوله تعالى للذى ببكة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال
اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل فى سورة البقرة وقيل اول بيت
بالشرف لا بالزمان ● مباركا ● كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو
حال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه ما قدر فى الظرف من فعل الاستقرار ● وهدى للعالمين ●
لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال ● فيه آيات بينات ● واضحات
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضوارى السباع الصيود فى الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده
بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى ● مقام ابراهيم ● اى اثر قدميه عليه السلام فى الصخرة التى كان عليه السلام
يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل رأسه على ما روى انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت
له امرأة اسماعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه
ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقى اثر قدميه عليه وهو اما مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من آيات
بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم
عليه السلام لقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه فى صخرة صماء وغوصه فيها
الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية
مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بانضمام ما بعده من قوله عز وجل ● ومن دخله كان آمنا ● فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية
لكنها فى قوة ان يقال وامن من دخله فيكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك او
يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما فى قوله تعالى اولم يروا انا
جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى
الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل
فى الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار
وعن النبى صلى الله عليه وسلم من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران
فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد
منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام
● ولله على الناس حج البيت ● جملة من مبتدأ وهو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف

حال من الضمير المستكن فى الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى
ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن فى على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوى وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه
ابن مالك اذا كانت هى ظرفا او حرف جر وعاملها كذلك غلبت الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوى واللام فى البيت للعهد
وحج مصدر للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها ● من استطاع اليه سبيلا ● فى محل الجر على انه
بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اى من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو
البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل فى محل الرفع انه خبر مبتدأ مضمر اى هم من استطاع الخ وقيل فى حيز النصب بتقدير اعنى وقيل كلمة من
شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اى من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده
شرطية والضمير المجرور فى اليه راجع للبيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما فى قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل
وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال او غيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وذكر فى شرح المفتاح ان الى فى قول المصنف متى لم يكن للمتكلم الى احضاره فى
ذهن السامع طريق متعلقة بطريق لتضمينه معنى الموصل اليه وروى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل
قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روى انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله
تعالى عنهم وعليه اكثر العلماء الا ان الشافعى رضى الله تعالى عنه اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه
والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر فى الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت
وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة
وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع
● ومن كفر ● وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وروى على بن ابى طالب رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال فى خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم
يفعل فليمت على اى حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا ● فان الله غنى عن العالمين ● وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيهم دخولا
اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج
والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت فى صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار
على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه وتعالى فى ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم
التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما فى ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذى لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه
تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط بانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن
جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب وهذا وقال ابن عباس والحسن وعطاء من كفر اى جحد فرض الحج وزعم انه ليس
بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت فى اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به
خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبى صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع
الى السماء فى الثالثة وروى حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضى الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان ينبت فى البادية شجرة
لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضى الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا والمناظرة عبارة عن الامهال للعقوبة اى لا يمهلون
بعد تركهم الحج بل يهلكون من غير مهلة ● قل يا اهل الكتاب ● هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب
الموجبة للايمان به وبما يصدقه من القرآن العظيم مبالغة فى تقبيح حالهم فى كفرهم بهما وقوله عز وجل ● لم تكفرون بآيات الله ●
توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى الآيات القرآنية
التى من جملتها ما تلا فى شأن الحج وغيره وما فى التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ● والله شهيد
على ما تعملون ● حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل
الخطب وصيغة المبالغة فى شهيد للتشديد فى الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او ما يعم على عمومه وهو داخل فيه دخولا اوليا والمعنى لاى
سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع اعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولا ريب فى ان ذلك يسد
جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية ● قل يا اهل الكتاب ● امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة فى
حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى ● لم تصدون ● عن قوله

ذكر فى شرح المفتاح ان الى فى قول المصنف متى لم يكن للمتكلم الى احضاره فى ذهن السامع طريق متعلقة بطريق لتضمنه معنى الموصل

لو يكفرون للاستقرار ان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب
لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه
في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصده
● عن سبيل الله ● اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام ● من آمن ● مفعول لتصدون وتقديمه عليه
الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان
صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج وهما قبيلتان من الانصار فذكروهم
ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه ● تبغونها ● على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله
فتولى غلامهم ثم نادى ● اظليما اصيدكم ام حمارا ● بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل ● عوجا ● اي اعوجاجا
بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل
تصدون وقيل من سبيل الله ● وانتم شهداء ● حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شاهدون
بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنه اي شهداء ان في التورية ان دين الله الذي
لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور ● وما الله بغافل عما
تعملون ● [illegible] تذييل فيه تهديد ووعيد شديد وقيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلهم
من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى ● على ما تعملون ● يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ● تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة
اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب
الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما سلف للمبالغة في الزجر والمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا
من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف
القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم
بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا
وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم
بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ
القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله ● رمى
الحدثان نسوة آل سعد ● بمقدار سمدن له سمودا ● فرد شعورهن السود بيضا ● ورد وجوههن البيض سودا ● او حال من مفعوله والاول
ادخل في تنزيه المؤمنين من نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة
سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية
بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين
ما لا يخفى ● وكيف تكفرون ● استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الآية لا بمعنى انكار الواقع
كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه
بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية
على الطريق البرهاني وقوله عز وجل ● وانتم تتلى عليكم آيات الله ● جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد
بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الرادعة عن الكفر وقوله تعالى ● وفيكم رسوله ● معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة
آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى
الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ● ومن يعتصم
بالله ● اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق
بسبيل الله ● فقد هدي ● جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه
ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى ● الى صراط مستقيم ● موصل الى المطلوب

والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه
والاعتصام به بعينه لكن لما اختلفت العبارات وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على
طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ● يا ايها الذين آمنوا ● تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف
● اتقوا الله ● الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة ● حق تقاته ● اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع
في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى
ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا الى النبي عليه السلام وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على
نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو تنزيه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى
للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ● ولا
تموتن الا وانتم مسلمون ● اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن
اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية
ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون
على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام وحيث
كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي
عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد
من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلاة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه
وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة وان الصلاة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا
● واعتصموا بحبل الله ● اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة
الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته
بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل
لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه ● جميعا ● حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين
في الاعتصام ● ولا تفرقوا ● اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم
بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها ● واذكروا نعمة الله ● مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى ● اذ كنتم
ظرف له او لمستقر في عليكم اذ ذكروا انعامه عليكم او النعمة مستقرة عليكم وقت كونكم ● اعداء ● في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب
المتواصلة وقيل الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين
سنة ● فالف بين قلوبكم ● بتوفيقكم للاسلام ● فاصبحتم ● اي فصرتم ● بنعمته ● التي هي ذلك التاليف ● اخوانا ● خبر اصبحتم اي اخوانا
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم اخوانا ● وكنتم على شفا حفرة من النار ● شفا الحفرة وشفتها
حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها ● فانقذكم ● بان هداكم للاسلام ● منها ●
الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا
البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث ● كذلك ● اشارة الى مصدر الفعل
الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه
بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف
اي مثل ذلك التبيين الواضح ● يبين الله لكم آياته ● اي دلائله ● لعلكم تهتدون ● طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ● ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ● امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي
تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعهم عن
الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها على الاصل ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع
حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون
بها او من التبيينية امة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد
الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها

عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا من النعمة

تأكيد

الكل اثموا جميعا لا حيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولأنها من عظائم
الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف
ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم الآية والامر من كان التامة والمعنى كونوا امة يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية ولا يقتضي ذلك كون
الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى • ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص
على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال
الثلاثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون
الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر • واولئك • اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة
كما يميزهم بذلك عمن عداهم واستاهلهم لسبب في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل
والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة
• هم المفلحون • اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه صلى الله عليه وسلم من امر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهي عن المنكر فواجب كله لان
جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر منهما والتوبيخ في قوله
تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا • ولا تكونوا
كالذين تفرقوا • هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا • واختلفوا • باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات
الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية • من بعد ما جاءهم البينات • اي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق
عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم
بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالنهي
عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه
السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد • واولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدا
وقوله تعالى • لهم • خبره وقوله تعالى • عذاب عظيم • مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا
الاول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى • يوم تبيض وجوه • اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض
• وتسود وجوه • كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار
في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على
التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض
الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك • فاما الذين اسودت وجوههم • تفصيل
لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير على التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل
والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال • اكفرتم بعد ايمانكم • على ارادة القول فيقال لهم ذلك والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمانهم
به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة
والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والنفاق فقوله عز وعلا • فذوقوا العذاب • اي العذاب المعهود الموصوف
بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى • بما كنتم تكفرون • صريح في ان العذاب
الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا • واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله • اي الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته

تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت • ففي رحمة الله هم فيها خالدون • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون
فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي • تلك • اشارة الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار
وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى • آيات الله • خبره وقوله تعالى • نتلوها •
جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هما الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على
لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى • بالحق • حال مؤكدة من فاعل
نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم
بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بموجب الوعد والوعيد • وما الله يريد ظلما للعالمين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله
على ابلغ وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم
الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت
من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي حسب المقام كما في الثبوت وعند دخول حرف
النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظالمو انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون • ولله ما في السموات وما في الارض • اي له تعالى وحده
من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء
واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى • والى الله • اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا • ترجع
الامور • اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي مقررة
لما قبلها معززة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم • كنتم خير امة • كلام مستانف
سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير
دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة
وقيل معناه انتم خير امة • اخرجت للناس • صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح
في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير
الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار
فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس • تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر • استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس
ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والخطاب للمشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين
لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب
هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم • وتؤمنون بالله • اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب
ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة
وان ما خلا من شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما
على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى • ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم • اي لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم
مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين
وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية اما باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم واما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق
عليه اسم الايمان لاذهاب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه
وهيهات ذلك • منهم المؤمنون • جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كأنه قيل
هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه • واكثرهم الفاسقون •

عليك تتعلق بتلوها او قوله تعالى

فان وصف الارحمية يستدعي نفي الظلم قطعا انتهى

قال بعضهم هذا معطوف على الاول كانه يقول والله سبحانه لا يريد ظلما للعالمين لانهم عبيده ومخلوقه ومرزوقه فلا يريد ظلمه

المرتدون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم إلا أذى استثناء مفرغ من المصدر العام أي لن يضروكم أبداً ضرراً ما إلا ضرر أذى لا يبالى به
من طعن وتهديد لا أثر له وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار أي ينهزموا من غير أن ينالوا منكم شيئاً من قتل أو أسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية
وثم للتراخي في الرتبة أي لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلاً وأخذاً وفيه تثبيت لمن آمن منهم فإنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم
وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لا يقدرون على أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يعبأ به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام
منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل وإنما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لأن المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقاً ولو عطف عليه لكان
مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار وكم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنه الذي أخبركم عنه وأبشركم به أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون
بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم أمر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا
ضربت عليهم الذلة أي هدر النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل أينما ثقفوا أي وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من
الناس استثناء من أعم الأحوال أي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله أو كتابه الذي
آتاهم وذمة المسلمين أو بذمة الإسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب من الله أي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والهول أي كائن من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة
فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت أيدي المسلمين أو النصارى ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله أي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية ويقتلون الأنبياء بغير حق أي في اعتقادهم أيضاً وإسناد القتل
إليهم مع أنه فعل أسلافهم لرضاهم به كما أن التحريف مع كونه من أفعال أحبارهم ينسب إلى كل من سار بسيرتهم ذلك إشارة إلى ما ذكر من الكفر
والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون أي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فإن الإصرار على الصغائر يفضي
إلى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم
وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث إنهم مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيداً
لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب وتذكيراً لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لأهل الكتاب جميعاً لا للفاسقين منهم خاصة وهو
اسم ليس وخبره سواء وإنما أفرد لأنه في الأصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في أصل الاتصاف بالقبائح مع تحقق المشاركة في أصل الاتصاف
بها أي ليس جميع أهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من أهل الكتاب
أمة قائمة استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الإبهام كما أن ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله
تعالى كنتم خير أمة الخ ووضع أهل الكتاب موضع الضمير العائد إليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والإيذان بأن تلك الأمة ممن
أوتي نصيباً وافراً من الكتاب لا من أراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله
بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد وأضرابهم وقيل هم أربعون رجلاً من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من
الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمداً عليهما السلام وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم أسعد بن زرارة والبراء
بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى
الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون آيات الله في محل الرفع على أنه صفة أخرى لأمة وقيل في محل النصب على أنه حال منها
لتخصيصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي تضمنه الجار أو من ضميرها في قائمة أو من المستكن في الجار لوقوعه خبراً لأمة والمراد بآيات
الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون أي في ساعاته جمع إني بزنة معى أو أنى بزنة قفا أو إني بزنة ظبي أو إنو
بزنة جرو وهم يسجدون أي يصلون إذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم ألا إني نهيت أن أقرأ راكعاً وساجداً وتخصيص
السجود بالذكر من بين سائر أركان الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعاً لزيادة
تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفاً بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الإيمان والمراد
بصلاتهم التهجد إذ هو أدخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فإنها في المكتوبة وظيفة الإمام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد
يأباه مقام المدح وهو الأنسب بالعدول عن إيرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل
صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها ليلة ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة
فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وإيراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير
الإسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى أنهم يقومون
تارة ويسجدون أخرى يبتغون الفضل والرحمة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين

يبيتون لربهم سجداً وقياماً وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة أخرى
لأمة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة أخرى أي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والإطلاق للإيذان بالغنى عن التقييد لظهور أنه الذي يطلق
عليه الإيمان بهما لأنه لا يذهب الوهم إلى غيره وللتعريض بأن إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم
الآخر بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما في شيء أصلاً ولو قيد بما ذكر لربما توهم أن المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز إطلاق الإيمان على إيمانهم
بالأصل وهيهات ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان أخريان لأمة أجريتا عليهم تحقيقاً لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة
بتكميل الغير إثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضاً بمداهنتهم في الاحتساب بل تعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدهم
عن سبيل الله فإنه أمر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة أخرى لأمة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير
والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل
أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم إلى الشرور وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا
إلى مغفرة الخ للإيذان بأنهم مستقرون في أصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا أنهم خارجون عنها منتهون إليها وأولئك
إشارة إلى الأمة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وإيثاره
على الضمير للإشعار بعلة الحكم والمدح أي أولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين أي من جملة من
صلحت أحوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير كائناً ما كان مما ذكر أو لم يذكر فلن تكفروه أي لن تعدموا
ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر إظهاراً لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى من القبائح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان
على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن علمه تعالى بأحوالهم يستدعي توفية أجورهم لا محالة والمراد بالمتقين
إما الأمة المعهودة وضع موضع الضمير العائد إليهم مدحاً لهم وتعييناً لعنوان تعلق العلم بها وإشعاراً بمناط إثابتهم وهو التقوى المنطوي على
الخصائص السالفة وإما جنس المتقين عموماً وهم مندرجون تحت حكمه اندراجاً أولياً إن الذين كفروا أي بما يجب أن يؤمن به قال
ابن عباس رضي الله عنه هم بنو قريظة والنضير فإن معاندتهم كانت لأجل المال وقيل هم مشركو قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله ولذا قيل
في أبي سفيان وأصحابه فإنه أنفق مالاً كثيراً على الكفار يوم بدر وأحد وقيل هم الكفار كافة فإنهم فاخروا بالأموال والأولاد حيث قالوا نحن أكثر أموالاً
وأولاداً وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله أي من عذابه تعالى شيئاً أي
شيئاً يسيراً منه أو شيئاً من الإغناء وأولئك أصحاب النار أي مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون أبداً مثل ما ينفقون
في هذه الحياة الدنيا بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها أطماعهم الفارغة
وما موصولة اسمية حذف عائدها أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء وخوفاً وقصته العجيبة التي
تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر أي برد شديد فإنه في الأصل مصدر وإن شاع إطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل
كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي فباؤوا
بغضب من الله تعالى وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع فأهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه أثراً ولا عثيراً والمراد
تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة
ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد ناراً ولذلك لم يبال بإيلاء
كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ
تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما أنفقوا ولكن أنفسهم يظلمون لما أنهم أضاعوها بإنفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول
لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والاستمرار وقد جوز أن يكون المعنى وما ظلمهم الله تعالى أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به
العقوبة ويأباه أنه قد مر الغرض له تصريحاً واستتباعاً وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة
أي ولكن أنفسهم يظلمونها وإنما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل إليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته من يعرّفه أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام
الأنصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنه كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة
والحلف فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى
وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل وهي صفة المنافق وأياً ما كان فالحكم عام للكفرة كافة من دونكم أي من دون

المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا جملة مستأنفة مبينة لحالهم
داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال ألا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل متعديا الى المفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين
معنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استيناف
مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استيناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه اي قد ظهرت
البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا
البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر
مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء
جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم اولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطائهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لمبتدأ كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز
ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والحال
انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم
بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور
فيعلم ما في صدورهم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض
الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فان الله عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كأنه قيل
حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط
فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم
الله تعالى عليكم وما كرهه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من
ضاره يضيره بمعنى ضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل
الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم
من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت
كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء اذ
نصبه على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام
به عليه السلام اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى
لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها واستحضار
الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ والمراد به خروجه عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل
عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم مقاعد
ويؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود
تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما ترتب عليهما اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع
كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه اذ حينئذ وقت التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكيرها لفشلهم
لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتزايلهم عن احيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم فيها يتبين خلل رأي من احتج به على جواز اداء
صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوئ اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كائنة
ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى
قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ابن
سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال

في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم
وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي
في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة فدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة
ثم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما
صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة
الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح
ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا
عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة
اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع
بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك
ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوفة اي بان
تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل انفسنا
واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع
عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس فلا يخلو النفس عنه عند الشدائد والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة
والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من فاعل همت او من ضمير في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ
والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل
المؤمنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين
للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة
مستأنفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى
بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وسمي به
اسم الموضع او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول نصركم
واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان بانهم مع ذلتهم كانوا قليلا والذلة ما كانوا عليه من ضعف الحال وقلة العدد اذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في انهم خرجوا
على النواضح يتعقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد والسبعون بعيرا وست ادرع
وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر
فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار
بالنصر ايذانا بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون
اي راجين ان تشكروا ما ينعم الله به عليكم بالنصر كما انعم به عليكم من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه
برسول الله صلى الله عليه وسلم للتشريف والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه السلام واذ ظرف لنصركم وتقديم الامر بالتقوى عليه
لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على ما ذكر في هذه الحال مما يتعلق به وجوه
النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقابلة قال
الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر الحنفي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق
التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى
وامددناكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار
بعلة الامداد وتأكيد النفي وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة

بيان او صفة لآلاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة • منزلين • صفة لثلاثة الاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد
للتكثير او للتدريج وقيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر
• بلى • ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال
• ان تصبروا • على لقاء العدو ومناهضتهم • وتتقوا • معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام • ويأتوكم • اي المشركون • من
فورهم هذا • اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق على الحالة التي لا ريث فيها
اصلا ووصفه بهذا لتاكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني
الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اي
حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة
من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما
اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء لم تضرك باس شديد وسيوف حداد لو ... تؤمنها قطعا
• يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين • من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم
كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير
كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا
قد اعلموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان
الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
• وما جعله الله • كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر
مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه وامارته معطوفة على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه
النظام فان الاخبار بوقوع النصر في الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد
اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضي بوقوعه نصا قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على ما مر من الدلائل والمآخذ والامارات والمخايل وايذانا
بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرار ومن ابها مراعاة لما سلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين فامدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده
الى المصدر المذكور او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان العلة
البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه
ولا ريب في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما بل الاول
معتبر من حيث الحكاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى • الا
بشرى لكم • استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بوثيق الاسباب
الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التاييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء
الا للبشرى لكم بانكم تنصرون • ولتطمئن قلوبكم به • اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية
للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدها وتغيير
للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار
بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحوه كما هو راي بعض
السلف رحمه الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء
الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن قلوبكم به متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك • وما النصر • اي حقيقة النصر
على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا • الا من عند الله • اي الا كائنا من عنده عز وعلا من غير ان يكون فيه شركة
من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة
فانهم بمعزل من التاثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب • العزيز • اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء
هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كقوله • الحكيم • اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة • ليقطع • متعلق بقوله
تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد

الإمداد

لم يوجد هذا العطف في كلام العرب العرباء وان ذكر في عبارات العلماء

بالملائكة

بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله
على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك
الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص
المعلل بعلة معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله تعالى
يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا كائنا من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص • طرفا من الذين كفروا • اي طائفة منهم بقتل
واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون • او يكبتهم • اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت
شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين
فالتاء غير مبدلة او للتنويع • فينقلبوا خائبين • اي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين
كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا • ليس لك من الامر شيء • اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق
ان لا تاثير للمنصور اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء
من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض موقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وللمباشرين للقتال مدخل في الجملة • او يتوب عليهم او يعذبهم • عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل
نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد
بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم
التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية
الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور
هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه
وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك
من الامر شيء الاية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن
فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم
شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح
به او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر
لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومبني عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة
احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود
كان فيه كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلاثة الاف مع انه لم يقع الامداد
يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي حينئذ ان ينعى عليهم جنايتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم
دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله
الله الخ الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم
واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد على معنى ان النصر الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي
فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استئنافا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف
امره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق حتما بما تعلق به قوله
تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية مع كون ما بينهما من التفصيل
متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بتصدد بيان
انتفائه مما لا يحتمل في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه
الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى • فانهم ظالمون • تعليل على كل حال لقوله تعالى
او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم • ولله ما في السموات وما في الارض • كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت
كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء
ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله • يغفر لمن يشاء • ان يغفر له مشيئة مبنية

على الحكم والمصالح • ويعذب من يشاء • ان يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلا وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له • والله غفور رحيم • تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى • يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا • كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصر والغلبة كيف لا وانما فشلوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما فقدوا ما فقدوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السرا والضرا الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل • اضعافا مضاعفة • ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة • واتقوا الله • فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا • لعلكم تفلحون • راجين للفلاح • واتقوا النار التي اعدت للكافرين • بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه • واطيعوا الله • في كل ما امركم به ونهاكم عنه • والرسول • الذي يبلغكم اوامره ونواهيه • لعلكم ترحمون • راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد • وسارعوا • عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا • الى مغفرة من ربكم وجنة • اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى • عرضها السموات والارض • اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض • اعدت للمتقين • في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الان وانها خارجة عن هذا العالم • الذين ينفقون • في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع • في السرا والضرا • في حالتي الرخا والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو من مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما من انفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير • والكاظمين الغيظ • عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد وتاويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقا اذا ملاته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا • والعافين عن الناس • اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلا في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه الصلاة والسلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين راه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك • والله يحب المحسنين • اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها • والذين • مرفوع على الابتدا وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله

تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلا وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر • اذا فعلوا فاحشة • اي فعلة بالغة في القبح كالزنا • او ظلموا انفسهم • بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل ذلك بين انصاري وامرأة رجل ثقفي كان بينهما مواخاة فندم الانصاري وحثا على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما اوليا • ذكروا الله • تذكروا حقه العظيم وجلالة الموجب للخشية والحيا او وعيده او حكمه وعقابه • فاستغفروا لذنوبهم • بالتوبة والندم والفا للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة • ومن يغفر الذنوب • استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى • الا الله • بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفا اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفا فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول • ولم يصروا • عطف على فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتنا بشان الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين • على ما فعلوا • اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار • وهم يعلمون • حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن من تقصير في تحصيل العلم به • اولئك • اشارة الى المذكورين اخيرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى • جزاؤهم • بدل اشتمال منه وقوله تعالى • مغفرة • خبر له او جزاؤهم مبتدا ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزا اذ على الوجهين الاخيرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تنتفي ظاهرا • من ربهم • متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف • وجنات تجري من تحتها الانهار • عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول • خالدين فيها • حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير • ونعم اجر العاملين • المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك بمضمونهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت البين والتباين المبين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرهم وعمالتهم • قد خلت من قبلكم سنن • رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم اي كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الخ والفا في قوله تعالى • فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار • هذا • اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ • بيان للناس • ان تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من اثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم • وهدى وموعظة • اي زيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل • للمتقين • للايذان بعلة

الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين المشارفون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما
اي هذا بيان لمآل امر الناس وسوء عاقبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين
بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى
وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالبيان لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى
او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار
عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هدى وبيان للناس كافة
كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية
اعتراض للبعث على الايمان والعمل بما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين والاظهر ان الاعتراض لا يكاد يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله
ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب
وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل
والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنه ومن الانصار سبعون رجلا
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل
الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد
بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم
في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا
ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان
الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على
تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعف ذلك
قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد
فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا
عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام
المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة
يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدأ والايام اما صفة له او بدل منه او عطف بيان له
ونداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار لسلوكه فيما
بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين آمنوا اما من باب
التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب
على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
وهو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة
واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا يطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده
الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار
منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي نطق به قوله تعالى نداولها بين الناس
من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المتعين بالوقوع
بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص
والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ

بل لظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تمييزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال
في باب التمثيل فتأمل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه
من النوائب ولا يشعر ان لله تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت
وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها
الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي بحيثياتها ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افرادها
للاشارة اجمالا الى ان لكل فرد من افرادها علة داعية اليه كأنه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد
وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق متعلقة باعتبار تقييده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل
هي متعلقة بمحذوف موخر تقديره وليعلم الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء
احد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم
من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الحق ليشهدوا على الامم يوم القيامة فمن بيانية لان الشهادة
وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم
ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين
تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتعرض من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم [illegible]
لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتعرض من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم
فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ليصفيهم
ويطهرهم عن الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لابراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر
لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وعلا
ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو
ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين
والمراد بهم هؤلاء الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستأنف
سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عدم مساهمتها والخطاب
للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي
الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم
كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها
على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى
بها كأنه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال
ولما يعلم الله جهادكم كناية عن نفي ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع
منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها
في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك
وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع
بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على العزائم وقيل مجزوم معطوف على المجزوم
قبله تحرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع
على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اي وهو يعلم الصابرين كأنه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم
تمنون الموت اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر
منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني او من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه
فقد رأيتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار

الروية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل إن كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينا
لدى قتل من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشاهدتم أن تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على
تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما أن مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير أن يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك
الجهة وما محمد إلا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما لانتقاض نفيه بإلا وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة
لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فإن خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه السلام لا محالة كأنه قيل قد خلت من قبله أمثاله
فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فإنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل في أنه يخلو كما خلوا ويجب
التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بأنه ليس إلا رسول كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب
التمسك بدينهم وقيل هو قصر إفراد فإنهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه
عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بأنه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك فلا بد من جعل قوله
تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام
وأيا ما كان فالكلام خرج على خلاف مقتضى الظاهر أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم إنكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين
لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وإيراد الموت بكلمة إن مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين
فيه لما ذكر من استعظامهم إياه وهكذا الحال في سائر الموارد فإن كلمة إن في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى
بالوقوع أو اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع أو أمر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو الذي ثار منه
الفتنة وعظم فيه المحنة لما أن الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك أهم ولأن الوصف الجامع
بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي أنه لما التقى الفئتان حمل أبو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل
قتالا شديدا وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن أبي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم
فلما نظر الرماة إليهم ورأوا أنهم قد انهزموا أقبلوا على النهب ولم يلتفتوا إلى نهي أميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده إلا ثمانية نفر فلما رأى
خالد بن الوليد أنهم قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف
أقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى أصيب هناك نحو من ثلاثين رجلا كل منهم يجثو
بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يزعم أنه قتل النبي صلى
الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل إنه إبليس ألا إن محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلي عباد
الله قال كعب بن مالك كنت أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله
عليه السلام فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن
رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر
إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وفي تجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من
الناس أن كل آية ليس يسمعها كل أحد ولا كل من سمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه
الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفي وإن رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولأقطعن
أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل
وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول الآية
قال الراوي والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وقال عمر رضي الله عنه
والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر رضي الله عنه تلاها فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه ومن ينقلب على عقبيه بإدباره
عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الإسلام وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا ما كان
من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا أي شيئا من الضرر وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب
وسيجزي الله الشاكرين أي الثابتين على دين الإسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لأن الثبات عليه شكر له وعرفان

نعمة وفيه إيماء إلى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والأنصار وعن علي رضي
الله عنه أبو بكر وأصحابه وعنه رضي الله عنه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز مزيد
الاعتناء بشأن جزائهم وما كان لنفس أن تموت كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطئهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله صلى
الله عليه وسلم ببيان أن موت كل نفس منوط بمشيئته عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وإن خرضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هائل
مخوف وقد أشير بذلك إلى أنها لو لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لو تقاعدوا لما أنجاهم عن مباشرة القتال
وكلمة كان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها الظرف على أنه متعلق بمحذوف وقوله تعالى إلا بإذن الله استثناء مفرغ من أعم الأسباب أي وما
كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئته تعالى على أن الإذن مجاز منها لكونها من لوازمه أو إلا بإذنه لملك الموت
في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس بصورة الأفعال الاختيارية التي لا تتسنى للفاعل إقدامها والإقدام
عليها بدون إذنه تعالى أدبني بل إقدامها على مبادئه أعني القتال منزلة الإقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فإن موتها حين استحال وقوعه عند
إقدامها عليه وعلى مبادئه وسعيها في إيقاعه فلأن يستحيل عند عدم ذلك أولى وأظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر
مؤكد لمضمون ما قبله أي كتب الله كتابا مؤجلا مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس
التخفيف وبعد تحقيق أن مدار الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه مدخل لأحد أصلا أشير إلى أن توفية ثمرات الأعمال
دائرة على إرادتهم ليصرفوها عن الأغراض الدنية إلى المطالب السنية فقيل ومن يرد أي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة
على طريق الالتفات منها أي من ثوابها ما نشاء أي نؤته إياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء من الأشياء
لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد وقد مر تفصيله ومن يرد أي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها أي من ثوابها
ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى
من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف أصلا والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون من
الشهداء وغيرهم وإما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد لمن يريد بتصديرها بالسين
وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الأفعال الثلاثة أيضا بالياء
وكأين كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم
السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط على
غير قياس وفيها خمس لغات هي أحدها والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كأن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة
وهي قلب ما قبلها والخامسة كأن مثل كعن وقرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من نبي مميز لها لأنها مثل كم الخبرية
وقد جاء مميزها منصوبا كما في قوله اطرد اليأس بالرجا فكائن آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير خبرها على أن
الفعل مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب إلى الرب
كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها أيضا على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أي كثير من الأنبياء قاتل معه
لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الأخريين
إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي قتلوا أو قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل
في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العلماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف
متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه
في القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخريين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وأيده فإن مدار التوبيخ انخزالهم
للإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم أي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل أو في القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل
على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه
وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة على ما قبله أي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما أصابهم
في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نفسه وما يشعر بعليته قوله تعالى في سبيل الله فإن كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم
ويزيل وهنهم وما موصولة أو موصوفة فإن جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وإن جعل
للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الأنسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم
من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على القراءتين الأخريين فإذا أسند الفعل إلى الربيين فالضميران للباقين منهم حتما
وإن أسند إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الأنسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين أيضا

ان اعتبر كون الربانيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما
استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون
من الكون لانه يطلب ان يكون لمن خضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه
وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله
يحب الصابرين اي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار
في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم
كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى
الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد
والاهوال شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر
اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم
الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد
من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء
وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف
الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما بعدها اي
ما كان قولهم شيئا من الاشياء الا هذا القول المبني عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار
بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا لا تقيده وانما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب
الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من
الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك هاهنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية
فحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان
وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته
على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل فآتاهم
الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة
والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير
المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب
المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين آمنوا شروع في تحذيرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا
والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه
لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى
ان تطيعوا الذين كفروا لذلك تصدير الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رضي الله تعالى عنه نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فهو نوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال
ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه ممهدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اي للدنيا والآخرة
غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد وفيه دلالة على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى
حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال
غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى
نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة الى هذه التقادير على ما مر من البيان بل الله مولاكم
اضراب عما فهم من مضمون الشرطية كأنه قيل فليسوا انصارا لكم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غير فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب
كأنه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي
بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا
الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة

والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك
القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب او عقيبها بقليل وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم
الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين
عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها وحدتها ونفوذها
وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب البرهان
السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما يأوون اليه في
الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار
بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد
جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان
ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند
رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث
قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم
في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله
تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا
وتتقوا الآية وفيه ان ذلك كان يوم بدر رديفا لا والموعود ما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى
بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي لا التبشير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ
حيث ان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على الاحتمالات المذكورة وايا ما كان فلا سبيل
الى كونه معنيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم
في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هاهنا بعد هذا وقال
اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون
للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك
حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ورده جعل الابتلاء غاية للصرف المرتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ
عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا
مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد
اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم
الخ وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان اعتراض
بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم
بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اي شأنه ان يتفضل عليهم بالعفو
او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار
في موضع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله
تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اي في الجبل وقرئ تصعدون
من التفعل بطرح احدى التاءين وقرئ يصعدون بالياء على الالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف
واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم
كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان
بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا في توبيخ المنهزمين في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين

والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله عليه السلام بعصيانكم له
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اى لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نافع فات او ضار آت وقيل لا زائدة والمعنى
لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه
وسلم ومعنى الفعل اى واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم
لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم
انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم اى الغم المذكور والتصريح بتأخر الانزال
عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية امنة
اى امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة
عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من
الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون
الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف
متأهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس
يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف
فانزل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب ابن قشير والنعاس يغشانى ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
ههنا وقال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت رأسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن
القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فآخذه ثم يسقط السوط من يدى فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم
يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم
الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف
البيان وان لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم
اى اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمنى الشيء اى كان من همي وقصدى والعمر مستفاد
بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله سرينا ونجم قد اضاء
فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول
والجملة صفتها والخبر محذوف اى ومنكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب
بانزال الامنة وايا ما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم
او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اى
يظنون به تعالى غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اى يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء
اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه
فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع
على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اى يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف او حال من ضمير
يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها اى يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين
الانكار والتكذيب وقوله تعالى يقولون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل اى شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم
او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر
كله لله او لو كان لنا من التدبير والرأى شيء ما قتلنا ههنا اى ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفى راجع الى نفس
القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما رآه ابن ابى وغيره فيتعين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم
اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اى في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية
الى البروز الى مضاجعهم الى مصارعهم التى قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا

فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روى ان ملك الموت حضر مجلس
سليمان عليهما السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام الرجل من مجلسه قال لسليمان عليه السلام مرالريح ان تحملني الى عالم آخر
فانى رأيت منه مرأى هائلا فامرها عليه السلام فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليهما السلام فقال
كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان
فوجدته هناك فقضى امر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم
القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلى الله ما في صدوركم اى ليعاملكم معاملة من يبتلى ما في صدوركم من الاخلاص
والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل
لمصالح جمة وليبتلى الخ او جعلها علة لبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة
البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اى وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما
خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اى السرائر
والضمائر الخفية التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غنى عن الابتلاء
وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين اى فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال
انه تعالى غنى عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم
احد حسبما مرت حكايتهم انما استزلهم الشيطان اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا
من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة امر النبى صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فحرموا التأييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سبقت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم
لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الجملة كفرهم
تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذى اثير وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التى
نهوا عنها اى قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة
وغيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضى لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم
للحال الذى عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها
الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ
او كانوا غزى اى اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال وغبرة الآفاق خاشعة القوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف
الزاء على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض
توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار
اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اى كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اى مقيمين ما ماتوا وما قتلوا
مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذفت ثقة به اى اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهى عدم
مماثلتهم في النطق بهذا القول في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائليه الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم فانه الذى جعل حسرة فيها نطقا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا
وتعليقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا
وحزنا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل
للنهى بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما تراه
الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم
فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيى ويميت رد لقولهم الباطل وبيان لما له اى هو المؤثر في الحياة
والممات وحده من غير ان يكون للاقامة والسفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم
والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا

وما يعملون عاقبتنا وان العوام المذكور والمنشا به الذي هو اعتقادهم وما ترتب عليه من الاهمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والقا الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ● ولئن قتلتم في سبيل
الله او متم ● شروع في تحقيق ان ما يحذرونه ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى مما ينبغي ان يحمد ويرغب فيه صاحبه
ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى ● لمغفرة من الله ورحمة ● لام الابتدا
والتنوين في الموصوفين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدا وقد حذف صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب
للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة
يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك ● خير مما يجمعون ● اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمرا وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض
للاخبار وحصول ما يحصل للابدان بعد والحاجة اليه بناء على استحالة التحبيب منه تعالى بعد الاطلاع وتذييل الابدان من بعد اخرا في المغفرة
لكونها الله الخ وقع ايضا يكون اخراج المقدم مخرج الصفة دون الخبر نحو ما ذكر من ادعا الطهور والغنى من الاخبار وتغيير الترتيب الواقع في
قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته
في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي عما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول
المذكور والقول بموجبه لا في النطق به واصلا لا النافرية ● ولئن متم او قتلتم ● اي على اي وجه اتفق هلاككم حسبما تعلق الارادة
الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات ● لالى الله ● اي الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان ● تحشرون
لا الى غيره فيوفي اجوركم ويعظم لكم عطاءكم والكلام في الجملة كما مر في اختها ● فبما رحمة من الله لنت لهم ● تلوين للخطاب وتوجيه له
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفا لترتيب مضمون الكلام على ما ينبي عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة
البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والبا متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتاكيد او نكرة ورحمة بدل منها
مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للرحمة اي برحمة عظيمة كائنة من جهة الله تعالى وهي ربطه على جاشه
وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك
واسلامك للعدو ● ولو كنت ● فظا ● جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق
وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق ● غليظ القلب ● قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل ● لانفضوا من
حولك ● لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردوا امما وكيف الى الردى والعياذ بالله عز وجل ● فاعف عنهم ● لترتيب العفو والامر به على
ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم ● واستغفر لهم ● الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما
للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم ● وشاورهم في الامر ● اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهارا بارائهم
وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر ● فاذا عزمت ● اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك
● فتوكل على الله ● في امضا امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت
لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر به فان عنوان الالوهية
الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ● ان الله يحب المتوكلين ● عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير
لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ● ان ينصركم الله فلا غالب لكم ● جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب
تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجا اليه وتحذيرهم مما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم
على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط والمفهوم من ظاهر النظم الكريم
وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه قطعا هو نفي المساواة واثبات الغالبية
للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات
ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواضع
كثيرة من التنزيل وما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعد نفي جرمهم لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل
خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم ● وان يخذلكم ● كما خذلكم يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا ● فمن ذا الذي ينصركم
استفهام انكاري مفيد لانتفا الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة ● من بعده ● اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى بمعنى اذا جاوزتموه
● وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفا لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين
على تقدير نصره تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد

بالمؤمنين

بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان
اشراكا او استقلالا وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا ● وما كان لنبي ● اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم
السلام ولا استقام له ● ان يغل ● اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا
اخذه خفية والمراد تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظنه الرماة يوم احد حين تركوا المركز حتى بانتكر امر في فعلوا كما نفيه
اخوانا وقولوا قال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي
انه بعث طلائع فغنم النبي عليه السلام فقسم غنائم بين من معه ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر
ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل ان المراد تنزيهه عليه السلام عما
نفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمرا افتقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
فبعيد جدا وقرئ على البنا للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ● ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ● يات
بالذي غله بعينه حاملا على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغا وببقرة لها خوار
وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او بما احتمل من وباله ● ثم توفى كل نفس
ما كسبت ● اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام
التناسب كما وكيفا كانهما شي واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه
بما غله يوم القيامة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين وفي كل كاسب
جزاء ما كسبه ولو يسيرا منه شي وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شي وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى
● وهم ● اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس ● لا يظلمون ● بزيادة عقاب او نقص ثواب ● افمن اتبع رضوان الله ● اي سعى في
تحصيله وانتحى نحوه حسبما كان يفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته ● كمن باء ● اي رجع ● بسخط ● عظيم لا يقادر قدره
كائن ● من الله ● تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام وتقريره بتحقيق المباينة
الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الاخر نفي بل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين
الهمزة والفا لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى
اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ● وماواه جهنم ● اما
كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما
كان فلا محل له من الاعراب ● وبئس المصير ● اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين
المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني ● هم ● راجع الى الموصولين باعتبار المعنى ● درجات
عند الله ● اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا
ذاتيا كالدرجات اي ذوو درجات ● والله بصير بما يعملون ● من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها ● لقد من الله ● جواب قسم
محذوف اي والله لقد من الله اي انعم ● على المؤمنين ● اي من قومه عليه السلام ● اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ● اي من
نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم
عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ
لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الخ على انه خبر لمبتدا محذوف اي منه اذ بعث الخ او على ان اذ في محل الرفع على الابتدا بمعنى لمن من الله على
المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم
متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى ● يتلوا عليهم اياته ● صفة اخرى اي يتلو عليهم القران بعد ما كانوا
اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شي من الوحي ● ويزكيهم ● عطف على يتلوا اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ● ويعلمهم
الكتاب والحكمة ● اي القران والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس
بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها
مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القراءة بالتلاوة تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على
حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة ● وان كانوا من قبل ● اي من قبل بعثته
عليه السلام وتزكيته وتعليمه ● لفي ضلال مبين ● اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام

فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول متعلق بكان والثاني بخبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان
وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى
التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها ﴿اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا﴾ كلام مبتدا مسوق لابطال بعض ما صدر
عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على
محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم
وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مفعول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع
انه المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى
احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقرر الوعد بالنصر على توجيه الانكار
والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا اليه عادة فان كون مصيبة مما يهون الخطب
ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم ان هذا على توجيه الانكار على استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها
وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه
في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل ﴿قل
هو من عند انفسكم﴾ امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد ويحقق فساده بالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان
ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان مقيدا
كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جناياتهم فيه
على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وانهم من الذين يشملهم هذه الكلمة وقيل باخذهم الفدا
يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وايما كان فتوسيط خطابه صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين
وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾
ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبلها داخل تحت الامر ﴿وما اصابكم﴾ رجوع الى خطاب المؤمنين او خطابه عليه السلام لمن يتضمنه وارشاد لهم الى الحقيقة فيما سألوا
عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول
عن الاضمار لما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى ﴿يوم التقى الجمعان﴾ اي جمعكم وجمع المشركين ﴿فباذن الله﴾
اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك اذنا لكونها من لوازمه ﴿وليعلم المؤمنين﴾ عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف
السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس ﴿وليعلم الذين نافقوا﴾ عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل
لتشريف المؤمنين وتنزيههم من الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على
نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئ عن الاستمرار والآخرين موصول صلته
فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن لتمييز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق ﴿وقيل لهم﴾ عطف على نافقوا
داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدا قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى ﴿تعالوا
قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا﴾ قال السدي اي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم
وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيبا
فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون ﴿قالوا﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين
خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما
عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لا
تبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو
المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع ﴿هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان﴾ الضمير مبتدا واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وتعلق حرفين متحدين
لفظا ومعنى بعامل واحد لا يجوز الا بالعطف او بالبدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل
فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرف

اي هم للكفر يومئذ اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم
فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر
اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى ﴿يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم﴾ جملة
مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما
نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي
حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشئه في
قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع
على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخزال عازمين على الارتداد وقوله
عز وجل ﴿والله اعلم بما يكتمون﴾ زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف افواههم من فنون الشر والفساد اثر
بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه
المؤمنون على وجه الاجمال وان تفصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي ﴿الذين قالوا﴾ مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر
لمبتدا محذوف وقيل مبتدا خبره قل فادرؤا بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل
مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه ﴿لاخوانهم﴾ اي لاجلهم ومن
قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء ﴿وقعدوا﴾ حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال
بالانخزال ﴿لو اطاعونا﴾ اي فيما امرناهم به واشرنا عليهم في ذلك ﴿ما قتلوا﴾ وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا واغووهم كما غووا وحمل
القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة
حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم
ينادي باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة ﴿قل﴾ تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم
﴿فادرؤا عن انفسكم الموت﴾ جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ﴿ان كنتم صادقين﴾ كما انه شرط حذف جوابه لدلالة
الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب
عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم
من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان لان السبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته
عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا
وقيل المراد ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا فادرؤا جميع اسباب الموت حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ﴿ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا﴾ كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من
اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا
سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب
وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا على ان المراد
من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يسلوا بذلك ويبشروا بالحياة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع
اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا للتنبيه للسامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد
لكثرة المقتولين ﴿بل احياء﴾ اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود
خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة ﴿عند ربهم﴾ في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدا المقدر
او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم ﴿يرزقون﴾ اي من الجنة وفيه تاكيد لكونهم
احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواحهم في اجواف طير خضر
وانهم يرزقون وياكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد
انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة
على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يحمل

خبرا ومتعلق بما قبله مما ذكر وقيل المراد انها متعلق بالافلاك والكواكب فيلتذ بذلك ويكتسب زيادة كمال ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾
وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ﴿ويستبشرون﴾ يسرون بالبشارة ﴿بالذين
لم يلحقوا بهم﴾ اى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم ﴿من خلفهم﴾ متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم
او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اى لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين فى الدنيا ﴿ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بدل من الذين بدل
اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هى المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اى يستبشرون
بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب
او لا خوف عليهم فى الدنيا من القتل فانه عين الحياة التى يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه
يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية
مضارعا فان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام ﴿يستبشرون بنعمة﴾ كرر لبيان ان الاستبشار
المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا
بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل فى قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة
لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة منه تعالى ﴿وفضل﴾ اى زيادة عظيمة كما فى
قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ﴿وان الله لا يضيع اجر المؤمنين﴾ بفتح ان عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به
والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان
من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة فى الدين وقرئ بكسرها على انه استئناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب فى الشهادة والبعث على
ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح﴾ صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة
او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم﴾ بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين
المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان
وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان
باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعنى الركب
الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه ككلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله
سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ﴿ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ روى ان ابا سفيان
نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل
خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى الرعب فى قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بنى عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا
من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله
ونعم الوكيل قيل هى الكلمة التى قالها ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار ﴿فزادهم ايمانا﴾ الضمير المستكن للمقول او لمصدر
قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازدادوا طمأنينة واظهروا حمية الاسلام
واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب
فيه ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ اى محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا
فى قولك هذا رجل حسبك ﴿ونعم الوكيل﴾ اى نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اى الله عز وجل ﴿فانقلبوا﴾ عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اى فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روى انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات
فباعوها واصابوا خيرا كثيرا ثم انقلبوا الى المدينة كما فى قوله تعالى ﴿بنعمة﴾ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير فى فانقلبوا والتنوين للتفخيم اى رجعوا
متلبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل ﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها
الذاتية التى يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اى كائنة من الله تعالى وهى العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو

منهم ﴿وفضل﴾ اى ربح من التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم ﴿لم يمسسهم سوء﴾ حال اخرى من الضمير فى فانقلبوا او من المستكن فى الحال كأنه قيل
منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كانت مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذى الحال جاز فيه دخول الواو كما فى قوله تعالى او قال اوحى الى ولم يوح اليه
شئ وعدمه كما فى هذه الاية الكريمة وفى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ﴿واتبعوا﴾ فى كل ما اتوا من قول وفعل ﴿رضوان الله﴾
الذى هو مناط الفوز بخير الدارين ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب
فى الدين واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا
انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضى عنهم ﴿انما ذلكم﴾ اشارة الى المثبط او الى
من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿الشيطان﴾ اما خبره وقوله تعالى ﴿يخوف اولياءه﴾ جملة مستأنفة
مبينة لشيطنته او حال كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان اى ابليس والمستكن فى يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اى يخوف به والمراد
باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اى يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ويؤيده قوله تعالى
﴿فلا تخافوهم﴾ اى اولياءه ﴿وخافون﴾ فى مخالفة امرى واما القاعدون فالمفعول الثانى محذوف اى يخوفهم الخروج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والضمير البارز فى فلا تخافوهم للناس الثانى اى فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافونى فجاهدوا مع
رسولى وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب لفريقى الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهى والامر على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا
مما يوجب عدم الخوف والنهى عنه ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعى الامن من شر الشيطان
واوليائه ﴿ولا يحزنك﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان بانه
المتعهد بامور الدين والاهتمام بشأنه ﴿الذين يسارعون فى الكفر﴾ اى يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار
كلمة فى على ما وقع فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للاشعار باستقرارهم فى الكفر ودوام ملابستهم له فى مبدأ المسارعة ومنتهاها
كما فى قوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم فى فنونها فى طرفى المسارعة وتضاعيفها واما ايثار
كلمة الى فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين
وطائفة من اليهود حسبما عين فى قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما فى حيز الصلة الى مظنة وجود المنهى عنه واعرائه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى لا يحزنوك بمسارعتهم فى الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهى اليهم مع
ان المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة فى ذلك لما ان النهى عن التأثير باصله ونفى له بالمرة وقد يوجه النهى الى اللازم
والمراد هو النهى عن الملزوم كما فى قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاى والمعنى واحد وقيل معنى حزنه
جعل فيه حزنا كما فى دهنه اى جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن ﴿انهم لن
يضروا الله﴾ تعليل للنهى وتكميل للتسلية بتحقيق نفى ضررهم ابدا اى لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق الضرر به تعالى لتشريفهم
والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة فى التسلية وقوله تعالى ﴿شيئا﴾ فى حيز النصب على المصدرية اى شيئا من
الضرر والتنكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اى بشئ ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه
شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك
فى ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية
والتعليل ﴿يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة﴾ استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك فى الكفر وفى ذكر الارادة من الايذان
بكمال خلوص الداعى الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها
اى يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم فى الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم فى طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ﴿ولهم﴾ مع ذلك الحرمان
الكلى ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة فى الشئ على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة
وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته فى نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم من الثواب واما حال من الضمير فى
لهم اى يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ﴿ان الذين اشتروا الكفر بالايمان﴾ اى اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا
عما تركوه وقد مر تحقيق القول فى هذه الاستعارة فى تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى ﴿لن يضروا الله شيئا﴾
تفسيره كما مر وفيه تعريض ظاهر باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان
يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة

ولابلة في التورية كامر شأن اليهود ومنافقيهم فالكفر بالمعنى الحكمي وتاكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء
المذكور صريح في حصول ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم
وركاكة ارائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الراي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهي اعز من الابلق
الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور العقد المنتزع الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ
الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلايل المنصوبة
في الافاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام
متناولة وقد جوز كون الموصول الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة
شأن التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعلم من النهي
عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار
كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى • ولهم عذاب اليم • جملة مبتداة مبينة لكمال فظاعة عذابهم
بعد ذكر بنائه على طريق بناء ما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها
خاسرة ووصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك • ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم • عطف على قوله ولا يحزنك الذين الاية
والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة
بين المبتدا والخبر وسد احدهما والاخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها وكان حقها في الكتابة
لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه
لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور والنشاط بان املاءه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر
محض كان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام
ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون
خاصة فايثار الاظهار المذكور على الاضمار لرعاية المقارنة الذاتية بين الصلة وبين الاملاء التي هي عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم
دهرا طويلا فان المقارن له ذاتا انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المتقضية
في تضاعيفها الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتأتى
منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم اما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد
المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض واما مفعول ثان
بتقدير مضاف اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء
خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم • انما نملي لهم ليزدادوا اثما • استيناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة
وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد
لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا تحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازديادهم الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافي
ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان • ولهم • في الاخرة • عذاب مهين • لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك
مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاء وفاقا والجملة اما مبتداة مبينة لحالهم في الاخرة اثر بيان حالهم
في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين [illegible] بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية
والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد
بما انتم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو المعهود المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو
قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط وعطف المنافقين عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين
المؤمنين والمجاهرين في امر من الامور والمراد بما انتم عليه ما هم عليه من العقد المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته
الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل
المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما انتم عليه ما مر من مستمرة والاول هو الاقرب والانسب واليه
جنح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من العقد المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما
بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان
والاخلاص لا العقد المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز

واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر
المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية
ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حرف الجر في عملها وقوله عز وجل • حتى يميز الخبيث من الطيب • غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل
ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما
بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره لاسيما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة
الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الاخر هو اتصافهما بوصفيهما لا خصوصية ذاتيهما وتعدد احادهما كما في مثل قوله تعالى [illegible]
مما اصعب حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصفين من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع
ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف
في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم
وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المؤمنين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم
المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشان من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير لائقة
كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى • وما كان الله ليطلعكم على الغيب • تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق
تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل • ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء • اشارة الى كيفيته ووقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم
الجليل في الموقعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين [illegible]
من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من
الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من صحبة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان
بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم
الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شانه عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة
فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الامر في قوله تعالى • فآمنوا بالله ورسله • مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي
عليه السلام لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان لما انه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة
نبوته عليه السلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا
هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف
الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك
عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر
الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على
خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من
ذلك حمل الاية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط
ابدا كما تركهم كذلك الى الان لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعل يوم احد حيث خلى الكفرة وشانهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهروا ما
في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر
فنزلت • وان تؤمنوا • اي بما ذكر حق الايمان • وتتقوا • اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق • فلكم • بمقابلة ذلك الايمان والتقوى
• اجر عظيم • لا يبلغ كنهه • ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم • بيان لحال البخل وسوء عاقبته وتخطئة
لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك
من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف
لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا
لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني
ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم • بل هو شر لهم • التنصيص على شريته لهم
مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى • سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة • بيان لكيفية شريته
اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي
عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية في عنقه تنهشه

من ورثه الى خدامه وخدم راسه وتحولها لما لك • ولله • وحده لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا • ميراث السموات والارض • اى ما يتوارثه
اهلهما من مال وغيره من الرسالات التى يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله او انه يورث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه
فى سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة • والله بما تعملون • من المنع والبخل • خبير • فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل
فى موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة فى الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر
• لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه
السلام كتب مع ابى بكر رضى الله عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاء
والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتاكيد القسمى للتشديد فى التهديد والمبالغة
فى الوعيد • سنكتب ما قالوا • اى سنكتبه فى صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته فى علمنا لا ننساه ولا نهمله كما
يثبت المكتوب والسين للتاكيد اى لن يفوتنا البتة تدبر لكونه فى غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن
العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى • وقتلهم الانبياء • ايذانا بانهما فى العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة
ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم
وقوله تعالى • بغير حق • متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كائنا بغير حق فى اعتقادهم ايضا كما هو فى نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء للمفعول
وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ويقال بالياء • ونقول ذوقوا عذاب الحريق • اى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم
ذوقوا عذاب الحريق كما اذاقوا المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول • ذلك •
اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته فى الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى • بما
قدمت ايديكم • اى بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصى والتعبير عن الانفس بالايدى لما ان
عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان فى قوله تعالى • وان الله ليس بظلام للعبيد • الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراض تذييل
مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر
من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن
ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر
من التعذيب بغير ذنب فى صورة المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما وكيفا
هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم مستلزم للعدل المقتضى لاثابة المحسن ومعاقبة
المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل فى سورة الانفال
وقيل سببيته ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه
تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى
ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين • الذين قالوا • نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن صيفى وحيى
ابن اخطب وفنحاص بن عازورا ووهب بن يهودا • ان الله عهد الينا • اى امرنا فى التورية واوصانا • ان لا نؤمن لرسول •
حتى ياتينا بقربان تاكله النار • كما كان عليه امر انبياء بنى اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله
او تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات
سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به تحقق الايمان
رد عليهم بقوله تعالى • قل • اى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم • قد جاءكم رسل • كثيرة العدد كبيرة المقدار • من قبلى بالبينات • اى المعجزات
الواضحة • وبالذى قلتم • بعينه من القربان الذى تاكله النار • فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين • اى فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون
لرسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد جاءكم بما قلتم من معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا بهم حتى
اجترأتم على قتلهم • فان كذبوك • شروع فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى اليه ما تحزنه عليه السلام من مقالات
الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى • فقد كذب رسل من قبلك • تعليل لجواب الشرط اى فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب
او بمحذوف هو صفة لرسل اى كائنة من قبلك • جاؤا بالبينات • اى المعجزات الواضحات صفة لرسل • والزبر • جمع زبور وهو
الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته • والكتاب المنير • قيل اى

التورية والانجيل والزبور والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة المواقع
وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات • كل نفس ذائقة الموت • وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة
الموت بالتنوين وعدمه كما فى قوله ولا ذاكر الله الا قليلا • وانما توفون اجوركم • اى تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال • يوم القيامة •
اى يوم قيامكم من القبور وفى لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران • فمن زحزح عن النار • اى بعد عنها يومئذ ونحى والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة • وادخل الجنة فقد فاز •
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الآخر ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه • وما الحياة الدنيا • اى لذاتها وزخارفها • الا متاع الغرور • شبهت بالمتاع الذى
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار • لتبلون •
شروع فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم
ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد
للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور
حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل
ان يرتب عليه شيئا هو من مبادئه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتبلون اى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من
الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة فى الحث على ما اريد منهم
من التهيؤ والاستعداد • فى اموالكم • بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها فى سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه فى
سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف • وانفسكم • بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف
والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها • ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • اى من قبل ايتائكم القرآن
وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب
كما فى قوله تعالى ان الله عهد الينا الى آخره والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤكد تمسكهم به
• ومن الذين اشركوا اذى كثيرا • من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن
وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه • وان
تصبروا • اى على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل • وتتقوا • اى تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين
عما سواه بالمرة بحيث تستوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه • فان ذلك • اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة
خصوصية احوال المخاطبين • من عزم الامور • من معزوماتها التى يتنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من
كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة
تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك
اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفى ابراز الامر بالصبر والتقوى فى صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد
ما لا يخفى • واذ اخذ الله • كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما فى كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبى صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام
وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها على ما مر بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى جاعل الى آخره اى اذكر وقت اخذه تعالى • ميثاق
الذين اوتوا الكتاب • وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة فى تقبيح حالهم • لتبيننه • حكاية لما خوطبوا
به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه • للناس • وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام
والاخبار التى من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب • ولا تكتمونه • عطف على الجواب
وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما فى قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتاكيد فى الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين
اما على اضمار مبتدا بعد الواو اى وانتم لا تكتمونه واما على راى من جوز دخول الواو على المضارع المنفى عند وقوعه حالا اى لتبيننه غير كاتمين
والنهى عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة فى ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته
عليه السلام وبالكتمان المنهى عنه القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله • فنبذوه • النبذ الرمى

والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التأكيد والقوه ﴿وراء ظهورهم﴾ ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا
فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على حتم
بيان الحق على علماء الدين واظهار ما سجله الله لعظه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه بغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض
الفانية الخاسية ما لا يخفى وعن النبي عليه السلام من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني
ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت
عن علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت عن جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا ﴿واشتروا
به﴾ اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد
به كتم بعضه وهو الآيات الناطقة بنبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان ترك بعض اركان الصلاة رفض لكلها او بمنزلة
كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستيجاب العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال
متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ﴿ثمنا قليلا﴾ اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة
بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود
بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على
الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدني الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم في
جعل المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه ﴿فبئس ما يشترون﴾ ما نكرة منصوبة مفسرة
لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن ﴿لا تحسبن﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يصلح له ﴿الذين يفرحون بما أتوا﴾ اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده مأتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون
بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التورية قال ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود حرفوا التورية
وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التورية
فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته
عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع
موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج فيها بيان بعض آخر
من شنايعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم
ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا
عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ﴿ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ فانهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين
بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة
معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء
من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يحمده الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان
فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى ﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى ﴿بمفازة من
العذاب﴾ اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تأنيثها لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة
كما في قوله ﴿فلولا رجاء النصر منك ورهبة﴾ ﴿عقابك قد كانوا لنا بالمراد﴾ ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق
بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اي بمفازة منجية من
العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء
الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء الثاني
فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين
وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي
الثاني عليهما او عكسه كما في قوله ﴿بأي كتاب ام بأية سنة﴾ ﴿ترى حبهم عارا علي وتحسب﴾ حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي
الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة
مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه

السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتشديد الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع
اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله
عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ بعدما اشير الى عدم نجاتهم
من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في الشدة والمدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ﴿ولله ملك
السموات والارض﴾ اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة وتعذيبا واثابة
من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء قدير﴾ تقرير لاختصاص
ملك العالم الجسماني والمعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي
كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك
السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل موقع الاضمار لتربية المهابة
والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ﴿ان
في خلق السموات﴾ جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد
اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائهما على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما من الامور التي تحار في فهم اجلاها العقول ﴿والارض﴾ على ما هي عليه
ذاتا وصفة ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لـ
حركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا
قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية
اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات
في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده
وهو ليلة بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع وليلة ومرجع قريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع
كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان
غرر الشهور تظهر في ابتداء الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه
فخلفه ﴿لآيات﴾ اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب
شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر
وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود هاهنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك
واما هناك فقد قصد في ضمنه بيان اختصاصه تعالى بالالوهية ببيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة
في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته ووحدته ﴿لاولي الالباب﴾ اي لذوي العقول
المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في الحقائق واحكام
النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنايع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس
والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى
شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع وحضر في محاضر التكوين والاختراع
سجل لذي عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فضل من سامع واع ومخبر باسرار حكمته فضل له من واع حاذر تارة
بافصح عبارة وتلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في اطوار ابتهاجهم وتصرفهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه
الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة
ائذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من
صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت
دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الخ ﴿الذين يذكرون
الله﴾ الموصول اما موصول بأولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مقطوع عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه
خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا الخ وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياما كان
فقد اشير بما في حيز صلته الى ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته

لا يغفلوا بكل ما سواه فانهم منه وغافل لديه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل ● قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ولا في الافاق واليه اشير بالعبدة الاوثم بما يتون في ذلك شانا من شؤنه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سوا كان ذلك من حيث الذات
او من حيث الصفات والافعال وسوا قارنه ذكر اللسان اولا واما ما حكي عن ابن عباس رضي الله عنه وعمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله تعالى
عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون
الله تعالى على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الاية وتحقيق مصداقها على التحقيق وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد
مدلولها واما حمل بعضهم على الصلاة وجعلها احوالا حسبها لاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل وسياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم
وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين
اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها
الاحوال المعهودة التي لا تخلو عنها الانسان غالبا ● ويتفكرون في خلق السموات والارض ● عطف على يذكرون منتظم معه في حيز
الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل على الحال تقدير علة النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر
بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي يودي اليهما من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وايات
الكتب فكما انها ايات تشريعية هادية الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات ايات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات
لهم الى ذلك على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الاية الكريمة ونحوها مما ورد في مواضع غير محصورة من التنزيل والثانية مويدات
للاولى ● شواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فان من تامل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه
تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة
البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال احتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك
ليس الا لحكمة باهرة وهي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل
والامارات والمخايل وسائر افعالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو اشرف افراده لما ان الكل من القلب
والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل ابهى من معرفته تعالى التي هي ادنى
الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه
السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واما طريقها النظري التفكر فيما ذكر من شؤنه تعالى وقد روي عنه عليه السلام
انه قال لا تفضلوني على يونس ابن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال
عليه السلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت شانه تستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والا لما فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى
موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فتتصادق الايات التكوينية وتتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر
في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستوجبة للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه والاظهار في خلق السموات والارض مع
كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بجلالة كون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين
في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه
واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير حاجة الى بعض اخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله
اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما
اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ● ربنا ما خلقت هذا باطلا ● كلمة هذا اشارة الى السموات والارض
متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى
الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول به اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان
عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة
من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدا والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما حققه
مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو حال من يتفكرون وقيل المرصول فيما لاولي الالباب استئنافا تبين لنتيجة التفكر ومدلول الايات
فانه تعالى لما بين ان النفس عند سماع هذه الايات المنصوبة في خلق العالم دالة لاولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الايات
التي هي معرفة لما يظهر لهم من اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا ترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون

كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المودي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل
الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز
الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي جرى على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم
وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يودي الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك
ليس من مبادي الاستدلال بالايات المذكورة بل من نتائجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم
هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول موفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك
من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك
ذلك وقوله تعالى ● سبحانك ● اي تنزيها لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون
ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى ● فقنا عذاب النار ● فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية
الحميدة والقيام بما يقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما لا يحيق بالمخلين بذلك من وجهين
احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفا لترتيب الدعا على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعا فالفا لترتيب المدعو على الوقاية
على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي لا يعرفون ذلك ● ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته ● مبالغة في استدعا الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالندا للمبالغة في التضرع والجوار وتاكيدها لاظهار
كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتهويله
غاية تفظيعه حاله الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري
الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلا والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي
المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى ● وما للظالمين من انصار ● تذييل
لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعا ووضع الظالمين موضع ضمير
المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشيا في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جميع الظالمين
والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الاية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار ● ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان ● حكاية لدعا اخر لهم مبني على ما تاملوه من الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية
وتصدير مقدمة الدعا بالندا لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتاكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط
والمراد بالندا الدعا وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتها وباللام لاشتماله على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم
وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت ربنا
حقيقة لمنادي عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول
ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور
المسموع عن المتكلم وللتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه ●
بالمنادي ثم وصف بالندا للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق
اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ● ان امنوا ● اي امنوا على ان ان تفسيرية او بان امنوا على انها مصدرية
● بربكم ● اي بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه ● فامنا ● اي فامتثلنا بامره واجبنا
نداءه ● ربنا ● تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفا في قوله تعالى ● فاغفر لنا لترتيب
المغفرة او الدعا بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعا بها ● ذنوبنا ● اي كبائرنا فان الايمان
يجب ما قبله ● وكفر عنا سيئاتنا ● اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر ● وتوفنا مع الابرار ● اي مخصوصين بصحبتهم معتنمين
لجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقا الله ومن احب لقا الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار وبر كاصحاب وارباب
● ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ● حكاية لدعا اخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتاخر التحلية وتكرار الندا لما مر وكذا المراد
بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة
لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه
المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما
اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام

لاسيما في اصل التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرايع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق
بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود
على السنة الكل واتيا والجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ● ولا تخزنا يوم القيامة ● فتصدوا بذلك تذكير
وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى
● انك لا تخلف الميعاد ● تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست
لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعهما الى الدعاء بالتثبيت او
للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنه انه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من
حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية ● فاستجاب لهم ربهم ● الاستجابة بمعنى الاجابة
وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وقد
عطف على الاستجابة المقدر فيما سلف مرتب على ما في حيزه من الادعية كما في قوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الآن
اي قيل لهم الآن آمنتم به وقيل الآية وكما في قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الخ ولا ضير
في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة
وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان
يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب لهم الخ واما على تقدير كون الموصول نعتا لما قبله فهو عطف على يتفكرون
باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم
الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا
لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان
دعواتهم السابقة ليست كذلك فان الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى ● اني لا اضيع عمل عامل منكم ● اي بأني وهكذا قرأ ابي رضي الله عنه والباء للسببية
كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار
كمال الاعتناء بشأن الاستجابة والدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها
ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة
اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقية اذ الاعمال
غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح
وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ فلا التفات وقرئ لا اضيع بالتشديد
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى ● من ذكر او انثى ● بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله
تعالى ● بعضكم من بعض ● جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من
اصل واحد ولفرط الاتصال بينهما اولا تفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها
قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى ● فالذين هاجروا ● شروع في تفصيل
لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين وقوله تعالى
● واخرجوا من ديارهم ● على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار ● واوذوا في سبيلي ● اي
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين ● وقاتلوا ● اي الكفار في سبيل الله تعالى ● وقتلوا ●
استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لان الواو لا تستدعي الترتيب ولان المراد قتل بعضهم وقتال الآخرين اذ ليس المعنى على اتصاف
كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد
من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو
رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد ● لاكفرن
عنهم سيئاتهم ● جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهو تصريح بوعد ما سأله الداعون خصوصا
بعدما وعد ذلك عموما وقوله تعالى ● ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ● اشارة الى ما عبر عنه الدعاة فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا
على رسلك وتفسير له ● ثوابا ● مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى
● من عند الله ●

وصفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة او تثبيتا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى ● والله
عنده حسن الثواب ● اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على
المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا
يقدر عليه غيره بحال فيكون عنده احد لا يدل عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي تصدير
الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى ●
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ● بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي
المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين
كما يوجه الخطاب الى مداره القوم ورؤسائهم والمراد اتباعهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة
اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين
كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة ● متاع قليل ● خبر لمبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا
مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه ● ثم مأواهم ● اي مصيرهم الذي
يأوون اليه لا يبرحونه ● جهنم ● التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى ● وبئس المهاد ● ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته
ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم ● لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ● بيان لكمال
حسن حال المؤمنين عقب بيان سوء حال الكفرة وتكريره اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات لتحقيق ان سرورهم ودوام نعيمهم
والايراد التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ
او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف
من معنى الاستقرار ● نزلا من عند الله ● وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي ● وكنا
اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف
من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى ● وما عند الله ● تعالى ● خير ● مبتدأ وخبر وقوله تعالى ●
للابرار ● متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار مما يتقلب فيه الفجار من المتاع
القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها ● وان
من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله ● جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت مساويهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب
وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي عليه السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا
على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن
● وما انزل اليكم ● من القرآن ● وما انزل اليهم ● من الكتابين وتأخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس
في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منهما انما يعتبر من حيث
ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو دين المحرفين واتباعهم من العامة ● خاشعين لله ● حال
من فاعل يؤمن والجملة باعتبار المعنى ● لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ● تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسيطها في سلك محاسنهم
ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم ● اولئك ● اشارة اليهم من حيث اتصافهم
بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ● لهم
اجرهم ● اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية
او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى ● عند ربهم ● نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كما في الصفة ● ان الله سريع الحساب ●
لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل والمراد سرعة وصول الاجر الموعود اليهم ● يا ايها الذين آمنوا ●
اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل ● اصبروا ● اي على مشاق الطاعات
وغير ذلك من المكاره والشدائد ● وصابروا ● اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى
وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ● ورابطوا ● اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين

للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم رابطوا يوما وليلة
في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة • واتقوا الله • في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج
فيه ما ذكر على الاطلاق في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا • لعلكم تفلحون • كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين
عن كل المكروه عن النبي صلعم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مائة وست وسبعون آية مدنية

• يا ايها الناس • خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه
لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول
على الاخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام
الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول
فلا حظ لهم في الخطاب كلمة لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تاكيد التكليف
وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل • اتقوا ربكم • فواردة على
طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة
جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك واما التقوى
فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه تعالى في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب
وكذا وصف الرب بقوله تعالى • الذي خلقكم من نفس واحدة • فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع
المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران
نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق
الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل
من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم عليه السلام
حيث كانوا بتوسط ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته
تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل • وخلق منها زوجها • فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك
وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة
خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة
لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة
فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينا هو بين النائم واليقظان
خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم
على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا
وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل • وبث منهما • اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل • رجالا
كثيرا • نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا • ونساء •
اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة
لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ وهو خالق وباث • واتقوا الله الذي تساءلون به • تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات
الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه
وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى
وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التاءين تخفيفا وقرئ بادغام التاء الثانية في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي
اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رايت الهلال وترايناه وقيل معنى يتساءلون

على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين • والارحام • بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على تقدير تسالون به و
بالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها
ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اي والزموا
الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه
سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه
وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله • ان الله كان عليكم رقيبا • اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب
يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم
من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل
• وآتوا اليتامى اموالهم • شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق
باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات
ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان
من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله عليه السلام
لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة
عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل
والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه
ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر وانما الامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء
والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون
كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والحفظ عن تعرضها مطلقا واما وجوب الدفع الى
الكبار فمستفاد مما سيأتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع
لقرب عهدهم بالصغر حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل
ويأباهما ما سيأتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته
او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للاعطاء حالا وتعميم الخطاب
لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع اليه بالفعل وان لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع
ما سبق تكلف ما لا يخفى فالانسب ما قدر من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع
سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب
منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب • ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب • نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء
واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل
بالباء كما في قوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ
واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله
تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قال الفراء
والزجاج وقيل معناه لا تتبدلوا اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو
اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان
كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي
والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنهما بتبدل الخبيث بالطيب مع انهما
تبدل به او تبدل الطيب بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب
المجلوب اليه مشترى كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه • ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم • نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة
الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد رخص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا • انه • اي الاكل المفهوم من النهي
• كان حوبا • اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا • كبيرا • مبالغة

في بيان عظم ذنب الأكل المذكور كأنه قيل من كبائر الذنوب العظيمة لا من أفنائها **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى** الإقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط أي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى أقسط فإن الزجاج حكى أن قسط يستعمل استعمال أقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك إيذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لأن الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يكن الأمر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق بأموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة إلى الأول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من تحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا رغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن أن يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها من غير أن يقسط في صداقها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وأما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما أطبق عليه أكثر أهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الأمر بنكاح غيرهن فإن المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن أي وإن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنقص الصداق **فانكحوا ما طاب لكم** ما موصولة أو موصوفة وما بعدها صلتها أو صفتها وإيثارها على من ذهابا إلى الوصف وإيذانا بأنه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على أن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرئ ابن أبي عبلة من طاب ومن في قوله تعالى **من النساء** بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام أي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الأجنبيات وفي إيثار الأمر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع أنه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فإن النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما أن وصف النساء بالطيب على الوجه الذي أشير إليه مبالغة في الاستمالة إليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني إلى النكاح المترقب مع أن سبب الخوف هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة إلى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فإن محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه أولى وقيل المراد بالطيب الحل أي ما حل لكم شرعا لأن ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من مجمل ووقوع فيما هو أفظع منه لأن ما حل لهم مجمل وقد تقرر أن النص إذا تردد بين الإجمال والتخصيص يحمل على الثاني لأن العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان أصلا ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن لم يكن أصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على أنها حال من فاعل طاب مؤكدة لما أفاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة إليهن بتوسيع دائرة الإذن أي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا حسبما تريدون على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أي عدد شاء من الأعداد المذكورة لا أن بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة أو لفات تجويز الاختلاف في العدد بعدها وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير أخذ الأولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الإقساط مع أنهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى أنه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الأولى وشيوعها بين الناس وظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء إلى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا **فإن خفتم ألا تعدلوا** أي فيما بين هذه الأعداد ولو في أقل الأعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى أو كما لم تعدلوا في حقهن أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد **فواحدة** أي فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع أي فالمقنع واحدة أي فحسبكم واحدة **أو ما ملكت أيمانكم** أي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين خلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات فمما ملكت أيمانكم

فإن المأمور به النكاح هناك أن يتزوج المخاطبين بملك اليمين والتسوية في السهولة واليسر بين الحرة والسراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ أو من ملكت أيمانكم وما في القراءة المشهورة للإيذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء **ذلك** إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري **أدنى ألا تعولوا** العول الميل من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وعال في الحكم أي جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل أي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري أقرب بالنسبة إلى ما عداهما من أن لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الأول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فإن الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين أن مدار الأمر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بأن لا يكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم أي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري أنه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** أي اللاتي أمر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة وظلمة **نحلة** قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لأنها مما فرضه الله تعالى من النحلة أي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات أي أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على أنها مفعول له أي أعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة أي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا عليهن فانتصابها على الحالية منها أيضا وقيل عطية من جهة الأزواج من نحله كذا أي أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن إيتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الأزواج لإفادة معنى الإيتاء عن كمال الرضا وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لأن الإيتاء والنحلة بمعنى الإعطاء كأنه قيل وأعطوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحالية من ضمير آتوا أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس فالخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه **فإن طبن لكم عن شيء منه** الضمير للصدقات وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك فإنه قد يشار به إلى المتعدد كما في قوله عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة أنه حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط ينبغي أن يقول كأنها وإن أردت السواد والبلق ينبغي أن يقول كأنهما قال لكني أردت كأن ذاك أو للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فأصدق وأكن حيث عطف أكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أي كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب **نفسا** تمييز والتوحيد لما أن المقصود بيان الجنس أي إن وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى البذل من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة إلى ما عليه النظم الكريم إيذانا بأن العمدة في الأمر إنما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة **فكلوه** أي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تمليكا وتخصيص الأكل بالذكر لأنه معظم وجوه التصرفات المالية **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم إلى فم المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه أي انسياغه ونصبهما على أنهما صفتان للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو على أنهما حال من الضمير المنصوب أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء على أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساقه إليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** رجوع إلى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط إيتائها ووقته وكيفيته إثر بيان بعض الأحكام المتعلقة بأنفسهن أعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الأجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للأولياء نهوا أن يؤتوا المبذرين من اليتامى أموالهم مخافة أن يضيعوها وإنما أضيفت إليهم وهي لليتامى لا نظرا إلى كونها تحت ولايتهم كما قيل فإنه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها بأصحابها منزلة اختصاصها بالأولياء فكأن أموالهم عين أموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بأنفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل أنفسهم وقد أيد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش أصحابها بجعلها مناطا لمعاش الأولياء فقيل **التي جعل الله لكم قياما** أي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الأول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حيث جعل ما به القيام قياما فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل إنما أضيف إلى الأولياء لأنها من جنس ما يقيم الناس به معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل إليه القلوب ويدخر لأوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وأنت خبير بأن ذلك بمعزل من حمل الأولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين

اموال اليتامى واموال الاولياء بل هى حقيقة فى اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتى واللواتى وقرئ
قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها • وارزقوهم فيها واكسوهم
اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتربحوا حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان
والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده وغيرهم ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم
• وقولوا لهم قولا معروفا • اى كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم
ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر
• وابتلوا اليتامى • شروع فى تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهى عنه عند كون
اصحابها سفهاء اى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه
وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع
واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم • حتى اذا
بلغوا النكاح • بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح • فان آنستم • اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما فى قول من قال
خلا ان العتاق من المطايا • احسن به فهن اليه شوس • منهم رشدا • اى اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور
على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او للاعتداد به وتنوينه للدلالة على كفاية رشد فى الجملة وقرئ بفتحتين وقرئ
والشين وضمها • فادفعوا اليهم اموالهم • من غير تاخير عن حد البلوغ وفى ايثار الدفع على الايتاء الوارد فى اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب
المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله • فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة
اشكل • وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا
وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمهم الله تعالى ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانية عشر سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس • ولا
تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا • اى مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لها لما بعدها من قوله تعالى • ومن كان غنيا فليستعفف •
الخ اى من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه عن اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله • ومن كان
من الاولياء والاوصياء • فقيرا فلياكل بالمعروف • بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفى لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام ان فى حجرى يتيما افآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ولى اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها
وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما يتقرم البهيمة وينزل
نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف
فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فاذا ايسر
قضاه وان استشهد فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انى انزلت نفسى من مال الله عز وجل منزلة والى اليتيم ان استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطالب زيادة العفة • فاذا دفعتم اليهم اموالهم •
بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به • فاشهدوا عليهم • بانهم تسلموها
وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل فى الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا
عند اصحابنا فان الوصى يصدق فى الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعى رحمهم الله تعالى • وكفى بالله حسيبا • اى محاسبا فلا تخالفوا
ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم • للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون • شروع فى بيان احكام المواريث بعد بيان
احكام اموال اليتامى المتعلقة اليهم بالوراثة والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن فى مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اى لهم نصيب
كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب • وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون • ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج فى
تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن فى استحقاق الارث والاشارة من اول الامر
الى تفاوت ما بين نصيبى الفريقين والمبالغة فى ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة • روى ان اوس بن ثابت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة

ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما
ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى
لابنى العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى • مما قل منه او كثر • بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير
المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل
وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق • نصيبا مفروضا • نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه
قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اى اعنى نصيبا
مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه • واذا حضر القسمة • اى قسمة التركة وانما قدمت
مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان فى الفاعل تعددا فلو روعى الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام • اولوا القربى • ممن لا يرث
• واليتامى والمساكين • من الاجانب • فارزقوهم منه • اى اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما
وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه • وقولوا
لهم قولا معروفا • وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم • وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم • امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم
او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم
بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا
خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين ان ينظروا الى الورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزها صلة للذين على معنى وليخش
الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة
فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى نحو سكارى • فليتقوا
الله • فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها • وليقولوا قولا سديدا • امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعدما امرهم
بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثانى ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا فى
الوصية ما لا يؤدى الى تجاوز الثلث وقوله تعالى • ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما • اى على وجه الظلم او ظالمين استئناف جىء به
لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهى • انما ياكلون فى بطونهم • اى ملء بطونهم • نارا • اى ما يجر الى النار ويؤدى اليها وعن ابى برزة
رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان
الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى • وسيصلون سعيرا • اى سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا
من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روى ان آكل مال اليتيم
يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم فى الدنيا وروى انه لما نزلت
هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية • يوصيكم الله •
شروع فى تفصيل احكام المواريث المجملة فى قوله تعالى للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج
ثم الاخوان والثالث الكلالة اى يامركم ويعهد اليكم • فى اولادكم • اولاد كل واحد منكم اى فى شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة
الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث • للذكر مثل حظ الانثيين • جملة مستانفة جىء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم
على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم فى هذا الحكم وهذا اقرب مما رآه الفراء فانه يجرى ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه فى حكاية الجملة
بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف
ثقة بظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف
محذوف اى للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط فى تضعيف حظه وايثار اسمى
الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين فى الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر
فى ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال والنساء • فان كن • اى الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله
• نساء • اى خلصا ليس معهن ذكر • فوق اثنتين • خبر ثان او صفة لنساء اى نساء زائدات على اثنتين • فلهن ثلثا ما ترك •
اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام • وان كانت • اى المولودة • واحدة • اى امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض
للموصوف لظهوره مما سبق • فلها النصف • مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم

الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى • فان كن نساء فوق اثنتين • ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك • ولابويه • اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الفروض • لكل واحد منهما • بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا الذي هو قوله تعالى • السدس • وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن • مما ترك • متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى • ان كان له ولد • او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة • فان لم يكن له ولد • ولا ولد ابن • وورثه ابواه • فحسب • فلامه الثلث • مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اخص واستحقاقها اتم واوفر او لان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنه فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع • فان كان له اخوة • اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب • فلامه السدس • واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنه انه لهم على كل حال الا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلاث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها • من بعد وصية • خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية • يوصي بها • اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها • او دين • عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين • اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا • الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون مع ايهم مبتدا واقرب خبر ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا والمراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل المقصود انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا في انفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشا خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الاجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما يتمتع به من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا الشهية لنفاده وفنائه ابعد وانقص وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل الجملة الاعتراضية مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية • فريضة من الله • نصب نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم • ان الله كان عليما • اي بالمصالح والرتب • حكيما • في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا • ولكم نصف ما ترك ازواجكم • من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره • ان لم يكن لهن ولد • اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا • فان كان لهن ولد • على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما

بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه • فلكم الربع مما تركن • من المال والباقي لباقي الورثة • من بعد وصية • متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده • يوصين بها • في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الموصى له على تنفيذها • ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد • على التفصيل المذكور انفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث اخر اصلا • فان كان لكم ولد • على النحو الذي فصل • فلهن الثمن مما تركتم • من المال والباقي للباقين • من بعد وصية توصون بها او دين • الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف المخاطبة وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن • وان كان رجل • شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى • يورث • على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه • كلالة • الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق ونصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث لاجل الكلالة • او امراة • عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام • وله • اي للرجل فقط تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرهما ايضا وقيل الضمير لكل منهما • اخ او اخت • اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسالة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع • فلكل واحد منهما • من الاخ والاخت • السدس • من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة • فان كانوا اكثر من ذلك • اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد • فهم شركاء في الثلث • يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما من جوز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد او ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فقد ضل من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسالة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصهما بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة هاهنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هم الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نصت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به • من بعد وصية يوصى بها او دين • الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين هاهنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى به • غير مضار • حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور من فاعل الفعل

المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البنا للفاعل اى يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصى بما زاد على الثلث او تكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر فى المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت فى حقهم • وصية من الله • مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اى يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر فى تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبات المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذى الحال او منفى معنى فيعمل فى المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اى غير مضار لوصية الله وعهده لا فى شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل فى شان الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما فى قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة فى الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضى ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدى الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبى هو المعطوف على وصية مع انه لا تعلق له بمادة المضارة قطعا الا الاقرار بالدين على اطلاقه • والله عليم • بالمضار وغيره • حليم • لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة • تلك • اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك • حدود الله • اى شرائعه المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها • ومن يطع الله ورسوله • فى جميع الاوامر والنواهى التى من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا • يدخله جنات • نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش • تجرى من تحتها الانهار • صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها • خالدين فيها • حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا • وذلك • اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته • الفوز العظيم • الذى لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض • ومن يعص الله ورسوله • ولو فى بعض الاوامر والنواهى قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبى يعنى ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار فى موقع الاضمار للمبالغة فى الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة • ويتعد حدوده • شرائعه المحدودة فى جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا • يدخله • وقرئ بنون العظمة فى الموضعين • نارا • اى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها • خالدا فيها • حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود فى دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود فى دار العذاب بصفة الانفراد اشد فى استجلاب الوحشة • وله عذاب مهين • اى وله مع عذاب الحريق الجسمانى عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحانى كما يؤذن به وصفه والجملة حالية • واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم • شروع فى بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتى جمع التى بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع لها على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحها والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اى فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اى اللاتى يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اى من ازواجكم كما فى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتى دخلتم بهن وبه قال السدى • فاستشهدوا عليهن اربعة منكم • خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما فى حيز الصلة للحكم اى فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم • فان شهدوا • عليهن بذلك • فامسكوهن فى البيوت • اى فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن • حتى يتوفاهن • الى ان يستوفى ارواحهن • الموت • وفيه تهويل للموت وابرازه فى صورة من يتولى قبض الارواح ويتوفاها اى يتوفاهن ملائكة الموت • او يجعل الله لهن سبيلا • اى يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم • واللذان يأتيانها منكم • هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزانى المحصن منهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة لعدم الشركة فى المناط • فآذوهما • اى بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والضرب بالنعال ايضا والظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا • فان تابا • عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء • واصلحا • اى عملهما • فاعرضوا عنهما • بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب ويجوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم فيكون كالعقوبة للفريقين

المذكور فى اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن فى البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين وما فى سورة النور فى الزناة والزوانى متمسكا بان المذكور فى الاولى صيغة الاناث خاصة وفى الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له فى الاولى ويأباه الاستشهاد بالاربعة فانه غير معهود فى الشرع فيما عدا الزنا • ان الله كان توابا • مبالغا فى قبول التوبة • رحيما • واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض • انما التوبة على الله • استئناف مسوق لبيان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى • للذين يعملون السوء • خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوى مما لا نزاع فى جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأى من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوى عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق فى تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هى بمعنى عند وعن الحسن يعنى التوبة التى يقبلها الله تعالى وقيل اى التوبة التى اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلق معرفة على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى متعلق الخبر وليس فيه ما فى الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوى الا ان الذى يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضى بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء • بجهالة • متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اى يعملون السوء ملتبسين بها اى جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اى يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنوب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر فى العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شئ عصى به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعنى بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية • ثم يتوبون من قريب • اى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتى من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح فى ان وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة فبقى ما وراءه فى حيز القبول وعن ابن عباس رضى الله عنه قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعى ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه فى جسده فقال تعالى وعزتى لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى اى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب • فاولئك • اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم فى حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • يتوب الله عليهم • وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول • وكان الله عليما حكيما • مبالغا فى العلم والحكمة فيبنى احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال • وليست التوبة للذين يعملون السيئات • تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها فى الزمان المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها • حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن • حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اى ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ انى تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشى عن تسميته توبة • ولا الذين يموتون وهم كفار • عطف على الموصول الذى قبله اى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة فى بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل فى تكرير حرف النفى فى المعطوف اشعار خفى بكون حال المسوفين فى عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم فى الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما فى قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى

عن العالمين واما بهم الى بعيض جميعا فالتسوية للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة وفيه مبالغة اخرى ● اولئك ●
اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بتراميهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء ومن مبتدا الخبر ● اعتدنا لهم ●
اي هيأنا لهم ● عذابا اليما ● تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتنا بكون العذاب
معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي ● يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها ● كان الرجل اذا مات قريبه
يلقي ثوبه على امراته وعلى خبائها ويقول ارث امراته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شا تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول
وان شا زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شا عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المراة الى اهلها قبل القا
الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل المعنى لا يحل لكم ان تاخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك ومن غير رضاهن باساءتكم وقرئ لا تحل بالتا الفوقانية على ان ترثوا
بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وكلاهما لغتان كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر
وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم ● ولا تعضلوهن ● عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن ● لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن ● اي من
الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما
عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه
عبارة عن الذهاب مستصحبا به ● الا ان ياتين بفاحشة مبينة ● على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل
من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم
وقيل الفاحشة الزنا وهو استثنا من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من
الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب يكون من جهتهن وانتم
معذورون في طلب الخلع ● وعاشروهن بالمعروف ● خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة
والمراد هاهنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك ● فان كرهتموهن ● وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير
ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن ● فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ● علة للجزا اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة
فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا
وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه
خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغنا عنه واقتصار العلية على الثانية للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد
ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسبما تقتضيه الحكمة وان ما نحن فيه
مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف
والجملة حالية تقديره وهو اي ذلك الشي يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله فوضع المظهر موضع المضمر وتنوين خيرا للتفخيم
ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به هاهنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة ● وان اردتم استبدال زوج ● اي تزوج امراة
ترغبون فيها ● مكان زوج ● ترغبون عنها بان تطلقوها ● واتيتم احداهن ● اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد
لا معطوفة على الشرط اي وقد اتيتم التي تريدون ان تطلقوها ● قنطارا ● اي مالا كثيرا ● فلا تاخذوا منه ● اي من ذلك القنطار ● شيئا ●
يسيرا فضلا عن الكثير ● اتاخذونه بهتانا واثما مبينا ● استيناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ
اي اتاخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدكم كان اذا تزوج امراة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتدا منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا
بالظلم وقوله عز وجل ● وكيف تاخذونه ● انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ
ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشي حال اصلا
لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل ● وقد افضى بعضكم الى بعض ● حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد النكير وتقرير
الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن
لكم وغير ذلك ● واخذن منكم ميثاقا غليظا ● عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة
او ما اوثق الله تعالى عليهم في شانهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة

الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ● ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ● شروع في بيان من يحرم نكاحها من النسا ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي
ولم ينظمه في سلك نكاح المحرمات الاتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية
يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك واسم الابا ينتظم الاجداد مجازا فتثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويكفي في اثباتها مجرد العقد
النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطي او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة
حتى لو وقع شي من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وايثار ما على من
للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر ● من النسا ● بيان لما نكح على الوجهين ● الا ما قد سلف ● استثنا
مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى لا تنكحوا حلائل ابائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط او هو
استثنا مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه
معفو عنه او استثنا منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر وبابه ما ازاله تعالى ● انه كان فاحشة ومقتا ● فانه
تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة
من الامم فلا يليق ان يتوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه ● وسا سبيلا ● في كلمة سا قولان احدهما انها جارية
مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وسا سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس
الشراب اي ذلك الما وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب
او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه سا سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة
بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصفه الله تعالى بفاحشة مرتبة
قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وسا سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب
فقد بلغ اقصى مراتب القبح ● حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ● ليس المراد تحريم ذواتهن
بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفا محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين
في المواد التي يتصور فيها ورود الملك كان في بعض المعطوفات على المقدر فليس بثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك
لا بعبارته بشهادة سياق النظم الكريم وسباقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا والا حرمة سببه الذي هو العقد
او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع وروده عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى
يفوت بفوات محليته له ككلا النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق يتحقق
تحقق محله حتما لم يزل بوقوع العقد في المواد التي بسبب حرمتها القرابة النسبية كالمذكورات وبقي في البواقي على حاله مستتبعا لجميع
احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطي فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون
والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظم الاخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك
والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى ● وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة ● نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه
وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته
وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن
من جهة النسب حتى يخل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة
ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد ● وامهات نسائكم ● شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة
اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنسا المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلما
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها
ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه
ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر
روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل
اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في المهر والعدة ويلحق بهن الموطوات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات

وبتوجيه / وقيل موهم

هذا النكاح نكاح ذلك بقوله تعالى

ونظائرهن والامهات ثم المرضعات كالتعرض للجدات حسبما ذكر • وربائبكم اللاتي في حجوركم • الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء
للنقل الى الاسمية والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان
شانهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها
كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النسا فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم
وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي
عن علي رضي الله تعالى عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلما ما ذكر اولا خلافا لما في قوله تعالى • من نسائكم اللاتي دخلتم بهن •
فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميره
اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة ضرورة ان الحرمة
ولا مع ما ذكر اولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم تستدعي كونها
بيانية ولا مساغ لكونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتدا والبيان او جعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن امثاله مع انه يقتضي في اسكات ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكرناه قيل وما نقل من القراة تضعيف
الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والبا للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها
الحجاب وفي حكمه اللمس ونظايره كما مر • فان لم تكونوا • اي فيما قبل • دخلتم بهن • اصلا • فلا جناح عليكم • اي في نكاح الربائب
وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفا الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه • وحلائل
ابنائكم • اي زوجاتهم سميت المزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن
يجري مجراهن من الممسوسات ونظايرهن وقوله تعالى • الذين من اصلابكم • لاخراج الادعيا دون ابنا الاولاد والابنا من الرضاع
فانهم وان سفلوا في حكم الابنا الصلبية • وان تجمعوا بين الاختين • في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح
لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطي بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضا الى الوطي والاستلزام
له ولذلك يصح شرا المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا تحل له وطي احداهما حتى يحرم عليه وطي الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت
امته الموطوءة لا تحل له وطي احديهما حتى يحرم الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطيا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما
بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما
على سبيل المعية ويندرج في هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها وخالتها ونظايرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاوه الى قطع ما امر الله به ان يوصل
وذلك متحقق في الجمع بين هؤلا بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها
ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب • الا ما قد
سلف • استثنا منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا بقصد التاكيد والمبالغة كما مر في ما سلف
لان قوله تعالى • ان الله كان غفورا رحيما • تعليل لما افاده الاستثنا فيحتم الانقطاع وقال عطا والسدي معناه الا ما كان
من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لما ان ما فعله يعقوب
عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين
وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن رضي الله عنه انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح
امراة الاب والجمع بين الاختين الا ترى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثنا
فيهما على سنن واحد ويابى اختلاف التعليلين • والمحصنات من النسا • بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او
الازواج او الاوليا اي اعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل
الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيرية ملقح ومسهب من الفح واسهب وقد ورد الاحصان في القران بازا
اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الاية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات
السابقة وقوله تعالى • من النسا • متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النسا وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم
شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم • الا ما ملكت ايمانكم • استثنا من المحصنات والمراد استثنا النوع من الجنس اي ما ملكتموهن
واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقا لاسيما في اناثهم وهن المرادة ههنا

رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحراير والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلا وهي اما عامة
حسب عموم صلتها فالاستثنا ح ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت
عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات
بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن لا يحرم
نكاحهن في الجملة او بغير ملاكهن واما حلهن لمالكيهن بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان
حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح واما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين فبطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثنا
قطعا واما عامة من ذوات الازواج مع حصول الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرايين فمبني على اعتقاد الناس
حيث كانوا غافلين عن الفرقة الى ان يرى لما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا
ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نسا قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت
والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه وفي نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا لا توطا حامل حتى تضع ولا حايل حتى تحيض فاباح وطيهن بعد الاستبرا وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الاية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة
له فان ذلك مما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله
انه قال انها نزلت في نسا كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين
فنهي عن نكاحهن فالمحصنات ح عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي تحريم
المحصن ومعرفة حال المتوقع والاقدام على معرفتهن الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها
مع اتحادهما في الدين فلان تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها الحربي اولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى
الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية • كتاب الله • مصدر مؤكد اي كتب الله • عليكم • تحريم هؤلا كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب
على الاغرا بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغرا اخر مؤكد لما قبله قد
حذف معموله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على راي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغرا كما في قوله • يا ايها المائح دلوي دونكا • اني رايت
الناس يحمدونكا • وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل • واحل لكم • عطف على حرمت عليكم الخ
وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا
على الفعل المقدر وقيل على حرمت الخ فانهما جملتان متعاطفتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند
اليه بحسب الظاهر لاسيما بعدما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى • ما ورا ذلكم • اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة ومعنى
احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط للتنبيه على ان
واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين
خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال احلالا مطلقا في جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المراة
وعمتها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك
حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة
وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضا العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق
به الحرمة فيما سلف وقد علق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا • ان تبتغوا • متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار
ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النسا
او متروك اي تفعلوا الابتغا • باموالكم • بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما ورا ذلكم بتقدير ضمير المفعول • محصنين • حال من فاعل تبتغوا
والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب • غير مسافحين • حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح
الزنا والفجور من السفح الذي هو صب الماء سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي
في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل • فما استمتعتم به منهن • اما عبارة عن النسا او عما يتعلق بهن من الافعال
وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما كان فهي مبتدا خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل
الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى • فآتوهن اجورهن • والفا لتضمن الموصول معنى الشرط ثم
على تقدير كونها عبارة عن النسا فالعايد الى المبتدا الضمير المنصوب في آتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها
النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النسا او بعضهن فآتوهن اجورهن

وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن من الافعال
متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدأ محذوف والمعنى اى فعل استمتعتم به من جماعهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم
به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن • فريضة • حال
من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة اى فرض عليكم • ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به • اى لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه او قوله
تعالى واتوا النساء صدقاتهن نحلة وقوله الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح
الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام
او فراق ولا يساعده قوله تعالى • من بعد الفريضة • اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة
التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلاثة ايام حين
فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه
النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه رجع عن القول بجوازه عند موته
وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف • ان الله كان عليما • بمصالح العباد • حكيما • فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك
شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم • ومن لم يستطع منكم • من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطيع اى حال كونه منكم وقوله تعالى • طولا • اى غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول
ليستطع وقوله عز وجل • ان ينكح المحصنات المؤمنات • اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام في
يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اى ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن
فالجار في محل النصب صفة لطولا اى طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائلة
الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا
لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطيع وطولا مصدر له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هي الطول وتمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاح
استطاعة او من جهة الطول والغنى اى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من جهة تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات
الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن من ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا
فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله ومما موصولة اى فلينكح
امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اى فلينكح ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى • من فتياتكم المؤمنات • في محل
النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء
الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اى فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم ومن المؤمنات صفة لفتياتكم على كل التقدير
وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم انفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح
الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رضي الله عنه وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو رأي اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة
رحمه الله متمسكا بالعمومات فحمل الشرط والوصف على الافضلية ولا نزاع فيه لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ومما
وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى • والله اعلم بايمانكم • جملة معترضة جيء
بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب
والانساب على ما نطق به قوله عز وعلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله
اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتب ايمانكم الذي به تنتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له
بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى • بعضكم من بعض • ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان
لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض اخر مؤكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب في
الموضعين اما لمن كان الخطاب لهم فيما قبله وقد روعي فيما سبق جانب اللفظ ههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتانيس واما للعموم
من المسلمين كالخطاب بالسابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واما ما كان فالفائدة الامر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى • فانكحوهن •
مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم سيما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى • باذن اهلهن • وتصديره بالفاء
لترتيبه على ما قبله او لذلك وتقديم على جلية الامر كونهن باذن مواليهن ولا تتزوجوهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار
بجواز مباشرتهن له • واتوهن اجورهن • اى مهورهن • بالمعروف • متعلق باتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء

والاتحصينها بمقتضية الشرع والعادة ومن ضرورته ان لا يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهر
لهن وقيل اصله اتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه • محصنات • حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن
الزنا • غير مسافحات • ولا متخذات اخدان • عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة
والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات
بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين • فاذا احصن • اى بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اى احصن فروجهن
او ازواجهن • فان اتين بفاحشة • اى فعلن فاحشة وهي الزنا • فعليهن • فثابت عليهن شرعا • نصف ما على المحصنات • اى الحرائر
الابكار • من العذاب • من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد به بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان
كتفاوت حد الحرائر والفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان لم
اكرمك فعبدي حر • ذلك • اى نكاح الاماء • لمن خشي العنت منكم • اى لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت
انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد
لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لان ما يهمه ان المحذور عنده الحد لا موجبه • وان تصبروا • اى
عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي • خير لكم • من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق
قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص
للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده
ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر
على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت • والله غفور •
مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين • رحيم • مبالغ في الرحمة ولذلك رخص
لكم في نكاحهن • يريد الله ليبين لكم • استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء
والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة
بشهادة السياق والسباق اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وما تعبدكم به من الحلال والحرام
وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه
وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر
فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا
وقال تعالى وامرنا لنسلم وقل اني امرت لاعدل بينكم اى ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون ذاهبين الى ان وظيفة اللام هي الجر
والنصب فيما قالوا باضمار ان اى امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده
خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اى ان تسمع به ويعزى هذا الرأي الى بعض البصريين • ويهديكم سنن الذين من قبلكم • من الانبياء
والصالحين لتقتدوا بهم • ويتوب عليكم • اذا تبتم اليه تعالى مما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعات ما كلفتموه من الشرائع فان
المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة او يغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة
لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة • والله
عليم • مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام • حكيم • مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة • والله يريد ان
يتوب عليكم • جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى
يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى • ويريد الذين يتبعون
الشهوات • للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي
الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى
وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة
مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت • ان تميلوا • عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات
وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات • ميلا عظيما • اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة
على ندرة بلا استحلال • يريد الله ان يخفف عنكم • بما مر من الرخص وما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
• وخلق الانسان ضعيفا • عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه

وعشان الطاقات وعن الحسن رضي الله عنه ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من
التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد
بضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وخلق الانسان على البناء للفاعل
والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثماني ايات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله
يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله • يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل • شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة
بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة
والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لا يبيحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي • الا ان تكون تجارة عن تراض منكم • استثناء
منقطع ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله تعالى • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
اي اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او
وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي
المروات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رضي الله عنه حالة
الافتراق عن مجلس العقد • ولا تقتلوا انفسكم • اي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رضي الله عنه لا تقتلوا اخوانكم
والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي
اليه فانه القتل الحقيقي كما يشير اليه ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله
بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة وايد بما روي عن عمرو بن العاص انه تاوله بالتيمم لخوف البرد
فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وتقديمه في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه سبيله
من حيث انه سبب لقوامها او تحقيقا للامر واستيفاء لفضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه • ان الله كان بكم رحيما • تعليل
للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذريعة
في عرض التعرض لعقاب الاثام والعقوبة وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة • ومن يفعل ذلك • اشارة الى القتل خاصة او اليه وما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهما في الفساد • عدوانا وظلما • اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير
وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا
بكسر العين • فسوف نصليه • جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه
بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي • نارا • اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب • وكان ذلك • اي اصلاؤه
بالنار • على الله يسيرا • لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض
التذييلي • ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه • اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر هنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس • نكفر عنكم
بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء اسنادا الى الله تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم
سيئاتكم • صغائركم ونمحها عنكم قال ـــ الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن
من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم
حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا
والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله تعالى عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال
البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها وعنه فاعلاها بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها
الامران فمن له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتنابه الاكبر من الثواب • وندخلكم
مدخلا • يعم المراد مكان هو الجنة • كريما • اي حسنا مرضيا او مصدرا ميميا اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان

والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع
من المال الا مسحت او مجلف • اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ • ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض • اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه
للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه
من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة
والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان
ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم
ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر والموشح بالحكم البالغة لا لانه عديم الجدوى ولا
لانه لو كان خلافه لكان معتمدا له كما قيل اذ لا يساعده ما سياتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه هو
نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان
يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا انسب بتعليل النهي بقوله تعالى
• للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن • فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي
لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار بما اصابه حسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة
المبنية على تشبيه اقتضاء حالة لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان
ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى • واسالوا الله من فضله • عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه
من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما اختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسالوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف
المفعول الثاني للتعميم اي واسالوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسالوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسالوا الله فضله
وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بجعل
سبب النزول ما روي عن ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى
لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق
بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمنى النساء خصوصية اجر الرجال وليسالن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر
لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال • ان الله كان بكل شيء عليما • ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم
على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية • ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون • جملة مبتداة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض
كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم حسب استحقاقهم
المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات
والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير او لكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير
لنصيب قوم اخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدا
وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه
على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل
الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه
في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الوالدين • والذين عقدت ايمانكم • هم موالي الموالاة كان الحليف يورث
السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه
ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعاقدة بايمانهم ومسحها بها عند العقد والمعنى عقدت
ايمانكم عهودهم فحذف المعهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم ومحله الرفع
على الابتداء متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى • فاتوهم نصيبهم • بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه
او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فاتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي • ان الله كان على كل شيء
من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع • شهيدا • ففيه وعد ووعيد • الرجال قوامون على النساء • كلام مستانف مسوق لبيان سبب
استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان

معاملتهم في الانصاف بما استدعاهم ورسوخ صدقهم اى شانهم القيام عليهن بالامر والنهى قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي
فقيل • بما فضل الله بعضهم على بعض • الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز للكل الفريقين تغليبا
اى قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او متلبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم
الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد
القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك
• وبما انفقوا من اموالهم • الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية
متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم
وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنه نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله
امرا والذي اراد الله خير • فالصالحات • شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اى فالصالحات منهن
• قانتات • اى مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها
سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق
التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية • بما حفظ الله • ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن بالامر
حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
• واللاتي تخافون نشوزهن • خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث
امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض
• فعظوهن • فانصحوهن بالترغيب والترهيب • واهجروهن • بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة • في المضاجع • اى في المراقد
فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع • واضربوهن
ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن • فان اطعنكم • بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا • فلا
تبغوا عليهن سبيلا • بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له • ان
الله كان عليا كبيرا • فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم
عند توبتكم والتواضع بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم طاعتهن
للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر
هو الطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها • وان خفتم شقاق بينهما • تلوين للخطاب
وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة
اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما في شق اى جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله عنه
والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر
لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهار
صائم اى ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها • فابعثوا • اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين • حكما • رجلا وسطا
صالحا للحكومة • من اهله • من اهل الزوج • وحكما • آخر على صفة الاول • من اهلها • فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما اهل ان يليا الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي
عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه • ان يريدا
اى الحكمان • اصلاحا • اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى • يوفق الله بينهما
يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان
ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في
الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود
الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل
مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اى ان ارادا الاصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه

على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه • ان الله كان عليما خبيرا • بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع
الوفاق • واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا • كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان
الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها
في سلكها كما في سائر المواقع شيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا
او خفيا • وبالوالدين احسانا • اى احسنوا بهما احسانا • وبذي القربى • اى بصاحب القرابة من اخ او عم او خال ونحو ذلك • واليتامى
والمساكين • من الاجانب • والجار ذي القربى • اى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى • والجار الجنب • اى البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له
ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من
اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب • والصاحب بالجنب • اى الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم
من قعد بجنبك في مسجد او مجلس وغير ذلك من ادنى صحبة التامة بينك وبينه وقيل هي المرأة • وابن السبيل • هو المسافر المنقطع
به او الضيف • وما ملكت ايمانكم • من العبيد والاماء • ان الله لا يحب من كان مختالا • اى متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه
ولا يلتفت اليهم • فخورا • يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق • الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل • بضم الباء وسكون
الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدأ خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة • ويكتمون ما آتاهم الله من فضله • اى من المال والغنى او من نعوت
صلى الله عليه وسلم التي بينها لهم في التوراة وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها • واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا • وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمته تعالى فله عذاب
يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها • والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس • اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم
في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز
ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم او مبتدأ خبره محذوف
يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس • ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر • ليتحروا بالانفاق
مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون • ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا • اى فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك
القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم • في النار • وماذا
عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله • اى على من ذكر من الطوائف تبعة ووبال في ذلك وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق
واكتفى بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء وجه الله تعالى وطلب ثوابه البتة اى ما الذي عليهم او اى تبعة
ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء خلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر
لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه
احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان اما لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما لتقديم انفاقهم
رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من عدم ايمانهم
• وكان الله بهم • وباحوالهم المحققة • عليما • فهو وعيد لهم بالعقاب او باحوالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد
آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى • ان الله لا يظلم مثقال ذرة • المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت
للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اى لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على
انه نعت للمصدر المحذوف فانه ينوب منابه اى لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام
المبالغة فان قلته في المثل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من
هؤلاء ذرة • وان تك حسنة • اى وان تك مثقال الذرة حسنة انث لتانيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذفت النون من غير قياس تشبيها لها
بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة • يضاعفها • اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة
تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما شيء واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان

النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة
الف الف حسنة قال ابو هريرة رضي الله عنه لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة
لا التحديد • ويؤت من لدنه • ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة العمل • اجرا عظيما • عطاء جزيلا وانما سماه
اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه • فكيف • محلها اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال
كما هو راي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون
• اذا جئنا • يوم القيامة • من كل امة • من الامم • بشهيد • يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال وهو نبيهم
كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا او الخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة
بجئنا • وجئنا بك • يا محمد • على هؤلاء • اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر • شهيدا • تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع
شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين
كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا • يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول • استئناف لبيان
حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول
لاسيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم
داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع
الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة موصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول
او الذين كفروا وقد عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى • لو تسوى بهم الارض • ان جعلت مصدرية
فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم
ترابا فيودون حالها وان جعلت حرفية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف
ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى • ولا يكتمون الله حديثا • عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد
عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على
ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى • يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون • لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي
ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاءت
صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه
النهي الى قربان الصلاة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل النهي عن قربان المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة
يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في الصلاة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى
حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤنه في الصلاة تطويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ابقاء ما تقولون على ما يتفرع
ح يكون عاريا عن الفوائد وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء
القيد محضا فالة بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا
في اوقات الصلاة وقد روي انهم كانوا بعدما نزلت الآية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب
عنهم السكر وعلموا ما تقولون • ولا جنبا • عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته
الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر • الا عابري سبيل • استثناء مفرغ من اعم الاحوال العلة النهي على
انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الاحوال
الا حال كونكم مسافرين على معنى ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة
على انتفاء خصوصية بالبعض المنتفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم
يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك

دلالة الدليل وقد روعي في تقييده على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلاة على مواضعها فسر
العبور بالاجتياز فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء والطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار
كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم في ذلك • حتى تغتسلوا • غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة
ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان
وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الآية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها
ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها • وان كنتم مرضى • شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى
من الاعذار والاقتصار فيما قبل على الاستثناء المسافرين مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة
الذي يدور عليها امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين والتعبير عنه بعابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض
ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك لتعذر الوصول اليه او لتعذر استعماله • او على سفر • عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال
او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته
فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاستناد باستعمال الماء ونحوه • او جاء
احد منكم من الغائط • هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس
واسناد المجيء منه الى واحد منهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيا منه او يستهجن التصريح به وكذلك ايثار الكناية
فيما عطف عليه من قوله تعالى • او لامستم النساء • على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي
وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى • فلم تجدوا ماء • بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها
على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب للطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب
مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره
اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين
او ان كنتم كذلك او كنتم مرضى واما الماء فما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض
مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان قيد فقد الماء راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل
مما لا يساعده النظم الكريم • فتيمموا صعيدا طيبا • فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان
كان صخرا لا تراب عليه ولو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي لا بد ان يعلق باليد
شيء من التراب • فامسحوا بوجوهكم وايديكم • اي الى المرفقين لما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء
فيتقدر بقدره • ان الله كان عفوا غفورا • تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطائين ويغفر
للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران • الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • كلام مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية
من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعده في قوله تعالى ويريدون ان تضلوا السبيل الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم
وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان يشاهدهم ويتعجب من احوالهم وتجويز
كونها قلبية على ان الى لتضمنها معنى الانتهاء كما قالوا يأباه مقام تشهيد شنائعهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام
وعنه رضي الله عنه انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب
هو التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها
ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة
عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه
بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة
اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله تعالى
• يشترون الضلالة • قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام
وقيل حال من الموصول اي انظر اليهم حال اشترائهم وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه
والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال فالابهام

مبني على سؤال نشأ من كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية وإنما طوي ذكر المتروك لغاية
ظهور الأمر لاسيما بعد الإشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه أخذا ناشئا
عن الرغبة فيها والإعراض عنه للإيذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يعرض عنها كل الإعراض وإعراضهم عن الهداية التي حقها أن يتنافس فيها
المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحد ممن له
أدنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يتأتى معنى الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم
في الكفر بعدما علموا شأن النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا حقية دينه وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة ولا ريب في أن هذه المرتبة
لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد عبر في أوائل سورة البقرة ● ويريدون ● عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة
المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فإن تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره أي لا يكتفون
بضلال أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ● أن تضلوا ● أنتم أيضا أيها المؤمنون ● السبيل ● المستقيم
الموصل إلى الحق ● والله أعلم ● أي منكم ● بأعدائكم ● جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على
حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة لتقرير إرادتهم المذكورة ● وكفى بالله وليا ● في جميع أموركم ومصالحكم
● وكفى بالله نصيرا ● في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فإنه تعالى
يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وتكرير الفعل في
الجملتين مع إظهار الجلالة في مقام الإضمار لاسيما في الثانية لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته عز
وجل في كل من الولاية والنصرة والإشعار بعليتهما فإن الألوهية من موجباتهما لا محالة ● من الذين هادوا ● قيل هو بيان لأعدائكم وما
بينهما اعتراض وفيه أنه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من أعدائهم لاسيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والإطلاق وإسقاط ما هو
المقصود في المقام إسقاطهم أولياء كما أشير إليه وقيل هو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه
ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع أنه لا داعي إلى وضع الموصول موضع ضمير الأعداء لأن ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف
وقع قوله تعالى ● يحرفون الكلم عن مواضعه ● صفة له أي من الذين هادوا قوم أو فريق يحرفون الخ وفيه أنه يقتضي كون الفريق السابق
بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل أنه بيان للموصول الأول المتناول بحسب المفهوم
لأهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة إلى تنفير المؤمنين منهم وعن تحذيرهم من مخالطتهم
والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وقوله تعالى يحرفون الخ وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون
ضلالهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الإبهام والتفصيل إثر الإجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس
واحده الكلمة ككلم وكلمة وتذكير ضميره باعتبار إفراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة
تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا إما ما في التوراة خاصة وإما ما هو أعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة
عنهم في أثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لإرادة تلك الكلمات خاصة بأن يجعل عطف قوله تعالى ● ويقولون سمعنا
وعصينا ● الخ على يحرفون عطفا تفسيريا لما ستقف على سره فإن أريد به الأول فالمعنى على رأي الجمهور يحرفونه أي يزيلونه عن مواضعه التي وضعها
الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بأن وضعوا مكانه آدم طوال
وكتحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله أو يصرفونه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة
وإن أريد به الثاني فلا بد من أن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة أو بتعيين العقل
والدين كمواضع غيره وأيا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي أن يجري على إطلاقه من غير تقييد بزمان أو مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة
بل وأن يحمل على ما هو أعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالهم عند تحريف التوراة فإن من لا يتفوه
بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية ولا يحمل على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة ليستدعي اختصاص حكم
الشرطية الآتية وما بعدها بذلك من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع أنه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل أي يقولون
في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم أو لا بلسان المقال أو الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة
وقوله تعالى ● واسمع غير مسمع ● عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أي ويقولون ذلك في أثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة
وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما أصلا بصمم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت أو غير مسمع كلاما ترضاه
فيجوز أن يكون نصبه على المفعولية وللخير بأن يحمل على اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له
عليه السلام إرادة المعنى الأخير وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به ● وراعنا ● عطف على اسمع غير مسمع أي ويقولون في أثناء

خطابهم

● خطابهم له صلى الله عليه وسلم مستهزئين به مظهرين له هذا أيضا ودأن كلا العظائم الثلاث في مراتبها وهو أيضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على
● معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة أي الحمق أو بإجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها
وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم إلى مسلك النفاق في القولين
الأخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الأول لما أن من جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل
الأول فيما بينهم وقيل يجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به ● ليا بألسنتهم ● أي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه
إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا أسمعت مكروها وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا أو فتلا بها وضما لما يظهرونه من
الدعاء والتوقير إلى ما يضمرونه من السب والتحقير ● وطعنا في الدين ● أي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون
باعتبار تعلقه بالقولين الأخيرين أي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه إلى السب والطعن في الدين أو على الحالية أي لاوين وطاعنين
في الدين ● ولو أنهم ● عندما سمعوا شيئا من أوامر الله تعالى ونواهيه ● قالوا ● بلسان المقال أو بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا
● سمعنا وأطعنا ● إنما أعيد سمعنا مع أن تحققه في كلامهم وإنما الحاجة إلى وضع أطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره
بل على اعتبار عدمه كيف لا ومرادهم سماع الرد ومرادهم حكايته إعلانا عصيانا ثم للأمر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من إزالته وإقامة
سماع القبول مقامه ● واسمع ● أي لو قالوا عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع ● وانظرنا ● أي ولو قالوا بدل
قولهم راعنا ولو بعد سواء اختلت كلامهم نحوا ونشازا أي لو ثبت أنهم قالوا هذه الأقوال مكان ما قالوا من الأقوال ● لكان ● قولهم ذلك ● خيرا لهم ● مما قالوا
● وأقوم ● أي أعدل وأسد في نفسه وصيغة التفضيل إما على بابها واعتبار أصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم أو بطريق التهكم
وإما بمعنى اسم الفاعل وإنما قدم في البيان حاله بالنسبة إليهم على حاله في نفسه لأن همتهم مقصورة على ما ينفعهم ● ولكن لعنهم الله بكفرهم
أي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك ● فلا يؤمنون ● بعد ذلك
● إلا قليلا ● قيل أي إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به وهو الإيمان ببعض الكتب والرسل وإلا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فإنهم
يؤمنون حين لا ينفعهم الإيمان قال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بإيمان قطعا ويجوز أن يراد
بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أي إن كان الإيمان المعدوم إيمانا ثم عدوا شيئا
من الإيمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وأنت خبير بأن الكل كما تراه ما يعقبه من الأمر بالإيمان وبالقرآن الناطق بهذا لا يتضح إلى التكليف بالمحال
الذي هو إيمانهم بعدم إيمانهم المستمر أما على الوجه الأخير فظاهر وأما على الأولين فلأن أمرهم بالإيمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بإيمانهم
إلى وقت الاحتضار فالوجه أن يحمل التعليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا بجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لانتفائه وقوع إيمان من لعنه
الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن إلى الاتفاق على غير المختار بل بجعله ضمير المفعول في لعنهم أي ولكن لعنهم الله إلا فريقا قليلا منهم فإنه
تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الإيمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الأحبار كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما كما سيأتي ● يا أيها الذين
أوتوا الكتاب ● تلوين للخطاب وتوجيه له إما إلى من حكيت أحوالهم وأقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بإيتاء
الكتاب أي التوراة وأخرى بإيتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فإن المقصود فيما سبق بيان أخذهم الضلالة وإزالة ما أوتوه
بمقابلتها بالتحريف وليس ما أزالوه بتلك الكلمات حتى يوصفوا بإيتائه بل هو بعضها فوصفوا بإيتائه وأما ههنا فالمقصود تأكيد
إيجاب الامتثال بالأمر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث إن الإيمان بالمصدق موجب للإيمان بما يصدقه والكفر بالثاني
مقتض للكفر بالأول قطعا ولا ريب في أن المحذور عندهم إنما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك إنما يتحقق بجعل القرآن مصدقا
لكلها وإن كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة أن مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما وإما إليهم وإلى غيرهم قاطبة وهو الأظهر وأيا ما كان
فتفصيل ما فصل لما كان من مظان إقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالأمر بالمبادرة إلى سلوك محجة الهداية مشفوعا
بالوعيد الشديد على المخالفة ● آمنوا بما نزلنا ● من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده
عز وجل ● مصدقا لما معكم ● من التوراة عبر عنها بذلك للإيذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فإن المعية المستدعية لدوام تلاوتها
وتكرر المراجعة إليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي إلى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه إياها نزوله
حسبما نعت لهم فيها أو كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
وأما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأمم والأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة
من حيث إن كلا منها حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر
ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي ● من قبل أن نطمس
وجوها ● متعلق بالأمر مفيد للمسارعة إلى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على أبلغ

وجه واكده حيث لم يتعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف
الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيدة للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل
الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي امنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنه نجعلها كخف البعير
او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة • فنردها على ادبارها •
فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر
اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم ما لهم من الوجاهة
ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام
تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد تمسكت فيه ان الوعيد مما كان يوقعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله
بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان
اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر
رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب امنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا
بد من طمس في اليهود ومسخ وهذا قول المبرد وقيل ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم ومن الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث
شاهدوا واسروا اعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نعوتها في التورية وحرفوها واصروا على الكفر والضلالة ووجهت اليهم خطاب
المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مئات من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية
بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد امن من احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان
اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكد نزول العذاب على الباقين لتشديد بهم النكير والعناد بعد ازديادهم الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة
اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى • او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت • فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة
والاظهر ان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ واليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة
المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا يجب ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد بعد ورود ما عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة
الامر ولو تمهد انه وقع عليهم لمن بعد هذا الوصف انما الواقع عليهم ما اشتهر في ذلك به الالسنة من اللعن المستمر الذي لعوه وهو بمعزل من صلاحية
ان يكون حكما لهذا الوعيد او من مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما
على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص
في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه على ان المراد
هو الثاني والله تعالى اعلم واياما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها
من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير • وكان امر الله • اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء
• مفعولا • نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل
موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال • ان الله لا يغفر ان يشرك به •
كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا
يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر اليهود واضرابهم اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود
اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل
يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لا اقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان
الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور
الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي • ويغفر ما دون ذلك • عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما
فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او
كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل • لمن يشاء • اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان
مغفرتها لمن اتصف بهما معا ايضا من استحالة التحول المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل
الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني

من تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته
ومغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان
والحمل على التوبة والايمان • ومن يشرك بالله • اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به • فقد افترى
اثما عظيما • اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا • الم تر الى الذين يزكون
انفسهم • تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم الطهارة عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم
ومن ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله • بل الله يزكي من يشاء •
عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها
من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح
واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول • ولا يظلمون • عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية
عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب • فتيلا • اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة
يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد • انظر كيف
يفترون على الله الكذب • كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق
على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر
متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون
بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضائه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون
هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر
وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة
في تقبيح حالهم • وكفى به • اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام
• اثما مبينا • ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات كما ذكر
وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فتدبر • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • تعجيب من حال اخرى
لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله تعالى • يؤمنون بالجبت والطاغوت •
استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام
وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدلت السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان
وقيل هو في الاصل كل ما يطغى الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا
على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد
منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس
فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول
محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني
وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى • ويقولون للذين كفروا • اي لاجلهم وفي حقهم امرا بعوثهم • اهدى من الذين
امنوا سبيلا • اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل
وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح • اولئك • اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قرب المذكور للاشعار ببعد
منزلتهم في الضلال وهو مبتدا خبره قوله تعالى • الذين لعنهم الله • اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار
مصيرهم ومالهم • ومن يلعن الله • اي يبعده عن رحمته • فلن تجد له نصيرا • يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها
وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يتاتى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير
عن عدمه بعدم الوجدان المبني عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى • ام لهم نصيب
من الملك • شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها
مما حكي عنهم الى ذمهم لادعائهم نصيبا من الملك وتخطئتهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه والبطلان ما زعموا

سيصير اليهم وقوله تعالى • فاذا لا يؤتون الناس نقيرا • بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب ما هم من البخل والدناءة
بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك من اوتي الخير شيء منه فالفا للسببية الجزائية لشرط محذوف
اي ان جعل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان
الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الواقع والتوبيخ عليه
اي لعدة منكرا غير لايق بالوقوع على ان الفا للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب
اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على
ابيك شيئا وفايدة اذن تاكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل
فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا الناس على اعمالها • ام يحسدون الناس • منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما
سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلايمه ذكر حديث آل ابراهيم
فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان
يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل ايحسدونهم • على ما آتاهم الله من فضله • يعني
النبوة والكتاب وازديادا العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى • فقد آتينا • تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم
عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة
كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان
فانا قد آتينا من قبل هذا • آل ابراهيم • الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء عمه • الكتاب والحكمة • اي النبوة
• وآتيناهم • مع ذلك • ملكا عظيما • لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما
يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياء ذريته فانهم عليهم السلام
ولكن من بينهم خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم قال
ابن عباس رضي الله عنه الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة
وهو اللايق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة
والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي
من تاكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى
• فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه • حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له
الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم
فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع
الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهما للرسول صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر حينئذ ان يحمل على ما بعد هذا
الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقريب حسدهم وذمهم
بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا لذلك بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل ايحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك دينهم المستمر فانا قد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على آل ابراهيم ما آتينا فمنهم
اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وكفى بجهنم سعيرا •
نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها • ان الذين كفروا بآياتنا • ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد
بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم الصلاة والسلام • سوف نصليهم نارا • قال سيبويه سوف
كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فتفيدان التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة • كلما نضجت
جلودهم • اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه • بدلناهم جلودا غيرها • من قبيل بدل بخوفه امنا لا من قبيل بدل الله سيئاتهم
حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق
ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم
لكن قوله تعالى • ليذوقوا العذاب • ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس

العاصية لا لآلة الادراك كما قال ابن عباس رضي الله عنه يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه
فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وعن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر
او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم
بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه
او للتنبيه على شدة تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى
على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك
بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق • ان الله كان عزيزا •
لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد • حكيما • يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم
الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى • والذين آمنوا
وعملوا الصالحات • عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الكفرة ومسرة المؤمنين اي الذين آمنوا بآياتنا
وعملوا بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار • وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي
السين تاكيد للوعد • خالدين فيها ابدا • حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا • لهم فيها ازواج مطهرة • اي
مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير
المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر • وندخلهم ظلا ظليلا • اي فينانا لا جوب
فيه دائما لا تنسخه شمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل
اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سندخلهم ولعل تاخيره عن الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء
امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ • ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها • تصدير
الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء
بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق
العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو
علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله
عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان
ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا فقرا عليه الآية
فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة
بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى • واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل • امر لهم بايصال
الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور به هاهنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما لم يتعلق
بوقت دون وقت اطلق به اطلاقا وقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له
عند الكوفيين وللمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى
بالعدل متعلق بتحكموا او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف • ان الله نعما يعظكم به • ما اما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف
اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة • ان
الله كان سميعا • لاقوالكم • بصيرا • بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد
• يا ايها الذين آمنوا • بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس
بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل • اطيعوا الله واطيعوا الرسول

وأولي الأمر منكم • وهم أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين وأما أمراء الجور فبمعزل من استحقاق
الوصف المعطوف على الله تعالى والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه ويأباه قوله تعالى • فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله •
إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه إلا أن يجعل الخطاب لأولي الأمر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء
لترتبها على ما قبلها فإن بيان حكم طاعة أولي الأمر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي
بيان حكمها عند المخالفة أي إن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في أمر من أمور الدين فراجعوا فيه إلى كتاب الله • والرسول • أي إلى
سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل
والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الأمر به بعد الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يدل على أن
الأحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد إليهما بالقياس • إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر • متعلق بالأمر
الأخير الوارد في محل النزاع إذ هو المحتاج إلى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه
أي إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه فإن الإيمان بهما يوجب ذلك أما الإيمان بالله تعالى فظاهر وأما الإيمان باليوم الآخر
فلما فيه من العقاب على المخالفة • ذلك • أي الرد المأمور به • خير لكم وأصلح وأحسن في نفسه • تأويلا • أي عاقبة ومآلا وتقديم
خيريته لهم على أحسنيته في نفسه لما أن مدار تعلق أنظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في
حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في أصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق • ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا
بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك • تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من
الأمر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما أنزل من قبله أعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد
التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل • يريدون
أن يتحاكموا إلى الطاغوت • استئناف سيق لبيان محل التعجيب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون فقيل روي عن
ابن عباس رضي الله عنه أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم
إنهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي
قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق أهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما
فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط
جبريل عليه السلام وقال إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق فالطاغوت كعب بن الأشرف
سمي به لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم
إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي أن المنافق
دعا خصمه إلى كاهن في جهينة فتحاكما إليه وعن السدي أن الحادثة وقعت في قتيل بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبى المنافقون منهما إلا التحاكم إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي فتحاكموا إليه فيكون الاقتصار في معرض التعجيب
والاستقباح على ذكر إرادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه أيضا للتنبيه على أن إرادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي أن يدخل تحت
الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا أنسب بوصف المنافقين بادعاء الإيمان بالتوراة فإنه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما
صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الإيمان بالتوراة وليس التحاكم إلى كعب بن الأشرف بهذه المثابة من الظهور وأيضا فالمتبادر
من قوله تعالى • وقد أمروا أن يكفروا به • كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك إلا الشيطان وأولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة
ونظائرهم لأن من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع كما في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة
حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا • ويريد الشيطان أن يضلهم
ضلالا بعيدا • عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فإن اتباعهم لمن يريد إضلالهم وإعراضهم عمن يريد هدايتهم أعجب من كل عجيب
وضلالا إما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فأنبتها نباتا حسنا أي إضلالا بعيدا وإما مصدر مؤكد لفعله
المدلول عليه بالمذكور أي فيضلون ضلالا وأيا ما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى • وإذا قيل لهم
تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول • تكملة لمادة التعجيب ببيان إعراضهم صريحا عن التحاكم إلى كتاب الله تعالى ورسوله إثر بيان إعراضهم
عن ذلك في ضمن التحاكم إلى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على أنه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به بالة أصلها بالية
كعافية وكما قالوا في آية إن أصلها أيية فحذفت اللام ووقعت لام الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول أهل مكة

للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول أبي فراس الحمداني • أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا • تعالي أقاسمك الهموم تعالي • رأيت المنافقين • إظهار
المنافقين في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والإشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى • يصدون عنك • حال من المنافقين وقيل
والرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والأول هو الأنسب لظهور حالهم وقوله تعالى • صدودا • مصدر مؤكد لفعله أي يعرضون عنك
أي إعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والأظهر أنه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي ويقال صد عنه صدودا أي أعرض عنه وصده
عنه صدا أي منعه منه وقوله تعالى • فكيف • شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها أي فكيف يكون حالهم • إذا أصابتهم مصيبة
أي وقت إصابة المصيبة إياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم • بما قدمت أيديهم • بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم
إلى الطاغوت والإعراض عن حكمك • ثم جاؤوك • للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على أصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم
من الخطب واعتراهم من شدة الأمر عند إصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار • يحلفون بالله • حال من فاعل جاؤوك • إن أردنا إلا
إحسانا وتوفيقا • أي ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك
فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء
المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله تعالى فقالوا ما أردنا أي ما أراد صاحبنا المقتول بالتحاكم إلى عمر رضي الله عنه إلا أن يحسن إليه
ويوفق بينه وبين خصمه • أولئك • إشارة إلى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق
وهو مبتدأ خبره • الذين يعلم الله ما في قلوبهم • أي من فنون الشرور والفسادات المنافية لما أظهروا لك من الأكاذيب • فأعرض عنهم •
جواب شرط محذوف أي إذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم
ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر • وعظهم • أي ازجرهم عن النفاق والكيد • وقل لهم في أنفسهم • في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم
المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى أو في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لأنها في السر أنجع • قولا بليغا • مؤثرا واصلا إلى
كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالأمر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف
أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والإيذان
بأن ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات وإنما هذه المكافة والتأخير لإظهارهم الإيمان
والطاعة وإضمارهم الكفر ولئن أظهروا الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من نفق النفاق لتمسنهم العذاب إن الله شديد العقاب • وما أرسلنا من رسول
إلا ليطاع بإذن الله • كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالأباطيل وعدم تلافيها بالتوبة أي وما أرسلنا
رسولا من الرسل لشيء من الأشياء إلا ليطاع بسبب إذنه تعالى في طاعته وأمره المرسل إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عنه تعالى
فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى • من يطع الرسول فقد أطاع الله • أو بتيسير الله تعالى في طاعته • ولو أنهم
إذ ظلموا أنفسهم • وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك • جاؤوك • من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف
متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى سترها بالاعتذار الباطل والأيمان الفاجرة
• فاستغفروا الله • بالتوبة والإخلاص وبالغوا في التضرع إليك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم وإنما قيل • واستغفر
لهم الرسول • على طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعته في حيز القبول • لوجدوا
الله توابا رحيما • لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وإن فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا رحيما
بدلا منه أو حالا من الضمير فيه وأيا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تقريع لأولئك
المنافقين على ما صنعوا لما أن ظهور ما شرطوا من قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة
في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها • فلا وربك • أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه أعني قوله تعالى
• لا يؤمنون • لأنها تزاد في الإثبات أيضا كما في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم ونظائره • حتى يحكموك • أي يتحاكموا إليك ويترافعوا
إليك وإنما جيء بصيغة التحكيم مع أنه عليه السلام حاكم بأمر الله سبحانه إيذانا بأن حقهم أن يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا
بحكمه وإن قطع النظر عن كونه حاكما على الإطلاق • فيما شجر بينهم • أي فيما اختلف بينهم من الأمور واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه
• ثم لا يجدوا • عطف على مقدر ينساق إليه الكلام أي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا • في أنفسهم حرجا • ضيقا • مما قضيت • أي مما قضيت به أو
من قضائك وقيل شكا من أجله إذ الشاك في ضيق من أمره • ويسلموا • أي ينقادوا لأمرك ويذعنوا له • تسليما • تأكيد للفعل بمنزلة
تكريره أي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لأمر الله وأسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة
أي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير ورجل من الأنصار
حين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك

الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأى فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع
المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة
منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله
ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزلت في شأنهم ● ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم ● اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل
وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ● ما فعلوه ● اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين ● الا قليل منهم ●
اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك
وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ بالنصب الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ● ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به ● من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه
مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد ● لكان ● اي فعلهم ذلك ● خيرا لهم ● عاجلا وآجلا ● واشد تثبيتا ● لهم على الايمان وابعد من الاضطراب
فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم ● واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ● جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت
فقيل واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء ● ولهديناهم صراطا مستقيما ● يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب
الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ● ومن يطع الله والرسول ● كلام مستأنف فيه فضل ترغيب
في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجامع ورود اعظم الخلائق
مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال
الكامل لجميع الاوامر والنواهي ● فاولئك ● اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد درجتهم وعلو منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ خبره ● مع الذين انعم الله عليهم ●
والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه ● من النبيين ● بيان للمنعم عليهم والتعرض
لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من
الاشعار الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي
ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فيأخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت
الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك
فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين
لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس
اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال
عليه السلام المرء مع من احب ● والصديقين ● اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم
افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق ● والشهداء ● الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى
في اعلاء كلمته ● والصالحين ● الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك
في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة ● وحسن اولئك رفيقا ●
الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان
ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على ان ما فيه معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفيقا للمطيعين او حال كونهم
رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة
الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما جاز في الوجه الاول

والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن
بسكون السين ● ذلك ● اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى ● الفضل ● صفته وقوله تعالى ● من الله ● خبره اي ذلك الفضل
العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كائنا
من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه ● وكفى بالله عليما ● بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله ● يا ايها الذين آمنوا خذوا
حذركم ● الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ
حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو
● فانفروا ● بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ● ثبات ● جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها
في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها تاء التأنيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كخلا يخلو اي اجتمع
وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانه جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا
جماعات متفرقة سرية بعد سرية ● او انفروا جميعا ● اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة ● وان منكم
لمن ليبطئن ● اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم المؤمنون منهم والمنافقون والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيرهم ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل
من ثقل كابن ابي ناس يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن ● فان اصابتكم مصيبة ●
كقتل وهزيمة ● قال ● اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرأيه ● قد انعم الله علي ● اي بالقعود ● اذ لم اكن معهم شهيدا ●
اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس
التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ● ولئن اصابكم فضل ● كفتح وغنيمة ● من الله ● متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة
لفضل اي فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جانب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية
كما في قوله سبحانه وتعالى واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثرهما فيهم اظهر
● ليقولن ● ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى
كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ● اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو ● يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما ● لئلا يتوهم من مطلع
كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات
المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه
وقيل هي داخلة في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم
مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم
وتأكيدها وكأن مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل
يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت
او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني ● فليقاتل في سبيل الله ● قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به ● الذين يشرون
الحياة الدنيا بالآخرة ● اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق
وليقاتلوا في سبيل الله ● ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه ● بنون العظمة التفاتا ● اجرا عظيما ●
لا يقادر قدره وتعقيب القتال بما ذكر من الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث
اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه
مع ما نال من اجر وغنيمة ● وما لكم ● خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدا لوجوبه
وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل ● لا تقاتلون في سبيل الله ● حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي
اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة ● والمستضعفين ● عطف على اسم الله اي في سبيل الله والمستضعفين وهو تخليصهم
من الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير

وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدى الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين او حال منهم
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة
وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لآبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في
التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور
على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص
يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجرى على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل
لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز
الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبي عن كمال
رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق
كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال
ابن عباس رضي الله عنه اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا
ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلى الله
عليه وسلم فتولاهم اي تول ونصرهم اي نصر ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل
لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا
يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية
ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى
فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة قتالهم
في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم فان
ولاية الله تعالى علم في العز والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله
اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض
لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد
الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك
مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو وبحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالى
عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى كثيرا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم
ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول
مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه وبان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال
رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيانه
خصوصية الامر فرضا وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا
بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليهم لكن لا لشك في الدين ولا لرغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت
بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ هو محط
التعجيب بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله
تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره
باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية اثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد اي فاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقاتلوهم ولعل
توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى
كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى او قوله

تعالى

تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه صفة لمصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده
اي يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله مما نطقت به وايا ما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية
الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب
لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى
والانكار لايجابه بل على طريق التمني للتخفيف لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن الموت
وقد يجوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا
فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك
الاجل والآخرة اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه
عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على الاتقاء عن العصيان والاخلال بمواجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب
به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى الظاهرين اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى
بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته
عليه السلام لا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المأمور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون
القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم
وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدأ
واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج
مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة
بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف
اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة
الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه
النكتة يدور ما في ان الوصلية ولو الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما
على اسناد ما يكرهونه لبعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا
منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوه الى
الله تعالى وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر
النبي صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترئون على
معارضة امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان
يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما
سياتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب
اصابة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم الخ كلام معترض
بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى
لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل
لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه
او ليتسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص
وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق
العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جناية انفسهم الى
غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المأمور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لما سيق للبيان من جهته عز
وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه

مسببي بل حكمة دقيقة حقيقية بان يقول بها لما علاه العيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كان قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الاخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي
منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا فان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجو كونها ذريعة الى اصابة
نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافي نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا عن استيجابها النعمة اخرى ولذلك قال
عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة فمن نفسك اي فهي بسببها
بسببها لانها التي اكتسبت المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله
الا بذنب وما يعفوا الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال
الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل
هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان
زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص
الناظر الى قيد العموم اي رسولا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة
وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي بارسال بمعنى رسالة وكفى
بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية
الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها
وانما كان كذلك لان الامر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله
سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول
هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام
بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته
واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا
يأبا تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له
اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انا ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا
حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون
شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا
طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت
طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي دبرت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من
القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت
اما من البيتوتة لانه تدبير الامر بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل
لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون
اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يثبته في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم
فلا تحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فتجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية
فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله
في كل ما تاتي وما تذر لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم
لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما قبلها من كل وجه افلا يتدبرون القران
انكار واستقباح لعدم تدبرهم القران واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تامله والنظر في ادباره
وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اي ايعرضون عن القران فلا يتاملون فيه ليعلموا
كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه
ولو كان اي القران من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع
اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عند الله تعالى

قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل
لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول
عليه السلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك
قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه
دالا على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السياق ولا السباق
ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح
المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه
وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف
بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة
لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه
ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة
فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعي عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي عرضوه
على رايه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة
الى رايه صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله عنهم لعلمه اي لعلم الرادون
معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم
استكشاف معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي
من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر من اصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوا فلم يقع فيه
ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم اي من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وتجاربهم ومعرفتهم
بامور الحرب ومكائدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف
وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لعلم تدبير ما اخبروا به
الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون
وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك
وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته
وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق
النظم الكريم ح لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اي ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى الطريق الحق الذي هو المراجعة
في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر لاتبعتم الشيطان وعملتم بآراء المنافقين فيما تاتون وما تذرون
ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل
ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه
بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصر والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التتابع
الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه
له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة
المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك
اي الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة
على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل فقاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقيل لا تكلف بالجزم على النهي
وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر

داخل في حكمه فان كون مآل الطائفتين كما حكي سببا للامر بالقتال وحده كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وتحريض المؤمنين والتحريض
على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم
يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى • عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا • عدة منه سبحانه محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم
فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي انه صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم
بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا
ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا
واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران • والله اشد بأسا • اي من قريش • واشد
تنكيلا • اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى • من يشفع شفاعة حسنة يكن له
نصيب منها • اي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة
هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه من مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع
له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من
الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة
اعظم مما تخلصوا عنه بذلك ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه
عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب
الموعود • ومن يشفع شفاعة سيئة • وهي ما كانت بخلاف الحسنة • يكن له كفل منها • اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار
من غير ان ينقص منه شيء • وكان الله على كل شيء مقيتا • اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين • واذا حييتم بتحية • ترغيب في فرد شائع من افراد
الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه
فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيي اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي مثلث
ثم حذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل
التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام
وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا
في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول
الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداءة بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين • فحيوا
باحسن منها • اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما
المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها • او ردوها •
اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر
السلام عليك ورحمة الله فقال عليه السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال عليه السلام وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت
عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس
رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة
ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج
والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي
على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة
رضي الله عنه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان
يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبدأ اليهود بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة
وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما والرد بمثلها عند كونه كافرا • ان الله كان على كل شيء حسيبا •
فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به • الله لا اله الا هو • مبتدا

وخبر وقوله تعالى • ليجمعنكم الى يوم القيامة • جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة
يوم القيامة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر والجملة اعتراض وقوله
• لا ريب فيه • اي في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه • ومن اصدق من الله حديثا • انكار لان يكون
احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره • فما لكم • مبتدا وخبر
والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى • في المنافقين • متعلق
اما بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى
• فئتين • من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة
فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من
المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في
المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى
المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في اسلامهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا
اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من المسلمين الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم
والحرب وهؤلاء قد ارتدوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم يتعلق في امرهم اختلاف المسلمين • والله اركسهم • حال من المنافقين
مفيدة لتأكيد الانكار السابق والاستبعاد ورفع المنكر ببيان وجود الناقض بعد بيان عدم المقتضي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو
اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا • بما كسبوا •
بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية
اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسوا ايضا مخففا • اتريدون
ان تهدوا من اضل الله • تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى
المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع
الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان
يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله
عز وجل • ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه
وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه
بالضلال يحل عقد المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل
والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فيجوز ان يكون
الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين او لا ومن غيرهم • ودوا لو تكفرون • كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم
اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى
• كما كفروا • نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى • فتكونون
سواء • عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف
كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك • فلا تتخذوا منهم اولياء • الفاء جواب شرط محذوف
وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذ واحدا من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم
فلا توالوهم • حتى يهاجروا في سبيل الله • اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ولرسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض
الدنيا • فان تولوا • اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة • فخذوهم • اذا قدرتم عليهم • واقتلوهم حيث وجدتموهم
من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا • ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم
ولاية ولا نصرة ابدا • الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق • استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم الا الذين يتصلون

يتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم الاسلميون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم
خزاعة • او جاؤكم • عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما
من ترك المحاربين ولحقوا بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يتصلون بقوم معاهدين او
الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتى من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح فى ان كفهم عن القتال
لكم والقتال عليكم احد سببى استحقاقهم لنفى التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة او
بيان ليتصلون او استئناف • حصرت صدورهم • حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف
محذوف هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض • ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم • اى عن ان يقاتلوكم او لان لا يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الخ • ولو شاء الله
لسلطهم عليكم • جملة مبتدأة تجرى مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم فى سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى
المعاهدين مع عدم تعلقهم بهم لانهم عاهدوا الا الطائفة الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب
عنها • فلقاتلوكم • عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد
• فان اعتزلوكم • ولم يتعرضوا لكم • فلم يقاتلوكم • مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل • والقوا اليكم السلم •
اى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام • فما جعل الله لكم عليهم سبيلا • طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافهم من قتالكم وان
لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاؤهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم • ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم
ويأمنوا قومهم • هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا
عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان دينهم ما ذكر • كلما ردوا الى الفتنة • اى دعوا الى الكفر وقتال
المسلمين • اركسوا فيها • قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير • فان لم يعتزلوكم • اى ممكنتم منهم
• واولئكم • الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة • جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا • حجة واضحة فى الايقاع بهم قتلا وسبيا
لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى اخذهم وقتلهم • وما كان
لمؤمن • اى وما صح له ولا لاق بحاله • ان يقتل مؤمنا • بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك • الا خطأ • فانه ربما يقع لعدم دخول
الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اى ما كان له ان يقتل مؤمنا فى حال من الاحوال الا فى حال الخطأ
او على انه مفعول له اى ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة لمصدر اى الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا والمعنى
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ
ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص ولا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل
باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة
خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث
بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت
على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على
ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه
عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه
فنزلت • ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة • اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة اى اعتاق نسمة عبر عنها بها كما عبر عنها بالرأس • مؤمنة •
محكوم باسلامها وان كانت صغيرة • ودية مسلمة الى اهله • مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابى
كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى ان اورث امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها • الا ان يصدقوا • اى يتصدق
اهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو فى محل النصب على الظرفية او الحال من اهله بمعنى الا متصدقين
عليه فهو حال من الاهل او القاتل • فان كان • اى المقتول • من قوم عدو لكم • كفار محاربين • وهو مؤمن • ولم يعلم به
القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بهم غير مهاجر من المهاجرين • فتحرير رقبة مؤمنة • اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية
اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم محاربون • وان كان • اى المقتول المؤمن • من قوم • كفرة • بينكم وبينهم ميثاق • اى عهد موقت او

مؤبد • فدية • اى فعلى قاتله دية • مسلمة الى اهله • من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تاخيره فيما سلف للاشعار
بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق • وتحرير رقبة مؤمنة • كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع
اندراجه فى حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما
بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمى او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزوم
• فمن لم يجد • اى رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن • فصيام • اى فعليه صيام • شهرين متتابعين • لم يتخلل بين
يومين من ايامهما افطار • توبة • نصب على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر
مؤكد لفعل محذوف اى تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور فى عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة
وقوله تعالى • من الله • متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اى كائنة منه تعالى • وكان الله عليما • بجميع الاشياء التى من جملتها حاله
• حكيما • فى كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التى من جملتها ما شرعه فى شانه • ومن يقتل مؤمنا متعمدا • لما بين حكم القتل
خطأ وفصل اقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا الا ان حكمه الدنيوى لما بين فى سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروى
روى ان مقيس بن صبابة الكنانى وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهرى وكان من اصحاب بدر الى بنى النجار يامرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه
ان علموه واداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته
فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون
مسبة عليك اقتل الذى معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق
بقيتها الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بنى النجار اصحاب فارع وادركت ثأرى واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذى استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار
الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروى عن الكسائى سكون التاء كانه فر من توالى الحركات • فجزاؤه • الذى يستحقه بجنايته
• جهنم • وقوله تعالى • خالدا فيها • حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها
وقيل هو حال من ضمير جزاؤها وقيل من مفعول جازاه وابى ذلك بانه اجنبى بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان
ما يقيد الحال والعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون
جزائه ما ذكر لا يقتضى وقوع الجزاء البتة كما ستعرف فعليه حين تعذر اجزاؤها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله
تعالى • وغضب الله عليه • عطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها
حكم الله بان جزاؤه ذلك وغضب عليه اى انتقم منه • ولعنه • اى ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما
بعده معطوف على الخبر وجعل الماضى على معنى المستقبل كما فى قوله تعالى ونفخ فى الصور ونظائره اى يجازيه جهنم وان يغضب الله عليه الخ
• واعد له • فى جهنم • عذابا عظيما • لا يقادر قدره ولما ترى فى الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد
وفنون الابراق والارعاد وقد تايدت بما روى فى الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لزوال الدنيا اهون
عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشرك فى دمه وقوله صلى الله عليه وسلم من اعان على
قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها فى خلود من قتل
المؤمن عمدا فى النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل فى انها فى حق المستحل كما هو راى عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت فى مقيس بن صبابة الكنانى
المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص
الناطقة بان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روى عن سفيان
ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى فى التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى عن انس رضى
الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا سأله
ألقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر ألقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل فقلت ما قلت
كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال فى قوله تعالى
فجزاؤه جهنم الاية هى جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه
قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم
يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدى والاصل فى ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد

ولهذا وردت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه ومن اوعده
على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا انه يجزيه
بذلك كيف لا وقد قال عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى
ويعفوا عن كثير • يا ايها الذين آمنوا • اثر ما بين حكم القتل بقسميه وانما يتصور صدوره عن المؤمنين انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي
اليه من قلة المبالاة في الامور • اذا ضربتم في سبيل الله • اي سافرتم للغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى • فتبينوا • بالفاء
اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثباته وقوله عز وجل • ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام • نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين
وسكون اللام اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية الاسلام والانقياد • لست مؤمنا • وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه
ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية
الاسلام في القراءة الاولى مع انها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سياتي في سبب النزول للمبالغة في الزجر والنهي عنه والتنبيه على كمال
ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى
• تبتغون عرض الحياة الدنيا • حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد فقط
كما في قوله لا تطلب العلم تبتغي الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد
وقوله تعالى • فعند الله مغانم كثيرة • تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم
كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى • كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم • تعليل للنهي عن القول
المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل
السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد
لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم
اي مثل الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله
عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمركم بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى • فتبينوا •
فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من
قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وتستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب
ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة
قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة فيها والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان
تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينهم وبينه من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي
ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتاتى بتذكيره تعالى اياهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم
واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسر منه لم يبق في
النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول فحصنت دماءكم واموالكم حتى يتاتى البيان والزام
تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على اساس رداءة كيف لا وان ما ذكر بعد ذلك التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة
مترتبا عليه في حقهم لكنه ليس حكما يراد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بان له دخل في
وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى
انكم في اوائل الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تقصروا حاله نظرا
الى حالكم هذه بل اعتبروا ابتداءه نظرا الى حالكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه
للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق
غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال
بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها تعوذا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه وفي رواية افلا شققت

عن قلبه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم
يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال لرسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم
الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه
• ان الله كان بما تعملون • من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها • خبيرا • فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل
واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل • لا يستوي القاعدون •
بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعدما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع
بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي
الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك
فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى • من المؤمنين • متعلق بمحذوف
وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار
بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى • غير اولي الضرر • بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم
او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج
او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة
فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال
ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر • والمجاهدون • اوثر هذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع
عبارة ابن عباس رضي الله عنه وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله باموالهم وانفسهم لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو
الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه
عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب
زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور
الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول
وقوله عز وجل • فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة • استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل
المفهوم من ذكر عدم استوائهم اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ
واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تفكيك لظاهر النظم الذي حقه ان
يكون مقصودا بالذات هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما فمقصود ان يكون توطئة لذكره
ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فيفيد كون الجهاد في سبيل الله معتبرا في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على
المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين
اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى • وكلا • مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من
المجاهدين والقاعدين • وعد الله الحسنى • اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا
على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز
وجل • وفضل الله المجاهدين على القاعدين • عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لما عن ذكر القيود التي تركت
على سبيل التدريج وقوله تعالى • اجرا عظيما • مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر وايثاره على ما هو مصدر من مادته للاشعار بكون ذلك
التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع
الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى • درجات • بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى • منه • متعلق
بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل
درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات
على المصدرية كما في قولك ضربه اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى • ومغفرة • بدل من اجرا بدل البعض
لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد

من ضمايفهم وقوله تعالى • ورحمة • بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اى غفر لهم مغفرة ورحمهم
رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه
حسبما يقتضيه الكلام وعليه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة
الاختلاف الذاتى تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث
كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق
الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة
والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا فى الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة
وبالتفضيل الثانى ما انعم به فى الاخرة من الدرجات العالية الغاية للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثانى وتوسيط الوعد بالجنة
بينهما كانه قيل وفضلهم عليهم فى الدنيا درجة واحدة وفى الاخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما فى الذكر ما هو متوسط بينهما فى الوجود
اعنى الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولى الضرر
واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة ولان الاستثناء من النفى اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة
لعبارة النص عليه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم فى المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم
وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان فى المدينة
لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر
فالواهذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر وبعبارة اخرى ان فى المزايجة قد ذكرت فى قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا
على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثانى غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا
ريب فى ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب فى انهم دون المجاهدين حسب تلك الدرجة الدنيوية • وكان الله غفورا رحيما •
تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة • ان الذين توفاهم الملائكة • بيان لحال القاعدين عن الهجرة بعد بيان حال
القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين واصله
تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفى الملائكة
انفسهم فيتوفونها • ظالمى انفسهم • حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة فى الحقيقة لان المعنى على الانفصال
وان كان موصولا فى اللفظ كما فى قوله تعالى غير محلى الصيد وهديا بالغ الكعبة وثانى عطفه اى محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا
عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال باموره الدين فانها نزلت فى ناس من مكة قد اسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة • قالوا • اى الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم فى اظهار اسلامهم واقامة
احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك • فيم كنتم • اى فى اى شىء كنتم من امور دينكم • قالوا • استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية
سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم •
كنا مستضعفين فى الارض • اى فى ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها • قالوا • ابطالا لتعللهم وتبكيتا
لهم • الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها • اى الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة
والى الحبشة وانما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم فى ذلك فرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر فى فقدان
دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او البعد وتمكن الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم
بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حينئذ للتبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة
واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة
الكفرة بانتظامهم فى عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم
كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة • فاولئك • الذين حكيت حالهم الفظيعة • ماويهم • اى فى الاخرة • جهنم •
كما ان ماويهم فى الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه
لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اى قالوا
لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما فى حيزه • وساءت مصيرا • اى مصيرهم او جهنم وفى الاية الكريمة
ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة امور دينه باى سبب كان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه

من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم • الا المستضعفين •
استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه • من الرجال والنساء والولدان • متعلق
بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اى كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة
فى امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كانها واجبة
عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى • لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا •
صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه
الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل
فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز • عسى الله ان يعفو عنهم • جىء بكلمة الاطماع ولفظ العفو
ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغى ان يعد تركها ممن يتحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا
لا جزما وقطعا • وكان الله عفوا غفورا • تذييل مقرر لما قبله • ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا • ترغيب فى المهاجرة
وتانيس لها اى يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر
من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم انوفهم • وسعة • اى من الرزق • ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت • اى قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على
المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف
كما فى قوله عجبت والدهر كثير عجبه • من عنزى سبنى لم اضربه • وقرئ بالنصب على اضمار ان كما فى قوله والحق بالحجاز فاستريحا • فقد وقع اجره على الله •
اى ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمى مكة
قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة
فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا
كل هجرة فى غرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهى هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم • وكان الله
غفورا • مبالغا فى المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التى من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج • رحيما •
مبالغا فى الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته • واذا ضربتم فى الارض • شروع فى بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر
ولقاء العدو والمرض والمطر وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اى اذا سافرتم اى مسافرة
كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة • فليس عليكم جناح • اى حرج ومأثم • ان تقصروا • اى فى ان تقصروا والقصر خلاف
المد يقال قصرت الشىء اى جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشىء لا بعضه
فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى • من الصلاة • ينبغى ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما
راه الاخفش واما على تقدير ان يكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو راى سيبويه اى شيئا من الصلاة فينبغى ان يصار
الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشىء اذا حبسته او يراد بالصلاة الجنس ليكون المقصور بعضا
منها وهى الرباعيات اى فليس عليكم جناح فى ان تقصروا بعض الصلاة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار والكل بمعنى وادنى
مدة السفر الذى يتعلق به القصر عند ابى حنيفة رضى الله عنه مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشى الاقدام بالاقتصاد وعند
الشافعى رضى الله عنه مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعى رضى الله عنه وبما روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم اتم فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضى الله عنه انه كان يتم ويقصر
وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه
اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلى وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال
الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روى عن عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان
نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن انس خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلى ركعتين ركعتين
حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رايت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم
قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضى الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله

بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان عن اتمامه بانه تاهل
بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه اذمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتان ركعتين فاقرت
في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة
السفر وزيد في صلاة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري وانما ورد
ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فرفع بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم
ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند
الشافعي رضي الله عنه وقوله تعالى • ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا • جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم
ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة
بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقع على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي
في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من
الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك
اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم
عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فمسكوت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حالة لعدم تحقق دليله
لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط
اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا
بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط
به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وفي الضرب في
المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله
فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل
شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلاة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى • ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا • تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما ينبئ عنه الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين
من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى • واذا كنت فيهم • بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق
التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة
لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة ومن هنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد
من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلاة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم
ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلاة الخوف قال من شهد منكم صلاة
الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل
فصلى بهم صلاة الخوف • فاقمت لهم الصلوة • اي اردت ان تقيم بهم الصلاة • فلتقم طائفة منهم معك • بعد ان جعلتهم
طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره • وليأخذوا • اي الطائفة
القائمة معك • اسلحتهم • اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كأنهم
يأخذونها ابتداء • فاذا سجدوا • اي القائمون معك واتموا الركعة • فليكونوا من ورائكم • اي فلينصرفوا الى مقابلة
العدو للحراسة • ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا • بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها
لم تذكر فيما قبل • فليصلوا معك • الركعة الباقية ولم يبين في الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين
وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف

صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت
الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان • وليأخذوا
اي هذه الطائفة • حذرهم واسلحتهم • لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع
النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال
بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى • ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة • فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات
اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا ومنها الامر للوجوب
لقوله تعالى • ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم • حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل • وخذوا حذركم • لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى
الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين اصحابه
فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف
فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه عليه السلام وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال
لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا
ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى • ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا • تعليل للامر بأخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان
يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما ل
توقع غلبته واعتزازه نفى ذلك الايهام بان الله ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم • فاذا قضيتم الصلوة • صلاة الخوف اي اديتموها على
الوجه المبين وفرغتم منها • فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم • اي فدوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته
ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • فاذا
اطمأننتم • سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها • فاقيموا الصلوة • اي الصلاة التي دخل وقتها اي
ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلاثة الصلاة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما
عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال
التي هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي رضي الله عنه وفيه من البعد ما لا يخفى • ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا •
اي فرضا موقتا وقال مجاهد رحمه الله عليهم فلا بد من اقامتها في حال الخوف ايضا وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر
ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه • ولا تهنوا في ابتغاء القوم • اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال
والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى • ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون • تعليل للنهي
وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم
اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة
اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى • وكان الله عليما • مبالغا
في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم • حكيما • فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة • انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق • روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم
فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله

وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيتا فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ
ليقتل فقيل دعوه فانه قد لجا اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب
فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر • لتحكم بين الناس
بما اراك الله • اي بما عرفك واوحى به اليك • ولا تكن للخائنين • اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن
يسير بسيرته • خصيما • مخاصما للبراء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فاحكم به
ولا تكن • واستغفر الله • مما هممت به تعويلا على شهادتهم • ان الله كان غفورا رحيما • مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره
• ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم • اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة
خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته
من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة • ان الله لا يحب من كان خوانا • مفرطا في الخيانة مصرا عليها • اثيما • منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة
الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما • يستخفون من
الناس • يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم • ولا يستخفون من الله • اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى
منه ويخاف من عقابه • وهو معهم • عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه
• اذ يبيتون • يدبرون ويزورون • ما لا يرضى من القول • من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور • وكان الله بما يعملون
من الاعمال الظاهرة والخافية • محيطا • لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت • ها انتم هؤلاء • تلوين للخطاب وتوجيه له الى الذين
بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدا وخبر وقوله تعالى جادلتم
عنهم في الحيوة الدنيا • جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة
اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا • فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة • فمن يخاصم عنهم
يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم • ام من يكون عليهم وكيلا • حافظا ومحاميا من باس الله تعالى وانتقامه • ومن يعمل سوءا • قبيحا
يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي • او يظلم نفسه • بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك
والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة • ثم يستغفر الله • بالتوبة الصادقة • يجد الله غفورا • لذنوبه
كائنة ما كانت • رحيما • متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب
لاثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر • ومن يكسب اثما • من الآثام • فانما يكسبه على نفسه • وحيث لا يتعدى ضرره
ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا • وكان الله عليما • مبالغا في العلم • حكيما •
مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى • ومن يكسب خطيئة • صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب
وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب • او اثما • كبيرة او ما كان عن عمد • ثم يرم به • اي يقذف به
ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ يرم بهما
وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله يكسب وثم للتراخي في الرتبة • بريئا • اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل
طعمة بزيد • فقد احتمل • اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء • بهتانا • وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته
وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه • واثما مبينا • اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفي في بيان عظم البهتان
بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة
عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به من
قبيل ما للرامي فان رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون
الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا
كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد
قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه لذلك
والا لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها عليه
كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة
الامر فيصير بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم
• ولولا فضل الله عليك ورحمته • باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة • لهمت طائفة منهم •

اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد يجوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد ثقيف
قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشرها فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
• ان يضلوك • اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بحقية الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تاثيره فقط
ايذانا بانتفاء تاثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل
لهمت جملة مستانفة اي لقد همت طائفة • وما يضلون الا انفسهم • لانعدام وباله وضرره عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض
وقوله تعالى • وما يضرونك من شيء • عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه
تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان خطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك
• وانزل الله عليك الكتاب والحكمة • اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة • وعلمك • بالوحي من خفايا
الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع • ما لم تكن تعلم • ذلك الى وقت التعليم
• وكان فضل الله عليك عظيما • اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة • لا خير في كثير من نجواهم • اي في كثير من
تناجي الناس • الا من امر بصدقة او معروف • وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي
نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة او معروف ففي نجواه الخير وقيل المراد بالنجوى
المتناجون بطريق المجاز وقيل في نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال
البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة • او اصلاح بين الناس •
عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يتجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم
او بمحذوف هو صفة له اي كائنا بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك
على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا ولعل السر
في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء
المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد
اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس • ومن يفعل ذلك • اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح
فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها
اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار
حسن الامر بحسن المامور به وبحبه بحيث تمت خيرية الامر بالامور المذكورة بخيرية فعلها احسن منه عرض للامر بها على فعلها او
اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام في ترتب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم
انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق • ابتغاء مرضات الله • علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات
وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق غير الحرمان • فسوف نؤتيه • بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء • اجرا عظيما • يقصر عنه الوصف
• ومن يشاقق الرسول • التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترءوا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي
بذلك • من بعد ما تبين له الهدى • ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته • ويتبع غير سبيل المؤمنين • اي غير ما هو
مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم • نوله ما تولى • اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره
• ونصله جهنم • اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه • وساءت مصيرا • اي جهنم وفيه دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته
• ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء • قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة
وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في
الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت • ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا •
عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه
الشرطية فقد ضل وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه • ان يدعون • اي ما يعبدون
من دونه تعالى • الا اناثا • يعني اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه
يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات
النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجمادات تؤنث

من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها واراد منها هذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب
وربى وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع انيث كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل
كقولك اسد واسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه • وان يدعون • ما يعبدون بعبادتها • الا شيطانا مريدا •
اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملامسة ومنه
صرح ممرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها • لعنه الله • صفة ثانية للشيطان • وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا •
عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن والله برهن على ان
عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونه لا ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية
المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهي افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء
من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلالة فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال
والثالث انه في غاية العناية في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي
نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطا • ولاضلنهم ولامنينهم • الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب
ونحو ذلك • ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام • اي فليقطعنها بموجب امري وليشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك
ما كانت العرب تفعله بالبحاير والسوايب • ولامرنهم فليغيرن • ممتثلين به • خلق الله • عن نهجه صورة او صفة
ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحام وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصا مطلقا لكن الفقهاء
رخصوا في البهايم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم
والمامور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه • ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله • بايثار ما يدعوا اليه على
ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته • فقد خسر خسرانا مبينا • لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل
بمكانه من الجنة مكانه من النار • يعدهم • ما لا يكاد ينجزه • ويمنيهم • اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية
على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها • وما يعدهم الشيطان
الا غرورا • وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان
للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض
وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد • اولئك • اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى • ماويهم • مبتدا ثان وقوله تعالى • جهنم • خبر للثاني والجملة خبر للاول • ولا يجدون عنها
محيصا • اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلصا ونجا وقيل المحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف
وقع حالا من محيصا اي كاينا عنها ولا يتعلق بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل
فيما قبله • والذين امنوا وعملوا الصالحات • مبتدا خبره قوله تعالى • سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا • قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هولا ومساة اوليك • وعد الله حقا • اي وعده وعدا وحق ذلك حقا
فالاول موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني موكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد
الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال الجنات وحقا على انه حال من المصدر • ومن اصدق من الله قيلا • جملة
موكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان الكاذب لقرنايه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة
في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران
ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال • ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب •
اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل باما نيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم
اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المؤمنين اصلا كما في قوله تعالى ولا
الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا
فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي
على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويويده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم
ان كان الامر كما يزعم هولاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا

من كان هودا

الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى • من يعمل سوءا يجز به • عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزلت
قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن اوتمرض اما يصيبك البلاء قال
بلى يا رسول الله قال هو ذلك • ولا يجد له من دون الله • اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته • وليا • يواليه • ولا نصيرا • ينصره في دفع
العذاب عنه • ومن يعمل من الصالحات • اي بعضها وشيا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها • من ذكر او انثى • في
موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كاينة من ذكر الخ • وهو مومن • حال شرط اقتران العمل بها في استدعا
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه • فاوليك • اشارة الى من بعنوان اتصافهم بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار
معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في
الشرف • يدخلون الجنة • وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال • ولا يظلمون نقيرا • اي لا ينقصون شيا حقيرا من ثواب اعمالهم
فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين
وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب • ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله • اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه
وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره له تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا
ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل
من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى
ونظايره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة
جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية • وهو محسن • اي ات بالحسنات تارك
للسيات او ات بالاعمال الصالحة على الوجه اللايق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم • واتبع ملة ابراهيم • الموافقة لدين الاسلام المتفق على
صحتها وقبولها • حنيفا • مايلا عن الاديان الزايغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم • واتخذ الله ابراهيم خليلا • اصطفاه
وخصه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه
الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما متوافقان في الخصال
وفايدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا
حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم مما يرنوا نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة
اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس
من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤا منها الغراير حياء من الناس وجاؤا بها الى منزل ابراهيم عليه السلام والقوها
فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت
سارة الى الغراير فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى فاختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستنبه ابراهيم فاشتم رايحة الخبز فقال
من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا • ولله ما في السموات وما
في الارض • جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات
له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شي منها فيجازيهم على موجب اعمالهم خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه تعالى لابراهيم خليلا
ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شؤنه كما هو داب الادميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد
تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيته
تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء من يشاء وقوله تعالى • وكان الله بكل شي محيطا • تذييل مقرر لمضمون ما قبله
على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشيا التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك تقريرا
• ويستفتونك في النسا • اي في حقهن على الاطلاق كما ينبي عنه الاحكام الاتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عليه السلام سيل عن
احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى
• قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب • باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلي من الكتاب فيما سبق
باعتبارين على طريقة اعجبني زيد وكرمه بعطف ما على المبتدا او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع
للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كاينا فيه ويجوز ان يكون

ما يتلى عليكم مسند اذ في الكتاب جزم على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في حقوق
المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها ما يتلى متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم
به وتعظيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم من الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيان السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى • في يتامى النساء • على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى او بما يتلى عليكم في شان النساء
وعلى الاخرين بدل من فيهن ومعناه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء • اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
لهن • اي ما فرض لهن من الميراث وغيره • وترغبون • عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على منفية او حال من فاعل تؤتونهن باضمار مبتدأ اي وانتم ترغبون
• ان تنكحوهن • اي في ان تنكحوهن لجمالهن وما لهن صداقهن • ان تنكحوهن • اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع
بهن بل لاكل اموالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من ان اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في
مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي
عنها رضي الله عنها انها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله عنها هو الرجل تكون
عنده يتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته
في ماله فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والاخير الميراث وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى
ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم على الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى الآية • والمستضعفين من الولدان • عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية
لا يورثون النساء وانما لا يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذلك امرت • وان تقوموا لليتامى بالقسط • بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا ايجاد فيه هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من
فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويأمركم وهو خطاب للولاة وللاولياء والاوصياء
• وما تفعلوا • في حقوق المذكورين • من خير • حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا
• فان الله كان به عليما • فيجازيكم عليه • وان امرأة خافت • شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امرأة
• من بعلها نشوزا • اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها • او اعراضا • بان يقل مجالستها ومؤانستها
لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب • فلا جناح عليهما • ح • ان يصالحا بينهما صلحا • اي في ان يصالحا بينهما بان تحط له المهر
او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له
شيئا تستميله وقرئ يصّالحا من يصّالح ويصطلحا من يصطلح ويتصالحا اي يتصالحا من اصطلحا حسبما قرئ الفعل ويفعل من باب
على المذكور فيصح كما انما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الاخذ الذي هو مظنة للجناح
لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والاخذ • والصلح خير • اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام
للعهد او خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى • واحضرت الانفس الشح • اي جعلت حاضرة له مطبوعة
عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا
له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس
الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل
على ان يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح • وان تحسنوا • في العشرة • وتتقوا • النشوز والاعراض
وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن • فان الله كان
بما تعملون • اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا • خبيرا • فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة
لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن
كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في
عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت
لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم فذكر ذلك فنزلت • ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء • اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب
واحد منهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها • ولو حرصتم • اي على اقامة العدل
او بالغتم في ذلك • فلا تميلوا كل الميل • اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح
عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم • فتذروها • اي التي ملتم عنها • كالمعلقة • التي ليست ذات
بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كان له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل • وان تصلحوا
ما كنتم تفسدون من امورهن • وتتقوا • الميل فيما يستقبل • فان الله كان غفورا • يغفر لكم ما فرط منكم من الميل • رحيما •
يتفضل عليكم برحمته • وان يتفرقا • وقرئ يتفارقا اي ان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح
وغيره • يغن الله كلا منهما • اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته • من سعته • من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة
رغما لصاحبه • وكان الله واسعا حكيما • مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى • ولله ما في السماوات وما في الارض •
اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته • ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا • واياكم • عطف على الموصول • ان اتقوا الله • اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف
عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى • وان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض • ح من تتمة
القول المحكي اي وقلنا لهم ولكم ان تتقوا الله وان تكفروا الخ وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول اي امرناهم
واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل جملة مستأنفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمراد بقوله على كفرهم ليس
مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السماوات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون
اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك
بقوله تعالى • وكان الله غنيا • اي عن الخلق وعبادتهم • حميدا • محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم
كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته • ولله ما في السماوات وما في الارض • كلام مبتدا مسوق
للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهما كيفما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة • وكفى بالله وكيلا • في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد ان يتوكل عليه لا على احد سواه • ان يشأ يذهبكم
ايها الناس • اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة • ويأت باخرين • اي ويوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين
مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم
عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا • وكان الله على ذلك قديرا • بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد
ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت باخرين يوالونه فمعناه هو معنى
قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس • من كان يريد ثواب الدنيا • كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة • فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة • اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين
فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية • وكان الله سميعا بصيرا • عالما بجميع المسموعات والمبصرات
فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا • يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط •
مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد • شهداء لله • بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى
وهو خبر ثان او حال • ولو على انفسكم • اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء
كان ذلك عليه او على ثالث او تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه • او الوالدين والاقربين • اي ولو كانت على
والديكم واقاربكم • ان يكن • اي المشهود عليه • غنيا • يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه • او فقيرا • يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن
غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى • فالله اولى بهما • عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني
او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم

فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا • اى مخافة ان تعدلوا عن الحق • وان تلووا • اى السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا
على وجهها وقرئ وان تلوا بالولاية والتصدى اى وان وليتم اقامة الشهادة • او تعرضوا • اى عن اقامتها راسا • فان الله كان بما تعملون •
من اللى والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التى من جملتها ما ذكر • خبيرا • فيجازيكم لا محالة على ذلك وهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى
القراءة الاخيرة متضمن للوعد • يا ايها الذين آمنوا • خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى • آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل
على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل • اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء
على ان ايمان بعضهم اجمالى والمراد بالكتاب الثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك
الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهى لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب
منزل منه تعالى خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقى منها معتبر بالاضافة اليها بل
على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الان
من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر فى تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ
نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمنى اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلامة وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا
ابنى كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله
فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتورية مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم
انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو
الايمان بها فى ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذى اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب
فى التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه من النزول من عند الله تعالى • وقيل • خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض
دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه فى ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم
فقط • ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر • اى بشئ من ذلك • فقد ضل ضلالا بعيدا • عن القصد بحيث
لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر فى جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل
لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل
لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل فى انزال الكتب • ان الذين آمنوا • قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى • ثم كفروا •
بعبادتهم العجل • ثم آمنوا • عند عوده اليهم • ثم كفروا • بعيسى عليه السلام والانجيل • ثم ازدادوا كفرا • بكفرهم بمحمد صلى
الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى • لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا • لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضريت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان
عندهم اهون شئ وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اى مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى • بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما • يدل على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا فى الظاهر نفاقا وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا
كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكم بهم • الذين يتخذون الكافرين اولياء • فى محل النصب والرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين
او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى • من دون المؤمنين • حال من فاعل يتخذون اى يتخذون الكفرة انصارا
متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود • ايبتغون عندهم
العزة • انكار لرأيهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اى ايطلبون بموالاة
الكفرة القوة والغلبة قال الواحدى اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى • فان العزة لله جميعا •
تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة فى جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه
الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضى بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب
شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم العزة فان العزة لله وجميعا حال من المستكن فى قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ • وقد
نزل عليكم • خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذى يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول
من التنزيل والانزال وقرئ ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه
سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم من ذلك وهو ورود النهى الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهى عن
موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم

قبل هذا بمكة • فى الكتاب • اى القرآن الحكيم • ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث
غيره • وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضى الانزجار عن مجالستهم فى تلك الحالة
القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى
يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل فى حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة
وتهويل امر الكفر بها اى نزل عليكم فى الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل
على النبى صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى الآيات ولذلك عبر عن
ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير
فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها • انكم اذا مثلهم • جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهى غير داخلة تحت التنزيل
واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اى لا تقعدوا معهم فى ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم فى الكفر واستتباع العذاب
وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما فى قوله تعالى مثل ما انكم
تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اى فى مثل حالهم وقوله تعالى • ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا • تعليل
لكونهم مثلهم فى الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم فى العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر
تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين
ونصب جميعا مثل ما قبله • الذين يتربصون بكم • تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو
اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اى ينتظرون امركم وما
يحدث لكم من ظفر او اخفاق وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والفاء فى قوله تعالى • فان كان لكم فتح من الله • لترتيب
مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص مستدع لوقوع ما يتربص به • قالوا • اى للمؤمنين
• الم نكن معكم • اى مظاهرين لكم فاسهموا لنا فى الغنيمة • وان كان للكافرين نصيب • من الحرب فانها سجال • قالوا • اى للكفرة • الم
نستحوذ عليكم • اى الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم • ونمنعكم من المؤمنين • بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت
به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما
للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ومنعناكم باضمار ان • فالله يحكم بينكم يوم القيامة • حكما يليق بشأنكم
كل منكم من الثواب والعقاب واما فى الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا • ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا • ح كما قد يجعل ذلك فى الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او فى الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة •
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم • كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان
وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم فى الدنيا معصومى الدماء والاموال واعد لهم فى الآخرة الدرك الاسفل من النار
وقد مر تحقيقه فى صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين
فينادون انظرونا نقتبس من نوركم • واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى • متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان
• يراؤن الناس • ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائى يرى غيره عمله وهو يريه استحسانه
والجملة اما استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا • ولا يذكرون الله الا قليلا • عطف على
يراؤن اى لا يذكرونه سبحانه وتعالى فى الصلاة الا قليلا عند التكبير والتسليم • مذبذبين بين ذلك • حال من فاعل يراؤن او منصوب
على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اى مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب
ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اى مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء
صلصل بمعنى تصلصل وفى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة فى دبة
واخرى فى اخرى • لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء • اى لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين
فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له • ومن يضلل الله • لعدم استعداده للهداية والتوفيق
• فلن تجد له سبيلا • موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان • يا ايها الذين آمنوا لا
تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين • نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان فى بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة فى
الزجر والتحذير • اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا • اى اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون
فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ

للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا
رسولكم • ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار • وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا
الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة
متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك • ولن تجد لهم نصيرا • يخلصهم منه والخطاب كما سبق
• الا الذين تابوا • اي من النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر • واصلحوا • ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق
• واعتصموا بالله • اي وثقوا به وتمسكوا بدينه • واخلصوا دينهم • اي جعلوه خالصا • لله • لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه • فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة • مع المؤمنين •
اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين
ذلك بقوله تعالى • وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما • لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه • ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية
مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثأر ام يستجلب به نفعا او
يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب
لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما
ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه • وكان الله شاكرا • الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير
من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته • عليما • مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا
يوفيكم اجوركم • لا يحب الله الجهر بالسوء من القول • عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا
من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما
فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا
يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء • وكان الله سميعا • بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم • عليما • بجميع المعلومات
التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء • ان تبدوا خيرا • اي خير كان من الاقوال والافعال
• او تخفوه او تعفوا عن سوء • مع ما سوغ لكم مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان
وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل • فان الله كان عفوا قديرا • فان ايراده في معرض
جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا في العفو كامل القدرة على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين
مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا
عن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه • ان الذين يكفرون بالله ورسله • اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك
كما ينبئ عنه قوله تعالى • ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله • اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى
وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى • ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض • اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في
الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب • ويريدون • بقولهم ذلك • ان يتخذوا بين ذلك • اي
بين الايمان والكفر • سبيلا • يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال • اولئك • الموصوفون
بالصفات القبيحة • هم الكافرون • الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا • حقا • مصدر مؤكد لمضمون الجملة
اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينيا لا ريب فيه • واعتدنا
للكافرين • اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا
• عذابا مهينا • سيذوقونه عند حلوله • والذين آمنوا بالله ورسله • على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
آمنوا بالله ورسوله الآية • ولم يفرقوا بين احد منهم • بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه
في سورة البقرة بما لا مزيد عليه • اولئك • المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة • سوف نؤتيهم اجورهم • الموعودة لهم وتصديره
بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة • وكان الله غفورا • لما فرط منهم • رحيما •

مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم • يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء • نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اوتي به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التوراة او
كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا بأعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه
لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية • فقد سألوا موسى اكبر من ذلك • جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا
موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين
بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم • فقالوا ارنا الله جهرة • اي
ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية • فأخذتهم الصاعقة • اي النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة
• بظلمهم • اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا • ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات • اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد • فعفونا
عن ذلك • ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم
ايضا حتى نعفو عنكم • وآتينا موسى سلطانا مبينا • تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم • ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم • اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا
فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى • واخذنا
منهم ميثاقا غليظا • وقلنا لهم • على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم • ادخلوا الباب • قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب
المقدس وقيل هو ايليا وقيل اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام
• سجدا • اي متطامنين خاضعين • وقلنا لهم لا تعدوا • اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين
وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين • واخذنا منهم • على الامتثال
بما كلفوه • ميثاقا غليظا • مؤكدا وهو العهد الذي اخذ الله عليهم في التوراة وقيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله
تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد • فبما نقضهم ميثاقهم • ما مزيدة للتأكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف
اي فبسبب نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم روي انهم اعتدوا في
السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه
فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى
بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره • وكفرهم بآيات الله •
اي بالقرآن او بما في كتابهم • وقتلهم الانبياء بغير حق • كزكريا ويحيى عليهما السلام • وقولهم قلوبنا غلف • جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية
جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام او هو تخفيف غلف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم ونحن مستغنون بما عندنا عن غيره كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا • بل طبع الله عليها بكفرهم •
كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب
الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم • فلا يؤمنون الا قليلا • منهم
كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به • وبكفرهم • اي بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما
بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان
بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام • وقولهم على مريم بهتانا عظيما • لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي
عنه بالف منزل • وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله • نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا
بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها
الذي نزل عليه الذكر الخ ولانباء عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان
ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام رفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك • وما قتلوه
وما صلبوه • حال او اعتراض • ولكن شبه لهم • روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل
الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما اراد قتله قال
انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه السلام والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام

وقيل ان طَطيانوس اليهودى دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام رفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا • وان الذين اختلفوا فيه • اى في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى عليه السلام والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء وقال بعضهم صلب الناسوت وصعد اللاهوت • لفى شك منه • لفى تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى • ما لهم به من علم الا اتباع الظن • استثناء منقطع اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل • وما قتلوه يقينا • اى قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت علمى ولكن يقينا • من قولهم قتلت الشىء علما ونحرته علما اذا بالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية • بل رفعه الله اليه • رد وانكار لقتله واثبات لرفعه • وكان الله عزيزا • لا يغالب فيما يريده • حكيما • في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيره تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا • وان من اهل الكتاب • اى من اليهود والنصارى وقوله تعالى • الا ليؤمنن به قبل موته • جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثانى والاول لعيسى عليه السلام اى وما كان احد من اهل الكتاب احدا الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين لا ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسى شىء منها يعنى هذه الاية وقال انى اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبى ويقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الى وقال ممن قلت حدثنى محمد بن على ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روى انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال ويقع الامنة حتى يرتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم • ويوم القيامة يكون • اى عيسى عليه السلام • عليهم • على اهل الكتاب • شهيدا • فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • فبظلم من الذين هادوا • لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعدما هادوا اى تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمى اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم • حرمنا عليهم طيبات احلت لهم • ولمن قبلهم لا لشىء غيره كما زعموا انهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى في مواضع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين • اى في ادعائكم انه تحريم قديم روى انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين • وبصدهم عن سبيل الله كثيرا • اى ناسا كثيرا • واخذهم الربوا وقد نهوا عنه • فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى عنه • واكلهم اموال الناس بالباطل • بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة • واعتدنا للكافرين منهم • اى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم • عذابا اليما • سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم • لكن الراسخون في العلم منهم • استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا واجلا اى لكن الثابتون

ادرفع الى السماء

فيؤمن انه عبد الله

في العلم منهم من الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المؤمنين • والمقيمين الصلاة • وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى وكذا الحال فيما سياتى من المعطوفين فان قوله تعالى • والمؤتون الزكاة • عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى • والمؤمنون بالله واليوم الاخر • فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكاة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية • ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد وتحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الاخر وقوله تعالى • اولئك • اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى • سنؤتيهم اجرا عظيما • خبره والجملة خبر للمبتدا الذى هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا التعبير يجاوب طرفى الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدا ففيه كما ترى ادخلا بمعرض التقابل بين الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله • انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده • جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحى كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راى سيبويه اى واوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بنوح لانه ابو البشر واول نبى شرع الله على لسانه الشرائع والاحكام واول نبى عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله تعالى بدعائه اهل الارض • واوحينا الى ابراهيم • عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اى وكما اوحينا الى ابراهيم • واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط • وهم اولاد يعقوب عليهم السلام • وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان • خصهم بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمى اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحى • وآتينا داود زبورا • قال القرطبى كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هى حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اى وكما آتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحققها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى • ورسلا • نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اى وكما ارسلنا رسلا لا ايمانا بفسره قوله تعالى • قد قصصناهم عليك • اى وقصصنا رسلا كما لو ادعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثانى لا محل له من الاعراب فانما هو لاسبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى • من قبل • متعلق بقصصنا اى قصصنا من قبل هذه السورة او اليوم • ورسلا لم نقصصهم عليك • عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ ولعل ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم من بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا اخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن هنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذى يدور عليه فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشىء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم تعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضى تقدير نفيه في الثانى وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا • وكلم الله موسى • برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب

حصرام

وقوله تعالى • تكليما • مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم
يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على اتينا
وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به
من بينهم موسى فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبيا فكيف يتوهم كون نزول التورية عليه جملة قادحا في صحة
نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكمة مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة
الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما امنوا بها ومع ذلك ما امنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا • رسلا مبشرين ومنذرين • نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة
بالنار • لئلا يكون للناس على الله حجة • اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا
ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك الاية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه
سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته
لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما احد اغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه
وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا او بقوله تعالى
مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الحجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس
حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم
عليه وقوله تعالى • بعد الرسل • اي بعد ارسالهم الشرايع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف
يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة • وكان الله عزيزا • لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته
الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين • حكيما • في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب واختلافها
في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرايع والاحكام وانما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف
فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق
بشأنهم ويقتضيه احوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرايع والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية
وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب
جملة اقتراح فاسد ادى الى هدم قواعد التكاليف فيشق عليهم قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية
اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا • لكن الله يشهد • بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة
وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانهم لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الخ قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد • بما انزل اليك • على البناء للفاعل وقرئ على بنائه للمفعول والباء صلة للشهادة اي
يشهد بحقية ما انزل اليك من القران المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك
بهذا فنزل لكن الله يشهد • انزله بعلمه • اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم بديع يعجز عنه
كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى
• والملائكة يشهدون • اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة
يشهدون بصدقه وحقيته • وكفى بالله شهيدا • على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن
الاستشهاد بغيرها • ان الذين كفروا • اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا
اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به • وصدوا عن سبيل الله • وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف
صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول • قد ضلوا • بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق • ضلالا بعيدا •
لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه • ان الذين كفروا •
اي بما ذكر انفا • وظلموا • اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضعها في غير مواضعها او الناس

بصدهم عن ما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد • لم يكن الله ليغفر لهم • لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر • ولا ليهديهم • طريقا الا طريق جهنم •
لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه
تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق
على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع • خالدين فيها • حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها
ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله • ابدا • نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود
على المكث الطويل • وكان ذلك • اي جعلهم خالدين في جهنم • على الله يسيرا • لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى • يا ايها
الناس • بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته
عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشان من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبيا عليهم
السلام واكد ذلك بشهادته تعالى وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا
بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق لاحد بعد ذلك عذر في عدم القبول وقوله تعالى • قد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم • تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القران الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا
من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا
من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم
ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله عز وعلا • فامنوا • للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فامنوا به وبما
جاءكم به من الحق وقوله تعالى • خيرا لكم • منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ايتوا
امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي امنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المقدرة
الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط المقدر وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم • وان تكفروا • اي ان
تصروا وتستمروا على الكفر به • فان لله ما في السموات والارض • من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم
حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في الجملة المخاطبون دخولا اوليا اي كلها
له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة اي فمن كان
كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره
• وكان الله عليما • مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا • حكيما • مراعيا
للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه اياهم بكفرهم • يا اهل الكتاب • تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما
هم عليه من الكفر والضلال • لا تغلوا في دينكم • بالافراط في رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء الالوهية واما غلو اليهود في حط
رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق • ولا تقولوا على الله الا الحق • اي لا تصفوه بما
يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك • انما المسيح • قد مر تفسيره في سورة ال عمران
وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى • عيسى • بدل منه او عطف بيان له وقوله
تعالى • ابن مريم • صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى • رسول الله • خبر
للمبتدا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة
لا يتخطاها • وكلمته • عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة • القاها الى مريم •
اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق المباشرة وذلك قوله تعالى
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق
الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها • وروح منه • قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي
النفخ روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى حكي ان طبيبا حاذقا نصرانيا
للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه
الاية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى
علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح
اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات
وقيل لاحياء القلوب كما سمي به القران لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي

الذي اوحى الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان
عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تأخره
عن كونه كلمة تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب
التاويل الزائغ • فآمنوا بالله • وخصوه بالالوهية • ورسله • اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه
بالالوهية • ولا تقولوا ثلاثة • اي الالهة ثلاثة • الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى • أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة • انتهوا • اي عن التثليث • خيرا لكم •
قد مر وجوه انتصابه • انما الله اله واحد • اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت
اي منفرد في الالهية • سبحانه ان يكون له ولد • اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور
فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى • له
ما في السموات وما في الارض • جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج
من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى • وكفى بالله وكيلا • اليه يكل كل
الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه تعالى اتخاذ الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم
الى من يخلفهم ويقوم مقامهم • لن يستنكف المسيح • استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع
من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع • ان يكون عبدا لله • اي عن ان يكون عبدا له تعالى
مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه
عليه السلام عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه احواله ويفصح عنه اقواله الا يرى ان اول مقالة
قالها للناس قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول
انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام
عبدا له تعالى دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف
بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم
لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في
اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها • ولا الملائكة المقربون •
عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل انه اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يجز التعدد
واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي
ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بانه
مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد
البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف
من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات
العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الاية ليست
للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف
المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان سلم
ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من
الملائكة عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وهل التشاجر الا
فيه • ومن يستنكف عن عبادته • اي عن طاعته فيعم جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى
لا ما سبق لتعلق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم
طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا
يستنكفون من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الاستنكاف من طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه السلام
سوى امره تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله • ويستكبر • الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف عنه واصله طلب الكبر

لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على
الطلب للايذان بان ماله محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن
عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص
من المستنكف عنه • فسيحشرهم اليه جميعا • اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم
السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة
عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين آمنوا بالله الاية مع عموم الخطاب لهما
اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه
والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر
الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات • فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات • بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة
الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله
وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات • فيوفيهم اجورهم • من غير ان ينقص منها شيئا اصلا • ويزيدهم من
فضله • بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • واما الذين استنكفوا • اي
عن عبادته تعالى • واستكبروا فيعذبهم • بسبب استنكافهم واستكبارهم • عذابا اليما • لا يحيط به الوصف • ولا يجدون
لهم من دون الله وليا • يلي امورهم ويدبر مصالحهم • ولا نصيرا • ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه • يا ايها الناس •
تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة
التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا
عذر لمعتذر • قد جاءكم • اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار • برهان • البرهان ما يبرهن به على
المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات المثبتة لما فيه من الاحكام
التي من جملتها ما اشير اليه مما نبهت عليه الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه النبي
صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى
به وقوله تعالى • من ربكم • اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بما لفخامة الاضافية اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن
من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لتربيتهم
وتكميلهم • وانزلنا اليكم نورا مبينا • اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى بالنور
المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره
من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق باخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير
الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته
في البرهانية كانه يجيء بنفسه فيجيء به احد ويغلب على سائر الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار كل
واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة
عن القرآن العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يديه او عن الدين الحق فالامر بين
وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار
وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر والمحافظة على فواصل اللآلئ
الكريمة • فاما الذين آمنوا بالله • حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم • واعتصموا به • اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ
الشيطان وغيره • فسيدخلهم في رحمة منه وفضل • قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل
تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة • ويهديهم اليه • اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود بالهداية وقيل الى عبادته
صراطا مستقيما • هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب

ادخال الجنة على الوعد بهم

في الوجود من الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم
اي يعرفهم صراطا مستقيما • يستفتونك • اي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى • قل الله يفتيكم في الكلالة •
وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه روي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة
عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه رضي الله عنه انه قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب من
وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى • ان امرؤ هلك • استئناف مبين للفتيا
وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى • ليس له ولد • صفة له وقيل او حال من الضمير في هلك ورد بانه مفسر
للمحذوف غير مقصود ودني الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر
في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى • وله اخت • عطف على قوله ليس له ولد او حال والمراد
بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة • فلها نصف ما ترك • اي بالفرض ن
والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة • وهو • اي المرء المفروض • يرثها • اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة
فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الاية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دل على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة
• فان كانتا اثنتين • عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا • فلهما الثلثان مما ترك • الضمير لمن يرث بالاخوة والتثنية
والتانيثية باعتبار المعنى قيل وفائدة الاخبار عنهما باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنية على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد
دون الصغر والكبر وغيرهما • وان كانوا • اي من يرث بطريق الاخوة • اخوة • اي مختلطة • رجالا ونساء • بدل من اخوة والاصل
وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث • فللذكر • اي فللذكر منهم • مثل حظ الانثيين • يقتسمون التركة على طريقة التعصيب
وهذا اخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته ان الاية التي انزلها الله تعالى في سورة
النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات
لابوين او لاب والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام • يبين الله لكم • اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من
جملتها حكمها • ان تضلوا • اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين
الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال
ابو عبيدة رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنه وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لا يوافق فاستحسنه وليس
ما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق وقيل
ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ولا
يخفى ان ذلك ما لا يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطا والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك • والله
بكل شيء • من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم • عليم • مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى
محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم • تم • والحمد لله وحده •

سورة المائدة مائة وعشرون آية مدنية

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود • الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد
بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات
والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان نحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل
الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل • احلت لكم بهيمة الانعام • البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى
الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام
والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة
والمماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم والتشويق الى المؤخر لان تاخير

المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن • الا ما يتلى عليكم •
استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه • غير محلي الصيد •
اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في
الكتاب والسنة وقوله تعالى • وانتم حرم • اي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم
احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال
كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول فغايته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه
فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن
تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال
غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد ترغيب للامتثال وتقرير للحاجة ببيان عليتها الغريبة فان تحريم الصيد عليهم
انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا ذا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم • ان الله يحكم
ما يريد • من الاحكام حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيه ما ذكر من التحريم والتحليل دخولا اوليا
ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقلا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي
سيأتي بيانها • يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله • لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان
حرمة احلال سائر الشرائع واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا
وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف
والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل
المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها
الاخلال بها والاول انسب بالمقام • ولا الشهر الحرام • اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين
والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس • ولا الهدي • بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ
محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية • ولا القلائد • هي جمع قلادة وهي ما يقلد
به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها
على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا
عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها • ولا امين البيت
الحرام • اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال قوم او
اذى قوم امين اي قاصدين ولا التي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل • يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا • حال من المستكن
في امين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله ويرضى عنهم
وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا
كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون
على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا لتقييد النهي بها واضافة الرب
الى ضمير الامين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة
في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالامين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الاية محكمة وقد روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رضي الله عنه
ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي
المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم ثبتت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الاية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد
كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحده وعرض ان ياتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام
فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد وا
الهدي فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلي بينهم وبينه فاباه النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على

سدادهم من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظاهر حالهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه
تعالى لكن لا يبعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى
وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى
لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال
مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول لا آمين للمشركين قطعا اما استقلالا واما
اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ فتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد من الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان
بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وجوز ان يكون
الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين • وإذا حللتم فاصطادوا • تصريح بما اشير اليه بقوله
وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ
احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا • ولا يجرمنكم • نهي عن احلال قوم من الآمين
خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى
كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا
في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا
واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء • شنآن قوم • بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله
لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت • ان صدوكم • متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لأن صدوكم عام الحديبية
• عن المسجد الحرام • عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه
شرط معترض اغنى عن جوابه ولا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون
وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير • ان تعتدوا • اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي
منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم
لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر
نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه
المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد
به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان
حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم
بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى • وتعاونوا على البر والتقوى • لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون
امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من
التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى • ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان • فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا تتعاونوا فحذف
منه احدى التاءين تخفيفا وان اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب
ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى • ان الله شديد العقاب •
لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال
الجملة • حرمت عليكم الميتة • شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح • والدم
اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد
له • ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى • والمنخنقة •
اي التي ماتت بالخنق • والموقوذة • اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته • والمتردية • اي
التي تردت من علو الى سفل فماتت • والنطيحة • اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة
• وما اكل السبع • اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصابته لم يحل • الا ما ذكيتم • الا ما ادركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص

بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد • وما ذبح على النصب • قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما
كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام • وان تستقسموا
بالازلام • جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها
مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام ومعنى البعدية فيه للاشعار بانه بمنزلته في الشر • ذلكم فسق • تمرد
وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك
وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها • اليوم • اللام للعهد والمراد
به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب
على انه ظرف لقوله تعالى • يئس الذين كفروا من دينكم • اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان
يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى • فلا تخشوهم • اي
ان يظهروا عليكم • واخشون • اي واخلصوا الي الخشية • اليوم اكملت لكم دينكم • بالنصر والاظهار على الاديان كلها او
بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر
بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى • واتممت عليكم نعمتي • متعلق
باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها
آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين
والشرائع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقوله ولأتم نعمتي عليكم • ورضيت لكم الاسلام
دينا • اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير
المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضي الله عنه عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال عليه السلام
صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما • فمن اضطر •
متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات • في مخمصة • اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه • غير
متجانف لاثم • غير مائل ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ
ولا عاد • فان الله غفور رحيم • لا يؤاخذه بذلك • يسألونك ماذا احل لهم • شروع في تفصيل المحللات
الذي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال معنى القول
اوقع على الجملة فماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كان يعتبر حال المحكي عنه فيقال
اقسم زيد ليفعلن يعتبر حال الحاكي فيقال لأفعلن والمسؤول ما احل لكم من المطاعم • قل احل لكم الطيبات • اي
ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث • وما علمتم من الجوارح
عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب
فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخله الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح
حال من الموصول او من ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا • مكلبين •
اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى
كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فأكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ
مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد • تعلمونهن • حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استئناف • مما علمكم الله • من الحيل
وطرق التعليم والتأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع

الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وعدم أكله منه • فكلوا مما أمسكن عليكم • قد مر فيما سبق
أن هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها وأما على تقدير كونها
عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الإحلال
حقيقة ومشيرة إلى نتيجة التعليم وأثره داخلة تحت الأمر فالفاء فيها كما في قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ومن تبعيضية لما أن البعض
مما لا يتعلق به الأكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة أو موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بأمسكن أي فكلوا
بعض ما أمسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه وأما ما أكلن منه فهو مما أمسكنه على أنفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم
وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الأكل في سباع الطير وقد ذكرت
اسم الله عليه فكل • واذكروا اسم الله عليه • الضمير لما فيه علمتم أي سموا عليه عند إرساله أو لما أمسكن أي سموا عليه إذا
أدركتم ذكاته • واتقوا الله • في شأن محرماته • إن الله سريع الحساب • أي سريع إتيان حسابه أي سريع تمامه • إذا شرع فيه
يتم في أقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين أنه يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق وإظهار الاسم الجليل في موقع
الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم • اليوم أحل لكم الطيبات • قيل المراد بالأيام الثلاثة وقت واحد وإنما كرر للتأكيد
ولاختلاف الأحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر • وطعام الذين أوتوا الكتاب • أي اليهود والنصارى
واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي رضي الله
عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها • حل لكم • أي حلال وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس
وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان
صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن
بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب
غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم • وطعامكم حل لهم • فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك • والمحصنات
من المؤمنات • رفع على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه أي حل لكم أيضا والمراد بهن الحرائر العفائف وتخصيصهن
بالذكر للبعث على ما هو الأولى لا لنفي ما عداهن فإن نكاح الإماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء
الكتابيات فهن كالمسلمات عند أبي حنيفة رحمه الله خلافا للشافعي رحمه الله • والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم •
أي هن أيضا حل لكم وإن كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تحل الحربيات • إذا آتيتموهن أجورهن • حلهن لكم محصنين
حال من فاعل آتيتموهن أي حال كونكم أعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى • غير مسافحين • وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة
محصنين أي غير مجاهرين بالزنا • ولا متخذي أخدان • أي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى وهو إما مجرور عطفا
على مسافحين وزيدت لا لتأكيد النفي المستفاد من غير أو منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار أوجهه الثلاثة • ومن يكفر بالإيمان •
أي ومن ينكر شرائع الإسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله
الصالح الذي عمله قبل ذلك • وهو في الآخرة من الخاسرين • هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر
من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور أي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على أن الألف واللام للتعريف لا موصولة
لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله • وربيته حتى إذا تمعددا كان جزائي بالعصا أن
أجلدا • يا أيها الذين آمنوا • شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم • إذا قمتم إلى الصلاة
أي إذا أردتم القيام إليها كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا
للإيجاز والتنبيه على أن من أراد الصلاة حقه أن يبادر إليها بحيث لا ينفك عن إرادتها أو إذا قصدتم الصلاة إطلاقا لاسم أحد
لازميها على الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إليها وإن لم يكن محدثا لما أن الأمر للوجوب قطعا والإجماع على
خلافه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن
تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فحمل الأمر بالنسبة إلى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه
أن الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
والخلفاء من أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة فلا دلالة فيه على أنهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب أصلا كيف لا وما روي عنه صلى
الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في أن ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك
أول الأمر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها • فاغسلوا وجوهكم •

أي أمروا عليها الماء ولا حاجة إلى الدلك خلافا لمالك • وأيديكم إلى المرافق • الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك
قيل إلى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم وقيل هي إنما تفيد معنى الغاية مطلقا وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا
دلالة لها عليه وإنما هو أمر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من أوله إلى آخره وقوله تعالى فنظرة إلى ميسرة فإن الدخول
في الأول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل حيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الأيدي متناولة للمرافق حكم
بدخولها فيها احتياطا وقيل إلى من حيث إفادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب إدخالها
احتياطا • وامسحوا برؤوسكم • الباء مزيدة وقيل للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه أنها تدل
على تضمين الفعل معنى الإلصاق كأنه قيل فألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم
فإنه كقوله ثم فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فأوجب الشافعي أقل ما يطلق عليه الاسم أخذا باليقين
وأبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل أخذا بالاحتياط
• وأرجلكم إلى الكعبين • بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح
لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم أليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد
وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين أخواته
إيماء إلى فضيلة الترتيب وقرئ بالرفع أي وأرجلكم مغسولة • وإن كنتم جنبا فاطهروا • أي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا أي فطهروا
أبدانكم وفي تعليق الأمر بالطهارة الكبرى بالحدث الأكبر إشارة إلى اشتراط الأمر بالطهارة الصغرى بالحدث الأصغر
• وإن كنتم مرضى • مرضا يخاف به الهلاك أو ازدياده باستعمال الماء • أو على سفر • أي مستقرين عليه • أو جاء أحد منكم من
الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه • من لابتداء الغاية وقيل
للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فأموا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع إليه
ولعل التكرير ليتصل الكلام في أنواع الطهارة • ما يريد الله • أي ما يريد بالأمر بالطهارة بالصلاة أو بالأمر بالتيمم • ليجعل
عليكم من حرج • من ضيق في الامتثال به • ولكن يريد • لا يريد بذلك • ليطهركم • أي لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فإن
الوضوء مكفر لها أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة
والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم بالتراب إذا أعوزكم
التطهر بالماء • وليتم • بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم • نعمته عليكم • في الدين أو ليتم برخصه إنعامه
عليكم بعزائمه • لعلكم تشكرون • نعمته ومن لطائف الآية الكريمة أنها مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان
أصل وبدل والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آلتيهما
مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر وأكبر وأن المبيح بالعدول إلى البدل مرض أو سفر وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب وإتمام
النعمة • واذكروا نعمة الله عليكم • بالإسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره • وميثاقه الذي واثقكم به • أي
عهده المؤكد الذي أخذه عليكم وقوله تعالى • إذ قلتم سمعنا وأطعنا • ظرف لواثقكم به أو لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في
به أو من ميثاقه أي كائنا وقت قولكم سمعنا وأطعنا وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة
عليه وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر
والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان فإضافته إليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله
عليه وسلم لكون المرجع إليه تعالى كما نطق به قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي
أخذه الله تعالى على عباده حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام • واتقوا الله • أي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه أو في كل
ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا • إن الله عليم بذات الصدور • أي بخفياتها الملابسة لها ملابسة
تامة مصححة لإطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الأعمال والجملة اعتراض وتعليل للأمر بالاتقاء وإظهار الاسم
الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة • يا أيها الذين آمنوا • شروع في بيان الشرائع
المتعلقة بما جرى بينهم وبين غيرهم إثر بيان ما يتعلق بأنفسهم • كونوا قوامين لله • مقيمين لأوامره ممتثلين لها معظمين لها
مراعين لحقوقها • شهداء بالقسط • أي بالعدل • ولا يجرمنكم • أي لا يحملنكم • شنآن قوم • أي شدة بغضكم لهم • على ألا تعدلوا •
فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل أو فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك
• اعدلوا هو • أي العدل • أقرب للتقوى • الذي أمرتم به صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعدما نهاهم

من الجور بل انه جور مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين • واتقوا
الله • امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشأنه وتنبيها على انه ملاك الامر • ان الله خبير بما تعملون • من الاعمال
فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل
والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد
عقب بالوعد لمن حافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن اخل بها فقيل • وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات • التي من جملتها
العدل والتقوى • لهم مغفرة واجر عظيم • حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في
موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا • التي من جملتها
ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى • اولئك • الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات • اصحاب
الجحيم • ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق
الدعوة بالتبشير والانذار • يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم • تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير
الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى • اذ هم قوم •
على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى
عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم في وقت همهم • ان يبسطوا اليكم ايديهم • اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط
اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط
وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة
الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة • فكف ايديهم عنكم • عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم
للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة
التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة
من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين
رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه
عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من
آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل
هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما
عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا
بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمري نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة
فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني قال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله • واتقوا الله • عطف على
اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا
• وعلى الله • اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا • فليتوكل المؤمنون • فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر
والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني
وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال
بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم واستقلال الجملة التذييلية • ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل • كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من
الشقاوة مسوق لتحريض المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او
لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة
عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه
من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل • وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا • للجري على سنن

الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي به لتفتيشه عن احوال القوم
واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا
ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم
وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ
الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة
فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون
نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام وقيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف
وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان على رأسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى
امرأته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا
قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقودا عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض
ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رأيهما فاخذ
بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه
عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة
على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه فانثقبت فوقعت في عنق
عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب
العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه • وقال الله • اي لبني اسرائيل فقط اذ
هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من
الوعد • اني معكم • اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى
كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم
واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين
ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى • لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم
برسلي • اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتأخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع
المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله
تعالى • وعزرتموهم • اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعظيم والتوقير والتأخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف
• واقرضتم الله • بالانفاق في سبيل الخير وبالتصديق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا • قرضا حسنا • اما مصدر مؤكد
وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال
المقرض وقوله تعالى • لاكفرن عنكم سيئاتكم • جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط • ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار • عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية
• فمن كفر • اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب
بالترهيب • بعد ذلك • الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا • منكم • متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر
ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل من حيز الاحتمال واسقاط من كفر من رتبة
الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه
قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث • فقد ضل سواء السبيل • اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأه
خطأ فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة • فبما نقضهم ميثاقهم •
الباء سببية وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما • لعناهم •
طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه
ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشيء البسيطة

على هيئته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية • وجعلنا
قلوبهم قاسية • بحيث لا تتأثر عن الآيات والنذر وقيل امليناها لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا
لو يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين • يحرفون الكلم عن مواضعه • استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه
لا مرتبة اعظم مما يصح الاجترا على تغيير كلام الله عز وجل والافترا عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال
من مفعول لعناهم • ونسوا حظا • اي تركوا نصيبا وافرا • مما ذكروا به • من التورية ومن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل حرفوا التورية فسقطت اشيا منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه
الآية • ولا تزال تطلع على خائنة منهم • اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة وطائفة
خائنة او شخص خائن على ان التا للمبالغة ونفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية
اي على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة
لهم ولاسلافهم بحيث لا تكاد تراهم يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم • الا قليلا منهم • استثناء من الضمير المجرور في منهم
على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل
من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم • فاعف عنهم
واصفح • اي ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف • ان الله يحب المحسنين •
تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان • ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم •
بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم
وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر احوال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن
الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل من متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته مقامه اي ومنهم
قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم فضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى
بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب
تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم
وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى
يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقهم • فنسوا • عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم • حظا • وافرا • مما ذكروا به •
في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغيره لانه حيث ما مر انفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان •
فاغرينا • اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغرا وقوله تعالى • بينهم • اما
ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا • العداوة والبغضاء • كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما
لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى • الى يوم القيامة • اما غاية للاغرا او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون
الى يوم القيامة حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلاث فضمير بينهم خاصة بالنصارى وقيل
لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى • وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون • وعيد شديد
بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر
مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير
عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها
للعذاب فيكون ترتيبا للعذاب عليها في افادة العلم بحقيقتها بمنزلة الاخبار بها • يا اهل الكتاب • التفات الى
خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة
لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقران وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق
بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من
الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون • قد جاءكم رسولنا • الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى
• يبين لكم • حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا

لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة • كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب • اي التورية والانجيل كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم
واية الرجم من التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما السلام في الانجيل وتاخير كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم ولما
فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده
فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم ومما متعلق بمحذوف وقع
صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد
المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفا اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار
حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به • ويعفو عن كثير • اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية
دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفا ترغيبا
وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى • قد جاءكم من
الله نور • جملة مستانفة مسوقة لبيان ان فائدة مجي الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى
ومن الله متعلق بجاءكم ومن لابتدا الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور ولما كان فيه تصريح بما يشعر به اضافة الرسول
من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجي من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان
فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور
للتفخيم والمراد به وبقوله • وكتاب مبين • القران لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق والاعجاز
البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني
القران • يهدي به الله • توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم
الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتنا بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب
على الحالية منه لتخصصه بالصفة • من اتبع رضوانه • اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة • سبل السلام • اي طرق
السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهي شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق
ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم • ويخرجهم • الضميران والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ • من الظلمات •
اي ظلمات فنون الكفر والضلال • الى النور • الى الايمان • باذنه • بتيسيره او بارادته • ويهديهم الى صراط مستقيم •
هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ • لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم • اي لا غير كما يفيده الكلام وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن
انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود
فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا
لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم • قل • اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والفا في قوله تعالى • فمن يملك من الله
شيئا • فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف
اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منهما • ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا • ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بما في شانه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره
بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها يتعلق به فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك
الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير
والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد
مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد لتحقيق الحق بنفي الالوهية
عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان نفي المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة
الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الالوهية قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول
ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان
ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر بشر

المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها في ما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق اهلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال البقية من فرض اهلاكها كأنه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله • ولله ملك السموات والارض وما بينهما • اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيعم ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اعني من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى • يخلق ما يشاء • جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده • والله على كل شيء قدير • اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة • وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه • حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقيل عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم • قل • اي الزاما لهم وتبكيتا • فلم يعذبكم بذنوبكم • اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما معدودة ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى • بل انتم بشر • عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر • ممن خلق • اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم • يغفر لمن يشاء • اي يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله • ويعذب من يشاء • ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم • ولله ملك السموات والارض وما بينهما • من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة وتعذيبا فاني لهم ادعاء ما زعموا • واليه المصير • في الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه • يا اهل الكتاب • تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة • قد جاءكم رسولنا يبين لكم • حال من رسولنا والايثار على مثبتا لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنيعة وما سيأتي من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسل بكراء من غير فائدة يورده قوله عز وجل • على فترة من الرسل • فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى • ان تقولوا • تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين • ما جاءنا من بشير ولا نذير • وقد اندرست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء وتنكيرهما للتقليل وهو كما ترى يقتضي ان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيف ما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى • فقد جاءكم بشير ونذير • متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير • والله على كل شيء قدير • فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة

سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلام وهو الانسب لما نحن فيه من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم • واذ قال موسى لقومه • جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم بينها لهم ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه • يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم • وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كأنه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى • اذ جعل فيكم انبياء • اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شأن خطير حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء • وجعلكم ملوكا • عطف على جعل فيكم اي وجعل منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال بحيث لا يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق • وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين • من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاكم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم • يا قوم ادخلوا الارض المقدسة • كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام • التي كتب الله لكم • اي كتب في اللوح ان تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى • ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين • فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك • يا موسى ان فيها قوما جبارين • متغلبين لا يأتي منازعتهم ولا يتيسر مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس • كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه • وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها • من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها • فان يخرجوا منها • بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها • فانا داخلون • حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر • قال رجلان • استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان • من الذين يخافون • اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو واي منهم في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليهما السلام فالواو لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد • انعم الله عليهما • اي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين • ادخلوا عليهم الباب •

أي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لأن المقصود إنما هو دخول الباب وهم في بلدهم أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم
من البروز إلى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فإذا دخلتموه أي باب بلدهم وهم فيه فإنكم غالبون من غير حاجة إلى القتال
فإنا قد رأيناهم وشاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فإنهم لا يقدرون
فيها على الكر والفر وقيل إنما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم أو لما علما من سنته تعالى
في نصر رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر أعدائه والأول أنسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة
فتوكلوا بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنها بمعزل من التأثير وإنما التأثير من عند الله العزيز القدير إن كنتم مؤمنين
أي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فإن ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق أي قالوا غير مبالين بهما
وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام إظهارا لإصرارهم على القول الأول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى إنا لن ندخلها
أي أرض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم أبدا أي دهرا طويلا ما داموا فيها أي في أرضهم وهو بدل من أبدا
بدل البعض أو عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة أي إذا كان الأمر كذلك فاذهب أنت وربك فقاتلا أي فقاتلاهم إنما
قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل
أرادوا إرادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كأنهم قالوا فأريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب أنت وربك يعينك
ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا والعجب أنهم لم يذكروا هارون ولا الرجلين كأنهم لم يجزموا بذهابهم أو لم يعبؤوا بهما إنا
هاهنا قاعدون يريدون الوجه الأول وأرادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من
العناد على طريقة البث والحزن والشكوى إلى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب إني لا أملك
إلا نفسي وأخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في إني على معنى أني لا أملك إلا نفسي وأن أخي لا يملك إلا نفسه وقيل على الضمير في
لا أملك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه وأخاه والفاء لترتيب الفرق أو الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين
الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بأن تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من
صحبتهم قال فإنها أي الأرض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم
تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لأن كتابتها لهم كانت مشروطة بالإيمان والجهاد وحيث نكصوا على أدبارهم حرموا ذلك وانقلبوا
خاسرين وقوله تعالى أربعين سنة إن جعل ظرفا للحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب
الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم أنه لا يدخلها أحد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى أن كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي أن
موسى عليه السلام وقيل لم يدخلها أحد ممن قال لن ندخلها أبدا وإنما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالأربعين
في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وإنما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الأرض
أي يتحيرون في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم أو حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم
مطلقا قيل كانوا ستمائة ألف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ أو تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل
في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي أنهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى إذا أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر
الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر
يطول بطوله وهذه الإنعامات عليهم مع أنهم معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهارون معهم ولكن
كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي أن هارون مات في التيه ومات موسى
بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يساعده مقام النظم الكريم فإنه تعالى بعد ما قبل دعوته على بني
إسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد أن ينجي بعض المدعو عليهم أو ذراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وإن كان ذلك لهما نزل روح
وراحة وقد قيل إنهما لم يكونا معهم في التيه وهو الأنسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بأنهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق
بالمباعدة بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي أنه عليه السلام ندم على دعائه عليهم
فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى وإذ قال موسى الخ وتعلقه
به من حيث إنه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني إسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات نبأ ابني آدم هما
قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك أنهما رجلان من بني إسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك أوحى الله عز وجل إلى آدم أن يزوج كلا
منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط وزعم أن ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة
آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن أيكما تقبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فأكلته ولم تتعرض لقربان

قابيل فلم يزل قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة
أو حالا من فاعل اتل أو من مفعوله أي ملتبسا أنت أو نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الأولين إذ قربا قربانا منصوب بالنبأ
ظرف له أي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف أي اتل عليهم نبأ نبأهما ذلك الوقت ورد عليه بأن
إذ لا يضاف إليه غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة أو صدقة كالحلوان اسم لما يحلى أي يعطى
وتوحيده لما أنه في الأصل مصدر وقيل تقديره إذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من أحدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع
وقرب جملا سمينا فنزلت نار فأكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب أردأ ما عنده من القمح فلم
تتعرض له النار أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه
فقيل قال لأخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لأقتلنك أي والله لأقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة
قال استئناف كما قبله أي قال الذي تقبل قربانه لما رأى أن حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربانه نفسه إنما يتقبل الله أي
القربان من المتقين لا من غيرهم وإنما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه أي إنما أوتيت من قبل نفسك لا من قبلي
فلم تقتلني خلا أنه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والإقلاع عما نواه ولذلك أسند
الفعل إلى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن
بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول
الصريح إيذانا من أول الأمر برجوع ضرر البسط وغائلته إليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط
بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بالباء لإظهار غاية براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط
في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تدل على دوام الثبوت كذلك
السلبية تدل بمعونة المقام على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد
بالدوام فيرفع قيده أي والله لئن باشرت قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات ثم علل ذلك بقوله
إني أخاف الله رب العالمين وفيه من إرشاد قابيل إلى خشيته تعالى على أبلغ وجه وآكده ما لا يخفى كأنه قال إني أخافه تعالى إن بسطت
يدي إليك لأقتلك أن يعاقبني وإن كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وأنت البادئ العادي وفي وصفه تعالى بربوبية
العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لأن القتل للدفع لم يكن مباحا وقيل
تحريا لما هو الأفضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى
لأن القتل للدفع لم يكن مباحا إلا أن يدعى أن ترك الأولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى إني أريد
أن تبوء بإثمي وإثمك تعليل آخر لامتناعه من المعارضة على أنه غرض متأخر عنه كما أن الأول باعث متقدم عليه وإنما لم يعطف عليه تنبيها
على كفاية كل منهما في العلية والمعنى إني أريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بإثمي أي بمثل إثمي لو بسطت يدي إليك وبإثمك
ببسط يدك إلي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم أي على البادي عين إثم سبه ومثل إثم سب صاحبه
بحكم كونه سببا له وقيل معنى بإثمي إثم قتلي ومعنى بإثمك إثمك الذي لأجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية أي ترجع ملتبسا بالإثمين
حاملا لهما ولعل مراده بالذات إنما هو عدم ملابسته للإثم لا ملابسة أخيه له وقيل المراد بالإثم عقوبته ولا ريب في جواز إرادة عقوبة
العاصي ممن علم أنه لا يرعوي عن المعصية أصلا ويأباه قوله عز وعلا فتكون من أصحاب النار فإن كونه منهم إنما يترتب على رجوعه بالإثمين
لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يتعقبها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فإنه صريح في أن كونه
من أصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة
والتذكير بالترغيب تارة والترهيب أخرى فما أورثه ذلك إلا الإصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل أخيه
أي وسعته وسهلته من طاع له المرتع إذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها أيضا كما يفصح عنه قوله لأقتلنك
لما أن بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة أمر حادث وصنع جديد
كما في قولك وعظته فلم يتعظ أو لأن هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في القتل لما أنه كان أقوى منه
وإنما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح بأخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على أنه
فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله
فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل له إبليس وأخذ طيرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل
بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة

حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل بجبل بوذ ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما
وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتاكله • فاصبح من الخاسرين • دينا ودنيا • فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوءة اخيه • روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في
ليريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يرى
والمراد بسوءة اخيه جسده الميت • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب
فقيل • قال • يا ويلتى • هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة • اعجزت
ان اكون • اي عن ان اكون • مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي • تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري
بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري • فاصبح من النادمين • اي على قتله لما كابده فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة
طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث
آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل
لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها انت ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار • من اجل ذلك • شروع فيما
هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهوم مما ذكر
في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من
عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه
من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي
ان من اجله جنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن
لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى • كتبنا على بني اسرائيل • وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا
ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا • انه من قتل نفسا • واحدة من النفوس • بغير نفس • اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او
فساد في الارض • او فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم
بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المبني على التخيير والاباحة باحد الاعتبار
العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول
يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل
وروده النفي ترديد حتى يتصور نفيه وتوضيحه ان كل حكم شرط تحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وفي الثاني يرد الترديد
وكل حكم شرط تحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي
كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما
معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما كان نقيضه في
من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا قطعا ورود النفي الواقع بين الوضوء والتيمم
بكلمة او فافاد النفي نفيهما معا مع ضرورة عموم النفي … وعلى هذا يدور … اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه
لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو لا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب
صحت صلوته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض
الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما ولا … ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته
بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما • فكانما قتل الناس جميعا • … في تفسير
او بغير … النظر الكريم حقه … كانما … لوقوع الفعل … وجميعا حال من الناس وتاكيد ومناط
التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل في استتباع القود واستجلاب غضب
الله تعالى وعذابه العظيم • ومن احياها • اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي
قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه • فكانما احيا الناس جميعا • ووجه التشبيه ظاهر والمقصود
تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان الذي
عن كمال شهرته ونباهته ومبادرة الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول
الامر شيء فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا • ولقد جاءتهم رسلنا

بالبينات • جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا
اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات
الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاييدا لتحتم المحافظة عليه • ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك • اي بعدما ذكر من
الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب
ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد • في
الارض • متعلق بقوله تعالى • لمسرفون • وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينهما لان اللام لام الابتداء وحقها الدخول
على المبتدأ وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون
في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الاحياء وجودا وذكرا وكان ابرح الامرين وافظعهما اكتفي بذكره
في مقام التشنيع • انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله • كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد
باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شأن القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل
قيل اي يحاربون رسوله وذكر اسم الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين
محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من حاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة
حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى
يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر • ويسعون في الارض
عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى • فسادا • اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد
او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي
وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم
وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا
السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون
قتل ومن اخافة السبيل بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل • ان يقتلوا • اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا
الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا • او يصلبوا • اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ
بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف ثم قتلهم وصلبهم
وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما • او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف • اي تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا
على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال
واما قطع ارجلهم فللاخافة الطريق بتفويت امنه • او ينفوا من الارض • ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس
فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد
الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي من بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة
• ذلك • اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدأ وقوله • لهم خزي • جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى • في الدنيا •
متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا
من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة • ولهم في الآخرة • غير
• عذاب عظيم • لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم وقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ وقوله • لهم خزي • جملة من خبر مقدم على المبتدأ
وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع … او خبر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا
اي كائنا في الآخرة • الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم • استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى • فاعلموا ان الله
غفور رحيم • اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب
استيفائه لا جوازه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاء تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة • يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله • لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنين
بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي
من جملتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار • وابتغوا اليه • اي اطلبوا لانفسكم اليه اي الى ثوابه

والزلفى منه • الوسيلة • هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء
واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير
اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير والجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا
وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة
لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى • وجاهدوا في سبيله • بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة • لعلكم تفلحون • بنيل مرضاته
والفوز بكرامته • ان الذين كفروا • كلام مبتدأ مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل
الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل
الثواب • لو ان لهم • اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع
الحال • ما في الارض • اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها وعلما الرفع بلا خلاف خلا انه
عند سيبويه رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع
بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند
المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى • جميعا • توكيد للموصول او حال
منه • ومثله • بالنصب عطف عليه وقوله تعالى • معه • ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيدا لافراد
الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى • ليفتدوا به • متعلق بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم او بالخبر المقدر
عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا وبالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن تابعه ولا ريب في ان مدار الافتداء ما ذكر من كونه لهم
لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه
واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد
الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار رقي قوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله
على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الراجع للفاعل قد
نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف
وحرف الجر وقوله تعالى • من عذاب يوم القيامة • متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه
فدية • لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ • ما تقبل منهم • ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به
من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مبادئه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر
وانما المحتاج الى العرض فقدر ثم علم ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا اتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فلما راه الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه اكبرنه من عدم ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل للزوم العذاب
لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا
اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى • ولهم عذاب اليم • تصريح بما اشير اليه بعدم
قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محل الجملة النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبران وقيل عطف على ان الذين فلا محل
له كالمعطوف عليه • يريدون ان يخرجوا من النار • استئناف مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله
كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون
ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار
وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل • وما هم بخارجين منها • اما حال من فاعل يريدون او اعتراض
وايا ما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تاكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم
باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام
النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى وما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج • ولهم عذاب مقيم •
تصريح بما اشير اليه الفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته • والسارق والسارقة • شروع في بيان حكم السرقة الصغرى
بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال للايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء

كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة
لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم
السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى • فاقطعوا ايديهما • والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق
والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير خفية
وانما يوجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما
كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على
انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه • جزاء • نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه
فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى • بما كسبا • على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية او بسبب كسبهما او موصولة
اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى • نكالا • مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد
وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة
للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وكذلك اذا في قوله تعالى
ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا وما قالوا ان قوله تعالى
ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل والبغي علة للكفر وقوله تعالى • من الله • متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا
منه تعالى • والله عزيز • غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه • حكيم • في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح • فمن تاب • من السراق الى الله تعالى • من بعد ظلمه • الذي هو سرقته
والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته • واصلح • اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم
على ترك المعاودة اليها • فان الله يتوب عليه • اي يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا لان فيه حق
المسروق منه ويسقطه عند الشافعي في احد قوليه • ان الله غفور رحيم • مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله
واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاييد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى • الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض • فان
عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد
مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل
احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سياتي من التعذيب والمغفرة
على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما
وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته • يعذب من يشاء • ان يعذبه • ويغفر لمن يشاء •
ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت
السموات والارض له سبحانه او خبر اخر لان • والله على كل شيء قدير • فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار
لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها • يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر • خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة
للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض اخر
منها كاظهار موالاة المشركين وابراز اثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون على
الخير مسارعون في تواعده وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهو ان كان عسب الظاهر نهيا للكفرة
عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من ذلك والمبالاة بهم على ابلغ وجه
واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد
به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي
وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى • من الذين قالوا
امنا بافواههم • بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين
الخ والباء متعلقة بقالوا لا بامنا وقوله تعالى • ولم تؤمن قلوبهم • جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى
• ومن الذين هادوا • عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله

• **سماعون للكذب** • خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الاتى ومباديه للكل
كما ستقف عليه وكذا اجمل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اى ومنهم قوم سماعون الخ لادائه اختصاص ما عدا
من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم قالوا وجه ما ذكر اولا اى هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين
السماع معنى القبول واما لام كى والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب او فى قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه
وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم او
ما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه مضرتهم واياما كان فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل
للنهى فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة واشباه المودهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضى عدم المبالاة بهم وترك
الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واخلالها بما يترتب عليها من الاقاويل الفاسدة المؤدية الى الخزى والعذاب
كما سيأتى وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى • **سماعون لقوم آخرين** • خبر ثان
للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثلها فى سمع الله لمن حمده فى الرجوع الى المعنى من اى
قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم
ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثانى مكرر للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده
النظم الكريم اصلا وقوله تعالى • **لم يأتوك** • صفة اخرى لقوم اى لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء قيل هم يهود خيبر
والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى • **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** • صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها
على استقلالهم واصالتهم فى الراى والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم فى الضلال ثم بالاستمرار
على التحريف بيانا لافراطهم فى العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذى سمعه السماعون اى يميلونه
ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه فى غير
مورده وقيل الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى • **يقولون** •
كالجملة السابقة فى الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون وحالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه
اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله من لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به من حضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون
المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحضره عليه السلام قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم
الكريم والحق الذى لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اى يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة
مشيرين الى كلامهم الباطل • **ان اوتيتم** • من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم • **هذا فخذوه** • واعملوا بموجبه فانه الحق • **وان لم تؤتوه** • بل اوتيتم
غيره • **فاحذروا** • اى فاحذروا قبوله واياكم واياه وفى ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة فى التحذير ما لا يخفى روى ان شريفا
من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به
فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا قالوا نعم هو اعلم يهودى على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران فى التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى واخرجكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم
الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان يحرقنى التورية ان كذبت
او غيرت ما اعترفت ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه
الرجم قال ابن صوريا والذى انزل التورية على موسى هكذا انزل الله فى التورية على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله النبى الامى
العربى الذى بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد • **ومن يرد الله فتنته** • اى ضلالته او فضيحته
كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره والاستغناء عن ذكره • **فلن تملك له** •
فلن تستطيع له • **من الله شيئا** • فى دفعها والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا • **اولئك** •
اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
• **الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم** • اى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى

تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة فى الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى
لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء • **لهم فى الدنيا خزى** • اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك
سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزى اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم فى كتمان نص التورية وتنكير خزى للتفخيم
وهو مبتدأ ولهم خبره وفى الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال فى قوله تعالى • **ولهم فى**
الآخرة • اى مع الخزى الدنيوى • **عذاب عظيم** • هو الخلود فى النار وضمير لهم فى الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير
لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد والجملتان استئناف مبنى على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل
فما لهم من العقوبة فقيل لهم فى الدنيا الآية • **سماعون للكذب** • خبر آخر للمبتدأ المقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى
• **اكالون للسحت** • وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم اوبنا على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الاكالين والسحت
بضم السين وسكون الحاء فى الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمى به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا
اما الرشى التى كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية
كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون
الحاء عن النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به • **فان جاؤك** • لما بين تفاصيل امورهم الزائغة واحوالهم المختلة الموجبة لعدم
المبالاة بهم وبافاعيلهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام ببعض ما يبتنى عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اى واذا كان حالهم
كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات • **فاحكم بينهم او اعرض عنهم** • غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير
له صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بين الامرين فقيل هو فى امر خاص وهو ما ذكر من زنا المحصنين وقيل فى قتيل قتل من اليهود فى بنى قريظة
والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا
بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة
قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل هو عام فى جميع الحكومات
ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروى عن عطاء والنخعى والشعبى وقتادة وابى بكر الاصم وابى مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس
لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسختها وقوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
نسختها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا • **وان تعرض عنهم** • بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم
حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون
عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضادتهم له عليه السلام فامنه الله عز وجل بقوله • **فلن يضروك**
شيئا • من الضرر فان الله عاصمك من الناس • **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** • بالعدل الذى امرت به كما حكمت بالرجم • **ان الله يحب المقسطين** •
ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور • **وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله** • تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه
والحال ان الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اى بكتابهم لاعراضهم
عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالتحكيم معرفة واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن
ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف
وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن فى الخبر وقيل استئناف سيق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث
فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة • **ثم يتولون** • عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب وثم للتراخى فى الرتبة وقوله تعالى • **من بعد ذلك** •
اى من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجيب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى
• **وما اولئك بالمؤمنين** • تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم فى الذهن بما وصفوا به من
القبائح ايماء الى علية الحكم والايذان بتميزهم بذلك عن غيرهم كمال تميز حتى انتظموا فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
درجتهم فى العتو والمكابرة اى وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اى بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل
وما اولئك بالكاملين فى الايمان تهكما بهم • **انا انزلنا التورية** • كلام مستانف سيق لبيان علو شأن التورية ووجوب مراعاة
احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة
والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى • **فيها هدى ونور** • حال من التورية فان
ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذى لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم
من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى • **يحكم بها النبيون** • اى انبياء بنى اسرائيل وقيل موسى

ومن بعده من الانبيا جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى • الذين اسلموا • صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراد وصف في معرض مدح العظما منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبيا بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتدا بدين الانبيا عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى • للذين هادوا • وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه • والربانيون والاحبار • اي الزهاد والعلما من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنه الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقها واحده حبر بالفتح والكسر والثاني افصح وهو راي الفرا ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفا ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى • بما استحفظوا • اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجرا احكامها من غير اخلال بشي منها وفي ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى • من كتاب الله • تفخيم لها واجلال لها ذاتا واضافة وتاكيد لايجاب حفظها من التغيير من جهة الكتابة والبا الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم بذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تحكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ الزايد المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل البا صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير • وكانوا عليه شهدا • اي رقبا يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبيا والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي كلفهم الله عز وجل ان يحفظوه ويكونوا عليه شهدا وقوله تعالى • فلا تخشوا الناس • خطاب لرؤسا اليهود وعلمايهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفا لترتيب النهي على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبيا ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين علما وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظايف مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كاينا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبيا واشياعهم • واخشون • في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسو • ولا تشتروا باياتي • الاشترا استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شي بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها • ثمنا قليلا • من الرشوة والجاه وساير الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فاتهم بترك العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها • ثمنا قليلا • وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الالات والوسايط حيث قرنت بالبا التي تصحب الوسايل ايذانا بتعاكسهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا • ومن لم يحكم بما انزل الله • كاينا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى اقتضا بينا • فاولئك • اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها • هم الكافرون • لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدا وما بعده خبره والجملة

حبر وليك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير من الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعا انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا • وكتبنا • عطف على انزلنا التورية • عليهم • اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل • فيها • اي في التورية • ان النفس بالنفس • اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق • والعين • تفقا • بالعين • اذا فقئت بغير حق • والانف • يجدع • بالانف • المقطوع بغير حق • والاذن • تصلم • بالاذن • المقطوعة ظلما • والسن • تقلع • بالسن • المقلوعة بغير حق • والجروح قصاص • اي ذات قصاص اذا كان بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجرا كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها • فمن تصدق • اي من المستحقين صاحب الحق به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه • فهو • اي التصدق • كفارة له • اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي للمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شي وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله • ومن لم يحكم • كاينا من كان فيدخل فيه المذكورون دخولا اوليا • بما انزل الله • من الاحكام والشرايع كاينا ما كان فيدخل فيه الاحكام المحكية دخولا اوليا • فاولئك هم الظالمون • المبالغون في الظلم المتعدون حدوده تعالى الواضعون للشي في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة • وقفينا على آثارهم • شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اي اثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه وحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم • بعيسى ابن مريم • اي ارسلناه عقيبهم • مصدقا لما بين يديه من التورية • حال من عيسى عليه السلام • واتيناه الانجيل • عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة • فيه هدى ونور • كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كاينا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم • ومصدقا لما بين يديه من التورية • عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير • وهدى وموعظة للمتقين • عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه • وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه • امر مبتدا لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلايل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من الاحكام واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتها وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سياتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شي حتى تقيموا التورية والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على اتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه قيل وامرنا بان ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه واتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل حينئذ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة اتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه • ومن لم يحكم بما انزل الله • منكرا له مستهينا به • فاولئك هم الفاسقون • المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر فيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا لما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر

وانزلنا اليك الكتاب

اى الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوى وتفوقه على بقية افراده وهو القران الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى • بالحق • متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اى ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف وقوله تعالى • مصدقا لما بين يديه • حال من الكتاب اى حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له فى القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له فى بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور امر الشريعة وليس فى المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتاخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى • من الكتاب • بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوى وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان فى نفسه نوعا مخصوصا من مطلق الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهى الى خصوصيته الفردية بل الى الخصوصية النوعية التى هى اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوى ايضا حيث خص بما عدا القران • ومهيمنا عليه • اى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتابد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب فى ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كما فى قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ فى الاعصار والامصار والفاء فى قوله تعالى • فاحكم بينهم • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القران العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المامور به اى اذا كان شان القران كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك • بما انزل الله • اى بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية فى الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما فى حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم • ولا تتبع اهواءهم • الزائغة • عما جاءك من الحق • الذى لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اى لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما فى حيز الصلة من مجئ الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى • لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • كلام مستانف جئ به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القران الكريم ببيان انه هو الذى كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين

ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير فى توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الى اخره والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التى عينت لها فالامة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليه السلام شرعتهم التورية والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القران ليس الا فامنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح فى الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين • ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة • متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم فى شئ من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اى لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله لجعلكم جماعة متفقة على الاسلام لاجبركم عليه • ولكن ليبلوكم • متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اى ولكن لم يشأ ذلك اى ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم • فيما اتاكم • من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم فى معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة فى ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا • فاستبقوا الخيرات • اى اذا كان الامر كذلك فسارعوا الى ما هو خير لكم فى الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة فى القران الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب فى الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى • الى الله مرجعكم • استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى • جميعا • حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدرى وفعل مبنى للفاعل او مبنى للمفعول واما الاستقرار المقدر فى الجار • فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • اى فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه فى الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التى هى وظيفة الاخبار • وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم • عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اى بان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تاكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى • واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك • اى يصرفوك عنه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتاكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • فان تولوا • اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره • فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم • اى يريد ان يعذبهم بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفى هذا الابهام تعظيم للتولى كما فى قول لبيد • او يرتبط بعض النفوس حمامها • يريد به نفسه اى نفسا كبيرة اى نفس • وان كثيرا من الناس لفاسقون • اى متمردون فى الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله • افحكم الجاهلية يبغون • انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار والتعجب لان التولى عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم اخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة فى الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التى هى هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحى واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روى ان بنى النضير

لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم
بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك
فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا
وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ تبغون بالخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم
افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي احكاما كحكام الجاهلية يبغون • ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون •
اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون
يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها • يا ايها الذين آمنوا • خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين
وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما
نهى عنه بقوله عز وجل • لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء • فان تذكر اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى
الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم
مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه
لا يتعلق به النهي • بعضهم اولياء بعض • اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر
من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد
لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة مسوقة
لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض
متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على
مضارتكم ومضادتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور
بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى • ومن يتولهم منكم فانه منهم • حكم مستنتج منه فان اختصاص
الموالاة بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور
امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم
منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله
تعالى • ان الله لا يهدي القوم الظالمين • تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى
الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم
ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى • فترى الذين
في قلوبهم مرض • بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه
على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية
له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما
في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى
• يسارعون فيهم • حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب
بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وكلمة في على
كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما في قوله
تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل
هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا
فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • والمراد بهم
عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون
الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى • يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة • وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها
اي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه

كالجدب والقحط فلا يعطون الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني
ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين
انه يريد بالدائرة المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل • فعسى الله ان يأتي بالفتح • رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم
وتبشير المؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه خبر لعسى
وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي
وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين • او امر من عنده •
يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء • فيصبحوا • اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي واجل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه
ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة • على ما اسروا في انفسهم نادمين • وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من
الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل
ذلك على ندامتهم عليها اصلا وسببا • ويقول الذين آمنوا • كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال
نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على ان باعتبار المعنى كانه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول
الذين آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا
مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم
لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم • اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم • اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده
وتعجيبهم من ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقدير
الاول من جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا
لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه
ولذلك ساغ كونها معرفة لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى • حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين •
اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانها
بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة
لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا
في ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين
ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى عليهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا
لكم باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين
انما يليق بما لو ظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار وظهر لديهم وافتضحوا بذلك على
رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فما وجه ان
يظهر خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس في ذلك علامة ظاهرة للدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم [illegible]
ندامتهم لا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة • يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه • وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام
لغة تميم لما نهي فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع
في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها وروي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله
ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد
القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء

العرق في كان استغفر واستغفري • انت سجاح ودّ الاهاسيلة • كذابة تنبئ في الدنيا وكذاب • وكندة قوم الاشعث ابن قيس وبكر بن وائل
بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته
الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل • فسوف يأتي الله • جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم • بقوم
يحبهم • اي يريد بهم خير الدنيا والآخرة • ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى • ويحبونه • اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه و
معطوف عليها او داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار وقيل
هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الآف من كندة وثلاثة الآف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية • اذلة على المؤمنين • جمع ذليل لا ذلول فان جمعه
ذلل اي ارقاء رحماء لينين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى • اعزة على الكافرين • اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا
اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير
الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله
تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر وحديث محدث
والذي من ربهم ومن الرحمن حالان مما في محدث من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة • يجاهدون
في سبيل الله • صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة • ولا يخافون لومة لائم • عطف على
يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم
اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض
عليه بان من ضوابط ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحالية • واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة
لا تخفى • ذلك • اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو مرتبتها وبعد منزلتها في الفضل • فضل الله • اي لطفه واحسانه
لا انهم مستقلون في الاتصاف بها • يؤتيه من يشاء • ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة • والله واسع • كثير
الفواضل والالطاف • عليم • مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم
الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية • انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا • لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة
وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل
لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا اولياءكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما
افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولاية عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا • الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة • صفة للذين آمنوا جرى مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه • وهم راكعون • حال من فاعلي
الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكاة والركوع ركوع
الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه
كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلاة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة
على ان صدقة التطوع تسمى زكاة • ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا • اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته
تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى • فان حزب الله هم الغالبون • حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع
الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب
الله وحزب الله هم الغالبون • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهاهم الله عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان
من هذا شانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة • من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم
وغاية ضلالهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم • والكفار • اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم
عطف على الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا مستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين
• اولياء • وجانبوهم كل المجانبة • واتقوا الله • في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا • ان كنتم
مؤمنين • اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة • واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها • اي الصلاة او المناداة [illegible]

الاذان هزوا ولعبا • بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان
نصرانيا كان بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخلت خادمة ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة
في البيت فاحرقته واهله جميعا • ذلك • اي الاستهزاء المذكور • بانهم • بسبب انهم • قوم لا يعقلون • فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء
به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة • قل • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين ان
يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة • يا اهل الكتاب •
وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم • هل تنقمون منا • من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه وفعله من حد ضرب وقرئ
من حد علم وهي لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا • الا ان آمنا بالله وما انزل الينا • من القرآن المجيد • وما انزل من قبل • اي من قبل
انزال القرآن من التوراة والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية • وان اكثركم فاسقون • اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر
بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة
ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه والكراهة والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ازيح
معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوا موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل
اي ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى
لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحته كتابنا لآمنتم به وانما ذلك الى الكريم لانهم الجاعلون لا فعا بحمل على التمرد والعناد وقيل عطف على
على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين لكونما لزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا الجامعة بينكم حيث دخلنا الايمان
وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اي ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا
وان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر يدل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان
اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان بالكسرة والجملة حينئذ
مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين • قل هل انبئكم بشر من ذلك • امر عليه الصلاة والسلام بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اعتقادهم لما
على ما يوجب ارتضاءه عند من انصفوا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه
من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب
المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى الخبر والتنبيه
المشعرة بكونه امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذي له شان وخطر حيث كان مناط النقم شريته المنقوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد النقم
غير مستلزم لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين
حيث اتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال عليه السلام اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون حين
سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم
على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه
خيرا محضا • مثوبة عند الله • اي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة
بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل • من لعنه الله وغضب عليه •
خبر مبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الله او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اي بشر من اهل ذلك
والجملة على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم
واما باعتبار التقدير فيها كانه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله او قيل من الذي هو شر من اهل ذلك
فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين
حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات • وجعل منهم القردة والخنازير •
اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم
قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه واما ايراد صيغة
موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم فللقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز الصلة من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية
مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم • وعبد الطاغوت • عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وكذا عابد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتعداد امثالهم المذكورة
بعدد ابيان شرية دينهم على دينهم هذا مع انه الاصل المستتبع لهما في الوجود وان دلالته على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين

الى آخره ح
الى آخره
مطلب مسخ الشاب قردا والشيخ خنزيرا

وبينهم البين البطلان وذلك لما علم بطريق الاستدلال لبرية الآثار على شرية ما يوجبه من الاعتقاد والعمل اما للعقد ان يكفهم
من اوليائه بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشرية وفظاعته وما بعدها فهم بحر واما للايذان باستعلاء الكل من المعدم والموخر الذي
على ما ذكر من الشرية ولو ادى في ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الى آخره تمام ادلة الشرية هو المجموع وقد قرئ
عابد الطاغوت ولا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ ولا عبدة الطاغوت ولا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد
كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء
على تجويز تقدير المضاف وقد قيل انه مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه
اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة
سيقت امام المقصود لهز السامعين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الثاني منها وهو المقصود
افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية كان الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا
عما فيها من السؤال المتصل للالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف ولابد من موافقة في الكيفية للسؤال الثاني
من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الثاني منها يستدعي وقوع الجواب بجملة المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك من بعد
انضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى ايضا وتسمح وجه
تأخيره وابعاده عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مساق الكلام لصدد التبكيت الزاما
هو شر مما نقموه منهم اذ ان من هو شر من اهل ما نقموه ايضا بحسب ما قدر من المضاف وكانت الشرية على كلا الوجهين من جهة الموضوع غير مقصودة
الاثبات لديهم اذ لا نعيهم عقب ذلك بان اياهم المقرر على وجه يشعر بحيران بعلية ما ذكر من القبائح لشوتها المقرر بجملة مستأنفة مسوقة من جهته
سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال وداخلة تحت الامر تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل • اولئك شر مكانا • فاثبت الشرارة
عبارة عن ذات صفة قبح الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح
شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا • واضل عن سواء السبيل • عطف على شر مقرر له
اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان
دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال
• واذا جاؤوكم قالوا آمنا • نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام • وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به • اي يخرجون
من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد
دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا وافادة ايضا معنى التوقع لان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم
يظنه ويتوقع ان يظهره الله ولذلك قيل • والله اعلم بما كانوا يكتمون • اي من الكفر وفيه وعيد شديد لهم • وترى • خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية • كثيرا منهم • من اليهود والمنافقين وقوله تعالى • يسارعون في الاثم • حال من كثيرا او قيل مفعول ثان لرؤية
قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى قد مر في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم اي قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير
ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثام • والعدوان • اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي • واكلهم السحت • اي الحرام خصه
بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح • لبئس ما كانوا يعملون • اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار • لولا ينهاهم الربانيون والاحبار • قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود
وهو تحضيض للذين يقتدى بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه • عن قولهم الاثم
واكلهم السحت • مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما • لبئس ما كانوا يصنعون • وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لان العمل لا يبلغ درجة
الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس
تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعي على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى عن ابن
عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها • وقالت اليهود • قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة
والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى في محمد صلى الله عليه
وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء • يد الله مغلولة • ولم ينكر عليه الآخرون ورضوا به
نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واراد لعنهم الله انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق

فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا ترى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك
كما في قوله • جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ولقد سلك لبيد هذا المسلك البديع حيث قال • وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما شاء على طريقة الجارين غير ان يخطر
بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة في سورة آل عمران
وقيل ارادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء • غلت ايديهم • دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او
والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار بالاغلال في الآخرة فيكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ
وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره • ولعنوا • عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى • بما قالوا • اي بسبب ما قالوا من
الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر • بل يداه مبسوطتان • عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه
اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة
وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا • ينفق كيف يشاء • جملة مستأنفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق
الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى اجتراء تلك الكلمة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع
لمشيئته المبنية على الحكمة التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه
ما سيأتي من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق
كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا وقوله • وليزيدن كثيرا منهم • وعيد لهم ولعلهم ذوو شدة وعناد • ما انزل
اليك • من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك • من ربك • متعلق
بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو
الانزال اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام
• طغيانا وكفرا • مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم
والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا • والقينا بينهم
اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة • العداوة والبغضاء • فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق
اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين وقيل العداوة اخص
من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي • الى يوم القيامة • متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء • كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله • تصريح بما اشير
اليه من عدم وصول غائلة امرهم الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب
وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة
لنارا اي كائنة للحرب • ويسعون في الارض فسادا • اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه
بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد • والله لا يحب المفسدين • ولذلك اطفأ نائرة
اثامهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد • ولو ان
اهل الكتاب • اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايراد هذا العنوان لتاكيد التشنيع فان اهلية
الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله ابلغ من كل قبيح واشنع من كل شنيع • امنوا •
بمحمد نعمة بظهوره بما سبق من قوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى
ولو انهم اقاموا التورية الخ اي لو انهم مع ما عدد من قبائحهم من فنون الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما يجب الايمان به فيندرج فيه رضا بما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما اراد ايمانهم به عليه السلام خاصة بيانا لما ان المقام لان ما ذكر بما سبق وما لحق من كفرهم به عليه السلام اما ذكر
شفعوا بكفرهم بما عداه انما قصد الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بما عداه بحيث لا يتصور الايمان فيما عدا الايمان به
عليه السلام خاصة محل بحاوث الطرف النظم الكريم • واتقوا • ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم • لكفرنا عنهم سيئاتهم • التي
اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نواخذهم بها • ولادخلناهم • مع ذلك • جنات النعيم • وكرر اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه
على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود • ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل •
بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام
لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شيء • وما انزل اليهم من ربهم • من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان

للايمان بوجوب اقامتها عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم الى الامر من قبل في اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم • لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم • اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول لاكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى • منهم امة مقتصدة • جملة مستانفة مبنية على سؤال نشا من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان ام بعض منهم امة مقتصدة اما على ان منهم خبر باعتبار مضمونه اي بعضهم امة وامة مبتدا بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكثير منهم • مبتدا تخصصه بالصفة خبره • ساء ما يعملون • اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم • يا ايها الرسول • نودي عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه • بلغ ما انزل اليك • اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى • من ربك • اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه الصلاة والسلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا • وان لم تفعل • اي ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى • فما بلغت رسالته • فان ترك ما لا يعتد به من الاحكام فضلا عن الاخلال بالاكثر الكلية ليس في حكم تبليغ الباقي اي فما بلغت شيئا من رسالته واتسمت بما ترفعت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت ادائها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لاداء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى • والله يعصمك من الناس • فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضرر بهم بروحه العزيز باعثة له عليه الصلاة والسلام على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعنادهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الكافرين • تعليل لعصمته تعالى له عليه الصلاة والسلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالتهم ولذلك اعيد الامر فقيل • قل يا اهل الكتاب • مخاطبا للفريقين • لستم على شيء • اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه • حتى تقيموا التوراة والانجيل • اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وبان احكامهما ما قررها النبي الذي بشرتا ببعثته وذكرتا صفاته بعوته فاذن اقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قررته الشريعة من الاحكام كما ينبئ عنه قوله تعالى • وما انزل اليكم من ربكم • اي القران المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق والابادة بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التوراة حق من عند الله تعالى قال عليه السلام بلى فقالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى • وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا • جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد

بالكفر

بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للايذان بان المراد اصلاحهم من ذلك النسبة • فلا تاس على القوم الكافرين • اي لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر • ان الذين امنوا • كلام مستانف مسوق للترغيب من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين امنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم او لا • والذين هادوا • اي دخلوا في اليهودية • والصابئون والنصارى • جمع نصراني وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى • والصابئون • رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الاتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والقائمون عطفا عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراطه ذلك بالفراغ عن الخبر والا لزم تعدد العامل في الخبر وهو رافع لان والابتداء معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة تخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا بتخفيف صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى • من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا • اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من امن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الاية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين امنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن امن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عدا المخلصين من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة • لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل • كلام مبتدا مسوق لبيان بعض اخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة • وارسلنا اليهم رسلا • ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى • كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم • جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى • فريقا كذبوا وفريقا يقتلون • جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه من اثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار وفريقا اخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر والمحافظة على رؤوس الاي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يناسب المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسلخ عنها ما يفيده من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر اخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم الكريم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما يعتقون جعلها اخبارا قاطعا على الخ وجه واكد لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم لذلك كما هو مقتضى جعلها صفة • وحسبوا ان لا تكون فتنة • اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما فعلوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق

فعل المبالغة فيها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال وجوده وان بما في خبرها سادة مسد مفعوليه • فعموا • عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما
بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه
الواضحة • وصموا • عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا
احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل لانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة من
كمال العمى والصم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار • ثم تاب الله عليهم •
حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل
ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره ورد من بقي من بني اسرائيل في اسر بخت نصر الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف
فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة
عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال
وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد بتوبة الله عليهم توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت انه لا تعلق له بالمقام ثم ان
التوبة اليهم كنى بها عن اخراجهم من الحسبان والعمى والصم بحيث امتنع التصريح بنسبة الخير اليهم واما الخير اليها فاما بان توبة الله تعالى عليهم بتهيئة الاسباب
تعصمهم اياها بقوله تعالى • ثم عموا وصموا • وهو اشارة الى المرة الاخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليه
السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت مرة فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان الجنايتين المحكيتين عنهم ههنا المرتين في رتبة
حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يعني ان المراد ما ذكرناه والله اعلم وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم
بالعمى والصم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى • كثير منهم • بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف
اي اولئك كثير منهم • والله بصير بما يعملون • اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل
والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفى بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل
خوطب بنو اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب بفعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة الموجبة لانواع العقوبات والله بصير بتفاصيلها
فكيف لا يؤاخذهم بها وبما بين لهم ذلك الحسبان الباطل لقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على
بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التورية
وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا الى ما حكي عنهم من حسن الحال
ثم عادوا الى المرة الاخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس ففعل
ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم
ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا • لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم • شروع في تفصيل قبائح
النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية
منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • وقال المسيح •
حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم ارعوائهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد
قال المسيح مخاطبا لهم • يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم • فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم • انه • اي الشان • من يشرك
بالله • اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية • فقد حرم الله عليه الجنة • فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم
فانها دار الموحدين والمطيعين لايه الجليل بنوع الاحباط لهول الامر وتربية المهابة • ومأواه النار • فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان
لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب • وما للظالمين من انصار • اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق
الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار لفظها واما
للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل
مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تاكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وتذييل انه من كلامه
عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا
معظمين له بذلك ورافعين من مقداره اذ هو من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده من
المعقول واثبت خبرا فان التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مبالغة لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار
بمجرد عدم مساعدتهم على ذلك ونفي نصرتهم له مع خلوه من الغاية تصوير للقوي بصورة الضعيف ونوع للخطب في مقام تهويله وتابوه

عنه الخاطر ما يليق بشانه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لا سيما عند ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان
حمل الكلام على التهكم بعيد ولا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم
المساعد بعد زجره اياهم بما مر من الزام الالهية والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم • لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة • شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه
الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا
كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم
وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة اي احد ثلثة
آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى • وما من اله الا اله واحد • اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
انه مبدأ لجميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله
جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث
الحياة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد ما من ذات متصفة بالوحدة منزهة عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه • وان لم ينتهوا عما يقولون • من الكفر
الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى • ليمسن الذين كفروا • جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي والله ان لم ينتهوا ليمسهم
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا
عليه من الكفر ومن تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع من عيسى
عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر • عذاب اليم • اي نوع شديد الالم من العذاب والهمزة والاستفهام
في قوله تعالى • افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه • لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا اذ لا يسمعون هذه
الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع
الهائلة وقوله عز وجل • والله غفور رحيم • جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم
مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله • ما المسيح ابن مريم
الا رسول • استيناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف
ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس واخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان
استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة
لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى • قد خلت من قبله الرسل • صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل السالفة
عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الايات
كما خص كلا منهم ببعض اخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد
خلق ادم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله • وامه صديقة • اي
وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن في الاتصاف بهما فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي
والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم • كانا ياكلان الطعام • استيناف مبين لما اشير اليه
من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل • انظر كيف نبين لهم الايات •
تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب
وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الايات الباهرة الناطقة ببطلان ما تقولوا عليهما
نداء على كذبهم • ثم انظر انى يؤفكون • اي كيف يصرفون عن استماعها والتامل فيها والكلام فيه كما قبله وتكرير الامر
بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا للايات امر بديع في بابه بالغ اقصى الغايات
القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انعدام ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع • قل • امر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم • اتعبدون من دون الله • اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى • ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا • لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وايثاره على كلمة من
لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا

وهو عليه السلام وإن كان يملك ذلك بتمليكه تعالى إياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به
من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع ولأن أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى • والله هو
السميع العليم • حال من فاعل أتعبدون مؤكد للإنكار والتوبيخ ومقرر للإلزام والتبكيت والرابط هو الواو أي أتشركون بالله تعالى ما لا يقدر
على شيء ما والحال أن الله تعالى هو المختص بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أنتم عليه من الأقوال الباطلة
والعقائد الزائغة والأعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة • قل يا أهل
الكتاب • تلوين للخطاب وتوجيه له إلى فريقي أهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد إبطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه
من المسلك الباطل وإرشادهم إلى الإسلام المبين • لا تغلوا في دينكم • أي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة
إلى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية إلى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خطاب للنصارى
كما في سورة النساء لكنهم تعرضوا أهلية الكتاب لتذكيرهم أن الإنجيل أيضا نهاهم عن الغلو وقوله تعالى • غير الحق • نصب على أنه نعت لمصدر محذوف
أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا أو حال من ضمير الفاعل أي لا تغلوا مجاوزين الحق أو من دينكم أي لا تغلوا في دينكم حال كونه
باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع • ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل • هم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من قبل
أي من اليهود أو من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم • وأضلوا كثيرا • أي قوما كثيرا ممن تابعهم في الزيغ والضلال أو إضلالا
كثيرا والمفعول محذوف • وضلوا • عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الإسلام • عن سواء السبيل • حين كذبوه و
بغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني إلى ضلالهم عما جاء به الشرع • لعن الذين كفروا • أي لعنهم الله عز وجل وبناء
الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء • من بني إسرائيل • متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من فاعل كفروا وقوله تعالى • على لسان داود وعيسى
ابن مريم • متعلق بلعن أي لعنهم الله تعالى في الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم
العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه
أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي • ذلك • إشارة إلى اللعن المذكور
وإيثاره على الضمير للنسبة إلى كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال فظاعته
وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بما عصوا وكانوا يعتدون • والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام
كأنه قيل بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
ثم فسر ذلك بقوله تعالى • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه • أي استئناف مفيد لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره إلا باستمرار تعاطي
المنكرات وليس المراد بالتناهي أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن أشخاص
متعددة من غير اعتبار أن يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه
والجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الأول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بأن لا يوجد فيما
بينهم من يتولاه في وقت من الأوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر خصوصا على تقدير تفسير تنكير المنكر بالوحدة النوعية لا الشخصية فلا يقدح وصفه
بالفعل الماضي في تعلق النهي به فإن متعلق الفعل ما هو فرد من أفراده ومتعلق النهي والإيهام بتطابق المنكر باعتبار تحققه في ضمن أي فرد كان من
على أن المضي المعتبر في الصفة إنما هو بالنسبة إلى زمان النزول لا إلى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة إلى تقدير المعاودة
أو المثل أو حمل الفعل على إرادته من الإرادة على أن المعاودة كالتي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير إلى أحد ما ذكر من الوجهين أو إلى تقدير
المثل أو إلى حمل الفعل على إرادته [illegible] • لبئس ما كانوا يفعلون • تقبيح لسوء أعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا
وقد أداهم إلى ما شرح من اللعن الكبير والسر في سببيته له [illegible] دلالة على خروجهم من السببية مع الإشارة إلى سببيته لذلك فيما سبق من قوله تعالى لعن
الذين كفروا فإن إجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له فإن ما في حيز السببية مشتمل على كفرهم أيضا • ترى كثيرا منهم • أي من أهل الكتاب
ككعب بن الأشرف وأضرابه حيث خرجوا إلى المشركين بمكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى • يتولون الذين
كفروا • حال من كثيرا لكونه موصوفا أي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي أهل الكتاب يتولون اليهود
وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يتولون المشركين ويصافونهم • لبئس ما قدمت لهم أنفسهم • لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة
أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه مبنيا على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد فيما
ذكر أي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترط هو العموم ولا حاجة إليه لأن الجملة
المنبئة أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف هي منه الجملة المتقدمة كأنه قيل ما هو فقيل هو أن سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف
اسم تام معرفة في محل نصب [illegible] بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم أنفسهم جملة في محل الرفع على الصفة للمخصوص الذي ثابته مقامه والمعنى لبئس

التي

التي قد سعرتها أنفسهم لقوله تعالى • أن سخط الله عليهم • بدلا من شيء المخصوص وهذا مذهب سيبويه • وفي العذاب • أي عذاب جهنم • هم خالدون
أبد الآبدين • ولو كانوا • أي الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب • يؤمنون بالله والنبي • أي نبيهم • وما أنزل إليه • من الكتاب أو لو كان المنافقون
يؤمنون بالله ونبينا إيمانا صحيحا • ما اتخذوهم • أي المشركين أو اليهود • أولياء • فإن الإيمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا • ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبيهم وكتابهم أو متمردون في النفاق مفرطون فيه • لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
أشركوا • جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وتماديهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جملتها مودتهم للمشركين أكدت
بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد صالح له إيذانا بأن حالهم مما لا يخفى على أحد من الناس
والوجدان متعد إلى اثنين أحدهما أشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لأنهما في الأصل مبتدأ وخبر ونصب الثاني هو الخبر لا
ولا عبرة في التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو أن المقصود بيان كون الطائفتين أشد الناس عداوة للمؤمنين
لا كون أشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وإن اختير إنه تعرض من الدلالة على ذلك كيف لا وأن الإفادة في الصورة الثانية أتم والحمل مع
خلوها عن تعسف التقديم والتأخير إذ المعنى أنك إن تفحصت أحوال الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت أحوال الطوائف طائفة طائفة
بأن لا يسهم خبرا وبالغت في تعرف أحوالهم الظاهرة والباطنة وتعبت في تتبع ما عندهم من الأمور البارزة والكامنة لتجدن اليهود والذين أشركوا أشد الناس عداوة
لا غيرهما واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لأنها مبنية عليها كما في قوله ورهبة
وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة أي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى
وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الأنبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين
بعد انتظامهم في قرن واحد إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما أن في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا إيذانا
بتقدمهم عليهم في الحرص • ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا • إعادة الموصول مع صلته زيادة للتوضيح والبيان • الذين قالوا إنا نصارى •
عبر عنهم بذلك إشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون أنهم أنصار الله وأوداء أهل الحق وإن لم يظهروا اعتقاد حقية الإسلام وعلى هذه النكتة
مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول
عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا [illegible] والتقابل بالشدة والضعف والقرب والبعد بأن يقال أشد وأضعف أو لتجدن أشدهم قبله أو
لم أو بأن يقال أو لتجدن أبعد الناس مودة إلخ للإيذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان أن أحدهما في أقصى مراتب أحد النقيضين
والآخر في أقرب مراتب النقيض الآخر • ذلك • أي كونهم أقرب مودة للمؤمنين • بأن منهم • أي بسبب أن منهم • قسيسين • وهم علماء النصارى وعبادهم
ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس تتبع الشيء
تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل هو الأرومة بمعنى وقيل إنه أعجمي وما [illegible] القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل
صيغة النصارى في الإنجيل وما فيه وبقي منهم من لم يغير [illegible] قيل له قسيسا • ورهبانا • وهو جمع راهب
كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل إنه يطلق على الواحد وعلى الجمع وأنشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لانحدر الرهبان
يعدو ونزل والرهب المغالي في التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لإفادة الكثرة ولا بد من
اعتبارها في القسيسين أيضا إذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فإن اتصاف أفراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها وإلا
فمن اليهود أيضا قوم مهتدون ألا يرى إلى عبد الله بن سلام وأضرابه قال الله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
إلى الآخر لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم إلى جنس اليهود • وأنهم لا يستكبرون • عطف على أن منهم أي وبأنهم لا يستكبرون
عن قبول الحق إذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع أفراد الجنس فسببيتها لأقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة
وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمودة وإن كانت من كافر • وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول • عطف
على لا يستكبرون أي وذلك بسبب أنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
إلى قبول الحق وعدم إبائهم إياه • ترى أعينهم تفيض من الدمع • أي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة أو جعلت
أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها • مما عرفوا من الحق • من الأولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول أي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة
الحق وحصل من أجله وبسببه ويحتمل أن تكون الثانية تبعيضية لأن ما عرفوه بعض الحق وحيث أبكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرؤوا
القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على صيغة المبني للمفعول • يقولون • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن
كأنه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون • ربنا آمنا • بهذا أو بمن أنزل هذا عليه أو بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا أو من الضمير المجرور في
أعينهم لما أن المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا • فاكتبنا مع الشاهدين • أي الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته أو
مع أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة وإنما قالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق •

من ضركم [illegible]

[illegible] قوله تعالى [illegible] قلتم من قرينة [illegible] موصوف فإن وصف القرينة [illegible] حال النزول لا إلى [illegible] مقدم على [illegible]

كلام مستأنف قالوه تحقيقا لإيمانهم وتقريرا له بإنكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على أن قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني ونظائره لا إلى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وأمثاله فإن همزة الاستفهام كما تكون تارة لإنكار الواقع كما في أتضرب أباك وأخرى لإنكار الوقوع كما في أأضرب أبي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لإنكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فإن كلا من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفي سببه وقد يكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فيسري إلى المسبب أيضا كما في الآية الأولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فإن عدم العبادة أمر مفروض حتما وقوله تعالى • ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين • حال أخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الأولى مقيدا بها أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين أو من الضمير في لا نؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم إيمانهم مع أنهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الإيمان وبين الطمع المذكور • فأثابهم الله بما قالوا • أي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أي معتقده وقرئ فآتاهم الله • جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين • أي الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور والآيات الأربع روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر القسيسين والرهبان فأمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم • عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر مع أنه ضرب منه لما أن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم في معارضة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب • يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم • أي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الإفراط في ذلك أي لا تمنعوها أنفسكم لمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت • ولا تعتدوا • أي ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده عقيبه أو أريد لا تعتدوا بذلك • إن الله لا يحب المعتدين • تعليل لما قبله • وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا • أي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم إما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة أو متعلق بكلوا ومن ابتدائية أو هو المفعول وحلالا حال من الموصول أو من عائده المحذوف أو صفة لمصدر محذوف أي أكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة • واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون • تأكيد للوصية بما أمر به فإن الإيمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه • لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم • اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا أن يحلف على شيء يظن أنه كذلك وليس كما يظن وكان قوم قد حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بأيماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر أو حال منه • ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان • أي بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ بما عاقدتم بمعنى عقدتم • فكفارته • أي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر يمينه • إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم • أي من أقصده في النوع أو المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من أوسط ما تطعمون أو الرفع على أنه بدل من إطعام وأهلون جمع أهل وقرئ أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالألف وهو أيضا جمع أهل كالأراضي في جمع أرض والليالي في جمع ليل وقيل جمع أهلاة • أو كسوتهم • عطف على إطعام أو على محل من أوسط على تقدير كونه بدلا من إطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وإزار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة وأسوة في أسوة وقرئ أو كأسوتهم على أن الكاف في محل الرفع تقديره أو إطعامهم كأسوتهم بمعنى أو كمثل ما تطعمون أهليكم إسرافا أو تقتيرا تواسون بينهم إن لم تطعموهم الأوسط • أو تحرير رقبة • أي أو إعتاق إنسان كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الإيمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو إيجاب أحد الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف • فمن لم يجد • أي شيئا من الأمور المذكورة • فصيام • أي فكفارته صيام • ثلاثة أيام • والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة أيام متتابعات والشافعي

لا يرى الشواذ حجة • ذلك • أي الذي ذكر • كفارة أيمانكم إذا حلفتم • أي وحنثتم • واحفظوا أيمانكم • بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر أو بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير أو بأن تكفروها إذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها • كذلك • إشارة إلى مصدر الفعل الآتي لا إلى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لما ذكر من إفادة تأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحله في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي ذلك البيان البديع • يبين الله لكم آياته • أعلام شريعته وأحكامه لا بيانا أدنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا • لعلكم تشكرون • نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج • يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب • أي الأصنام المنصوبة للعبادة • والأزلام • سلف تفسيرها في أوائل السورة الكريمة • رجس • قذر تعاف عنه العقول وإفراده لأنه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور أو المضاف محذوف أي شأن الخمر والميسر الخ • من عمل الشيطان • في محل الرفع على أنه صفة رجس أي كائن من عمله لأنه مسبب من تسويله وتزيينه • فاجتنبوه • أي الرجس أو ما ذكر • لعلكم تفلحون • أي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد حيث صدرت الجملة بإنما وقرنا بالأصنام والأزلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على أن تعاطيهما شر بحت وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل • إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر • وهو إشارة إلى مفاسدهما الدنيوية • ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة • إشارة إلى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على أن المقصود بيان حالهما وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلاة بالإفراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان لما أنها عماده ثم أعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من أصناف الصوارف فقيل • فهل أنتم منتهون • إيذانا بأن الأمر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت بالكلية • وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول • عطف على اجتنبوه أي أطيعوهما في جميع ما أمرا به ونهيا عنه • واحذروا • أي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة أمرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا أوليا • فإن توليتم • أي أعرضتم عن الامتثال بما أمرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما • فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين • وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة أي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الأعذار وانقطعت العلل فما بقي بعد ذلك إلا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام إذ لا يتوهم منهم ادعاء أنهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بأنهم لا يضرونه عليه السلام وإنما يضرون أنفسهم • ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح • أي إثم وحرج • فيما طعموا • أي تناولوا أكلا أو شربا فإن استعماله في الشرب أيضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فإنه مني قيل لما نزل تحريم الخمر بعد غزوة الأحزاب قال رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أصيب فلان يوم بدر وفلان يوم أحد وهم يشربونها ونحن نشهد أنهم في الجنة وفي رواية أخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم فكيف يا رسول الله بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية أخرى قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة وإلا لزم تقييد إباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى • إذا ما اتقوا • واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت أو موصوفة وإنما خصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان إذا اتقوا أن يكون ذلك شيئا من المحرمات وإلا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه إذ اللازم منه تقييد إباحة الكل بأن لا يكون فيه محرم لا تقييد إباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الأول • وآمنوا وعملوا الصالحات • أي واستمروا على الإيمان والأعمال الصالحة وقوله تعالى • ثم اتقوا • عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط أي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق • وآمنوا • أي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه إما للاعتناء به أو لأنه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به أو واستمروا على الإيمان • ثم اتقوا • أي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على أن المشروط بالاتقاء في كل مرة إباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا إباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ إباحة بعضه • وأحسنوا • أي عملوا الأعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الأعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى أنهم إذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الإيمان والأعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة أوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب إذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وأنت خبير بأن ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة

المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز الشهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ان هذه
حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المنتسبين
بما ذكر من النعوت فيما يأتي بعقبه الكلي او انما الكلية مدا اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي في الوجه البرهاني
بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكأنه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الجميلة بحيث كلما
امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار
الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة
الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد
كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب
انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التأمل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب
قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من صيد البر مأكولا او غير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق
فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر عمرو فطعنه برمحه وقتله
فقيل له قتلت وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية والتنكير في شيء للتحقير ليبلونكم انما هو لتحقير ان ما
من عدم توحش الصيد عنهم ليس من الابتلاءات العظيمة لا للتهويل ونوع المبالغة كما لو كان المراد قبل الابتلاء وتكثيره للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة
التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء ببذل الانفس والاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من
لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن ومن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته
بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيبقى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه
الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم
له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان
متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير
ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم على الاولين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه اذ النهي
عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما قاله الآخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد
العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله
تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع من خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعد ما بيناه ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد
الى تمييز المطيع من العاصي فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة
لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنه يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه يا ايها الذين
آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه
معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم
وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود
وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا
اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما ان الآية نزلت في المتعمد كما روي
نصه الى النص لان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رحمه الله
لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا
قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله
وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافة المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ فجزاء
على ان يجزى جزاء او فعليه ان يجزى جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن
اليه فان بلغت قيمته ثمن هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف

صاع

صاع من بر او صاعا من غيره ويجوز ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا
اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق
عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله ومن رأى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب
مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة
وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص
اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد بها اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل
صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذ لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق
العباد الا يرى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم تعتبر في الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا
بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلأن لا تعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة
الضعيفة الخفية مع صعوبة ماخذها وعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا
عموم للمشترك في مواضع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل
للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يعطيها الجاني لاهلها فيصرفونها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيعمد بها احدى الخصال
الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال
بناء على وضعه الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم فضلا
عن العطف على الموصوف كما سيأتي بيانه باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل
منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقدير هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة التي يستوي
في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ من الغفلة عما اريد بالمماثلة بل لانا جعلناه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من حيث
مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد
اهل الهداية والارشاد الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان الائمة الذين اوجبوا في قتل الحمامة شاة بنوا على ما اثبتوا بينهما
من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يقوم بمعرفة امثال هذه الدقائق
العويصة آحاد الناس ثم ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين مرة ان مثل النوع الفلاني من انواع الصيد
من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة
وقيل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء
لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة
صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدا محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله
تعالى طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك
صياما عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما
للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا من الآخرين هذا وقد
قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا بد من ان يكون في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والاحالة الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على
قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة
لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء
ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى
الطعام والصيام تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد رحمهم الله ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار
في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة
الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام
الوبيل وهو الذي لا تستمرئه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه
في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه
خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي بعد ذلك لا يخاف الخ او

تعالى ومن كفر فأمتعه أي فأنا أمتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير
والحسن أنها واجبة على العائد أيضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر ﴿والله عزيز﴾ غالب لا يغالب
﴿ذو انتقام﴾ شديد فينتقم ممن أصر على المعصية والاعتداء ﴿أحل لكم﴾ الخطاب للمحرمين ﴿صيد البحر﴾ أي ما يصاد في المياه كلها عذبا كان
أو ملحا أو غديرا وهو ما لا يعيش إلا في الماء مأكولا أو غير مأكول ﴿وطعامه﴾ أي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم
التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به وأكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية
عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه أو نضب عنه ﴿متاعا لكم﴾ نصب على
أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة في قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عليه السلام أي أحل لكم
طعامه تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا ﴿وللسيارة﴾ منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر أي متعكم
به متاعا وقيل مؤكد لمعنى أحل لكم فإنه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ وقرئ على بناء الفعل
للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء ﴿ما دمتم حرما﴾ أي محرمين وقرئ بكسر الدال
من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وإن لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وعن أبي هريرة وعطاء
ومجاهد وسعيد بن جبير أنه يحل له أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي
حنيفة لأن الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى لا يباح
ما صيد له ﴿واتقوا الله﴾ فيما نهاكم عنه أو في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك ﴿الذي إليه تحشرون﴾ لا إلى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه
تعالى بالالتجاء إليه ﴿جعل الله الكعبة﴾ قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الأرض
ونتوها وقوله تعالى ﴿البيت الحرام﴾ عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما في الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى ﴿قياما
للناس﴾ نصب على الحال وقيل عطف على المفعول الأول كما يجيء وهذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الإنشاء والخلق وهو حال
كما ترى ومعنى كونه قياما لهم أنه مدار لقيام أمر دينهم ودنياهم إذ هو سبب لانتعاشهم في أمور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على أنه مصدر على وزن شبع أعل عينه بما أعل في فعله ﴿والشهر الحرام﴾ أي الذي
يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر أي وجعل الشهر الحرام
﴿والهدي والقلائد﴾ أيضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر وبها الحج أظهر ﴿ذلك﴾
إشارة إلى الجعل المذكور خاصة أو مع ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في
اللام بعده أي شرع ذلك ﴿لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ فإن تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية
قبل وقوعها وجلب المنافع الأولوية والأخروية من أوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى ﴿وأن الله
بكل شيء عليم﴾ تعميم إثر تخصيص للتأكيد وجوز أن يراد بما في السموات والأرض الأعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الأمور المتعلقة بتلك الموجودات
من العوارض والأحوال التي هي من قبيل المعاني ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ وعيد لمن انتهك محارمه أو أصر على ذلك وقوله تعالى ﴿وأن الله
غفور رحيم﴾ وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى أو أقلع عن الانهماك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾
تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أي الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا
عذر لكم من بعد في التفريط ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ حكم
عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها
وإن كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله إلى آخره وقيل
في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الخمر كانت تجارتي وإني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه
بطاعة الله تعالى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن أنفقته في حج أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب
والخبيث هنا الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للإشعار من أول الأمر بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء
فيه لا في مقابله فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم العالم
فيه لما أن صلته ملكة لصلة المعدول ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ أي وإن سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال أي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو أعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي
أي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أي أحسن إليه إن لم يسئ إليك وإن أساء أي كائنا على كل حال

مفروض وقد حذفت الأولى في باب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق مع المعارض فلأن يتحقق بدونه أولى وعلى هذا السر
يدور ما في لو وإن الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواضع عديدة بإذن
الله عز وجل ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أي في تحري الخبيث وإن كثر وآثروا عليه الطيب وإن قل فإن مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة
لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان أخبث ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين أن تنالوا الفلاح ﴿يا أيها الذين
آمنوا لا تسألوا عن أشياء﴾ هو اسم جمع على رأي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف فقلبت الكلمة
بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لألف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على أنه مخفف من شيّئ كهين مخفف من هيّن والأصل
أشيئاء كأهوناء بزنة أفعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث إذ الألف كالهمزة فخففت الكلمة بأن قلبت الهمزة الأولى ياء لانكسار ما قبلها
فصارت أشيياء فاجتمعت ياءان أولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت أشياء وزنها أفلاء ومنعت الصرف لألف التأنيث وقيل إنما حذفت
الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم ألف الجمع فوزنها أفعاء وقوله تعالى ﴿إن تبد لكم تسؤكم﴾ صفة لأشياء داعية
إلى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بإبدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية أخرى ناطقة باستلزام السؤال
عنها لإبدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ أي تلك الأشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد
السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقونها والأسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو
ذلك مما لا خير فيه فكما أن السؤال عن الأمور الواقعة مستتبع لإبدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لإيجابها عليهم وهذا المعنى بإيجابها
كما ينبئ عليهم بطريق التشديد لإساءتهم الأدب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لأمر الله تعالى من
غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته أي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم
بها وكلفكم إياها حسبما أوحي إليه لم تطيقوها ونحو بعض أمور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني أسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل
هو سراقة بن مالك فقال أفي كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك
أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما
أنه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه في المسألة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال
سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم فأشفق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر قال
أنس رضي الله عنه فجعلت ألتفت يمينا وشمالا فلا أجد رجلا إلا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة
وكان إذا لاحى الرجال يدعى إلى غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي فقال عليه السلام أبوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال أين أبي فقال عليه السلام
في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله تعالى من الفتن إنا حديثو عهد بجاهلية
وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم ﴿عفا الله عنها﴾ استئناف مسوق لبيان أن نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة
بل لأنها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول
عليها بلا تسألوا أي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية
بسائر مسائلكم فلا تعودوا إلى مثلها وأما جعلها صفة أخرى لأشياء على أن الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم إياها فمما
لا سبيل إليه أصلا لاقتضائه أن يكون الحج قد فرض أولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وأن يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة أن حق الوصف أن
يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما بين الانتفاء قطعا على أنه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها مع أن النظم
الكريم صريح في أنه مسوق للنهي عن السؤال عن الأشياء التي يسوؤهم إبداؤها سواء كانت من قبيل الأحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم
بإيجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها أو من قبيل الأمور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة
بالإخبار بها كمسألة من قال أين أبي فإن تلك الأشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لإيجاب المسرة أيضا لأن إيجابها للأول إنما هو من حيث
وجودها وهي من حيث ذاتها موجبة للأخرى قطعا وليست إحدى الحيثيتين محققة عند السائل وإنما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل
ظهورها على تقدير إيجابها للمسرة فلم يتحقق فيها حيثية إيجابها للمساءة فلم يتعلق النهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لأن تلك الحيثية
هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية إيجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الإيجابين إذ قبل الشرطية الثانية ناطقة بأن السؤال عن تلك الأشياء
الموجبة للمساءة مستلزم لإبدائها البتة كما مر لا لتعلقها لأنه السؤال عن مسألة الحج حيث لم يفرض في كل عام فلا لو وقع السؤال بل ورد النهي
وما ذكر في الشرطية إنما هو السؤال الواقع بعد ورود النهي إذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا خلف فيه إن قيل ما ذكره إنما يتمشى فيما إذا كان

السؤال عن الامور المرددة بين الوقوع وعدمه كان من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد ينبغي لان ما
ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في سائل
ابن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعلق التخلف حتما فلا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما
هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه يحتمل
للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع ويختل الكلام لان النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء
التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان تكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فيبدى عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة
كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فيبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين
معا واما منشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وما
ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم فكل باحتمال الوجود والعدم وغاية هذا ان يقام لهم نهيا عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق
حذارا ابداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم
ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سأل هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح
بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها ثم اصبحوا بها اي بسببها او برجعها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم
في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا
اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت
من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما
ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم
واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك
عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى الى
واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء تارة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الآية
الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل
هذه الاحكام الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد
به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم
عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم الخ للذين عبر عنهم بالاكثر على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين
للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحلال من الحرام قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم
واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة
للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او
ايقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه
آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع
فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان
ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون
ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب
للانكار والتعجب اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة
المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وتقدير التحقيق
في قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون قد مر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع
على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء
اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره
ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستأنف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين
ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال

صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك وفي الصديق رضي الله عنه
قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا
رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الخ فيقول احدكم علي نفسي والله
لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه
وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما
كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا
اسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه
الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا
من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام
المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرفي النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل
شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى
اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت عليه علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل
في تهويل امر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية
من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين
او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ
شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال
الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية و
الفاعلية اي او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من
الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى
واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين
وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا وقوله تعالى ضربتم في الارض
اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الآخرين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف
على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة
كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران لا اقل والانسب ان يقدر غير ما سبق اي
فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما
نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع اذا ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلاة
وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام وانما اشهاد الآخرين
عند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك في
مقام الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما لا يخفى والمراد
بالصلاة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان
جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم استحلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد اي
صلاة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على
تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين
القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما
وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب
الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك
ولا ريب في استحالة ذلك هاهنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن
اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر
في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في

المستعار منه خسيسا من تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا ناخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا ناخذ لانفسنا عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر اولا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل اشياء مرغوبا فيه عند الحالف لحرمة اسم الله تعالى او وصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له فهنا يجب ان يصح البتة منه واما ما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق وضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل وقوله تعالى • ولو كان • اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام • ذا قربى • اي قريبا منا تاكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الى اخر قوله عز وجل • ولا نكتم شهادة الله • اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن • انا اذا لمن الاثمين • اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها • فان عثر • اي اطلع بعد التحليف • على انهما استحقا اثما • حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الاثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سياتي • فاخران • اي رجلان اخران وهو مبتدأ خبره • يقومان مقامهما • ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام الذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما • من الذين استحق • على البناء للفاعل على قراءة علي وابي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اي من اهل الميت الذين استحق • عليهم الاوليان • من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الاخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من اخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان • فيقسمان بالله • عطف على يقومان • لشهادتنا • المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها • احق • بالقبول • من شهادتهما • اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة وصيغة التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما • وما اعتدينا • عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما • انا اذا لمن الظالمين • استئناف مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه بوجه من الوجوه حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم

ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصاب اهله الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا لا ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا الاية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم وجد الاناء بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطالبوهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الاية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ • ذلك • كلام مستانف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله • ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها • اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى • او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم • بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الاخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على ياتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجبها ان لم ياتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتاتى ذلك في الشهود الذين لم يتعين لهم الشهادة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي الاخر لا محالة تحكم بحت فتامل • واتقوا الله • في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم • واسمعوا • ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول • والله لا يهدي القوم الفاسقين • الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم • يوم يجمع الله الرسل • نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما يصحح لاستتباع ذكر المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يشعر بان هناك ما يتقى من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله يوم الخ لا نصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او واذكروا يوم الى اخره فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيان لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الى اخره يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يحشرون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال • فيقول • لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بالجواب لا لامم اعرابا واضمارا والاسناد والخطاب لهم في قوله عز وجل • ماذا اجبتم • عبارة عن جنس الجواب ولعله تعالى قال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو منصوب بعد حذف الجار منه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة مظهر من توبيخ تلك الامم والتعرض لما ينبئ عنه تعبير ما اجابوا من الاباء كما قال عمر شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشا من سوق الكلام كانه قيل كان فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون • لا علم لنا • وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تعويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الخطوب والاوجال وغيرهما بالخروج من هول ذلك اليوم لكونه وفظاعته • انك انت علام الغيوب • تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار

للشكاة وورد للامر الهائل ودهش للعوام ضلهم من الخطوب وكابد وامن الكروب والتجاوا الى ربهم في الاستعاذة منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا من بعدنا وانما الحكم
للخاتمة ووجه ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مراد من ان بعضهم كانوا في ذمامهم على الحق ثم ماتوا واكثره وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم
يفزعون في اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب
على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم بقوله انك اي انك الموصوف بنعوتك المعروف بها • اذ قال الله يا عيسى ابن مريم • شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين
واحد من الرسل المجموعين من المقاولة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه عز وعلا وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شأنه
بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين
نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله
وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى • اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك •
متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد
شكرها ذاتها وعواجبها ولا يتصور تكليفه مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا
بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عليه النظم الكريم توبيخا وزجرا للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا • اذ ايدتك •
ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تأييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اي قويتك • بروح القدس • بجبريل عليه السلام
او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب للطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حياة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها
طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما
• تكلم الناس في المهد وكهلا • استئناف مبين لتأييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام حال الكهولة لبيان ان كلامه في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع
صادر عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لانه رفع قبل التكهل قال ابن عباس ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة
ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه • واذ علمتك الكتاب • عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بناصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب
• والحكمة • اي جنسيهما • والتوراة والانجيل • خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب • واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير • اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير • باذني • بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب
مع كون الخالق حقيقة هو الله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى • فتنفخ فيها • اي في الهيئة المصورة • فتكون • اي تلك الهيئة • طيرا باذني • فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه
للطير بل محض تيسير مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا التكوين من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان الكلام من التصوير
والنفخ امر عظيم لا يتسنى الا باذنه تعالى • وتبرئ الاكمه والابرص باذني • عطف على تخلق • واذ تخرج الموتى باذني • عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون
اخراج الموتى من قبورهم لاسيما بعدما صارت رميما معجزة باهرة • ونعمة جليلة • حقيقة بتذكيرها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني
في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصه بها واما ذكره في سورة آل عمران
مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم • واذ كففت بني اسرائيل عنك • عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك
• اذ جئتهم بالبينات • بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء فقط بل باعتبار
ما يعقبه من قوله تعالى • فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين • فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند
مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به وانما التذكير لان الاشارة الى المجاور او من نفس المسيح
من ضميره او من حيث هو سحر من حيث مسمى البينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا اشارة اليه عليه السلام • واذ اوحيت الى الحواريين • عطف على ما قبله من اخواته
الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما اشير اليه بالجمل التي اضيف اليها تلك الظروف لحكاية من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب
والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لما اعتبرت بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لحكاية
المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فان ظرفية موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين
فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل
ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احسانك الي اذ احسنت الى زيد تريد تنبيه المخاطب
على وقوع احسانك اليه وقت وقوع احسانه الي وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك
اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله
تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وغير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه
تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى • ان آمنوا بي وبرسولي • مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية

وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية
وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام
كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا • آمنا • اي بما ذكر من وحدانيته تعالى ورسالة رسوله كما يؤذن به قولهم
• واشهد باننا مسلمون • اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك
نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر
بذكر هاتيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد
فيموت اينما امسى بات • اذ قال الحواريون • كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع
عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب
لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى
واتقوا الله الآية فتأمل كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة
من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الى آخره وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه
على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم • يا عيسى ابن مريم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء • اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا
كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وقيل في صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان
والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال
عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة
لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب
وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة
وابن عباس ومعاذ رضي الله تعالى عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده
اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى
مفعولة كعيشة راضية • قال • استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى
عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك فقيل قال • اتقوا الله • اي من امثال هذا السؤال • ان كنتم مؤمنين •
اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى
والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
• قالوا • استئناف كما سبق • نريد ان نأكل منها • تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي ليس مرادنا
بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى
بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع • وتطمئن قلوبنا • بكمال قدرته تعالى
وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب زيادة
الطمأنينة وقوة اليقين • ونعلم • اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول
• ان قد صدقتنا • ان هي المخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان
الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل • ونكون عليها من الشاهدين • نشهد عليها عند الذين لم
يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت
موصولة كانه قيل على اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول
او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين • قال عيسى ابن مريم • لما
رأى عليه الصلاة والسلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها
واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه الصلاة والسلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه
وغض بصره ثم قال • اللهم ربنا • ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات

وصدره بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء • انزل علينا • تقديم الظرف على قوله تعالى • مائدة • لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى • من السماء • متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى • تكون لنا عيدا • في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ • لاولنا وآخرنا • بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة • وآية • عطف على عيدا ومنك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة • منك • دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي • وارزقنا • اي المائدة او الشكر عليها • وانت خير الرازقين • تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه الصلوة والسلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادة ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اتى النبي من عنده بما يؤكده ويقربه الى القبول • قال الله • استجابة كما سألت • اني منزلها عليكم • وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه الصلوة والسلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الى آخره بعد قوله تعالى لئن انجيتنا من هذه الى آخره مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه تعالى منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد • فمن يكفر بعد • اي بعد تنزيلها • منكم • متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر • فاني اعذبه • بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة • عذابا • اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل اسم مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى • لا اعذبه • في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذب به تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب • احدا من العالمين • اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة • ومشاهير الائمة • انها قد نزلت روي انه عليه الصلوة والسلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى •

فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو ما غلا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ • ذلك • كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله • ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها • اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى • او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم • بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بالشهادة على وجهها فيظهر كذبهم بنكول الورثة واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهدين مضطران الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي الآخر لا محالة مما لا يخفى فتأمل • واتقوا الله • في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم • واسمعوا • ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول • والله لا يهدي القوم الفاسقين • الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم • يوم يجمع الله الرسل • نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين الذين ايهما وقع كان فيه الصلاح بينهما الملابسة فان مدار البدلية ليس الملابسة الظرفية والمظروفية ونحوهما فقط بل مع تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اي شأن من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله يوم الخ وجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكر ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا على حذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جميع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجوابهم لا بامرهم باداء ما اداه الا العدول الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وما ذا في قوله عز وجل • ماذا اجبتم • عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول عما اسند اليهم ثم ان نعيا له ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والمقت عليهم ما لا يخفى • قالوا • استئناف مبني على سؤال

تنشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا تقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون • لا علم لنا • وصيغة الماضي للدلالة على التقرر
والتحقق كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف ونظائرهما وإنما يقولون ذلك تفويضا للأمر إلى علمه تعالى
وإحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الأهوال ومعاناة الهموم والأوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته • إنك
أنت علام الغيوب • تعليل لذلك أي فتعلم ما أجابوا وأظهروا لنا وما لم نعلمه مما أضمروه في قلوبهم وفيه إظهار للشكاة ورد
للأمر إلى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما أحدثوا
بعدنا وإنما الحكم للخاتمة ورد ذلك بأنهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم أمرهم وأنت خبير بأن مراد من ذهب إليه أن بعضهم كانوا في زمانهم
على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي أنهم يفزعون من أول الأمر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت
إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب
على النداء أو الاختصاص بالمدح على أن الكلام قد تم عند قوله أنت أي إنك أنت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك • إذ قال الله يا عيسى
ابن مريم • شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل إثر بيان ما جرى بينه
تعالى وبين الكل على وجه الإجمال ليكون ذلك كالأنموذج لتفاصيل أحوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا
من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما أن شأنه عليه السلام
متعلق بكلا الفريقين من أهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله أعظم عليهم وأجلب لحسرتهم وندامتهم
وأدخل في صدهم عن غيهم وعنادهم وإذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع
وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى • اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك •
متعلقة بنفس النعمة إن جعلت مصدرا أي اذكر إنعامي عليكما أو بمحذوف هو حال منها إن جعلت اسما أي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس
المراد بأمره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بموجبها ولات حين
تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر أو أنه أي خروج بل إظهار أمره عليه السلام تعدادا لتلك النعم حسبما بينه الله سبحانه
اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الأشهاد ليكون حكاية ذلك على ما أنبأ النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام
إفراطا وتفريطا وإبطالا لقولهما جميعا • إذ أيدتك • ظرف لنعمتي أي اذكر إنعامي عليكما وقت تأييدي لك أو حال منها أي اذكرها
كائنة وقت تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد أي قويتك • بروح القدس • بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة أو بالكلام الذي
يحيى به الدين وإضافته إلى القدس لأنه سبب الطهر عن أوضار الآثام أو يحيى به الموتى أو النفوس حياة أبدية وقيل الأرواح مختلفة
الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام
طاهرة مشرقة نورانية علوية وأيا ما كان فهو نعمة عليهما • تكلم الناس في المهد وكهلا • استئناف مبين لتأييده عليه السلام
وحال الكهولة لبيان أن كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي
والتدبير وبه استدل على أنه عليه السلام سينزل من السماء لما أنه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما أرسله الله
تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى إليه • وإذ علمتك الكتاب • عطف على قوله تعالى
إذ أيدتك منصوب بما نصبه أي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب • والحكمة • أي جنسهما • والتوراة والإنجيل •
خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة إظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب • وإذ تخلق من
الطين كهيئة الطير • أي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير • بإذني • بتسهيلي وتيسيري لا على أن يكون الخلق صادرا عنه
عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الأسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه
قوله تعالى • فتنفخ فيها • أي في الهيئة المصورة • فتكون • أي تلك الهيئة • طيرا بإذني • فإن إذنه تعالى لو لم يكن عبارة
عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما أسند إليه لكان هذا تكريرا من جهة الحياة وتكرير قوله
بإذني في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على أن كلا من التصوير والنفخ للطيران معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء إلا بإذنه
تعالى • وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني • عطف على تخلق • وإذ تخرج الموتى بإذني • عطف على إذ تخلق أعيد فيه إذ لكون
إخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما صارت رميما معجزة ظاهرة باهرة له ونعمة خصها به وأما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما أن
ذلك موضع الإخبار وهذا موضع تعداد النعم • وإذ كففت بني إسرائيل عنك • عطف على إذ تخرج أي منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء
عن التعرض لك • إذ جئتهم بالبينات • بالمعجزات الواضحة مما ذكر ومما لم يذكر كالإخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو
ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى • فقال الذين كفروا منهم إن هذا

إلا سحر مبين • فإن قولهم ذلك مما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج إلى الكف أي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك
إياهم بالبينات وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا إشارة إلى ما جاء به وتذكيره لأن المشار
إليه ما جاء به من نفس المسمى من حيث هو أو من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ إن هذا إلا ساحر مبين فهذا إشارة إلى عيسى
عليه السلام • وإذ أوحيت إلى الحواريين • عطف على ما قبله من أخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي أمر بذكرها وهي وإن كانت في
الحقيقة عين ما تعلقت به الجمل التي أضيفت إليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق
المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الإحسان أمر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية
المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة إذ من تعدد النسبة فإنه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين
فيه إحداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الأخرى فيراد إفادة وقوعها أيضا له فيضاف إلى الجملة المفيدة للنسبة الأولى
ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ أحسنت إلي تريد تنبيه
المخاطب على وقوع إحسانك إليه وقت وقوع إحسانه إليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك
اذكر إحساني إليك إذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها إحسانا إليه لا على إحسان آخر واقع حينئذ ومن هذا
القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم إلى غير ذلك من النظائر ومعنى
إيحائه تعالى إليهم أمره تعالى إياهم في الإنجيل على لسانه عليه السلام وقيل إلهامه تعالى إياهم كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى
وأن في قوله تعالى • أن آمنوا بي وبرسولي • مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول وقيل مصدرية وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة
للتنبيه على كيفية الإيمان به عليه السلام كأنه قيل آمنوا بي بوحدانيتي في الألوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه
عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حين أوحي إليهم
ذلك فقيل قالوا • آمنا • أي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم • واشهد بأننا مسلمون • أي مخلصون
في إيماننا من أسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وأمره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام
وكل ذلك نعمة على والدته أيضا وروي أنه عليه السلام لما علم أنه سيؤمر بذكر هاتيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر
ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات • إذ قال الحواريون • كلام مستأنف
مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الإظهار في موقع الإضمار وإذ منصوب بمضمر
خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن لا لأن الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فإنه ليس بخطاب وإنما هو حكاية
خطاب بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فإنه كأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن
الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم إلى آخره وقيل هو ظرف لقالوا
أريد به التنبيه على أن ادعاءهم الإيمان والإخلاص لم يكن عن تحقيق وإيقان ولا يساعده النظم الكريم • يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء • اختلف في أنهم هل كانوا مؤمنين أو لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى
على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الإيمان والإخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت
لا لإزاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه
الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك بمعنى هل يطيعك والسين زائدة واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب
بمعنى أجاب وقرئ هل تستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس
ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد
من تقدم إليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال أبو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية • قال • استئناف مبني
على سؤال ناشئ مما قبله كأنه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال • اتقوا الله • أي من أمثال هذا
السؤال • إن كنتم مؤمنين • أي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي أو إن صدقتم في ادعاء الإيمان والإسلام فإن ذلك مما يوجب
التقوى والاجتناب عن أمثال هذه الاقتراحات وقيل أمرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة • قالوا •
استئناف كما سبق • نريد أن نأكل منها • تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال أي ليس مرادنا بالسؤال إزاحة شبهتنا
في قدرته سبحانه على تنزيلها أو في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الإيمان والتقوى بل نريد أن نأكل منها أي أكل تبرك وقيل أكل حاجة وتمتع • وتطمئن •

قلوبنا * بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينة وقوة اليقين * ونعلم * اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول * ان قد صدقتنا * ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل * ونكون عليها من الشاهدين * نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء تشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم * لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطاطا راسه وغض بصره ثم قال * اللهم ربنا * ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء * انزل علينا * تقديم الظرف على قوله تعالى * مائدة * لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى * من السماء * متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى * تكون لنا عيدا * في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فتحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ * لاولنا وآخرنا * بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت في يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة * وآية * عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة * منك * دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي * وارزقنا * اي المائدة او الشكر عليها * وانت خير الرازقين * تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما اعتذر عنهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول * قال الله * استئنافا كما سبق * اني منزلها عليكم * ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجزه لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد * فمن يكفر بعد * اي بعد تنزيلها * منكم * متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر * فاني اعذبه * بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة * عذابا * اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقدير المذكور وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى * لا اعذبه * في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب * احدا من العالمين * اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو

ارينا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها بين السماء والارض عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ * واذ قال الله يا عيسى ابن مريم * معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع * أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين * الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام او من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى * من دون الله * متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق الاشراك به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ والتبكيت ويتسنى التقريع والتنكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال على ان اعتقاد زعمه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من توهم ان عبادة الله تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما جد به واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام * قال * استئناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا * سبحانك * سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقديره من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى * ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق * استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في خبرها من الباء فان اسمه ضمير العائد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى * ان كنت قلته فقد علمته * استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه

تعالى به انتفى صلكم ومنه حما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم • تعلم ما في نفسي • استئناف جار مجرى التعليل لما قبله
كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى • ولا اعلم ما في نفسك • بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم
ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات
التي من جملتها العلم بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى • انك انت علام الغيوب • تعليل لمضمون الجملتين منطوقا
ومفهوما وقوله عز وجل • ما قلت لهم الا ما امرتني به • استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول
المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل فيه انتفاء صدور القول
المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل حكم ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد
في الاستفهام وقوله تعالى • ان اعبدوا الله ربي وربكم • تفسير للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من
البدل ... طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل جر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني • وكنت عليهم شهيدا • رقيبا
... • ما دمت فيهم • ما مصدرية
ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ... • فلما توفيتني • بالرفع الى السماء
كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ...

[illegible]

... مراعاة للاصل واشارة الى التساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في حصول المربوبية وعلى تقدير اختصاصها
بغير العقلا تنبيه على كمال قصورهم • قدير • مبالغ في القدرة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر حسنات
ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات
• بعدد كل يهودي ونصراني
• يتنفس في الدنيا •

سورة الانعام مائة وخمس وستون آية مكية

• الحمد لله • تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة او لا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت
الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتضاء ... بالطريق
البرهاني ووصفه تعالى ثانيا ... في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قبله عز وجل • الذي
خلق السموات والارض • للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله تعالى به باعتبار افعاله العظام والآية الجسام ايضا وتخصيص
خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده
تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد ...
على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق ... من انواع البدائع واصناف الروائع ...
العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار ... السموات ... وحركاتها ...
وتقدمهما وجودا على الارض ... • وجعل الظلمات والنور • عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشأيهما ...
معه ... خلق السموات والارض وما فيهما ... موجب للاختصاص ...

[illegible]

ان كفرهم به تعالى لاسيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدم حمده عز وجل لتحققه مع اعتقاده اشتداد
بجعل اصول النعم عمدة في الكلام معقود الافادة واخراج اعظمها مخرج القيد المفروغ عنه مما لا يحتمله في الكلام السديد فكيف بالنظم
التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر
على شيء منه لكن لا على انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة عينه بكون الكل
صلة واحدة كانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة
عن موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال
الجود كانه قيل بيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا لبيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه
الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة
فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق اليه الكلام فتامل وكن على الحق المبين • هو الذي خلقكم من طين •
استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات
توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر ادلة صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي
عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ آدم الذي هو اصل البشر
وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه
عليه السلام منه في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه
من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه
السلام من الطين خلقا للكل منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون
ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابدا للمخاطبين
اولى بان يكون معيارا لانتهائهم فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الى آخره
وقوله تعالى ولقد خلقناك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم
من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض وايا ما كان ففيه وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر
على احياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة • ثم قضى • اي كتب لموت كل واحد منهم • اجلا • خاصا به اي حدا معينا
من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة • واجل مسمى •
اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن خير ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال
اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول • وتنويه للتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو
عنده مع ان الشائع المستفيض هو التاخير كما في قوله [illegible] فكانه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير
ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان
وتسميته اجلا انما هو باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل الاول
هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه مبدأ مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت
وما بين الموت والبعث هو البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى
لكل واحد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ
عدم تغير آخره والاول هو الاليق الاظهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة
الكبرى فان كون بعضه للحي ومشتبه من جزاء يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني خال من ذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل
ونقصه فيما روي تأخير الاجل الاول وتقديمه • ثم انتم تمترون • استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة
الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة
الحياة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة على سائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على
مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثاني

اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل واحد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رأيت من ان مساق النظم الكريم
استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور [illegible] اي لم يمترون ووصفهم به
بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على [illegible] كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى • وهو الله •
جملة مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد
واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى • في السموات وفي
الارض • متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود فيهما واما باعتبار انه اسم
اشتهر فيما اشتهر به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه
المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل حمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف
او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد في قوله اسد علي الى آخره ما اشتهر به من وصف الجراءة التي
اشتهر بها مسماه تجري مجرى جرى على وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض
او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي
اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام وحسبما بين انفا لاستمراره به الا يرى ان كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة
قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق
هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد
او القول تجري للكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى التوحد بالالهية او على تقدير القول ويجوز به على طريقة التمثيل
المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه
شيء فكذا يكون قوله عز وجل • يعلم سركم وجهركم • اي ما اسررتم [illegible] به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان
من الاقوال والافعال بيانا وتقريرا لمضمونه [illegible] علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما
تفيده الجملة السابقة لان مساق النظم الكريم لبيان حال المخاطبين [illegible] توجيه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية
الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب وعلى الاوجه
الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص
~~بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب~~
في انهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من كمال العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى
يكون هذا بيانا له وبهذا تبين انه ليس بيانا على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهوم العلم الكامل ليكون هذا بيانا
له بل هو معتبر فيما يصدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا
هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في
الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان
لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى • ويعلم ما تكسبون • اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضرر
من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار
كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم • كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم
بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعدما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية
امتراءهم بالبعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم
ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترءوا
عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك
الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال
الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها • الا كانوا عنها معرضين • [illegible]

اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فانها وان ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا معرضين عنها تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثاره على ان يقال لا يعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المختص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما واياما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل • فقد كذبوا بالحق لما جاءهم • فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب حسب التغاير الاعتباري وقد حقق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيبا للازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به آثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عنها تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كما قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبئ عنه قوله تعالى • فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون • فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزئون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات القرآنية وهو الاظهر واما اذا اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والامر على حقيقته كأنه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات كلما كذبوا بالقرآن مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله الذي هو اعظم الآيات • ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن • استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيأتيهم وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي ألم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه مثل قوم نوح وعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى • مكناهم في الارض • استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى المخصص فاولاها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيتها وانت خبير بان توسيطه لتخصيص معنى السعة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه مفروض الشيوع يؤدي الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجري كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى • ما لم نمكن لكم • بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كأنه قيل في الاول مكنا لهم او في الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال من مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين • وارسلنا السماء • اي المطر او السحاب او المظلة لانها مبدأ المطر • عليهم • متعلق بارسلنا • مدرارا • اي مغزارا حال من السماء • وجعلنا الانهار • اي صيرناها

ولا تعجب فقد فعلوا ما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا ساغ لحمل الآيات في الآيات على الوجه ... املاء واما ما قيل من ان ... المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات

فقوله تعالى • تجري من تحتهم • مفعول ثان لجعلنا او انشاء لانها حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هذه النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا • فاهلكناهم بذنوبهم • اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه • وانشأنا من بعدهم • اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن • قرنا آخرين • بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى • ولو نزلنا عليك • جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك رسوله • كتابا • ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى • في قرطاس • متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه • فلمسوه • اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى • بايديهم • مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار • لقال الذين كفروا • اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا • ان هذا • اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب • الا سحر مبين • اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج ودين المكابر اللجوج • وقالوا لولا انزل عليه ملك • شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا بعدما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدورها عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي امتناع جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى • ولو انزلنا ملكا لقضي الامر • اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية ألا يرى ان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول للجزاء للفاعل الذي هو العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى • ثم لا ينظرون • اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان يؤخروا للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامرين عدم الانظار فان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب هلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني اشير بقوله تعالى • ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا • على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل الملك المذكور مثله بان يعكس ترتيب المفعولين فيقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم

مع نعم المراد منه الفناء

لا موسعة حيث كانت امتناعية اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار ز
الاستلزام على الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك اعانة لكمال التباين بينهما الموجب لانتفاء
الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحتموه ملكا لمثلناه لكن الملك رجلا لما
مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة
وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى • وللبسنا عليهم • عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في
المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد
للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا • ما يلبسون • على انفسهم ح بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته
بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية
لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته
بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوز
ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة • ولقد استهزئ برسل من قبلك •
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بتمام الامر ما لا يخفى
وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي
عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • فحاق • عقيبه • اي احاط او نزل او حل
او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله
تعالى • بالذين سخروا منهم • اي استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى
• ما كانوا به يستهزؤن • للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن
به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل • قل سيروا
في الارض • بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ينذر قومه ويذكرهم باحوالهم الفظيعة
تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين ولقد انجز ذلك يوم
بدر اي انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم • ثم انظروا • اي تفكروا • كيف كان عاقبة المكذبين •
وكلمة ثم اما لان النظر في الآثار لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب
وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية واما لان الامر الاول
لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة
لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها
وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن
الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك • قل • لهم بطريق الالجاء والتبكيت • لمن ما في السموات والارض • من
العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى • قل لله • تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث
لا يتاتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى • كتب على نفسه الرحمة •
جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بهم
لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة
الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل
وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات
بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين
ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل
هو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي
سبقت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابه
الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا

اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد
به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى • ليجمعنكم الى يوم القيامة • جواب قسم محذوف والجملة
استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم
على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيامة
كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيامة • لا ريب فيه • اي في اليوم او في الجمع
وقوله تعالى • الذين خسروا انفسهم • اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب
الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم
اي اعني الذين الخ او هم الذين الخ او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى • فهم لا يؤمنون • والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار
بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على
الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر • وله • اي لله عز وجل خاصة • ما سكن في الليل والنهار •
نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بفي كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والسكون
مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفي باحد الضدين عن الآخر • وهو السميع • المبالغ في سماع كل مسموع • العليم • المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى
شيء من الاقوال والافعال • قل • لهم بعدما بكتهم بما سبق من الخطاب • اغير الله اتخذ وليا • اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلط
الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تامروني
اعبد الخ • فاطر السموات والارض • اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست
باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح
وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها • وهو يطعم ولا يطعم • اي يرزق الخلق ولا يرزق
وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه
سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى اتشرك من هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة
الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على انه بمعنى يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط • قل • بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا
مما يقضي ببطلانه بديهة العقول • اني امرت • من جنابه عز وجل • ان اكون اول من اسلم • وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك
امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين • ولا تكونن • اي وقيل لي لا تكونن • من المشركين • اي في امر من امور الدين ومعناه
امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك ويجوز عطفه على امر • قل اني اخاف ان عصيت ربي • اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر من اتخاذ غيره وليا
وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى • عذاب يوم عظيم • اي عذاب يوم القيامة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما
والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم • من يصرف عنه • على البناء للمفعول اي العذاب
وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى • يومئذ • ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم
ويجوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل على حذف المضاف اي عذاب يومئذ • فقد رحمه • اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة
كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن [illegible]
• وذلك • اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مآلة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته من الفضل وهو مبتدأ
خبره وقوله تعالى • الفوز المبين • اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية واللام للقصر على ذلك • وان يمسسك الله بضر • اي ببلية
كمرض وفقر ونحو ذلك • فلا كاشف له الا هو • اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده • وان يمسسك بخير • من صحة ونعمة ونحو ذلك • فهو على
كل شيء قدير • ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وتحليل
تاكيد الجوابين بالباء والفاء للتذكرة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر
ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله
في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه
الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع
فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا • وهو القاهر فوق عباده • تصوير لقهره
وعلوه بالغلبة والقدرة • وهو الحكيم • في كل ما يفعله ويامر به • الخبير • باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر • قل
اي شيء اكبر شهادة • روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس عندهم ذكر ولا صفة

قارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاى شىء اكبر شهادة نصب على التمييز وقوله تعالى • قل الله • امره صلى الله عليه وسلم بان يتولى
الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على الجحود بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد منهم فى انه اكبر من كل شىء كونه شهيدا فى هذا
الشان وقوله تعالى • شهيد • خبر مبتدا محذوف اى هو شهيد • بينى وبينكم • ويجوز ان يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد
بينه وبينهم كان اكبر شىء شهادة له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة • واوحى الى • اى من جهته تعالى • هذا القران • الشاهد بصحة
رسالتى • لانذركم به • بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة • ومن بلغ • عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم
به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيامة وهو دليل على ان
احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيامة خلا ان ذلك بطريق العبارة فى الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا
فى غير الموجودين وفى غير المكلفين يومئذ كما مر فى اول سورة النساء • اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى • تقرير لهم مع انكار واستبعاد
• قل لا اشهد • بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف • قل • تكرير الامر للتاكيد • انما هو اله واحد • اى بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا
هو • واننى برىء مما تشركون • من الاصنام او من اشراككم • الذين اتيناهم الكتاب • جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود
والنصارى اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى
وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى • يعرفونه • اى يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما • كما يعرفون ابناءهم • بحلاهم بحيث لا يشكون فى ذلك اصلا روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة
فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى • الذين
خسروا انفسهم • من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية • فهم لا يؤمنون •
لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لتشبيه الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتدا محذوف
اى هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم وقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين اتيناهم الكتاب
الخ • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا • بان وصف النبى الموعود فى الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله
وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار
المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل
من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر فى ذلك ان النسبة
بين الشيئين انما يتصور غالبا لا سيما فى باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة • او كذب باياته •
كان كذبوا بالقران الذى من جملته الاية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعته
عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم فكيف وهم قد
جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون • انه • الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية
عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم
له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو • لا يفلح الظالمون • اى لا ينجون من
مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم • ويوم نحشرهم جميعا • منصوب على الظرفية
بمضمر موخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا • ثم نقول • لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتغيير صيغة الماضى
للدلالة على التحقق وحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم
الخ وقيل ليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما • للذين اشركوا • اى نقول للمشركين
خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد • اين شركاؤكم • اى الهتكم التى جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم
الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى • الذين كنتم تزعمون • اى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها
لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينهما وبينهم من التبرى من الجانبين
وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما حكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الايات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ فى الحقيقة
بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها فى الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها
بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الموصول ولا ريب فى ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهى من حيث هى شركاء غائبة

لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم فى وقت التوبيخ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا
بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها
قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم منها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب فى البرزخ وانما يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلى
واليقين القوى المترتب على المحاضرة والمحاورة • ثم لم تكن فتنتهم • بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر • الا ان قالوا • وقرئ بنصب
فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما فى قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها والفتنة بحسب [illegible]
والجملة عطف على ما انعقد عاملا فى يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن
عاقبة كفرهم الذى لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ عنه بان يحلفوا • والله ربنا ما كنا مشركين • واما جوابهم
عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة فى التبرؤ من الاشراك وقرئ ربنا على النداء ولاظهار الضراعة والاجتهاد فى الاستدعاء
بنزول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا
فى الدنيا انا على خطا فى معتقدنا مما لا ينبغى ان يرتاب اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار فى الجملة وذلك محال بكمال الحرمان
قطعا فانه قد قضى ببطلانه قوله تعالى • انظر كيف كذبوا على انفسهم • فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم فى الدنيا اى انظر كيف
كذبوا على انفسهم فى قولهم ذلك فانه امر عجيب فى الغاية واما حمله على كذبهم فى الدنيا فيمحل عنه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى • وضل عنهم ما كانوا يفترون •
عطف على كذبوا داخل معه فى حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور
ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اى زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا منه بالمرة وقيل ما عبارة
عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه فى الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة فى امرها كانها نفس المفترى
وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل فى حيز التعجيب • ومنهم من يستمع اليك • كلام مبتدا مسوق لحكاية ما صدر فى الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر
اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او بتقدير
الموصوف كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك اى وجمع منا الخ ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذى يستمع
اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما فى حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر فى تفسير قوله تعالى ومن الناس
من يقول الخ روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر
وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون
الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل كلا • وجعلنا على قلوبهم اكنة • من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى
من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعى جانب المعنى فى قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع
كنان وهو ما يستر الشىء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنته من الحكم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يشترطها قبل
الماضى الواقع حالا اى يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس • ان يفقهوه • اى كراهة ان يفقهوا
ما يستمعونه من القران المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام بينه كما فى قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن
كمال جهلهم بشؤون النبى صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم مع استماعهم له وقد مر تحقيقه فى اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما
قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه فى حق القران والنبى صلى الله عليه وسلم جهلا
وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القران سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه فى حق النبى صلى الله عليه
وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك • وان يروا كل اية • من الايات القرانية
اى يشاهدوها بسماعها • لا يؤمنوا بها • على عموم النفى لا على نفى العموم اى كفروا بكل واحد منها [illegible] كما سلف من حالهم • حتى اذا جاؤك
يجادلونك • هى حتى التى تقع بعدها الجمل والجملة هى قوله تعالى اذا جاؤك • يقول الذين كفروا • وما بينهما حال من فاعل جاؤك وانما وضع الموصول موضع
الضمير ذما لهم بما فى حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اى بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من
الايات الكريمة بل يقولون • ان هذا • اى ما هذا • الا اساطير الاولين • فان من احسن الحديث لحديثه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل
الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان تكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا
تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط • وهم ينهون عنه • الضمير المرفوع
للمذكورين والمجرور للقران اى لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به
• وينأون عنه • اى يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهى عن المنهى عنه من متممات النهى ولعل
ذلك هو السر فى تاخير النأى عن النهى وقيل الضمير المجرور للنبى عليه الصلوة والسلام وقيل المرفوع لابى طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان

ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال
والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد
صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت • وان يهلكون •
اي يهلكون بما يفعلون من النهي والنأي • الا انفسهم • بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا واجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى • وما
يشعرون • حال من ضمير يهلكون اي يقتصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك
شيا من القران والرسول عليه السلام والمومنين والتعبير عنه بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم مطلق الضرر لا غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من الصنيع
في القران الكريم المبالغة في شتى احكامه لظهور امر الدين للايذان بان ما يحيق بهم هو الاهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق المبالغة فيما ذكر بل
كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين وجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي ويقصر على انفسهم مع شموله
للمومنين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم • ولو ترى اذ وقفوا على النار • شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول
المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا
الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة بل كل من يتاتى منه الرؤية
يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي ولو تراهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا • فقالوا يا ليتنا نرد • اي الى الدنيا تمنيا
للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص • ولا نكذب بايات ربنا • اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الامرة باتقائها اذ هي التي تخطر ببالهم
ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا • ونكون من المومنين • بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف
الهائل او نكون من فريق المومنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء
ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن اسحاق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المومنين وقيل بعيدها من ان المصدرية ورفع الفعل
بعدها مصدرا وبعد رفعه مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المومنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستانف
كقوله دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضمير فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب
وتعليق التكذيب لان يد لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني ارزق مالا فاكافيك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق
مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجهها • بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل • اضراب عما ينبئ عنه
التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر
لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفون في الدنيا من الدواهي المعقبة وظنوا انهم مواقعوها فلم يملكوا انفسهم ولم يطيقوا حملها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ
هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وبها خفاؤها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة والمراد
على اخفاء التكذيب المراد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونها اشد
مما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا المراعات ما في مقابلته من البدو وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون
كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف القيامة بقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساؤهم الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل
الكتابين من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة من قولهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المومنين والضمير
المجرور للمومنين والمرفوع للمنافقين فمع عدم الاختصاص ان كلا منها من الاعتساف والاخلال لا سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل
امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه
تمنيهم المذكور لعاقبته سببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وسبك في غير ذلك ادهى الدواهي وامر الزواجر
واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي لا تعلق لها بالحال والرجوع عند مجرى ان ذكرها ثم الموجب ترتيبه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد
جزاء ما كانوا يخفون فمع كونه تعسفا في التعبير لا يخلو من مسخ الحال وتغيير الرونق • ولو ردوا • اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه
من الاهوال • لعادوا لما نهوا عنه • من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ولنسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب
• وانهم لكاذبون • اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون • وقالوا • عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم
لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى
الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا • ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين • بعد ما فارقناها بالموت كانه لم يروا ما راوا من الاحوال

التي اولها البعث والنشور • ولو ترى اذ وقفوا على ربهم • الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف
العبد الجاني بين يدي سيده للعتاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى • قال • استئناف مبني على سؤال نشا من الكلام
السابق كانه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال • اليس هذا • سؤالا عما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام • بالحق •
تعريضا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به وما هو الا باطل • قالوا • استئناف كما سبق • بلى وربنا • اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا
لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه • قال • استئناف كما مر • فذوقوا العذاب • الذي عاينتموه
والفاء للترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته
الان كما نطق به قوله عز وجل • بما كنتم تكفرون • اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ
والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب • قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله • هم
الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بلقاء الساعة وما يترتب
عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى • حتى • غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له • اذا جاءتهم الساعة • بغتة • البغتة
والبغتة مفاجاة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجأة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي
مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير المصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف
وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة • قالوا • جواب اذا • يا حسرتنا • تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر
وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل
مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته • على ما فرطنا فيها • اي على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها
بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط
التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه
للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى • وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم • حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر
من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه
من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ بالله برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل
سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان
المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات • الا ساء ما يزرون •
تذييل مقرر لما قبله وتحقيق له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم • وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو • لما حقق فيما سبق ان وراء الحياة الدنيا حياة اخرى
يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تلك الحياة في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد
الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحياة الدنيا حياة اخرى يلهون فيها نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال
وادبار اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل لكسب تلك الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم عما يعقب
من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح
• وللدار الاخرة • التي هي محل الحياة الاخرى • خير للذين يتقون • الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة
بالالام مستمرة على الدوام • افلا تعقلون • ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون
او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة • قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون • استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه
راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم
عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين واخراجهما الى معنى التكثير حسبما اخرج اليه ربما في مثل قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به
بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول للبعض قولا الحساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعندي مقانب
جمة ويلا بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات المحكية المذكورة
او ادعاء كما في البيت وقوله فقد ترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وما متعلقه الا شيء واحد
سادّ مسد مفعوليه ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا
اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى • فانهم لا يكذبونك • تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي

من لاشفقا لما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعدم مبالاة بل لما رأى منه مما هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه
بمعزل من التسلية بالكلية بما يؤذن بكون حزنه صلى الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر رتبة
المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت لاياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا
بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام في شانه عز وجل ثم فيه استعظام لجنايتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به وكِلْه الى الله تعالى فانهم
في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة • ولكن الظالمين بايات الله يجحدون • اى ولكنهم بايات الله تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا
عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى
وايراد الجحود لما ورد التكذيب للايذان بان اياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو
عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته او اثبات ما في
القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون بناء على تضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم
الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وتعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا
الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى
الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله
كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق
الخبر عند الجاحظ مطابقته مع اعتقاده ولا رأيهم الذي يعتمد عليه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد
ككثر وكثّر واول واوّل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اى نسبت الكذب اليه واكذبته
اى نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى • ولقد كذبت رسل من قبلك • استئناف مسوق لتسليته عليه السلام فان عموم البلية ربما يهون امرها
بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة
ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت او
بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولوا شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك
• فصبروا على ما كذبوا • ما مصدرية وقوله تعالى • واوذوا • عطف على كذبوا داخل في حكمه فان كلاهما مصدران من المبني للمفعول اى فصبروا
على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما ينالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الاذية والتصريح به
باستلزام التكذيب اياه غالبا واياما كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى • حتى اتاهم
نصرنا • غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا محالة وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة
لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى • ولا مبدل لكلمات الله • اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد
السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار
بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام
ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا
والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف
في قول من الاقوال وقوله تعالى • ولقد جاءك من نبإ المرسلين • جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار
مضمونه اى بعض نبإ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من نبإ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية واياما كان
فالمراد بنبائهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما نطق
به قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الاية وقيل في محل النصب على
الحالية من المستكن في جاءك العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اى ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبإ المرسلين • وان كان كبر عليك اعراضهم •
كلام مستأنف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اى ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان
بما جئت به من القران الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحرث بن عامر

: تعالى ما نفسه قوله م
: وهو كون الجملة مستأنفة ...

بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبيا تفعل وانا نصدقك فابى الله
ان ياتيهم باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبيا تفعل
فكبر ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه اية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى
اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان
مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى التقدير بقد وقيل اسمها اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر مقدم على اسمها لانه
فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل • فان استطعت • الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول
والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوه اقتراحا فان
استطعت • ان تبتغي نفقا • اى سربا ومنفذا • في الارض • تنفذ فيه الى جوفها • او سلما • اى مصعدا • في السما • تعرج به فيها • فتاتيهم •
منهما • باية • مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين اية للتفخيم اى فان
استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك اية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا
في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اى تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السما وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه
السلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السما لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى والمراد بيان ان لا
وعوة للايمان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف بالقادة • ولو شاء الله لجمعهم على الهدى • اى لو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه
من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشا لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية
اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه من الحكمة وقوله تعالى
• فلا تكونن من الجاهلين • نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا
في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشا هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد
على اسلامهم او الميل الى اتيان ما يقترحونه من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما
اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه من الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني
المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف
الجامع بينه عليه السلام وبينهم • انما يستجيب الذين يسمعون • تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي اذانهم وقرا حاجزا من
السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اى انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين
يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى • والموتى يبعثهم الله • تمثيل لاختصاصه
تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم
بموتهم اى وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم • ثم اليه يرجعون • للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون
على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهورة اوفق لقوله والاسناد من كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار • وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه •
حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القران الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحرث بن عامر بن نوفل واصحابه
ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوه من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الايات
وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما الاية والتنزيل
بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتي وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق
التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الاية في قوله تعالى • قل ان الله قادر على ان ينزل اية • مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية ما من الايات
لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية موجبة لهلاكهم كانزال الملائكة او العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم
الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار
للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى • ولكن
اكثرهم لا يعلمون • اى ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى
انه تعالى قادر على ان ينزل اية من ذلك او اية اية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها
قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم
العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى • وما من دابة في الارض • الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة

: لكان
: اى ان تبتغى نفقا

وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار
الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى • ولا طائر يطير بجناحيه • مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو
بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كأنه قيل وما دابة ولا طائر • الا امم • اي طوائف متخالفة والجمع
باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها
مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية • ما فرطنا في الكتاب من شيء • يقال فرط الشيء
اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله
فقوله تعالى في الكتاب اي القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القرآن شيئا
من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي
ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل
الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف
وقوله تعالى • ثم الى ربهم يحشرون • بيان لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء
لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من
عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها ويأباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى • والذين كذبوا بآياتنا •
متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء
خبره ما بعده اي اوردنا في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا بآياتنا التي من جملته • صم • لا يسمعونها
سمع تدبر ولذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها • وبكم • لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك
لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى • في الظلمات • اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدأ على انه
عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة
لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه
بعبارته وكذا يفهم غيره ما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى وكان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم
والتفهيم بالكلية وقوله تعالى • من يشأ الله يضلله • تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا
فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة
في تعلقها به اي من يشأ الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل
عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وهكذا قوله تعالى • ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم • لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه
• قل أرأيتكم • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني • ان اتاكم عذاب الله •
حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي • او اتتكم الساعة • التي لا محيص عنها البتة • أغير الله تدعون • هذا مناط الاستخبار
ومحط التبكيت وقوله تعالى • ان كنتم صادقين • متعلق بأرأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور
عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة كما هي دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني أغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله
الخ فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى أغير الله تدعون اعني فادعوه على ان
الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى
• بل اياه تدعون • عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون
وقوله تعالى • فيكشف ما تدعون اليه • اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى • ان شاء • اي ان شاء كشفه لبيان ان
قبوله دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب
الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى • وتنسون ما تشركون •
اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف
والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى • ولقد ارسلنا • كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الضلال لا يتأثرون
بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصدير الجملة بالقسم لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونها ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم
لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة • من قبلك • اي كائنة من زمان قبل زمانك • فاخذناهم • اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم • بالبأساء • اي بالشدة

والفقر • والضراء • اي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما • لعلهم يتضرعون • اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل
ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم • فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا • اي فلم يتضرعوا مع تحقق ما يستدعيه • ولكن قست قلوبهم • استدراك عما قبله
اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من
القساوة او ازدادت قساوة كقوله لم يكرم اذ حييته ولكن اهانني • وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون • من الكفر والمعاصي
فلم يخطر ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم
والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى • فلما نسوا ما ذكروا به • عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا
به من البأساء والضراء فلما نسوه • فتحنا عليهم ابواب كل شيء • من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب
الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة عزيز عن النفع وحتى في قوله تعالى • حتى اذا
فرحوا بما اوتوا • هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى
فتحنا او لما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا • اخذناهم بغتة • اي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون
اشد عليهم وافظع هولا • فاذا هم مبلسون • متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك
الحالة الفظيعة • فقطع دابر القوم الذين ظلموا • اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير
للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات • والحمد لله رب العالمين •
على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة
مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام • قل أرأيتم • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم
وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر
استخبارا عن نفس الرؤية • ان اخذ الله سمعكم وابصاركم • بان اصمكم واعماكم بالكلية • وختم على قلوبكم • بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه
عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرد
من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية
وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى • من اله • مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى • غير الله • صفة للخبر وقوله تعالى • يأتيكم
به • اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي
اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى • انظر كيف نصرف الآيات • تعجيب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات
العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير • ثم هم يصدفون • عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة
في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها • قل أرأيتكم • تبكيت آخر
لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم • ان اتاكم عذاب الله • اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم • بغتة • اي فجاءة
من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى • او جهرة • اي بعدما ظهر اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا كما في قوله
تعالى بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة وتقديم
البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى • هل يهلك • متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان
اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه • الا القوم الظالمون •
تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم
دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار محذوف كأنه قيل
اخبروني ان اتاكم عذاب الله تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب
الخاص بكم الا انتم لمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل
الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي • وما نرسل المرسلين •
كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليهم عليهم
السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى • الا مبشرين ومنذرين •
حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم وفيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة
وينذروهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخير العاجل دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر

ما يكون بيان الشرائع والأحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى «فمن آمن وأصلح» لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله
تعالى «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» لسببية الموصول بالشرط أي لا خوف عليهم من العذاب الذي أنذروه دنيويا كان أو أخرويا ولا هم يحزنون بفوات
ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتعليق نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة إلى من باعتبار معناها
كما أن إفراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام ألا ترى أن الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فإذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء
ولا بعد في ذلك فإن قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل «والذين كذبوا» عطف على من آمن
داخل في حكمه وقوله تعالى «بآياتنا» إشارة إلى أن ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والإنذار ويبلغونه إلى الأمم آياته تعالى وأن
من آمن به فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الإيمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل
المرسلين إلا مخبرين أممهم من جهتنا بما سيقع منا من الأمور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا أو بتكليفنا لهم أو استدعاء من قبلنا حتى
يقترحوا عليهم ما يقترحون فإذا كان الأمر كذلك فمن آمن بما أخبروا به من قبلنا تبشيرا أو إنذارا في ضمن آياتنا وأصلح ما يجب إصلاحه من أعماله أو دخل
في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي يبلغونها عند التبشير والإنذار «يمسهم العذاب» أي العذاب الذي أنذروه
عاجلا أو آجلا أو حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما أوليا «بما كانوا يفسقون» أي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الإصرار على الخروج من التصديق
والطاعة «قل لا أقول لكم عندي خزائن الله» استئناف مبني على ما أسس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل وإنزال الكتب مسوق
لإظهار تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم المتعلقة للكفرة الذين يقترحون عليه تارة تنزيل الآيات وأخرى غير ذلك أي لا أدعي أن خزائن
مقدوراته تعالى مفوضة إلي أتصرف فيها كيفما أشاء استقلالا أو استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات أو إنزال العذاب أو قلب الجبال ذهبا
أو غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرؤا عن دعوى الإلهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى «ولا أعلم الغيب» عطف على محل عندي خزائن
الله أي ولا أدعي أيضا أني أعلم الغيب من أفعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب ونحوهما «ولا أقول لكم إني ملك»
حتى تكلفوني من الأفاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه أو تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في أمري
كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق والمعنى أني لا أدعي شيئا من هذه الأشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها
وأحكامها وتجعلوا عدم إجابتي إلى ذلك دليلا على عدم صحة ما أدعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل إنما هي عبارة عن تلقي
الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب كما ينبئ عنه قوله تعالى «إن أتبع إلا ما يوحى إلي» لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى
إليه دون غيره بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى ما يتعلق بالفعل باعتبار
النفي في الأصل والإثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغايره
من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معا في خصوصيته فإن ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والإثبات فيما
يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال الخاصة ينحل عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى خاص يقوم به فإن معنى
فعل الضرب يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي إلى الأصل والإثبات
إلى القيد كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي من غير أن يكون لي مدخل ما في الوحي أو في الموحى بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلا
«قل هل يستوي الأعمى والبصير» مثل للضال والمهتدي على الإطلاق والاستفهام إنكاري والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق
ومن يعلمها وفيه من الإشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الأمر لتثنية التبكيت وتأكيد
الإلزام وقوله تعالى «أفلا تتفكرون» تقريع وتوبيخ داخل تحت الأمر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا تسمعون هذا الكلام
الحق فلا تتفكرون فيه أو أتسمعون فلا تتفكرون فمناط التوبيخ في الأول عدم الأمرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه «وأنذر به
الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم» بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون
بمشاهدة المعجزات القاهرة لكونهم قد أبطلوا مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالأموات وفرع على ذلك بأن كرر عليهم من فنون التبكيت والإلزام ما يلقمهم
الحجر أي المقام فأبوا إلا الإباء والنكير ولا نجع فيهم عظة ولا تذكير وما أفادهم الإنذار إلا الإصرار على الإنكار أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين بأصله كأهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين
بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الأولين أو في شفاعة الأصنام كالآخرين أو مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا
بحديث البعث يخافون أن يكون حقا وأما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون
عمن أمر بإنذارهم وقد قيل هم المفرطون في الأعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما

لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فإذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار محمد

ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى أو لما دل عليه من القرآن والمفعول الثاني للإنذار إما العذاب الأخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة وإما مطلق
العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى
«ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع» في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لأنه في الأصل صفة له فلما قدم
عليه انتصب حالا إلا أن الحال الأولى لإخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان
ضرورة أن المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار وأما الحال الثانية فليست
لإخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك إنما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس
بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء والمعنى أنذر به الذين يخافون أن يحشروا غير منصورين من جهة أنصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح أن
لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وإنما الذي يخافونه الحشر بدون
نصرته عز وجل وقوله تعالى «لعلهم يتقون» تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي أو حال من ضمير الأمر أي أنذرهم راجيا تقواهم
أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» لما أمر عليه السلام بإنذار المذكورين لينتظموا
في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روي أن رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت
عنا هؤلاء الأعبد وأرواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد
المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت قال عليه السلام نعم طمعا في إيمانهم وروي أن عمر رضي الله تعالى عنه
قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون وقيل إن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد
عمرو بن نوفل وأشراف بني عبد مناف من أهل الكفر أتوا أبا طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا
وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه فأتى أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه
لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة
بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم
حوله عليه السلام حقروهم فأتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم فجالسناك وحادثناك
وأخذنا عنك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود
العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا
كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا
فأتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين
الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى «يريدون وجهه» حال من ضمير يدعون أي يدعونه تعالى مخلصين له فيه
وتقييده به لتأكيد عليته للنهي فإن الإخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله تعالى «ما عليك من حسابهم من شيء» اعتراض وسط
بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك
إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي ما عليك شيء ما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام
وإنما وظيفتك حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها على العليم بذات الصدور
كقوله تعالى إن حسابهم إلا على ربي وذكر قوله تعالى «وما من حسابك عليهم من شيء» مع أن الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في انتفاء كون حسابهم
عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون وأما ما قيل من أن ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى
فغير حقيق بجلالة شأن التنزيل وتقديم عليك في الجملة الأولى للقصد إلى إيراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام إذ هو الداعي إلى تصديه
عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى أنك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويدعوك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين «فتطردهم»
جواب النفي وقوله تعالى «فتكون من الظالمين» جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك «وكذلك فتنا
بعضهم ببعض» استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك إشارة إلى المصدر الذي بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى
لفقراء المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان مع ما هم عليه من أمر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار
إليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف

والتعذير فتنا بعضهم ببعض لتولنا كانما مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف
مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اى ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا
الاخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى • ليقولوا • للعاقبة اى ليقول البعض الاولون
مشيرين الى الاخرين في امر الدين على الاولين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة
• اهولاء من الله عليهم من بيننا • بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤسا وهم العبيد والفقرا
وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعترا(ض)
عليه تعالى وقوله تعالى • اليس الله باعلم بالشاكرين • رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام
معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اى اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه
عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفا عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل القران والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك
مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى • واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا • هم الذين نهى عن طردهم ووصفوا بالايمان
بايات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتاخير هذا الوصف مع تقدمه
على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة
وقوله تعالى • فقل سلام عليكم • امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مخالفيهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبداهم
بالسلام وقوله تعالى • كتب ربكم على نفسه الرحمة • اى قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط
شيء اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وجعله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم قيل ان قوما جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا
ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى • انه من عمل منكم سوءا • بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق
الاستيناف وقوله تعالى • بجهالة • حال من فاعل عمل اى عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد بمالك للايذان بان المؤمن
لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة • ثم تاب من بعده • اى من بعد عمله او من بعد سفهه • واصلح • اى ما افسده
تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا • فانه غفور رحيم • اى فامره انه غفور رحيم اى فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه
استيناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية • وكذلك نفصل الايات • قد مر ان ما فيه من الكلام
اى هذا التفصيل البديع نفصل الايات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين • ولتستبين سبيل المجرمين • بالتاء الفوقانية
الفعل منا على ان السبيل للفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكير ان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد
تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر وعلة الفعل معه او هو عبارة عن المذكور فيكون مستانفا
اى ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد والتاء للخطاب اى ولتستوضح انت يا محمد سبيل
المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم • قل انى نهيت • امر له صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم
من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اى قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين
هوى محضا وضلالا بحتا اى صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد • ان اعبد الذين تدعون • اى من عبادة
ما تعبدونه • من دون الله • كائنا ما كان • قل • كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المامور به او ايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول
حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل • لا اتبع اهواءكم •
استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء
وقوله تعالى • قد ضللت اذا • استيناف مؤكد لانتهائه عما نهى عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله
تعالى • وما انا من المهتدين • عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اى دوام النفي واستمراره
لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اى وما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى • قل انى على بينة • تحقيق للحق الذي عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل
بين الحق والباطل والمراد بها القران والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى • من ربي •
متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى • وكذبتم به • اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها
لاستقباح مضمونها واستبعاده وتوبيخهم به تحقيق ما يقتضي عليه برهانا به وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد

والمعنى

والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى • ما عندي ما تستعجلون
به • استيناف مبين لخطابهم في شان ما جعلوه منشا لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القران وتجعلون تاخره
ذريعة الى تكذيبهم في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اى ليس امره بمفوض الي • ان الحكم • اى ما الحكم في ذلك تعجيلا وتاخيرا او الحكم
في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا • الا لله • وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى • يقص الحق •
اى يتبعه بيان لشئونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اى لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التاخير
وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اى يقضي القضاء الحق او على المفعولية اى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها
واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق والخصم عن التعدي على صاحبه • وهو خير الفاصلين •
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي يستدعيه جزالة
التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى
غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب ايات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم
به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا • قل لو ان عندي • اى في قدرتي ومكنتي • ما تستعجلون به • من العذاب الذي
ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى • لقضي الامر بيني وبينكم • اى بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم
متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما ذكر
في تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى • والله اعلم بالظالمين • اعتراض
مقرر لما افادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى
والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب
والله اعلم • وعنده مفاتح الغيب • بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاصها به تعالى من
حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يتعلق علمها وفتح
واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اى
عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل • لا يعلمها الا هو • تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص
من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت
نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى • ويعلم ما في البر والبحر •
بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اى يعلم ما فيهما
من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى • وما تسقط من ورقة الا يعلمها • بيان لتعلقه
باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر
حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله
تعالى • ولا حبة • عطف على ورقة وقوله تعالى • في ظلمات الارض • متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اى ولا حبة كائنة
في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى • ولا رطب ولا يابس • معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى • الا في كتاب مبين • بدل
من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران
بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه
السقوط ولذلك فضل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا • وهو الذي يتوفاكم بالليل • اى ينيمكم فيه استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما
بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه • ويعلم ما جرحتم بالنهار • اى ما كسبتم فيه
والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما
لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اى يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما اختص بالاخر للجري على سنن العادة • ثم يبعثكم فيه • اى يوقظكم في النهار
عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكسبونه من السيئات مع
كونها موجبة لابقائهم بالتوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي
ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما تجرحون فيها • ليقضى اجل مسمى • معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين • ثم اليه مرجعكم •

اليه

اى يرجعكم بالموت لا الى غيره اصلا • ثم ينبئكم بما كنتم تعملون • بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لانسياق الكلام الى البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له • وهو القاهر فوق عباده • اى هو المتصرف فى امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك • ويرسل عليكم • خاصة ايها المكلفون • حفظة • من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اى كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف اى يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفى ذلك حكمة جليلة ونعمة جسيمة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطى المعاصى والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى فى قوله تعالى • حتى اذا جاء احدكم الموت • هى التى يبتدأ بها الكلام ومع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاء اسباب الموت ومباديه • توفته رسلنا • الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين • وهم • اى الرسل • لا يفرطون • اى بالتوانى والتاخير وقرئ يفرطون من الافراط اى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى • ثم ردوا • عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر فى مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفى على الانفراد والرد على الاجتماع اى ثم ردوا بعد البعث بالحشر • الى الله • اى الى حكمه وجزائه فى موقف الحساب • مولاهم • اى مالكهم الذى يلى امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما فى قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم • الحق • الذى لا يقضى الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح • الا له الحكم • يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه • وهو اسرع الحاسبين • يحاسب جميع الخلائق فى اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب ولا شان عن شان وفى الحديث انه يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة • قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر • اى قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرئ ينجيكم بالانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى • تدعونه • نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اى من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله اى من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى • تضرعا وخفية • اما حال من فاعل تدعونه او مصدر مؤكد له اى تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى • لئن انجيتنا • حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اى قائلين لئن انجيتنا • من هذه • الشدة والورطة التى عبر عنها بالظلمات • لنكونن من الشاكرين • اى الراسخين فى الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التى من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه • قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب • امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولبناء النعماء التى من جملتها قوله تعالى • ثم انتم تشركون • عليه اى الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى • قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا • استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم فى المهالك اثر بيان انه هو المنجى لهم منها وفيه وعيد ضمنى بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر وقوله تعالى • من فوقكم • متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل وامثالهم • او من تحت ارجلكم • اى من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤساؤكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح • او يلبسكم شيعا • اى يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا فى الملاحم كقول الحماسى وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى • ويذيق بعضكم باس بعض • عطف على يبعث وقرئ نذيق بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة فى التحذير والآية من الاول للكفار والآخر للمؤمنين فعنه وعد ووعيد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون

او هذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال سالت ربى ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطانى ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنى • انظر كيف نصرف الآيات • من حال الى حال • لعلهم يفقهون • كى يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد • وكذب به • اى بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه • قومك • اى المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضى بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى • وهو الحق • حال من الضمير المجرور اى كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق فى كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها • قل • لهم مشيرا الى ما يؤول اليه امرهم انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة • لست عليكم بوكيل • بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه • لكل نبا • اى لكل شئ ينبأ به من الانباء التى من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التى من جملتها خبر مجيئه • مستقر • اى وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار ووقوع مدلوله • وسوف تعلمون • ايها المكذبون فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما معا وسوف للتاكيد كما فى قوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين • واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا • اى بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو داب قريش ودينهم • فاعرض عنهم • بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى • حتى يخوضوا فى حديث غيره • غاية للاعراض اى استمر على الاعراض الى ان يخوضوا فى حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها قرآنا • واما ينسينك الشيطان • بان يشغلك فتنسى النهى فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية • فلا تقعد بعد الذكرى • اى بعد تذكر النهى • مع القوم الظالمين • اى معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بانهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون فى ذلك • وما على الذين يتقون • روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم فى الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لن نستطيع ان نجلس فى المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت اى ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم • من حسابهم • اى مما يحاسبون عليه من الجرائر • من شئ • اى شئ ما على انه فى محل الرفع على انه مبتدأ او ما تميمية او اسمها وهى حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون فى محل الرفع على انه خبر للمبتدأ او لما الحجازية على راى من لا يجيز اعمالها فى الخبر المقدم مطلقا او فى محل النصب على راى من يجوز اعمالها فى الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر • ولكن ذكرى • استدراك من النفى السابق اى ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اى عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اى ولكن عليهم ذكرى • لعلهم يتقون • اى يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اى يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها • وذر الذين اتخذوا دينهم • الذى كلفوه وامروا باقامة مراسمه • لعبا ولهوا • حيث سخروا به واستهزءوا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يجدى طائلا العاقل بطريق الجهل وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية • وغرتهم الحياة الدنيا • واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا • وذكر به • اى بالقرآن من يصلح للتذكير • ان تبسل نفس بما كسبت • اى لئلا تبسل كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وتوفى سوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام وممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور فى به راجعا الى الابسال المفهوم مع عدم جريان ذكره كما فى ضمير الشان ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له فالابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم • بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى • ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع • استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل فى محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل فى محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه فى قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولى كما بين فى تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر ليس فيكون لها متعلقا بمحذوف على البيان • وان تعدل • اى ان تفد تلك النفس • كل عدل • اى كل فداء على انه مصدر مؤكد • لا يؤخذ منها • على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به لا المصدر كما عرفته • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى • الذين ابسلوا بما كسبوا • والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اى اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى • لهم شراب من حميم • استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به امعاؤهم • وعذاب اليم • بنار تشتعل بابدانهم • بما كانوا يكفرون • اى بسبب كفرهم

المستمر في الدنيا وتجويز ان يكون لهم شراب من حميم كالامر بعيد ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما
ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات
هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس محله الرفع بالابتدا والموصول الثاني صفة او بدل منه ولهم شراب من حميم والجملة
مسوقة لبيان سوء الابسال • قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا • قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة
الاصنام وتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشان الصديق رضي الله عنه
اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على
ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب العبودية القدرة على ذلك • وقوله تعالى • ونرد على اعقابنا • عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد
الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة توبيخه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت
ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا
بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره • وقوله تعالى • بعد اذ هدانا الله • اي الى الاسلام وانقذنا
من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كانه قيل ونرد الى
الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه • وقوله تعالى • كالذي استهوته الشياطين • في محل النصب على انه حال
من مرفوع نرد اي نرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اي نرد
ردا مثل رد الذي استهوته الى الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه
بالف ممالة • وقوله تعالى • في الارض • اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تعالى • حيران • حال منه
على التداخل من الاول او حال ثانية عند من جوزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع • وقوله تعالى
• له اصحاب • جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله • وقوله تعالى • يدعونه الى الهدى •
صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى • ائتنا • على ارادة القول
على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس
من سلوك الطريق المستقيم ليدعي في اتيانه واتباعه رد صحبة الداعي وسوء النعيق فقط • قل ان هدى الله • الذي هدانا اليه وهو الاسلام
• هو الهدى • وحده وما عداه ضلال بحت وغي محض كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشان
المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال
بالاوامر الواردة بعده • وامرنا • عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في • لنسلم لرب العالمين • لتعليل
الامر وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا
وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى البا اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف البا • وقوله تعالى • وان
اقيموا الصلوة واتقوه • اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجرد عن
معنى الامر كتجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله
لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى
للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى • وهو الذي اليه تحشرون • جملة مستانفة موجبة للامتثال
بما امر به من الامور الثلاثة • وهو الذي خلق السموات والارض • اي بل خلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما
على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى • بالحق • متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد اي قائما
بالحق او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا به • وقوله تعالى • ويوم يقول كن فيكون قوله الحق • استيناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس
امر متعلق بمادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء اخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن
للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخلة عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وكن فيكون حكاية لما يقوله تعالى [illegible]
[illegible]
قوله مبتدا والحق صفته [illegible]
فيكون • وله الملك يوم ينفخ في الصور • [illegible]
[illegible] • وهو الحكيم • في كل ما يفعله • الخبير • بجميع الامور الجلية

والحفية • واذ قال ابراهيم • منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم
بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شئونه تعالى وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا
• لابيه آزر • على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعاذر وفالغ وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من
سواد الكوفة وهو غير منصرف للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه
او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر
واريد به عابد ازر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام • اتتخذ • اي
متعد الى مفعولين هما • اصناما الهة • اي اتجعلها لنفسك الهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ
ازرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما الهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو
داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما الهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة
• اني اراك وقومك • الذين يتبعونك في عبادتها • في ضلال • عن الحق • مبين • اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني
واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ • وكذلك نري ابراهيم • هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه
وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة
المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام • ملكوت السموات والارض • اي ربوبيته تعالى ومالكيته
لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا اخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك
العظيم والسلطان القاهر وهل يختص بملك الله عز سلطانه او لا فيه قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف
له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل اياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار
وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها
بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شئونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون
المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل
الربوبية واللام في قوله تعالى • وليكون من الموقنين • متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان
البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر اخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كان من اثار
ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل
الاصيل والباقي مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل بها وليكون الخ
فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما واياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية • وقوله تعالى • فلما جن عليه الليل • على
الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وملوح بان تعريفه عليه السلام
ربوبيته ومالكيته تعالى للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين
في معرفة شئونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقتضي ان يحكم باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب فعلى الثاني تفصيل لما ذكر
من اراءته ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى • راى كوكبا • جواب لما فان رؤيته
انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا نص في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب
كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى • قال هذا ربي • استيناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على
على بيان اراءته ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من اثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين راى
الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على
ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا
واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه
النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى وليكون على ما ذكر من العلة المقدرة
وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما لا يليق بجلالة منصب الخليل

﴿فلما أفل﴾ أي غرب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ أي الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالأستار فإنهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعاً ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ أي مبتدئاً في الطلوع إثر غروب الكوكب ﴿قال هذا ربي﴾ على الأسلوب السابق ﴿فلما أفل﴾ كما أفل النجم ﴿قال لئن لم يهدني ربي﴾ إلى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ فإن شيئاً مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في إظهار النصفة ولعله عليه السلام كان إذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من لياليه أو كان … الكوكب وقبالته الشرق مكشوف أولاً ثم طلع القمر بعد أفول الكوكب ثم أوى قبيل طلوع الشمس ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ أي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور ﴿قال﴾ أي على النهج السابق ﴿هذا ربي﴾ وإنما لم يؤنث لما أن المشار إليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الأسامي فضلاً عن حيثية تسميته بالشمس أو لتأكيد الجزء وصيانة الرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى ﴿هذا أكبر﴾ تأكيد لما رامه عليه السلام من إظهار النصفة مع إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر ﴿فلما أفلت﴾ هي أيضاً كما أفل الكوكب والقمر ﴿قال﴾ مخاطباً للكل صادعاً بالحق بين ظهرانيهم ﴿يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ أي من الذي تشركونه من الأجرام المتغيرة من حال إلى أخرى المسخرة لمحدثها أو من إشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيريه على الأفول دون البزوغ والظهور من ضرورات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فإن كلاً منهما وإن كان في نفسه انتقالاً منافياً للاستحقاق … لكن لما كانت لا محالة موجبة لظهور الآثار والأحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة … ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات﴾ … ﴿والأرض﴾ … ﴿حنيفاً﴾ أي مائلاً عن الأديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها ﴿وما أنا من المشركين﴾ في شيء من الأقوال والأفعال ﴿وحاجه قومه﴾ أي خاصموه في أمر التوحيد ﴿قال﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكراً لما اجترؤوا عليه من محاجته مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم ﴿أتحاجوني في الله﴾ بإدغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الأولى وقوله تعالى ﴿وقد هدان﴾ حال من ضمير المتكلم مؤكدة للإنكار فإن كونه عليه السلام مهدياً من جهة الله تعالى ومؤيداً من عنده مما يوجب استحالة محاجته أي أتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى قد هداني إلى الحق بعدما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبييناً تاماً كما شاهدتموه ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ جواب عما خوفوه عليه السلام في أثناء المحاجة من إصابة مكروه من جهة أصنامهم … ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل بها ما فعل وما استفهامية … ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ استثناء مفرغ من أعم الأوقات أي لا أخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى شيئاً من إصابة مكروه بي من جهتها … وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام إظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ كأنه تعليل للاستثناء أي أحاط بكل شيء علماً فلا يبعد أن يكون في علمه تعالى إنزال مكروه بي من قبلها بسبب من الأسباب وفي الإظهار في موقع الإضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره ﴿أفلا تتذكرون﴾ أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون أنها غير قادرة على إضراري وفي إيراد التذكر دون التفكر ونظائره إشارة إلى أن أمر أصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف إلا على التذكر وقوله تعالى ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الإلزامي بعد ما نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الأمر والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الآية لا لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون وفي توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أأخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات قطعاً فإذا انتفى جميع أحواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله﴾ حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة إلى الضمير العائد إلى ذي الحال … مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا أخاف أنا في محل الأمن أولى وأحرى أي وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها وهو إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله تعالى ﴿ما لم ينزل به﴾ أي بإشراكه ﴿عليكم سلطاناً﴾ على طريقة التهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى … من المبالغة … ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا تخافون إلخ معطوف على أخاف داخل معه في حكم الإنكار والتعجيب فمما لا سبيل إليه لما عرفت أن الإنكار بمعنى النفي … الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له … ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ ناطق ببطلانه حتماً فإنه كلام مرتب على إنكاره عليه السلام في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الأمن وبعدهم عن استحقاق ما هم عليه وإنما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الإنصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الأمن والفريق الآمن في محل الخوف فإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم لتأكيد الإلجاء إلى الجواب بالتنبيه على علية ما يحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ﴿إن كنتم تعلمون﴾ … والمفعول إما محذوف تعويلاً على ظهوره بمعونة المقام أي إن كنتم تعلمون من أحق بذلك … إلى التعميم أي إن كنتم تعلمون شيئاً وإما متروك بالمرة أي إن كنتم من أولي العلم وجواب الشرط محذوف أي فأخبروني ﴿الذين آمنوا﴾ استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه أي الفريق الذين آمنوا ﴿ولم يلبسوا إيمانهم﴾ ذلك أي لم يخلطوه ﴿بظلم﴾ أي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم مؤمنون بالله عز وجل وأن عبادتهم للأصنام من تمام إيمانهم وأحكامه لكونها لأجل التقريب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهذا معنى الخلط ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الإشارة إليه بعد وصفه بما ذكر إيذان بأنهم متميزون بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم

في الشرف وهو مبتدأ ثانٍ وقوله تعالى ﴿لهم الأمن﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبراً لأولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الأول الذي هو الموصول ويجوز أن يكون أولئك بدلاً من الموصول أو عطف بيان له ولهم خبر الموصول والأمن فاعلاً للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز أن يكون لهم خبراً مقدماً والأمن مبتدأ والجملة خبراً للموصول ويجوز أن يكون أولئك مبتدأ ثانياً ولهم خبره والأمن فاعلاً له والجملة خبر للموصول أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الإيمان الخالص عن شوب الشرك لهم الأمن فقط ﴿وهم مهتدون﴾ إلى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي أنه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به وقيل … الخلط … بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الأول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين ﴿وتلك﴾ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن إلخ وقيل من قوله تعالى أتحاجوني إلى قوله تعالى تهتدون وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار إليه والإشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿حجتنا﴾ خبره وفي إضافتها إلى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿آتيناها إبراهيم﴾ أي أرشدناه إليها أو علمناه إياها في محل النصب على أنه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الإشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا أو في محل الرفع على أنه خبر ثانٍ أو هو الخبر وحجتنا بدل أو بيان للمبتدأ وإبراهيم مفعول أول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميراً وقوله تعالى ﴿على قومه﴾ متعلق بحجتنا إن جعل خبراً لتلك أو بمحذوف إن جعل بدلاً أي آتيناها إبراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناها ﴿نرفع﴾ بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي ﴿درجات﴾ أي رتباً عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض أي إلى درجات أو على التمييز والمفعول قوله تعالى ﴿من نشاء﴾ وتأخيره على الوجوه الثلاثة الأخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف أي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على أن ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الأخيار غير مختصة بإبراهيم عليه السلام وقرئ بالإضافة إلى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الإعراب وقيل هي في محل النصب على أنها حال من فاعل آتينا أي حال كوننا رافعين إلخ ﴿إن ربك حكيم﴾ في كل ما فعل من رفع وخفض ﴿عليم﴾ بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليه السلام إظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا إلخ فإن عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الأخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لأن له محلاً من الإعراب نصباً ورفعاً حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا سبيل إليه هاهنا ﴿كلاً﴾ مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة إلى غيرهما مطلقاً بل بالنسبة إلى أحدهما أي كل واحد منهما ﴿هدينا﴾ لا أحدهما دون الآخر وترك ذكر المهدى إليه لظهور أنه الذي هدي إليه إبراهيم وأنهما مقتديان به ﴿ونوحاً﴾ منصوب بمضمر يفسره ﴿هدينا من قبل﴾ أي من قبل إبراهيم عد هداه نعمة على إبراهيم عليهما السلام لأن شرف الوالد سار إلى الولد ﴿ومن ذريته﴾ الضمير لإبراهيم لأن مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من إيتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الأولاد والأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة كل ذلك لإلزام من ينتمي إلى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لأنه أقرب ولأن يونس ولوطاً ليسا من ذرية إبراهيم عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها وأما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحاً وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هؤلاء الأنبياء كلهم مضافون إلى ذرية إبراهيم وإن كان منهم من لم يلحقه بولادة من قبل أم ولا أب لأن لوطاً ابن أخي إبراهيم والعرب تجعل العم أباً كما أخبر الله تعالى عن أبناء يعقوب أنهم قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق مع أن إسماعيل عم يعقوب ﴿داود وسليمان﴾ منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول لمراعاة الاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم أي وهدينا من ذريته داود وسليمان ﴿وأيوب﴾ هو ابن أموص من أسباط عيص بن إسحاق ﴿ويوسف وموسى وهارون﴾ أو بمحذوف وقع حالاً من المذكورين أي وهديناهم حال كونهم من ذريته ﴿وكذلك﴾ إشارة إلى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء إبراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير ﴿نجزي المحسنين﴾ جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مراراً والمراد بالمحسنين الجنس ومماثلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الإحسان بالإحسان والمكافأة بين الأعمال والأجزية من غير بحث لاتمام المماثلة من كل وجه ضرورة أن الجزاء بكثرة الأولاد الأنبياء مما اختص به إبراهيم عليه السلام والأقرب أن اللام في المحسنين للعهد وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما أوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقته والكاف للتأكيد لما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير ونجزي المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء

تقدم على الفعل لإفادة القصر وأعيدت الكاف تحقيقاً للتكثير المذكور فصار المشار إليه نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاءً آخر أدنى منه والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بالإحسان الذي هو عبارة عن الإتيان بالأعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها • وزكريا • هو ابن آذن • ويحيى • ابنه • وعيسى • هو ابن مريم وفيه دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنات • وإلياس • قيل هو إدريس جد نوح فيكون البيان مخصوصاً بمن في الآية الأولى وقيل هو من أسباط هرون أخي موسى • كل • أي كل واحد من أولئك المذكورين • من الصالحين • أي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح • وإسماعيل واليسع • هو ابن أخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم أعجمي أدخل عليه اللام والاشتقاق له وقيل إنه يوشع بن نون وقيل إنه منقول من مضارع وسع واللام كما في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله • ويونس • هو ابن متى • ولوطاً • هو ابن هاران ابن أخي إبراهيم عليهم السلام • وكلاً • أي كل واحد من أولئك المذكورين • فضلنا • بالنبوة لا بعضهم دون بعض • على العالمين • على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كأختها وقوله تعالى • ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم • إما متعلق بما عطف عليه من رتبة ومن ابتدائية والمفعول محذوف أي وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جماعات كثيرة وإما معطوف على كلاً ومن تبعيضية أي وفضلنا بعض آبائهم إلخ • واجتبيناهم • عطف على فضلنا أي اصطفيناهم • وهديناهم إلى صراط مستقيم • تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا إليه • ذلك • إشارة إلى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الأفعال المذكورة وقيل إلى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مراراً • هدى الله • الإضافة للتشريف • يهدي به من يشاء من عباده • وهم المستعدون للهداية والإرشاد وفيه إشارة إلى أنه تعالى متفضل بالهداية • ولو أشركوا • أي هؤلاء المذكورون • لحبط عنهم • مع فضلهم وعلو طبقاتهم • ما كانوا يعملون • من الأعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم وأعمالهم أعمالهم • أولئك • إشارة إلى المذكورين من الأنبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الإيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • الذين آتيناهم الكتاب • أي جنس الكتاب المتحقق في ضمن أي فرد كان من أفراد الكتب السماوية والمراد بإيتائه التفهيم التام لما فيه من الحقائق والتمكين من الإحاطة بالجلائل والدقائق أعم من أن يكون ذلك بالإنزال ابتداءً أو بالإيراث بقاءً فإن المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين • والحكم • أي الحكمة أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحق والصواب • والنبوة • أي الرسالة • فإن يكفر بها • أي بهذه الثلاثة أو بالنبوة الجامعة للباقيين • هؤلاء • أي كفار قريش فإنهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعاً وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر • فقد وكلنا بها • أي أمرنا بمراعاتها ووفقنا للإيمان بها والقيام بحقوقها • قوماً ليسوا بها بكافرين • في وقت من الأوقات بل مستمرون على الإيمان بها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد هم الأنصار وأهل المدينة وقيل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فإن كلاً من هؤلاء الطوائف موفقون للإيمان بالأنبياء والكتب المنزلة إليهم عاملون بما فيها من أصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فإنها بانتساخها خارجة عن كونها من أحكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الأنبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الأمر بما هو أعم من إجراء أحكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الأمر بإنزالها وحفظها واعتقاد حقيتها وأياً ما كان فتنكير قوماً للتفخيم والباء الأولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي وأما بها صلة وكلنا على مفعوله الصريح لما ذكر آنفاً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ولأن فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه إلى الإخلال بتجاوب النظم الكريم أو إلى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور أي فإن يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به أصلاً فقد وفقنا للإيمان بها قوماً ما هم بها بكافرين فإنهم قطعاً يستمرون على الإيمان بها والعمل بما فيها ففي إيمانهم بها مندوحة عن إيمان هؤلاء وعن قصدنا بين أن يكون المراد بالقوم إحدى الطوائف المذكورة أو ما يعمها إيمانهم بالقرآن والعمل بأحكامه محض الغبطة من إيمان الكفرة به والعمل بأحكامه وأما الأنبياء والملائكة عليهم السلام فإنما يجري به لبس من قبيل إيمان آحاد الأمة كما أشير إليه • أولئك • إشارة إلى الأنبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • الذين هدى الله • أي إلى الحق والنهج المستقيم والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلة الهداية • فبهداهم اقتده • أي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فإنها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها أن تسقط في الدرج واستحسن إيثارها فيه إجراءً له مجرى الوقف واقتداءً بالإمام وقرئ بإشباعها على أنها كناية المصدر • قل لا أسألكم عليه • أي على القرآن أو على التبليغ فإن مساق الكلام يدل عليهما وإن لم يجر ذكرهما • أجراً • من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الأنبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه • إن هو • أي ما القرآن

إلا ذكرى للعالمين • أي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين • وما قدروا الله • لما بين شأن القرآن العظيم وأنه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الأنام حسبما نطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم إبائها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهية وأصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدراً إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره وأحواله وأوصافه وقوله تعالى • حق قدره • نصب على المصدرية وهو في الأصل صفة للمصدر أي قدره الحق فلما أضيف إلى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه أي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل أخلوا بها إخلالاً • إذ قالوا • منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما • ما أنزل الله على بشر من شيء • ونفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما أن نفي المحبة في مثل إن الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط وإلا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من ناجى مستقصراً المعرفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك أو ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لا سبيل لهم إلى إنكاره أصلاً حيث قيل • قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى • أي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت وإلقام الحجر وروي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر رضي الله تعالى عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لما أنه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا التقييد بقوله تعالى • نوراً وهدى • فإن كونه بيناً بنفسه ومبيناً لغيره مما يؤكد الإلزام أي تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل أنزل أو من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى • للناس • إما متعلق بهدى أو بمحذوف هو صفة له أي هدى كائناً للناس وليس المراد بهذا مجرد إلزامهم الاعتراف بإنزال التوراة فقط بل بإنزال القرآن أيضاً فإن الاعتراف بإنزالها مستلزم للاعتراف بإنزاله قطعاً لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل • تجعلونه قراطيس • أي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناءً على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم أو تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى • تبدونها وتخفون كثيراً • معطوف عليه والعائد إلى الموصوف محذوف أي كثيراً منها وقيل كلام مستأنف لا محل له من الإعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من أحكام التوراة وقرئ الأفعال الثلاثة بالياء حملاً على ما قالوا وما قدروا وقوله تعالى • وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم • قيل هو حال من فاعل تجعلونه بإضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين فإن ثبت فينبغي أن يجعل ما عبارة عما أخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال لتأكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فإن ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الإبداء والإخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذ علومهم ومعارفهم أشنع وأعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبياناً لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لأن تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما جرحهم عما صنعوا بالتوراة أما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلأنه لا تعلق له بها نفياً ولا إثباتاً وأما ما ورد بطريق البيان لها فلأن ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس لما وقع فيها من الأمر والاشتباه الحائل حتى يقلعوا عن ذلك بإيضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ خالية من تأكيد التوبيخ فلا يستحق أن يقع موقع الحال بل الوجه حينئذ أن يكون استئنافاً مقرراً لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل إلى جعل ما عبارة عما كتموه من أحكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب فإن ظهوره وإن كان من جهة القرآن الكريم بطريق الافتضاح ومصححاً لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتماً هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم وقوله تعالى • قل الله • أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عنهم إشعاراً بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وإيذاناً بأنهم أفحموا ولم يقدروا على التكلم أصلاً • ثم ذرهم في خوضهم • في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة وإلقام الحجر • يلعبون • حال من الضمير الأول والظرف صلة للفعل المقدم أو المؤخر أو متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الأول أو من فاعل الثاني أو من الضمير الثاني لأنه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالأول • وهذا كتاب أنزلناه • تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير إنزال ما تقدمه من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء إثر تكذيب • مبارك • أي كثير الفوائد وجم المنافع • مصدق الذي بين يديه • من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها أو الكتب التي قبلها فإنه مصدق للكل في إثبات

التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ • ولتنذر ام القرى • عطف على ما دل عليه مبارك
اي للبركات ولانذار اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شأنا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها اصل
مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب • ومن حولها • من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب
• والذين يؤمنون بالآخرة • وما فيها من فنون العذاب • يؤمنون به • اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل
حتى يؤمنوا به • وهم على صلواتهم يحافظون • تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان
بانافتها على سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا • فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب
والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما في الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه
وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل
واكرم من كل كريم وقد مر الكلام فيه • او قال اوحي الي • من جهته تعالى • ولم يوح اليه شيء • اي والحال انه لم يوح اليه شيء كعبد الله
بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال
عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال • ومن قال سانزل مثل ما انزل الله • كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا
• ولو ترى اذ الظالمون • حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى اذ الظالمين اذ هم • في غمرات الموت • اي شدائده من غمره
اذا غشيه • والملائكة باسطوا ايديهم • بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير
امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين • اخرجوا انفسكم • اي اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب
• اليوم • اي وقت الاماتة او الوقت الممتد المتطاول الى ما لا نهاية له • تجزون عذاب الهون • اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته
الى الهون لعراقته فيه • بما كنتم تقولون على الله غير الحق • كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي
كاذبا • وكنتم عن آياته تستكبرون • فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها • ولقد جئتمونا • للحساب • فرادى • منفردين عن الاموال
والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى • كما خلقناكم اول مرة • بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم
عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اي متشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة • وتركتم ما خولناكم • ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة • وراء ظهوركم • ما قدمتم
منه شيئا ولم تحملوا نقيرا • وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء • اي شركاء لله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة
• لقد تقطع بينكم • اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما
يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم • وضل عنكم • اي ضاع وغاب • ما كنتم
تزعمون • انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء • ان الله فالق الحب والنوى • شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته
ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي
في الحبوب والنوى الذي حالهما كما لك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق
مذهب فاطر • يخرج الحي من الميت • اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما
قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى • ومخرج الميت • كالنطفة والحب • من الحي • كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج
على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى • ذلكم • القادر العظيم الشأن هو • الله • المستحق للعبادة وحده • فانى
تؤفكون • فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا تتبتلون اليه اصلا • فالق الاصباح • خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر
سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الصبح عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح
وقرئ فالق بالنصب على المدح • وجعل الليل سكنا • يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن
فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل به على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة
المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف
الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك • والشمس والقمر • معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قال ابو سعيد السيرافي قيل
هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان • حسبانا • اي
على ادوار مختلفة بحسبها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان

بالكسر مصدره حسب • ذلك • اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير
البديع • تقدير العزيز • الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص • العليم • بجميع
المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم • وهو الذي جعل لكم النجوم • شروع في بيان
نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى • لتهتدوا بها • بدل من المجرور باعادة
العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم
فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي
جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى • في ظلمات البر والبحر • اي في ظلمات الليل في البر
والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة
الاستعارة • قد فصلنا الآيات • اي بينا الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية الدالة على
شؤونه تعالى مفصلة • لقوم يعلمون • اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة
الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به • وهو الذي انشأكم من نفس واحدة • تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى
دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم • فمستقر ومستودع • اي فلكم استقرار في الاصلاب
او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق
الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد
حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ فمستقر بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف
الاستيداع • قد فصلنا الآيات • المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها • لقوم يفقهون • غوامض الدقائق باستعمال
وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار خلق بني آدم مما تحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في
شأن النجوم • وهو الذي انزل من السماء ماء • تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب
او من جانب السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا • فاخرجنا به • التفات الى التكلم اظهارا لكمال
العناية بشأن ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته • نبات كل شيء • من الاشياء التي من شأنها النمو من اصناف
النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما ينبئ عنه
قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى • فاخرجنا منه خضرا • شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد
بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر
فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى • نخرج منه • صفة لخضرا وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر • حبا متراكبا • هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض
على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى • ومن النخل • شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى
من النخل خبر مقدم وقوله تعالى • من طلعها • بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله
والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ والجملة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون
الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل • قنوان • ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب
وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ
بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع • دانية • سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت
صغيرة ينالها القاعد تاتي بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة
النعمة فيها • وجنات من اعناب • عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات
وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء
بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده • والزيتون والرمان • منصوبا
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى • مشتبها وغير متشابه • حال من الزيتون اكتفي به عن حال
ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه والتقدير والزيتون مشتبها وغير
متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في

والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومدبرها • انظروا إلى ثمره إذا أثمر • أي انظروا
إليه نظر اعتبار واستبصار إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ إلى ثمره • وينعه • أي وإلى حال نضجه كيف يصير إلى كمال
اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة
فيه وقرئ يانعه • إن في ذلكم • إشارة إلى ما أمر بالنظر إليه وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته
• لآيات لقوم يؤمنون • أي آيات عظيمة أو كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فإن حدوث هاتيك الأجناس المختلفة والأنواع
المتفننة من أصل واحد وانتقالها من حال إلى حال على نمط بديع تحار في فهمه الألباب لا يكاد يكون إلا بإحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح
ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه أو ند يقاومه ولذلك عقب بتوبيخ من أشرك به والرد عليه حيث
قيل • وجعلوا لله شركاء • أي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء • الجن • أي الملائكة
حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة إلى مقام الألوهية أو الشياطين حيث أطاعوهم كما أطاعوا
الله تعالى وعبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا
جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الأول لاستعظام أن يتخذ لله سبحانه شريك ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه
للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وأبو إسحاق أو منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ
من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن أي جعلوا الجن ويؤيده قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب
الجن بالرفع على تقدير هم الجن جوابا عن قال من الذين جعلوهم شركاء لله وقد قرئ بالجر على أن الإضافة للتبيين • وخلقهم • حال من فاعل
جعلوا بتقدير قد أو بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها أي وقد علموا
أنه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء أي والحال أنه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ خلقهم عطفا على
الجن أي وما يخلقونه من الأصنام أو على شركاء أي وجعلوا له اختلاقهم الإفك حيث نسبوه إليه تعالى • وخرقوا له • أي افتعلوا وافتروا له
يقال خلق الإفك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرفوا له أي زوروا • بنين وبنات • فقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله • بغير علم • أي بحقيقة ما قالوه من خطأ
أو صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية أو بغير علم بمرتبة ما قالوه وأنه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء
متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا أو نعت لمصدر مؤكد له أي خرقوا ملتبسين بغير علم أو خرقا كائنا بغير علم • سبحانه • استئناف مسوق لتنزيهه
عز وجل عما نسبوه إليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا أو قولا أي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الأرض والماء
إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أي أسبح سبحانه أي أنزهه عما لا يليق
به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن
المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر
مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لأنه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس أريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث
إسناد التنزه إلى الذات المقدسة أي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الأنسب بقوله سبحانه • وتعالى • فإنه معطوف على الفعل المضمر
لا محالة وما في السبحان والتعالي من معنى التباعد • عما يصفون • أي تباعد عما يصفونه من أن له شريكا أو ولدا • بديع السموات والأرض •
أي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فإن البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه أئمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ
وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى أنشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله أمن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من إضافة
الصفة المشبهة إلى الفاعل بعد نصبه تخفيفا تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور أي بديع سمواته وأرضه من بدع إذا كان على نمط عجيب وشكل فائق
وحسن رائق أو إلى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما والأول هو الوجه والمعنى أنه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي
بلا مادة فاعل على الإطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن أن يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب
على المدح وبالجر على أنه بدل من الاسم الجليل أو من الضمير المجرور في سبحانه على رأي من جوزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على أنه خبر مبتدأ محذوف
أو فاعل تعالى وإظهاره في موقع الإضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه أو مبتدأ خبره قوله تعالى • أنى يكون
له ولد • وهو على الأولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه إليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى • ولم تكن له صاحبة •
حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فإن انتفاء أن يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء أن يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وإن أمكن
وجوده بلا والد وانتفاء الأول مما لا ريب فيه لأحد فمن ضرورته انتفاء الثاني أي من أين أو كيف يكون له ولد كما زعموا والحال أنه ليس له على زعمهم
أيضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل ولأن الاسم ضمير له تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده

على المبتدأ أو الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذه الأوجه يجوز أن يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية الجملة
لأن تكون مفسرة لضمير الشأن لا على الوجه الأول لما بين في موضعه أن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة صريحة وهو قوله تعالى • وخلق
كل شيء • إما جملة مستأنفة أخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة أو حال أخرى مقررة لها أي أنى يكون له ولد والحال أنه خلق كل شيء
انتظمه التكوين والإيجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور أن يكون المخلوق ولدا لخالقه • وهو بكل شيء •
من شأنه أن يعلم كائنا ما كان مخلوقا أو غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الإضمار إلى الإظهار • عليم • مبالغ في العلم أزلا وأبدا حسبما يعرب عنه
العدول إلى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والأحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما
لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من أفرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي
اجترؤوا عليها بغير علم • ذلكم • إشارة إلى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو شأن المشار إليه وبعد منزلته
في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى • الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء • أخبار أربعة
مترادفة أي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك أمركم لا شريك له أصلا خالق كل شيء مما كان
ومما سيكون فلا تكرار إذ المعتبر في عنوان الموضوع إنما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الأول والبواقي
أبدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي أخبار وقيل بعد الكل من الأخبار الكلية مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد
وقوله تعالى • فاعبدوه • حكم مترتب على مضمون الجملة فإن من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى • وهو
على كل شيء وكيل • عطف على الجملة المتقدمة أي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولي أمور جميع مخلوقاته التي أنتم من جملتها فكلوا
أموركم إليه وتوسلوا بعبادته إلى نجاح مآربكم الدنيوية والأخروية • لا تدركه الأبصار • البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث
أنها محلها وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به أي لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال
عطاء كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الإطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل رح لا تدركه
الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة • وهو يدرك الأبصار • أي يحيط بها علمه إذ لا تخفى عليه خافية • وهو اللطيف الخبير • فيدرك
ما لا تدركه الأبصار ويجوز أن يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف أي لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه
الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى • قد جاءكم بصائر من ربكم • استئناف
وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما أن البصر نور به تبصر العين والمراد بها
الآيات الواردة هاهنا أو جميع الآيات المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء أو بمحذوف هو صفة لبصائر
والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار كمال اللطف بهم أي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم إلى كمالكم اللائق
بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب أو قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم • فمن أبصر • أي الحق بتلك البصائر وآمن
به • فلنفسه • أي فلنفسه أبصر أو فإبصاره لنفسه لأن نفعه مخصوص بها • ومن عمي • أي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر
ظهورا بينا وضل عنه وإنما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه • فعليها • أي فعليها عمي أو فعماه عليها أي وباله • وما أنا عليكم بحفيظ •
وإنما أنا منذر والله هو الذي يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها • وكذلك نصرف الآيات • أي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات
الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا أدنى منه وقوله تعالى • وليقولوا درست • علة لفعل قد حذف تعويلا
على دلالة السياق عليه أي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة
محذوفة واللام متعلقة بنصرف أي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الأمر وينصره القراءة بسكون
اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فإنه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا أمر معناه الوعيد
والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ويرده تعليله بأن ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست أي دارست العلماء ودرست
أي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست أي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول
بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الإضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز إسناد الفعل
إلى الآيات وهو في الحقيقة لأهلها أي دارس أهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم أهل الكتاب وقرئ درس أي درس محمد ودارسات
على هي دارسات أي قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية وقوله تعالى • ولنبينه • عطف على ليقولوا واللام على الأصل لأن التبيين غاية التصريف
والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر أو للمصدر أي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى • لقوم يعلمون • متعلقة بالتبيين وتخصيصه
بهم لما أنهم المنتفعون به قال ابن عباس هم أولياؤه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للإيذان بغاية جهل الأولين وخلوهم
عن العلم بالمرة • اتبع ما أوحي إليك من ربك • لما حكي عن المشركين تهجمهم في تصريف الآيات عقب ذلك بأمره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه

وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم أي دم على ما أنت عليه من اتباع ما أوحي إليك من الشرائع والأحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من إظهار اللطف به ما لا يخفى قوله تعالى لا إله إلا هو اعتراض بين الأمرين لتأكيد إيجاب اتباع الوحي لا سيما في أمر التوحيد وقد جوز أن يكون حالا من ربك أي منفردا في الألوهية وأعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله أي عدم إشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما أشركوا وهذا دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر لكن لا بمعنى أنه تعالى يمنعه عنه مع توجهه إليه بل بمعنى أنه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الإيمان وإصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للإعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا أي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم أعمالهم وكذا قوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بأمورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به أو لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله أي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق إلى الباطل بأن يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم أي جهالة بالله تعالى وبما يجب أن يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر كذلك أي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا أو تخذيلا ويجوز أن يراد بكل أمة أمم الكفرة إذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم إلى ربهم مالك أمرهم مرجعهم أي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة أبية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فإنها مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة تستحسنها الغواة وتستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا فعبر عن إظهارها بصورها الحقيقية بالإخبار بها لما أن كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى وأقسموا بالله روي أن قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني فقالوا نعم وأقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها طمعا في إيمانهم فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد أيمانهم مصدر في موقع الحال أي أقسموا بالله تعالى جاهدين في أيمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم أو من جنس الآيات وهو الأنسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي أمرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك إلا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بأن تقطع بها الأرض وتسير بها الجبال قل إنما الآيات أي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا أوليا عند الله أي أمرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بإنزال شيء منها قدرة أحد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني أن أتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من أن يكون عرضة للسؤال والاقتراح وأما ما قيل من أن المعنى إنما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف أجيبكم إليها أو آتيكم بها وهو القادر عليها لا أنا حتى آتيكم بها فمما لا يساعده المقام كيف لا وليس مقترحهم عينها بغير قدرة الله تعالى وإرادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية إلى ما أشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون إما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في إسلامهم وإما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه أن أيمانهم فاجرة وإيمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وإن أجيب إلى ما سألوه وما استفهامية إنكارية لكن لا على أن مرجع الإنكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الإشعار مع تحقق المشعر به أي وأي شيء يعلمكم أن الآية التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد أي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في إيمانهم فكأنه سبحانه أسقط عذرا من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فتوجه الإنكار إلى الإشعار والمشعر به جميعا أي أي شيء يعلمكم إيمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في إيمانهم فتكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل

أن بمعنى لعل يقال ادخل السوق أنك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده أنه قرئ لعلها إذا جاءت لا يؤمنون على أن الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الإنكار وتقريره أي أي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها إذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فإن تمنيه إنما يليق بما إذا كان إيمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ إنها بالكسر على أنه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم إيمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون فيرجع الإنكار إلى إقدام المشركين على الإقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه وأبصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها إليه واستعدادها لقبوله لا لكمال نبوها عنه وإعراضها بالكلية ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم إشعارا بأصالتهم في الكفر وحسما لتوهم أن عدم إيمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الإجبار كما لم يؤمنوا به أي بما جاء من الآيات أول مرة أي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية أي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم أول مرة وتوسيط تقليب الأفئدة والأبصار بينهما لأنه من متممات عدم إيمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الإنكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الأفئدة والأبصار ومعرب عن حقيقته بأنه ليس على ظاهره بأن يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها إليه واستعدادها له بطريق الإجبار بل بأن يخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم أصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما أشير إليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم أي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين أو مفعول ثان لنذرهم أي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذرهم بالياء على إسناده إلى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على إسناده إلى أفئدتهم ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة تصريح بما أشعر به قوله عز وجل وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية إلى ترك الإجابة إلى ما اقترحوه من الآيات إثر بيان أنها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا يدخل لأحد في أمرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في أيمانهم الفاجرة على أبلغ وجه وآكده أي ولو أننا لم نقتصر على إيتاء ما اقترحوه هاهنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا إليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الإيمان بعد أن أحييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا وحشرنا أي جمعنا عليهم كل شيء قبلا وقرئ بسكون الباء أي كفلاء بصحة الأمر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على أنه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الأنسب بقوله تعالى أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء تتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية أو جماعات على أنه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الأوفق لعموم كل شيء وشموله للأنواع والأصناف أي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الإفرادي أو مقابلة وعيانا على أنه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على أنه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من أهل اللغة أن الأخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وأن انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا أي ما صح وما استقام لهم الإيمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان وأما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الأحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى إلا أن يشاء الله استثناء مفرغ من أعم الأحوال والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة أي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الأمور الموجبة للإيمان في حال من الأحوال الداعية إليه المتممة لموجباته المذكورة إلا في حال مشيئته تعالى لإيمانهم أو من أعم العلل أي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها إلا لمشيئته تعالى له وأيا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان أن إيمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى أيضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كيف لا وقوله عز وجل ولكن أكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا منه ولا ريب في أن الذي يجهلونه سواء أريد بهم المسلمون وهو الظاهر أو المقسمون ليس عدم إيمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الأول فإنه ليس مما يعتقده الأولون ولا مما يدعيه الآخرون بل إنما هو عدم إيمانهم لعدم مشيئته إيمانهم ومرجعه إلى جهلهم بعدم مشيئته إياه فالمعنى أن حالهم كما شرح ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة أو ولكن أكثر المشركين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على

القراءة السابعة بيان لسنة الله تعالى في إهلاك المكذبين وتقرير لها على قراءة لا يؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعركم إذا جاءت لا يؤمنون • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا • كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الأقاويل والأفاعيل ببيان أن ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر ابتلي به كل من سبقك من الأنبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم مما قبله أي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم على الفعل للقصر المفيد للمبالغة والمعنى أي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في إبطال أمرك المكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك لا جعلا أنقص منه وفيه دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء • شياطين الإنس والجن • أي مردة الفريقين على أن الإضافة بمعنى من البيانية وقيل هي إضافة الصفة إلى الموصوف والأصل الإنس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام أي الشياطين التي للإنس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد إلى واحد أو إلى اثنين وهو أول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة إلى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل أو بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى • يوحي بعضهم إلى بعض • كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به أو حال من الشياطين أو نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فإنه عبارة عن الأعداء كما في قوله إذا أنا لم أنفع صديقي بوده فإن عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الإيماء والقول السريع أي يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى بعض آخر • زخرف القول • أي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه إذا زينه • غرورا • مفعول له ليوحي أي ليغروهم أو مصدر في موقع الحال أي غارين أو مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي أي يغرون غرورا • ولو شاء ربك • رجوع إلى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء عليهم السلام وبين أممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية أي ولو شاء ربك عدم الأمور المذكورة لا إيمانهم كما قيل فإن القاعدة المستمرة أن مفعول المشيئة إنما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى • ما فعلوه • أي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وإيحاء بعضهم إلى بعض مزخرفات الأقاويل الباطلة المتعلقة بأمرك خاصة لا بما يعمه وأمور الأنبياء عليهم السلام أيضا كما قيل فإن قوله تعالى • فذرهم وما يفترون • صريح في أن المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم أي إذا كان ما فعلوه من أحكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم أو وما يفترونه من أنواع المكايد فإن لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتنائه على الحكم البالغة البتة • ولتصغى إليه • أي إلى زخرف القول وهو على الوجه الأول علة أخرى للإيحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وإنما لم ينصب لفقد شرطه إذ الغرور فعل الموحي وصغو الأفئدة فعل الموحى إليه أي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل إليه • أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة • إنما خص بالذكر عدم إيمانهم بالآخرة دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان بها وهم بها كافرون إشعارا بما هو المدار في صغو أفئدتهم إلى ما يلقى إليهم فإن لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وبأحوالها لا يدرون أن وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما وإنما ينظرون إلى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون إلى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الأقاويل ومموهات الأباطيل وأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين إلى عواقب الأمور لم يتصور منهم الميل إلى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها وأما على الوجهين الأخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام أي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة أو لام القسم أو لام الأمر وضعفه في غاية الظهور • وليرضوه • لأنفسهم بعدما مالت إليه أفئدتهم • وليقترفوا • أي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له • ما هم مقترفون • له من القبائح التي لا يليق ذكرها • أفغير الله أبتغي حكما • كلام مستأنف وارد على إرادة القول والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام أي قل لهم أأميل إلى زخارف الشياطين فأبتغي حكما غير الله يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وقيل إن مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من أحبار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت وإسناد الابتغاء المنكر إلى نفسه عليه السلام لا إلى المشركين كما في قوله تعالى أفغير دين الله يبغون مع أنهم الباغون لإظهار كمال النصفة أو لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير إما مفعول أبتغي وحكما حال منه وإما بالعكس وأيا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما أشير إليه للإيذان بأن مدار الإنكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الإبهام كقولهم إن لنا غيرها إبلا والحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ لما أنه لا يطلق إلا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى • وهو الذي أنزل إليكم الكتاب • جملة حالية مؤكدة للإنكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الإنزال إليهم خاصة مع أن مقتضى المقام إظهار تساوي نسبته إلى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم إلى قبول حكمه بإيهام قوة نسبته إليهم أي أغيره

تعالى

تعالى أبتغي حكما والحال أنه هو الذي أنزل إليكم وأنتم أمة أمية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب • مفصلا • أي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام بحيث لم يبق في أمر الدين شيء من التخليط والإبهام فأي حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهذا كما ترى صريح في أن القرآن الكريم كاف في أمر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله وأما أن يكون لإعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى • والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق • كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به أمر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان أن الذين وثقوا بهم ورضوا بحكمهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التوراة والإنجيل باسم الكتاب إيماء إلى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الإيجاز وإيراد الطائفتين بعنوان إيتاء الكتاب للإيذان بأنهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت لهم وعاينوه موافقا له في الأصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن أمور لا طريق إلى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول إما علماء الفريقين وهو الظاهر فالإيتاء هو التفهيم بالفعل وإما الكل وهم داخلون فيه دخولا أوليا فهو أعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في أن الكل سيكون من ذلك وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرئ منزل من الإنزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للتشريف عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل أي ملتبسا بالحق • فلا تكونن من الممترين • أي في أنهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم وأحكام المعرفة والفاء لترتيب النهي على الإخبار بعلم أهل الكتاب بشأن القرآن وأنه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للأمة وإن كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه والفاء على هذين الوجهين لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن • وتمت كلمة ربك • شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته إثر بيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب به وإنما عبر عنه بالكلمة لأنها الأصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك • صدقا وعدلا • مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقوله تعالى • لا مبدل لكلماته • إما استئناف مبين لفضلها على غيرها إثر بيان فضلها في نفسها وإما حال أخرى من فاعل تمت على أن الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى أنها بلغت الغاية القاصية صدقا في الأخبار والمواعيد وعدلا في الأقضية والأحكام لا أحد يبدل شيئا من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى • وهو السميع • لكل ما يتعلق به السمع • العليم • بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل في ذلك أقوال المتحاكمين وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا أوليا وقيل المعنى لا أحد يقدر على أن يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها • وإن تطع أكثر من في الأرض • لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من إنزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدله في أحكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منهما واستبداده تعالى بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان أن الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والإضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه إبانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون إليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الأرض الناس وبأكثرهم الكفار وقيل أهل مكة والأرض أرضها أي إن تطعهم بأن جعلت منهم حكما • يضلوك عن سبيل الله • عن الطريق الموصل إليه أو عن الشريعة التي شرعها لعباده • إن يتبعون إلا الظن • وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يقتدون أو جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على أن المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في أمورهم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في أن الضال المتصدي للإرشاد إنما يرشد غيره إلى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى • وإن هم إلا يخرصون • عطف على ما قبله داخل في حكمه أي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون إليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان ذريعة إليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها أو يقدرون أنهم على شيء وأصل الخرص ذلك ومناط العقوق وحقيقته ما يقال على ظن وتخمين • إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين • تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير أي هو أعلم بالفريقين فاحذر أن تكون من الأولين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب لا بأعلم فإن أفعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل هو عليه أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على أن من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر أي هو أعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة وأما أن الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر أي يعلم من يضله أو مجرورة بإضافة أعلم إليها أي أعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله أو من قولك أضللته إذا وجدته ضالا فلا تساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته

واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير • فكلوا مما ذكر اسم الله عليه • امر مترتب على النهي عن اتباع
المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون ان الله تعالى ما قتله الله احق ان تأكلوه
مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف
انفه • ان كنتم باياته • التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن • مؤمنين • فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب
عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه • وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه • انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب
عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى • وقد فصل لكم • الى اخره جملة حالية مؤكدة للانكار كما في
قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه
او واي غرض حامل لكم على ان لا تأكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم • ما حرم عليكم • بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ
فبقي ما عداه على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لانها مدنية واما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرئ
الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول • الا ما اضطررتم اليه • مما حرم فانه ايضا حلال
حال الضرورة • وان كثيرا • اي من الكفار • ليضلون • الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون • باهوائهم • الزائغة
وشهواتهم الباطلة • بغير علم • مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحي • ان ربك هو اعلم بالمعتدين • المتجاوزين لحدود
الحق الى الباطل والحلال الى الحرام • وذروا ظاهر الاثم وباطنه • اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل بالجوارح وما
بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان • ان الذين يكسبون الاثم • اي يكتسبونه من الظاهر والباطن • سيجزون بما كانوا
يقترفون • كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر • ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه • ظاهر في تحريم متروك
التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله
• وانه لفسق • فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه فلا تأكلوا والجملة مستانفة وقيل
حالية • وان الشياطين ليوحون • اي ليوسوسون • الى اوليائهم • المراد بالشياطين ابليس وجنوده فانهم يوسوسون الى المشركين وقيل مردة
المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش من الكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه
حلال وما يقتله الله حرام • ليجادلوكم • اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو قولهم السابق • وان
اطعتموهم • في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم • انكم لمشركون • ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه
في دينه فقد اشركه به تعالى بل اثره عليه سبحانه • او من كان ميتا • وقرئ ميتا على الاصل • فاحييناه • تمثيل مسوق لتنفير المسلمين
عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون خائضون في ظلمات الكفر والطغيان
فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم
ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة • وجعلنا له • مع ذلك من الخارج • نورا • عظيما • يمشي به •
اي بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به • في الناس • اي فيما بينهم
امنا من جهتهم او صفة له • كمن مثله • اي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى • في الظلمات • خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى
كما في قولك زيد صفته اسمر ومن الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى • ليس بخارج منها •
حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها
اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان
يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل
باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثل هيئة على حدة ومن الامور المتعددة
المذكورة في كل واحد من جانبي الممثل به هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب
من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل قسم برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان
الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين تفسيره تجري في المثل على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كما في المثلين نظائرهما وقد يجري
على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع • كذلك • اي مثل ذلك التزيين البليغ • زين •
اي من جهة الله تعالى خلقا او بطريق الخلق عند ابتغاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل • للكافرين • التابعين للوساوس
الشيطانية الاخذين بالزخرفات التي يوحيها البعض • ما كانوا يعملون • ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي

عنهم من اتباع

عنهم من اتباع فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر
او عمار رضي الله عنهما وابي جهل • وكذلك • قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها • جعلنا في كل قرية • من سائر القرى • اكابر
مجرميها ليمكروا فيها • ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو وقيل اكابر مجرميها بدلا او مضافا اليه
وان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها
ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهورا مفروغا عنه عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سباق النظم
الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا للظاهرة باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى ح بعد التيا واللتي كما جعلنا اعمال مكة مزينة لهم جعلنا في كل
قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتأويل الفريق او المذكور ومحله
النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر مجرميها والظرف
لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين
مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم • وما يشعرون • حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما
يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى • واذا جاءتهم اية • رجوع الى
بيان حال مجرمي اهل مكة بعدما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان غائلة مكر الكل ما ذكر بان العظيمة المنقولة
انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم اية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم • قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله • قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة
قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علقوا به ايمانهم هو ايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي
ومخاطبة جبريل في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى • الله اعلم حيث يجعل رسالاته • عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل
عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم
ورده بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسل
فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم بمن يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه
من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى
اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله
تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور
لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس
وان يكون كلمة حتى في قوله تعالى حتى نؤتى الخ غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقدير اتيان الوحي وعدمه
فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نعطى من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسول الله واما مثل ما نقل من ان الوليد بن
المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا
تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الاية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه
السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم اية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون
دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كان ما يدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق
ومآله تعلق الايمان بحقيقة النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى يكون ايتاؤنا
ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب على المفعولية توسعا لا بافعل لما عرفت
من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال
والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص الله تعالى بها من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالته • سيصيب
الذين اجرموا • استئناف ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعي عليهم ما هم عليه مما املوه والسين للتأكيد ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به
اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة • صغار • اي ذلة وحقارة بعد كبرهم • عند الله • يوم القيامة وقيل من عند الله

وعذاب شديد • في الآخرة وفي الدنيا • بما كانوا يمكرون • اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم
صرح بسببيته • فمن يرد الله ان يهديه • اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان • يشرح صدره للاسلام • فيتسع له وينفسح وهو كناية
عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله
تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزوله • ومن يرد ان يضله • اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه • يجعل صدره ضيقا حرجا • بحيث
ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة • كانما
يصعد • ما هو محل نصبه لدخوله كان على الجمل الفعلية • في السما • شبهه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه
فان صعود السما مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه
كانما يتصاعد الى السما نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد • كذلك •
اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور • يجعل الله الرجس • اي العذاب او الخذلان وقال مجاهد الرجس ما لا
خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة • على الذين لا يؤمنون • اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر
للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر • وهذا • اي البيان الذي جاء به القرآن او
الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان • صراط ربك • اي طريقه الذي اقتضته او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي
التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال • مستقيما • لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو
حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة • قد فصلنا الآيات • بيناها مفصلة • لقوم يذكرون •
يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى
عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات • لهم دار السلام •
اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة • عند ربهم • اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى • وهو
وليهم • اي مولاهم وناصرهم • بما كانوا يعملون • بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم • ويوم يحشرهم
جميعا • منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين
اي واذكر يوم نحشر الثقلين قائلا • يا معشر الجن • او ويوم نحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم نحشرهم ونقول يا معشر الجن يكون من
الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين • قد استكثرتم من الانس •
اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع
وقال اولياؤهم • اي الذين اطاعوهم • من الانس • اما البيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف
هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس • ربنا استمتع بعضنا ببعض • اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها
وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل بما القوه اليهم وقيل استمتاع
الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم • وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا • وهو يوم القيامة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها
وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم
اصلا • قال • استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال • النار مثواكم • اي
منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين • خالدين فيها • حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل
مكانا • الا ما شاء الله • قال ابن عباس رضي الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا مبني على ان الاستثناء من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي
انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار
باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل
الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده • ان ربك حكيم • في افعاله • عليم • باحوال الثقلين واعمالهم
وبما يليق بها من الجزاء • وكذلك • اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم • نولي بعض الظالمين • من الانس • بعضا • اخر
منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي
اليه من القبائح • بما كانوا يكسبون • بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي • يا معشر الجن والانس • شروع في حكاية

ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان
مآل امرهم • الم يأتكم • اي في الدنيا • رسل • اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتي كل رسول كل واحد من الآحاد بل على ان يأتي كل امة
رسول خاص بها اي الم يأت كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى • منكم • متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن
لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما
تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن
قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى
قومهم منذرين وقوله تعالى • يقصون عليكم آياتي • صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حمل
ذلك بالنسبة الى الثقلين • وينذرونكم • بما في تضاعيفها من القوارع • لقاء يومكم هذا • يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من
افانين العقوبات الهائلة • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشا من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل
قالوا • شهدنا على انفسنا • اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك العذاب
المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال
كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى • وغرتهم
الحياة الدنيا • مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما ادى بهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجائهم في الآخرة الى الاعتراف
بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اي واغتروا في الدنيا بالحياة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم
المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤوا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه • وشهدوا • في الآخرة • على انفسهم
انهم كانوا • في الدنيا • كافرين • اي بالآيات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاعتراف لاشتداد
العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين
عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه • ذلك • اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • ان لم يكن ربك مهلك القرى • بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة
من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى • بظلم • متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي
ظلمها نظرا الى ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية لا بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها ماخوذة
في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييد قوله تعالى • واهلها غافلون • والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان
لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من انواع الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة
العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما
شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى
قبل الانذار مع ان المقرب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل كما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي
التعذيب الدنيوي عنه ليعلم انتفاء التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم
بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب
المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى
لا يدل على نفي الادنى ولان ترتيب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تاثيره في المنذرين سنة معلومة مشاهدة عند السامعين فيستدلون
بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بمواجب الانذار اشد انزجار وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم
الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبرا لمبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام
والله سبحانه اعلم • ولكل • اي من المكلفين من الثقلين • درجات • متفاوتة وطبقات متباينة • مما عملوا • من اعمالهم صالحة كانت او سيئة
فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان لكل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم • وما ربك بغافل عما يعملون •
فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقونه من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة • وربك الغني • مبتدأ
وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف
الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى

ساحته من توهم شمول الوعيد الاولي لها انقضاء ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر وهو الخبر والغني صفة أي عليهم
بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل للرحمة على العباد وتمهيد لقوله تعالى
إن يشأ يذهبكم أي ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم أيها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم أي من بعد
إذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي من نسل قوم آخرين لم
يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام لكنه أبقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي
على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم الخ أو نعت لمصدر الفعل المذكور أي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية
استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة إن ما توعدون أي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة
الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى إنما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره
بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما أنتم بمعجزين أي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول
كان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية
كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم
ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بأمره وعدم المبالاة بهم أي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن
أبلغ التمكن أو على جهتكم وحالتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم إني عامل
ما أمرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد
يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بأن المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي أمر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن إما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء
وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون أي فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة الحسنى التي
خلق الله تعالى هذه الدار لها وإما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون أي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار
انصاف في المقال وحسن الادب مع كمال وثوق المنذر بأمره وقرئ بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي إنه أي ان الشأن لا يفلح الظالمون وضع
الظلم موضع الكفر ايذانا بأن امتناع الفلاح يترتب على أي فرد كان من أفراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو أعظم أفراده وجعلوا شروع في تقبيح
أحوالهم الفظيعة بحكاية أقوالهم وأفعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله تعالى وأشياء منهما لآلهتهم
فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين بأن الله تعالى غني وما
ذاك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل إما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالى من الحرث
والأنعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزكي له
أي جعلوا لله تعالى مما خلقه من الحرث والأنعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتأخيره عن المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وإما الى مفعولين أولهما مما ذرأ على أن من تبعيضية أي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من أن الأول
نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على أنهم جعلوا لشركائهم أيضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهو لغة فيه وإنما قيد به الأول للتنبيه على أنه في الحقيقة ليس بجعل لله تعالى غير
مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من أنه للتنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد
من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز أن يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى أن قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو
اختصاصه به تعالى فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له أي ما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه
التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها
ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم
بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمونه حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك
ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وآلهتهم أو مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من
المشركين قتل أولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب
وهو مفعول زين شركاؤهم أي أولياؤهم من الجن ومن السدنة وهو فاعل زين أخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي
هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر الأولاد ورفع شركاؤهم

باضمار

باضمار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم قتل أولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم أي ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم
وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله أي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه أي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو الشركاء التزيين أو الارداء
واللبس أو الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة أي اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم
وافتراءهم أو وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب أليم وفيه من شدة الوعيد ما
لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من أنواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر أنعام وحرث حجر أي حرام فعل
بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى لأن أصله المصدر ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج
أي ضيق وأصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الأوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة أخرى لأنعام وحرث
بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا أي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وأنعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة
على قوله تعالى هذه أنعام الخ أي قالوا مشيرين الى طائفة أخرى من أنعامهم وهذه أنعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي
وأنعام أي وهذه أنعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لأنعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق
من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على أحد التفاسير
كأنه قيل وأنعام ذبحت على الأصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الأصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى
عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من أنعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا
ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر إما على أن ما قالوه تقول على الله تعالى وإما على تقدير عامل من لفظه أي
افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا أو بافتروا المقدر أو بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لأن المصدر المؤكد لا يعمل أو على الحال من فاعل
قالوا أي مفترين أو على العلة أي للافتراء فالجار على التقديرين متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون أي بسببه أو بدله وفي ابهام الجزاء
من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الأنعام يعنون به أجنة البحائر والسوائب خالصة
لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية أو للمبالغة أو لأن الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة أو بحذف
المضاف أي ذو خالصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة عن الأجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على أزواجنا أي جنس أزواجنا وهن
الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ أولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره وأما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا
وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة أي ان ولدت ميتة فهم أي الذكور والاناث فيه أي فيما في بطون الأنعام وقيل المراد بالميتة
ما يعم الذكر والأنثى فغلب الأول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لأنه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ
خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله في أمر
التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد
يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا أولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر
وأضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر أي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على
أنه علة له أي لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله هو الرزاق لهم ولأولادهم أو نصب على الحال ويؤيده أنه قرئ سفهاء أو مصدر
وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوهما افتراء على الله نصب على أحد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات
أو وما كانوا مهتدين من الأصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض أو على الأول عطف على ضلوا وهو الذي أنشأ جنات معروشات
تمهيد لما سيأتي من تفصيل أحوال الأنعام أي هو الذي أنشأهن من غير شركة لأحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات
من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه
وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات أي أنشأهما مختلفا أكله وقرئ أكله بسكون
الكاف أي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير إما للنخل والزرع داخل في حكمه أو للزرع والباقي مقيس عليه أو للجميع على تقدير
أكل ذلك أو كل واحد منهما مختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان أي أنشأهما وقوله تعالى متشابها
وغير متشابه نصب على الحالية أي يتشابه بعض أفرادهما في اللون أو الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره أي من ثمر كل

واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى وآتوا حقه
يوم حصاده أريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فإنها فرضت بالمدينة
والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب
بالإدراك لا بالتنقية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا أي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة
نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا إلى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي إسرافهم
ومن الأنعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول
أنشأ ومن متعلقة به أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل عليه الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض كأنها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن
تبعيضية أي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى أي حلاله وفيه تصريح بأن إنشاءها لأجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في أمر التحليل والتحريم
تقليدا لأسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء أنفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فإن ذلك منهم بإغواء الشيطان واستتباعه
إياهم إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية أزواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها
الأنواع الأربعة وإيرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الإنكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والأنثى
وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على أن قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما
أو حالا من ما بمعنى مختلفة أو متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور أنه مسوق لتوضيح حال الأنعام بتفصيلها أولا إلى حمولة وفرش
ثم تفصيلها إلى ثمانية أزواج حاصلة من تفصيل الأول إلى الإبل والبقر وتفصيل الثاني إلى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة
إلى الذكر والأنثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها على الله سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم بإظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة
مادة من تلك المواد بتوجيه الإنكار إليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى من الضأن اثنين بدل من ثمانية أزواج منصوب بناصبه
وهو العامل في من أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل وجمعه ضئين كأمير أو جمع
ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ
بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ من المعزى وهذه الأزواج الأربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها
في التفصيل مع تأخر أصلها في الإجمال لكون هذين النوعين عرضة للأكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على
الأمر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة وأخواتها قل تلوين
للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر تفصيل أنواع الأنعام التي أنشأها أي قل تبكيتا لهم وإظهارا لانقطاعهم
عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم أي الله عز وجل كما تزعمون أنه هو المحرم أم الأنثيين وهما النعجة
والعنز ونصب الذكرين والأنثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وإن توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى أم ما اشتملت
عليه أرحام الأنثيين أي أم ما حملت إناث النوعين حرم ذكرا كان أو أنثى وقوله تعالى نبئوني بعلم إلى آخره تكرير للإلزام وتثنية
للتبكيت والإفحام أي أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب وأخبار الأنبياء يدل على أنه تعالى حرم شيئا مما ذكر أو نبئوني ببينة
ملتبسة بعلم صادرة عنه إن كنتم صادقين أي في دعوى التحريم عليه سبحانه وتعالى ومن الإبل اثنين عطف على قوله تعالى
من الضأن اثنين أي وأنشأ من الإبل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وأنثى قل إفحاما لهم في أمر هذين النوعين أيضا
آلذكرين منهما حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من ذينك النوعين والمعنى إنكار أن الله سبحانه وتعالى حرم عليهم
شيئا من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والإناث وما في بطون الإناث للمبالغة في الرد عليهم بإيراد الإنكار
على كل مادة من مواد افترائهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت تارة أخرى مسندين ذلك كله
إلى الله سبحانه وتعالى وإنما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الأمر بالاستفهام والإنكار مع حصول التبكيت بإيراد
الأمر عقيب تفصيل الأنواع الأربعة بأن يقال قل آلذكور حرم أم الإناث أم ما اشتملت عليه أرحام الإناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة
في التبكيت والإلزام وقوله تعالى أم كنتم شهداء تكرير للإفحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار والتوبيخ
ومعنى بل الإضراب عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر أي بل أكنتم حاضرين شاهدين إذ وصاكم الله بهذا أي حين وصاكم بهذا
التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما تقودون إليه مذهبكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم
والتهكم بهم ما لا يخفى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرمه والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي بن قمعة
وهو المؤسس لهذا الشر أو الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى أي فأي فريق أظلم ممن فريق افترى الخ والمراد في الأظلمية الكل كون بعضهم

مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم وإظهار كذبهم وافترائهم أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان المحرم
محرما لا حلاله دون المنادى كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى أي افترى عليه
تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وإنما وصفوا بعدم العلم بذلك مع أنهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى إيذانا بخروجهم في
الظلم عن الحدود والنهايات فإن من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال صدوره عنه إذا كان أظلم من كل ظالم فما ظنك بمن
افترى عليه تعالى وهو يعلم أنه لم يصدر عنه ويجوز أن يكون حالا من فاعل يضل أي ليضلهم بغير علم بما يؤدي بهم إليه إن الله لا يهدي القوم الظالمين
كائنا من كان إلى ما فيه صلاح حالهم عاجلا أو آجلا وإذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في أقصى غاياته قل أمر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد إلزام المشركين وتبكيتهم وبيان أن ما يتقولونه في أمر التحريم افتراء بحت لا أصل له قطعا بأن يبين لهم ما حرمه عليهم
وفي قوله لا أجد فيما أوحي إلي محرما إيذان بأن مناط الحل والحرمة هو الوحي وأنه عليه السلام قد تتبع جميع ما أوحي إليه وتفحص عن المحرمات
ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف أي لا أجد ريثما تتبعت ما أوحي إلي طعاما محرما من المطاعم التي
حرمتموها على طاعم أي طاعم كان من ذكر أو أنثى ردا على قولهم محرم على أزواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير إلا أن يكون أي ذلك الطعام
ميتة وقرئ تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على أن كان تامة وقوله تعالى أو دما مسفوحا عطف على أن مع ما في حيزه أي إلا وجود ميتة أو دما
مسفوحا أي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد أو لحم خنزير فإنه أي الخنزير رجس أي لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث
أو فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته أهل لغير الله به صفة له موضحة أي ذبح على اسم الأصنام وإنما سمي ذلك فسقا لتوغله
في الفسق ويجوز أن يكون فسقا مفعولا له لأهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر أي أصابته الضرورة الداعية
إلى أكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فإن ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة
لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الأولى لبيان أنه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو أخذه حق مضطر آخر فإن من أخذ
لحم الميتة من يد مضطر آخر فأكله فإن حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر وأما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث
عنها قطعا فإن التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث إنه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة إيذان بأن المعصية باقية لكنه تعالى
يغفر له ويرحمه والآية محكمة لأنها تدل على أنه عليه السلام لم يجد فيما أوحي إليه إلى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا
يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء التي هي غيرها إلا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم
من الأولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر أي كل ما له أصبع من الإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن
الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعضه وإن الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه
من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فإنها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والإضافة لزيادة الربط إلا ما حملت
ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم أو الحوايا عطف على ظهورهما أي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية
أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن أو ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الألية لاختلاطه بالعظم فلا يحله
محذوف وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الأضلاع وغيرها ذلك إشارة إلى الجزاء أو التحريم فهو على الأول نصب على أنه مصدر مؤكد
لما بعده وعلى الثاني على أنه مفعول ثان له أي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق وأكلهم الربا وقد نهوا
وأكلهم أموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وكانوا كلما أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء
مما أحل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون أنها لم تزل محرمة على الأمم فرد عليهم ذلك وأكد بقوله تعالى وإنا لصادقون أي في جميع
أخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل
التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين روي أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد
بين فيها جميع ما يحذرون أوضح بيان فإن كذبوك قيل الضمير لليهود لأنهم أقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الإشراك
وقيل للمشركين والمعنى على الأول إن كذبك اليهود في الحكم المذكور وأصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم
ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا
ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فإن كذبك المشركون فيما فصل من أحكام التحليل والتحريم
فقل ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فإنه إمهال لا إهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس
شديد على المجرمين فأقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع [illegible] له على أنه لا حي بصر
البتة من غير صارف يصرفه عنهم أصلا سيقول الذين أشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم وإخبار قبل وقوعه ثم إذا وقع حسبما أخبر

يدل على عكس قوله تعالى عنه ووقوعه وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في أنه من عند الله تعالى • لو شاء الله ما أشركنا • أي لو شاء خلاف
ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الإشراك نحن • ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء • أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب القبائح بإرادة
الله تعالى إياها منهم حتى ينهض حجة مغترية لمسلك المعتزلة الأسرى في قوله تعالى • كذلك كذب الذين من قبلهم • أي مثل ما كذب هؤلاء في أنه تعالى منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب متقدمو هؤلاء الرسل فإنه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا • حتى ذاقوا بأسنا • الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم • قل هل
عندكم من علم • من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم • فتخرجوه لنا • أي فتظهروه لنا • إن تتبعون إلا الظن • أي ما تتبعون في ذلك إلا الظن الباطل
الذي لا يغني من الحق شيئا • وإن أنتم إلا تخرصون • تكذبون على الله عز وجل وفيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الإطلاق فيما تعارضه قطعي • قل
فلله الحجة البالغة • الفاء جواب شرط محذوف • أي وإذ قد ظهر أن لا حجة لكم فلله الحجة البالغة أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات أو بلغ
بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه • فلو شاء • هدايتكم جميعا • لهداكم
أجمعين • بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية البعض الصارفين اختيارهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم إلى خلافه
ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم • قل هلم شهداءكم • أي أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة
بني تميم على رأي الجمهور وهذا أظهر البعض في تعليله وأصله عند البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه
الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى
هلم إلينا • الذين يشهدون أن الله حرم هذا • وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم
وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم • فإن شهدوا
بعدما حضروا بأن الله حرم هذا • فلا تشهد معهم • أي فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فإن تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة
الباطلة • ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا • من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير
وأن من تبع الحجة لا يكون إلا مصدقا بها • والذين لا يؤمنون بالآخرة • كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في
قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم فإن من كذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس • وهم بربهم يعدلون • أي
يجعلون له عدلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن
لا على أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكلها • قل تعالوا • أمر له عليه السلام بعد ما ظهر بطلان ما ادعوا أن من إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم
ما حرموه بأمر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن إخراج شيء يتمسك به في ذلك وعن إحضار شهداء يشهدون بما ادعوا من أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى
بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذانا بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما
الأطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا أجد الآية وتعالوا أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من كان في علو لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم
كما أن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة • أتل • جواب الأمر وقوله تعالى
• ما حرم ربكم • منصوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو
على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أقل أي شيء حرم ربكم • عليكم • متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والأول أنسب بمقام الاعتناء
بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكر كونه تعالى ربا لهم ومالكا لأمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعي
إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في قوله تعالى • ألا تشركوا به • مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر
والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا للتلاوة المحرمات حسب منطوقه كون المعطوفات أيضا كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك
المعطوف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة بأضدادها وما تعلقت هي به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده
بل هو عينه عند البعض كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن الكل
لا يكون محرما دليل واضح على أن التحريم راجع إلى أضدادها على الوجه المذكور فكأنه قيل ألا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج
مخرج الأمر بالإحسان إليهما مبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به
النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر وقيل إن ناصبة ومحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية
مما حرم وقيل من عائده المحذوف على أن لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن لا تشركوا بزيادة لا والأول هو الذي
عليه التعويل لأن الأول وإن جعلها أبلغ في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى • شيئا • نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا
به شيئا من الإشراك أو شيئا من الأشياء • وبالوالدين • أي وأحسنوا بهما • إحسانا • وقد مر تحقيقه • ولا تقتلوا أولادكم • تكليف متعلق بحقوق الأولاد
عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد • من إملاق • أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا
في المتوقع وقوله تعالى • نحن نرزقكم وإياهم • استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى

لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى • ولا تقربوا الفواحش • كقوله تعالى ولا تقربوا
الزنا إنه كان فاحشة إلا أنه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى • ما ظهر منها وما بطن • أي ما يفعل
منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة
الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني إسرائيل
باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال عليه السلام في العزل ذلك الوأد الخفي وقيل
المراد بالفواحش الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه • ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله • أي حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى • إلا بالحق • استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال
من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة
أو من أعم الأسباب أي لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلوها قتلا ما إلا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد
الأمور المذكورة • ذلكم • إشارة إلى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها من بين التكاليف الشرعية
وهو مبتدأ وقوله تعالى • وصاكم به • أي أمركم به ربكم أمرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لإيجاب المحافظة على ما كلفوه
ولما كانت الأمور المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى • لعلكم تعقلون • أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها
عن مباشرة القبائح المذكورة • ولا تقربوا مال اليتيم • توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله ولإخراج القربان النافع عن حكم النهي
بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه • إلا بالتي هي أحسن • إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب
للأولياء والأوصياء لقوله تعالى • حتى يبلغ أشده • فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه
إليه كما في قوله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم والأشد جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وآصر وقيل هو مفرد
كآنك • وأوفوا الكيل والميزان بالقسط • أي بالعدل والتسوية • لا نكلف نفسا إلا وسعها • إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب
الأمر بالعدل للإيذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم • وإذا قلتم • قولا في حكومة أو نحوها • فاعدلوا
فيه • ولو كان • أي المقول له أو عليه • ذا قربى • أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا
• وبعهد الله أوفوا • أي ما عهد إليكم من الأمور المعدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا أو ما عاهدتم الله عليه من الإيمان والنذور
وتقديمه للاعتناء بشأنه • ذلكم • إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل • وصاكم به • أمركم به أمرا مؤكدا • لعلكم تذكرون •
تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار عن ابن عباس رضي الله
عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب
الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات • وأن هذا صراطي • إشارة
إلى ما ذكر من الأحكام من الأمر والنهي قاله مقاتل وقيل إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ
صراطي بفتح الياء ومعنى إضافته إلى ضميره عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل من الأوامر والنواهي
غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام أيضا وأنه عليه السلام مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى • مستقيما • حال مؤكدة
ومحل أن مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي مستقيما • فاتبعوه • كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا
وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث إن سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق إلى الاتباع
إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ أن مخففة من أن على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف
وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك • ولا تتبعوا السبل • الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات
• فتفرق بكم • بحذف إحدى التاءين والباء للتعدية أي فتفرقكم حسب تفرقها أيادي سبا فهو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه
من الدلالة على الاستصحاب أبلغ من أذهبه • عن سبيله • أي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الإسلام الذي ذكر بعض أحكامه وقيل هو اتباع
الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه عليه السلام عين سبيل الله تعالى • ذلكم • إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع
سائر السبل • وصاكم به لعلكم تتقون • اتباع سبل الكفر والضلالة • ثم آتينا موسى الكتاب • كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها
وتمهيدا لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام
كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم
معطوف على ما يدل عليه معنى أولم يهد للذين الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وأما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام
الملقن كما أجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الإخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أو للتفاوت

مطلب في بيان أول ما في التوراة

فى الوصية كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى التورية فان ايتاها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية
بها فقط • تماما • للكرامة والنعمة اى تماما لها على انه مصدر من اتم عدلت الى الزوائد • على الذى احسن • اى على من احسن القيام به كائنا من كان
ويدل عليه انه قرئ على الذين احسنوا اى تماما على المحسنين او على الذى احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على ما احسنه موسى عليه السلام اى اتقنه
من العلوم والشرائع اى زيادة على علمه على وجه التتميم • وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن دين وارضاه او اتينا موسى الكتاب تماما
اى تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب • وتفصيلا لكل شىء • وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه من الدين وهو عطف على تماما اى نصبهما اما على العلية
او على المصدرية كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى • وهدى ورحمة • وضمير لعلهم • لبنى اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء الكتاب
والبا فى قوله تعالى • بلقاء ربهم • متعلقة بقوله تعالى • يؤمنون • قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضى الله عنه كى يؤمنوا بالبعث
ويصدقوا بالثواب والعقاب • وهذا • الذى تليت عليكم اوامره ونواهيه اى القران • كتاب • عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تعالى • انزلناه • مبارك •
اى كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبران اخران لاسم الاشارة اى انزلناه مشتملا
على فنون الفوائد الدينية والدنياوية التى فصلت عليكم طائفة منها والفاء فى قوله تعالى • فاتبعوه • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب
فى نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اى الكتاب • واتقوا • مخالفته • لعلكم ترحمون • بواسطة
اتباعه والعمل بموجبه • ان تقولوا • علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل بين العامل والمعمول باجنبى هو مبارك وصفا كان او خبرا
اى انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيامة لو لم ننزله • انما انزل الكتاب • الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم • على طائفتين • كائنتين
• من قبلنا • وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذى اشتهر فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام ولاسيما الاحكام
المذكورة • وان كنا • اى وانه كنا على ان ان هى المخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله
عليهما لا ينافى عموم احكامه فلم تعملوا باحكامه العامة اى وانه كنا • عن دراستهم لغافلين • لا ندرى ما فى كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك
الاحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما فى الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة
المتناولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القران لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط • او تقولوا • عطف على تقولوا
وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا • لو انا انزل علينا الكتاب • كما انزل عليهم • لكنا اهدى منهم • الى الحق الذى هو المقصد الاقصى
او الى ما فى تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلوم كالقصص والاخبار
والخطب والاشعار ونحو ذلك طرقا ضامنا حافظين اميين • وقوله تعالى • فقد جاءكم • متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اى لا تعتذروا
بذلك فقد جاءكم واما شرط له اى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل
ما فرضتم وجاءكم • بينة • اى بينة اى حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى • من ربكم • متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اى بينة كائنة
منه تعالى وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافى كما ان فى تنوينها التفخيمى دلالة على فضلها الذاتى وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى
ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب الاتباع • وهدى ورحمة • عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمى عبر عن القران بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم
بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة • فمن اظلم • الفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان مجئ القران المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من كذب به اى واذا كان الامر كذلك فمن اظلم • ممن كذب بايات الله • ووضع الموصول
موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما فى حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم من رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بايات الله تهويلا
للامر وتنبيها على ان تكذيب اى اية كانت من ايات الله تعالى كاف فى الاظلمية فكيف بتكذيب القران المنطوى على الكل والمعنى انكار ان يكون
احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
به حتما بحكم العرف الفاشى والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا • وصدف عنها • اى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال
والاضلال • سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا • وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط
الجزاء • سوء العذاب • اى العذاب السيئ الشديد النكاية • بما كانوا يصدفون • اى بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا
تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما فى حيز الصلة له • هل ينظرون • استئناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات
والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادى فى المكابرة واقتراح ما ينافى الحكمة التشريعية من الايات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له
اصلا مبالغة فى التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اى ما ينتظرون • الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى ربك • حسبما اقترحوا بقولهم لولا
انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتى بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ونحو ذلك او الا ان تاتيهم
ملائكة العذاب او ياتى ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجئ وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقى • او ياتى بعض ايات ربك •
اى غيرهما كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الايات التى علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان

اضافة الايات فى الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه
سبحانه وتعالى اتيان كل اياته بمعنى ايات القيامة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من اتيان بعض اياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التى هى الدخان
ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار
تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الايات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم
له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبنى على تشبيه حالهم فى الاصرار على الكفر والتمادى فى العناد الى ان ياتيهم تلك الامور الهائلة التى لا بد لهم من الايمان عند
مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وان جيء بها النظم الكريم ايثارا به المبنى عن تماديهم فى تكذيب ايات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق
بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعى ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه من عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان
ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب بالسياق كما من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون واما بان يحمل على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان
كل الايات كل ايات القيامة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة
ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة ثم يجوز حمل بعض الايات فى قوله عز وعلا • يوم ياتى بعض ايات ربك • على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهى العظام
السالبة للاختيار الذى عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه فى ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب
بقوله تعالى • لا ينفع • فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند ... وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اى لا ينفع
فيه • نفسا • من النفوس • ايمانها • حينئذ لانسلاخ الحال ذلك الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى • لم تكن امنت من قبل • اى من قبل اتيان بعض الايات صفة
لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبى منه لاشتراكهما فى العامل وقوله تعالى • او كسبت فى ايمانها خيرا • او لم
الترديد على النفى المنبئ بالكناية عن احد النفيين فى عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا من ضرورة
اشتراط النفع بتحقق الامرين اى الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما وان الايمان المؤخر لغو وحصول الخير للكامل لانه هو النافع
وتحققهما شرط فى نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فان قوله لا ينفع الصورة الصادقة من لم يؤمن قبلها معناه انما ينفعه انه عنده وتوهما نفعا لا يا
وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد من الاعمال وليس فيه ما يضرونه حيث حمله على نفى الترديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط
عدم النفع بعدم الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فتحقق النفع بايهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وما قيل من ان عدم
الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره مكررا بلا فائدة على ان الموجب للخلود فى النار هو العدم الاول فلا يكون للثانى دخل
فى ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبنى على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين هو بيان ايجابهما للخلود وعدم
نفع الايمان الحادث فى انجائها عنه وليس كذلك والا لكفى فى البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصد الاصلى بيان عدم نفع
ان الايمان الحادث عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيهما اعنى الايمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب
فى تحصيلهما فى ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل فى ايجاب الخلود فى النار فيلغو عند ذكر الثانى كذلك وجوده مستقل فى ايجاب
الخلاص عنهما فيكون ذكر الثانى لغوا لما انه قياس مع الفارق وكيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص عنهما مع دخول الجنة فله مراتب
بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وان لم يقتصر على بيان ما يترتب عليه اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل للايمان
بوجه اصلا اعنى الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الاكمل ايضا ارشادا الى تحرى الاكمل وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم
الفارغة من اعمال البر التى عملوها فى الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم
ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان
الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة وذلك ان تعلق المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة فى تمردهم
وتفريطهم فى كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما فى قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف
عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع فى حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الاية هذا وقد
على ان الاية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديرى اى لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى
الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديرى ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام وقد ترك ذكره
تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما مر فى تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوى ذكر
الفصل ذكره حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعنى قوله تعالى فاما الذين امنوا الاية ولا ريب فى ان ما قدر ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى
او كسبت فى ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما اوعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الايات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك
على ان ذلك مشعر بان الخير بعد ما اصابهم من الدواهى ما اصابهم يتاتى منهم بناء على السلامة وزمانا يتاتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بفخامة المخطب

وتقطيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اقربها اقصاها اسقاط الاية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون العربية الدالة
على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد والوعيد فالتنبيه والتي لما تقرر من ان الظني لا يعول عليه في معارضة القطعي • قل لهم
تهديدا ببيان حقيقة الحال على وجه التهديد • انتظروا • ما تنتظرونه من اتيان احد الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون • انا منتظرون • لذلك
لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأكيد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيانه تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة
ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما يحيق بهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم
• ان الذين فرقوا دينهم • استئناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا
اي باينوا فان ترك بعضه وان كان بالاخذ ببعض اخر منه ترك للكل ومفارقة له • وكانوا شيعا • اي فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي
على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما
بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى • لست منهم في شيء • لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمعاقبتهم
بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا
باية السيف وقوله تعالى • انما امرهم الى الله • تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم واخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة
يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمركم بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مامور بمؤاخذتهم
والاعتداد بان معنى لست منهم في شيء حينئذ انت بريء منهم ومن مذهبهم وهو بريء منك يأباه التعليل المذكور • ثم ينبئهم • اي يوم القيامة • بما
كانوا يفعلون • عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن
سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى
• من جاء بالحسنة فله عشر امثالها • استئناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر المخذولين
اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اي من جاء يوم القيامة بالاعمال الحسنة من
المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد على
وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص • ومن جاء بالسيئة • اي
بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين • فلا يجزى الا مثلها • بحكم الوعد واحدة بواحدة • وهم لا يظلمون • بنقص الثواب وزيادة العقاب
• قل انني هداني ربي • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية
وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي هداني
ربي بالوحي وبما نصب في الافاق والانفس من الايات التكوينية • الى صراط مستقيم • موصل الى الحق وقوله تعالى • دينا • بدل من
محل الى صراط فانه في حكم النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور • قيما • مصدر نعت به مبالغة والقياس
قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار
الصيغة • ملة ابراهيم • عطف بيان لدينا • حنيفا • حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى • وما كان من المشركين •
اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفترون لدينه من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون
انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله • قل ان صلاتي ونسكي •
اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى فصل لربك
وانحر وقيل صلاتي وحجي • ومحياي ومماتي • اي وما انا عليه في حياتي وما اكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات
المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف • لله رب العالمين • لا شريك له • خالصة له لا اشرك فيها غيره •
• وبذلك • اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص • امرت • لا بشيء غيره وقوله تعالى
• وانا اول المسلمين • لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به ويقتدي به عليه السلام من اسلم منهم • قل اغير الله ابغي ربا • اي فاشركه
في العبادة • وهو رب كل شيء • جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية • ولا
تكسب كل نفس الا عليها • كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم
القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها
على شخص اخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى • ولا تزر وازرة وزر اخرى • رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى
حتى يصح قولكم • ثم الى ربكم مرجعكم • يوم القيامة وفيه تلوين الخطاب وتوجيه له الى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيامة

• فينبئكم • يومئذ • بما كنتم فيه تختلفون • ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل • وهو الذي جعلكم خلائف الارض • حيث خلفتم الامم السالفة او
خلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام • ورفع بعضكم • في الشرف والغنى • فوق بعض درجات •
كثيرة متفاوتة • ليبلوكم فيما اتاكم • من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون • من الشكر وضده • ان ربك • تجريد الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام • سريع العقاب • اي عقابه سريع الاتيان لمن لم
يراع حقوق ما اتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل ات قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والالات • وانه لغفور رحيم •
لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من
هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم • عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له
اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة • وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة الأعراف مائتان وست آية مكية

• المص • اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى لا سورة وانما صحت الاشارة اليه
مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل • كتاب • على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ
عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مرادا به السورة كتاب الخ او اسم اشارة اشير به الى السورة لتنزيل حضور المؤلف منه منزلة حضوره نفسه
المؤلف اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر على رأي من يجوز كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا
من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع
حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها • انزل اليك • اي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول
جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر ... كما في قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك
من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل • فلا يكن في صدرك حرج •
اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه
وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها اياه عليه السلام رأسا
قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي تعلقا بطريقة التهييج والالهاب والمبالغة في التنفير والتحذير ما يقع من ذلك من الترغيب والتربية حيث ينهى عنه من لا يكاد
يصدر عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى • منه • متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة
له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك ما في حقيته او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول للترتيب النهي والانتهاء على مضمون الجملة فانه مما
يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثاني فهو للترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج مع
ان المراد نهيه عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي عنه عن المنهي
واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهي عن السبب بالطريق البرهاني ونفي له من اصله بالمرة كما في
قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وليس هذا من قبيل لا اريتك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المال نهيه عليه السلام عن
تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلام كان
يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على
الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى • لتنذر به • اي بالكتاب المنزل
متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحملا على ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء
الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا بناء
على التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار مع ايهام لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهي عنه محذور لذاته بل لافضائه الى
فوات الانذار والتذكير لا الى فوات الايمان مع ان ذلك معطوف ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فاما ما في التعليل بالانذار الا بذكر المؤمنين اذ ليس
فيه شائبة تحقق يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى • وذكرى للمؤمنين • في حيز النصب باضمار فعله معطوفا على لتنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيرا او الجر عطفا على محل ان تنذر
اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع نعتا على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر

الوسيلة وتعكير والايعاد ارتكانه ام عقيب المقام ● اتبعوا ما انزل اليكم ● كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله
عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله عليه السلام اثر ذكر ما يعمه من الانذار والتذكير لتأكيد وجوب
اتباعه وقوله تعالى ● من ربكم ● متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع
الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما انزل عاما للسنة القولية والفعلية بعيد لعدم
عمومها اياه بطريق الدلالة ولا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر به بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ● ولا
تتبعوا من دونه ● اي من دون ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق وهو في محل النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى ● اولياء ●
من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من
اولياء فقدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي لا تتبعوا من دون
ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى
● قليلا ما تذكرون ● بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة
الغيبة وقليلا نصب بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا
قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما في قوله
تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال
بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه
اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه
بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين ● وكم من قرية اهلكناها ● شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى
واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والجملة بعدها خبرها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها
راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باضمار فعل يفسره اهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما
في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها ● فجاءها ● اي فجاء اهلها ● باسنا ● اي عذابنا ● بياتا ● مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال
اي بائتين كقوم لوط ● او هم قائلون ● عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا
لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالين بالعذاب لما ان نزول المكروه
عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر وادع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين
بمعزل منهما لاشعار القيلولة للايذان بمجيئه على غفلتهم وامنهم ● فما كان دعواهم ● اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم
● اذ جاءهم باسنا ● عذابنا وعاينوا اماراته ● الا ان قالوا ● جميعا ● انا كنا ظالمين ● اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه
تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة ● فلنسألن الذين ارسل اليهم ● بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي
خلا انه قد تعرض لبيان مبادئ احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي
لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ● ولنسألن المرسلين ● عما اجيبوا كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب
● فلنقصن عليهم ● اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه ● بعلم ● اي عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلومنا منهم ● وما كنا غائبين ● عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من افعالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها ● والوزن ● اي وزن الاعمال
والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها وهو مبتدا وقوله تعالى ● يومئذ ● خبره وقوله تعالى ● الحق ● صفته اي والوزن الحق ثابت يوم
يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور
على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم
وتشهد بها عليهم جوارحهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان
فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة
وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء
السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف
بطريق الكناية قالوا الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها به لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير
بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور ●

بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة
بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة
انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان انتقل ان المكلف يوم
القيامة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ رجحان بعض الاعمال على بعض
لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ
وتظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها
ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية
المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم ● فمن ثقلت موازينه ● تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان
او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته
او اعماله التي لها وزن وقدر وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف ● فاولئك ● اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف ● هم المفلحون ● الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر
والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين
بلغك انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ● ومن خفت موازينه ● اي موازين اعماله او اعماله التي لا وزن
لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة ● فاولئك ● اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر انفا في نظيره
وهو مبتدا خبره ● الذين خسروا انفسهم ● اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تعالى ● بما كانوا باياتنا
يظلمون ● متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب وتقديمه عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين ● ولقد
مكناكم في الارض ● لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد
في الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم
على التصرف فيها ● وجعلنا لكم فيها معايش ● جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما او ما يتوصل به الى ذلك والوجه في قراءته
اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اي انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا
تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التأخر
عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع
تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم والمسارعة
الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول وفيها والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف
الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالى ● قليلا ما تشكرون ●
اي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ● ولقد خلقناكم
ثم صورناكم ● تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين
في الارض اما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب
الوقوعي ربما تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما واما لانتساب
الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز
الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لا لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من
الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته كانهم الذي تعلق به خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا
غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم ساريا اليكم جميعا ● ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ● صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته
ونفخ الروح فيه امرا منجزا غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله
تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا
تقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك لاظهار فضل آدم عليه السلام حسبما نطق به

وقوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نطق به الامر المعلق من التسوية
ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته
به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة فى الكلام العزيز فلعله قد القى الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع
ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا انى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وتبين
لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة
بان قيل اثر نفخ الروح انى جاعل هذا خليفة فى الارض فهنالك ذكروا فى حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا
منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكى بعض الامور المذكورة فى بعض المواطن
وبعضها فى بعضها اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى موطن آخر والذى يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان ما فى سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك
للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب فى ان المراد
بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم فى شان الخلافة من التقاول الذى
من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور فى تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر
المعلق وما تعلق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى
بعده من الاقوال والافعال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت انه احد المختصمين
علم انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم • فسجدوا • اى الملائكة عليهم
السلام بعد الامر من غير ريث • الا ابليس • استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه
فى سجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر فى سورة البقرة وقوله تعالى • لم يكن من
الساجدين • اى ممن سجد لآدم كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدمه قد يكون للتامل ثم يقع
السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن من الساجدين • قال • استئناف مسوق
للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير
السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هى الاشعار بعدم تعلق المحكى بالمخاطبين كما فى حكاية الخلق والتصوير • ما منعك ان لا تسجد •
اى ان تسجد كما وقع فى سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذى دخلت عليه كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان
الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد • اذ امرتك • فيه دلالة على
ان مطلق الامر للوجوب والفور وفى سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى
واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج فى معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام
فى سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن على
ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر فى موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية فى التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ
راسا فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه • قال • استئناف كما سبق مبنى على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ
كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال • انا خير منه • متجانفا عن طريق الجواب على السؤال بان يقول منعنى كذا مدعيا لنفسه
بطريق الاستئناف شيئا بين الاستلزام للمنع من السجود على زعمه ومشعرا بان من شانه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر
به كما يفيده ما فى سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن
والقبح العقليين وقوله تعالى • خلقتنى من نار وخلقته من طين • تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما
من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة على وجه
الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده
عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة فى الارض وان له خواص ليست لغيره وفى الآية دليل على الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب • قال • استئناف
كما سلف والفاء فى قوله تعالى • فاهبط منها • لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اى
فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضى الله عنه كانوا فى عدن لا فى جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة
المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واى هبوط وفى سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته
لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب

الجنة كما روى عن الحسن البصرى وقوله تعالى • فما يكون لك • اى فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك • ان تتكبر فيها • اى فى الجنة وفى
زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر
وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى • فاخرج • تاكيد للامر بالهبوط
متفرع على علته وقوله تعالى • انك من الصاغرين • تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اى من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه
لتكبرك وعن عمر رضى الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض • قال • استئناف
كما مر مبنى على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعدما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال • انظرنى • اى امهلنى ولا تمتنى • الى يوم
يبعثون • اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو
من الموت لاستحالته بعد البعث • قال • استئناف كما سلف • انك من المنظرين • وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله
الآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم فى ذلك صريح فى انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره
كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية
الى وقت فناء الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤول وقد ترك التوقيت للاختصار ثقة بما وقع
فى سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرنى الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفى انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب فى ان الكلام المحكى لعين ما صدر عن المتكلم
حالة مخصوصة تقتضى وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه
اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا تعرف ما فيه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار
على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الجزاء مقابلة الكرم كما هو المتبادر من قوله رب فانظرنى حسبما حكى عنه فى السورتين فما حكى
هاهنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة
وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد
طبق الكلام عليه فى تينك السورتين ووفى كل واحد من مقامى الحكاية والمحكى حقه واما هاهنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار
بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت فاذن لا يكون
ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذى يجب اعتباره فى نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذى يفيده
واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح فى اصل الكلام تجريده منها بل قد يراعى
عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة فى القرآن
الكريم انما حكيت بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان
المحكى كلاما واقتعد مطابقته لمقتضى الحال فتساوى العقلة عما يجب توفر مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام
وقوع المحكى فان كان مقتضاه مخالفا لمقتضى مقام الحكاية روعى كل واحد من المقامين حقه كما فى سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية
فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التى وقع عليها روعى حق المقامين معا واما فى هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى
مقام الحكاية الايجاز روعى جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه من التاكيد وسائر
الخواص والمزايا التى يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ وتجريده
عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب فى الفهم وبذلك يرتقى كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق فى مقامه فاذا وجب مراعاة مقام
الحكاية مع اقتضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا المرة فالظن بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقى بها الى رتبة
الاعجاز لا سيما اذا وفى حق مقام وقوع المحكى فى السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به • قال • استئناف كما سلف
• فبما اغويتنى • الباء للقسم كما فى قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغوائه اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى
فالاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما
مصدرية اى فاقسم باغوائك اياى • لاقعدن لهم • او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما فى الوجه
الاول فان اللام تصده عن ذلك اى فبسبب اغوائك اياى لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة
• صراطك المستقيم • الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما فى قوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن • ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم •

اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثّل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع
ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم
وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر
لهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما
متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين
اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبدا الشر ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
عليهم السلام قال استئناف كما سلف مرارا اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة مذؤما اي مذموما من ذامه
اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه
لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاخرج
ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه
على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به اسكن انت وزوجك الجنة
هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف
عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جامعا
مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما ولم يذكر رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما
في مباشرة المامور به فان حوا اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على
الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة
والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد مر بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او الغرض على انه اراد
بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوءاتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو
المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو والمضمومة بقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين اي
الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على افضلية الملائكة لما ان من المعلوم ان
الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة
على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة المبالغة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل
قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك
من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا
او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما اي فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان
طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب وانبرى اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق
الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما
ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او مقول لقول محذوف اي وقال
او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة وما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اي
الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على
ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول هنا وقد حكي في سورة طه بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك
الاية روي انه تعالى قال لادم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى
الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض
للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة

مع اجتنابه الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين في الاستعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال
استئناف كما مر مرارا اهبطوا خطاب لادم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلموا انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا
كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل
اهبطوا اي متعادين ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم
قال اعيد الاستئناف اما للايذان ببعد ما بينه وبين ما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ومن
يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى قال ااسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء
بمضمون ما بعده من قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوءاتكم التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم
حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عريانا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها
فنزلت ولعل ذكر قصة آدم عليه السلام للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم
وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اي تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى
اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس
التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته
لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم
بهذا العنوان مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة
نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم ويجوز ان يكون النعت لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان
متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته
استئناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة
الظرف اليه ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جعل قبيله من جملته
اولياء للذين لا يؤمنون اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة اولياء وسلطناهم عليهم ومكناهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء وقرناء
مسلطين عليهم والجملة تعليل اخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب ويجوز عطفها
على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة
الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جواب للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الاباء
والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولابائهم فحينئذ
يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث
على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم
فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به
والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم
صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه
اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسند امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط
العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى
غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها
حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان مصيركم اليه بالاخرة كما بداكم اي انشاكم ابتداء
تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب
تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا
حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل

فريقا ٭ انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ٭ تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ٭ ويحسبون انهم مهتدون ٭ فيه دلالة على ان الكافر
المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر ٭ يا بنى آدم خذوا زينتكم ٭ اى ثيابكم لمواراة عورتكم ٭ عند كل مسجد ٭
اى لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة ٭ وكلوا واشربوا ٭ ما طاب
لكم روى ان بنى عامر كانوا فى ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ٭ ولا تسرفوا ٭ ب
تحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بالافراط فى الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا ٭ انه لا يحب المسرفين ٭ اى لا يرتضى فعلهم ٭ قل من
حرم زينة الله ٭ من الثياب وسائر ما يتجمل به ٭ التى اخرج لعباده ٭ من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع ٭
والطيبات من الرزق ٭ اى المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان
الاستفهام فى من انكارى ٭ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ٭ بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع ٭ خالصة يوم القيامة ٭ لا يشاركهم
فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر ٭ كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ٭ اى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام
لقوم يعلمون ما فى تضاعيفها من المعانى الرائقة ٭ قل انما حرم ربى الفواحش ٭ ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ٭ ما ظهر
منها وما بطن ٭ بدل من الفواحش اى جهرها وسرها ٭ والاثم ٭ اى ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر ٭ والبغى ٭ اى الظلم او الكبر
افرده بالذكر للمبالغة فى الزجر عنه ٭ بغير الحق ٭ متعلق بالبغى مؤكد له معنى ٭ وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ٭ تهكم بالمشركين وتنبيه على
تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان ٭ وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ٭ بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قوله
عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه ما لا يعلمون عدمه ووقوعه فقد عرفت ٭ ولكل امة ٭ من الامم المهلكة ٭ اجل ٭ حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم ٭ فاذا
جاء اجلهم ٭ انقضى الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضاف اليه لافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها
بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما لعيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء آجالهم ثم آجال العصريان حتى كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل
لكل امة خاصة كان هو الظاهر فالاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لاضافة الكل للتغير اى اذا جاءها اجلها الخاص بها ٭ لا
عن ذلك الاجل ٭ ساعة ٭ اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ٭ ولا يستقدمون ٭ اى لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه
فى نفسه كالتأخر للمبالغة فى انتفاء التأخر بنظمه فى سلك المستحيل عقلا كما فى قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم فى عدم القبول فى سلك من سوفها
الى حضور الموت ايذانا بتساوى وجود التوبة وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجىء الدنو بحيث يمكن التقدم فى الجملة كمجىء اليوم الذى ضرب لهلاكهم ساعة
وليس فيه ذلك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار لما ان المقصود بالذات تهديدا بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما فى قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها
وما يستأخرون من سبق السبق فى الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما يعرب عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق ٭ يا بنى آدم ٭ تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشأن ما فى
حيزه ٭ اما يأتينكم ٭ هى ان الشرطية ضمت اليها ما التأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان
ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا ٭ رسل منكم ٭ الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اى كائنون من جنسكم وقوله تعالى ٭ يقصون عليكم
آياتى ٭ صفة اخرى لرسل اى يبينون لكم احكامى وشرائعى وقوله تعالى ٭ فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٭ جملة شرطية وقعت جوابا للشرط
الشرط اى فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى ٭ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ٭
اى والذين كذبوا منكم بآياتنا وايراد الاتقاء فى الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال
الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد ٭ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ٭ اى تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب
ما قاله اى هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا ٭ اولئك ٭ اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما
فيه من معنى البعد للايذان بما ديهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ٭ ينالهم نصيبهم من الكتاب ٭
اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه وايا ما كان فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم
لا ينافى من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضى الله عنه كتب لمن يفترى على الله سواد الوجه قال
تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى ٭ حتى اذا جاءتهم رسلنا ٭ اى ملك الموت واعوانه ٭ يتوفونهم ٭
اى حال كونهم متوفين لارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون
به الى حين وفاتهم اى ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان يأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم ٭ قالوا لهم ٭ اين ما كنتم تدعون من دون الله ٭ اى اين الالهة

التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وقعت موصولة باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة ٭ قالوا ٭ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ٭ ضلوا عنا ٭ اى غابوا عنا لا ندرى مكانهم ٭ وشهدوا على انفسهم ٭ عطف على قالوا اى اعترفوا
على انفسهم ٭ انهم كانوا ٭ اى فى الدنيا ٭ كافرين ٭ عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وحال انفسهم ولعله اريد بوقت مجىء الرسل وحال التوفى
الزمان الممتد من ابتداء المجىء والتوفى الى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق المجىء والتوفى فى كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما فى اوله فقط
او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا
فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة ٭ قال ٭
اى الله عز وجل يوم القيامة بالذات او بواسطة الملك ٭ ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم ٭ اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم ٭ من الجن والانس ٭
يعنى كفار الامم الماضية من النوعين ٭ فى النار ٭ متعلق بقوله ادخلوا ٭ كلما دخلت امة ٭ من الامم السابقة واللاحقة فيها ٭ لعنت اختها ٭ التى
ضلت بالاقتداء بها ٭ حتى اذا اداركوا فيها جميعا ٭ اى تداركوا وتلاحقوا فى النار ٭ قالت اخراهم ٭ دخولا او منزلة وهم الاتباع ٭ لاولاهم ٭ اى
لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ٭ ربنا هؤلاء اضلونا ٭ سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم ٭ فآتهم عذابا ضعفا ٭ اى مضاعفا ٭ من النار ٭
لانهم ضلوا واضلوا ٭ قال لكل ضعف ٭ اما القادة فبما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ٭ ولكن لا تعلمون ٭ اى ما لكم
وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ٭ وقالت اولاهم ٭ اى مخاطبين ٭ لاخراهم ٭ حين سمعوا جواب الله تعالى لهم ٭ فما كان لكم علينا من فضل ٭
اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب ٭ فذوقوا العذاب ٭ اى العذاب المعهود المضاعف
٭ بما كنتم تكسبون ٭ من قول القادة ٭ ان الذين كذبوا بآياتنا ٭ مع وضوحها ٭ واستكبروا عنها ٭ اى عن الايمان بها والعمل بمقتضاها
٭ لا تفتح لهم ابواب السماء ٭ اى لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم ولا تعرج اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء فى تفتح
لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتحتانية والبناء على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء
على انه لله تعالى ٭ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ٭ اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وفى كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج فى سم الابرة مبالغة فى الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل
كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ فى سم المخيط وهو الخياط اى ما يخاط به كالحزام والحزم ٭ وكذلك ٭
اى مثل ذلك الجزاء الفظيع ٭ نجزى المجرمين ٭ اى جنس المجرمين وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا ٭ لهم من جهنم مهاد ٭ اى فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم
٭ ومن فوقهم غواش ٭ اى اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما فى قوله تعالى
وله الجوار المنشآت ٭ وكذلك ٭ ومثل ذلك الجزاء الشديد ٭ نجزى الظالمين ٭ عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم
الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم
الجرائم والجرائر ٭ والذين آمنوا ٭ اى بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى ٭ وعملوا الصالحات ٭
اى الاعمال الصالحة التى شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها ٭ لا نكلف نفسا الا وسعها ٭ اعتراض وسط بين المبتدأ الذى هو الموصول والخبر
الذى هو جملة ٭ اولئك اصحاب الجنة ٭ للترغيب فى اكتساب ما يؤدى الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسير تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم
الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذى هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف ٭ هم فيها خالدون ٭ حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها
والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر لاولئك على رأى من جوزه وفيها متعلق بخالدون ٭ ونزعنا ما فى صدورهم من غل ٭ اى نخرج
من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضى للايذان بتحققه وتقرره وعن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ٭ تجرى من تحتهم الانهار ٭ زيادة لما فى لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير فى صدورهم والعامل اما معنى
الاضافة واما العامل فى المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هى مستأنفة للاخبار عن صفة احوالهم ٭ وقالوا الحمد لله الذى
هدانا لهذا ٭ اى لما جزاؤه هذا ٭ وما كنا لنهتدى ٭ اى لهذا المطلب الاعلى او لطلب من المطالب التى هذا من جملتها ٭ لولا ان هدانا الله ٭
ووفقنا له واللام لتأكيد النفى وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدى وهدانا الثانى محذوف لظهور المراد او لارادة
التعميم كما اشير اليه والجملة مستأنفة وحالية وقرئ ما كنا لنهتدى الخ بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى ٭ لقد جاءت رسل ربنا ٭
جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه واعجابا بانهم ما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء فى قوله تعالى ٭ بالحق ٭ اما للتعدية
فهى متعلقة بجاءت او للملابسة فهى متعلقة بمحذوف وقع حالا من الرسل اى والله لقد جاؤا بالحق او لقد جاؤا ملتبسين بالحق ٭ ونودوا ٭ اى
نادتهم الملائكة عليهم السلام ٭ ان تلكم الجنة ٭ اى مفسرة لما فى النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشأن محذوف ومعنى البعد فى
اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفعة شأنها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التى وعدوها فى الدنيا

او ورثتموها بما كنتم تعملون • في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم ومقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى
الاشارة او على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر والجملة صفة والخبر اورثتموها • ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار • تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسرا
لهم لا لتجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم • ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا • حيث نلنا هذا المنال الجليل • فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا •
حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم • قالوا نعم • اي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي
لغة فيه • فاذن مؤذن • قيل هو صاحب الصور • بينهم • اي بين الفريقين • ان لعنة الله على الظالمين • بان المخففة او المفسرة وقرئ بان
المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال • الذين يصدون عن سبيل الله • صفة مقررة للظالمين او
رفع على الذم او نصب عليه • ويبغونها عوجا • اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهي ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني
والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط • وهم بالآخرة كافرون • غير معترفين • وبينهما حجاب • اي بين الفريقين
كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى • وعلى الاعراف • اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره • رجال • طائفة من الموحدين قصروا
في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او الاخيار والعلماء من المؤمنين
او ملائكة يرون في صورة الرجال • يعرفون كلا • من اهل الجنة واهل النار • بسيماهم • بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى
من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة • ونادوا • اي رجال الاعراف
اصحاب الجنة • حين راوهم • ان سلام عليكم • بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره • لم يدخلوها • حال من فاعل نادوا او
من مفعوله وقوله تعالى • وهم يطمعون • حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها
وهم في وقت عدم الدخول طامعون • واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار • اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير
عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه • قالوا • متعوذين بالله تعالى من سوء
حالهم • ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين • اي في النار ووصفهم بالظلم دون ما هم عليه من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب
للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم • ونادى اصحاب الاعراف • كرر ذكرهم مع كفاية
الاضمار لزيادة التقرير • رجالا • من رؤساء الكفرة حين راوهم فيما بين اصحاب النار • يعرفونهم بسيماهم • الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى ما هم
في الدنيا • قالوا • بدل من نادى • ما اغنى عنكم • اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية • جمعكم • اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال • وما كنتم
تستكبرون • ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من
الكثرة اي من الاموال والجنود • اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة • من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة
يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
• ادخلوا الجنة • تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم • لا خوف عليكم • بعد هذا • ولا انتم
تحزنون • او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر
ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما يتفرع عليه من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا
اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الآية وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم • ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة • بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمانت به
الدار • ان افيضوا علينا من الماء • اي صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار • او مما رزقكم الله • من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة
على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة • قالوا • استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا • ان الله حرمهما على الكافرين • اي منعهما منهم منعا كليا
فلا سبيل الى ذلك قطعا • الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا • كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن
ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب • وغرتهم الحياة الدنيا • بزخارفها العاجلة • فاليوم ننساهم • نفعل بهم ما يفعل
الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى • كما نسوا لقاء يومهم هذا • في محل النصب
على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى • وما كانوا
بآياتنا يجحدون • عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا • ولقد جئناهم بكتاب فصلناه •
اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن العظيم
• على علم • حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين

بينا • هدى ورحمة • حال من المفعول • لقوم يؤمنون • لانهم المغتنمون بآثاره المقتبسون من انواره • هل ينظرون الا تأويله • اي ما ينتظر
هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد • يوم يأتي تأويله • وهو يوم القيامة • يقول
الذين نسوه من قبل • اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله • قد جاءت رسل ربنا بالحق • اي قد تبين انهم قد جاؤوا بالحق • فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا • اليوم ويدفعوا عنا العذاب • او نرد • اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول
المسؤول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد • فنعمل •
بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل • غير الذي كنا نعمل • اي في الدنيا • قد خسروا انفسهم • بصرف اعمارهم التي
هي راس مالهم الى الكفر والمعاصي • وضل عنهم ما كانوا يفترون • اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم
يوم القيامة • ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام • شروع في بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة
اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان
المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن هي حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور • ثم استوى على العرش • اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى
بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه
وللتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك • يغشي الليل النهار • اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان
اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار • يطلبه حثيثا • اي يعقبه سريعا كالطالب
له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول اي محثوثا • والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره • اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر • الا له الخلق والامر • فانه الموجد للكل والمتصرف
فيه على الاطلاق • تبارك الله رب العالمين • اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله اعلم
ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية
فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي
ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما نص عليه في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك
عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير
ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال • ادعوا ربكم • الذي قد عرفتم شؤونه
الجليلة • تضرعا وخفية • اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص • انه لا يحب المعتدين • اي المجاوزين لما امروا به
في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح
في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا في الارض • بالكفر والمعاصي • بعد اصلاحها • ببعث
الانبياء وشرع الاحكام • وادعوه خوفا وطمعا • اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله
واحسانه • ان رحمة الله قريب من المحسنين • في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لتشبيهه بفعيل
الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه
كما ان المضاف يكتسي التانيث من المضاف اليه • وهو الذي يرسل الرياح • عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح • بشرا • تخفيف بشر جمع بشير
اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او مفعول
مطلق فان الارسال والنشر متقاربان • بين يدي رحمته • قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه • حتى اذا اقلت • اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله • سحابا ثقالا • بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب
• سقناه • اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ • لبلد ميت • اي لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت • فانزلنا به الماء •
اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك قوله تعالى • فاخرجنا به • ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء
وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فللسببية • من كل الثمرات • اي من كل انواعها
• كذلك نخرج الموتى • الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع

النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس • لعلكم تذكرون • بطرح
احدى التائين اى تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة • والبلد الطيب • اى الارض الكريمة التربة • يخرج نباته باذن
ربه • بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة قوله • والذى خبث • من البلاد كالسبخة والحرة • لا يخرج
الا نكدا • قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار
مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اى لا يخرج البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف • كذلك •
اى مثل ذلك التصريف البديع • نصرف الآيات • اى نرددها ونكررها • لقوم يشكرون • نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال
الرسل عليهم السلام بالشرائع التى هى ماء حياة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب
ذلك بما حققه وقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل • لقد ارسلنا نوحا الى قومه • وهو جواب قسم محذوف اى والله لقد ارسلنا
الخ واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذى هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح
هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبى عليهما السلام قال ابن عباس رضى الله عنه بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو
قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة
وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة • فقال يا قوم اعبدوا الله • اى اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة
واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شىء وقوله تعالى • ما لكم من اله غيره • اى من مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة
المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء
وحكمه حكم الاسم الواقع بعد الا اى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا وغير زيد ومن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبر محذوف
ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غير الله • انى اخاف عليكم • ان لم تعبدوه حسبما امرت به • عذاب يوم عظيم •
هو يوم القيامة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعى اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم
ما يقع فيه وتكميل الانذار • قال الملأ من قومه • استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام فى مقابلة نصحه فقيل قال الملأ اى الاشراف
من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم • انا لنراك فى ضلال مبين • اى
ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف • مبين • بين كونه ضلالا • قال • استيناف كما سبق • يا قوم •
ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم • ليس بى ضلالة • اى شىء ما من الضلال قصد عليه السلام عقيب الحق فى نفى الضلال عن نفسه ردا على
الكفرة حيث بالغوا فى اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا فى الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى • ولكنى رسول من رب العالمين •
استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه فى اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بى شىء
من الضلالة ولكنى فى الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن من رب العالمين • ابلغكم رسالات ربى • استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها
واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذى سمتنى امى حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
او لان المراد بها ما اوحى اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار
بعلة الحكم التى هى تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته • وانصح لكم • عطف
على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدى النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا وقوله تعالى • واعلم من الله ما لا تعلمون •
وتقرير لرسالته عليه السلام اى اعلم من جهة الله تعالى بالوحى ما لا تعلمونه من الامور الآتية واعلم من قدرته عز وجل وشدة بطشه القاهرة
على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين امنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه
السلام بالوحى • اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم • جواب ورد لما اكتفوا من ذكره بقولهم انا لنراك فى ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا
وقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اى وحى او موعظة
من مالك اموركم ومربيكم • على رجل منكم • اى على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وذلك لاجل ذلك ما قالوا من ان لو شاء الله
لانزل ملائكة • لينذركم • علة للمجىء اى ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصى • ولتتقوا • عطف على العلة الاولى مترتبة عليها
عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اى ولتتقوا بسبب الانذار وفائدة حرف الترجى التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة • ولعلكم ترحمون •
الذى هى منوطة بفضل الله تعالى وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله عز وجل • فكذبوه • فتمادوا على تكذيبه فى دعوى النبوة وما نزل

عليه من الوحى الذى بلغه اليهم وانذرهم بما فى تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعدما كرر عليه السلام الدعوة مرارا فلم يزدهم
دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات اذ هو الذى يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب • فانجيناه والذين معه •
من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى • فى الفلك • متعلق بالاستقرار فى
الظرف اى استقروا معه فى الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اى انجيناهم من الطوفان فى السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره
فى الظرف • واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا • اى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن
اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التى هى مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر اثره
بمقتضى جرائمهم • انهم كانوا قوما عمين • عمى القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضى الله عنه عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ
عامين والاول ادل على الثبات والقرار • والى عاد • متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا فى قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى • اخاهم • اى وارسلنا
الى عاد اخاهم اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول
هو الاولى والماكان فتعديته فلعل تقديم المجرور هنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقد مر ان ذلك ما اسبقان من قوله تعالى ولوطا الخ
فان قومه لما لم يعهد وا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم كما فى قصة عاد وثمود ومدين خولف فى النظم الكريم بين قصته عليه
السلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى • هودا • عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه
السلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله فى صدقه وامانته واقرب الى اتباعه
• قال • استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فاذا قال لهم فقيل قال • يا قوم اعبدوا الله • اى وحده كما يعرب
عنه قوله • ما لكم من اله غيره • فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا
به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه • افلا تتقون • انكار واستبعاد لعدم اتقائهم
عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اتغفلون او اتعقلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين
معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفى سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية
كل منهما فى موطن عن حكايته فى موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر
من اجزاء القصة بل حال نظائرها فى سائر القصص لا سيما فى المحاورات الجارية فى الاوقات المتعددة والله اعلم • قال الملأ الذين كفروا من قومه •
استيناف كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن له عليه السلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد
وقيل وصفوا به لمجرد الذم • انا لنراك فى سفاهة • اى متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
• وانا لنظنك من الكاذبين • اى فيما ادعيت من الرسالة قالوه لغراقتهم فى التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح • قال • مستعطفا لهم ومستميلا
لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء • يا قوم ليس بى سفاهة • اى شىء منها ولا شائبة من
شوائبها • ولكنى رسول من رب العالمين • استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه فى الغاية القصوى من الرشد
والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بى شىء مما تنسبوننى اليه ولكنى فى غاية
ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفى الكذب اكتفاء بما فى حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة
لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى • ابلغكم رسالات ربى • استيناف سيق لتقرير رسالته
وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام فى اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا فى جمع الرسالات
كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ • وانا لكم ناصح امين • معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس
بذلك والاتيان بالجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار • اوعجبتم • ايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب
ان جاءكم ذكر من ربكم • الكلام فيه كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام • على رجل منكم • اى من جنسكم • لينذركم • وعاقبة ما انتم
عليه من الكفر والمعاصى حتى تنسبوننى الى السفاهة والكذب وفى اجابة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من ينسبهم بما اجابوا به من
امثال تلك الاباطيل بما حكى عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى
من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه • واذكروا اذ جعلكم خلفاء • شروع فى بيان احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا
على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها
لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت المشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة
عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا فى امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء • من بعد قوم نوح • اى فى مساكنهم
او فى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان • وزادكم فى الخلق • اى فى الابداع والتصوير او فى الناس

بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين
ذراعا فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون
كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده
اي لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه ونشأوا عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد والتصدي مجازا
كما يقال ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من
الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به قال قد وقع عليكم اي وجب وحق او نزل على ان
هذا المتوقع كالواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء متقدم على
منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول
بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب ربما يخل تقديمهما بتجاوب اطراف النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام
وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام
داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اشياء سميتموها آلهة ليس فيها من الالهية الا اسماؤها من غير ان يكون فيها من مصداقها
الالهية شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل
وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع
عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا الخ اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى
فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف
هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم بالكلية
ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك
ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك لتعجيل المسرة وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى والتصديق بآياته كما ان مدار البوار
هو الكفر والتكذيب وقصتهم انهم كانوا قوما باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها
صمدا وصمود والهبا فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر
ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد
عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه
فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
قينتا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان
يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم
فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم
عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه
فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ
الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت
على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا
الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة
من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي وكانت
مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان
الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء
عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة كانتا مختصتين بالاعمال المثوبة والخالة من الدخان السدة ولذلك
اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر واياما كان فالمراد بها الناقة وليس هذا اول كلام جرى بينه عليه السلام
وبينهم اولما خاطبهم اثر دعوته اياهم الى التوحيد بل انما قاله بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود من قوله تعالى

وانشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادهم وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان
يبني المسكن المحكم فينهدم وهو في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم
فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها
الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم
المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم
ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناسا من ذويهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاء الله حتى تملأ
اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب
مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدوقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي
فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استئناف مسوق لبيان
البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهة الله تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية واي آية
ولكم بيان لمن هي آية له وآية نصب على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا
ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تأكل في ارض الله جواب الامر اي
الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موضع الحال اي آكلة
وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية وتنكير السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء من
الاشياء الا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة
تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال
عليه السلام لعلي رضي الله تعالى عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم
قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم فيها مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين
الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون
منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت
نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب
الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يتضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون
السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين
فان حق آلائه تعالى ان تشكر ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا
استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى
لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين
من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين
اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا ما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت
المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال
الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون
وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند العقر الى الكل لان ما باشره

منهم للملابسة اولان ذلك لما كان برضاهم فكانه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى • وعتوا عن امر ربهم •
اى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهى • وقالوا • مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم
• يا صالح ائتنا بما تعدنا • اى من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا • ان كنت من المرسلين • فان كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من
الوعد والوعيد • فاخذتهم الرجفة • اى الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادى العذاب فى الايام الثلاثة
حسبما مر تفصيله • فاصبحوا فى دارهم • اى صاروا فى ارضهم وبلدهم او فى مساكنهم • جاثمين • هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال
الناس جثوم اى قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير كالبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب
بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين
خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم فى دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا
له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن
كل منهما بما هو اليق به • فتولى عنهم • اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم • وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة
ربى ونصحت لكم • بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تقبلوا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى • ولكن لا تحبون الناصحين •
حكاية حال ماضية اى شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب
بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه السلام
لعلاماته تولى ذاهب عنهم منكرا لاصرارهم على ما هم عليه وروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه
خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع
بمن معه فسكنوا ديارهم • ولوطا • منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مع ذكرهم فيما سبق
وما لحق لما مر بيانه فى قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخى ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه
ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهى كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله تعالى • اذ
قال لقومه • ظرف للمضمر المذكور اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله عليه السلام اليهم
لم يكن اثر وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اى اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه • اتأتون الفاحشة •
بطريق الانكار التوبيخى التقريعى اى اتفعلون تلك الفعلة المتمادية فى القبح المتمادية فى الشر والسوء • ما سبقكم بها • ما عملها قبلكم على
ان الباء للتعدية كما فى قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اى ضربتها قبله ومن فى قوله تعالى • من احد • مزيدة
لتأكيد النفى وافادة معنى الاستغراق وفى قوله تعالى • من العالمين • للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع
فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على
نفى كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا فى نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها
وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن فى الدنيا مثلها فقصدهم
الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا
فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبى اول من عمل به ذلك العمل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم
فى صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل • انكم لتأتون الرجال • جملة مستأنفة لبيان تلك الفاحشة وقرئ ائنكم بحرف الاستفهام
وهى الثانية بعينها ويعضده ايضا على انه تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفى زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كأن ذلك امر لا يتحقق
صدوره عن احد فهو كذا تأكيدا قويا وفى ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة فى التوبيخ وقوله تعالى • شهوة • مفعول
له او مصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد
وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى • من
دون النساء • اى متجاوزين النساء اللاتى هن محل الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم • بل انتم قوم مسرفون • اضراب عن الانكار المذكور
الى الاخبار بحالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اى لا عذر لكم
فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف • وما كان جواب قومه • اى المستكبرين منهم المتولين للامر والنهى المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى • الا ان قالوا •
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان جوابا من جهة قومه شئ من الاشياء الا قولهم اى لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام
• اخرجوهم • اى لوطا ومن معه من اهله المؤمنين • من قريتكم • اى ما لا طائل تحته من القول الذى يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام

جوابا على انه اسم كان والاول قالوا الخبر وهو المشهور وان كان الاول اقوى فى الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم
بصدد الجواب عن نصائح لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم فى المرة الاخيرة من مرات
المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكى عنهم فى سائر السور الكريمة
وهذا هو الوجه فى نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى • انهم اناس يتطهرون • تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم
وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار • فانجيناه واهله • اى المؤمنين منهم • الا امرأته •
استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر • كانت من الغابرين • اى الباقين فى ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما
يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فما كان حالها فقيل كانت من الغابرين
• وامطرنا عليهم مطرا • اى نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر فى الرحمة وامطر
فى العذاب وقال الراغب مطر فى الخير وامطر فى العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل
كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروى ان
امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت • فانظر كيف كان عاقبة المجرمين • خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم
وتحذيرا من اعمالهم • والى مدين اخاهم شعيبا • عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعى هنا ما فى المعطوف عليه
من تقديم المجرور على المنصوب اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب
بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع
كفرهم • قال • استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال • يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره • قد جاءتكم بينة • اى معجزة وقوله تعالى • من ربكم • متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته
الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اى بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام فى القرآن العظيم
كما لم يذكر اكثر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم فمنها ما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم
الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليه
السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما فى قوله تعالى يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى اى حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى
من النبوة والحكمة • فاوفوا الكيل • اى المكيال كما وقع فى سورة هود ويؤيده قوله تعالى • والميزان • فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه
مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجئ البينة ويجوز ان تكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى
موجبة للاجتناب عن المناهى التى معظمها بعد الكفر البخس الذى كانوا يباشرونه • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • التى تشترونها بها معتمدين
على تمامها اى شئ كان واى مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال
زهير افى كل اسواق العراق اتاوة وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم • ولا تفسدوا فى الارض • اى بالكفر والحيف • بعد اصلاحها • بعد
ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى مكر الليل والنهار • ذلكم خير لكم • اشارة
الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس
اذا عرفوهم بالامانة رغبوا فى معاملتهم ومتاجرتهم • ان كنتم مؤمنين • اى مصدقين لى فى قولى هذا • ولا تقعدوا بكل صراط توعدون •
اى بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا
يشرع فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل
يقطعون الطريق • وتصدون عن سبيل الله • اى السبيل الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه والايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى • من آمن به • مفعول تصدون
على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير فى تقعدوا • وتبغونها عوجا • اى وتطلبون لسبيل
الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة وهى ابعد شئ من شائبة الاعوجاج • واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم • بالبركة فى النسل
والمال • وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين • من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم • وان كان
طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به • من الشرائع والاحكام • وطائفة لم يؤمنوا • اى به اولم يفعلوا الايمان • فاصبروا حتى يحكم
الله بيننا • اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين • وهو خير الحاكمين • اذ لا معقب لحكمه
ولا حيف فيه • قال الملأ الذين استكبروا من قومه • استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا بعدما

هذه المواعظ من شعيب عليه السلام وقيل قال اشراف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع
من الطاعة عليه لديه بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا والاستتباع عليه السلام فيما اتم فيه واتباعه المؤمنين واجترؤا على اكراههم عليه
بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التاكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا نسبة الاخراج اليه عليه السلام
اولا والى المؤمنين ثانيا لتعظيمهم عليه تغنيما عليه على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه
متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشية عن غاية الوقاحة والطغيان اي
والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا
عطف على جواب القسم والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه
عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وادخالهم عليه السلام في خطاب العود مع استحالة
كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك اما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد واما لو يقولوا او ليتغيرنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم
ان تعودوا اليها بصورة الطواعية حذرا الاخراج باختيار اهون الشرين لا ادخالهم فيها بجبر وجوه الاكراه والتعذيب قال استيناف
كما سبق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار
الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين وجوز ان يكون الاستفهام وهو باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا
المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية
الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على
كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع
ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال
ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو
كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء المعنى على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود
الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل
حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره لا من خبر المذكور كما سيأتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تعدد
معارضة لغيرها فلترشيح المغايرة دون ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستفهام وسلك به
في الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم
من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفر ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة في نفسه
بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستفهام مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا
فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو
انا كتبنا الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج ادرب مكروه وفعال عند حلول ما هو اشد منه وانظع
والتقدير انعود فيها ولو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين فيها لين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه
اي ما اله العود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما ذهبوا اليه كتسهم الشنيعة باطلاقها من غيرها اي العود على اي حالة كانت غير انه اكتفى
بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء
واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان تحقق مع عدمها اولى فان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري
فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي هي الحالة المسكوت
عنها اعني الغنى وهو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه هو عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اي لم الذي يحمل
عليه قولنا العود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي
عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق
اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي والحاصل ان بين
النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك
لا يستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى قطعا الا اذا جعل
لا ان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل ويفيده وما

وما يذكر بعدها يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لا ان دلالتها على الانكار والنفي بعد بدلالة وضعية
كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام
فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من تمامه ودواعي انكاره ونفيه حتما لكونه قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان
المقصود نفي الحكم [illegible] مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداه لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة
لا تستلزم نفيه في غيرها [illegible] بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استفهاما الاول لافادة نفي العود في الحالتين مع
الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فاذ قد استفاد منهم جميعا عند ذكر الشطر
منا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين كما يصح ان يقال نعود فيها او لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها
ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احد مما عين معنى الاخر وانما اشتراكهما في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف
في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما متغايران الثاني مصحح
لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا
على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه
من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا
الخ وما يكون لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال
مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته
تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل
عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان
العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء
الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء
التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة
حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا النعمة بانجائنا من الاشرار بالكلية واظهار الا
الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر له عليه السلام
انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا
بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر ما بيننا امرا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين
ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام باموره حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار
قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعدما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام
ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التاكيد القسمي والله لئن اتبعتم
شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين ابائكم انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطئته اللام فاخذتهم
الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي
الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين
اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استيناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين
امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم
يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين استيناف اخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز
الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون
له عليه السلام وبهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا وشعيبا والذين
امنوا معه الخ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قال عليه السلام بعد ما هلكوا تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم

ثم انكر على نفسه ذلك فقال • فكيف آسى • اي احزن حزنا شديدا • على قوم كافرين • مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله
اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ
ايسى بامالتين • وما ارسلنا في قرية من نبي • اشارة اجمالية الى بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي
من نبي كذب او كذبه اهلها • الا اخذنا اهلها • استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب على الحال من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا
بشرطين اما تقدير قد كما في هذه الاية او مقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في
حال من الاحوال الا حال كوننا اخذين اهلها • بالباساء • بالبؤس والفقر • والضراء • بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور
بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالاخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة • لعلهم يضرعون • كي يتضرعوا
ويخضعوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون • ثم
بدلنا • عطف على اخذنا داخل في حكمه • مكان السيئة • التي اصابتهم للغاية المذكورة • الحسنة • اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات • حتى عفوا • اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف
وبطرتهم النعمة • وقالوا • غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه • قد مس آباءنا الضراء والسراء • كما مسنا ذلك وما هو
الا عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تاخير السراء للاشعار
بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها • فاخذناهم • اثر ذلك • بغتة • فجاة اشد الاخذ وافظعه • وهم لا يشعرون • بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا
من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي
بين الاخذ وتمام الاهلاك ايام كدأب ثمود • ولو ان اهل القرى • اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة وما حولها
من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا • آمنوا • بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء
• واتقوا • اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى
على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك • لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض • لوسعنا عليهم الخير
ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد
للتكثير • ولكن كذبوا • اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه للثاني • فاخذناهم بما كانوا يكسبون • من انواع
الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا
بتبديل الحسنة مكان السيئة • أفأمن اهل القرى • اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة
ما اتاهم من الباس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابها بأس خاص بها لا يتعداها الى غيرها كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا
لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط
بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى • ان يأتيهم باسنا بياتا • اي تبييتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم • وهم نائمون • حال من ضميرهم البارز
او المستتر في بياتا • أوأمن اهل القرى • انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن اهل القرى ان يأتيهم باسنا بياتا
وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بالسكون على الترديد • ان يأتيهم باسنا ضحى • اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء
الشمس اذا ارتفعت • وهم يلعبون • اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون • أفأمنوا مكر الله • تكرير للنكير
لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين
ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول • فلا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون • اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الايات
• اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها • اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها
وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اولم يفعل الهداية لهم واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف
والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اي اولم يبين لهم مآل امرهم • ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم • اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعول • ونطبع على قلوبهم •
عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون اي يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا
يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو • فهم لا يسمعون • اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن
التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات • تلك القرى • جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص

مبنية عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المهلكة على ان اللام للعهد وهو
مبتدا وقوله تعالى • نقص عليك من انبائها • خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي نقص بعض اخبارها التي فيها عظة
وتذكير وقيل تلك مبتدا والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام
بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى • ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات •
لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع والباء
في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بآية واحدة
بينة واحدة بل بآيات كثيرة خاصة به معينة حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة
مستانفة مبنية لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم
الواضحة الدالة على صحة رسالته الموجبة للايمان وقوله تعالى • فما كانوا ليؤمنوا • بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم
استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان
استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي وعظته فلم يزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي فما صح وما استقام
لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان
ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هاهنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى • بما كذبوا
من قبل • تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين
بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول
والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال
كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى الموت وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون ذلك مما كانوا في زمن الجاهلية
غير مكذبين بكلمة التوحيد بجعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة
تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل
كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد
وتخصيص التكذيب مقصودا بالذات لما ان عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين كما لضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل
ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم
بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي
بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه هاهنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل
الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير في به • كذلك • اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم • يطبع الله على قلوب الكافرين •
اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الايات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال
الروعة • وما وجدنا لاكثرهم من عهد • اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا
ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله • من عهد • لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا لاكثرهم
ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس الباساء والضراء قائلين لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشان باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهدهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل
المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الايات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل
الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باي معنى كان • وان وجدنا اكثرهم • اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ
وقيل ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ان الشان وجدناهم • لفاسقين • خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند
الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي وما وجدناهم الا فاسقين • ثم بعثنا من بعدهم موسى • اي ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر • باياتنا • متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره
اي بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سياتي على التفصيل • الى فرعون • هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل
من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان • وملائه • اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته

عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها
منه فئته الباغية لاستبدادهم في تدبير الامور وابتلاء عزيمتهم في ... «فظلموا بها» اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما
من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها ... العذاب ما لقوا ... قوله تعالى «فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين» فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم
على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين «وقال موسى يا فرعون اني
رسول» اليك «من رب العالمين» على الوجه الذي مر بيانه «حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق» جواب لما ينساق اليه الذهن من حكاية
ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب للامن من الالباس كما في قول
من قال «وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر» او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله
لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قراءة
ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى «قد جئتكم ببينة من ربكم» استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه
حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله
تعالى قال فمن ربكما يا موسى الآيات وقد طوي ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة
لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين
لتأكيد وجوب الايمان بها «فارسل معي بني اسرائيل» اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد
انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي
دخله موسى عليه السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال والامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينة «قال» استئنافا
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال ما قال فقيل قال «ان كنت جئت بآية»
اي من عند من ارسلك كما تدعيه «فأت بها» اي فاحضرها عندي ليثبت بها رسالتك «ان كنت من الصادقين» في دعواك فان كونك من جملة المعروفين
بالصدق يقتضي اظهارها لا محالة «فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين» اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايراد
الجملة الاسمية للدلالة على سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك وروي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا
فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين
فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا «ونزع
يده» اي من جيبه او من تحت ابطه «فاذا هي بيضاء للناظرين» اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها
وذلك ما روي انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا
نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها «قال الملأ من قوم فرعون»
اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته «ان هذا لساحر عليم» اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول
بعينه معزي اليه في سورة الشعراء «يريد ان يخرجكم من ارضكم» اي من ارض مصر «فماذا تأمرون» من تمام القول وما في ماذا في محل النصب
على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى «قالوا ارجه
واخاه» على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون
وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجأه وارجاه «وارسل في المدائن حاشرين» قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء
السحرة ومهرتهم بالصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وكان الذي يعلمهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة
يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام «يأتوك بكل ساحر عليم» اي ماهر في السحر وقرئ
بكل سحار عليم والجملة جواب الامر «وجاء السحرة فرعون» بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فارسل في المدائن حاشرين
للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال «قالوا» استئناف مسوق بسؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه
قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم «ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين» بطريق الاخبار بثبوت الاجر
وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا نحن لتعيين
مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى «قال نعم»

وقوله تعالى «وانكم لمن المقربين» معطوف على ما سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب
وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل علي وآخر من يخرج عني «قالوا» استئناف كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم
مخاطبين لموسى عليه السلام «يا موسى اما ان تلقي» اولا «واما ان نكون نحن الملقين» اي لما نلقي او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام البدء بالالقاء
مراعاة للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن لما كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط
ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل «قال القوا» كرما وتسامحا بامرهم اي القوا ما تلقون «فلما القوا» ما القوا «سحروا اعين الناس» بان خيلوا اليهم ما لا
حقيقة له «واسترهبوهم» اي بالغوا في ارهابهم «وجاءوا بسحر عظيم» في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي
وركب بعضها بعضا «واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون» الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الخ
واذا للمفاجأة للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء
والمضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه
ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت
واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
«فوقع الحق» اي ثبت لظهور امره «وبطل ما كانوا يعملون» اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله «فغلبوا» اي فرعون وقومه «هنالك»
اي في مجلسهم «وانقلبوا صاغرين» اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى «والقي
السحرة ساجدين» فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى
«قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون» ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
آمنت السحرة واتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف «قال فرعون» منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه «آمنتم به» بهمزة واحدة اما على الاخبار
المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية
بين بين اي آمنتم بالله تعالى «قبل ان آذن لكم» اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن
في ذلك «ان هذا لمكر مكرتموه» يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها انتم و
موسى «في المدينة» يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام ارأيتك ان غلبتك
اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لاؤمنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول «لتخرجوا منها
اهلها» اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم
خضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها لئلا يتبعهم ... عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام بازالة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم
وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق فجمع اللعين
بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم لموسى عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال
«فسوف تعلمون» اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال «لاقطعن ايديكم وارجلكم من
خلاف» اي من كل شق طرفا «ثم لاصلبنكم اجمعين» تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما
لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ورسوله «قالوا» استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا
وعيد فرعون هل تأثروا به وتصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان «انا الى ربنا منقلبون» اي المرجع لا محالة
فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله
تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك «وما تنقم منا» اي وما تنكر وتعيب منا «الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا»
وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا
وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا «ربنا افرغ علينا صبرا» اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من
اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون «وتوفنا مسلمين» ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد
قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون «وقال الملأ من قوم فرعون» مخاطبين له بعد ما شاهدوا
من امر موسى عليه السلام «اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض» اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك «ويذرك»
عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة: الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك
موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق
واكن «وآلهتك» ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك

قال انا ربكم الاعلى وذرى والهتك اى عبادتك سقال كيف نصلى لهم • سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم • كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلموا انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه • وانا فوقهم قاهرون • كما كنا عليه من قبل تغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك • قال موسى لقومه • تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه • استعينوا بالله واصبروا • على ما سمعتم من اقاويله الباطلة • ان الارض لله • اى ارض مصر او جنس الارض وهى داخلة فيها دخولا اوليا • يورثها من يشاء من عباده • والعاقبة للمتقين • الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان • قالوا • اى بنوا اسرائيل • اوذينا • اى من جهة فرعون • من قبل ان تاتينا • اى بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدمة والمهن يعنون به ما توعدهم من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام كانهم قالوا قد لبثنا بما لحقنا من الاذى علينا السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام • قال • موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض لله الخ • عسى ربكم ان يهلك عدوكم • الذى فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته • ويستخلفكم فى الارض • اى يجعلكم خلفاء فى ارض مصر • فينظر كيف تعملون • احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روى ان مصرا انما فتحت فى زمن داود وسليمان عليهما السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم والمناسب بفعل الطمع الجرى على سنن الكرماء • ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين • شروع فى تفصيل مبادى الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا فى خفض ودعة بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هى فى هذه اللغة مصروفة عند بنى عامر وغير مصروفة عند بنى تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر

دعانى من نجد فان سنينه • لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين • ونقص من الثمرات • باصابة العاهات عن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة قال ابن عباس رضى الله عنه اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان فى امصارهم • لعلهم يذكرون • كى يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفى الرجوع اليه تعالى الا يرى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول فى لعل فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون فى اوائل سورة البقرة وقوله تعالى • فاذا جاءتهم الحسنة • الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم فى الغى اى فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات • قالوا لنا هذه • اى لاجلنا واستحقاقنا لها • وان تصبهم سيئة • اى جدب وبلاء • يطيروا بموسى ومن معه • اى يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لاسيما بعد مشاهدة الايات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شئ منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى • الا انما طائرهم عند الله • استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق فى ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اى ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اى مكتوبة لديه فانها التى ساقت اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ذلك فيقولون ما يقولون مما حكى عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا • وقالوا • شروع فى بيان بعض اخر مما اخذ به ال فرعون من فنون العذاب التى هى فى انفسها ايات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اى قالوا لموسى عليه السلام بعدما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات • مهما تاتنا به • كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى اين واى فى قوله تعالى اينما تكونوا واما تذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأى السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اى اى شئ تظهر لدينا وقوله تعالى • من اية • بيان لمهما وتسميتهم اياها اية مجاراة لهم على زعم موسى عليه السلام واستهزاؤهم بها والاشعار بان عنوان كونها اية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى • لتسحرنا بها • اى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين كما ينبئ عنه التعبير لكمال الطغيان والغلوفيه والتسمية للارشاد الى الحق والتحرز عن تسكين

الايات

الابصار والضمير فى الموضعين راجع الى مهما وتذكيره اولا لرعاية جانب اللفظ لابهامه وتانيثه ثانيا للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه باية كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له • فما نحن لك بمؤمنين • بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك • فارسلنا عليهم • عقوبة لجرائمهم لاسيما لقولهم هذا • الطوفان • اى ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون • والجراد والقمل • قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها • والضفادع والدم • روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منه قطرة وهى فى خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبتت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثانيا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطى والاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف • ايات • حال من المنصوبات المذكورة • مفصلات • مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل • فاستكبروا • اى عن الايمان بها • وكانوا قوما مجرمين • جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها • ولما وقع عليهم الرجز • اى العذاب المذكور على التفصيل فاللام للعهد المنتظم لكل واحدة من الايات المفصلة اى كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات • قالوا • فى كل مرة • يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك • اى بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى اياتك وهى صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى • لئن كشفت عنا الرجز • الذى وقع علينا • لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل • اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ • فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه • اى الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون • اذا هم ينكثون • جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تامل وتوقف • فانتقمنا منهم • اى فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصى والجرائم فان قوله تعالى • فاغرقناهم • عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما فى قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال رب الخ • فى اليم • فى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل فى لجته • بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين • تعليل للاغراق اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب ايات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة على يد رسوله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون • اى بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنوا اسرائيل وذكرهم بهذا العنوان لاظهار كمال اللطف تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم فى رفعهم من حضيض الذلة الى اوج العزة • مشارق الارض ومغاربها • اى جانبيها الشرقى والغربى حيث ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا فى اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى • التى باركنا فيها • اى بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما فى قولك قام ام هند وابوها العاقلة • وتمت كلمة ربك الحسنى • وهى وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت • على بنى اسرائيل بما صبروا • اى بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من جهة فرعون وقومه • ودمرنا • اى خربنا واهلكنا • ما كان يصنع فرعون وقومه • من العمارات والقصور اى ودمرنا الذى كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذى كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل ان كان زائدة وما مصدرية والتقدير وما يصنع فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذى يصنعه فرعون الخ اى صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة • وما كانوا يعرشون • من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل • وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر • شروع فى قصة بنى اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام

الموجبة للشكر والإيمان من الآيات الكبار ما غرّ إبراهيم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم
ومراقبة أحوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوّزنا بالتشديد وهو أيضا بمعنى جاز فعدي بالباء أي قطعنا بهم البحر روي أنه عبر بهم موسى عليه السلام يوم
عاشوراء بعدما أهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكرا لله عز وجل • فأتوا • أي مروا • على قوم • قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين
أمر موسى عليه السلام بقتالهم • يعكفون على أصنام لهم • أي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت أصنامهم تماثيل
بقر وهو أول شأن العجل • قالوا • أي عندما شاهدوا أحوالهم • يا موسى اجعل لنا إلها • مثالا نعبده • كما لهم آلهة • الكاف متعلقة بمحذوف وقع
صفة لإلها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا إلها كائنا كالذي استقر هو لهم يا موسى اجعل لنا إلها • قال إنكم قوم تجهلون •
تعجب عليه السلام من قولهم على أثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق إذ لا جهل أعظم منهم وأكده بقوله • إن هؤلاء •
يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل • متبر • أي مدمر مكسر • ما هم فيه • أي من الدين الباطل أي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه
عن قريب ويحطم أصنامهم ويتركها رضاضا وإنما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق • وباطل • أي مضمحل بالكلية • ما كانوا يعملون • من عبادتها
وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى فإنه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فإن
المراد به أعمال البر التي عملوها في الجاهلية فإنها في أنفسها حسنات لو قارنت الإيمان لاستتبعت أجورها وإنما بطلت لمقارنتها الكفر وفي إيقاع
هؤلاء اسما لإن وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب
ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا • قال أغير الله أبغيكم إلها • شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى
بعد بيان أن ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه أصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام
للإنكار والتعجب والتوبيخ وإدخال الهمزة على غير الله للإيذان بأن المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لما أنه الاختصاص الإنكار بغيره تعالى دون إنكار الاختصاص
بغيره تعالى والتقديم غير على أنه مفعول أبغي لكم أي أطلب لكم غير الله تعالى وإلها إما تمييز أو حال أو على الحالية من إلها وهو المفعول لأبغي على أن الأصل أبغي
لكم إلها غير الله فغير الله صفة لإلها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا • وهو فضلكم على العالمين • أي والحال أنه تعالى خصكم بنعمة لم يعطها
غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى إياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن عمدوا إلى أخس شيء من مخلوقاته تعالى
فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما عبدوا • وإذ أنجيناكم • تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الإنجاء من ملكة فرعون وقرئ أنجاكم
فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام أي واذكروا وقت إنجائنا إياكم • من آل فرعون • من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم وهم على حالهم
في المكنة والقدرة بل بإهلاكهم بالكلية وقوله تعالى • يسومونكم سوء العذاب • من سامه خسفا أي أولاه إياه وهو إما استئناف لبيان ما أنجاهم
منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى • يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم • بدل من يسومونكم مبين
أو مفسر له • وفي ذلكم • الإنجاء أو سوء العذاب • بلاء • أي نعمة أو محنة • من ربكم • من مالك أمركم فإن النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى
عظيم • لا يقادر قدره • وواعدنا موسى ثلاثين ليلة • روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله تعالى عدوهم أتاهم
بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر
خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن ريح فم الصائم أطيب
عندي من ريح المسك فأمره الله تعالى بأن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى • وأتممناها بعشر • والتعبير عنها
بالليالي لأنها غرر الشهور وقيل أمره الله تعالى بأن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم أنزلت عليه التوراة في العشر
وكلم فيها وقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصل هاهنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل
قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف أي إتمام ثلاثين ليلة • فتم ميقات ربه أربعين ليلة •
أي بالغا أربعين ليلة • وقال موسى لأخيه هارون • حين توجه إلى المناجاة حسبما أمر به • اخلفني • أي كن خليفتي • في قومي • وراقبهم
فيما يأتون وما يذرون • وأصلح • ما يحتاج إلى الإصلاح من أمورهم أو كن مصلحا • ولا تتبع سبيل المفسدين • أي لا تتبع من سلك الإفساد
ولا تطع من دعاك إليه • ولما جاء موسى لميقاتنا • لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه بميقاتنا • وكلمه ربه • من غير واسطة
كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي أنه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام
المحدثين • قال رب أرني أنظر إليك • أي أرني ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى
جائزة في الجملة لما أن طلب المستحيل مستحيل من الأنبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني دون
لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع
سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار بعدم رؤيته إياه على أنه

لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة أو جهل بحقيقة الرؤية • قال • استئناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال • لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه
فسوف تراني • استدراك لبيان أنه لا يطيق به وفي تعليقها باستقرار الجبل أيضا دليل على الجواز ضرورة أن المعلق بالممكن ممكن والجبل
قيل هو جبل أردن • فلما تجلى ربه للجبل • أي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه • جعله دكا •
مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء أي قطعا • وخر موسى
صعقا • مغشيا عليه من هول ما رآه • فلما أفاق • الإفاقة رجوع العقل والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما بسبب من الأسباب • قال • تعظيما
لما شاهده سبحانك أي تنزيها لك من أن أسألك شيئا بغير إذن منك • تبت إليك • أي من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن • وأنا أول المؤمنين •
أي بعظمتك وجلالك وقيل أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا وقيل بأنه لا يجوز السؤال بغير إذن منك • قال يا موسى • استئناف مسوق لتسليته
عليه السلام من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كأنه قيل إن منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام ما لم أعط أحدا من العالمين فاغتنمها
وثابر على شكرها • إني اصطفيتك • أي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك • على الناس • أي المعاصرين لك وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا
باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع • برسالاتي • أي بأسفار التوراة وقرئ برسالتي • وبكلامي • وبتكليمي إياك بغير واسطة • فخذ ما آتيتك •
أي أعطيتك من شرف النبوة والحكمة • وكن من الشاكرين • على ما أعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم
النحر • وكتبنا له في الألواح من كل شيء • أي مما يحتاجون إليه من أمر دينهم • موعظة وتفصيلا لكل شيء • بدل من الجار والمجرور أي كتبنا
له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في عدد الألواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل إنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها
كانت زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده
وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر
يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي
شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين • فخذها • على إضمار القول معطوف على كتبنا أي فقلنا خذها • بقوة • بجد وعزيمة وقيل
بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للألواح أو لكل شيء لأنه بمعنى الأشياء أو للرسالة أو للتوراة • وأمر قومك يأخذوا بأحسنها •
أي بأحسن ما فيها كالعفو والصبر بالإضافة إلى الاقتصاص والانتصار كالاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأخذ بالأفضل كما في قوله تعالى
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أو بواجباتها فإنها أحسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها وأحسن صلة قال قطرب أي بحسنها وكلها
حسن كقوله تعالى ولذكر الله أكبر وقيل يحمل الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها إلى الصواب • سأريكم
دار الفاسقين • تلوين الخطاب بتوجيهه إلى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد
والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصر وديار عاد وثمود وأضرابهم فإن رؤيتها وهي خالية عن أهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار
عن مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد والترغيب على أن المراد بدار الفاسقين إما أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبابرة والعمالقة
بالشام فإنها أيضا مما أبيح لبني إسرائيل وكتب لهم حسبما نطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الإراءة الإدخال بطريق
الإيراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقرئ سأوريكم
والعلة من أوريت الزند أي سأبينها لكم وقوله تعالى • سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الأرض • استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي ما كتب في ألواح التوراة من المواعظ والأحكام وما يعمها وغيرها
من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد إراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها لإصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وتعلق الجار والمجرور على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر مع أن في المؤخر طولا يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الجليل أي سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية
وفضلا فلا يتفكرون في آياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم فتكونوا أمثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن إبطالها وإن
اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال ما رآه من الآيات فأبى الله إلا إحقاق الحق وإزهاق الباطل وعلى هذا لا يتسنى أن يراد بدار الفاسقين أرض الجبابرة
والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الأرض وبإراءتها المخاطبين إدخالهم الشام وإسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم
ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله تعالى سأصرف عن آياتي الآخرة جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بإدخال الشام على أن المراد
بالآيات ما تلي آنفا ونظائره ويصرفهم عنها إزالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع أخبارها وظهور أحكامها وآثارها بإهلاكهم على يد موسى عليه السلام
حين سار بعد التيه بمن بقي من بني إسرائيل أو بذراريهم على اختلاف الروايتين إلى أريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو إسرائيل بالشام
وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم وإنما عدل إلى الصرف ليزداد ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى

بغير الحق • اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعل اي يتكبرون ملتبسين
بغير الحق وقوله تعالى • وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها • عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها
مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل آية من
الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع
وقوله تعالى • وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا • عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء
الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثها لغات كالسقم والسقم والسقام • وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا • اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم • ذلك
اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يبعد تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى • بانهم • اي حاصل بسبب انهم • كذبوا بآياتنا • الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها • وكانوا عنها
غافلين • لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمتنع الاشعار بعلية ما في حيز
الصلة له لا وتقدير ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا
بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محله النصب على المصدر اي صرفهم الله ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها • والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة • اي ولقائهم الدار الآخرة او لقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى • حبطت
اعمالهم • خبره والمراد بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم
بها • هل يجزون • اي لا يجزون • الا ما كانوا يعملون • اي الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي • واتخذ قوم موسى من بعده • اي من بعد ذهابه
الى الطور • من حليهم • متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع
حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت
في ايديهم والما انهم ملكوها بعد الغرق وذلك منوط بحل غنائم القبط لبني اسرائيل وهم مستأمنون فيما بينهم ولا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة
القوم وحلي جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى • عجلا • مفعول اتخذ اخر
عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى
التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى • جسدا • بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى • له
خوار • اي صوت وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح يعني عجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام
وكان ذلك اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فتصوت والانسب بما في سورة طه
هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه فعله بمعونتهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان المراد باتخاذهم اياه الها
لا صنعه واحداثه • الم يروا انه لا يكلمهم • استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيع ضلالهم اي الم يروا حين اتخذوه الها انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية اي الم يروا
انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم • ولا يهديهم سبيلا • بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى • اتخذوه •
اي فعلوا ذلك • وكانوا ظالمين • اي واضعين للاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه
لتقبيح التشنيع وترتيب الاعتراض عليه • ولما سقط في ايديهم • اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده
غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق
الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل • ورأوا انهم قد ضلوا • باتخاذ العجل اي تبينوا ضلالهم تبينا كانهم رأوه باعينهم وتقديم
ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية • قالوا • والله • لئن لم
يرحمنا ربنا • بانزال التوبة المكفرة • ويغفر لنا • ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية
اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة
للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى • لنكونن من الخاسرين • جواب للقسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى
عليه السلام اليهم كما ينطق به من الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد • ولما
رجع موسى الى قومه • شروع في بيان ما جرى بين موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى • غضبان اسفا •
حالان من موسى عليه السلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين • قال بئسما خلفتموني من بعدي • اي بئسما
فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشرك عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما
ينحو نحو اهل الشرك حيث قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او [illegible]

اولم ترجعوا عنه حيث لم يكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا
ان لا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلفية ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة للفاعل في بئس
المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم • اعجلتم امر ربكم • اي اتركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال
عجل عن الامر اذا تركه غير تام او عجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم • والقى الالواح • طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع
كان فيه المواعظ والاحكام • واخذ برأس اخيه • بشعر رأسه عليهما السلام • يجره اليه • حال من ضمير اخذ ظنا منه عليه السلام انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر
منه عليهما السلام بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل • قال • اي هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام • ابن ام • بحذف حرف النداء
وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان ذكر الام اعظم والحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا
كالمنادى المضاف الى الياء وقرئ بالفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر • ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني • ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي • فلا تشمت بي الاعداء • اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي • ولا تجعلني مع القوم الظالمين
اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير وهذا يؤكد كون الخطاب للكل ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم • قال • استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال • رب اغفر لي • اي ما فعلت باخي
من غير ذنب مقرر من قبله • ولاخي • ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه
لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم • وادخلنا في رحمتك • بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا
• وانت ارحم الراحمين • فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله • ان الذين اتخذوا العجل
اي استمروا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما ينبئ عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في
ان الموصول الاول عبارة عن المصرين • سينالهم • اي في الآخرة • غضب • اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما مر من ان جريمتهم اعظم
الجرائم وافظع الجرائر وقوله تعالى • من ربهم • اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اي كائن من ربهم • وذلة في الحياة الدنيا • هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي
اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت
وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر
عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا
على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسباقه نابيان عن ذلك بالكلية لا سيما قوله تعالى • وكذلك نجزي المفترين • فانه ينادي على خلافه
فانهم شهدا تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس جزاء الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل
المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى تعيير الابناء بافاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله
تعالى واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون
حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه • والذين عملوا السيئات
اي سيئة كانت • ثم تابوا • عن تلك السيئات • من بعدها • اي من بعد عملها • وآمنوا • ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته
من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى • ان ربك من بعدها • اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان • لغفور • للذنوب
وان عظمت وكثرت • رحيم • مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
للتشريف • ولما سكت عن موسى الغضب • شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن
عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم
من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد عبر عن
سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون • اخذ الالواح • التي القاها • وفي
نسختها • اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة • هدى • اي بيان للحق • ورحمة • للخلق
بارشادهم الى ما فيه من الخير والصلاح • للذين هم لربهم يرهبون • اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة
لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم
لا للرياء والسمعة • واختار موسى قومه • شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار
من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله • اختارك الناس اذ رثت خلائقهم • واعتل من كان يرجى عنده السول • اي اختارك من الناس

سبعين رجلا • مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر • لميقاتنا • الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه
ما وقع للميقات الكلامي الذي وقع قبل ذلك كما قيل قال السدي امره الله تعالى بان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل
ووعدهم موعدا فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحاق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوهم وراءهم
من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب
ويوشع وصحبه الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سينا فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام
وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ... وعوا الامر بقتل انفسهم توبة • فلما اخذتهم الرجفة • مما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه
روي انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبال فصعقوا منها
اي ماتوا وقيل انهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الامر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تعالى على
سماع كلامه قياسا فاسدا حين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة • قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل • اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل
وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها • واياي • ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا اراد به عليه السلام
تذكر العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك
ولم يكن من مراحمك الاعم ... لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه
قوله تعالى • اتهلكنا بما فعل السفهاء منا • اي الذين لا يعلمون تفاصيل احكام شؤونك ولا يلتفتون الى المداحض والمزلة لما للانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف
الله عز وجل كما قاله الانباري والاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا • ان هي الا فتنتك • استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان
منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك
فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك باتباع القياس الفاسد وقوله تعالى • تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء • استيناف مبين
لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا
يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه • انت ولينا • اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير • فاغفر لنا • ما قارفناه من المعاصي
والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية لانه قيل من شأن المولى المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه السلام على ان يقول ان هي الا فتنتك لجراءة
عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها • وارحمنا • بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا • وانت خير الغافرين •
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام • واكتب لنا • اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في
هذه الدنيا حسنة • اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة • وفي الاخرة • اي واكتب لنا
فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة • انا هدنا اليك • اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حركه
وامالة ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء الفاعل على لغة من
يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استيناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد
المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك
للاعتذار عنها وعما وقع هاهنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ
موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى
فكشفها الله تعالى عنهم • قال • استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من سياق الكلام كأنه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام
فقيل قال • عذابي اصيب به من اشاء • لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث
قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة عارية من المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والشدة ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي
شأنه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه ... ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي • ورحمتي
وسعت كل شيء • اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيبا منها في ضمن العذاب الدنيوي
وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى
معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا يرى الى قوله تعالى • فسأكتبها • اي اثبتها واعينها
فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك
واكتب لنا وخصوصا اي فسأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي • للذين يتقون • اي الكفر والمعاصي اما ابدا او بعد ملابستها وفيه
تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما نالهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي • ويؤتون الزكوة • وفيه ايضا
تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات

بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض • والذين هم بآياتنا • جميعا • يؤمنون • ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء
منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام وما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن
والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف
على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور واعلام بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض • الذين يتبعون الرسول • الذي نوحي اليه
كتابا مختصا به • النبي • اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة • الامي • بضم الهمزة
نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عليه السلام انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة
اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح
او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرون او اولئك هم المفلحون فغير سديد • الذي يجدونه مكتوبا • باسمه ونعوته
بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا • عندهم • زيد هذا لزيادة التقرير وان شأنه عليه السلام حاضر
عندهم لا يغيب عنهم اصلا • في التورية والانجيل • اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر
الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عليه السلام والقرآن الكريم قبل مجيئهما • يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • كلام مستأنف
لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول
يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب • ويحل لهم الطيبات • التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم • ويحرم عليهم الخبائث •
كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة • ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم • اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل
ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس وتعيين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من
الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب
الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
من الحراك • فالذين آمنوا به • تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان
نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته
واطاعوه في اوامره ونواهيه • وعزروه • اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير • ونصروه •
على اعدائه في الدين • واتبعوا النور الذي انزل معه • اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق
كاشفا عنها لملابسته لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به
ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه • اولئك • اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها
للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة • هم المفلحون •
اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة
الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما
هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في
قوله عليه السلام والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به
كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح • قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم • لما حكى ما في الكتابين
من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة
بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال موسى عليه السلام
الى فرعون وملئه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية
وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل • جميعا • حال من الضمير في اليكم • الذي له ملك السموات والارض •
منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى • لا اله
الا هو • بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى • يحيي ويميت • لزيادة تقرير الالوهية والفاء في قوله تعالى • فآمنوا
بالله ورسوله • لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة
للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله تعالى • النبي الامي • لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب
في الكتابين ووصفه بقوله تعالى • الذي يؤمن بالله وكلماته • اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال

بالمروية والتصريح بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به وقرئ وكلمته على إرادة الجنس والقرآن
تنبيها على أن المأمور به هو الإيمان به عليه السلام من حيث أنزل عليه القرآن لا من حيثية أخرى أو على أن المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود
وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتد بإيمانه • واتبعوه • أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين • لعلكم تهتدون • علة للفعلين أو حال من فاعليهما
أي رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب وفي تعليقه بهما إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر
على الغي والضلالة • ومن قوم موسى • كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتبة الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم • أمة يهدون • أي الناس • بالحق
أي ملتبسين به يهدونهم بكلمة الحق • وبه • أي بالحق • يعدلون • في الأحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية
وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم [illegible]
مؤذن بهم مما سلف وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤوا على قتل الأنبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا
الله تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك
حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه السلام
هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ مني عليه السلام فرد
محمد على موسى عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وأنت خبير بأن تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع أن منهم من آمن بجميع الشرائع
لا يخلو عن بعد • وقطعناهم • أي قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى • اثنتي عشرة • ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير
والتأنيث للحمل على الأمة والقطعة أي صيرناهم اثنتي عشرة أمة وقرئ بكسر الشين وقوله تعالى أمما على الأول بدل بعد بدل أو نعت لأسباطا أو حال
متميزا بعضها من بعض أي حال من مفعوله أي فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تعالى • أسباطا • بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحدة
من اثنتي عشرة قطعة أسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى أمما على الأول بدل بعد بدل أو نعت لأسباطا وعلى الثاني بدل من أسباطا
• وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه • حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم إياه عليه السلام
بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى وإذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى • أن اضرب بعصاك الحجر • مفسر لفعل الإيحاء وقد مر بيان شأن
الحجر في تفسير سورة البقرة • فانبجست • عطف على مقدر يستدعيه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وإيذانا بغاية مسارعته عليه السلام
إلى الامتثال وإشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل إثر الأمر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى
اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانبجست • منه اثنتا عشرة عينا • بعدد الأسباط وأما ما قيل من أن التقدير فإن ضربت فقد انبجست
فغير حقيق بجزالة التنزيل وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها • قد علم كل أناس • كل سبط عبر عنهم بذلك إيذانا بكثرة كل واحد من الأسباط
• مشربهم • أي عينهم الخاصة بهم • وظللنا عليهم الغمام • أي جعلناه بحيث يلقي عليهم ظله يسير بسيرهم ويسكن بإقامتهم وكان ينزل بالليل
عمود من نار يسيرون بضوئه • وأنزلنا عليهم المن والسلوى • أي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان
صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه • كلوا • أي وقلنا لهم كلوا • من طيبات ما رزقناكم • أي مستلذاته وما موصولة كانت أو
موصوفة عبارة عن المن والسلوى • وما ظلمونا • رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للإيجاز والإشعار
بأنه أمر محقق غني عن التصريح به أي فظلموا بأن كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك • ولكن كانوا أنفسهم يظلمون • إذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم
المفعول لإفادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم
والكفر • وإذ قيل لهم • منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وإيراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده إليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع في سورة
البقرة من قوله تعالى وإذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والإيذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد في التوبيخ أي اذكر
لهم وقت قوله تعالى لأسلافهم • اسكنوا هذه القرية • منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل
أريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا إيذان بأن المأمور به في سورة البقرة
هو الدخول على وجه السكنى والإقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى • وكلوا منها • أي من مطاعمها وثمارها على أن من تبعيضية
أو منها على أنها ابتدائية • حيث شئتم • أي من نواحيها من غير أن يزاحمكم فيها أحد فإن الأكل المستمر على هذا الوجه لا يكون إلا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا
بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فإنه مقدم على الأكل ولذلك قيل هناك فكلوا • وقولوا حطة • أي مسألتنا أو أمرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من
الحط كالجلسة • وادخلوا الباب • أي باب القرية • سجدا • أي متطامنين مخبتين أو ساجدين شكرا على إخراجهم من التيه وتقديم الأمر بالدخول
على الأمر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم إن كان المراد بالقرية أريحا

روي أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه السلام بمن بقي من بني إسرائيل أو بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة وأما إن كانت بيت
المقدس فقد روي أنهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون إليها • نغفر لكم خطيئاتكم • وقرئ خطاياكم
كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول • سنزيد المحسنين • عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو هنا
لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير سؤال نشأ من الإخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد المحسنين وكذلك زيادة
منهم زيادة بيان • فبدل الذين ظلموا منهم • بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا موضعه • قولا • غير ما أمروا به روي
أنهم دخلوه زاحفين على أستاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى
واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى • غير الذي قيل لهم • نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على
المغايرة من كل وجه • فأرسلنا عليهم • إثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والإرسال من فوق فيكون
كالإنزال • رجزا من السماء • عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا • بما كانوا يظلمون •
بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الإرسال عليه
بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما أن الحكم ههنا مرتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة وأما التعليل بالفسق بعد الإشعار
بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى أعلم • واسألهم • عطف على المقدر في إذ قيل أي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير
بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى وإعلاما لهم بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها إلا من مارس كتبهم فقد أحاط به النبي صلى الله
عليه وسلم خبرا وإذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لأنه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين أنه من جهة الوحي الصريح • عن القرية • أي عن خبرها وخبر
ما جرى على أهلها من الداهية الدهياء وهي أيلة قرية بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية • التي كانت حاضرة البحر •
أي قريبة منه مشرفة على شاطئه • إذ يعدون في السبت • أي يتجاوزون حد الله تعالى بالصيد يوم السبت وإذ ظرف للمضاف المحذوف
أو بدل منه وقيل ظرف لكانت أو حاضرة وليس بذاك إذ لا فائدة في تقييد الكون أو الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون وأصله يعتدون
ويعدون من الإعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة • إذ تأتيهم حيتانهم • ظرف ليعدون
أو بدل بعد بدل والأول هو الأولى لأن السؤال عن عدوانهم أدخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان
لفظا ومعنى وإضافتها إليهم للإشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر أفراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة أو لأن المراد بها الحيتان
الكائنة في تلك الناحية وكان ما ذكر من الإتيان وعدمه لاعتيادها أحوالهم في عدم التعرض • يوم سبتهم • ظرف لتأتيهم
أي تأتيهم يوم تعظيمهم لأمر السبت وهو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام
فيه ويؤيد الأول قراءة من قرأ يوم إسباتهم وقوله تعالى • شرعا • جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف وهو حال من حيتانهم أي تأتيهم يوم سبتهم
ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل أي لا يراعون أمر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر
بل مع انتفائهما معا أي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من أسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في
السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما أمروا به يوم السبت • لا تأتيهم • كما كانت تأتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم وتغيير السبك
حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما أن الإخبار بإتيانها يوم سبتهم مظنة أن يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم
• كذلك نبلوهم • أي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها • بما كانوا يفسقون • أي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك
المادة فإن فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم
يوم سبتهم فالجملة بعده استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان تارة وعدمه أخرى • وإذ قالت • عطف على إذ يعدون
مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والإنذارات • أمة منهم • أي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب
وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة في الإعذار وطمعا في فائدة الإنذار • لم تعظون قوما الله
مهلكهم • أي مخترمهم بالكلية ومطهر الأرض منهم • أو معذبهم عذابا شديدا • دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا أو معذبهم
في الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فإنهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وإيثار
صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وإنما قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينجع
فيهم أو ترغيبا للقوم أو سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم إنما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فإن بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في
قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستعرفه • قالوا • أي الوعاظ
• معذرة إلى ربكم • أي نعظهم معذرة إليه تعالى على أنه مفعول له وهو الأنسب بظاهر قولهم لم تعظون أو نعتذر معذرة على أنه مصدر لفعل

محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط فى النهى عن المنكر وفى اضافة الرب الى ضمير
المخاطبين نوع تعريض بالساكتين • ولعلهم يتقون • عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح فى ان القائلين لم تعظون الخ
ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب • فلما نسوا ما ذكروا به • اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسى للشئ واعرضوا عنه اعراضا كليا
بحيث لم يخطر ببالهم شئ من تلك المواعظ اصلا • انجينا الذين ينهون عن السوء • وهم الفريقان المذكوران واخراج الجملتين مخرج الجواب الذى حقه
الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان ما فى حيز الشرط شيئان العصيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكروا
المعتدون انجينا الذين الاولين واخذنا الاخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما فى الخوف
من نوع طول • واخذنا الذين ظلموا • بالاعتداء ومخالفة الامر • بعذاب بئيس • اى شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرئ بئيس
على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد وبيس بقلبها ياء كذيبة فى ذئب وبئس
كرئيس بقلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين فى هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل • بما كانوا يفسقون • متعلق باخذنا
كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم فى الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان
ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما فى حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان
مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان
ابتداء وبعضهم على الا انما اخروا من ابقاء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل
ازدادوا فى الغى فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اى تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكوينى لا القول وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس
لخصوصية الحوت بل العمدة فى ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى
روى ان اليهود امروا باليوم الذى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم فى يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم
فى سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة
الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها فياخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه
خيطا الى خشبة فى الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب
اخذ فى السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا
فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهى وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الى اخره وثلث باشروا الخطيئة
فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون
ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت
القردة انسابها من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد ياتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى
ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صارت الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصرى اكلوا والله اوخم اكلة اكلها
اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله
جعل موعدا والساعة ادهى وامر • واذ تاذن ربك • منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسالهم وتاذن بمعنى اذن كما
توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث
قيل • ليبعثن عليهم الى يوم القيامة • اى واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة • من يسومهم سوء العذاب •
كالاذلال وضرب الجزية عليهم وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم
وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية
عليهم فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر • ان ربك لسريع العقاب • اى عاقبهم فى الدنيا • وانه لغفور رحيم • اى لمن تاب وامن منهم
• وقطعناهم • اى فرقنا بنى اسرائيل فى الارض وجعلنا كل فرقة منهم فى قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم
شوكة وقوله تعالى • امما • اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله • منهم الصالحون • صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا
بالمدينة ومن يسير بسيرتهم • ومنهم دون ذلك • اى ناس دون ذلك الوصف اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم • وبلوناهم
بالحسنات والسيئات • اى بالنعم والنقم • لعلهم يرجعون • عما كانوا فيه من الكفر والمعاصى • فخلف من بعدهم • من بعد المذكورين
خلف • اى بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بفتح اللام

فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم • ورثوا الكتاب • اى التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها • ياخذون عرض
هذا الادنى • استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اى ياخذون حطام هذا الشئ الادنى اى الدنيا وهو من الدنو او
الدناءة والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى فى الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا • ويقولون سيغفر لنا • ولا يؤاخذنا الله
بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون • وان ياتهم عرض مثله ياخذوه • حال من
الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه • الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب • اى الميثاق الوارد
فى الكتاب • ان لا يقولوا على الله الا الحق • عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا
توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب • ودرسوا ما فيه • عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا
وهو اعتراض • والدار الاخرة خير للذين يتقون • ما فعل هؤلاء • افلا تعقلون • فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد
وقرئ بالياء وفى الالتفات تشديد للتوبيخ • والذين يمسكون بالكتاب • اى يتمسكون به فى امور دينهم يقال مسك بالشئ وتمسك به قال
مجاهد هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم ياخذوه
ماكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى • واقاموا الصلوة • ولعل
التغيير فى المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر فى جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر
العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى • انا
لا نضيع اجر المصلحين • والرابط اما الضمير المحذوف كما هو راى جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو راى الكوفيين فانه
فى حكم مصلحيهم كما فى قوله تعالى فان الجنة هى الماوى اى ماويهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اى ابوابها واما العموم فى المصلحين فانه من الروابط ومنهم
الرجل نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله • واذ
نتقنا الجبل فوقهم • اى قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم • كانه ظلة • اى سقيفة وهى كل ما اظلك • وظنوا • اى تيقنوا • انه واقع بهم • ساقط عليهم
لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به والاطلاق الظن فى الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله
تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم • خذوا ما اتيناكم • اى وقلنا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب • بقوة •
وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو • واذكروا ما فيه • بالعمل ولا تتركوه كالمنسى • لعلكم تتقون • بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق
او راجين ان تنتظموا فى سلك المتقين • واذ اخذ ربك • منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق
العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
قد مر بيانه مرارا اى واذكر لهم اخذ ربك • من بنى ادم • المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم
وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشان الماخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب فى
اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الاتى واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تعالى • من ظهورهم •
بدل من بنى ادم بدل البعض بتكرير الجار كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم ومن فى الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الاجمال
والتفصيل بعد الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم فى اصلاب الاباء ولم يستودعوا فى ارحام الامهات وقوله تعالى • ذريتهم • مفعول اخذ اخر
عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم
اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم فى بنى اسرائيل ادم كذلك وتخصيصها
باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل • واشهدهم على انفسهم • اى
اشهد كل واحد من اولئك الذريات الماخوذين من ظهور ابائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص
وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى • الست بربكم • على ارادة القول اى قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد
مدخل فى شان من شؤنكم فينتظم استحقاق العبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى • قالوا • استيناف مبنى على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فما
ذا قالوا فقيل قالوا • بلى شهدنا • اى على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد فى الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا
فى مبدا الفطرة مستعدين من الكلام كانه قيل للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الافاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه
وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول
والبصائر ونصب لهم فى الافاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم
على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما فى قوله تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى • ان تقولوا • بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المعاصرين

اليهود سلا بذاتي لا الزاما اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي ذكر
بالبناء على ان الضمير للذرية واياما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم
القيامة • عند ظهور الامر • انا كنا عن هذا • اي عن وحدانية الربوبية واحكامها • غافلين • لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ
التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة
وقوله تعالى • او تقولوا انما اشرك اباؤنا • عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي اخترعوا الاشراك وهم سنوه • من قبل • اي من قبل زماننا
وكنا • نحن • ذرية من بعدهم • لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل • افتهلكنا بما فعل المبطلون • من اباءنا المضلين بعد
ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستدلال بالرأي او اتواخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا
فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقالة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم
بما هو كائن الى يوم القيامة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الاية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى
خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء
للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه الصلبية ومن ظهورهم
ابناءهم الصلبية وهكذا الى اخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان
يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى ابائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لادم عليه السلام
من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضي الله عنه ليس نصا في عدمه ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما
ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا احد من افراد البشر يذكر ذلك
فمردود لكن لا لما قيل ان الله عز وجل اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنسيانهم وعدم
حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى حتى
يجب ان يكون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه
كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيامة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه
هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا
يوم القيامة بالغفلة عنه او بتقليد الاباء هذا على تقدير كونه تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه تعالى
شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية
اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة • نفصل الايات • المذكورة لا غير ذلك • ولعلهم يرجعون • ولكي يرجعوا عما هم عليه من الاصرار على
الباطل وتقليد الاباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدائية ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب اي على التفصيل اي وكذلك
نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ • واتل عليهم • عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد عليه منطاق الانباء من
الجزر عن الكفر والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود • نبا الذي اتيناه اياتنا • اي خبره الذي له شان وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل
وقيل هو بلعم بن باعوراء او بلعام بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله
تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام
توبيخ اليهود بقبائحهم • فانسلخ منها • اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر ببالها اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها
ونبذها وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة عن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته
للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال • فاتبعه الشيطان • اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال
وفيه تلويح بانه شد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته • فكان من الغاوين • فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من
المهتدين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده
ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بعد وفاته عليه السلام كما مر في سورة المائدة • ولو شئنا
كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات العاملين بموجبها لكن لا بحسب مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف
للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل بسبب مباشرته للفعل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه
قوله تعالى • بها • اي بسبب تلك الايات بان يعمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل [illegible] الله تعالى

لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل • ولكنه
اخلد الى الارض • مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب
تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الاخر تعويلا على اشعار المذكور به المطوي كما في قوله
تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى
بالذات وتفضل محض عاية لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره
على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الاية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرانية على
اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به
والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه اثر الدنيا الدنية على المنازل السنية والضعة والسفالة على الرفعة والجلالة • واتبع هواه
معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى • فمثله كمثل الكلب • لما انه اخس الحيوانات
واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل • ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث • اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله
وهي حالة دوام اللهث في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان
يقال فصار مثله كمثل الكلب للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط
لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث
سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد لسهولته لضعف قلبه
وانقطاع فؤاده بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية
مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما
الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واياما كان
فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة
بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب
الى ان هلك • ذلك • اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة المنسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة
والدناءة اي ذلك المثل السيء • مثل القوم الذين كذبوا باياتنا • وهم اليهود حيث اوتوا في التورية ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر القران المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التورية
• فاقصص القصص • القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء
المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك • لعلهم يتفكرون • فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك
قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم
او رجاء لتفكرهم • ساء مثلا • استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعله مضمر
فيها وما تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى • القوم الذين كذبوا باياتنا • وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير
مضاف اما اليه واما الى الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ والى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم موصولا بالموصول مع [illegible]
حال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة والربط قوله تعالى • وانفسهم كانوا يظلمون • به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم
الصلة بمعنى الجامعين بين تكذيب ايات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها والعلم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم
فان وبالها لا يتخطاها واياما كان ففي يظلمون رمز الى ان تكذيبهم بالايات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول • من يهد
الله فهو المهتدي • لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد
الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول
الاهتداء من غير ان يكون لها تاثير فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد فالمراد بالهداية
الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة
الى ما يوصل الى البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سلف تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار بان من هداه الله تعالى
حتى يرد عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء وحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم
ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل [illegible] لا مهتدي الا من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه

المذكور هو المهتدي لا غير كائنا من كان • ومن يضلل • بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها • فاولئك • الموصوفون
بالضلالة على الوجه المذكور • هم الخاسرون • اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها
للايذان بان اتحاد منهاج الهدى وتعدد طرق الضلال • ولقد ذرأنا • كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم
اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى • كثيرا • اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما او تأخيره
عنهما الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى • من الجن والانس • متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من
الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر
من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
من الآيات والنذر • فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها
جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى • لهم قلوب • في محل النصب على انه صفة
اخرى لكثيرا وقوله تعالى • لا يفقهون بها • في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر
افراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله ومعنى وصفها بكمال الاغراق في القساوة
فانها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في اعينهم واذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شأنها ان يفقهوا
بها شيئا مما من شأنه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم • ولهم اعين لا يبصرون
بها • الكلام فيه كالذي عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد
الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا
اوليا • ولهم اذان لا يسمعون بها • اي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين
مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور
دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل
والغواية ما لا يخفى • اولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة • كالانعام • اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب
التعيش مقصورة عليها • بل هم اضل • فانها تدرك ما من شأنها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها
بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل
لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن ادم • اولئك • المنعوتون بما مر
من مثلية الانعام والشرية منها • هم الغافلون • الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون
من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه ادنى خلقه وهو السميع العليم اسماؤه التي هي من اخص شؤونه تعالى • ولله
الاسماء الحسنى • تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخالفين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق
به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني
واشرفها • فادعوه بها • اي فسموه بتلك الاسماء • وذروا الذين يلحدون في اسمائه • الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا
مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا
كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى
وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة
كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه
الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم الهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم
كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد
عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك المأمور به الاجتناب بل ذلك اذ لا يتوهم صدور
الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى • سيجزون
ما كانوا يعملون • فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كأنه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا
نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم
ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم • وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون • بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين

الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في
قوله تعالى ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم
على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم
بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الاية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله
وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار
على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به • والذين كذبوا باياتنا • شروع في تحقيق الحق الذي يهدي
اليه الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية
واضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومضمار الصدق والعدل
• سنستدرجهم • اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي
سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى
اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم اسعيه لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه
حيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يدر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي
فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم
كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى • من حيث لا يعلمون • متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي
سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم • واملي لهم •
عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل
في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه
من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما انه للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي لا
بتوسط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والالاحترز عن ايرادها في قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم انما نملي لهم الاية بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء • ان كيدي متين • تقرير للوعيد وتأكيد له اي
قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه
قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه
فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استلزامه لاعتبار القيد المذكور حتما • اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة • كلام مبتدأ مسوق
لانكار عدم تفكرهم في شأنه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب
والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما
نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة بالكسر من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل
التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي اكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الامة
الهادية الى الحق وعليه انزلت تلك الآيات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا
به وبما انزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من
جنة ما على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم
له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم
مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يتيسر الا لمن به مس من الجنون كيفما اتفق
من غير ان يكون له اصل وجعلوا او ممن له تابع اي مخبر به من الامور الغيبية واذ ليس به عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام موحى اليه من عند
الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات
يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون ح للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من
النكتة المذكورة وقوله تعالى • ان هو الا نذير مبين • جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله
تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة
في الاعذار وقوله تعالى • اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض • استئناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية
المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم بالتفكر في شأنه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار

والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر والمذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت والملك العظيم اى اكذبوا بها او لم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا
انظر تامل فيما تدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة • وما خلق الله • اى وفيما خلق فيهما على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال
ظهور عظم الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض في التعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه
قوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وقوله تعالى • من شىء • بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلايل المصنوعات
دون دقايقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم الشىء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته
تعالى وبساير شؤونه التى ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لايح على الصانع المجيد
وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى • وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم • عطف على ملكوت وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وخبرها عسى
مع فاعلها الذى هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم
ويجوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما واياما كان فمناط الانكار والتوبيخ
للنظر والتامل لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الايات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرانية ويجوز ان يكون
الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله تعالى • فباى حديث بعده يؤمنون •
قطع لاحتمال ايمانهم راسا ونفى له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده
للايات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرانا او بتاويلها بالذكر واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها
ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباى حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد
القوية بلا دعيمات وقيل الضمير للقران والمعنى فباى حديث بعد القران يؤمنون به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على
تخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير للاجل والمعنى فباى حديث بعد القران انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه
وسلم على حذف مضاف اى فباى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى • من يضلل الله فلا هادى له • استيناف مقرر لما قبله
منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى • ويذرهم في طغيانهم يعمهون • بالياء والرفع على الاستيناف اى وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات
اى ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل من يضلل الله لا يهديه احد ويذرهم وقد روى الجزم بالنون عن نافع وابى عمرو
في الشواذ وقوله تعالى • يعمهون • اى يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفى نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات
نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفى والاثبات للكل • يسألونك عن الساعة • استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم
اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها
في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد
استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى • ايان مرساها • بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام
ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اى متى ارساؤها اى اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمى من ارساه
اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشىء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة
والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال
بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلى من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها
وما سلف هذا المسلك في الجواب لما عرفت ايضا حيث اسند العلم المطلوب بالسؤال الى الساعة فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل • قل انما علمها •
اى علمها باعتبار المذكور • عند ربى • ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه
من عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استاثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبى مرسل وقوله تعالى • لا يجليها لوقتها الا هو • بيان لاستمرار
تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلى عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذى تسألوننى عنه الا هو بالذات من غير
ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه
التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اى في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا للنفى كانه قيل
لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذى

يسألونك عنه وقوله تعالى • ثقلت في السموات والارض • استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اى كبرت وشقت على اهلهما من الملائكة والثقلين كل
منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما
شىء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى • لا تأتيكم الا بغتة • فانه ايضا استيناف مقرر لمضمون ما قبله اى كبرت ثلاثة
من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اى لا تأتيكم الا فجاءة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته
والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه • يسألونك كانك حفى عنها • استيناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى الرسول
صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه وان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام شان المسؤول
عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جىء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم في ذلك اى يسألونك مشبها
حالك عندهم بحال من هو حفى عنها اى مبالغ في العلم بها فعيل من حفى وحقيقته كانك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال
عن الشىء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل اى استيصاله والاحفاء في المسألة
اى الالحاح فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كانك حفى معترض وصلة حفى محذوفة اى حفى بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة
بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كانك حفى تتحفى بهم فتخصهم
بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى امرها عن غيرهم فقيل كانك عالم بها من حفى عنها وقيل هو من حفى بالشىء بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك
كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذى استاثر الله عز وجل بعلمه • قل انما علمها عند الله • امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له
واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التى من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى • ولكن
اكثر الناس لا يعلمون • اى لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة
ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح
في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث
لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى • قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا • شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال
زعمهم الذى بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشان الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول
والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهانى واللام اما متعلقة باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اى لا املك
نفعا على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما • الا ما شاء الله • ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكننى منه ويقدرنى عليه اولكن ما شاء الله من ذلك كائن فالا
منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز • ولو كنت اعلم الغيب • اى جنس الغيب التى من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية
والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة • لاستكثرت من الخير • اى لحصلت كثيرا من الخير الذى نيط حصوله بالافعال الاختيارية
للبشر بترتيب شبابه ودفع موانعه • وما مسنى السوء • اى السوء الذى يمكن التفصى عنه بالتوقى من موجباته والمدافعة بموانعه لاسوء ما فانه مما لا مدفع
له • ان انا الا نذير وبشير • اى ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شانى حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب
التى لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرايع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه
الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصى وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله تعالى
• لقوم يؤمنون • اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اى نذير للكافرين
اى الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اى في اى وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان • هو الذى
خلقكم • استيناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراتهم على الاشراك بتذكير مبادى احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان المبتدا اى
ذلك العظيم الشان الذى خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه • من نفس واحدة • هو آدم عليه السلام وهذا نوع
تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته • وجعل • عطف على خلقكم
داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعى الترتيب في الوجود • منها • اى من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم
ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هى المؤدية الى الغاية الاتية لا الجزئية
والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى • زوجها • مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى • ليسكن اليها • علة غائية
للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى اى ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى • فلما
تغشاها • اى جامعها • حملت حملا خفيفا • في مبادى الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض
لذكر خفته للاشارة الى نعمة تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة • فمرت به • اى

كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنه وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجيء والذهاب
او من المرية فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله
كما يستثقلنه فمرت به اي مضت به الى الميلاد من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى • فلما اثقلت • اي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها
ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور وانما مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ
اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها • دعوا الله • اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا
اليه عز وجل وقوله تعالى • ربهما • اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا
الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد
القسمي وقالا او قائلين • لئن آتيتنا صالحا • اي ولدا من جنسنا سويا • لنكونن • نحن ومن يتناسل من ذريتنا • من الشاكرين • الراسخين
في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر
افراد الجنس ومعيار لها ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع
له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما وللكل من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعا
اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل
بالاعتناء المذكور بل مؤكد له واياما كان فمعنى قوله تعالى • فلما آتاهما صالحا • لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد
الولد ما تناسلوا فقوله تعالى • جعلا • اي جعل اولادهما • له • تعالى • شركاء • على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر
وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى • فيما آتاهما • اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك
وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم
بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة ان قيل ما ذكر من حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسرايته اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه
صورة مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب
الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات
الآباء قد اسند الى الابناء بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في ان آدم وحواء عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه
فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على
ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه
من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى
والجناية عليهما عليهما السلام • فتعالى الله عما يشركون • تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته
الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما في عما مصدرية
اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركون به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا
وقرئ تشركون بالخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه
عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما
وللاعقاب المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير
وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله
خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا
وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل هذا الشأن الخطير امر قريب من المحال والله اعلم
بحقيقة الحال • ايشركون • استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما اشركوه
به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى • ما لا يخلق شيئا • اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء
اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى • وهم يخلقون • عطف على لا يخلق وايراد الضميرين جمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر
بها عن الاصنام انما هو حسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها
بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالق جميع الاشياء
مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره • ولا يستطيعون لهم • اي لعبدتهم

اذا حزبهم امر وخطب ملم • نصرا • اي نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة • ولا انفسهم ينصرون • اذا اعترتهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعون عن انفسهم
وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود
اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اصلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية بناء على ان حصلة المطالب والخطاب للمشركين بالمنصورية لانهم
ليسوا اهلا لها وقوله تعالى • وان تدعوهم الى الهدى • بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد
الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها
المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب وتنجون به عن المكاره • لا يتبعوكم • الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى • سواء
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون • استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم
البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها
في سياق النظم الكريم في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب
للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الى الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم
مكان عليكم كما في قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون
بفضل الدعوة • ان الذين تدعون من دون الله • تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الاصنام
وتسمونهم آلهة • عباد امثالكم • اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها
بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة
بها وقوله تعالى • فادعوهم فليستجيبوا لكم • تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر • ان كنتم صادقين • في
زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى • الهم ارجل يمشون بها • الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة
ببيان فقدان الآلات بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو
بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها يتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات
الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل
بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال اتمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر
من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى • ام لهم ايد يبطشون بها •
منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ان اليد
والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي
حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى • ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها • مع ان الكل سواء في انها
من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل لان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما
تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية
عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دون الله تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور
والنقصان • قل ادعوا شركاءكم • بعدما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم بالمحاجة ويكرر
عليهم التبكيت والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي • ثم كيدون • جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من
مبادي الكيد والمكر • فلا تنظرون • اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا • ان وليي الله الذي نزل الكتاب •
تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق وانهما ما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة
الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون
نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى • وهو يتولى الصالحين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده
وينصرهم ولا يخذلهم • والذين تدعون • اي تعبدونهم • من دونه • تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به • لا يستطيعون نصركم •
اي في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور • ولا انفسهم ينصرون • اذا نابتهم نائبة • وان تدعوهم الى الهدى • الى ان يهدوكم الى ما تحصلون
به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود • لا يسمعوا • اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى
• وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون • بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية
وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك
ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه

والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات
السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئات المذكورة لا تتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اى وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك
كما انت عليه ومن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون اى وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين
الى الاسلام لا يتبعوكم اليكم خوطب عليه السلام بطريق التجريد تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيك
عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلايا التي لا تكاد تخفى على الناظرين • خذ العفو • بعد ما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم
ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق
عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة • وامر بالعرف • بالجميل المستحسن
من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير • واعرض عن الجاهلين • من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله جبريل عليهما
السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق
امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروى انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى • واما ينزغنك
من الشيطان نزغ • النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ
من قبيل جد جده اى وان يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه • فاستعذ بالله • فالتجئ اليه تعالى من شره انه
سميع • يسمع استعاذتك به قولا • عليم • يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء
الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة
بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها • ان الذين اتقوا • استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام
من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اى ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها • اذا مسهم
طائف من الشيطان • ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا اى الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواو والياء كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع
ضميره فيما سياتي • تذكروا • اى الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه • فاذا هم • بسبب ذلك التذكر • مبصرون • مواقع الخطأ ومكايد الشيطان
فيحترزون عنها ولا يتبعونه • واخوانهم • اى اخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار • يمدونهم
في الغي • اى يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل
والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال • ثم لا يقصرون • اى لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى
لا يعدلون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له • واذا لم
تاتهم باية • من القرآن عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه • قالوا لولا اجتبيتها • اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اى هلا جمعتها من تلقاء نفسك
تقولا يريدون بذلك ان سائر الايات ايضا كذلك او هلا اخذتها من ربك استدعاء • قل • ردا عليهم • انما اتبع ما يوحى الي من ربي • من غير ان يكون لي
دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله
الذي كلفوه اياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول باعتبار المفعول الخ كما هو الشائع
في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي التعرض لوصف
الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه عليه السلام والتنبيه على تاييده ما لا
• هذا • اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى الي • بصائر من ربكم • بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل
حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اى بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها • وهدى ورحمة • عطف على بصائر وتنكيرهما للتفخيم وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى
• لقوم يؤمنون • للايذان بان كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة
فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون باثاره والجملة من تمام القول المامور به • واذا قرئ القرآن فاستمعوا له • ارشاد الى
طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن اى واذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع
تحقيق وقبول • وانصتوا • اى واسكتوا في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع • لعلكم ترحمون • اى تفوزون
بالرحمة التي هي اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم

الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على انه في استماع المؤتم وقد روى انهم كانوا يتكلمون في الصلوة فامروا باستماع قراءة
الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلوة فعامة
العلماء على استحبابهما والاية اما من تمام القول المامور به او استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى • واذكر ربك في نفسك • على الاول عطف على قل وعلى الثاني
فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة • تضرعا وخيفة •
اى متضرعا وخائفا • ودون الجهر من القول • اى ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر • بالغدو والاصال • متعلق باذكر اى اذكره
في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اى دخل في الاصيل موافق للغدو • ولا تكن من الغافلين • عن ذكر الله تعالى
• ان الذين عند ربك • وهم الملائكة عليهم الصلوة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى
• لا يستكبرون عن عبادته • بل يؤدونها حسبما امروا به • ويسبحونه • اى ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه • وله يسجدون •
اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود [struck] فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت
فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال خمس وسبعون آية مكية

يسألونك عن الانفال • النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى
بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنائم
بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ
بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة
تحازون اليها فحاصر فقال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن
كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل
الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك
فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام لحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما ينطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر
والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال
غير متعين فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل • قل الانفال لله والرسول • اى حكمها مختص به تعالى
يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم
بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق
ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها
للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متاخر التزام للنكر والنسخ من غير علم بالناسخ
الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الاية
فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية على ان
الحق انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم
بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر
جعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يابا مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب
من سؤال الموعود ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت
به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف
فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل
يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتداة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب كونه
سؤاله بموجب الشرط ورده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عليه السلام بما لا يقدر على انجازه واعطاؤه

عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وعدها ثم ردها ان يتناطحين ورده له عليه السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض انه
المانع من اعطا المسئول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل • فاتقوا الله • اى اذا كان امر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم
فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا
للشروط لما كان فيه محذور وجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم • واصلحوا ذات بينكم • حال ما بينكم من الحال الملابسة لها
التامة لبينهم صاحبة له كما قيل الامور المتعلقة في الصدور ذات الصدور اى اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى
وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا
فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان دعاهم
وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض • واطيعوا الله ورسوله • بتسليم امره ونهيه وتوسيط
الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة
• ان كنتم مؤمنين • متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه وهو الجواب على الخلاف المشهور واياما كان فالمقصود تحقيق
المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اى ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على
الخصال الثلث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان • انما المؤمنون • جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد
بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اى انما الكاملون في الايمان
المخلصون فيه • الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم • اى فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل
وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اى خافت • واذا تليت
عليهم آياته • اى آية كانت • زادتهم ايمانا • اى يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان
وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يحتمل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فزاد
ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو على حاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي
عبر عنها بالزيادة للفرق والتفرقة بين يقين الانبيا وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبنى ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة • وعلى ربهم • مالكهم ومدبر امورهم خاصة • يتوكلون • يفوضون
امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى • الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون • مرفوع على انه نعت للموصول
الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبي عن المدح وذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل عقب باعمال
الجوارح من الصلوة والصدقة • اولئك • اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك
عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف
• هم المؤمنون حقا • لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اى اولئك
هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اى حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا • لهم درجات • من الكرامة والزلفى وقيل درجات
عالية في الجنة وهو اما جملة مبتداة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم الخ وكيت او خبر ثان
لاولئك وقوله تعالى • عند ربهم • اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اى كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان
ما اعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات • ومغفرة • لما فرط منهم • ورزق كريم • لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم
من نعيم الجنة • كما اخرجك ربك من بيتك بالحق • الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم
في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر
مقدر في قوله تعالى الانفال لله اى الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة
لانها مهاجره ملتبسا بالحق • وان فريقا من المؤمنين لكارهون • اى والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع من القتال او لعدم
الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة العدو فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب
رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السما فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك
الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير

اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع
جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل
يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من
مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم
فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى
فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا
حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند
الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان
الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك • يجادلونك في الحق • الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استئناف او حال
ثانية اى اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى • بعد ما تبين • منصوب بيجادلونك وما مصدرية اى بعد
تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال • كانما
يساقون الى الموت • الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اى مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل • وهم ينظرون •
حال من ضمير يساقون اى والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم
وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان • واذ يعدكم الله احدى الطائفتين • كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز
وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين
والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اى اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من
الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه
من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى • انها لكم • بدل الاشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اى يعدكم ان احدى الطائفتين
كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم • وتودون • عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر
اى تحبون • ان غير ذات الشوكة تكون لكم • من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ
لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة
النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها • ويريد الله • عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم
عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اى اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووددتم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما
وذلك قوله تعالى • ان يحق الحق • اى يثبته ويعليه • بكلماته • اى بآياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم
وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته • ويقطع دابر الكافرين • اى آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله
عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى • ليحق الحق ويبطل الباطل • جملة مستأنفة
سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اى لهذه الغاية الجليلة
فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار
حقيته لا اعطاؤه حقيقة لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل • ولو كره المجرمون • اى المشركون ذلك اى احقاق الحق وابطال الباطل • اذ
تستغيثون ربكم • بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم
العلل وامداده تعالى اياهم وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف
لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل

وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة
في وقت واحد والماضي عن زمانها لما ان نظر الى زمان النزول
وقيل متعلقة بمضمر مستانف اى اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اى ربنا انصرنا
على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة
وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه
فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • فاستجاب لكم • عطف على
تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة • اني ممدكم • اي بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل
فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول • بالف من الملائكة مردفين • اى
جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى هاهنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران
مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة اخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اى متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
وتشديد الدال واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع
وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة
او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل على وقوعها • وما جعله الله • كلام مستانف مسوق لبيان ان
الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى
مفعول واحد هو الضمير العائد الى المصدر المنسبك من قوله تعالى انى ممدكم كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم
بهم • الا بشرى لكم • وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون • ولتطمئن
به • اى بالامداد • قلوبكم • وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه
وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راي بعض السلف
وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في لتطمئن
متعلقة بمحذوف اى ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء اخر • وما النصر • اى حقيقة النصر على الاطلاق • الا من عند الله • اى الا كائنا من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة
من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية • ان الله عزيز • لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته • حكيم •
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم
البالغة • اذ يغشيكم النعاس • اى يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما
عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او
بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغطية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى
النعاس وقوله تعالى • امنة منه • على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اى يغشاكم النعاس فتنعسون امنا
كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل اخر كذلك اى فتامنون امنا كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا على احد الوجهين
وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون
او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة • وينزل عليكم من السماء ماء • تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان
بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال • ليطهركم به • اى من الحدث الاصغر والاكبر • ويذهب
عنكم رجز الشيطان • الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر انفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى
انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال
انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم
الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى • وليربط على قلوبكم • اى يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد
بمشاهدة طلائعه • ويثبت به الاقدام • ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن

فيه الصبر والجراة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى • اذ يوحي ربك الى الملائكة • منصوب بمضمر مستانف خوطب به النبي صلى
الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو عليه
عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامم كسائر النعم السابقة التي امروا بذكرها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام
فلا بد من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت الاقدام بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم ايا كم وقت
القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فياباه تخصيص
الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف العامة لكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة • انى معكم • اى بالامداد والتوفيق في امر التثبيت
فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون
للتثبيت صورة فليس لهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى • فثبتوا الذين امنوا • لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالمباشرة وتكثير
السواد ونحوهما مما تتقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتاكد جدهم في القتال وهذا الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل
على الثبات في موطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روى انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فياتي ويقول انى سمعت
المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال اخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا
قوله تعالى • سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب • تفسيرا لقوله تعالى انى معكم وقوله تعالى • فاضربوا • الى اخره تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا
لكيفية التثبيت وقد روى عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه
بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده
قبل ان يصل اليه السيف والتحقيق ان قتالهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا وجه للترتيب عليه
بالفاء فالعقد الاولى ان قوله تعالى سالقي الخ ليس نصا فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تعالى فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به
كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الى اخره فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين
بالذات على طريقة التلوين فيباه ترتيبهم وورود قبل القتال وان ذلك السورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى • فوق الاعناق •
اى اعاليها التي هي المذابح او الهامات • واضربوا منهم كل بنان • قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل
بنانة قال ابن عباس رضي الله عنه وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اى اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاداني وبفوق
الاعناق والاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده
• ذلك • اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى • بانهم شاقوا الله ورسوله • اى ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم
ومخالفتهم لمن لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من
العدوة والخصم اى الجانب لان كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الاخر وخصمه • ومن يشاقق الله • ورسوله الاظهار في موضع الاضمار
لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترءوا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى • فان الله شديد العقاب • اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من
من يستلزمه اى شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه
وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله
بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده
من قوله تعالى • ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار • فانه مع كونه هو الموعود للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا
سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما تفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه
والواو في قوله تعالى وان للكافرين الخ بمعنى مع والمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار اجلا فوضع الظاهر موضع
الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان للكافرين الخ معطوف عليه
والمعنى حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار اجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على
الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الاية الكريمة وجوه اخر فتدبر الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم
جعل لكل الاستيناف • يا ايها الذين امنوا • خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة
في حثهم على المحافظة عليه • اذا لقيتم الذين كفروا زحفا • الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم

المتوجه إلى العدو ولأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم وأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه إما على أنه حال من مفعول لقيتم أي زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفا وأما كونه حالا من فاعله أو منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى لتقييد النهي عن الأدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي إلى الأدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا بعيد والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم ومن يولهم يومئذ أي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء إلا متحرفا لقتال إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكائدها أو متحيزا إلى فئة أو منحازا إلى جماعة أخرى من المؤمنين ليستنجد بهم أو ليقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنه أن سرية غزوا وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت نفرت من الزحف فقال رضي الله عنه أنا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز وانتصابهما إما على الحالية وإلا لغو لا عمل لها وإما على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا فقد باء أي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الإضافية أي بغضب كائن منه تعالى ومأواه جهنم أي بدل ما أراد بفراره أن يأوي إليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير في إيقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وهذا إذا لم يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع إلى بيان بقية أحكام الوقعة وأحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير ذلك كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم وجوز أن يكون التقدير إن علمتم ذلك فلم تقتلوهم أيها المسلمون أو فأخبركم أو فاعلموا أنكم لم تقتلوهم وقيل التقدير إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على أحد التأويلين لما روي أنهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين أقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت وأسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام من جملة أفعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما أن المقصود الأصلي بيان حال الرمي نفيا وإثباتا إذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير الرمية في نفسه وتكثيرها إلى حيث أصاب عيني كل واحد من أولئك الأمة الجمة شيء من ذلك أي وما فعلت أنت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل البشرية ولكن الله فعلها أي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق أفعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك أثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة العرف والعادة فهذا إثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون الرماية من أفعاله سبحانه لا من أفعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في المحلين واللام في تعالى وليبلي المؤمنين منه أي من عنده تعالى بلاء حسنا أي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره إما متعلقة بمحذوف متأخر أي وللإحسان إليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا وإما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة أي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي إلخ وقوله تعالى إن الله سميع أي لدعائهم واستغاثتهم عليم أي بنياتهم وأحوالهم الداعية إلى الإجابة تعليل للحكم ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن الله موهن كيد الكافرين بالإصابة معطوف عليه أي المقصد إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقيل المشار إليه القتل والرمي والمبتدأ الأمر أي الأمر ذلكم والعطف على قوله تعالى وأن الله إلخ من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين إن تستفتحوا خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين أي إن تستنصروا لأعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهكم في المجيء أو فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وإن تنتهوا عما كنتم عليه من المحاربة ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أي الانتهاء خير لكم أي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والأسر ومبنى اعتبار أصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وإن تعودوا أي إلى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لأن تأنيث الفئة غير حقيقي وللفصل أي لن تدفع

عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا أي من الإغناء أو من المضار وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقعت للتحقيق وأن الله مع المؤمنين أي ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك أو والأمر أن الله مع المؤمنين ويقرب منه حسب المعنى رواية الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما أنه مناط لنيل سعادة الدارين وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر والأمر أن الله مع الكاملين في الإيمان يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح إحدى التاءين وقرئ بإدغامها عنه أي لا تتولوا عن الرسول فإن المراد هو الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على أن طاعته تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للأمر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وأنتم تسمعون جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى أي لا تتولوا عنه والحال أنكم تسمعون من القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وإذعان ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على أنها مؤدية إلى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع أي لا تكونوا بمخالفة الأمر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم وإذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكأنهم لا يسمعونه رأسا إن شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي إثر تقرير أي إن شر من يدب على الأرض أو شر البهائم عند الله أي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لأن ما خلق له الأذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كأنهم فاقدون للجارحتين رأسا وتقديم الصمم على البكم لما أن صممهم متقدم على بكمهم بعض الأمور يفهمه غيره بالإشارة ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه وأما إذا كان فاقدا للعقل أيضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا أخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم إلى تحري الحق واتباع الهدى لأسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عليه السلام وأطاعوا وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة وإليه أشير بقوله تعالى ولو أسمعهم لتولوا أي لو أسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط أو ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه أصلا وقوله تعالى وهم معرضون إما حال من ضمير تولوا أي لتولوا على أدبارهم والحال أنهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم وإما اعتراض تذييلي أي وهم قوم عادتهم الإعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا كبيرا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو أسمعهم كلام قصي إلخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فأهلكهم الله تعالى فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج أنهم المنافقون وعن الحسن رضي الله عنه أنهم أهل الكتاب يا أيها الذين آمنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر وتنبيههم على أن فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم أي الرسول إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الأبدية كما أن الجهل مدار الموت الحقيقي أو هي ماء حياة القلب كما أن الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي أنه عليه السلام مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم إلخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه عليه السلام وقيل إن إجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلوة لمثله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه تعالى مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه حيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبدله بالأمن [illegible] وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة الفوتية للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الميم وإجراء الوصل مجرى الوقف وأنه أي الله عز وجل أو الشأن إليه تحشرون لا إلى غيره فيجازيكم حسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعته تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي لا تختص إصابتها بمن باشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كإقرار المنكر بين ظهرانيهم والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله لا تصيبن إلخ إما جواب للأمر على معنى إن أصابتكم لا تصيبن إلخ وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وإما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم أو للنهي على [illegible] القول كقول من قال حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلف المعنى فيهما وقد جوز أن يكون نهيا

عن التعرض للظلم بوبال الامر فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين
وفائدة التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم • واعلموا ان الله شديد العقاب • ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه • واذكروا
اذ انتم قليل • اي وقت كونكم قليلا في العدد واسناد الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف
وقوله تعالى • مستضعفون • خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى • في الارض • اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت
ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى • تخافون ان يتخطفكم الناس • خبر ثالث او صفة
ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار
العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم واياما اذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من تخطفهم • فآواكم •
الى المدينة وجعل لكم ماوى تتحصنون به من اعداكم • وايدكم بنصره • على الكفار وبمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة • ورزقكم من الطيبات •
من الغنائم • لعلكم تشكرون • هذه النعم الجليلة • يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول • اصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام
واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في الغنائم روي انه عليه
السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا
على حكم سعد بن معاذ رضي فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لما ان ماله وعياله كان في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري
المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به • وتخونوا اماناتكم • فيما بينكم وهو مجزوم معطوف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو • وانتم تعلمون • انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح • واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة • لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيها فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة • وان الله عنده اجر
عظيم • لمن اثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه • يا ايها الذين امنوا • تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار
كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين • ان تتقوا الله • اي في كل ما
تاتون وما تذرون • يجعل لكم • بسبب ذلك • فرقانا • هداية • في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل
باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت
افعلت كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح • ويكفر عنكم سيئاتكم • اي يسترها • ويغفر لكم • ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات
الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله تعالى وقوله تعالى • والله ذو الفضل العظيم •
تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما
وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا على عمل • واذ يمكر بك الذين كفروا • منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم
بك • ليثبتوك • بالوثاق ويعضده قراءة من قرا ليقيدوك والاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك
بالتشديد وليبيتوك من البيات • او يقتلوك • اي بسيوفهم • او يخرجوك • اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم
له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال الشيخ صدق هذا الفتى فتفرقوا
على رايه فاتى جبريل النبي واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار • ويمكرون ويمكر الله •
اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا
منهم ما لقوا • والله خير الماكرين • لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء
لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه • واذا تتلى عليهم اياتنا • التي هي ان تخرجها مصاقع الجهال • قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا •
قاله النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برايه وقيل قاله الذين

ائتمروا

ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم وقد
تحداهم عشر سنين وقرعوا بالعجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم قارعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان
• ان هذا الا اساطير الاولين • اي ما يسطرونه من القصص • واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم • هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى
فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقا منزلا من عندك فامطر علينا حجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين
والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه
الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير • وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم •
جوابا لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي
صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى • وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون • اما استغفار من بقي منهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى • وما
كان ربك ليهلك القرى واهلها مصلحون • وما لهم الا يعذبهم الله • بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي واي مانع لهم
مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون • وهم يصدون عن المسجد الحرام • اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية • وما كانوا اولياءه • حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان
مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء • ان اولياؤه
الا المتقون • من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى • ولكن اكثرهم لا يعلمون • انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم
ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم • وما كان صلاتهم عند البيت • اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون
موضعها • الا مكاء • اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا • وتصدية • اي تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد
على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم للمسجد
فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك
اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا • فذوقوا العذاب • اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب
الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم • بما كنتم تكفرون • اعتقادا وعملا • ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله • نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم
احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب
محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله • فسينفقونها • بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك
الحالة وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول
لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد • ثم تكون عليهم حسرة • ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود
جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة • ثم يغلبون • اخر الامر وان كانت الحرب بينهم سجالا قبل ذلك • والذين كفروا • اي ثبتوا على
الكفر واصروا عليه • الى جهنم يحشرون • اي يساقون اليها • ليميز الله الخبيث من الطيب • اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون
عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة • ويجعل الخبيث بعضه على بعض • فيركمه جميعا • فيضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم
فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافر • فيجعله في جهنم • كله • اولئك • اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن
الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث • هم الخاسرون • الكاملون في الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم • قل للذين كفروا • هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم • ان ينتهوا • عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم
بالدخول في الاسلام • يغفر لهم ما قد سلف • من الذنوب وقرئ نغفر لكم وتغفر لكم على البناء لله تعالى • وان يعودوا • الى قتاله
• فقد مضت سنة الاولين • الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك • وقاتلوهم •
عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد • حتى لا تكون
فتنة • اي لا يوجد منهم شرك • ويكون الدين كله لله • ويضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل • فان
انتهوا • عن الكفر بقتالكم • فان الله بما يعملون بصير • فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بما تعملون بالخطاب اي بما تعملون من الجهاد
المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة • وان تولوا • ولم ينتهوا عن ذلك

ان الله مولاكم • ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم • نعم المولى • لا يضيع من تولاه • ونعم النصير • لا يغلب من نصره • واعلموا انما غنمتم • عن الكل
انما نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما
موصولة وعائدها محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان
وقوله تعالى • من شيء • بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتنا بشان الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه
كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى خيرة فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله
تعالى • فان لله خمسه • مبتدأ خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الخ وقرئ بالكسر والاول اكد واقوى
في الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بكسر الميم والجمهور على ان
ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى • وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل • واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه
وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما
انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب
شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام
وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة الباقية واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى
وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه
منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا
وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند
الشافعي رضي الله عنه فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة
الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث
وعند مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بينهم وان راى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم
فغيرهم وتمسك ابو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ
منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شأن الخمس
واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رضي الله عنه وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبي ولما بين الله
حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى • ان كنتم آمنتم بالله • متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم
بالله تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم عنه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بل العلم
المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى • وما انزلنا • عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا • على عبدنا • وقرئ عبدنا والمراد
به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه • يوم الفرقان • يوم بدر وسمي به لفرقه بين الحق
والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم • يوم التقى الجمعان • اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان
والمراد بما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما
حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة
والفتح لما كان من جهته تعالى كان ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى • والله على كل شيء قدير •
فيقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم • اذ انتم بالعدوة الدنيا • بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة
بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا • وهم بالعدوة القصوى • اي البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى
وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو والمجيء على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا
• والركب • اي العير او قواده • اسفل منكم • اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت
رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى • ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد • اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق

ليكون الفتح ليس الا صنعا من الله عز وعلا خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا ويطيبوا نفوسهم بفرض الخمس • ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد • ليقضي الله امرا كان مفعولا • حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى • ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة • بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة
ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر
والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله تعالى الهلاك والحياة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك
الادغام حملا على المستقبل • وان الله لسميع عليم • اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال
الامرين على القول والاعتقاد • اذ يريكهم الله في منامك قليلا • منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم
في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم • ولو اراكهم كثيرا لفشلتم • اي لجبنتم وهبتم الاقدام • ولتنازعتم
في الامر • اي امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار • ولكن الله سلم • اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع • انه عليم بذات
الصدور • يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر • واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا • منصوب بمضمر
خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى
قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم • ويقللكم
في اعينهم • حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم
لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا
الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط • ليقضي الله امرا كان مفعولا • كرر لاختلاف
الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه • والى الله ترجع
الامور • كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد • يا ايها الذين آمنوا • صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا
لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده • اذا لقيتم فئة • اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء
مما غلب في القتال • فاثبتوا • اي للقائهم في مواطن الحرب • واذكروا الله كثيرا • اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره • لعلكم تفلحون • اي تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى
وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال • واطيعوا الله ورسوله •
في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا • ولا تنازعوا • باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد • فتفشلوا •
عطف على النهي او نصب على جواب النهي • وتذهب ريحكم • اي دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها
الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور • واصبروا • على شدائد الحرب • ان الله مع
الصابرين • بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى
انما هي من حيث الامداد والاعانة • ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم • بعدما امروا بما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها
والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير • بطرا • اي فخرا واشرا • ورئاء الناس • ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم
رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنون
ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده • ويصدون عن سبيل الله •
عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر • والله بما يعملون محيط • فيجازيهم عليه • واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم • منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة
المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم • وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم • اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا
يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين
ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا • فلما تراءت الفئتان • اي تلاقى الفريقان • نكص على عقبيه •
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم • وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله • اي تبرأ منهم
وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة
فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل
نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق فانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل

ان يكون معنى قوله اني اخاف اخافه ان يصيبني مكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول
ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر • والله شديد العقاب • يجوز ان يكون من كلامه او مستأنفا من جهة الله عز وجل • اذ يقول المنافقون •
منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب • والذين في قلوبهم مرض • اي الذين لم يطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم
المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب • غر هؤلاء •
يعنون المؤمنين • دينهم • حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف • ومن يتوكل على الله • جواب لهم من جهته
ورد لمقالهم • فان الله عزيز • غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل • حكيم • يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول وتحار
في فهمه ألباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه • ولو ترى • اي ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان
ترد الماضي مضارعا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا
على النار ونحوه اذ في قوله تعالى • اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة • ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم
الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى • يضربون وجوههم •
خبره والجملة حال من الموصول واستغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما • وادبارهم •
اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء • وذوقوا عذاب الحريق • على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون
او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه
عن حد البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف • ذلك • اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار
بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره • بما قدمت ايديكم • اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى • وان الله ليس بظلام للعبيد • الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه
ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته
مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون
تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين
لاحتيج الى ذلك • كدأب آل فرعون • في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب
كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة
فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب
والنكال • والذين من قبلهم • اي من قبل آل فرعون ونحوهم [illegible] فان ذلك معلوم منه بمقتضيات الكلية وقوله تعالى • فاخذهم الله • تفسير
لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى • بذنوبهم • لتأكيد ما افادته الفاء من السببية
مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب • ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم
فيكون الباء للملابسة اي فاخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي
الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلوة والسلام بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم
عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يصدر عنهم [illegible] واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب
اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة
وقوله تعالى • ان الله قوي شديد العقاب • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى • ذلك • الخ استئناف مسوق لتعليل ان
ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من
العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم ودأبهم لا يصح تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم
حالهم ولو توهم ان التسبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل انما سببها [illegible] مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير
حالهم بناء على تخيل ان الملل جرت عادتهم على كفرهم من غير تغير منه ذلك شطط هائل وابعاد عن الحق بمراحل [illegible] لامر الكفرة بآيات الله واصغاء
له عن رتبة الحاق العقاب في مقام موزلة والتهديد والمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى
على ذلك • بان الله • اي بسبب ان الله تعالى • لم يك • في حد ذاته • مغيرا نعمة انعمها • اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير
نعمة انعم بها • على قوم • من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت • حتى يغيروا ما بانفسهم • من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم
بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا

قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة ما لحقهم من الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات
غيروها الى اسوء منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من
الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل لم يك لم يكن حذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة • وان الله سميع • عطف على ان الله داخل معه
في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها
ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى • كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم • في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه
فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى • كذبوا بآيات ربهم • تفسير له بتمامه وقوله تعالى • فاهلكناهم • اخبار بترتب العقوبة
عليه لا انه من تمامه وتفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف
بتعني مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا اعتبار في توسطها قطعا
وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين
لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى
نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغيير حالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغيير نعمته
واما دأب قريش فيستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى من كل من المشبهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب
المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في
الفاء وفي قوله تعالى • بذنوبهم • كالذي مر وعطف قوله تعالى • واغرقنا آل فرعون • على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق
وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهما السلام • وكل • اي كل الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش
• كانوا ظالمين • اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم
ما اصابهم • ان شر الدواب • بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى • عند
الله • اي في حكمه وقضائه • الذين كفروا • اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم
من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى • فهم لا يؤمنون • حكم مترتب على
تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه معطوف على كفروا
داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى • الذين عاهدت منهم • بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم
ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لما نعى
عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم
لا كلهم • ثم ينقضون عهدهم • عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل
حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم • في كل مرة • اي من مرات المعاهدة وهي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستبعد وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل
اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها
بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ثم يبقى النقض الواقع بلا محاربة
كتهييج السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الافادة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى
عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم
في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج نقضهم بلا محاربة من البيان • وهم لا يتقون • حال من
فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى • فاما تثقفنهم •
شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم • في الحرب •
اي في تضاعيفها • فشرد بهم • اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية
والتعذيب ما يوجب ان ينكل • من خلفهم • اي من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ شرذ بالذال المعجمة
ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد
من ورائهم • لعلهم يذكرون • يتعظوا بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى • واما تخافن
من قوم خيانة • بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من

المعاهدين نقض عهد فيما سيأتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر • فانبذ إليهم • أي فاطرح إليهم عهدهم • على سواء • على طريق
مستو قصد بأن تظهر لهم النقض وتخبرهم إخبارا مكشوفا بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد
كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة أصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ أي فانبذ إليهم ثابتا على سواء أو على العلم بنقض العهد بحيث يستوي
فيه أقصاهم وأدناهم أو تستوي فيه أنت وهم فهو على الأول حال من المنبوذ إليهم وعلى الثاني من الجانبين • إن الله لا يحب الخائنين • تعليل للأمر
بالنبذ إما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها وإما باعتبار استتباعه
للقتال بالآخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ أولا وعلى قتالهم ثانيا كأنه قيل وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ إليهم ثم قاتلهم • إن الله
لا يحب الخائنين • وهم من جملتهم لما علمت حالهم • ولا يحسبن الذين كفروا • أي أنفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى • سبقوا • أي فاتوا وأفلتوا
من أن يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد إقناطهم من الخلاص وقطع أطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم
مع أن مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم أيضا مما يتعلق به أمانيهم الباطلة للتنبيه على أن ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وإنما الذي
يمكن أن يدور في خلدهم حسبان الفرار فقط وقيل الفعل مسند إلى أحد أو إلى من خلفهم والمفعول الأول الموصول المتناول لهم أيضا وقيل على
أن محذوف وهو من سبقوا أي أن سبقوا مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ويعضده قراءة من قرأ أنهم سبقوا
ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى • إنهم لا يعجزون •
أي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل
واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لإزاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما أنه إيقاظ
للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من أيدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على أبلغ وجه وآكده وقيل نزلت
فيمن أفلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد • وأعدوا لهم • توجيه الخطاب إلى كافة المؤمنين لما أن المأمور به
من وظائف الكل كما أن توجيهه فيما سبق وما لحق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام أي أعدوا لقتال
الذين نبذ إليهم العهد ومعينوا الخزائن أو لقتال الكفار على الإطلاق وهو الأنسب بسياق النظم الكريم • ما استطعتم من قوة • من كل ما يتقوى به في الحرب
كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام إياه بالذكر على
لا تحضه على نظائره من القوى • ومن رباط الخيل • الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول أو مصدر سميت به يقال
ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة أو جمع ربيط كفصيل وفصال أو جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة عليهما السلام • ترهبون به •
أي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم أو للإعداد وهو الأنسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل أعدوا
أي مرهبين به أو من الموصول أو من عائده المحذوف أي أعدوا ما استطعتموه مرهبا به • عدو الله وعدوكم • وهم كفار مكة خصوا بذلك
من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم وتجاوزهم الحد في العداوة • وآخرين من دونهم • من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس • لا تعلمونهم • أي لا تعرفونهم بأعيانهم أو لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الأنسب بقوله تعالى • الله يعلمهم •
أي لا غير فإن أعيانهم معلومة لغيره تعالى أيضا • وما تنفقوا من شيء • لإعداد العتاد قل أو جل • في سبيل الله • الذي أوضحه الجهاد •
يوف إليكم • أي جزاؤه كاملا • وأنتم لا تظلمون • بترك الإثابة أو بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع أن الأعمال غير موجبة
للثواب حتى يكون تركها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز
الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم • وإن جنحوا • الجنوح الميل
ومنه الجناح ويعدى باللام وبإلى أي إن مالوا • للسلم • أي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الإعداد • فاجنح لها • أي للسلم
والتأنيث لحمله على نقيضه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون • وتوكل على الله •
ولا تخف أن يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد • إنه • تعالى • هو السميع • فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع
• العليم • فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحورهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف • وإن يريدوا
أن يخدعوك • بإظهار السلم وإبطال الحراب • فإن حسبك الله • أي فاعلم بأن محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم • هو الذي أيدك بنصره
تعليل لكفايته تعالى إياه عليه السلام بطريق الاستئناف فإن تأييده تعالى إياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من
الوقوع من دلائل تأييده فيما سيأتي أي هو الذي أيدك بإمداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر إلا من عند الله أو بالملائكة
مع خرقه للعادات • وبالمؤمنين • من المهاجرين والأنصار • وألف بين قلوبهم • مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك

في الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من أبهر معجزاته عليه السلام • لو أنفقت ما في الأرض
جميعا • أي لتأليف ما بينهم • ما ألفت بين قلوبهم • استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبته لما أخذن أي تناهى التعادي
فيما بينهم الحد لو أنفق منفق في إصلاح ذات البين جميع ما في الأرض من الأموال والذخائر لم يقدر على التأليف والإصلاح وذكر القلوب للإشعار
بأن التأليف بينها لا يتسنى وإن أمكن التأليف ظاهرا • ولكن الله ألف بينهم • قلبا وقالبا بقدرته الباهرة • إنه عزيز • كامل القدرة
والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده • حكيم • يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع
هلكت فيها ساداتهم وأعاظمهم ودقت أعناقهم وجماجمهم فأنسى الله عز وجل جميع ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وأصبحوا يرمون عن قوس واحدة
وصاروا أنصارا • يا أيها النبي • شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه السلام في جميع أموره وأمور المؤمنين الواقعة بينهم وبين الكفرة
كافة إثر بيان كفايته تعالى إياه عليه السلام في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وإيراده
عليه السلام بعنوان النبوة للإشعار بعليتها للحكم • حسبك الله • أي كافيك في جميع أمورك أو فيما بينك وبين الكفرة من الحراب
• ومن اتبعك من المؤمنين • في محل النصب على أنه مفعول معه أي كفاك وكفى أتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك
سيف مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين أي كافيك وكافيهم أو في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى أي كفاك الله
والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة
ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه • يا أيها النبي • تشريف آخر له عليه السلام بإعادة
النداء والإيذان بأن ما يرد بعده أمر عظيم بترتيب مبادي نصره وإمداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لإظهار كمال الاعتناء بشأن المأمور به • حرض
المؤمنين على القتال • أي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما أمكن من الأمور المرغبة التي أعظمها تذكير وعده تعالى إياهم وأصل التحريض
الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالأوجه أن يجعل
عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى حرضهم سمهم حرضا بأن تقول إني أراك في هذا الأمر حرضا أي محرضا فيه
إلى الإقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح • إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين • وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من
المؤمنين على عشرة أمثالهم بطريق الاستئناف بعد الأمر بتحريضهم وقوله تعالى • وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا • مع اتحاد مضمونه بما قبله
كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على أنه قد جرى بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين
الكثيرين مع أن التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين أن ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى • من الذين
كفروا • بيان للألف وفي هذا القيد معتبر في المائتين أيضا وقد ترك ذكره تعويلا على ما ذكر ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما تعويلا على ذكره
هناك • بأنهم قوم لا يفقهون • متعلق بيغلبوا أي بسبب أنهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لأمر الله تعالى وإعلاء
لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وإنما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان وإثارة نائرة البغي والعدوان فلا يستحقون إلا
القهر والخذلان وأما ما قيل من أن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست إلا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا
يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل إلى ما فيه السلامة فيفر فيغلب وأما من اعتقد أن لا سعادة في هذه الحياة
الفانية وإنما السعادة هي الحياة الباقية • فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد
من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام • الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا • لما كان الوعد السابق متضمنا لإيجاب مقاومة
الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج أنه كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في
ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان
فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا أنزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء إلى القتال
لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل
وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت
في الأزل وقوله تعالى • فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين • تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية • وإن يكن
منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله • أي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والألف وغلبة العشرين المائتين كما أن قيد
الصبر معتبر ههنا وإنما ترك ذكره ثقة بما مر وقوله تعالى • والله مع الصابرين • فإنه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية
معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما تعرض هناك لحال المؤمنين مع أن مدار الغلبة في الصورتين مجموع الأمرين أعني نصر
المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لإصالتهم من حيث إنهم المباشرون
للصبر كما مر مرارا • ما كان لنبي • وقرئ للنبي على العهد والأول أبلغ لما فيه من بيان أن ما يذكر سنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم السلام

اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام • ان تكون له اسرى • وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا • حتى يثخن في الارض •
اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك
به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة • تريدون عرض الدنيا • استيناف مسوق للعتاب اي
تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء • والله يريد الآخرة • اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما
فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله • اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد
بالليل نارا • والله عزيز • يغلب اولياءه على اعدائه • حكيم • يعلم بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت
الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب
عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس
ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم • ومثلك
يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان • لولا كتاب من الله سبق •
اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي عنه واما ان
الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة
كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء • لمسكم • اي لاصابكم • فيما اخذتم • اي لاجل ما اخذتم
من الفداء • عذاب عظيم • لا يقادر قدره • فكلوا مما غنمتم • روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء لتسبيب ما بعدها على
سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة
عن الفدية فانها من جملة الغنائم وياباه سباق النظم الكريم وسياقه • حلالا • حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته
الترغيب في اكلها وقوله تعالى • طيبا • صفة حلالا مفيدة لتاكيد الترغيب • واتقوا الله • اي في مخالفة امره ونهيه • ان الله غفور رحيم •
فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه • يا ايها النبي قل لمن في ايديكم •
اي في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم • من الاسرى • وقرئ من الاسارى • ان يعلم الله في قلوبكم خيرا • خلوص ايمان وصحة نية •
• يؤتكم خيرا مما اخذ منكم • من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي
نفسه وابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى
ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك
قال اخبرني به ربي تعالى قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه احد الا الله فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتاول به ما في قوله تعالى • ويغفر لكم والله غفور رحيم • فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي
• وان يريدوا خيانتك • اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم
• فقد خانوا الله من قبل • بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه • فامكن منهم • اي فاقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان عادوا
الى الخيانة فاعلموا انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد • والله عليم • فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه
من العقاب • حكيم • يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة • ان الذين آمنوا وهاجروا • هم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله تعالى ولرسوله • وجاهدوا باموالهم • بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج • وانفسهم • بمباشرة القتال واقتحام
المعارك والخوض في المهالك • في سبيل الله • متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا
واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة • والذين آووا ونصروا • هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم
وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم • اولئك • اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت
الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى • بعضهم اولياء بعض • اما مبتدا ثان واولياء
بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في

والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم • والذين آمنوا ولم يهاجروا • كسائر المؤمنين • ما لكم من ولايتهم من شيء • اي من
توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم • حتى يهاجروا • وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة • وان استنصروكم
في الدين فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين • الا على قوم • منهم • بينكم وبينهم ميثاق • معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم • والله
بما تعملون بصير • فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه • والذين كفروا بعضهم اولياء بعض • آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه
مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب • الا تفعلوه • اي ما امر به من التواصل بينكم
وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار • تكن فتنة في الارض • اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور
الكفر • وفساد كبير • في الدارين وقرئ كثير • والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا •
كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقسط المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى • لهم مغفرة ورزق كريم • لا تبعة له ولا منة
فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم • والذين آمنوا من بعد وهاجروا • بعد هجرتكم • وجاهدوا معكم • في بعض مغازيكم
• فاولئك منكم • اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من
تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى • واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • آخر منهم في التوريث من الاجانب • في كتاب الله • اي في حكمه او في اللوح
او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام • ان الله بكل شيء عليم • ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا من الحكم
البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي
عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته • الله تعالى اعلم واحكم

سورة التوبة مائة وثلثون آية مدنية

ولها اسامي اخر • سورة التوبة • والمقشقشة • والبحوث • والمنقرة • والمبعثرة • والحافرة • والمخزية • والفاضحة • والمنكلة • والمشردة
والمدمدمة • وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكل بهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقتضي انها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بها
باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكم ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يابى مقامه التصدر بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى
مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين
السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو راي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح
من المذهب انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وانه لا مدخل لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا
مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه
صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما حيث لم يبينه عليه السلام
تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم • براءة • خبر مبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة
ومن في قوله تعالى عز وجل • من الله ورسوله • ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مفيدة لزيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتداة من جهة
الله ورسوله واصلة • الى الذين عاهدتم من المشركين • وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما
في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدا لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي تقتضيه جزالة
النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتا ولا عنوانا ابتداؤها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج
الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من
جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون
صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة
الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق
الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمين بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت
البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله

وانما ان الرسول عليه السلام للانباء عن تبرئهما وتحتمهما من غير توقف على رأى المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر المترتب على العهد
السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها
آثارها من غير توقف على شئ اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في
اتمامها او في ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة
المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شأنها هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها
ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك تفخيما لشأن
البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة
النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه شأنه الرفيع واجلال قدره المنيع
في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وحذف الفعل لكونه معلوما كما في قوله وخبرتمانى انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب • فانه علة مصححة
لمرجحة اى كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله • وان يظهروا عليكم • اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم • لا يرقبوا فيكم •
اى لم يراعوا في شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب
من المبالغة ما ليس في نفيها • الا ولا ذمة • اى حلفا وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق
يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على سواء
قول من قال عللا فقيل منهم ذرية وهو • لا لقضية تبلوا اما ولا ذمما • وقيل الا من اسماء الله تعالى عز وعلا اى لا يرعون حق الله تعالى وقيل الجوار
ومادة الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لتشهيرهم ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن
حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في شيء وانما يظهرونه مداهنة لانهاد دنية فقيل • يرضونكم
بافواههم • حيث يظهرون الوفا والمصافاة ويعدون لكم الايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور
خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم بمجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم • وتأبى قلوبهم •
ما تفيده كلامهم • واكثرهم فاسقون • خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروة رادعة ولا
عقيدة وازعة لا يتشمرون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء • اشتروا بآيات الله • بآياته الآمرة بالايفاء
بالعهود والاستقامة في كل امر وجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اى تركوها واخذوا بدلها • ثمنا قليلا • اى شيئا حقيرا من حطام
الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها وسلاما اطعمه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب • فصدوا • اى عدلوا ونكبوا من صد صدودا
او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك • عن سبيله • اى الدين الحق الذي لا يحيد عنه والاضافة للتشريف
او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه • انهم ساء ما كانوا يعملون • اى بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم
محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اى ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا
• لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة • نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن
عاهدهم وهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فيستدعي اختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره • واولئك •
الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة • هم المعتدون • المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة • فان تابوا • اى عما هم عليه من الكفر
وسائر العظائم والفا للايذان بان تقريعهم بما نعى عليهم من مساوى اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة • واقاموا الصلوة واتوا الزكوة • اى
التزموهما وعزموا على اقامتهما • فاخوانكم • اى فهم اخوانكم وقوله تعالى • في الدين • متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى لهم ما لكم
وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي
مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم
بالاعتداء والاشتبا فيه فلا بد من ان يكون جوابها حكما بخلافه البتة • ونفصل الآيات • اى نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال
المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا • لقوم يعلمون • اى ما فيها
من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الاحكام المندرجة في تلك الآيات والمحافظة عليها • وان نكثوا • عطف على قوله تعالى فان تابوا
اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا • ايمانهم من بعد عهدهم • الموثقة بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله عز
وعلا وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل • وطعنوا في دينكم • قدحوا فيه بطريق التكذيب
والتقبيح للاحكام • فقاتلوا ائمة الكفر • اى فقاتلوهم وانما اوثر عليه ما في النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر
احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بالائمة رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لانهم منتهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او

اي الدالة على استيفائهم فان صلح عاليا يكون بعض مستثنى من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح
بالياء فلحن ظاهر عند القراء • انهم لا ايمان لهم • اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم واما على
النفي بها كالنكث فيما سلف لا ان العمدة المؤكدة بها لا ايمانا الفاجرة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعقيبه بالنكث والطعن لان
حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم
حتى يعقد معهم عقد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اى لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له
لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان اى لا سبيل الى ان تعطوهم امانا جديدا خاصا من قبلهم وذلك بمعزل من البطلان او بمعنى الاسلام
نفي كونه تعليلا للامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية للقتال والامر كما قبل النكث والطعن وان
حمل على استمراره فيما سيأتي فلا كلام في جعل الانتهاء غاية للقتال ايضا سيجئ فما لو حمله ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا او طعنوا وهو
الظاهر من حالهم لانهم لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض ايمانهم وعن الطعن في دينكم • لعلهم ينتهون • متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اى فقاتلوهم ارادة
ان ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين • الا تقاتلون •
الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا
لكمال شناعته فيلجأون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة • قوما نكثوا ايمانهم • التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة • وهموا باخراج الرسول • من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراج الرسول من المدينة • وهم بدؤكم • بالمعاداة
والمقاتلة • اول مرة • لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة وبدؤوا
بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم • اتخشونهم • اى اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وتحضيض
اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها وتحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من
فرط فيها • فالله احق ان تخشوه • بمخالفة امره وترك قتال اعدائه • ان كنتم مؤمنين • فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة
بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى • قاتلوهم • تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم • يعذبهم
الله بايديكم ويخزهم • قتلا واسرا • وينصركم عليهم • اى يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء • ويشف صدور قوم
مؤمنين • ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب • ويذهب غيظ قلوبهم • بما كابدوا من المكاره والمكائد
ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة • ويتوب الله على من يشاء • كلام مستأنف
ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم
وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغلبتهم والانتقام منهم سبب لتدبر
في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي وللاختلاف في وجه السببية غير الاسلوب والله تعالى اعلم • والله • اظهار الجلالة للاشعار بالتربية
المهابة وادخال الروعة • عليم • لا يخفى عليه خافية • حكيم • لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة • ام حسبتم • ام منقطعة جئ بها للدلالة
على الانتقال من التوبيخ السابق الى آخر والهمزة فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اى بل احسبتم • ان تتركوا • على ما انتم عليه
ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما للمخلصين الذين شق عليهم القتال من المؤمنين • ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم •
الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شمله تعلق الوجود لعلمه قطعا فلما لم يعلمه لزم عدمه
قطعا اى ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير
عما ذكر من عدم التبيين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبيين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك
بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين • ولم يتخذوا • عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله اى جاهدوا والحال انهم لم يتخذوا
• من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة • اى بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج
وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقى على حاله او هو مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير • والله خبير بما تعملون • اى بجميع اعمالكم
ونزلت على الهيئة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها • ما كان للمشركين • اى ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز
كما في قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما وقع وما تحقق لهم • ان يعمروا • عمارة معتدا بها • مساجد الله • اى المسجد
الحرام والجمع لانه قبلة المساجد واما بها فعامره كعامر جميعها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد او

لتشريح بواجها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر
وبابه انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبني عن كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود • شاهدين
على انفسهم بالكفر • باظهار اثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن
كفار كما نقل عن الحسن وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكون ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره
تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره
تعالى فليس بمعرب عن كنه المراد فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود •
روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم والغلظة في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم محاسن قالوا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت • اولئك • الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر • حبطت
اعمالهم • التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا • وفي النار هم خالدون • لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية
للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى
من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب • انما يعمر مساجد الله • الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما سلف ان اريد
جمع المساجد وان اريد المسجد الحرام فوارد على الاعتبار لعله لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا ايضا
قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يليق ويستقيم ان يعمروها عمارة يعتد بها • من امن بالله • وحده •
واليوم الاخر • بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي • واقام الصلوة واتى الزكوة • على ما علم من الدين فيندرج
فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع
هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة
العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد
يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد
فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه • ولم يخش
في امور الدين • الا الله • فعمل بموجب امره ونهيه غير اخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف
الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي الخشية عنهم • فعسى
اولئك • المنعوتون بتلك النعوت الجميلة • ان يكونوا من المهتدين • الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم
من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك يحسنون ولتوبيخهم
بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم
وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى • اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام • اي في
الفضيلة وعلو الدرجة • كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله • السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان
فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن امن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما
كايمان من امن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما
لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم
عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل مورد التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة
لا يخلو من نوع نقص لانه لو اشعر بعدم الحرمان فليس بشعر الحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم
بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد
ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين انفا حبوط اعمالهم
بذلك الاعتبار والمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة
بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم الكريم ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتأكيده بنفي الاستواء لظهور بطلانه من تشبيه
المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيله
او جعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا من

القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية وذلك قوله
عز وجل • لا يستوون عند الله • اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين
وبين الاخيرين لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما
سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة
في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او حال من مفعولي الجعل
والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عند الله تعالى وقوله تعالى • والله لا يهدي القوم الظالمين • حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك
ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل بعيدون عن الطريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الاخر
وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى • الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم • استئناف لبيان
مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لانه
اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة • اعظم درجة عند الله • اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم
يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة • واولئك • اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة • هم الفائزون • المختصون بالفوز العظيم كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة
الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا رضي الله عنه قال للعباس رضي الله عنه بعد
اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام
وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم
الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الاية والمعنى اجعلتم اهل السقاية
والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله او جعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر
الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون
الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم
بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى
والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الاخر لا عدم الهداية
مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى اولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله
تعالى اعلم • يبشرهم • وقرئ بالتخفيف • ربهم برحمة • عظيمة • منه • ورضوان • كبير • وجنات • عالية • لهم فيها • في تلك الجنات • نعيم
مقيم • لا نفاد له وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للمبشر به وتربية له • خالدين فيها • اي في الجنات • ابدا • تأكيد للخلود لزيادة
توضيح المراد اذ قد يراد به المكث الطويل • ان الله عنده اجر عظيم • لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع
تعليلا لما سبق • يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء • نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة
الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الاحاد على الاحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم
دلالة لا عبارة والاية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت
اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله
ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم
طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه • ان استحبوا الكفر • اي اختاروه على الايمان
واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم
بمحاسن الدين • ومن يتولهم • اي واحدا منهم كما يشير اليه افراد الضمير في الفعل مراعاة للفظ الموصول والايذان باستقلال كل واحد منهم
في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى • منكم • للجنس لا للتبعيض • فاولئك • اي اولئك المتولون • هم الظالمون •
لوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم • قل • تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوي
عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الاباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف
الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب • ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم • لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان

الابناء والازواج عن معاداة علائق المحبة • وعشيرتكم • اى اقرباؤكم ماخوذ من العشرة اى الصحبة وقيل من العشيرة فانهم جماعة ترجع الى عقد
كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم • واموال اقترفتموها • اى اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين
• وتجارة • اى امتعة اشتريتموها للتجارة والربح • تخشون كسادها • بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة فى ايام الموسم • ومساكن
ترضونها • اى منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة
الحيوة الدنيا ليس لتناسى ما فيها من مبادى المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يوثر حبها على حبه تعالى
وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم • احب اليكم من الله ورسوله • بالحب الاختيارى المستتبع لاثره الذى
هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلى الذى لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة • وجهاد فى سبيله • نظم
حبه فى سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى
محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما • فتربصوا • اى انتظروا • حتى ياتى الله بامره •
عن ابن عباس رضى الله عنه انه فتح مكة وقيل هى عقوبة عاجلة او اجلة • والله لا يهدى القوم الفاسقين • الخارجين عن الطاعة فى موالاة
المشركين اى القوم الفاسقين كافة فيدخل فى زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اى لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفى الاية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه
الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان • لقد نصركم الله • الخطاب للمؤمنين خاصة • فى مواطن كثيرة • من الحروب وهى مواقعها ومقاماتها
والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة • ويوم حنين • عطف على محل فى مواطن بحذف المضاف فى احدهما اى وفى مواطن
يوم حنين او فى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل
الحسين رضى الله تعالى عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اى ونصركم يوم حنين • اذ اعجبتكم كثرتكم • بدل من يوم حنين ولا
منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لا يلزم فى المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف
او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا العشرة الاف منهم ممن حضر فتح مكة من
المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير
فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصارى لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا
شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذرارى فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب
وانكشفوا وذلك قوله عز وعلا • فلم تغن عنكم شيئا • والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اى لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من
الاغناء • وضاقت عليكم الارض بما رحبت • اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اى لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم
من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه • ثم وليتم مدبرين • روى انه بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده
ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان ابن الحارث اخذ بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبى لا كذب
انا ابن عبد المطلب • روى انه عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضعة عشرة مرة قال
العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه عليه السلام فى الشجاعة ورباطة الجاش سباق
الغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم وعند ذلك قال يا رب ائتنى بما وعدتنى وكان صيتا صيح بالناس فنادى
الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى • ثم انزل الله
سكينته على رسوله • اى رحمته التى تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة
له عليه السلام قبل ذلك ايضا • وعلى المؤمنين • عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اى المؤمنين
الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير فى تحقق اصل السكينة فى الثابتين من قبل
والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال • وانزل جنودا لم تروها • اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام
عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين
وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا فى عدد الملائكة يومئذ فقيل
خمسة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية
قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييدهم بذلك والقاء الرعب فى قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان فى المشركين
يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا فركبوا اكتافنا • وعذب الذين كفروا • بالقتل والاسر والسبى • وذلك • اى ما فعل بهم مما ذكر • جزاء الكافرين • لكفرهم فى
الدنيا • ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء • ان يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه اى يوفقه للاسلام • والله غفور • يتجاوز عن ما سلف

منهم من الكفر والمعاصى • رحيم • يتفضل عليهم ويثيبهم روى ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت
خير الناس وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبى يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندى ما ترون
ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا
مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك
الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا • يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس • وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو
نجس لخبث باطنهم ولان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن بن صالح من صافح مشركا توضا واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون
وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد فى كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس • فلا يقربوا المسجد الحرام • تفريع
على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد النهى عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة
وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل • بعد عامهم هذا • فان تقييد النهى بذلك يدل على اختصاص المنهى عنه بوقت من اوقات
العام اى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضى الله عنه على الموسم ويدل عليه قول على رضى الله عنه
حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم وسائر المساجد عنده وعند الشافعى يمنعون من المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولى المسجد الحرام
والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك • وان خفتم عيلة • اى فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب
وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة • فسوف يغنيكم الله من فضله • من عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل الله تعالى السماء
عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته
ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض • ان شاء • ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع
الامال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس بطريق الاطراد بحسب الافراد والاحوال والاوقات • ان الله عليم • بمصالحكم • حكيم • فيما يعطى ويمنع • قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله • امرهم بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من
الفاقة المتوهمة من انقطاعهم ونبههم فى تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلى وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا
لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك فى سلك المشركين فان اليهود مثنية
والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه • ولا باليوم الاخر • فان علمهم باحوال الاخرة كلا علم فايمانهم المبنى عليه ليس بايمان
• ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله • اى ما ثبت تحريمه بالوحى متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذى يزعمون اتباعه اى يخالفون
اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا • ولا يدينون دين الحق • الثابت الذى هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله • من الذين
اوتوا الكتاب • من التورية والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت • حتى يعطوا • اى يقبلوا ان يعطوا الجزية
اى ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اى قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل • عن يد • حال من الضمير فى يعطوا اى عن يد
مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لا تجب الجزية على
الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم او بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية
اى نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه • وهم صاغرون • اى اذلاء وذلك بان ياتى بها بنفسه
ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهى تؤخذ عند ابى حنيفة رحمه الله
من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركى العجم لا من مشركى العرب وعن ابى يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربى كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا
كان او مشركا وعند الشافعى رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعى الى انها
تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروى عن على رضى الله عنه
انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام فى اخر ما نقل من حديث
غير ناكحى نسائهم ولا اكلى ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابى حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر
درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبى او امراة وعند الشافعى
يؤخذ فى اخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن • وقالت اليهود • جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم
ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك فى سلك المشركين • عزير ابن الله • مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمى كعازر وعزرائيل

منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او جعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم
انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قاله بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال
الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبيا بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير
وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا
فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علمائهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره
ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التورية ويكون آية بعد ما اماته مائة سنة
قال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية فكتب
فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التورية في قلب رجل الا انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود اضاعوا التورية
وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التورية الى قلبه
فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا
قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى
ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للايذان بالدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم
اما تأكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق
في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة والذي بعيرهم قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه فلما انقلب مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله
او قدمائهم كاصل الاعتقاد في الفواحش من التشبيه وجعله من قول الفريقين لا مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي
قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول
النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك وتعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل
والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي
لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب
ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم
في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله
تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين النصرانية
وهو من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى
قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار
فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا
اقوى من جهة الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام الى الله
من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال
ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره
خلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا
من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يتخذوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون
ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى حيث [illegible]
لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة
والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض
من اطفاء نور لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاءها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان

لغير النار والسراج في ذلك اخفاء وامكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركا والاولاد
او القرآن العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركا والاولاد ومن الشرائع التي
من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما
حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا او قد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويأبى الله
اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لانه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة
قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى
منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف واشعار
بعلية الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد
الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى والباب حذف فاطراد الدلالة الثانية عليها
دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة
تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام
ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة
بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر
للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء
حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه
معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية
والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها
ويحفظونها سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بها
بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها
في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق
في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب
بها ما بقي من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق
فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه
معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى
عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل
عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله
تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال او للكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة
حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم
بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة
على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم
على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ
بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز
مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح
المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق
بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات
والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم سرد وفرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

وخطبة في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى
ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله
عنه قبلها في ذي القعدة • ذلك • اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه • الدين القيم •
المستقيم دين ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام وكانت العرب تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال
فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا • فلا تظلموا فيهن انفسكم •
بهتك حرمتهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه
لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة • وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة • اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة
وقع موقع الحال • واعلموا ان الله مع المتقين • اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع مضمرهم مدحا لهم
بالتقوى وحثا للقاصرين عليه واعلاما بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم • انما النسيء • هو مصدر
نسأه اذا اخره لتناول نسأ نحو مس مسا ومساسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء والتشديد فيها والاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام
وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها
ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي
انما تاخير حرمة شهر الى شهر اخر • زيادة في الكفر • لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر اخر مضموم الى كفرهم • يضل به الذين
كفروا • ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند عملهم به
واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضارع ح روساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل
يضل ونضل بنون العظمة • يحلونه • اي الشهر المؤخر • عاما • من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام • ويحرمونه • اي يحافظون على
حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى المتقدمين كما يجيء • عاما • اخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض
من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد
لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك
حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان
مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان
الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال
فانهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنه اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول
والعامل ما يليه • ليواطئوا • اي ليوافقوا • عدة ما حرم الله • بخصوصيته من الاشهر المعينة • زين لهم سوء اعمالهم • وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا عليه • والله لا يهدي القوم
الكافرين • هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد ضلوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال
• يا ايها الذين امنوا • رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك • ما لكم • استفهام فيه
معنى الانكار والتوبيخ • اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم • ~~رجوع الى حث المؤمنين~~ تباطأتم وتقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك
اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان
الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل ما لكم تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان
يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام للانكار والتوبيخ فالعامل في الظرف ح اثاقلتم • الى
الارض • متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه
المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر
بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا
لها • ارضيتم بالحيوة الدنيا • وغرورها • من الاخرة • اي بدل الاخرة ونعيمها الدائم • فما متاع الحيوة الدنيا • الاظهار في مقام الاضمار
لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها • في الاخرة • اي في جنب الاخرة • الا قليل • اي مستحقر لا يعبأ به في جنب الحيوة الدنيا

الاستقرار المقدر [illegible] عليه [illegible] لان الاستفهام [illegible] فيما قبله [illegible] والله اعلم

بما يؤذن بخساستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الاخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها
• الا تنفروا • اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه • يعذبكم • اي الله عز وجل • عذابا اليما • اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط وظهور عدو
• ويستبدل • بكم بعد اهلاككم • قوما غيركم • وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية
والذاتية المستلزمة للاستيصال اي قوما مطيعين مؤثرين للاخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة
على شدة السخط ما لا يخفى • ولا تضروه شيئا • اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله
عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة • والله على كل شيء قدير • فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم
اخرين • الا تنصروه فقد نصره الله • اي ان لم تنصروه فقد نصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم
سببه مقامه وان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره • اذ اخرجه الذين كفروا • اي تسببوا
لخروجه حيث اذن له عليه السلام • ثاني اثنين • حال من ضميره عليه السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي
احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة
ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة في سورة المائدة
وحمله عليه السلام ثانيهما لمعنى الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار محل مستغنى عنه • اذ هما في الغار •
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا • اذ يقول •
بدل ثان او ظرف لثاني • لصاحبه • اي الصديق • لا تحزن ان الله معنا • بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول
صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا
فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه
وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى • فانزل الله سكينته •
امنته التي تسكن عندها القلوب • عليه • على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج وانما
النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمأنينة من امره • وايده بجنود لم تروها • عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب
وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وجل • وجعل كلمة الذين كفروا السفلى •
يعني الشرك او دعوة الكفرة فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الاخذ بل بالقتل والاسر ونحو ذلك • وكلمة الله • اي التوحيد او دعوة الاسلام وهي
العليا • لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل
وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين • والله عزيز • لا يغالب • حكيم • في حكمه وتدبيره • انفروا • تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ
على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى • خفافا وثقالا • حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من اليسر او العسر حاصلين باي سبب كان
من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة
في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا
او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلي ان انفر قال عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا
على المرضى الاية • وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله • ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الاخر حتى ان من
ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على العكس كاله هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو
ايجاب للقسم الاول فقط • ذلكم • اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في ذلك من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف
• خير لكم • اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد • ان كنتم تعلمون •
اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه • لو كان • صرف للخطاب عنهم
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات فعلا وقولا على طريقة المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر
رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه • عرضا قريبا • العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال • وسفرا
قاصدا • ذا قصد بين القرب والبعد • لاتبعوك • في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه
عند توسط السفر فقط • ولكن بعدت عليهم الشقة • اي المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين

في ح

وَسَيَحْلِفُونَ اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بِاللّٰهِ اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله
معتذرين اذا رجعت اليهم قائلين لَوِ اسْتَطَعْنَا او سيحلفون قائلين بالله او استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة
او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما
على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار
بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في
قوله عز وجل فتمنوا الموت يُهْلِكُونَ اَنْفُسَهُمْ بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل خرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه
قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ اي
في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ صريح
في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استئذان المتخلفين في التخلف بعذر عدم الاستطاعة واذنه
اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم وخلوها عن المراجع من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر والتحاف
لمال وقوله عز وجل لِمَ اَذِنْتَ لَهُمْ اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استأذنوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو
من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون اموره عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وانما
ابرز ذلك في معرض التعلل والاعتذار استئذانا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين
متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور للجميع المستأذنين
وتوجيه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم
كما سيجيء عند قوله سبحانه وتعالى حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار
من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وَتَعْلَمَ
الْكَاذِبِينَ في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص
له عليه السلام عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى
لم اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه عليه الصلاة والسلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون
توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك مما لا سبيل اليه قطعا بل بما يدل عليه ذلك كأنه قيل لم
لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال ... وقتادة
وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه
الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول
بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد
للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك
الصادقين وان ما صدر من الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بالامر الخاص لكنه امر جار على
عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق
بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب
احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع
احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث
لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما
يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده الى ضميره عليه السلام لا الى المعلومين ببناء
الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا
علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين
حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين
لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق
العلم بالاخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصفا الصدق

والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او
باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف
المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئس ما فعل فيما قال وكتب
من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئس ما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطف في الخطاب والتخفيف
في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح
بكلمة بئس المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما
نطق به قوله تعالى لو خرجوا فيكم وقد كرهه سبحانه وتعالى كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم
وينفضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش في الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام وارضوه بالاكاذيب على انهم
لم يهنأ لهم عيش وما قرت لهم عين اذ لم يكونوا في امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ليس
من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في اَنْ يُجَاهِدُوا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ بل انه كان ينبغي ان يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين
ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأني في امرهم
بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك
المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد وبه يتأتى المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادي الامر
لكن قرائن احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا اي لا ان
الاستئذان في الجهاد ربما يكون لكراهته ولا يخفى ان الاستئذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستئذان لعلة الكراهة
مما لا امتياز فيه الظاهر من الاستئذان لعلة الرغبة ولو سلم فاللائق من المؤمنين ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد
بل انما استأذنوا في التخلف وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل
والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى اِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ اي في التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد على الثاني
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما
اذ به يتيسر المؤمنين استبدال الحياة الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحياة الفانية والمتاع الكاسد وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ عطف على الصلة وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فَهُمْ حال كونهم فِي رَيْبِهِمْ وشكهم المستقر في قلوبهم يَتَرَدَّدُونَ اي يتحيرون فان التردد ديدن
المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه بما لا يخفى حسن موقعه وَلَوْ اَرَادُوا الْخُرُوجَ يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد
الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لم نتمكن الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لَاَعَدُّوا لَهُ اي للخروج في وقته عُدَّةً اي اهبة
من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عُدَّهُ بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما في قول من قال واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا اي عدته وقرئ عِدَّه بكسر العين وعدة بالاضافة وَلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك
عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج
فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين الطرفين لكن يعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ وقولك
ما احسن الى زيد ولكن اساء الاحسان يكون استدراكا من نفس المقدم على تحقق ما فيه الا نفيه الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فَثَبَّطَهُمْ اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا
عنه ولم يستعدوا له وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود
او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم وايا ما كان فغير خال عن الذم
لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم مَا زَادُوكُمْ اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء اِلَّا خَبَالًا اي فسادا
وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك وَلَاَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع
البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب
اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا من وفض الناقة اسرعت وارفضتها انا وقرئ ولارقصوا اي اسرعوا يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ يحاولون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وَفِيكُمْ سَمّٰعُونَ لَهُمْ ان نمامون
يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله
لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة ولعلهم لم يكونوا في لحمة العدد وكثيره الغناء بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد
اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم يقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان المعاملة...

الطعام او المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلو نفس اجتماعهم فالمانع فسادهم و وجه العتاب على الاذن في قعودهم
مع تعذره و لا محالة و تضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام اظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم
يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم من الاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش اذ لو ظهر حالهم بقوارع الايات النازلة • والله عليم
بالظالمين • فيعلم ضمائرهم ويجازيهم عليها وعلى ما فعلوا فيما مضى وما يأتي منهم فيما سيأتي و وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتهديد
في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين • لقد ابتغوا الفتنة • تشتيت شملك وتفريق اصحابك
عنك • من قبل • اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي
صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم
اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تعالى خاسئين • وقلبوا لك الامور • تقليبا لامر تصريفه من وجه الى وجه
وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد
ودوروا الاراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف • حتى جاء الحق • اي النصر والتأييد الالهي • وظهر امر الله • غلب دينه وعلا شرعه
• وهم كارهون • والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والاية لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان
ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذان بان
ما فاتهم بالغيبة مما لا يمكن تلافيه بتوجيه الخطاب • ومنهم من يقول ائذن لي • في القعود • ولا تفتني • اي لا توقعني في الفتنة وهي العصية
والاثم بان لا تأذن لي فاني متخلف لا محالة اذنت او لم تأذن فأذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة ولا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك
مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم
ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه • الا في الفتنة • اي في عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن الوصف
بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به • سقطوا • لا في شيء مغاير لها فضلا من ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة
على التخلف والجرأة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بموجبها لا بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل
محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انهم ينجون من الفتنة زعما منهم ان
الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفضية عن ترديهم في دركات
الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل • وان جهنم لمحيطة بالكافرين • وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي
جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الان تنزيلا لشيء سيقع عن قريب
منزلة الواقع او لوصفها لاسباب التي موصلة فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الان من جميع الجوانب ومن جملتها
ما وقعوا فيه واستقروا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه
النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا • ان
تصبك • في بعض مغازيك • حسنة • من الظفر والغنيمة • تسؤهم • تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم • وان
تصبك • في بعضها • مصيبة • من نوع شدة • يقولوا • متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم • قد اخذنا امرنا • اي تلافينا ما يهمنا
من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا
• من قبل • اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تدارك يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال
قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة • ويتولوا • عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
• وهم فرحون • بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلاة والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير
فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة
بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في الاول مضطرون وفي الثاني
مختارون • قل • بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد • لن يصيبنا • ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل
لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب • الا ما كتب الله لنا • اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية
من النصر عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم • هو مولانا • ناصرنا ومتولي امورنا • وعلى الله • وحده • فليتوكل
المؤمنون • التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية
والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما

قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به
وان كانت مسوقة من جهته تعالى امر المؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل
• قل هل تربصون بنا • لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر الغائب واما على الوجه الاول فهو لابراز كمال العناية بشأن المأمور
به والاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا من التباين والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التائين
محذوفة اي ما تنتظرون بنا • الا احدى الحسنيين • اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا
نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة
• ونحن نتربص بكم • احدى السوأيين من العواقب • ان يصيبكم الله بعذاب من عنده • كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف
صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا • او • بعذاب • بايدينا • وهو القتل على الكفر • فتربصوا • الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك
فتربصوا ما هو عاقبتنا • انا معكم متربصون • ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد
الا ما يسوؤكم • قل انفقوا • اموالكم في سبيل الله • طوعا او كرها • مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر
كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها • لن يتقبل منكم • ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي
الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس
ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل • انكم كنتم قوما
فاسقين • اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم • وما منعهم ان تقبل منهم • وقرئ بالتحتانية • نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى • ولا يأتون
الصلاة الا وهم كسالى • اي لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين • ولا ينفقون الا وهم كارهون • لانهم لا يرجون بهما ثوابا
ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة او فرضي لتوسيع الدائرة • فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم • فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل • انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا • بما يكابدون
لجمعها وحفظها من المتاعب وبما يرون فيها من الشدائد والمصائب • وتزهق انفسهم وهم كافرون • فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة • ويحلفون بالله انهم لمنكم • اي في الدين والاسلام
• وما هم منكم • في ذلك • ولكنهم قوم يفرقون • يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة
• لو يجدون ملجأ • استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا
حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجؤون اليه من رأس جبل وقلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان
المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو
الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار
انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه • او مغارات
او غيرانا يكونون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اي امكنة يغيرون
فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار • او مدخلا • اي نفقا يندسون فيه وينجحرون
وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من تدخل واندخل
• لولوا • اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا • اليه • اي الى احد ما ذكر • وهم يجمحون • اي يسرعون اسراعا لا يردهم
شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة
• ومنهم من يلمزك • بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة • في الصدقات • اي في شأنها وقسمتها
• فان اعطوا منها • بيان لتنازلهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون • رضوا • بما وقع من القسمة
واستحسنوها • وان لم يعطوا • ذلك المقدار • اذا هم يسخطون • اي يفاجئون السخط واذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية في ابي الجواظ
المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي
رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال
عليه السلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر • ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله • اي ما اعطاهم
الرسول عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان
بامره عز وجل • وقالوا حسبنا الله • اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا • سيؤتينا الله من فضله ورسوله • بعد هذا حسبما

ورجاؤنا وتأمل • انا الى الله راغبون • في ان يعطينا فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اى لكان خيرا لهم • انما
الصدقات • شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة في ذلك وحسم لاطماعهم
الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اى جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة • للفقراء والمساكين
اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فالذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون
فيها وما يتقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه
وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه • والعاملين عليها • الساعين في جمعها وتحصيلها • والمؤلفة قلوبهم • هم اصناف منهم
اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال
العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم
الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط
سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك • وفي الرقاب • اى وللصرف في فك الرقاب
بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان تفتدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام
من الاسلام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم وللايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او لعدم
ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير وللاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في الظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا لها
• والغارمين • اى الذين تداينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي من غرم لاصلاح ذات
البين واطفاء النائرة بين القبيلين وان كانوا اغنياء • وفي سبيل الله • اى فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم • وابن السبيل •
اى المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق ولما ذكر من ايرادهما بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص
فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا تخرج عنهم
لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي لا يجوز الا ان يصرف الى ثلاثة من كل صنف
• فريضة من الله • مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اى
فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اى انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اى مفروضة • والله عليم •
باحوال الناس ومراتب استحقاقهم • حكيم • لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها
• ومنهم الذين يؤذون النبي • نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف
ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة
وذلك قوله عز وجل • ويقولون هو اذن • اى يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق
له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب
وقالوا ما قالوا • قل اذن خير لكم • من قبيل رجل صدق في الدلالة على الجلالة والمبالغة في الجودة والصلاح كأنه قيل
نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة
بالجر عطفا عليه اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان
وقوله عز وجل • يؤمن بالله • تفسير لكونه اذن خير لهم اى يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا
للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى • ويؤمن للمؤمنين • اى يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان
المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله عز وجل انؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى الخ • ورحمة • عطف على اذن
خير اى وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة • للذين آمنوا منكم • اى للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم
لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد
نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب
على انه علة لفعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة • والذين يؤذون رسول الله • بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة
الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما سيأتي فان يتوبوا يك خيرا لهم
• لهم • بما يجترئون عليه من اذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول • عذاب اليم • ومعنا اعتراض مسوق من جهته عز
وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة
وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل

موجبة له الى السخط والغضب • يحلفون بالله لكم • الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون
معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اى يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف
عن الجهاد فليس يدخل في هذا الاعتذار • ليرضوكم • بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه السلام وقد
قيل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم
رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه • والله ورسوله احق ان يرضوه • اى احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة
والمتابعة وايفاء حقوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها
من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اى يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى
ورسوله احق بالارضاء منكم اى يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه
السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاءه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار
لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق
اى كأن ذلك لا يقال اى حاجة الى الاستعارة بعد التأويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما ان الضمير لا يتعرض الا
لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام
جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي
مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد • ان كانوا مؤمنين • جوابه محذوف تعويلا على دلالة
ما سبق عليه اى ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء • الم يعلموا • اى اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ
على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اى الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات • انه • اى الشان • من يحادد الله ورسوله • المحادة من الحد كالمشاقة من
الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله
تعالى • فان له نار جهنم • على ان خبره محذوف اى فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان
وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير للاولى تأكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للاولى
من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال • لقد علم الحي اليمانون انني • اذا قلت اما بعد اني خطيبها • ويجوز ان يكون فان له معطوفا
على انه وجواب الشرط محذوف والتقدير الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط
ماضيا او مضارعا مجزوما بلم • خالدا فيها • حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر
مطلق الاستقرار فالامر ظاهر • ذلك • اشارة الى ما ذكر من العذاب الخالد وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد درجته في الهول والفظاعة • الخزي العظيم •
الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهور ما هم عليه واستحقاق العذاب الخالد
والجملة تذييل لما سبق • يحذر المنافقون ان تنزل عليهم • في شأنهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم • سورة تنبئهم بما في قلوبهم • من
الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم
اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال
مذاعة فكأنها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كأنها تعلم احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم
بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الامر
بعود المعنى اليه اى يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهار
الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤون به
ولذلك قيل • قل استهزءوا • اى افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد • ان الله مخرج • اى من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز
• ما تحذرون • اى ما تحذرونه من انزال السورة او من مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس والتأكيد
لرد انكارهم لذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة • ولئن سألتهم • عما قالوا • ليقولن انما كنا نخوض ونلعب •
روي انه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا
الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال
قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
السفر • قل • غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء منهم موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء

أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك إلا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا
لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو أثر الذنب فإنه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول عليه الصلاة
والسلام والطعن فيه بعد إيمانكم بعد إظهاركم له إن نعف عن طائفة منكم لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء
وقرئ يعف على إسناد الفعل إلى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول إسنادا إلى الظرف بتذكير الفعل وتأنيثه أيضا ذهابا إلى المعنى كأنه
قيل إن ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا إلى ما بعده طائفة بأنهم كانوا مجرمين
مصرين على الإجرام وهم غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن إسحاق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الأشجعي
لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم إني لا أزال أسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك
لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات
التعرض لأحوال الإناث للإيذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض أي متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء
الواحد بالشخص وقيل أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يأمرون
بالمنكر أي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف أي عن الإيمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال
المؤمنين أو خبر ثان ويقبضون أيديهم أي عن المبرات والإنفاق في سبيل الله فإن قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله أغفلوا ذكره فنسيهم
فتركهم من رحمته وفضله وخذلانهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة إن المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج
عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
أي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله
أي أبعدهم من رحمته وأهانهم وفي إظهار الاسم الجليل من الإيذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم أي نوع من العذاب غير عذاب
النار دائم لا ينقطع أبدا أو لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هو منه في بلية دائمة لا يأمنون
ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع
على الخبرية أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة أو في حيز النصب بفعل مقدر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر
أموالا وأولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة
والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتاعا كاستمتاع ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم إياهم واقتفائهم أثرهم
وخضتم أي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا أي كالذين بإسقاط النون أو كالفوج الذي أو كالخوض الذي خاضوه أولئك إشارة إلى
المتصفين بالأوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا إلى الفريق الأخير فقط فإن ذلك يقتضي أن يكون حبوط أعمال المشبهين وخسرانهم
معلوما من عند الأصحاب ويرد بالخطاب من الفائدة إذ الظاهر أولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح للخطاب
أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الأفعال الذميمة حبطت أعمالهم ليس المراد بها أعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الإشارة فإن
عاقبتها حقيقة عن البيان بل أعمالهم التي كانوا يستحقون بها أجرا حسنة لو قارنت الإيمان أي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها أثر في الدنيا
والآخرة بطريق المثوبة والكرامة أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فلأن ما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما
ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس يترتب عليها على طريقة المثوبة والكرامة
بل بطريق الاستدراج وأولئك أي الموصوفون بحبوط الأعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين
الجامعون لمباديه وأسبابه طرا فإنه قد ذهب رؤوس أموالهم التي هي أعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو أنها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم
لكفى به خسرانا وإيراد اسم الإشارة في الموضعين للإشعار بعلية الأوصاف المشار إليها للحبوط والخسران ألم يأتهم أي المنافقين نبأ
الذين من قبلهم أي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم
وأصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل
وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر أتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبئهم فما كان الله
ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وينبئ عنه النظام أي فكذبوهم فأهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وإيثار ما عليه النظم
الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم أي ما صح وما استقام له أن يظلمهم ولكنهم ظلموا أنفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
في قوله عز وجل ولكن كانوا أنفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول

لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى القصر بالظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم
ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل أو المفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلا وآجلا
والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم إلى البعض بالولاية وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية للإيذان بأن نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية
على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة أولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر أي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلاة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة
ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكاة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله أي في كل أمر ونهي
وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة أولئك إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف
من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد درجتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم
الله أي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فإن السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سأنتقم
منك إن الله عزيز تعليل للوعد أي قوي قادر على إعزاز أوليائه وقهر أعدائه حكيم يبني أحكامه على أساس الحكمة الداعية إلى إيصال
الحقوق من النعمة والنقمة مستحقيها من أهل الطاعة وأهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما أن ما سبق في شأن المنافقين
من قوله تعالى فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فإن المنع لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات
تفصيل لآثار رحمته الأخروية إثر ذكر رحمته الدنيوية والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بعلية وصف الإيمان لحصول ما تعلق
به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الأمر بالمعروف وغيره لأنه للإيمان بأنه من لوازمه ومستتبعاته أي وعدهم وعدا شاملا لكل واحد
منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فإن كل أحد منهم فائز بها لا محالة ومساكن
طيبة أي وعد بعض الخواص الكل منهم منازل تستطيبها النفوس أو يطيب فيها العيش وفي الخبر أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت
الأحمر في جنات عدن أي إقامة من أماكن الجنات وأسنائها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنه أن في الجنة قصرا يقال له عدن
حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب خمسة الآف حرة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة
وسرتها فعدن على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي أعني الإقامة والخلود فمرجع العطف إلى اختلاف الوصف وتغايره فكأنه وصفه أولا
بأنه من جنس ما هو أشرف الأماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الأنهار الجارية لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تكاد تخلو عنها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثم وصفه بأنه دار إقامة
وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله أي وشيء يسير
من رضوانه تعالى أكبر إذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل خير وشرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع
عزته في نفسه لأنه متحقق في ضمن كل موعود ولأنه مستمر في الدارين روي أنه تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد
أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا
ذلك إشارة إلى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده
الناس فوزا من حظوظ الدنيا فإنها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة إلى أدنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح
البعوض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء وقال الحسن
والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا وما من ذهابها رغما ما كان من حق حر أن يعجل بها فكيف وشيء مشاع يضمحل غدا يا أيها النبي جاهد الكفار
أي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة وإقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم قال عطاء نسخت
هذه الآية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل أمرهم إثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير
تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الأمر بالجهاد
والغلظة عليهم ودخول جهنم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين
فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا
فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمدا لصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل وإيثار صيغة
الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة أو للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع أن القائل هو الجلاس للإيذان بأن بقيتهم رضوا

بقوله صاروا بمنزلة القايل • ولقد قالوا كلمة الكفر • سب ما حكى انفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض • وكفروا بعد اسلامهم • اى
واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام • وهموا بما لم ينالوا • هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة
عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها
يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هو بقوم متلثمين فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا
وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم
• وما نقموا • اى وما انكروا وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم • الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله • سبحانه وتعالى وذلك
انهم كانوا محاويج قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون في ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم
وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل
اى وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او وما انكروا العلة من العلل الا اغناء الله اياهم • فان يتوبوا • عما هم عليه من
الكفر والنفاق • يك خيرا لهم • في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة
والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته • وان يتولوا • اى استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او
واعرضوا عن التوبة عليه هذا العرض • يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا • بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات • والاخرة •
بالنار وغيرها من افانين العقاب • وما لهم في الارض • مع سعتها وتباعد اقطارها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل • من ولي ولا نصير •
ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة • ومنهم • بيان لقبايح بعض اخر منهم • من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن • لنؤتين الزكوة
وغيرها من انواع الصدقات • ولنكونن من الصالحين • قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الحج ونرق بالسنن الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة
بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها
المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا الجزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي وذلك قوله عز وجل • فلما اتاهم من فضله بخلوا به •
اى منعوا حق الله منه • وتولوا • اى اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة
مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال عليه السلام هذا عملك
قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله
عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر • وهم معرضون • جملة معترضة اى وهم قوم عادتهم
الاعراض والحالية اى تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم • فاعقبهم • اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك • نفاقا • راسخا في قلوبهم • الى يوم يلقونه •
اى يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلايمه قوله
عز وجل • بما اخلفوا الله ما وعدوه • اى بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح • وبما كانوا يكذبون •
اى وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى غلبة الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل من المزية فان تسبيب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي باسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل
النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبية عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة
بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة اريد ما في ذلك من الايام بتعيين ما هو المدار
والله تعالى اعلم وقرئ يكذبون بالتشديد • الم يعلموا • اى المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء على الالتفات خطابا للمؤمنين فالهمزة على
الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اى الم يعلموا • ان الله يعلم سرهم ونجواهم • اى ما اسروه في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن
وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وتقديم السر على النجوى سيظهر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة • وان
الله علام الغيوب • فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة
وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم الحادثين شيئا فشيئا بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق
بالغيوب الكثيرة الدايمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وقيل الثاني لتقرير علم المؤمنين
بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علموا من احوالهم • الذين يلمزون • نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية
من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اى يعيبون • المطوعين • اى المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين

في قوله تعالى • في الصدقات • متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين
اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق
من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت • والذين لا يجدون الا جهدهم • عطف على المطوعين اى ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ
بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة • فيسخرون منهم • عطف على يلمزون اى يهزؤن بهم
والمراد بهم الفريق الاخير • سخر الله منهم • اخبار بمجازاة الله تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة • ولهم • اى
ثابت لهم • عذاب اليم • التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار • استغفر لهم او لا تستغفر لهم •
اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وصورته صورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلوة والسلام
امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله عز وجل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم • ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم • بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين تركه روي ان عبد الله بن عبد
الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من مراتب
الاعداد حدود معينة تخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فساريد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره
وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها
ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعماية
غاية الغايات • ذلك • اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اى ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك
بل • بانهم • اى بسبب انهم • كفروا بالله ورسوله • كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا • والله لا يهدي
القوم الفاسقين • فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اى لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة
ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم
لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه
المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي عليه السلام في استغفاره لهم وهو عدم يأسه من ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على
الضلال اذ الممنوع هو الاستغفار للموقنين بين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الاية • فرح المخلفون • اى الذين خلفهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم
او نفاقهم • بمقعدهم • متعلق بفرح اى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو • خلاف رسول الله • اى خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا
يقال اقام خلاف الحي اى بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرا خلف رسول الله وانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد
فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح
اى فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اى فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام او على انه حال والعامل احد المذكورين
اى فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام • وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله •
لا ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الى
مرتبة الكراهية واما ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو وايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب
واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بافتح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقالوا •
اى لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض
العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك
• لا تنفروا في الحر • فانه لا يستطاع شدته • قل • ردا عليهم وتجهيلا لهم • نار جهنم • التي ستدخلونها بما فعلتم • اشد حرا • مما تحذرون
من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود والتخلف • لو كانوا يفقهون • اعتراض تذييلي
من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اى لو كانوا يفقهون انها كما هي او كيف هي لما اثروا
البها لما فعلوا ما فعلوا او لتاثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان الجملة للتمني المنبي عن امتناع تحقق مدخولها اى لو كانوا من اهل الفطانة

والعيون كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون • فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا •
اخبار عن عاقبة امرهم واجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق من
الاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لانفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء
كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا
ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف. روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم
دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام • جزاء بما كانوا
يكسبون • من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني
او للبكاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة • فان رجعك الله • الفاء لتفريع الامر
الاتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى • الى طائفة منهم • اي الى المنافقين المتخلفين
في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد
او بان لم يستأذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل • فاستأذنوك للخروج • معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه • فقل
اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محفل صحبتك • لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا • من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي
للمبالغة وقد وقع كذلك • انكم • تعليل لما سلف اي لانكم • رضيتم بالقعود • اي عن الغزو وفرحتم بذلك • اول مرة • هي غزوة تبوك • فاقعدوا •
الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضا بالقعود اول مرة اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد • مع الخالفين • اي
المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر فكان محو اساميهم من دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة
لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امراة او اولى مرة • ولا
تصل على احد منهم مات • صفة لاحد والماضي بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة • ابدا • متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا
• ولا تقم على قبره • اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس
النفاق عبد الله بن ابي ابن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله
بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام
تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما مات عبد الله بن ابي دعي
ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت ... فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم
كذا كذا وكذا او عددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على قبره حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت
ولا تصل الخ فما صلى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره واما الرغبة في التكفين بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت
مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافأة لالباسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور • انهم كفروا بالله ورسوله • تعليل للنهي على معنى الاستغ
للميت والوقوف على قبره انما يكون للاستصلاح وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم • وماتوا وهم فاسقون •
اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما ينبئ عنه معنى الفسق • ولا تعجبك اموالهم واولادهم • تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار
بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة
اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الاباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له
فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها
اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتي في سورة الكهف • انما يريد الله • بما متعهم به من الاموال
والاولاد • ان يعذبهم بها في الدنيا • بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها • وتزهق انفسهم وهم كافرون •
اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها عن النظر والتدبر في العواقب • واذا انزلت سورة • من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها
• ان امنوا بالله • ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان امنوا • وجاهدوا مع رسوله •
لاعزاز دينه واعلاء كلمته • استأذنك اولوا الطول منهم • اي ذووا الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا • وقالوا •
عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه • ذرنا نكن مع القاعدين • اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر
• رضوا • استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم بكلا الامرين والاول صريحا • بان يكونوا مع الخوالف • مع النساء اللاتي
شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه • وطبع على قلوبهم • لسبب ذلك • فهم لا يفقهون • ما في الايمان
وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة وما في اضداده من الشقاوة • لكن الرسول والذين امنوا معه

بالله ومجاهدا من عند الله تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستئذانهم في القعود • جاهدوا
باموالهم وانفسهم • اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى
فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين • واولئك • المنعوتون بالنعوت الجليلة • لهم • بواسطة نعوتهم المذكورة • الخيرات • اي
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور لقوله عز وعلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة مخفف خيرة • واولئك
هم المفلحون • اي الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشأنهم وربأ لمكانهم • اعد الله
لهم • استئناف لبيان كونهم مفلحين اي هيأ لهم في الاخرة • جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل
اعد • ذلك • اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى • الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه • وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم • شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا
قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين
وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا
عيالا وان بنا لجهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام
سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وادغامها في الطاء والثاء والصاد في المطوعين واثاقلتم واصدق وقيل
اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر • وقعد الذين كذبوا الله ورسوله • وهم منافقوا الاعراب
الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة • سيصيب الذين كفروا منهم • اي من الاعراب او من المعتذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره • عذاب اليم • بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الاخرة • ليس على الضعفاء ولا على المرضى • كالهرمى والزمنى
• ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون • لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة • حرج • اثم في التخلف • اذا نصحوا لله ورسوله • وهو عبارة عن الايمان
والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه • ما على المحسنين من سبيل •
استئناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم
بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم • والله غفور رحيم • تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشيرا
الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر • ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم • عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سياتي انما السبيل
الاية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام
لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه • قلت لا اجد ما احملكم عليه • حال من الكاف
في اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما لا يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب
السائلين ما لا يخفى كأنه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده • تولوا • جواب اذا • واعينهم تفيض • اي تسيل بشدة • من
الدمع • اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة
حالية وتولوا عطف على ما قبله • حزنا • نصب على العلية والحالية والمصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي يحزنون حزنا فان الحزن يسند الى العين مجازا
كالفيض وتولوا اي حزنين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض • الا يجدوا • على حذف اللام متعلقة بحزنا او بتفيض
اي لئلا يجدوا • ما ينفقون • في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك • انما السبيل • بالمعاتبة • على الذين يستأذنونك • في التخلف
• وهم اغنياء • واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم • رضوا • استئناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا
• بان يكونوا مع الخوالف • الذين شأنهم الضعة والدناءة • وطبع الله على قلوبهم • اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون
ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه اجلا كما لم يعلموا خساسة شأنه عاجلا • يعتذرون اليكم • استئناف لبيان ما يتصدون له عند
القفول اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط يعتذرون اليكم في التخلف • اذا رجعتم • من الغزو منتهين • اليهم •
وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها • قل •
تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا لما ان الجواب وظيفته عليه السلام واما اعتذارهم فكان
شاملا للمسلمين سوى الرجوع لهم للكل • لا تعتذروا • اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى احيا وامات او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير
واما التعرض لعنوان كذبها فلا يناسبه قوله تعالى • لن نؤمن لكم • اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استئناف تعليل للنهي ينبئ عن سؤال

من جهلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لن نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب غرض المعتذر وقوله عز وجل
قد نبانا الله من اخباركم • تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد واضمرتموه
في ضمائركم وعيا نموه للابرار في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق ذاهبا ببيان عدم
رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين والايذان
بافتضاحهم بين المؤمنين كافة • وسيرى الله عملكم • فيما سياتي اتتوبون عما انتم عليه من النفاق ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال
للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تعالى • ورسوله • للايذان بالاختلاف بحال الرؤيتين وتفاوتهما والاشعار بان مدار
الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم • ثم تردون • يوم القيامة • الى عالم الغيب والشهادة • للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع
المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم
• فينبئكم • عند ردكم اليه ووقوفكم ... بذلك المجازاة به واشارتها بما كان عليها لرامانة ما سبق من قوله تعالى قد نبانا الله الخ
المنبا به الاخبار المتعلقة باعمالهم والايذان بانهم ما كانوا غافلين في الدنيا حقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ • سيحلفون بالله لكم •
تاكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة
بدل من يعتذرون او بيان له • اذا انقلبتم • اي انصرفتم من الغزو • اليهم • ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة
معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا
الخ بل هو امر مبتدا • لتعرضوا • وتصفحوا • عنهم • صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم • فاعرضوا عنهم •
لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله تعالى • انهم رجس • فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب
عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل
التطهير فلا يتعرض لتطهيرها وقوله عز وعلا • وماويهم جهنم • اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات
ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك • جزاء • نصب على انه مصدر
مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء
• بما كانوا يكسبون • في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له • يحلفون لكم • بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره
اي يحلفون به تعالى • لترضوا عنهم • بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم • فان ترضوا عنهم • حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك
• فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين • اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه
ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك
والمراد به نهي المخاطبين عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضا عما لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر
عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا
ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه
ابدا • الاعراب • صيغة جمع وليست جمعا للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي
ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه
العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم حذف ياء النسبة في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي وجمعه الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو • اشد
كفرا ونفاقا • من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشاتهم في معزل من مشاهدة العلماء وسماع التنزيل وهذا من باب وصف الجنس
بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر كما ستحيط به خبرا • واجدر ان لا يعلموا • اي احق واخلق
بان لا يعلموا • حدود ما انزل الله على رسوله • لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه
من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة • والله عليم • باحوال كل من اهل الوبر والمدر • حكيم • فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب
والثواب • ومن الاعراب • شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعد اعضاء الفريق المذكور كما ترى يحسن النظم الكريم وشرح لبعض
مثالبهم الغير المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما ومحل الاعراب مثل الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من حكي عنه منهم
وهم الذين ... الاتفاق من اهل النفاق دون غيرهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يلائمه ما سياتي من قوله تعالى
ومن الاعراب من يؤمن الخ فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اي ومن جنس الاعراب الذي نعتت بعض افراده • من يتخذ ما ينفق •
من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة • مغرما • اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى
ليكون له مغنما وانما ينفقه رئاء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق

من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة • ويتربص بكم الدوائر • اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه
من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به • عليهم دائرة السوء • دعاء عليهم بنحو ما ارادوا
بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة
ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى
صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرا سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا
راسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة • والله سميع • بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه • عليم • بما يضمرونه من الامور
الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى • ومن الاعراب • اي من جنسهم على الاطلاق • من
يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ • اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار • ما ينفق • اي ينفقه في سبيل الله تعالى • قربات •
اي ذرائع اليها والايذان بانهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات وافرادها وهي ثاني مفعولي
يتخذ وقوله تعالى • عند الله • صفتها او ظرف ليتخذ • وصلوات الرسول • اي وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه
وسلم حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فانه منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الاخر في الفريق
الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات
والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر
واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا • الا انها قربة لهم • شهادة لهم من جناب الله تعالى
بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم
المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان
كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى • سيدخلهم الله في رحمته • وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة
بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة
وقوله تعالى • ان الله غفور رحيم • تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه
وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار
وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان • والسابقون الاولون من المهاجرين •
بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة • والانصار • اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين
آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون • والذين اتبعوهم باحسان • اي متلبسين به
والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى
يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية • رضي الله عنهم • خبر للمبتدا اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم • ورضوا عنه • بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا • واعد لهم • في الآخرة • جنات تجري تحتها الانهار •
وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع • خالدين فيها ابدا • من غير انتهاء • ذلك الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة
من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب • وممن حولكم من الاعراب • شروع في بيان احوال
منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي وممن حول بلدتكم • منافقون • وهم جهينة ومزينة واسلم
واشجع وغفار كانوا نازلين حولها • ومن اهل المدينة • عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى • مردوا على النفاق •
اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور فصل
بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدا خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع
الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا
درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر والمراد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق
وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر الانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة
ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شانه • لا تعلمهم • بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت ... باعيانهم واسمائهم
والشانهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ

على عليك بحالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق
بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يدرك
لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وبحال عدم علمه عليه السلام باعيانهم على عدم علمه عليه السلام بعد هذا البيان على انه عليه السلام
يعلمون ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر فادعاء ذكر من المبالغة وقوله عز وجل • نحن نعلمهم • تقرير لما
لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان
الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز سلطانه • سنعذبهم •
وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد • مرتين • عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول
والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما والثاني
نهك الابدان وانفاقها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد
فيه ولا يجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى • ثم يردون • يوم القيامة
• الى عذاب عظيم • هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم
الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا فان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة
وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم • وآخرون • بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون
اي وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون • اعترفوا بذنوبهم • التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار
المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه
من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المألوف وهو رهط من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما انزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين
حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام وانا اقسم
ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت • خلطوا عملا صالحا • هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغزوها مع النبي
من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتندمهم وربطهم انفسهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لانه سبب الخلط على وجه يؤذن بتوارد
المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى • وآخر سيئا • فان قولك خلطت الماء باللبن
يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه
مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك ذلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بان يكون كل
من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والاثم
وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم • عسى الله ان يتوب عليهم • اي يقبل توبتهم
المفهومة من اعترافهم بذنوبهم • ان الله غفور رحيم • يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من
وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب • خذ من اموالهم صدقة • روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت
فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين موقع ذلك
بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل • تطهرهم • اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء
للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة
والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره • وتزكيهم بها • باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف
والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين واموالهم بالبركة
في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فيستوي احتمال التاء للخطاب او للصدقة وكذا احتمال الجملة الاولى حالا
من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين والثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول
الواو في الجملة الحالية • وصل عليهم • اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم • ان صلوتك • وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد
المدعو لهم • سكن لهم • تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم
• والله سميع • يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء • عليم • بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن

الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما يقتضيه الحكمة والجملة تذييل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين
محقق لما فيهما • الم يعلموا • وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك
وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام الى
الوسائط واولئك التائبون • ان الله هو يقبل التوبة • الصحيحة الخالصة • عن عباده • المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه
كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون فيه
دخولا اوليا • ويأخذ الصدقات • اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم
اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بهما من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا
وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى • وان
الله هو التواب الرحيم • تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يفيده مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية
القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا تسد كل واحدة منهما مسد
مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا
يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقرب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي
بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى • وقل اعملوا • زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي
من جملته التوبة وللاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره
تخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا • فسيرى الله عملكم • اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب
والسين للتأكيد • ورسوله • عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت • والمؤمنون •
في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما
رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها ما لها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي
من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها • وستردون • اي بعد الموت • الى عالم الغيب
والشهادة • في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة
خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة
للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنه الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه
كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده
او لايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود
كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان رتبة
السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى به
في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية • فينبئكم • عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة • بما
كنتم تعملون • قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد • وآخرون •
عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين • مرجون • وقرئ
مرجؤون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة • لامر الله • في شأنهم قال ابن عباس
رضي الله عنه هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد
انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم
ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فجفوهم والناس في شأنهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عنده
مرجئين لامره تعالى • اما يعذبهم • ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا
من المنافقين • واما يتوب عليهم • ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي هم هؤلاء اما معذبين واما متوبا
عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وقوله الجملة خبره • والله عليم • باحوالهم • حكيم • فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ
والله غفور رحيم • والذين اتخذوا مسجدا • عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها • ضرارا •
اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون
بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء

بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلوة والسلام حسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه عليه السلام اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين • وكفرا • تقوية للكفر الذي يضمرونه • وتفريقا بين المؤمنين • الذين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين فيغص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم • وارصادا • اعدادا وانتظارا وترقبا • لمن حارب الله ورسوله • وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قبل • متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او حارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد • وليحلفن ان اردنا • اي ما اردنا ببناء هذا المسجد • الا الحسنى • وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى • والله يشهد انهم لكاذبون • في حلفهم ذلك • لا تقم • للصلوة • فيه • في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه • ابدا لمسجد اسس • اي بنيت اصوله • على التقوى • يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتدا او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين لمسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله تعالى • من اول يوم • اي من ايام وجوده متعلق باسس وقوله تعالى • احق ان تقوم فيه • اي في الصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى • فيه رجال • جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى لمسجد او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او لان الافضلية في الاستحقاق والمنازل لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي • يحبون ان يتطهروا • من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها • والله يحب المطهرين • اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضا قالوا نعم قال عليه السلام اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الما اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم • افمن اسس بنيانه • على بناء الفعل للفاعل وهو المشهور وقرئ على البنا للمفعول وبالرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس وآساس بالفتح والكسر جمع اس وقرئ اساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستأنفة مسوقة لتحقيق الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفا للعطف على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه • على تقوى من الله ورضوان • اي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغا مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل وترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التانيث • خير ام من اسس بنيانه • ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة • على شفا جرف هار • الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير بحذف لامه كما في شاك وقيل حذفت عينه اعتباطا اي بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه • فانهار به في نار جهنم • مثل لما بنوا عليه امر دينهم من الباطل وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتأسيس ذلك هنا

هنا على ما هو بصدده الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الرا • والله لا يهدي القوم الظالمين • اي لانفسهم او الواضعين للاشيا في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه • لا يزال بنيانهم الذي بنوا • البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعلية للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال بناؤهم ذلك مبنيا ومهدوما • ريبة في قلوبهم • اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلانه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم عفا امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البنا اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك ودقت اختلاطهم بالمؤمنين وسارت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل ويامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي يعني حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم • الا ان تقطع • من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع • قلوبهم • قطعا وتتفرق اجزاؤها بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثنا من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطعها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع على بنا المجهول من التفعيل وعلى البنا للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع قلوبهم بالقتل وقرئ على البنا للمجهول من الثلاثي مذكرا او مؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم • والله عليم • بجميع الاشيا التي من جملتها ما ذكر من احوالهم • حكيم • في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم • ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم • ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل • بان لهم الجنة • مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها • يقاتلون في سبيل الله • استئناف لكن لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشترا لانه لا تعلق له في سبيل الله تعالى ليس باشترا الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بدل لهما للاملاك وقوله تعالى • فيقتلون ويقتلون • بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما لا بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سوا وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون الخ في معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم • وعدا عليه • مصدر مؤكد لما يدل كون الثمن مؤجلا • حقا • نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان صفة له وقوله تعالى • في التورية والانجيل والقرآن • متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن • ومن اوفى بعهده من الله • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره منهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وهو سبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه

فالمراد به ما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل قابل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار
السرور الذى يظهر اثره فى بشرة الوجه والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور و
وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبر عنه
بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما هو من جهتهم وقوله تعالى الذى بايعتم به
لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفانى بالباقى ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضى الله عنه انفسا
هو خلقها واموالا هو رزقها وروى ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه اشترط لربك ولنفسك
ما شئت فقال عليه الصلوة والسلام اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون
منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقراها
قال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اى الجنة التى جعلت ثمنا
بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذى لا فوز اعظم منه وما فى ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه
وسمو رتبته فى الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذى امروا بالاستبشار به وجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او جعل فوزا
فى نفسه فالجملة على الاول تذييل للاية الكريمة وعلى الثانى لقوله تعالى فاستبشروا ومقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اى هم التائبون
يعنى المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء
والخبر محذوف اى التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون
وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون فى عبادة الله تعالى الحامدون
لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتى الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون فى الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون فى الصلوة
الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصى والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين
بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه
فللايذان باختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان
ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بانه من العظم بحيث لا يحيط به البيان وفى تخصيص الخطاب بالاول
اظهار لزيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبى والذين آمنوا بالله وحده اى ما صح لهم فى حكم الله عز وجل وحكمته وما
استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اى المشركون اولى قربى اى ذوى قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه
والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روى انه عليه السلام قال
لعمه ابى طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استاذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى
وانزل على الايتين من بعد ما تبين لهم اى للنبى عليه السلام والمؤمنين انهم اى المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او لما اوحى انهم
يموتون على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه بقوله واغفر لابى بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين
والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وما استغفر ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر على حكاية الحال الماضية
وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا عن شئ من الاشياء الا عن موعدة وعدها
ابرهيم عليه السلام اياه اى اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربى اى على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما
وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اى لابرهيم بالوحى
انه اى اباه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه
اى تنزه عن الاستغفار له وجانبه كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس فى تركه ونظائره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرافة ورقة
القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر منه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم
عليه السلام انما صدر منه ما صدر لكونه اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان ياتى بمثله وتاكيد لوجوب الاجتناب عنه
بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو فى كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو
كان محظورا لما استثنى من الايتساء فى قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فمعلق بحقيق فى سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله
ليضل قوما اى ليس من عادته ان يسميهم ضلالا ويجرى عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحى صريحا او دلالة

ما يتقون اى ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفيه تسلية للذين
استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شئ عليم تعليل لما سبق اى انه تعالى عليم بجميع الاشياء التى من جملتها
حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل فى معرفته فبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيى ويميت وما لكم من
دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وضمن ذلك التبرى منهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى اموره والغالب
عليه ولا يتاتى لهم نصرة ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبى قال ابن عباس رضى الله عنه هو العفو
عن اذنه للمنافقين فى التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو فى حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة
اليها حتى النبى عليه السلام لما صدر عنه فى بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره فى ساعة العسرة اى فى وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة
تعيينه وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم
التمرتان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له عليه السلام فى مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة فى بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغنى غيرهم اولى
واحرى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهى الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبى عليه السلام وفى كاد ضمير الشان او ضمير القوم
الراجع اليه الضمير فى منهم وقرئ بتاء الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين من المؤمنين كابى لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد
وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم استيناف تعليلى فان صفة الرافة والرحمة
من دواعى التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثانى عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق وعلى
الثلاثة الذين خلفوا اى وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابى لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل ذلك ولا ردت ولم يقطع فى شانهم
بشئ الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اى خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف
الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اى خلفوا
واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به
قرار ولا يطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اى قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لاستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا
ان لا ملجأ من الله الا اليه اى علموا ان لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اى وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة
التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ فى قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت
الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا
له وكره مكانه فلحق به عن الحسن انه قال بلغنى انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفنى الا ظلك وانتظار
ثمارك اذهب فانت فى سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطانى ولا خلفنى الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عليه السلام قال الحسن رضى الله عنه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطا به
فحمل متاعه على ظهره واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشى وحده
ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابى خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح
فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال عليه السلام كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من بقى لم يلحق به عليه السلام
منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد على كالمغضب بعدما ذكرنى وقال ليت شعرى ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر
فى عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا
ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفنى ربى وضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبى وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمون فقام الى
طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب
بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابى بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة
تبوك خاصة اتقوا الله فى كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امر المغازى دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين
فى ايمانهم وعهودهم او فى دين الله نية وقولا وعملا او فى كل شان من الشئون فيدخل فيما ذكر دخولا اوليا فيكون المراد بهم هؤلاء الثلاثة واضرابهم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا فى سلكهم فى الصدق وسائر المحاسن

ودنوا من الصادقين ● ما كان لاهل المدينة ● ومن حولهم من الاعراب ● كمزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم ان يتخلفوا عن رسول الله
عند توجهه صلعم الى الغزو ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ● [illegible] ولا يصونوها عما لم يصن نفسه عنه بل يكابدوا معه ما يكابده
من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ● ذلك ● اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة ● بانهم ● بسبب انهم ● لا يصيبهم ظمأ ●
اي عطش يسير ● ولا نصب ● ولا مخمصة ● اي مجاعة ● [illegible]
[illegible]
الذين [illegible] في سبيل الله
والملائكة ● ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ● [illegible] ولا ينالون من عدو نيلا ●
[illegible] الا كتب لهم به ● [illegible] عمل صالح ● وحسنة مقبولة مستوجبة
عكم الوعد الكريم للثواب الجليل [illegible]
في ذلك ● ان الله لا يضيع اجر المحسنين ● على احسانهم [illegible]
[illegible]
● ولا كبيرة ● كما انفق عثمان رضي الله عنه

[illegible]

العرش العظيم ● اي الملك العظيم اي الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزل
هاتان الايتان ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد
فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم السلام ●

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

الر ● فخمها ابن كثير ونافع وقرئ بالامالة اجراء للالف مجرى المنقلبة من الياء [illegible] على نمط التعديد بطريق
التحدي [illegible] في فاتحة سورة البقرة [illegible] وان جعلت اسما للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر [illegible] عنوان الموضوع
[illegible]
في حكم الحاضر [illegible] ● تلك ● اشارة اليها اما على تقدير
[illegible]

وما ينطقون في العاقبة احرى مما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة الكل المجموع المتحقق في علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء
الدنيا الحكيم ذو الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة
المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي
فانها في حكم الحاضر لاسيما بعد ذكرها بعضها من السورة عند بيان اسمها او للاشهار بذكرها او بقرائتها وينبغي ان يكون المشار اليه كل واحدة منها
من حيث انه جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف فيه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بالمضاف
اليه من صفات الكمال ولا في بيان اتصاف كل منهما بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق
وان كان كله باعتبار تحققه او وجوده او بصحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيه او المعهود المشهور وان كان اتصاف الكل بها لا باعتبار ما ذكر
من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها من جملة القرآن
الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل في حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التعسف والتكلف اكان للناس عجبا الهمزة
لانكار تعجبهم وللتعجيب للسامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم
كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم
ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف حال من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور
في الظرف وقيل بالمصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقه محذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على
التوسع المشهور وقيل متعلقه بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه
مدار الانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ
برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا او بالعكس لان عجب نكرة وهو معرفة لان ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة اليه
والمختار حينئذ ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلق بعجب على حذف حرف التعليل اي حدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او هو بدل منه
لان ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف اي من عجب لكن على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كونه لابد لهم في حكم
تحقيق المبدل منه ليس معناه له بعبارة بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم
ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا او من افنائهم من حيث المال من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما
قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يبنى امر التكوين والتشريع واما الذي
يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني
والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر
من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب
لاحد منهم في انه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشان في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة
الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ان انذر الناس ان مفسرة لجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك
وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى
الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوسل بها
الى وصف المعارف بالجمل لا لقصور في دلالة الانشاء على المصدر ومعتبرة اذ الايحاء فيه معنى القول ويجوز كونها مخففة من الثقيلة
على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر والمعنى ان الشأن قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول ومراد النكتة في ايثار
الاظهار على الاضمار وكونه عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق وبشر الذين آمنوا بما اوحيناه وصدقوه ان لهم
اي بان لهم قدم صدق عند ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما عبر عن النعمة باليد لانها
تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه
على انه انما نالوا ما نالوه من المراتب العلية بصدقهم فان التصديق لا ينبئ عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم
ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخلت عليها همزة الانكار او لكونه استئنافا مبنيا
على سؤال كأنه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التأكيد

هذا يعنون به الموحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب الخلاق
القوي القدير ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف سيق لاظهار بطلان
تعجبهم المذكور وما تفرع عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه وبالتنبيه
الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير وارشادهم الى معرفتها بادنى تذكرهم لاعترافهم به من غير نكير
لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى
ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه
من الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام اي في ستة اوقات او في مقدار
ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع
القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين
فامر قد استأثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها
اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه
بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه واستواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة
ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها
لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير الجاري على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من
من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى واحكام لا تكاد تحصى من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة
والاوقات اي يقدر ويهيء امر الكائنات التي من جملتها ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيء اسباب
كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة
والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونها خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال
نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره
وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع
بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى
قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم
الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين
الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من
نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا
بعد بيان ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله
تعالى فاعبدوه اي وحده من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزل اليكم
افلا تذكرون اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تذكرون من ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد
سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي
اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه
سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وعدا وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد
كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم
يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة
وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب حقا
بدء الخلق الخ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي
ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة

وهو الانسب بقوله عز وجل • والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • فان معناه وجزى الذين كفروا بسبب كفرهم
وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير
النظم الكريم للايذان بان استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما
يحيق ذلك بالكفر على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة • هو الذي جعل الشمس ضياء • تنبيه على الاستدلال
على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض
والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم
هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى
اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا
للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة
بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة
من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين • والقمر نورا • الكلام فيه كالكلام في الشمس
والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس • وقدره • اي قدر له
وهيأ • منازل • اي قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة
سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة
والعشرين فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة
عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان • والبطين • والثريا • والدبران
• الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزبانى • الاكليل
• القلب • الشولة • النعائم • البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرع الدلو
• المقدم • فرع الدلو المؤخر • الرشا • وهي بطن الحوت • لتعلموا • اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها
او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل • عدد السنين • التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية • والحساب •
اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب
بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله
كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني
عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار
ان يتحصل به شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل
اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود شيئا وحيث اعتبر في
الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المبني عن ذلك والسنة من حيث تحققها
في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من
الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد تحصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك
وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب
بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة
ولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر حسبما حقق انفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب
• ما خلق الله ذلك • اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان المعنى جعلها على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما
كذلك كما اشير اليه ولا يستدعي ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد جعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور
عند وجود شرائطه لا تصافه به بالفعل • الا بالحق • استثناء مفرغ من اعم الاحوال من الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء
من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات
المنوط به امور معاشهم ومعادهم • يفصل الايات • اي الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات المذكورة دخولا اوليا او يفصل
الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة • لقوم يعلمون • الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها

جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به • ان في اختلاف الليل والنهار • تنبيه
اخر اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما
بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما
بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد
البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابلة نهارا • وما خلق
الله في السموات والارض • من اصناف المصنوعات • لايات • عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته
وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء • لقوم يتقون • خصهم بذلك لان
الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة ثم الذين يتفقون على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاين
من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون • ان الذين لا يرجون لقاءنا • بيان لمال امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات
الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الايات الشاهدة بذلك
والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني ملاق حسابيه واياما كان ففيه
مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف
فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن
الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول والية اشير بقوله عز وجل • ورضوا بالحيوة الدنيا • فانه منبئ عن ايثار الادنى
الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى • واطمأنوا بها •
اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام
المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة الدنيا فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى والاخذ بالادنى
واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان
باستمرار عدم الرجاء • والذين هم عن اياتنا • المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها واياتنا المنزلة المنبهة على
الاستدلال بها المفصلة معانيها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه
من الحيوة الدنيا • غافلون • لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال
المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي اما لمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا
واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث
لا تخطر ببالهم الاخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل
عن التامل في الاجل فكلام ناء عن السداد • اولئك • الموصوفون بما ذكر من نعوت السوء • مأويهم • اي مسكنهم ومقرهم
الذي لا براح لهم منه • النار • لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها • بما كانوا يكسبون • من الاعمال القلبية المعدودة
وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والباء
مضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا • ان الذين امنوا •
اي فعلوا الايمان او امنوا بما يشهد به الايات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج ذلك اندراجا اوليا ه
• وعملوا الصالحات • اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف جريا مجرى الاسماء • يهديهم ربهم •
اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية • بايمانهم • اي يهديهم بسبب ايمانهم الى ما وراءه ومقصدهم
وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهوره وانسياق النفس اليه لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفرة وما اداهم اليه من
اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى
الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل
سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن

الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي من العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار
فان منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب الهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا ولا دلالة لها
ولا لنظيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مشعر بخلافه فان المراد
بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من امن ولم يعمل صالحا لعموم ما
قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب • تجري من تحتهم الانهار • اي بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر
مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل
وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار حينئذ تجري التفسير والبيان
فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعية بحسب القوة العملية كما قال عليه السلام
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم • في جنات النعيم • خبر اخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي
اليه اما منازلهم في الجنة وما يريدونه فيها • دعواهم • اي دعاؤهم وهو مبتدا وقوله عز وجل • فيها • متعلق به وقوله تعالى
• سبحانك اللهم • خبر اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول القول لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند
ما عاينوا من تعاجيب اثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورافته مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه
تعالى من شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف • وتحيتهم فيها • التحية المكرمة بالحالة الجليلة اصلها
احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم على الاضافة الى المفعول كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم • سلام • اي سلامة عن كل مكروه • واخر دعواهم •
اي خاتمة دعائهم • ان الحمد لله رب العالمين • اي ان يقولوا ذلك ثناء له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال
اي دعاء وهو منحصر فيما ذكر اذ ليس هو مطلب مترقب حتى ينتظم في سلك الدعاء وان هي المخففة من المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف
ضمير الشان كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية
بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا
كذلك بان كان تراحين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن
الافات والفوز باصناف الكرامات او حياهم رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه يابا ها اضافة الاخر الى دعواهم
وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان
يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة • ولو يعجل الله للناس •
هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو
استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ
ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل لهم • الشر • الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى • استعجالهم بالخير • نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر
ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم
بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على
دلالة الباقي عليه • لقضي اليهم اجلهم • لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة
المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء
استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون
التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة
والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود ويكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر خصه كما في الاجوبة
المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها
اي لرايت امرا هائلا لا يكتنهه ونحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذ المراد بالاستيصال
فانه فرد كامل من مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة يخص موقعه بعد معرض التالي للمؤاخذة
المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير للتعجيل في الشر في نفسه ومن ظاهر بل هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته

من غير مزية له على البقية اذ لو يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا وعدما
مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما
كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من اجزائها غير
ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتهما حسبما ذكر وايضا
في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته
تعالى المبنية على الحكم البالغة • فنذر الذين لا يرجون لقاءنا • بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر
تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا • في طغيانهم • الذي هو عدم رجاء اللقاء
وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة • يعمهون • اي يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول
موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج • واذا مس الانسان الضر • اي اصابه جنس
الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة • دعانا • لكشفه وازالته • لجنبه • حال من فاعل دعانا بدليل ما عطف عليه من
الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا • او قاعدا او قائما • اي في جميع الاحوال
مما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا
عاجزا عن النهوض وقاعدا ان قدر على القعود وقائما لا يستطيع الحراك • فلما كشفنا عنه ضره • الذي مسه غب ما دعانا حسبما يبتغيه
العافية • مر • اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال
ونأى بجانبه • كان لم يدعنا • اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية
في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا • الى ضر • اي الى كشف ضر • مسه • وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده
ممن هو متصف بهذه الصفات • كذلك • نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي وما فيه من معنى البعد
للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل اي
مثل ذلك التزيين العجيب • زين للمسرفين • اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى
والمشاعر ليصرفوها الى المصارف ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي راس مالهم فقد
اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهته سبحانه على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل
• ما كانوا يعملون • من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منهما امهالا
للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى • ولقد اهلكنا القرون • اي القرون
الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن في قوله تعالى • من قبلكم • متعلق باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة
على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تاكيده بالتوكيد القسمي • لما ظلموا • ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا ذلك الظلم
بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تاخير وقوله تعالى • وجاءتهم رسلهم • حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى • بالبينات •
متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب
وقد جاءتهم رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا
على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في
التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى • وما كانوا ليؤمنوا • على ابلغ وجه واكده فان اللام
لتاكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على
الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري
مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله • كذلك • فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد
الذي هو الاستيصال بالمرة • نجزي القوم المجرمين • اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك
المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا
بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله عز وجل • ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم • فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وان
ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان

منهم امرهم وخطابهم بعد الغول باهلاكهم بكمال الجراءة والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها
وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر • لننظر • اي لنعامل معاملة من ينظر • كيف تعملون • فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على
المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة
بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف
انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان يصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة
وشاهدوا اثار بعضها فضلا من ان ينتظر ظهورها في مسلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون
خيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل
بل يكون حينئذ مستفادة لمعنى اي شيء • واذا تتلى عليهم • التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم
من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاخر حسب تجدد التلاوة • اياتنا • الدالة على حقية التوحيد وبطلان
الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه • بينات • حال كونها واضحات الدلالة على ذلك
وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا به للفاعل للاشعار بعدم الحاجة الى تعيين
التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي • قال الذين لا يرجون لقاءنا • وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بالعلية وما في
حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث
وذمالهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه • ائت بقران غير هذا •
اشاروا بهذا الى القران المشتمل على تلك الايات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب اخر نقرؤه ليس
فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم الهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها • او بدله • بتغيير ترتيبه بان تجعل
مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به
• قل • لهم • ما يكون لي • اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا • ان ابدله من تلقاء نفسي • اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا
ولم يجيء الا في جواب بيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة
الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل
على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى • ان اتبع • اي ما اتبع في شيء مما اتي واذر • الا ما يوحى الي • من غير تغيير له
في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل
ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه
لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القران كلامه
عليه السلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى • اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم • فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه السلام على اتباع الوحي اي اخاف
ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة وهو يوم اللقاء الذي
لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان
واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولاساغ
لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقران اخر من جهة الوحي وتفسير قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يتسهل لي ان ابدله
بالاستدعاء من جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبل لانه يرده التعليل المذكور كلا لان المقترح حينئذ
ليس فيه معصية اصلا وتوهم كان استدعاء تبديل الايات النازلة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء التي انما المقصودة بما ذكر من التعليل لا ترى الى ما بعده من الايتين الكريمتين فانه
صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القران وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل • قل لو شاء الله ما تلوته عليكم •
تحقيق لحقية القران وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة ودلالة وانما اسند اخبار الاستحالة
الى الامر المستقبل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه
بامر الله تعالى ومشيئته كما سياتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء اي ذلك كما قيل فان
مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله • ولو شئنا لاتينا

لمكينه • حيث لو علق لغفعان الشرط الاخير ولان الشرطي للجزاء اعني عدم تلاوته عليه السلام للقران عليهم انما هو مشيئته تعالى
لا مشيئته لغير القران والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بان شاء عدم تلاوتي له
من تلقاء نفسي بل لعدم انزاله علي وامرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم • ولا ادراكم به • اي ولا اعلمكم به
بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فيتعين انتفاء المقدم اعني مشيئة عدم التلاوة ولا خفاء في انها مستلزمة لعدم مشيئة
التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته
عليه السلام للقران بمشيئته تعالى وامره وانما قيد الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط
الذي هو مشيئته عدم تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه في سلك الانتفاء والجزاء وفي اسناد عدم الادراء الى الله تعالى المبني عن استناد
الادراء اليه تعالى ايذان بان لا دخل له عليه السلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما
على لغة من يقول اعطاته وارضاته في اعطيته وارضيته او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني
بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ ولا دراكم بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولا علمكم به على لسان غيري على معنى ان الحق
الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به من قبله او على معنى انه تعالى يمن على من يشاء فخصني بهذه الكرامة • فقد لبثت فيكم عمرا • تعليل
للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله عز وجل وامره حسبما بين انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بما تلاوته عليه السلام
فيما سبق بسبب مشيئته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة
على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا
مقدارا اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا • من قبله • اي من قبل نزول القران لا اعاطي شيئا مما يتعلق به
لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع • افلا تعقلون • اي الا تلاحظون
ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه
ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تأمل في امره صلى الله عليه وسلم وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شان
من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم
اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق • علا نظمه كل منثور ومنظوم • وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم • كاشف
عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون • ناطق باخبار ما قد كان وما قد سيكون • مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة • مهيمن عليها
في احكامها المجملة والمفصلة • لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن
الانسب بمنا الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار
حاله على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا هنا لكون القران في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه
عليه السلام عاجزا عن الاتيان بمثله ان يستشهد هنا على المطالب بالاحوال المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته
عليه السلام عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد
لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا
تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي
الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وانما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل • فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا • استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار
ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل
فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام
عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة
منه عليه السلام في التفادي مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه • او كذب باياته • فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقران
وحملهم له على انه من جهته عليه السلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القران بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء
على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل
بعض اياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذلك من كذب باياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم • انه • الضمير للشان
وقع اسما لان والجملة بعده من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع
ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده

عليه فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن هذا أي ﴿لا يفلح المجرمون﴾ أي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج
فيه المفتري والمكذب اندراجا أوليا ﴿ويعبدون من دون الله﴾ حكاية لجناية أخرى لهم نشأت عنها جنايتهم الأولى معطوفة على قوله تعالى
وإذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله أي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك
عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الأصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم ﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾
أي ما ليس من شأنه الضر والنفع من الأصنام التي هي جمادات وما موصولة أو موصوفة وتقديم نفي الضر لأن أدنى أحكام العبادة
دفع الضر الذي هو أول المنافع والعبادة أمر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضر فحيث لم يقدر الأصنام على الضر لم يوجد
لإحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم إن تركوا عبادتها ولا ينفعهم إن عبدوها كان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة عزى
ومناة وهبل وإسافا ونائلة ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ عن النضر بن الحرث إذا كان يوم القيامة يشفع لي اللات قيل
إنهم كانوا يعتقدون أن المتولي لكل إقليم روح معين من أرواح الأفلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الأصنام واشتغلوا
بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عند الإله الأعظم مشتغلا بعبوديته وقيل إنهم كانوا يعبدون الكواكب
فوضعوا لها أصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا إلى عبادة الكواكب وقيل إنهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام ثم تقربوا
إليها وقيل إنهم وضعوا هذه الأصنام على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تشفعون
لهم عند الله تعالى ﴿قل﴾ تبكيتا لهم ﴿أتنبئون الله بما لا يعلم﴾ أي أتخبرونه بما لا وجود له أصلا وهو كون الأصنام شفعاءهم عند الله
تعالى إذ لو كان ذلك لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والإمكان وقرئ أتنبئونه
بالتخفيف وقوله تعالى ﴿في السموات ولا في الأرض﴾ حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لأن ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة ﴿سبحانه
وتعالى عما يشركون﴾ عن إشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة أو عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ
تشركون بالخطاب على أنه من جملة القول المأمور به وعلى الأول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى ﴿وما كان الناس إلا أمة
واحدة﴾ بيان لأن التوحيد والإسلام ملة قديمة أجمعت عليها الأمم قاطبة فطرة وتشريعا وأن الشرك وفروعه جهالات
ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة وأما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من
الاتباع والإصرار فمما لا احتمال له أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم
عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل إلى زمن إدريس وقيل إلى زمن نوح عليهما السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله
من الكافرين ديارا إلى أن ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى أن أظهر عمرو بن لحي عبادة الأصنام فالمراد بالناس العرب
خاصة وهو الأنسب بإيراد الآية الكريمة إثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك ﴿فاختلفوا﴾ بأن كفر بعضهم وثبت
آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا أن كلا منهما أحدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فإن الكلام ليس في
ذلك الاختلاف إذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور أن يقضي بينهما بإبقاء المحق وإهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان
الاتفاق إذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير
القضاء بينهم أو بتأخير العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل ﴿لقضي بينهم﴾ عاجلا ﴿فيما فيه يختلفون﴾ بتمييز
الحق من الباطل بإبقاء المحق وإهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وللدلالة على الاستمرار ﴿ويقولون﴾ حكاية
لجناية أخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء وللدلالة على الاستمرار والقائلون
أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ أرادوا آية من الآيات التي اقترحوها كأنهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة
والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه عليه السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع أنه قد نزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات
المتكاثرة ما يضطرهم إلى الانقياد والقبول لو كانوا من أرباب العقول ﴿فقل﴾ لهم في الجواب ﴿إنما الغيب لله﴾ اللام للاختصاص العلمي دون التكويني
فإن الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى أن ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم إيمانكم بنزوله من الغيوب المختصة
بالله سبحانه لا وقوف لي عليه ﴿فانتظروا﴾ نزوله ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ أي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات
واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الأمر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى ﴿وإذا
أذقنا الناس رحمة﴾ صحة وسعة ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ أي خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وإسناد المساس إلى الضراء بعد
إسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على أهل مكة
القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويكيدونه وذلك قوله تعالى ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ أي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها وإذا الأولى شرطية

والثانية جوابها كأنه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ أي أعجل
عقوبة أي عذابه أسرع وصولا إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا أو ذكرا ﴿إن رسلنا﴾ أي
الذين يحفظون أعمالكم والإضافة للتشريف ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ أي مكركم أو ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على
أن ما دبروا في إخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة
تعليل من جهته تعالى لأسرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فإن كتابة الرسل لما يمكرون
من مبادي بطلان مكرهم وتخلف أثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر أو للأمر ﴿هو الذي يسيركم﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان جناية
أخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء أي يمكنكم من السير ويجعلكم مستمرا عليه
به وقبلها ﴿في البر﴾ مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وعلا بشر تنتشرون ﴿والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾ أي السفن فإنه
جمع فلك على زنة أسد جمع أسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء كونهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه إيثار
الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث ﴿وجرين﴾ أي السفن ﴿بهم﴾ بالذين فيها والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من
سوء الحال الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوي أحوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل
معنى قوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك إذا كان بعضكم فيها إذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد إلى ذلك المضاف
المقدر كما في قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي يغشاه أي أو كذي ظلمات يغشاه موج ﴿بريح طيبة﴾ لينة الهبوب موافقة لمقصدهم ﴿وفرحوا
بها﴾ بتلك الريح لطيبها وهو أنفعها ﴿جاءتها﴾ جواب إذا والضمير المنصوب للريح الطيبة أي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها
فإن الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح أخرى عادة بل هو اشتداد للريح الأولى وقيل للفلك والأول أظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لأن
الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة إلى الفلك دون الريح اللينة مع أنه لا يستتبع تلاطم الأمواج الموجب لمجيئها من كل
مكان ولأن التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم أكثر ﴿ريح عاصف﴾ أي ذات عصف وقيل العصوف
مختص بالريح فلا حاجة إلى الفارق وقيل الريح تذكر ﴿وجاءهم الموج﴾ في الفلك ﴿من كل مكان﴾ أي من أمكنة مجيء الموج عادة ولا
بعد في مجيئه من جميع الجوانب أيضا إذ لا يجب أن يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها حسب أسباب تتفق ﴿وظنوا
أنهم أحيط بهم﴾ أي هلكوا فإن ذلك مثل في الهلاك وأصله إحاطة العدو بالحي أو سدت عليهم مسالك الخلاص ﴿دعوا الله﴾
بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم أو استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا صنعوا
فقيل دعوا الله ﴿مخلصين له الدين﴾ من غير أن يشركوا به شيئا من آلهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة أيضا فإنهم
بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين ﴿لئن أنجيتنا﴾ اللام موطئة للقسم على إرادة القول أي قائلين والله لئن أنجيتنا
﴿من هذه﴾ الورطة ﴿لنكونن﴾ البتة بعد ذلك أبدا ﴿من الشاكرين﴾ لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول
دعوا لأن الدعاء من قبيل القول والأول هو الأولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة
في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في أن يقال لنشكرن ﴿فلما
أنجاهم﴾ مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الإجابة ﴿إذا هم يبغون في الأرض﴾ أي فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا إليه
متراقين في ذلك ممعنين فيه من قولهم بغى الجرح إذا ترامى في الفساد وزيادة في الأرض للدلالة على شمول بغيهم
لأقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى ﴿بغير الحق﴾ تأكيد لما يفيده البغي أو معناه أنه بغير الحق عندهم أيضا
بأن يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على أحد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق وأما ما قيل من أنه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب
الغزاة ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى إفساد صورة الشيء وإبطال
منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المشبهين ﴿يا أيها الناس﴾ توجيه للخطاب إلى أولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة
في الوعيد ﴿إنما بغيكم﴾ الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿على أنفسكم﴾ خبره أي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم
وإن ظن كذلك وقوله تعالى ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو
نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وقيل على أنه مصدر وقع موقع الحال أي متمتعين
بالحياة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لأنه يؤدي إلى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول إلا بعد تمام
صلته وأنت خبير بأنه ليس في تقييد كون بغيهم على أنفسهم بحال تمتعهم بالحياة الدنيا معنى يعتد به وقيل على أنه ظرف زمان نحو مقدم الحاج
أي زمن متاع الحياة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على أنه مفعول لفعل دل عليه المصدر أي تبغون متاع الحياة الدنيا ولا يخفى أنه لا يدل عليه

التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة
والوصلة اى فرقنا بينهم • وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الترك
للشياطين كما سيحكى فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلى من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم
من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسى فيما بينهم
بعد الجمع فى الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما فى قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو فى قوله تعالى
• وقال شركاؤهم • حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيرهم لا عاطفة كما فى التفسير الاول لاستدعاء المحاورة المحاضرة
الفاصلة بالمباعدة ولعل ترتيبه لتنزيل هذا المعنى على الامر بلزوم المكان كان ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ايضا ل
لاجل عايتها الى تغير الترتيب الخارجى فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر
بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما فى تقديمه من التغير لاسيما مع رعاية ما ذكر
من النكتة ولو سلم تاخر جميع مراتبه من المحاورة فمراعاة تلك النكتة كافية فى استدعاء تقديمه عليها او يجوز ان تكون حالية على هذا التقدير
ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولى العلم وفيه تاييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم • ما كنتم ايانا
تعبدون • عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم
بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله الذى انطق كل شىء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التى كانوا يتوقعونها • فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم • فانه العليم الخبير • ان كنا عن عبادتكم لغافلين • اى عن عبادتكم لنا وتركه للظهور ولا
يخل الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء
الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة • هنالك •
اى فى ذلك المقام الدهش او فى ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان • تبلوا • اى تختبر وتذوق • كل نفس • مؤمنة كانت او
كافرة سعيدة او شقية • ما اسلفت • من العمل وتعاين نحيته مستتبعا لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين
الموت والابتلاء بالعذاب فى البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلوا بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اى نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعا
دة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيبها بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
وقرئ تتلوا اى تتبع لان عملها هو الذى يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ فى صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر • وردوا • الضمير للذين
اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلوا الى آخره اعتراض فى اثناء الحكاية مقرر لمضمونها • الى الله • اى الى جزائه وعقابه
• مولاهم • ربهم • الحق • اى المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد
• وضل عنهم • وضاع اى ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك غير ضال او ضل فى اعتقادهم ايضا • ما كانوا يفترون • من ان آلهتهم تشفع لهم
او ما كانوا يدعون انها آلهة هذا وجعل الضمير فى ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا وان العدول الى الماضى للدلالة على التحقق
والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلايمه التعرض لوصف الحقية فى قوله تعالى مولاهم
الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولعل الاكتفاء فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل فى الثواب والعقاب فقوله عز وجل
وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس
المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم • قل • اى لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدى اليه
اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك • من يرزقكم من السماء والارض • اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب
سماوية • ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض • امن يملك
السمع والابصار • ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف
الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفاية هذا فيما هو المقصود اى من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات
مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شىء يصيبهما • ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى • اى ومن يحيى ويميت او من يخرج الحيوان من النطفة
والنطفة من الحيوان • ومن يدبر الامر • اى ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر
• فسيقولون • بلا تلعثم ولا تأخير • الله • اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اى الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل
عند ذلك تبكيتا لهم • افلا تتقون • الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما فى اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما فى أأضرب ابى
والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذى ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به
ما لا يشاركه فى شىء مما ذكر من خواص الالهية • فذلكم • فذلكة لما تقدم اى فذلكم المتصف بتلك النعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله

تعالى • الله • خبره وقوله تعالى • ربكم • اى مالك امركم ومتولى اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى • الحق • صفة له اى ربكم
الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه • فماذا • يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان
يكون ذا موصولا بمعنى الذى اى ما الذى • بعد الحق • اى غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير
ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع ونفيه اى ليس غير الحق • الا الضلال • الذى لا يختاره
احد فحيث ثبت ان عبادة من هو متصف بما ذكر من النعوت الجليلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما
سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما
على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اى الباطل الضائع
المضمحل وانما سمى بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثانى • فانى تصرفون •
استفهام انكارى بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون
وجوده على حال من الاحوال قطعا واذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على نفس
الفعل على ما قبله اى كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام
او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه فى الآخرة وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول ايذان بان
الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عنده وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجى • كذلك • اى كما حقت الربوبية
لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق • حقت كلمة ربك • وحكمه وقضاؤه • على الذين فسقوا • اى تمردوا فى الكفر
وخرجوا من اقصى حدوده • انهم لا يؤمنون • بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب • قل هل من شركائكم • احتجاج
آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته
به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله فى اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت الاعادة
لسطوع البراهين القائمة عليها وان لم يساعدهم عليها الخصم مسلمة وعقبها لوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت فى سلكه حيث قيل • من يبدأ الخلق ثم يعيده • ايذانا بالزامهم بها
وعلى السبيل والاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل
ذلك فقيل له • قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده • اى هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم فى ذلك كما قيل لان المقول
المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما فى قوله تعالى قل من رب السموات والارض
قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذى اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم فى ذلك بل انما هو وجوده من يفعل البدء والاعادة
من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير امر صلى الله عليه وسلم بان يقضيه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترئون على التصريح
به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة فى الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما فى الجواب السابق لمزيد التأكيد
والتحقيق • فانى تؤفكون • الافك الصرف والقلب عن الشىء وقد خص بالقلب عن الرأى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق الى الباطل
والكلام فيه كما ذكر فى تصرفون • قل هل من شركائكم • احتجاج آخر على ما ذكر جىء به الزاما بعد الزام وافحاما اثر افحام وفصله عما قبله
لما ذكر من الدلالة على استقلاله • من يهدى الى الحق • اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه
صلاح امرهم واما تعين طرق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال
التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء
يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل
• قل الله يهدى للحق • اى هو يهدى له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر
والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام فى الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر • افمن يهدى الى الحق • وهو الله عز وجل • احق
ان يتبع • امن لا يهدى • بكسر الهاء اصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها وقرئ بفتح
الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهتدى بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما
سبق نفى الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره فى الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه
فيسلك مسلكه من حيث لا يدرى والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر
ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع فى بعض المواقع فان ذلك
مختص بالانكارى كما فى قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله ونحوه والهمزة متأخرة فى الاعتبار وانما تقدمها فى الذكر لاقتضائها الصدارة
فى اقتضاء الصدارة كما رأى الجمهور لو كان السؤال بكلمة اى لاوثرت الاى فى قوله تعالى فاى الفريقين احق بالامن

الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدّي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي او من لا يهدي احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان واما ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقله الله تعالى اليه او الا ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اي بما يقتضي صريح العقل بطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام والتشابه انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم لم يثبتوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل بما يستحقونه جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الزمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات العقلية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما عداها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والالتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التام من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما يقتضيه فحوى الكلام من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي وعلى كل تقدير فالمعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر آخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة

اي بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدارهكم الذين تلجأون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لامكان الاتيان لقدرتكم والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ من جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما خالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اول ذي اثر من غير ان يتدبروا آياته ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له ولما يأتهم تأويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا على ذلك ايضا على ما هم عليه او لا فلا تعرض له هاهنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الدعوات بعد ان قولهم افتراه تكذيب هذا التدبير ناشئ من عدم التدبير فقد برئ لانهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى كذلك الخ وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جزما وتعبيرا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم الى آخره وصف لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيته بعد ما سبحوه في المعارضة وراموا فيها مضمارا دونها او بعدما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدقون به في انفسهم ويعلمون انه حق ولكنهم يعاندون ويكابرون وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمنون به ويتوبون عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدقه في الظاهر لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه من معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا العدم من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريد بما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمنون به فيما سيأتي بل يموتون على كفرهم معاندا كان او شاكا وهم المصرون الذين اريد باتباع الظن على التفسير الثاني من عدم الاذعان للحق والانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وان كذبوك اي تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة والتحدي البيضاوي ومن يقتدي بهما التحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف

وصيغة التفضيل اما على حقيقته

الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقته والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير امن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للانكار وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع • امن لا يهدي • استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهما السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى الى ان يجعله حيا ناطقا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة • فما لكم • اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى • كيف تحكمون • اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منهم وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام والتشابه انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم لم يفعلوا كذلك باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل اثبتوا استحقاقا لهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكمهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون • وما يتبع اكثرهم • كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الزمهم ولقنهم الحجج من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم ببطلان حكمهم [illegible] فاوهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى الطريق العقلي اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم • الا ظنا • واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا من ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والالتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم اثر من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام من كون اولئك اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا واما من كونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ [illegible] والانقياد والقصر اعتبارا والبرهان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي وقيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف • ان الظن لا يغني من الحق • من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع • شيئا • من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف ببيان شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد • ان الله عليم بما يفعلون • وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب للتشديد في الوعيد • وما كان هذا القرآن • شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك • ان يفترى من دون الله • اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة • ولكن تصديق الذي بين يديه • من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الخ • وتفصيل الكتاب • عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت في الحقائق والشرائع • لا ريب فيه • خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب • من رب العالمين • خبر آخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع من اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه • ام يقولون افتراه • اي بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لانكار الواقع واستبعاده • قل • تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون • فاتوا بسورة مثله • اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة

اي بسورة كتاب مثله • وادعوا • للمظاهرة والمعاونة • من استطعتم • دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدارهكم الذين تلجأون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون • من دون الله • متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه • ان كنتم صادقين • اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لامكان الاتيان لقدرتكم والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه • بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه • اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناش من جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى التكذيب به اي القرآن من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له • ولما يأتهم تأويله • عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا [illegible] بعد ذلك ايضا على ما هم عليه او لا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه [illegible] ان توهم افتراءه [illegible] من عدم التدبر فيه [illegible] بعد التحدي [illegible] الوارد في سورة البقرة [illegible] مدنية [illegible] مكية وانما الذي يدل عليه ما سبق [illegible] من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى • كذلك • الى آخره وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل • كذب الذين من قبلهم • اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين • وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جزما ودخولا اوليا وقوله عز وجل • ومنهم • الى آخره وصف لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء [illegible] واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين • من يؤمن به • عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيته بعدما سمعوا المعارضة وراموها [illegible] دونها او بعدما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعانده ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى انهم سيتبعون الحق كما مر • ومنهم من لا يؤمن به • اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريد [illegible] فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما يأتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له • وربك اعلم بالمفسدين • اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين • وان كذبوك • اي تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة [illegible] البيضاوي ومن يقتدي بهما بالتحدي • فقل لي عملي ولكم عملكم • اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة • انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون • تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف • ومنهم من يستمعون اليك • بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم واما جمع الضمير الراجع الى كلمة من مراعاة لجانب المعنى كما افرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف

علمه السلام من المقابلة والنفار والحجاب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القران وتعليمك للشرائع • افانت تسمع الصم •
همزة الاستفهام الانكارية والفاء العاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو راى سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على
الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال
المعنى لانه اما صلة او صفة وما عطف عليه فالعطف عليه يستدعى دخول المعطوف عليه في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في
فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل أيستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكارا لاستماعهم فانه امر محقق بل انكارا
لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم
العقل بقوله عز وجل • ولو كانوا لا يعقلون • اى ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت
واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر • ومنهم من ينظر اليك • ويعاين دلائل نبوتك الواضحة • افانت • اى أعقيب ذلك
انت تهدى وانما قيل • تهدى العمى • تربية لانكار هدايتهم وابرازا لها في معرض الاحالة وقد اكد ذلك حيث قيل • ولو كانوا لا يبصرون
اى ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هى البصيرة ولذلك يحدس الاعمى
المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق بحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة
قوله تعالى افانت تسمع الصم وتهدى العمى عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في النحو كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق
اى افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدى العمى لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد
حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه
النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا • ان الله لا يظلم الناس
اشارة الى ان ما يحكى عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤفى المشاعر
ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اى لا ينقصهم • شيئا • مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادى ادراكاتهم
واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا • ولكن
الناس • وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم
عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب • انفسهم يظلمون • اى ينقصون ما ينقصون مما نيط به من مبادى كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما
لم يذكر لما ان مساق الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا لبيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا
بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير
قصد الى قصر المظلومية عليهم على راى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم
من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راى من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان
بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اتحاد الامرين محل اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لدى الطبع واوجبهما
حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما تقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم
يظلم احد من الناس الا نفسه يستلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا
نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على
المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا ترى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي لا نفي الاختصاص ومساق
الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة
شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين
فالاية الكريمة تذييل لما سبق • ويوم يحشرهم • منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اى واذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم • كان لم يلبثوا
اى كانهم لم يلبثوا • الا ساعة من النهار • اى شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات
الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اى نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك
القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض اثار نعمة واحكام لجهة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال
او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك القدر وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار
بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في
الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وعلا • يتعارفون بينهم • بيانا وتقريرا له

لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من
القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة
للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال • قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله • شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه
وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمارهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته
لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء وحسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم
واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى • وما كانوا مهتدين • ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها
وان كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة • واما نرينك • اصله
ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اى ان نبصرك ونظهرن لك • بعض الذى نعدهم • اى وعدناهم من العذاب
ونجعله في حيوتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اى نعدهم وعدا متجددا
حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر • او نتوفينك •
قبل ذلك • فالينا مرجعهم • فنريكه في الاخرة اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فننجز
ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب الشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اى فذاك
• ثم الله شهيد على ما يفعلون • من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم
واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة اى هنالك
• ولكل امة • من الامم الخالية • رسول • يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق • فاذا جاء رسولهم • فبلغهم ما ارسل به
فكذبوه وخالفوه • قضى بينهم • اى بين كل امة ورسولها • بالقسط • بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به واهلاك المكذبين به كقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا • وهم لا يظلمون • في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيامة
رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم • ويقولون
متى هذا الوعد • استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه
الالزام كما في سورة الملك • ان كنتم صادقين • اى في انه ياتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الايات
المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدمه حسبما هو في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فلياتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاستعجال يكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه
وسلم قيل • قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا • اى لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه
واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك
شيئا من شؤوني رفدا وايرادا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود • الا ما شاء الله • استثناء
منقطع اى ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه ياباه مقام التبري من ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان
الوعد فان ذلك يستدعى بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة
بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع
المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى • لكل امة اجل •
بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في النفي السابق من الاطلاق المشعر بكون المتنازع فيه امرا منجزا موقوفا على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة
اى لكل امة امة من الامم المهلكة بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله • اذا جاء اجلهم •
ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد منه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هنالك يتحقق
مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها
ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم اجالهم بان جاء كل واحدة من تلك الامم
اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين
اى اذا جاءها اجلها الخاص بها • فلا يستاخرون • عن ذلك الاجل • ساعة • اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اى
لا يتاخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له • ولا يستقدمون • اى لا يتقدمون عليه وهو عطف على
يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله
تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا

مع ظهور ان لا توبة لهم اسا لقد انطوى عنه قبول التوبة في سلك من سويها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد يجوز ان يراد بمجي الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كيوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستيخار بدنوه مزيد فائدة وتعقيبه ببيان انتفا الاستقدام على بيان عدم انتفا الاستيخار لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان تاخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبي عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك • قل • لهم بعدما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجي اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة • ارايتم • اخبروني • ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به • بياتا • اي وقت بيات واشتغال بالنوم • او نهارا • اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشية التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل • ماذا يستعجل منه المجرمون • جواب الشرط بحذف الفا كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا من استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شي تستعجلون منه سبحانه والشي لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه من حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بنا على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارايت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطا بنا على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل • اثم اذا ما وقع امنتم به • انكار لايمانهم به بعد نزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المامور به اي بعدما وقع العذاب وحل بكم حقيقة امنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا للتاخير الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه بلا استعجاله وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا [illegible] ذا الشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الى اخره والاستفهامية الاولى اعتراض [illegible] اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وثم لمجرد التراخي دلالة على الاستبعاد لتوسطها اداة الشرط [illegible] استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجي باذا ما مؤكدا بما ترجيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتهويل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى • الان • استيناف من جهة تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الان امنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامل والتدبر في شانه ولا لشي اخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزا وقرئ الان بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام وقوله تعالى • وقد كنتم به تستعجلون • اي تكذيبا واستهزا جملة وقعت حالا من فاعل امنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى • ثم قيل • اي يوم القيمة تاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الان • للذين ظلموا • اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم • ذوقوا عذاب الخلد • المولم على الدوام • هل تجزون • اليوم • الا بما كنتم تكسبون • في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال • ويستنبئونك • اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزا والانكار • احق هو • اخبر مقدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه الحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موضع النصب بيستنبئونك وقرئ الحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق • قل • لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة • اي وربي • اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواو • انه • اي العذاب الموعود • لحق • لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقرئ وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه • وما انتم بمعجزين • اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور • ولو ان لكل نفس ظلمت • بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا • ما في الارض • اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة بالكثرة • لافتدت به • اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه • واسروا • اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع

مع افادة العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الخطب لامر بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوهم من كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكورهم على اناثهم • الندامة • على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا لاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما راوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشي فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسروها رؤساهم ممن اضلوهم حيا منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شي غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشي خالصه حيث تخفى ويضن بها تهيبه لتكويهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشي واسره اذا اظهره حين شاهدوه وفيه بعده • وقضي بينهم • اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سوا كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به • بالقسط • بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضا على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غيران يتعرض لحال المشركين وهو الظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا • وهم • اي الظالمين • لا يظلمون • فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية • الا ان لله ما في السموات والارض • اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلا على العقلا فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشيا وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشا ايجادا واعداما واثابة وعقابا • الا ان وعد الله • اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثنا بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فيتضمن قوله تعالى • حق • على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الايات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه • ولكن اكثرهم • لقصور عقولهم واستيلا الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة • لا يعلمون • ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون • هو يحيي ويميت • في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك • واليه ترجعون • في الاخرة بالبعث والحشر • يا ايها الناس • التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سو عاقبتهم وايذان بان الجميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم • قد جاءتكم موعظة • اي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سوا كان بالزجر والترهيب او بالترغيب وكلمة من في قوله تعالى • من ربكم • ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من موعظات ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى • وشفاء لما في الصدور • وهدى ورحمة للمؤمنين • اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسنها وسيئها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفا لما في الصدور من الادوا القلبية كالجهل والشك والشرك في النفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الافاق والانفس وفي تحليته رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم • قل • تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين للناس بان يغتنموا ما في القران العظيم من الفضل والرحمة • بفضل الله وبرحمته • المراد بهما اما ما في مجي القران من الفضل والرحمة واما الجنس ويدخل فيه دخولا اوليا او البا متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير البا في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفا لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفا الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان يفرحوا بشي فبذلك فليفرحوا لا بشي اخر ثم ادخل الفا للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق البا بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرئ فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه • هو • اي ما ذكر من فضل الله ورحمته • خير مما يجمعون • من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المومنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون • قل ارايتم • اي اخبروني • ما انزل الله لكم من رزق • ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد به الرزق الحلال وجعله منزلا لكونه مقدرا في السما او لانه ينزل من السما مطرا او منه ما يترتب عليه وجودا او نبتا باسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين • فجعلتم منه • اي جعلتم بعضه • حراما • اي حكمتم بانه حرام • وحلالا • اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الاية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا [illegible] الحرام لظهور اشتمال الحلال فيه ودوران التوبيخ عليه • قل • تكرير

لتأكيد الامر بالاستخبار اى اخبرونى ءآلله اذن لكم • فى ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى • ام على الله تفترون • ام منقطعة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيد التبكيت اثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام متصلة والمعنى اخبرونى ءآلله اذن والاستقبال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده الحصر مما من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقرير تقديم الجار والمجرور ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى الله تعالى خاصة تفترون • وما ظن الذين يفترون على الله الكذب • كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غدا وانما احتيج الى القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول فى موقع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة فى تقبيح ما افتعلوا وكونه كذبا فى اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل • يوم القيامة • ظرف لنفس الظن اى اى شئ ظنهم فى ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التى ستقع يوم القيامة تنزيلا له وما فيه من الاحوال لحال وضوح امره فى التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اى اى شئ ظنهم لما سيقع يوم القيامة احسبون انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفى اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضى اى اى ظن ظنوا يوم القيامة وايراد صيغة الماضى لانه كائن فكأنه قد كان • ان الله لذو فضل • اى عظيم لا يكتنه كنهه • على الناس • اى جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التى لا تستقل العقول فى ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد • ولكن اكثرهم لا يشكرون • تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تشمل عليه ما سيلقونه يوم القيامة ويلقون اليه فيفعلون ما يفعلون ثم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه • وما تكون فى شأن • اى فى امر من شأنت شأنه اى قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول • وما تتلو منه • الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اى تلاوة كائنة من الشأن اذ هى معظم شؤونه عليه الصلاة والسلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتى فى قوله تعالى • من قرآن • مزيدة لتأكيد النفى او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثانى والثالث • ولا تعملون من عمل • تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو رأس الكل وقد روعى فى كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير • الا كنا عليكم شهودا • استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اى ما تلابسون بشئ منها فى حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له • اذ تفيضون فيه • اى تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضى ايضا اوثر فى الاستثناء صيغة الماضى وفى الظرف كلمة اذ التى تفيد المضارع معنى الماضى • وما يعزب عن ربك • اى لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفى التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاى • من مثقال ذرة • كلمة من مزيدة لتأكيد النفى اى ما يعزب عنه ما يساوى فى الثقل نملة صغيرة او هباء • فى الارض ولا فى السماء • اى فى دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فيهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها • ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين • كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار وجعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شئ ولكن جميع الاشياء فى كتاب مبين فكيف يعزب عنه شئ منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شئ الا وهو فى كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ • الا ان اولياء الله • بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته فى كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما فى السماء والارض وكون الكل مثبتا فى الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيامة وما سيعتريهم من الاهوال الطارئة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولى لغة القريب والمراد باولياء الله خلص المؤمنين لقربهم الروحانى منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم • لا خوف عليهم • فى الدارين من لحوق مكروه • ولا هم يحزنون • من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور وكيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك

لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب فى حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهى بمعزل من الانتظام فى سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او من فوات نافعها وقوله عز وجل • الذين آمنوا • اى بكل ما جاء من عند الله تعالى • وكانوا يتقون • اى يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبنى على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين من كل شر وقيل محله النصب والرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح فى ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من رتبة التوقى عن الشرك التى يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك وهى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهى التقوى الحقيقى المأمور به فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذى عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال من دخل معه عليه الصلاة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا وما تعملون من عمل الى آخره خلا ان لهم فى شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياسة النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق فى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلاك امر الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله تعالى هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اى بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون فى الله لما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة والتحابب لله تعالى والتجافى فى الله سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر فلعل ذكرها من اقسام الناس تارة وارد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسامعين او لغيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر من احكامهما فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والآداب ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تأليف قلوبهم وقطعها عن المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتأكيدها بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم فى الدين من اقاربهم واما ما ذكر من ان الانبياء عليهم الانبياء مقصور حسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشى وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله تعالى • لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة • تفسيرا لتوليه تعالى اياهم ولا ريب فى ان اعتبار القيد الاخير فى مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين فى تحصيلها والثبات عليها والبشارة بآثارها وتبعاتها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا ابتغاؤه لهم عند حصوله حتى يترقبوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بآثارها بل التولى بالكرامة من نتيجة الولاية فاعتباره فى عنوان الموضوع يؤدى الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذى يقتضيه النظم الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثانى بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستأنفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم فى الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لاتصافهم بما يؤدى اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان فى موقع الحال منه والعامل ما فى الخبر من معنى الاستقرار اى لهم البشرى حال كونها فى الدنيا وحال كونها فى الآخرة اى عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اى حال كونهم فى الحياة الدنيا الى آخره ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابى ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى فى الدنيا فهى البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين فى غير موضع من الكتاب

المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل
هي البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي
الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات
فيكون عدة بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة من الناضج الى
الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم • لا تبديل لكلمات الله • لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة ببشارة المؤمنين
المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة
فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها
سياق بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر • ذلك • اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين • هو الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه
وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله
او هذه تذييل والسابقة اعتراض • ولا يحزنك قولهم • تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم
الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك
من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه السلام من الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك
وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر
باصله ونفي له بالمرة وقد وجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قوله لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول
النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض الاوقات نوع
حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى • ان العزة • تعليل للنهي على طريقة الاستيناف اي ان الغلبة والقهر • لله جميعا • اي في ملكته وسلطانه
لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة البشارات العاجلة وقرئ
بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله • هو السميع العليم • يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك
• الا ان لله من في السموات ومن في الارض • اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو
مع ما فيه من التاكيد لما فيه من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد
لما لحق من قوله تعالى • وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء • وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية
وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر
على احدهما لظهور دلالته على الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى • ان يتبعون الا
الظن • اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون
الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من
ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال
الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الى اخره وقرئ تدعون بالتاء الخطاب لاستفهام التبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا
يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق • وان هم الا يخرصون • يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء
تقديرا باطلا • هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا • تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة
ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص
العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فمفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني
لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير
هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا فيه من فضله كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله لانه حذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار
الى النهار مجازي كما في نهاره صائم • ان في ذلك • اي جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته • لايات • اي عجيبة كثيرة او ايات اخرى غير ما ذكر • لقوم يسمعون • اي هذه الايات المتلوة ونظائرها

المنبهة على تلك الايات التكوينية الامرة بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم مع ان الكل منصوبة لمصلحة الكل
لانهم المنتفعون بها • قالوا • شروع في ذكر ضرب اخر من اباطيلهم وبيان بطلانه • اتخذ الله ولدا • اي تبناه • سبحانه • تنزيه وتقديس له عما
نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء • هو الغني • على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة
وقوله عز وجل • له ما في السموات وما في الارض • اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى
• ان عندكم من سلطان • اي حجة • بهذا • اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض
فمن زائدة لتاكيد النفي وهو مبتدا والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان
لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات
الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتاكيد ما في قوله تعالى • اتقولون على الله ما لا تعلمون • من التوبيخ والتقريع على جهلهم وضلالهم
وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به • قل • تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم • ان الذين يفترون على الله الكذب •
اي في كل ما امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك سبحانه دخولا اوليا • لا يفلحون • اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون
بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة وعدم الفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في
الزجر عن الافتراء عليه سبحانه • متاع في الدنيا • كلام مستانف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ
الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في
الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا • ثم الينا مرجعهم • اي بالموت • ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون • فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدا المحذوف حياتهم
او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم
الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار
اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والاية اما
مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم
نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مامور بنقله وحكايته عنه عز وجل • واتل عليهم • اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم
لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وانما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد • نبا نوح • اي خبره الذي له شان وخطر
مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما متعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب
المقيم ليزدجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم
من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد وليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص
العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم
وافعالهم ما لا يخفى • اذ قال • معمول لنبا او بدل منه بدل اشتمال واياما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين
قومه واللام في قوله تعالى • لقومه • للتبليغ • يا قوم ان كان كبر • اي عظم وشق • عليكم مقامي • اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي لفلان
ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي • وتذكيري بايات الله •
فانهم اذا كانوا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم • فعلى الله توكلت • جواب للشرط اي دمت على تخصيص
التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل • فاجمعوا امركم • عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع
على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم وقيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال
قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا وتفرقته انه يقول مرة افعل كذا واخرى
افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا • وشركاءكم • بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا
على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي
امر شركائكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاجمعوا ذوي امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على اي وجه
يمكنكم • ثم لا يكن امركم • ذلك • عليكم غمة • اي مستورا من غمه اذا ستره مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب
تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم
لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته ثم للتراخي في الرتبة والظاهر ان الرتبة في موقع الاصلاح [illegible]

تعريض بقضيتها مقام الامر بالاظهار الذي يستلزم النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بالامر هو ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم
المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي في الزمان والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري
ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل • ثم اقضوا الي ولا تنظرون • اي ادوا الي اي احكموا ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى
وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط
ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم
او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء • فان توليتم • الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي
المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما اقول ودلائلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى عقيب مبارزة
في من السوء غير مبال بكم وبما ياتي منكم واحجامكم عن الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز • فما سألتكم • بمقابلة وعظي
وتذكيري • من اجر • تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى تضربني
توليكم المؤدي لحرماني فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار بطلانه ببيان عدم مبالاته عليه السلام بوجوده و
وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصلحة لكم
تا ترمونه • وقوله عز وجل • ان اجري الا على الله • ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام
عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم او توليتم • وامرت ان اكون من المسلمين • المنقادين لحكمه لا اخالفه
ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء في طاعة الله تعالى • فكذبوه • فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم
الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب سوى التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب • فنجيناه ومن معه في الفلك •
من المسلمين وكانوا ثمانين • وجعلناهم خلائف • من الهالكين • واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا • اي بالطوفان وتاخير ذكره
عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا
الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل المسرة للايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات
الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين • فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه السلام • ثم بعثنا • اي ارسلنا • من بعده • اي من بعد نوح عليه السلام • رسلا •
التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير • الى قومهم • اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او
الى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص • فجاؤهم
اي جاء كل رسول قومه المخصوصين به • بالبينات • اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل
المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضميره اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة
خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين ضميري جاء وهم كما اشير اليه • فما كانوا ليؤمنوا •
بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدمه واستمرار ايمانهم كما مر مثله في السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم
من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر
حال كل قوم حسبما ينطق به حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في
قوله عز وجل • بما كذبوا به من قبل • تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما جعل ذلك مقصودا بالذات كالاول
حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر
المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا
عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من
حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة
ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن
الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من
بقايا قوم نوح عليهما السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان
بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل
هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع المكذبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب
عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة

متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من
التعسف وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة المعهود من جعل الصلة
من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف
• كذلك • اي مثل ذلك الطبع المحكم • نطبع • بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه • على قلوب المعتدين • المتجاوزين عن الحدود
المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وهو ذلك خلا انهم وتخليهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي
امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد • ثم بعثنا • عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم
عطف قصة على قصة • من بعدهم • اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام • موسى وهرون • خصا بعينهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف
باندراجهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم واوثر في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة
وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليهما السلام • الى فرعون وملائه • اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات
ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات • بآياتنا • اي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف • فاستكبروا • الاستكبار ادعاء الكبر
من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين الى آخره • وكانوا قوما مجرمين • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام
مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع
من قبول الآيات لا يساعده قوله عز وعلا • فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين • فانه صريح في ان المراد بالاستكبار هو ما وقع منهم
قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الآيات العظام
والفاء فيه ايضا فصيحة معربة كما صرح به في مواضع اخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في
بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر • قال موسى • استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ
فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي • أتقولون للحق • الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت • لما جاءكم • اي حين مجيئه
اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه
وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او
القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
الآية فيستغنى عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل • أسحر هذا • انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا
وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال
مثلا أفيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على انه ليس فيه
شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية
على امتناع كونه سحرا اي أسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عينان مبصرتان وتكرير الهمزة للايذان
بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل • ولا يفلح الساحرون •
وهي جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي
اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز
الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان
استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان
المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوه هو الحكم بانه سحر من غير ان
يكون فيه دلالة على ما اعتبر فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام من صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب
تنزيه التنزيل عن مثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة
المتشبثين باذيال العض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة
ما اتوا به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الى آخره مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان
بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند
لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى الى آخره حسبما اشير اليه كأنه قيل فماذا قالوا

لموسى عليه السلام وعند ما قال لهم ما قال لما عجزوا عن المحاجة • اجئتنا لتلفتنا • اى لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان • عما وجدنا
عليه اباءنا • اى من عبادة الاصنام ولا ريب فى ان ذلك مما يتسنى يكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذى شرح اعلى فقد
كونه محكيا من قبلهم بكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب فى انه علاقة بين قولهم اجئتنا
الى اخره وبين انكاره عليه السلام ما حكى عنهم مصححة لكونه جوابا عنه • وتكون لكما الكبرياء • اى الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ
ويكون بالياء التحتانية وكلمة فى فى قوله تعالى فى الارض اى ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار فى لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف
وقع حالا من الكبرياء او من الضمير فى لكما لتحمله اياه • وما نحن لكما بمؤمنين • اى بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير فى هذين الموضعين
بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للاخر واما اللفت والمجئ
له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عليه السلام خاصة • وقال فرعون • توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون
اى قال لملائه يامرهم بترتيب مبادى الزام موسى عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول • ائتونى بكل ساحر عليم • متقن للسحر
حاذق ماهر فيه وقرئ سحار • فلما جاء السحرة • عطف على مقدر يستدعيه المقام وقد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم لامر فرعون
كما هو شأن الفاء الفصيحة فى كل مقام اى فاتوا به فلما جاؤا • قال لهم موسى • لكن لا فى ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام
ما حكى عنهم فى السور الاخرى من قولهم اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك • القوا ما انتم ملقون • اى ملقون له كائنا ما كان من
اصناف السحر • فلما القوا • ما القوا من العصى والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم • قال لهم موسى • غير مكترث بهم وبما صنعوا • ما جئتم به السحر
ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبرها اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من ايات الله سحانه او هو من جنس السحر يريهم ان حاله بين لا ينبغى لاحد ان
كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغى ان يجاب به وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية اى اى شئ جئتم به اهو السحر الذى يعرف حاله كل احد ولا
يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ولا لنفى على المعنى الثانى فى القراءة المشهورة الظهر • ان الله سيبطله • اى
سيمحقه بالكلية بما يظهر على يدى من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد • ان الله لا يصلح عمل المفسدين •
اى عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار
بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاحه عدم جعل فساده صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اى لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه
ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلى وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
• ويحق الله الحق • عطف على قوله تعالى سيبطله اى يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل فى المقامين لالقاء الروعة وتربية المهابة
• بكلماته • باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته • ولو كره المجرمون • ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم • فما امن
لموسى • معطوف على مقدر قد فصل فى موضع اخر اى فالقى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون الى اخره وانما لم يذكر تعويلا على ذلك واشعارا بالايجاز
وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلاف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدم ما مستمرا من قبل لما ان قوله عز وجل يا ايها
امر فرعون وما فى حوله وعظه فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر فى ذلك ان الايمان بالمعجزة بعد ورود ما يوجب الاقلاع عليه وان كان
استمرارا عليه لكنه حسب لعنوان عمل جديد وضع حادث اى فما امن له عليه السلام بمشاهدة تلك الايات الباهرة • الا ذرية من قومه •
اى الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل حيث دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية
طائفة من شبانهم امنوا به عليه السلام او مؤمن ال فرعون وامرأته اسية وخازنه وامرأته وماشطته ونحو ذلك • على خوف • اى كائنين على
خوف عظيم • من فرعون وملائهم • الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد فى ضمائر العظماء ولا يأباه مقام بيان علوه فى الفساد وغلوه
فى الشر والتسلط على العباد او لان المراد به اله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اى على خوف من فرعون ومن اشراف بنى اسرائيل
حيث كانوا يمنعون من اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم • ان يفتنهم • اى يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر
المنكر كثير كما فى قوله عز وجل او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الامر
بالتعذيب • وان فرعون لعال فى الارض • لغالب فى ارض مصر • وانه لمن المسرفين • فى الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء
او فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلى مؤكدة لمضمون ما سبق • وقال موسى •
لما راى خوف المؤمنين منه • يا قوم ان كنتم امنتم بالله • اى صدقتم به وباياته • فعليه توكلوا • وبه ثقوا ولا تخافوا احدا
فانه كافيكم كل شر وضر • ان كنتم مسلمين • مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب
التوكل عليه تعالى فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت
عليه • فقالوا • مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم فى ذلك • على الله توكلنا • لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين • ربنا
لا تجعلنا فتنة • اى موضع فتنة • للقوم الظالمين • اى لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا ويفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان

هؤلاء على الحق لما اصيبوا او قوله تعالى • ونجنا برحمتك من القوم الكافرين • دعاؤهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء عليهم
ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفى ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعى حقه ان يبنى دعاءه على التوكل على الله تعالى • واوحينا الى
موسى واخيه ان تبوءا • ان مفسرة لان فى الوحى معنى القول اى اتخذا مباءة • لقومكما بمصر بيوتا • تسكنون فيها وترجعون فيها للعبادة
• واجعلوا • انتما وقومكما • بيوتكم • تلك • قبلة • مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلى
اليها • واقيموا الصلوة • اى فيها امروا بذلك فى اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم • وبشر المؤمنين •
بالنصرة فى الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور
ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة فى الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير
القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار فى التبشير • وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة • اى ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوها • واموالا • وانواعا كثيرة من المال • فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك • دعاء عليهم بلفظ الامر
بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة باتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر
استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا او تنبيها
على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى • ربنا اطمس على اموالهم • اطمس المحق وقرئ بضم الميم اى اهلكها • واشدد
على قلوبهم • اى اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم • فلا يؤمنوا • جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهى
او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض • حتى يروا العذاب الاليم • اى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك • قال قد اجيبت
دعوتكما • يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير فى المواقع الثلاثة
• فاستقيما • فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن فى وقته لا محالة وروى انه مكث
فيهم بعد الدعاء اربعين سنة • ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون • اى بعادات الله سبحانه فى تعليق الامور بالحكم والمصالح
او سبيل الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا • وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر • هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اى جعلناهم مجاوزين
البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا من التجويز بمعنى التنفيذ كما وقع فى قول
الاعشى كما جوز السكى فى الباب فيتق والاقيل جوزنا ببنى اسرائيل فى البحر وحلا النظم الكريم من الايذان ببعض ما لهم من البحر ومعاناة
العناية المنبئة لهم عند الجواز كما هو المشهور فى القرن بن ادنبه وذهب به • فاتبعهم • يقال تبعه حتى اتبعه اذا كان سبقه فلحقه
اى ادركهم ولحقهم • فرعون وجنوده • حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان • بغيا وعدوا • ظلما واعتداء اى باغين وعادين او للبغى
والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل
الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حالة يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل اخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم
• حتى اذا ادركه الغرق • اى لحقه والجد • قال امنت انه • اى بانه والضمير للشأن وقرئ انه على الاستيناف بدلا من امنت
وتفسيرا له • لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل • لم يقل كما قالت السحرة امنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى
بالموصول وجعل صلته ايمان بنى اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا فى القبول والانتظام
فى سلك النجاة • وانا من المسلمين • اى من الذين اسلموا نفوسهم لله اى جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بنى اسرائيل خاصة
واما الجنس وهو داخل فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على امنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى تحتمل الحالية
ايضا من ضمير المتكلم اى امنت مخلصا لله منتظما فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضى الى النجاة
وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات وانى له بما رام وقوله عز وجل • الان • مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل له الان وهو الى قوله تعالى
اية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد عليه وجه الانكار التوبيخى على تأخيره وتقريعه بالعصيان والاسراف والافساد
وعلى ذلك وفى حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكى فى صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما ينبغى عنه ما روى
من ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك حال البحر وسد به فاه فانه تأكيد للرد القولى بالرد الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ان تدركه
الرحمة فيما نقل انه قال للنبى عليهما السلام فلو رايتنى يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد
بها الرحمة الدنيوية اى النجاة التى هى طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم
من كراهته ما لا يتصور فى شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان
وان كان ذلك فى حالة اليأس فعل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد والله الموفق

الفاصل في الظرف ان يقدر رمزا لتوجيه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت
بالممات وقوله عز وعلا • وقد عصيت قبل • حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الايمان الى
هذا الآن ببيان انه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في الجملة
بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى • وكنت من المفسدين • عطف على عصيت داخل في حيز الحال
اي وكنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارق الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص
• فاليوم ننجيك • اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان
هو النجاة كما مر وتهكم به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننجيك من الانجاء وننحيك بالحاء من التنحية او نلقيك
بناحية الساحل • ببدنك • في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم
لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها
كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها • لتكون لمن خلفك آية • لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان
في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على
ممرهم من الساحل او لتكون لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان
وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد من مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا
ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء
الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته
وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال
الاستهانة به وتفضيحه على رؤوس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او يدار برأسه في البلاد واللام الاولى
متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك • وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون • لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي • ولقد بوأنا بني اسرائيل • كلام مستأنف سيق لبيان
النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واذا جعلوها اي اسكناهم وانزلناهم بعدما انجيناهم واهلكنا اعداءهم
• مبوأ صدق • اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوهما بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيهما حسبما نطق به قوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها • ورزقناهم من الطيبات • اي اللذائذ • فما
اختلفوا • في امور دينهم • حتى جاءهم العلم • اي الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم باحكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم
الا بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بهم المخالفون اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم • ان ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • فيميز بين المحق والمبطل بالانابة والتعذيب • فان كنت في شك • اي في شك
ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكونان ممتنعا
كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وتطاولهما • مما انزلنا • اليك من القصص
التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل • فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك • فان ذلك محقق عندهم ثابت
في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا
او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز
صدور الشك عنه عليه السلام ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما
انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل
الذين يقرؤون الكتب • لقد جاءك الحق • الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته • من ربك • وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم
حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى • فلا تكونن من الممترين
بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل • ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله • من باب التهييج والالهاب
والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه
قطع لاطماع الكفرة • فتكون • بذلك • من الخاسرين • انفسا واعمالا • ان الذين حقت عليهم • شروع في بيان سر اصرار

الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة • كلمة ربك • حكمه وقضاؤه بانهم يموتون
على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم الآية • لا يؤمنون • ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا استحالة لقضائه
اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون بأيقانهم عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو
جاءتهم كل آية • واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقده انه ليس لمنع منه سبحانه
مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك • حتى يروا العذاب الاليم • كدأب آل فرعون واضرابهم • فلولا كانت • كلام
مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا
لكون قوم يونس ممن لم يحق عليه الكلمة بالمبادرة الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فهلا كانت • قرية • من القرى
المهلكة • آمنت • قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه • فنفعها ايمانها • بان يقبله الله
تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها • الا قوم يونس • استثناء منقطع اي لكن قوم يونس • لما آمنوا • اول ما رأوا امارة العذاب
ولم يؤخروا الى حلوله • كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا • بعدما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لما يفصح عنه
حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم
يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة
وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمسة وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا
يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله
تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان
ليقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال قولوا
يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله • ولو شاء ربك لآمن من في الارض • تحقيق لدوران ايمان كافة
المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من
وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين
لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد • جميعا • مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بنى اساس التكوين
والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة • افأنت تكره الناس • على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الاستفهام
في الشرطية والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الكلام كانه قيل أربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم • حتى يكونوا مؤمنين • فيكون الانكار متوجها
الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار
وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وايا ما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء خاصة
في انكار الترتيب عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك
فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه
• وما كان لنفس • بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح
وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن • ان تؤمن الا باذن الله • اي بتسهيله ومنحه للالطاف وانما خصت النفس
بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في
حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا
بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى منها الحال المقارنة لها • ويجعل الرجس
اي الكفر بقرينة ما قبله سماه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب والخذلان المؤدي
اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي • على الذين لا يعقلون • لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات
او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون متمرغين بقبائح الكفر والضلال
او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فيأذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ • قل
خطابا لاهل مكة بعد ما بين لهم على التدرج في ملكوت السموات والارض وما فيها من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين
لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة • انظروا • اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل • ماذا في السموات والارض • اي اي بديع فيهما

من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ما ذا جعل بالتركيب اسما واحدا معلقا فيه الاستفهام او على اسم الاشارة لانه مبتدأ خبره
الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ او على المعدرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط
الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام • وما تغني • اي ما تنفع وقرئ بالتذكير • الآيات • وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ما ذا في السموات
والنذر • جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي الانذارات • عن قوم لا يؤمنون • في
علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي
اغناء تغني الى اخره فالجملة حينئذ اعتراضية • فهل ينتظرون • اي مشركو امتك واضرابهم • الا مثل ايام الذين خلوا
اي الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحق
غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها • قل • تهديدا لهم • فانتظروا • ما هو عاقبتكم • اني معكم من المنتظرين •
لذلك • ثم ننجي رسلنا • بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا
وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا
المرسلة اليهم • والذين آمنوا • وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها
وتاخير حكاية التنجية من حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الى اخره ونظائره
الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك او مثل ذلك الانجاء • حقا علينا • اعتراض بين العامل والمعمول
اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى • ننج المؤمنين •
من كل شدة وعذاب والجملة اعتراض تذييلي لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل والاتباع
واما الاتباع فقط وان ما لو لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان
قل لجمهور المشركين • يا ايها الناس • اورد الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال
العناية بشأن ما يلقى اليهم • ان كنتم في شك من ديني • الذي اتعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو
وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات • ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم • ثم يفعل بكم
ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما
تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير من عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد
والايذان بالمخالفة من اول الامر اوان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصة اخلاص العبادة
لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم
وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد
والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب
هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه
ابدا • وامرت ان اكون من المؤمنين • بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد
ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف
المطرد مع ان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به • وان اقم وجهك للدين • عطف
على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على
المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف
المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد
فيه باداء الفرائض والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال
• حنيفا • حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة • ولا تكونن من المشركين • عطف على اقم
داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس
غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى اخر الايتين منسقة لا يمكن
فصل بعضها من بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو كالتمهيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل
فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تعبد ولا تدع من دون الله استقلالا لا
ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعا او

دفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر على من بيان التسبب • فان فعلت • اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا
ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشانه عليه الصلوة والسلام وتنويها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة الله سبحانه
ولو في ضمن الجملة الشرطية • فانك اذن من الظالمين • جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه • وان
يمسسك الله بضر • تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه • فلا كاشف
له • عنك كائنا من كان وما كان • الا هو • وحده فيثبت عجز الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان
لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان دفع المكروه ادنى مراتب
النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية • وان يردك بخير • تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد
ان يصيبك بخير • فلا راد لفضله • الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب
وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده
كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم
لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر
مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمسهم لا بموجبه من الدواعي
الخارجية لا بالقصد الاول او اريد معنى الفعلين كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب
به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب
الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل • يصيب به • اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء
فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من
باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل • من يشاء من عباده • فان ذلك ينادي
بعموم الفضل وقوله عز قائلا • وهو الغفور الرحيم • تذييل لقوله تعالى يصيب به الى اخره مقرر لمضمونه
والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها • قل • مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك
• يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم • وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر انفا
من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر • فمن اهتدى • بالايمان به
والعمل بما في مطاويه • فانما يهتدي لنفسه • اي منفعة اهتدائه لها خاصة • ومن ضل • بالكفر به والاعراض عنه
• فانما يضل عليها • اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة من شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من
جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته • وما انا عليكم بوكيل • بحفيظ موكول الي امركم
وانما انا بشير ونذير • واتبع • اعتقادا وعملا وتبليغا • ما يوحى اليك • على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد
يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي • واصبر • على ما يعتريك من مشاق التبليغ
حتى يحكم الله • بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال • وهو خير الحاكمين • اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون
الحمد لله سبحانه على التمام والصلوة والسلام على محمد واله اجمعين

• الر • محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس او النصب بتقدير فعل يناسب
المقام نحو اذكر او اقرأ على التقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر ولا محل له من الاعراب مسرودا على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى
• كتاب • خبر له على الوجه الثاني وللمبتدأ المحذوف على الوجوه الباقية • احكمت آياته • نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها
على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على نبوته لولا
المراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ
بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا
يليق بشان الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجه الثاني
لكل آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى • ثم فصلت • اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات

مكية

يكاد

[illegible] ولان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكا
مها للتراخي واما المعنيان الاولان فيهما واذا كانا يتبع الاحكام وما يلحقه نزل الايات محكمة متصلة لانها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك
او التعلل من تفصيل قوله سبحانه من سعر البعوض وكذا التفصيل الا انهما حيث كانا من صفات الايات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه
يستتبع احكاما مخصوصة واثارا مرتبطة بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها
الثابتة على معنى تعرض بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والاثار او فرقت
في التنزيل بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجز بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة فهي رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت اياته ثم فصلت
على صيغة المتكلم من عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعد
ما وصف باحكام اياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر
للمبتدا المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم اسناد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها
ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل اليه تعالى وعلمها مع رعاية حسن الطباق
من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه الا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام
مع تحقق شرط ان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع أن المصدرية
كانه قيل كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام
والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة او يشلل ان مفسرة لما في
التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه اي من جهته تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا
تركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بجوابه ان امنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر
شؤون الكتاب من احكام اياته وتفصيلها وكون ذلك من قبيل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلكه الغاية او الامر من
التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين ما يليه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب
مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحهما بالمرتدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب
الاهمية حتى افرد بالذكر وابد احكامه بالخطاب عن الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته
صلى الله عليه وسلم كذلك من الذكر لا ينفك احدهما عن الاخر وقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير
ما روعي في الكتاب من تقديم النهي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب طرفا الكلام ويجوز ان يكون
قوله تعالى الا تعبدوا الا الله كلاما مستقطعا ما قبله واردا على لسانه عليه الصلاة والسلام اغراء لهم على
اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة الله
[illegible] انني لكم من جهة الله نذير وبشير او تبريا انذركم من عقابه على تقدير اتمامكم على الكفر وابشركم
بثوابه على تقدير تركه وتوحيدكم وما سبق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك خطاب الرسول صلى الله عليه
وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من [illegible] على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل وان
استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين على الاول ان مصدرية جوز كون صلتها امرا او نهيا كما في قولهم وان ام
للبين خفيا لان مدار جواز كونها فعلا ناهرا دلالته على المصدرية وهو موجود فيها ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف
بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الجزء الانشائي في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب
ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك من معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام
والمعنى فيما فصل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه
من التوحيد والاستغفار وتستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني انه مفسرة [illegible] انما تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروا ثم
توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع واتيان الفضل بقوله يمتعكم متاعا
حسنا اي يعيشكم في امن ودعة [illegible] على انه مفعول [illegible] الرواية كقوله انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال
والبنين وغير ذلك والمعنى يعطكم عطاء مرضيا لا يفوتكم به شيء من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية
لا يطمع وراءها طامع جرى التمتيع اليها مجرى التابيد عادة ولا يهلككم بعذاب الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما
في الدنيا او في الآخرة [illegible]

اكثر مما شرع احرز ونه من الفضل وربما يكون المفضول اكثر منه فتيل ويعطي كل ذي فضل جزاء فضله اما في الدنيا [illegible] والآخرة
مما لا مزيد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار
والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب ولان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي
سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرافة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما
وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله
تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط الذي ابتلوا به حتى اكلوا الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له
الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في ذلك
الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذه المقالة التي
تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها من هنات امر
جنايات هنهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان
من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد جاء به العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا
للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه التجا الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على
اعراضهم وجعله في [illegible] المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان الذي [illegible]
الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء كما اشار اليه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على
ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة
وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايذانا بظهوره مغني عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر
من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس
بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت
في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه
انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه
من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم
ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم
اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ من حديث النفس عادة وقيل كان الرجل
من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون
اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكانه علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما هاهنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى
بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه
تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان واردا على
الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزهين عن اقتضاء التاكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك
مع انه وقع الغيبة عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة
العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم
بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له وانه مع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وحلية الصدور [illegible] الاستغراق والتعبير عن الضمائر
بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يخفى اي مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث
لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب التي في الصدور واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها

من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جي على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا
لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه • ويعلم مستقرها • محل قرارها في الاصلاب ومستودعها
موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي
ومنشاها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد
والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة
في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة
في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يلائمها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بما كيما
في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها • كل • من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها • في كتاب مبين • اي مثبت في اللوح المحفوظ البين
لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوالها في الارض من المخلوقات التي
لا تكاد تحصى من مبدا فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية اليه فقيل • وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام • السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغيرها في يومين حسبما فصل في سورة السجدة
ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة
ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان
كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار
واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه ما تقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار
صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الاثار والاحكام • وكان عرشه • قبل
خلقهما • على الماء • ليس تحته شيء سوا كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دلت
لدلت على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما دل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير
تعرض للنسبة بينهما • ليبلوكم • متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون
اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم
معاملة من يبتليكم • ايكم احسن عملا • فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب
امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على النظر فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان
العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من
القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد
اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدايع صنائع الله الخلاق والتدبر في اياته المبثوثة في الانفس والافاق ولا طاعة بدون
فهم ما في مطاوي الكتاب وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع
له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه
مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال
القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل
مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود
الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب
الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم
في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا
عن ان ينتظر ظهوره من سائر الغاية لتلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا عني بذكره
من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله تعالى اعلم • ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت • على ما يوجبه قضية الابتلاء لترتب الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال • ليقولن الذين كفروا • ان وجه الخطاب في قوله تعالى
انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم • ان هذا الا سحر
مبين • اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القران فان الاخبار بكونهم مبعوثين وان لم يكن بطريق الوحي
المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القران لانه بدايته في كل موضع وكونه مما لا يحصى ذلك نعمة والى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد

وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهره الا اصل له في الحقيقة ونفس البعث
معدوم بعد ووجه تعلق الاية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم
بانه تعيدهم تارة اخرى بعد مدة قدرة من بعد مماته وتقتضيه قدرة من ثماته لا يلتفتون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا
عن تصديق ما هو من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم
بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرئ حمزة والكسائي لساحر على ان الاشارة الى القائل والقرا
على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان ان بمعنى عل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجا المتوقع باعتبار حال
المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ويتمادوا في اصرارهم
في القول بخلاف ما القوا اليهم وافرعوا عليه اياهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما يفعلوه فانهم لا ياتي يوم ويكون
• ولئن اخرنا عنهم العذاب • المترتب على عتيهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قتل جبريل للمستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا يستعجل
منه المجرمون • الى امة معدودة • الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل • ليقولن ما يحبسه • اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده
يمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والا استفسار
من حابسه • الا يوم ياتيهم • ذلك • ليس مصروفا عنهم • اي محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة او لا يدفعه عنهم دافع بل هو
واقع بهم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديم خبر ليس اذ المعمول تابع للعامل
فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله
تعالى اما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم
الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقدم خبر ليس عليها لا بمعموله الا ما دل عليه ظاهر
هذه الاية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد الا لجاجة • وكنت ابيا في الخنا لست اقدم • وحاق بهم • اي احاط بهم • ما كانوا به يستهزئون
اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به والتعبير
بالماضي وارد على عادة الله تعالى في اخباره لانها لتحققها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتحقيق
وقوع المخبر به ما لا يخفى • ولئن اذقنا الانسان منا رحمة • اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها
• ثم نزعناها منه • اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها • انه ليؤس • شديد اليأس قنوط من روح الله قطوع رجاءه
من عود امثالها عاجلا او اجلا بفضل الله تعالى لعدم صبره وعدم توكله عليه وثقته به • كفور • عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة
الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف ياسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان الكفران
من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء من افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره الى الاجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا • ولئن اذقناه
نعماء بعد ضراء مسته • كصحة بعد سقم ووجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب
فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة
والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء
اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تاثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بتقتضى الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق
وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها • ليقولن ذهب السيئات عني • اي المصائب التي لا تسوؤني ولن يعتريني بعد امثالها كانه وثق بان اولئك
الاطوار فان الطبع يدعو دوام امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش • انه لفرح • بطر واشر بالنعم مغتر بها • فخور • على الناس بما اوتي من النعم
مشغول بذلك من القيام بحقها واللام في لئن في الايات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط • الا الذين صبروا • على ما اصابهم
من الضراء سابقا ولاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه • وعملوا الصالحات • شكرا لالائه السابقة واللاحقة واللام في الانسان
اما لاستغراق الجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة • لهم مغفرة • عظيمة لذنوبهم وان
جلت • واجر • ثواب لاعمالهم الحسنة • كبير • ووجه تعلق الايات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب
الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونها ابتلاء
للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في تلك الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين
الصالحين او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان

بمنزلة على ذلك • فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك • من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن
واعية • وضائق به صدرك • اى عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم فى اثناء الدعوة والمحاجة • ان يقولوا • لان يقولوا
تعاميا من تلك البراهين التى لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا فى العناد على وجه الاقتراح • لولا انزل عليه كنز • مال خطير
مخزون يدل على صدقه • او جاء معه ملك • يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومى وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان رؤساء مكة
قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال اخرون ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه
صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب
العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله حال
من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما فى لعل من الاشفاق فقيل
• انما انت نذير • ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول • والله على كل شىء وكيل • يحفظ احوالك
واحوالهم فتوكل عليه فى جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير فى اقصى غاية من اصابة المحز • ام يقولون افتراه •
اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله
عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع فى ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيه من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير
المستكن فى افتراه للنبى صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اى بل ايقولون افتراه وليس من عند الله • قل • ان كان الامر كما تقولون
• فاتوا • انتم ايضا • بعشر سور مثله • فى البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اى امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او
لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما فى قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة فى الجميع
شىء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد • مفتريات • صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة
المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شىء فى مقام التحدى وانما ذكر
على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة فى الافتراء والمعنى فاتوا بعشر سور مماثلة له فى البلاغة
مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عندى فانكم اقدر على ذلك منى لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادى ذلك من الخطب
والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر • وادعوا • للاستظهار فى المعارضة • من استطعتم • دعاءه بالاستعانة
من المتكم التى تزعمون انها ممدة لكم فى كل ما تأتون وتذرون والكهنة وسدنتكم الذين تلجأون الى آرائهم فى الملمات ليسعدوكم فيها • من دون
الله • متعلق بادعوا اى متجاوزين الله تعالى • ان كنتم صادقين • فى انى افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم
قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور • فان لم يستجيبوا لكم • اى فان لم يفعلوا ما كلفتموهم من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا
وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير فى لكم للرسول
وجمع للتعظيم كما فى قول من قال • وان شئت حرمت النساء سواكم • او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام فى الامر بالتحدى وفيه تنبيه
لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه فى الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ فى
الايمان والطمأنينة فى الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل • فاعلموا • اى اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تماديكم عليها علما يقينيا
مناخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا اشعار بانحطاط تلك المراتب
بل بارتفاع هذه الرتبة وتنبيه سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم
بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم • انما انزل • ملتبسا • بعلم الله • المخصوص به بحيث لا يحوم حوله
العقول والاوهام مستتبعا لما خصائص الاعجاز من جهتى النظم الرائق والاخبار بالغيب • وان لا اله الا هو • اى واعلموا ايضا ان لا شريك له فى
الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد • فهل انتم مسلمون • اى مخلصون فى الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت
والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب فى الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم واطلاقات الامر بالتحدى والضمير فى لم
يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم المتكم وسائر من اليهم تفزعون فى مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج
من دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وفى ايراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة الحكم تهكم بهم
وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واستقلالهم
فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند ما لجأتم اليهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من يستمدون بهم
اقوى منهم فى اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان المتكم بمعزل
من رتبة الشركة فى الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون فى الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة فى حقيته وفى بطلان ما كنتم فيه من الشرك فقد

فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او ثابتون على الحق الذى هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة
والعناد وفى هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم الهتهم من بأس الله عز
سلطانه وهذا اولى انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سيأتى من قوله تعالى فلا تك فى مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه
كما ستحيط به خبرا • من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها • اى ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة فى الرزق وكثرة الاولاد والرياسة
وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى • نوف اليهم اعمالهم فيها • وادخال كان عليها
للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد جميع ما يهواه
فان ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل
الذى يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم فى الحياة الدنيا
كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفى بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا
كقوله • وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم • وهم فيها • اى فى الحياة الدنيا • لا يبخسون • اى لا ينقصون وانما عبر عن ذلك
بالبخس الذى هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التى هى اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة
لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة فى نفى النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور من الكريم
اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما فى الآخرة فهم فى الحرمان المطلق
واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى • اولئك • الخ فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحياة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس
او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى سوء الحال اى اولئك المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات
اعمالهم من غير بخس • الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار • لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها
ولم يكونوا يريدون بها شيئا اخر فلا جرم لم يكن لهم فى الآخرة الا النار وعذابها المخلد • وحبط ما صنعوا فيها • اى ظهر فى الآخرة حبوط ما صنعوه
من الاعمال التى كانت تؤدى الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه فى الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص • وباطل •
اى فى نفسه • ما كانوا يعملون • فى اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته
للايمان والنية الصحيحة وان الثانى ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثانى
البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفى زيادة كان فى الثانى
دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس فى الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التى هى من مقدمات مطالبهم
الدنيوية وبطل على الفعل اى ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوى فبطل
مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او فى معنى المصدر كقوله ولا خارجا من فى زور كلام وعن انس رضى الله عنه ان المراد بقوله
من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة فى الرزق وصحة فى البدن وقيل هم الذين جاهدوا
من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم من الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء
يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيرهم ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم
الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون
فى القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله
وبان لا قدرة لغيره على شىء اصلا وحثهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين
انهم ليسوا على شىء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شىء فى الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية
وبيان ان ذلك بمعزل من الدلالة عليه ولقد بين ذلك اى بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل
• افمن كان على بينة من ربه • اى برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية ما رغب فى الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره
او بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليه فى قوله تعالى • ويتلوه • اى يتبعه • شاهد • يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز فى
نظمه المطرد فى كل مقدار سورة منه او ما وقع فى بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه
على التقدير الاول يكون فى الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة
الاعجاز • منه • اى من القرآن غير خارج عنه او من جهته تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد
بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد
بمن فى قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا وقيل هو النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القران فالضمير في منه لله عز وجل او للبينة
القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاول
هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى كما له عقيب لا يفارقه في مشهد من المشاهد
فان القران بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز وجل
ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد اخر من قبله
كتاب موسى وانما تعرض لعدم تاخره في النزول لكونه رتبنا لا انما له غير متفارق عنه [illegible] في وصف التالي والتنكير في بينة وشاهد
للتفخيم ● اماما ● اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن المتلو ● ورحمة ●
اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيامة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقران العظيم وهما حالان من الكتاب ● اولئك ●
الموصوفون بتلك الصفات الحميدة وهي الكون على بينة من الله وان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد
لمن سلف من علماء الدين من غير عثور على دقايق الحقايق وصفهم ● يؤمنون به ● اي يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة
المعربة عن حقيته ● ومن يكفر به ● اي بالقران ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة ● من الاحزاب ● من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ● فالنار موعده ● يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وجل ليس لهم في الاخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار
بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب ● فلا تك في مرية منه ● اي في شك من امر القران وكونه من عند الله عز وجل عقيب ما شهدت به الشواهد
المذكورة وظهر فضل من تمسك به ● انه الحق من ربك ● الذي يربيك في دينك ودنياك ● ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ● بذلك اما لقصور
انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدا حذف خبره لافادة الحال من ذكره
وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومالهم يعني ان بينهما تفاوتا وتباعدا بعيدا لا يكاد يتراءى ناراهما
وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم واعمالهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والاخرة كما وصف
يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والاجل كما في قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات
والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ● ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ● بان نسب اليه
ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لالهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بايات الله تعالى
مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به
قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيجيء من قوله عز وجل لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل ● اولئك ● الموصوفون بالظلم البالغ
الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل ● يعرضون ●
لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته ● على ربهم ● الحق
اي الى بطلان رايهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ● ويقول الاشهاد ● عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو
جمع شاهد او شهيد كصاحب واصحاب واشراف ● هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ● بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما
المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف
على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الاشهاد
وتوطية لما يعقبه من قوله ● الا لعنة الله على الظالمين ● بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه
هول عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤس الاشهاد ● الذين يصدون ● اي كل من يقدرون على صده او
يصدون الناس ● عن سبيل الله ● عن دينه القويم ● ويبغونها عوجا ● انحرافا اي يصفونها بذلك وهي ابعد شيء منه او يبغون اهلها
ان يعوجوا عنها بالارتداد يقال بغيت له خيرا او شرا اي طلبت له وهذا شامل لتكذيبهم بالقران وقولهم انه ليس من عند الله ● وهم بالاخرة هم
كافرون ● اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به كان كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم ● اولئك ● مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير ● لم يكونوا معجزين ● الله تعالى
مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك ● في الارض ● مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب ● وما كان لهم من دون الله من اولياء ●
ينصرونهم من باسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي واما باعتبار تعدد ما كانوا
يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال الهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية ● يضاعف لهم العذاب ● استئناف يتضمن حكمة
تاخير المؤاخذة وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ● ما كانوا يستطيعون السمع ● لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم

لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقران الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لساير الايات المنوطة بالابصار
بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال ● وما كانوا يبصرون ● لتعاميهم عن ايات الله المبسوطة في الانفس
والافاق وهو استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الالهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله
تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة ● اولئك ● المنعوتون بما ذكر من القبايح ● الذين
خسروا انفسهم ● باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله عز سلطانه ● وضل عنهم ما كانوا يفترون ● من الالهة وشفاعتها او خسروا ما
بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ● لا جرم ● فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق والجملة
ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق ● انهم في الاخرة هم الاخسرون ● وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده
مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب لهم خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد
انهم في الاخرة هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم
وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومالهم
شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليهم امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى
افمن كان على بينة من ربه الاية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومالا فقيل ● ان الذين امنوا ● اي بكل ما يجب ان يؤمن به
فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقران الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله واما حصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه
ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والافاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع ● وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم ● اي اطمانوا اليه
وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كانجد واتهم دخل في تهامة ونجد
● اولئك ● المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ● اصحاب الجنة هم فيها خالدون ● دائمون وبعد ما بين تباين حاليهما عقلا اريد
بيان تباينهما حسا فقيل ● مثل الفريقين ● المذكورين اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات
● كالاعمى والاصم والبصير والسميع ● اي كحال هؤلاء فيكون ذوات هم كذوات هؤلاء والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول
بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب لما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق
من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني
بمن جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال ● الى الملك
القرم وابن الهمام ● وليث الكتيبة في المزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليه بلفظ المثل وهي التي يدور عليها
امر التشبيه ما يلايم الاحوال المذكورة والمعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة ايات الله المنصوبة في العالم
والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع ايات القران الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم
فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيلا لا جميع الاحوال
المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الاخر
فان اعتبار ذلك يلجئ الى كون التشبيه تمثيلا بان ينتزع من الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب
المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى
ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه ● هل يستويان ● يعني الفريقين المذكورين
والاستفهام انكاري مقرر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الاية ● مثلا ● اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل
يستويان ● افلا تذكرون ● اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتامل فيما ضرب
لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب
وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الهمزة لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب
عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد
صدوره من المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فانه
لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انما كتاب محكم الايات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك
عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر ذلك بتضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام

والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما عرا من
ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران تارة سحرا واخرى مفترى وتنبيه عليه السلام والمؤمنين
على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة
على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة لتاكيد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبيا قاطبة والثاني
ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم
الشدايد من جهتهم فقيل ● ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ● الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف العطف لا الواو وكذا في سورة الاعراف
لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك
بن متوشلخ ابن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث وهو ابن ماية سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة بعده قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عليه السلام
على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل
بعث وهو ابن ماية سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مايتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
مايتين وخمسين فكان عمره الفا واربعماية وخمسين سنة ● اني لكم نذير ● بالكسر على ارادة القول اي فقال او قايلا وقرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى
على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط
الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الى اخره بل لانهم لم يغتنموا مغنما من خطابه
عليه السلام ● مبين ● ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المحذور والاعلام التخويف والازعاج بل الحذر
منه ببيان صفته بكلا وصفيه ● ان لا تعبدوا الا الله ● اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والبا متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه
ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا الله وتوسيطهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول
ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكلامين ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او مفعول
لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وبيان لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله ● اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم ● تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم
على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صايم ومعنى المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثنا الدعوة على ما عزي اليه في سائر
السور لما لم يصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر وعقبه جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه
السلام مصدرا بالفا التعقيبية فقيل ● فقال الملا الذين كفروا من قومه ● اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق
له لانهم ملوا بكفايات الامور ولانهم ملأوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأوا بالاحلام والاراء الصايبة ووصفهم بالكفر لذمهم
والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ● ما نراك الا بشرا مثلنا ● مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك
مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرايناه لان ذلك محال ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم ● وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادي الراي ● فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع
الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الراي
الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يقولوا القول بذلك مع جزمهم واصرارهم عليه ارادة ان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل
في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سياتي وتعريضا من اول الامر براي المتبعين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم
من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلايل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هولا اراذلنا اخساونا
وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع اراذل ككلاب واكلب واكالب يعنون انه لا عبرة باتباعهم
لك اذ ليس لهم رزانة ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قراها ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل
فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر
حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه
نعوذ بالله تعالى من ذلك ● وما نرى لكم ● اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغايبين ● علينا من فضل ● يعنون ان اتباعهم لك لا يدل
على نبوتك ولا يجدي لهم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم هنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق بناء على حالهم

الكتاب خ

او يوم خ

مثلنا خ

السابق واللاحق ومرادهم المعرض كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا ● بل نظنكم كاذبين ● جميعا لكون كلامكم
واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه
السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف ● قال يا قوم ارايتم ● اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رايهم المذكور ● ان كنت على بينة ● برهان
ظاهر ● من ربي ● وشاهد يشهد بصحة دعواي ● واتاني رحمة من عنده ● هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جي بها ايذانا بانها مع
كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوحدة الضمير في قوله ● فعميت عليكم ● ح ظاهر وان اريد بها النبوة فالبينة
والبرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفا بذلك لاستلزام خفايها خفا النبوة او لتقدير
فعل اخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل بصيرا تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي
غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل ● انلزمكموها ● اي انكرهكم على الاهتدا بها وهو جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط
وقرا ابو عمرو باخفا حركة الميم وهنا اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم
الله ● وانتم لها كارهون ● لا تختارونها ولا تتاملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها
خافية غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام
بطريق اظهار الياس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الى اخره لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض عنها
وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي
هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتبا للرسالة وبالرحمة النبوة عليها
التمسك به والثبات عليه ودفعا لما على الكثرة على ان يكون الضمير للبينة عند مراد راكم لكونه عليه السلام علة وبالرحمة النبوة الى الكون
اختصاصه عليه السلام بما بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عنوان النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه بها
دونهم اخبروني ان امتزت منكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي واتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها
ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني متحليا الى الان حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم
كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون الكلام منه عليه السلام جوابا عن شبهتهم التي
ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشافة ارائهم الركيكة
● ويا قوم لا اسالكم عليه ● اي على ما قلته في اثنا دعوتكم ● مالا ● تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة
اهتدائكم ● ان اجري الا على الله ● الذي يثيبني في الاخرة وفي التعبير عنه حين نسبته اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية ● وما انا بطارد
الذين امنوا ● جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقرا
مانع لهم من ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام
بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد ● انهم ملاقوا ربهم ● تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اي انهم فائزون في الاخرة بلقا
الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم من مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم
الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقا ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم
على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بنا ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن
قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يابا الجزم بترتيب غضب الله تعالى على طردهم كما سياتي انما قالوا ان اتباعهم
لك انما هو بحسب بادي الراي بلا تامل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الاخرة غايته انهم لا يكونوا في مرتبة
الموقنين وادعا ان بنا الايمان على ظاهر الراي يؤدي الى الرجوع عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل
يرتدون عنه تعسف لا يعني ● ولكني اريكم قوما تجهلون ● بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقا الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده وبما يستتبع
طردهم لغضب الله كما سياتي وبركاكة رايهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة من الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة
بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار وتسفهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ● ويا قوم
من ينصرني من الله ● بدفع حلول سخطه عني ● ان طردتهم ● فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا
بانه غني عن البيان لا سيما بعد ما قدم ما يلوح به من احوالهم فكانه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى
كما ينبي عنه قوله عليه السلام ● افلا تذكرون ● اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من احوالهم حتى تعرفوا
ما انا مرتكبه بمعزل عن الصواب وذكر هذه العلة مستقلة بوجه خصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق
وصدرت بيا قوم ● ولا اقول لكم ● حين ادعي النبوة ● عندي خزاين الله ● اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم

عليكم خ

وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه • ولا اعلم
الغيب • اى ولا ادعى ايضا بقولى انى لكم نذير مبين انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد • ولا اقول انى
ملك • حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعنى انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة
ذريعة الى التكذيب والحال انى لا ادعى شيئا من ذلك ولا الذى يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر
• ولا اقول • مساعدة لكم كما تقولون • للذين تزدرى اعينكم • اى تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم
بالنظر الى قولهم • وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا • واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا فى شأنهم ما فعلوا ذلك اى لا اقول
فى شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين • لن يؤتيهم الله خيرا • فى الدنيا او فى الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خير الدارين ان قلت
هذا القول ليس مما استكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملائكية وعلم الغيب وحيازة
الخزائن حتى نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبرى والتنزه عنه فمن اى وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم
الباطل الذى تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تنبغى لمن ليس على تلك الصفات وان العثور
على مكانها واعتناءهم بمعانيها ليس من دأب الاراذل فاجاب عليه السلام بنفى ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة
ولا عدم المال والجاه من موانع الخير • الله اعلم بما فى انفسهم • من الايمان وانما اقتصر على نفى القول المذكور مع انه عليه السلام جازم
بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما فى الدارين وانهم على يقين راسخ فى الايمان جريا على سنن الانصاف مع العدو وردا لكفتا مخالفة كلامهم وارشادا
لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبنى اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس له على
بينة ظاهرة • انى اذا • اى اذا قلت ذلك • لمن الظالمين • لهم حيث بخستهم ونقصت حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله
راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون فى ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملائكية وعلم الغيب وحيازة
الخزائن وهو بعيد لان نفى تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام فى زمرة الظالمين • قالوا يا نوح قد جادلتنا • خاصمتنا
• فاكثرت جدالنا • اى اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته
كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما جاءهم عليه السلام ببينات واضحة المدلول وحجج تلقاها العقول بالقبول
والقمهم الحجر وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل قالوا • فأتنا بما تعدنا • من العذاب المعجل او العذاب الذى اشير
اليه فى قوله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان يكون المراد باليوم يوم القيامة • ان كنت من الصادقين • فيما تقول • قال
انما يأتيكم به الله ان شاء • يعنى ان ذلك ليس الىّ وانما هو الى من كفرتم به وعصيتموه • ان شاء ان يأتيكم به
عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية
وانما يفعله الله عز وجل • وما انتم بمعجزين • بالهرب او بالمدافعة كما تدافعوننى فى الكلام • ولا ينفعكم نصحى • النصح كلمة جامعة لكل
ما يدور عليه الخير من قول او فعل وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغى ليتقى وموقع
الرشد ليقتفى • ان اردت ان انصح لكم • شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى وهذه
الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى • ان كان الله يريد ان يغويكم • والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح
لكم لا ينفعكم نصحى هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا
ولا ينفعكم نصحى جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثانى وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثانى
وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم فى العناد
وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا فى ارشادهم الى الحق وهدايتهم
الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة
للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم
وانما اقتصر فى ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة فى بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك
على ان النصح المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للايذان
بتقدم ارادته تعالى وما لها كقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا
من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه
دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلافه محال وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك
• هو ربكم • خالقكم ومالك امركم • واليه ترجعون • فيجازيكم على اعمالكم لا محالة • ام يقولون افتراه • قال ابن عباس رضى الله

عنهما يعنى نوحا عليه السلام ومعناه بل أيقولون قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل • قل • يا نوح • ان افتريته • بالفرض
البحت • فعلى اجرامى • اى وبال اجرامى وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسره الاولون باثامى • وانا برئ مما تجرمون •
من اجرامكم فى اسناد الافتراء الىّ فلا وجه لاعراضكم عنى ومعاداتكم لى وقال مقاتل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل ايقول مشركوا
مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جئ به فى تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها
وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة
مستقلة متعلقة بعذابهم • واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك • اى المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام
لكونه كالمحال الذى لا يصح توقعه • الا من قد آمن • الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف
• فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • اى لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء فى هذه المدة
الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم • واصنع الفلك • ملتبسا • باعيننا • اى بحفظنا وكلائتنا كأن معه من الله عز
وجل حفاظا وحراسا يكلأونه باعينهم من التعدى من الكفرة ومن الزيغ فى الصنعة • ووحينا • اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا
عن ابن عباس رضى الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة
الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحى الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق
وينجيه ومن معه بشئ يصنعه بامره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام فى سنتين وقيل فى اربعمائة
سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل فى البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب والانعام
وفى البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل فى الاول الدواب
والوحوش وفى الثانى الانس وفى الاعلى الطير قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان
طولها الفا ومائتا ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت الينا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك من التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب
بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال عيسى عليه السلام أهكذا هلكت
قال لا مت وانا شاب ولكنى ظننت انها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ومائتى ذراع وعرضها ستمائة
ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا • ولا
تخاطبنى فى الذين ظلموا • اى لا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعنى فيهم وحيث كان
فيه ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل • انهم مغرقون • اى محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه
ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين • ويصنع الفلك • حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل
تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره
اعنى قوله تعالى • وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه • استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع
بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها فى برية بهماء فى ابعد موضع من الماء وفى وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون
ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا
عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة
مع ما فيه من تحمل المشاق والعظيمة التى لا تكاد تطاق واستجهالهم له عليه السلام فى ذلك • قال ان تسخروا منا • مستجهلين لنا فيما نحن فيه
• فانا نسخر منكم • اى نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير فى منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من
المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة فى قوله تعالى فانا نسخر
منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره وهما فهمه عليه السلام
اياهم بذلك والا فهو عليه السلام اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى
لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا ابتلاء للدنيا والتى فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم منه ولم
يكن يجيبهم فى كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكان سائلا قال فما
صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اى ان تستجهلونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب
الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصى والتعرض
لاسباب حلول سخط الله تعالى التى من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه فى قوله عز وجل • كما تسخرون • انما هو فى مجرد التحقق

والوقوع او في التجهيل والتكذيب حسبما يعود من ملابسة ملام لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي عليه السلام لكن الامرين واقع
في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل
ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا استبعاد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلابسه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل
• فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • وهو عذاب الغرق • ويحل عليه • حلول الدين المؤجل • عذاب مقيم • هو عذاب النار الدائم
ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او
مفعول واحد اجري العلم مجرى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد
يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من
يأتيه العذاب يعني ان ما يباشره ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب لعلمهم بعد استجهالهم بعجزه ووصف العذاب
بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد
الاول بالاتيان في غاية الجزالة • حتى اذا جاء امرنا • حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع
وما بينهما حال من الضمير في ويصنع وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه جواب
لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة للملأ وتقدير نشأن الحق هو الاول اذ
المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام • وفار
التنور • نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت
الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى
نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة
في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض
وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر • قلنا احمل فيها • اي في السفينة وهو جواب اذا
• من كل • اي من كل نوع لابد منه في الارض • زوجين • الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على
مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل • اثنين • كل منهما زوج للاخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين
لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه
السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى
في اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانه انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها
بعد حملهم اياها • واهلك • عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم • الا من سبق عليه القول • بانه من المغرقين
بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الاية والمراد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع
ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم
والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • ومن آمن • من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة
على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز وعلا • وما آمن معه الا قليل • قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه
الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين
رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم
للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة • وقال • اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور
رحيم ولو وجه الخطاب الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل
الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين • اركبوا فيها • كما يعرب عنه قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك
ويتعدى بنفسه واستعماله هنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحش
ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى
الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال
ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها واذا استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت
في السفينة وعليه الاية الكريمة وقوله عز وعلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها • بسم الله • متعلق

باركبوا او بحال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله • مجراها ومرساها • نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على
انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة
القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى
بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها
باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها يقول بسم الله فجرت واذا اراد ان يرسيها يقول
بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ
مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورا على انهما صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا
• ان ربي لغفور • للذنوب والخطايا • رحيم • لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية والنامية ولولا ذلك لما فعله وفيه
دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة • وهي تجري بهم •
متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها وهي تجري ملتبسة بهم • في موج كالجبال • وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من
ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت غير ثابت والمشهور انه
على شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى • ونادى
نوح ابنه • فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من
المناوصة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال
من انه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع
من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير
بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة من حيرته باليأس بعد • وكان في معزل • اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه
بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه
الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الا ان ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة
تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي
تقدم بقوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك • يا بني • وقرئ
بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة • اركب معنا • قرأ ابو عمرو
والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق المركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض
دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك • ولا تكن مع الكافرين • اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك
مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر
• قال سآوي الى جبل • من الجبال • يعصمني • بارتفاعه • من الماء • زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي
ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى
الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه من ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيبه
بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه فعدل الى نفي وصف العصمة عنه فقط
من غير تعرض لنفيه من غيره لا لنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث • قال لا عاصم اليوم من امر الله • سلك طريقة نفي الجنس المنتظم
لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيها داع ولا مجيب اي احد من الناس حسما للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين
وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب
العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشأنه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه
على خطابه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتقصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب
وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل • الا من رحم • تفخيما
لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل والاشعار بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه
السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ
بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان عصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى • وحال بينهما
الموج • اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى • فكان من المغرقين • اذ هو انما يتفرع على

حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لو حيل بينه وبين الملتجا اليه موج وفيه دلالة على هلاك
سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم • وقيل يا ارض ابلعي
اي انشفي استعير له من الازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي • ماءك • اي [illegible] ما بين السما والارض
~~من الما • وقضي الامر • اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او تم الامر • واستوت • استقرت الفلك على~~
الجودي • هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي ... عليه السلام وجعل من ما الطوفان دون المياه المعهودة فيما من العيون والانهار
وعبر عنه بالما بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتعليل لا مقام التفخيم والتهويل • ويا سما اقلعي • اي امسكي
عن ارسال المطر يقال اقلعت السما اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت • وغيض الما • اي نقص ما بين السما والارض من الما • وقضي الامر
اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر • واستوت • استقرت الفلك • على الجودي • هو جبل بالموصل
او بالشام او بآمل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة • وقيل
بعدا للقوم الظالمين • اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون والعدد بلغت الاية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان الامر
فوق ما وصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب • ونفوض الامر الى تأمل اولي الالباب • والله عنده علم الكتاب •
ونادى نوح ربه • اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى • فقال رب ان ابني من اهلي • وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء
على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال • وان وعدك الحق • اي وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد
المعهود دخولا اوليا • وانت احكم الحاكمين • لانك اعلم واعدل او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين • قال يا نوح • لما كان دعاؤه
عليه السلام تذكيرا لوعده تعالى مبنيا على كون كنعان من اهله نفي اولا كونه منهم بقوله تعالى • انه ليس من اهلك • اي ليس منهم اصلا لان مدار
الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثنا وعلى التقديرين
ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله • انه عمل غير صالح • اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل
نفس العمل مبالغة كما في قول الخنسا • فانما هي اقبال وادبار • وايثار غير صالح على فاسد • اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه الصلاح
فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالكفر والمعاصي واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرئ انه عمل غير صالح
اي عمل عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي
عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل • فلا تسألني • اي اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني
• ما ليس لك به علم • اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول للسؤال
او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال
ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وكل
المتقدمين ... عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرنا وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم
انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفساره ربما لم يكن موافقا للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار
عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه
وقيل او بانجائه من قلة الجبل وباباه تذكيرا لوعده في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحيلولة
الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن النهاية لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر
كما ذكرنا حتى لجوءه عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو ربه لانجائه واعتزاله منه عليه السلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس نصا في
الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك
بل قوله سآوي الى جبل يعصمني من الما بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل
اكون معهم ... ويعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بتفرده عن الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله
ببعض ما امره به نوح عليه السلام لا انه عليه السلام لو تامل في شانه حق التامل وتفحص عن احواله وكان ما بان فيه بعد ما انبئه عليه
انه ليس من اهله المستثنى من اهله ولذلك قيل • اني اعظك ان تكون من الجاهلين • فعبر عن ترك الاولى بذلك وفي ذلك الاتيان
بغير الاضافة وبالنون الثقيلة ... • قال رب اني اعوذ بك ان اسالك • اي اطلب منك من بعد • ما ليس لي به علم •
اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب

على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا
بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسالك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص منه الا بالعوذ بالله
تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك • والا تغفر لي • ما صدر عني من السؤال المذكور • وترحمني • بقبول توبتي • اكن من
الخاسرين • اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال
بالانس خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران
مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسما وما يتلوه من زوال الطوفان وقضا الامر واستوا الفلك على الجودي
والدعا بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعا بالانجا لا بعد العلم
بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض ... قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا تعدو في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين
فيا سائلا ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة
وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الاية لتقريعهم على الاستهزا وترك
المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الاية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو
قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه تلك النكتة
اصلا وما قيل من ان ذكر القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الى اخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل الذي يقتضيه
هذا النداء كما ترى مستتبع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد
بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في ان هذه المعاني آخذ
بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق بين الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وذلك مما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون
بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كونه كان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد
حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم
من اول الامر الى ان يرد قوله تعالى انه ليس من اهلك الى اخره انه يجوب بغاية عليه السلام ونص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد
على الارض والسما الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبيان بلوغ امر الله محله وجريان
قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستوا الفلك على الجودي نقضت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك
ادى الى بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله • قيل
يا نوح اهبط • اي انزل من الفلك وقرئ بضم البا • بسلام • ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة • منا • او بسلام وتحية
منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين • وبركات عليك • اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع
الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل ما ياتي
ويذر • وعلى امم • ناشئة • ممن معك • متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيامة
• وامم سنمتعهم • اي وممن معك امم سنمتعهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على تشعب
منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الاخرة وعلى هذا لا يكون الكافر
من نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وانما فيهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذريتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون
من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالامم
المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيامة ويبقى امر الامم المؤمنة
الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ينبئ دلالة المذكور على جزء المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية
او ابتدائية فتامل • ثم يمسهم • اما في الاخرة او في الدنيا ايضا • منا عذاب اليم • عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن
ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب
وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم • تلك • اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام
اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره • من انبا الغيب • اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانبا بل هي
نسيج وحدها متميزة عما عداها او بعضها • نوحيها اليك • خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انبا متعلق به فالتعبير
بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انبا الغيب اي موحاة اليك • ما كنت تعلمها انت ولا قومك • خبر اخر او حال من الهاء

عندك وعند قومك ● من قبل هذا ● اى من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذى كسبته بالوحى او من قبل هذا الوقت
او حال من الهاء في نوحيها والكاف في اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم
وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم ● فاصبر ● متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا
قومك من قبل هذا اى اذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع
البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى اخره ● ان العاقبة ●
بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة ● للمتقين ● كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهى تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه
عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعنى التوقى
من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهى ان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى
منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين ● والى عاد ● متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح
وهو الناصب لقوله تعالى ● اخاهم ● اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب
هنا للحذار من الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى
● هودا ● عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه ● قال ●
لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف فقيل قال ● يا قوم اعبدوا
الله ● اى وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ● ما لكم من اله غيره ● فانه استيناف يجرى مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل للامر
بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر
حملا له على لفظه ● ان انتم ● ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها ● الا مفترون ● عليه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا ● يا قوم لا اسئلكم عليه ● ان اجرى الا على الذى فطرنى ● خاطب به كل نبى قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا
للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة
من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذى لا يتاتى الا بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التى من جملتها الاجر ● افلا
تعقلون ● اى تغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شئ فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما
لا ينبغى ان يخفى على احد من العقلاء ● ويا قوم استغفروا ربكم ● اى اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ● ثم توبوا اليه ●
اى توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده ● يرسل السماء ● اى المطر ● عليكم مدرارا ●
اى كثير الدرور ● ويزدكم قوة ● مضافة ● الى قوتكم ● اى يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان
والتوبة ● ولا تتولوا ● اى لا تعرضوا عما دعوتكم اليه ● مجرمين ● مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام ● قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ●
اى بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر ● وما نحن بتاركى الهتنا عن
قولك ● اى صادرين عنه اى متاركا لها صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل في ابلغ وجه لدلالته على كونه
علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا
● وما نحن لك بمؤمنين ● اى بمصدقين في شئ مما تاتى وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه
من الدلالة على شدة الشكيمة دعا وزاد في العتو ما لا يخفى ● ان نقول الا اعتراك ● اى ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك ● بعض
الهتنا بسوء ● بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره
ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كيلا ينسب ذلك الى الغضب المستتبع دون كلها والجملة مقول القول
والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام منهم معرب لما مر من قولهم وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه
السلام كما قالوه او حاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا
لا نصدقك ولا نعمل بمقتضاه لانه من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به وقد سلكوا في
طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقى من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه عليه السلام بالبينة مع احتمال كونه

ما جاءهم عليه السلام حجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد ثم نفيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركى
الهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين
مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون ● قال انى اشهد
الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه ● اى من اشراككم من دون الله اى من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلوننى
في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من الهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون
الهتهم مما يضر او ينفع وانها بمعزل عن ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عليه السلام في حق الهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر
بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها
صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته القطعية عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم
بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع الهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم
بعض الهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانظار والامهال جميعا فقال ● فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ●
اى ان صح ما لوحتم به من كون الهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمنى فانى برئ منها فكونوا انتم معها جميعا
وباشروا كيدى ثم لا تمهلون ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة الهتهم على ما قالوا او على البراءة كليهما وهذا من اعظم
المعجزات فانه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم
والهتهم وهيجهم على مباشرة مبادى المضادة والمضارة وحثهم على التصدى لاسباب المعاداة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شئ مما كلفوه
وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجا الى ركن منيع واعتصم بحبل متين حيث قال ● انى توكلت على الله ربى وربكم ●
يعنى انكم وان بذلتم في مضارتى مجهودكم لا تقدرون على شئ مما تريدون بى فانى متوكل على الله تعالى وانما جئ بلفظ الماضى لكونه ادل
على الانشاء المناسب للمقام وانى بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكى ومالككم لا يصدر عنكم شئ ولا يصيبنى امر الا بارادته
ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ● ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ● الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية
عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ● ان ربى على صراط مستقيم ● تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اى هو
على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم على اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق
الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عليه السلام ● فان تولوا ● اى تتولوا بحذف احدى
التاءين اى ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولى والاعراض ● فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ● اى لم اعاتب على تفريط في الابلاغ
وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود ● ويستخلف ربى قوما غيركم ● استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم
ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما اخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بالجزم عطفا على الموضع
كانه قيل فان تولوا يعذرنى ويهلككم ويستخلف مكانكم اخرين وفي الاقتصار على اضافة الرب اليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير
للمخاطبين ● ولا تضرونه ● بتوليكم ● شيئا ● من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ● ان ربى
على كل شئ حفيظ ● اى رقيب مهيمن فلا تخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شئ يحفظه فهو الحافظ للكل ● ولما
جاء امرنا ● اى نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجئ ما لا يخفى من التفخيم والتهويل ووروده امرنا
بالعذاب ● نجينا هودا والذين امنوا معه ● وكانوا اربعة الاف ● برحمة ● عظيمة كائنة ● منا ● وهى الايمان الذى انعمنا به
عليهم فالتوفيق له والهداية اليه ● ونجيناهم من عذاب غليظ ● اى كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهى السموم التى كانت تدخل
انوفهم فتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وعطفه
على التنجية وان لم تكن مقيدة بمجئ الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كانوا معذبين في الدنيا بالسموم وهم معذبون في
الاخرة بالعذاب الغليظ ● وتلك عاد ● انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم ● جحدوا بايات
ربهم ● كفروا بها بعدما استيقنوها ● وعصوا رسله ● جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم واظهارا
لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق
بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملائمة لما تقدم من جمع الايات
ويناسبه من قوله ● واتبعوا امر كل جبار عنيد ● من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول
واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف لتبيين ما سبق من جحود الايات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر من
اوصاف الاسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى

• وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً • ابعادا من الرحمة ومن كل خير اى جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها
لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعنى انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم
جزاء وفاقا • وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ • اى اتبعوا يوم القيامة ايضا لعنة وهى عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين
نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي
الآخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية هو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة
• أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ • او بربهم او نعمة ربهم جحدوها على نقيضه الذى هو الشكر او جحدوه • أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ • دعاء عليهم بالهلاك
مع انهم هالكون اى هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع
حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم • قَوْمِ هُودٍ • عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى استحقاقهم
للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه • وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا • عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا
وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح
عليه السلام هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال
لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف • قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ • اى وحده وعلل ذلك بقوله • مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ • ثم زاد فيما
يبعثهم على الايمان والتوحيد وحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله • هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ • اى هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فان قلت
او قصر افراد فان خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع افراد جميع البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة على نفسه
بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذريته الى يوم القيامة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشاء مواد النطف
التى منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر • وَاسْتَعْمَرَكُمْ • من العمر اى عمركم واستبقاكم • فِيهَا • اى من العمارة
اى اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم وجعلكم معمرين دياركم تسكنونها
مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم • فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ • فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم
من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل • إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ • اى قريب الرحمة كقوله تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين • مُجِيبٌ • لمن دعاه وسأله وقد روعى في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر
بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر العلة المتأخرة عنهما في الوجود اعنى الاجابة • قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا • اى كنا نرجو منك
لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضى الله عنه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا
وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه • قَبْلَ هَذَا • الذى باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة
او قبل هذا الوقت لكنك لم تكن الى الآن على شئ من ذلك ولو بعيد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ طلحة بن مصرف بالمد
والهمز • أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا • اى عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية • وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِ • من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة • مُرِيبٍ • اى موقع في الريبة من ارابه اى اوقعه
في الريبة اى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايا ما كان فالاسناد مجازى والتنوين فيه وفي كلمة التفخيم • قَالَ يَا قَوْمِ
أَرَأَيْتُمْ • اى اخبرونى • إِنْ كُنْتُ • في الحقيقة • عَلَى بَيِّنَةٍ • اى حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة • مِنْ رَبِّي • مالكى ومتولى امرى • وَآتَانِي
مِنْهُ • من جهته • رَحْمَةً • نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن
المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة • فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ • اى ينجينى من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصر
على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى • إِنْ عَصَيْتُهُ • اى بالمساهلة في تبليغ الرسالة
والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل • فَمَا تَزِيدُونَنِي •
اذن باستتباعكم اياى كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى لا تفيدوننى اذ لم يحتمل فيه اصل الخسران حتى يزيدوه • غَيْرَ تَخْسِيرٍ • اى غير ان تجعلونى
خاسرا بابطال اعمالى وتعريضى لسخط الله تعالى اى فما تزيدوننى بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة
على معناها والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة
من ربه وايتاء النبوة • وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ • الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة
ومن حيث الخلق • لَكُمْ آيَةً • معجزة دالة على صدق نبوتى وهى حال من ناقة الله تعالى والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية
متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية فذروها
تأكل وشأنها • تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ • ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر

نهيكما وشأنها • وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ • بولغ في النهى عن التعرض لها بالنهى عن المس الذى هو مبادئ الاصابة ونكر السوء اى لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من السوء فضلا عن عقرها وقتلها • فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ • عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا اى قريب النزول روى انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة
تسمى الكاثبة ناقة عشراء عرجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك ليؤمنن فقالوا نعم
فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا
فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب
منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم • فَعَقَرُوهَا • قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدوف بنت
المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه فانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها • فَقَالَ • لهم صالح • تَمَتَّعُوا • اى عيشوا • فِي دَارِكُمْ • اى في منازلكم او في الدنيا • ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ • قيل قال
لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب • ذَلِكَ • اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام
من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه • وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ • اى غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم
شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز كان الواعد قال له اتى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول
• فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا • اى عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل • نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ • متعلق بنجينا او بآمنوا
• بِرَحْمَةٍ • بسبب رحمة عظيمة • مِنَّا • وهى بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا • وَمِنْ
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ • اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية
من خزى يومئذ اى من ذلة ومهانة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم
القيامة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ
بالتنوين ونصب يومئذ • إِنَّ رَبَّكَ • الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم • هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ • القادر على كل شئ والغالب عليه
لا غيره ولكون الانجاء من تبعة الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال • وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا • عدل عن الضمير
الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم • الصَّيْحَةُ • اى صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها
صوت كل صاعقة وصوت كل شئ في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة
لتموج الهواء • فَأَصْبَحُوا • اى صاروا • فِي دِيَارِهِمْ • اى بلادهم او مساكنهم • جَاثِمِينَ • هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول
العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول
غضبك قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى
الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا • كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا •
اى كأنهم لم يقيموا • فِيهَا • في بلادهم او في مساكنهم ومحله النصب على الحال اى اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط • أَلَا إِنَّ ثَمُودَ •
وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين • كَفَرُوا رَبَّهُمْ • صرح بكفرهم
لكونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم الدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى • أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ • وقرئ
الكسائى بالتنوين • وَلَقَدْ جَاءَتْ • رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ • وهم الملائكة عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان وقيل هم
جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدى احد عشر على صور
الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجئ بالبشرى دون الارسال لانهم لم يرسلوا اليه
عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر
صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب
بل انما لحق بهم بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل
والى مدين اخاهم شعيبا • بِالْبُشْرَى • اى ملتبسين بها قيل هى مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناه
باسحاق الآية وقوله وبشرناه بغلام حليم والبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة
على مجيئها كما سيأتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام فيهم والاظهر انها البشارة بالولد ويستفرق تفرع المجادلة
عن ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم • قَالُوا سَلَامًا • اى سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان
يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام • قَالَ سَلَامٌ • اى عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ حمزة والكسائى سلم

صلة قال سلام ... ليقع التوافق بينهما • فما لبث • اي ابراهيم • ان جاء بعجل • اي في المجيء به او ما ابطأ مجيئه بعجل • حنيذ • اي مشوي بالرضف
في اخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله تعالى بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال • فلما رأى ايديهم لا تصل اليه • لا يمدون اليه ايديهم
للاكل • نكرهم • اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقيل لانهم
كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الى الفعل المذكور واما الانكار المتعلق بانفسهم
فلا تعلق له برؤية عدم الاكل وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا يرى الى قوله تعالى في سورة الذاريات
سلام قوم منكرون • واوجس منهم • اي احس واضمر من جهتهم • خيفة • لظنه انه نزلوا لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر
المفعول الصريح من الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة لا من جهة غيرهم وتقديمه لما مر من
التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن • قالوا لا تخف • ما قالوه بمجرد ما رأوا وانما قالوه حين احسوا باثر الخوف ... له منه
بل بعد اظهاره عليه السلام له قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك • انا ارسلنا • ظاهره
انه استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور كان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم اخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا
بالعذاب • الى قوم لوط • خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم
قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك • وامرأته قائمة • وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤوسهم
للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم • فضحكت • سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل
الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل
بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء • فبشرناها باسحاق • اي عقبنا سرورها
بسرور اتم منه على السنة رسلنا • ومن وراء اسحاق يعقوب • بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اي وهبنا لها من وراء
اسحاق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحاق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او واقع في
الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل
وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشروا به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد • قالت • استئناف وقع
جوابا عن سؤال من سأل وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت • يا ويلتا • اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة
من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل واما لها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل
هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت • االد وانا عجوز • بنت تسعين او تسع وتسعين سنة • وهذا • الذي تشاهدونه • بعلي • اي زوجي واصل
البعل القائم بالامر • شيخا • وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في االد لتقرير ما فيه من الاستبعاد
وتعليله اي االد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر
اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر
نسبة المانع من الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على استبعاد الولادة مع ان ما بشرت به ... الطائفة
لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد • ان هذا • اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا • لشيء عجيب • بالنسبة الى سنة
الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده ومقصدها بجملة تعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها
في ضمن الاستعجاب العادي لاستبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى • قالوا اتعجبين من امر الله • اي قدرته وحكمته او تكوينه او
شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة من بيت النبوة ومهبط الوحي والايات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها
ان تتوقر ولا يخطر ببالها ما يزري بها من سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق
بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله وتمجده وتحمده والى ذلك
اشاروا بقوله تعالى • رحمة الله • التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها • وبركاته •
اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام • عليكم اهل البيت • نصب على المدح والاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة
الواحدة الى الجمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام
مستأنف علل بها انكار تعجبها كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه ... فان الله تعالى على كل شيء قدير واستمرار اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى
كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم

لا تفارقكم • انه حميد • فاعل ما يستوجب الحمد • مجيد • كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم •
فلما ذهب عن ابراهيم الروع • اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه
السلام ببعض غب انقضاء اجنبيا بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسياق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس منتظرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن • وجاءته البشرى • اذ فسرت البشرى بقولهم لا تخف
نسبيته ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى • يجادلنا في قوم لوط • اي جادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة
الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا طارحا واما ان فسرت بالبشارة او بما يعمها فعل بسببها لما من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان
قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند
ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ... هذا الكلام ان يكون ابراهيم عليه السلام وقد علم انهم مرسلون
لاهلاك قوم لوط قبل اذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم واستنزاله بشأن نفسه فلما ذهب عن ابراهيم الروع فرغ لها
مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم
عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وكافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف
على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد ذلك من الخوف بهم اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخوله تحت العموم فتأمل والله الموفق • ان
ابراهيم لحليم • غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه • اواه • كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس • منيب • راجع الى الله تعالى
والمقصود بتعداد صفاته الجليلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة • يا ابراهيم • اي قالت الملائكة يا ابراهيم
• اعرض عن هذا • الجدال • انه • اي الشأن • قد جاء امر ربك • اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية
والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر • وانهم اتيهم عذاب غير
مردود • لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما • ولما جاءت رسلنا لوطا • قال ابن عباس رضي الله عنه انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام
الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك • سيء بهم • اي ساءه مجيئهم لظنه انهم
اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضمة روي ان الله تعالى
قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال
اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط
رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط • وضاق بهم ذرعا • اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن
مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه من هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره
من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها
وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي
قصرت طاقته دون بلوغ الامر • وقال هذا يوم عصيب • شديد من عصبه اذا شده • وجاءه • اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه • قومه يهرعون
اليه • اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله • ومن قبل • اي من قبل هذا الوقت • كانوا
يعملون السيئات • اي جاؤوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها ومرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما
فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين • قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم • فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم
مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة ابن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي
وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان
ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهار الشدة استعظام ما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا
منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا واما الحدوا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستعرف عليه • فاتقوا الله • بترك الفواحش او بايثارهن عليهم • ولا تخزون في ضيفي • اي لا تفضحوني في شأنهم
فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء • اليس منكم رجل رشيد • يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح
• قالوا • معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه • لقد علمت ما لنا في بناتك من حق • مستشهدين
بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينهن وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك • وانك لتعلم ما نريد •
من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي • قال لو ان لي بكم قوة • اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى

ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى • او آوي الى ركن شديد • عطف على ان لي بكم قوة لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على
دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن
شديد وروي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب • قالوا •
اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه • يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك • بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا
وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة • فاسر باهلك • بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القران من السرى والفاء
لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام • بقطع من الليل • بطائفة منه
• ولا يلتفت منكم • اي لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه • احد • منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ورائه
لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم • الا امراتك • استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه
قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزمه
التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عليه السلام مامورا بالاسراء بها والرفع يقتضي كونه مامورا بذلك والاعتذار
بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما روي انه عليه
السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان لم يرض بها عليه السلام من غير امر
منه لذلك او موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا
لان مدار الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على
الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التكلف والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى جعل الاستثناء
على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا يبعد
ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله
• انه مصيبها ما اصابهم • من العذاب وهو امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وما اصابهم
مبتدا والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع • ان موعدهم
الصبح • اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع • اليس الصبح بقريب • تاكيد للتعليل
فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال
اريد اسرع من ذلك فقالوا له ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك
عبرة للناظرين • فلما جاء امرنا • اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح • جعلنا عاليها • اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات
وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف • سافلها • اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له
وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم من جعل
سافلها عاليها وان كان مستلزما له وروي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب • وامطرنا عليها •
على اهل المدائن او شذاذهم • حجارة من سجيل • من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر
عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت
نونه لاما • منضود • نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض كقطار الامطار • مسومة • معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض
وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به • عند ربك • في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل • وما هي • اي الحجارة الموصوفة
• من الظالمين • من كل ظالم • ببعيد • فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي
قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد
فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير
والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث • والى مدين • اي اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة
او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه • اخاهم • اي منهم • شعيبا • وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه

والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين • شعيبا • قال • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من صدر الكلام
فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام • يا قوم اعبدوا الله • وحده ولا تشركوا به شيئا • ما لكم من اله غيره •
تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس
والتطفيف عادة مستمرة فقال • ولا تنقصوا المكيال والميزان • كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس • اني اراكم بخير • اي ملتبسين
بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم
بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل • واني اخاف عليكم • ان لم تنتهوا عن
ذلك • عذاب يوم محيط • لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو
والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة
ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط
بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا • ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط • اي بالعدل من غير زيادة ولا
نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال
عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من
البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم • ولا
تبخسوا الناس • بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما • اشياءهم • التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي
عن نقص المكيال والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال
والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى • ولا
تعثوا في الارض مفسدين • فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي
سلمى في اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما قصد به
الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر اخرتكم ومصالح دينكم اي ما ابقاه
لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم • مما تجمعون بالبخس والتطفيف وان ذلك هباء منثورا بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا
كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات • ان كنتم مؤمنين • بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله
بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي • وما انا عليكم بحفيظ • احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت ولو اريد بحفيظ ذلك او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع • قالوا
يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا • من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن
لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر بذلك حتى ادعوا
ان لا امر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلاتك التي هي من نتائج
الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان
الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة
الوحي وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلاة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه الصلاة والسلام
كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك
• او ان نفعل في اموالنا ما نشاء • جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي وان نترك ان
نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل
انت في اموالنا ما تشاء ولا يجوز العطف على ما قبل لاستدعائه ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل
في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يعطف على ان نترك لان الترك ليس مامورا به
على الحقيقة بل المامور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا وحمله على
معنى اصلوتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام واستهزائه به من
تلك الجهة ياباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه وانى ذلك
فتامل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي او ان تفعل في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء

إنك لأنت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وإنما أرادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق إنك أنت العزيز الكريم ويجوز أن يكون ذلك تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكر على معنى إنك لأنت الحليم الرشيد على زعمك وأما وصفهما على الحقيقة فإيراد مقام الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة الحجة الواضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند من ربي ومالك أموري وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما هو عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه أي من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة أيضا عبر عنهما بذلك تنبيها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحيوة الأبدية له ولأمته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام أي أتقولون في شأني ما تقولون والمعنى أنكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح أن يتفوه به عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم إن ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به أمر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وإنما يأمر به صلوتك التي هي من أحكام الوسوسة والجنون فأخبروني إن كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية الكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم وأما ما قيل من أن المحذوف أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي أو هل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فمعزول عن ذلك وإنما يناسب تقديره أن حمل كلامهم على حقيقته وأريد بالصلوة الدين على معنى أدينك يأمرك أن نكف عن عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسوقا على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني إن كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني مالا حلالا أستغني به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما أريد بنهيي إياكم عما أنهاكم عنه من البخس والتطفيف أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي أقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس إن أريد أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي إلا الإصلاح إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة إلا من إرادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي أي كوني موفقا لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم إلا بالله أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه وإنما أنا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الاستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستمداد به والاستظهار وإليه أنيب أي أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقا لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذاتي والفعلي وإليه أنيب أي إليه أقبل بشراشر نفسي في مجامع أموري وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي الأنسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء وما يجري مجراه ويا قوم لا يجرمنكم أي لا يكسبنكم من جرمه ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي وأصلها أن أحد المتعاديين يكون في عدوة والآخر في أخرى أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا له وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول أصح وأدور على ألسنة الفصحاء وقرأ أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه إنما غير

أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكهم بنية المضاف أو وما هم بشيء بعيد لأن المقصود إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما أو وما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما أنذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه مر تفسيره مثله في أول السورة إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك إلى سبيل السفهاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد وجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدمجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا وإنا لنراك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لأنهم مما يعوقنا ويمانعونا لرجمناك فإن ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة لهم وهم ألوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله عز وجل وما أنت علينا بعزيز مكرم محترم حتى يمنعنا من رجمك وإنما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإيلاء الضمير حرف النفي وإن لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا إلى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانية حسبما يحكيه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتقتضيه قضيته طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإنابة إليه وإلى إسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله فإن الاستهانة بمن لا يتعزز إلا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة أصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالإمسي في النسبة إلى الأمس إن ربي بما تعملون من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا لا يبالى به فيجازيكم عليها ويحتمل أن يكون الإنكار للرد والتكذيب فإنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الأذلة ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام إصرارهم على الكفر وأنهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم أي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وإنما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف فيما بينهم لا عزة له أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما أنتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وإيقاع ما في نيتكم وإخراج ما في أمنيتكم من القوة إلى الفعل إني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بأنواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم إني عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالإخزاء تعريضا بما أوعدوه به عليه السلام من الرجم فإنه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا على جناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على أنه قسيم له بل حيث أوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لأن كذب الكاذب ليس بمترقب كإتيان العذاب بل إنما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن إما استفهامية معلقة العلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا كاذب وإما موصولة أي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما أقول إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالضريب والصريم أو المراقب كالعشير والمرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم إظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بأمره ولما جاء أمرنا أي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أو وقته فإن الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الإيمان الذي وفقناهم له أو بمرحمة كائنة منا لهم وإنما ذكر بالواو كما في قصة عاد لما أنه لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فإنه قد سبق هنالك سابقة

الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه من الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم
انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق قوله الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة
العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهوا المفضي اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا في ديارهم جاثمين
ميتين لا دنين لما كانهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل سياق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب الى اخره نفس مجيء العذاب بل من جهة ذلك
جعل مجيئه بعد ذلك امرا مستقلا لوقوع مبنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل نجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومعطوفا
الافادة والفائدة نجية اهتماما بشانهما وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم
كان لم يغنوا اي لم يقيموا فيها مستمرين في اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار
ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب من شبه هلاكهم بهلاكهم اي ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع
من العذاب وهو الصيحة غير ان هولا صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب
الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضا
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك
فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنوا اسرائيل والبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه
ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هي المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها
ابهرها والمراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شي واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه
او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلا لقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف
دعوته حين قال له فرعون فمن ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التورية وادراجها في جملة الايات
يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنوا اسرائيل فيما ياتون وما يذرون
واما فرعون وملاؤه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية
وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الراي وتدبير الامور واتباع غيرهم
لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه
فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامر ملائه بذلك امر محقق
الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال لينعى عليهم سوء اختيارهم وايراد
الثاني اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمعاجلتهم الى الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك
كله لم يتراخ من الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة
فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والتماثل لما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشي بعد ورود ما يوجب الاقلاع
عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول
الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا
الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة
لزيه والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد والاحتمال حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيامة
اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الاخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه
او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم واتيانه بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون
بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الما واتباعه بالواردة والنار بالما الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود الذي يردونه النار لان
الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملا الذين اتبعوا امر فرعون في هذه اي في الدنيا لعنة
عظيمة حيث يلعنهم اللاعنون من بعدهم من الامم ويوم القيامة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم
حيثما ساروا دائرة معهم ايثما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم
الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا
اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائم المقام
واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منهما معينة وممدة لصاحبتها
ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من

انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبا بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من تلك القرى
قائم وحصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما
ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى
عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع
المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم
غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتدا
وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار
بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال
عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص
وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة
فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الاخرة واما من انكر الاخرة واحال
فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع
فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك
اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الاخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع الناس للمحاسبة والجزاء والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع
وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيامة مع ملاحظة عنوان
جمع الناس له يوم مشهود الغات ما بين العرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك
اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يات المحين اي ذلك
اليوم المؤخر بانقضاء اجله لقوله تعالى ان تاتيهم الساعة وقيل يوم يات الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم
وقرئ باثبات اليا على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتها المحدود في قوله
تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي والمضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر من مواقفه كما ان قوله
سبحانه يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها في اخر منها والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار
بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة
الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او الناس وتقديم الشقي على السعيد لان
المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد
بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة
مستانفة كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه
خالدين فيها حال منه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة
عن التابيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك
من كلمات التابيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما
وان اريد التعليق فالمراد سموات الاخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى
واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الاخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها
بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة
معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة
الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال ان ربك فعال لما يريد يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل
وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول عن الاضمار
الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وانواع

اخر من العذاب وبيا هو اتلك منها كلمنا او بمر عظ الله تعالى عليهم واهانته اياهم وات تدرى انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب
المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فاخلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصادرة في ذلك للاستثنا وذلك ان نقول
انهم ليسوا مخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار والزمهرير ان ابين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والالام الروحانية التي
لا يقف عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوا من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء
ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفي بهذه المرتبة الاجمالية المبنية على التهويل وهذه العقوبات وان كانت
تعتريهم وهم في النار لكنهم يحسبون انها عذاب بالنار ولا يحسبون بها وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثنا هذا وقد قيل الا بمعنى سوى والمراد
بما ذكر وقيل ما بمعنى من وهي على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شا الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة
المؤمنين • واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض • الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر ههنا
ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار ان لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام التحذير والانذار • الا ما شا ربك • ان حمل على طريقة
التعليق بالمحال فقوله سبحانه • عطاء غير مجذوذ • نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل
يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطا او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين
من النعيم الروحاني الذي هو منه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشية او تمييز فان المشية
الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن المشية قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشا لاهل
الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشا لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا المعنيين او بالاول فقط لما يتوهم من ظاهر الاستثنا من انقطاعه • فلا
تك في مرية • اي في شك والفا لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية • مما يعبد هؤلاء • اي من جهة
عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعها لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية
سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والتقدير والتعبير مثل هل يستويان مثلا افلا تذكرون
وقد قص عقيب ذلك من انبا الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء
المشركين في العاجل والاجل ثم علله لتلك بطريق الاستئناف فقيل • ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم • الذين قصصنا عليك قصصهم • من قبل • اي هم
واباؤهم سوا في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها وهو مثل ما كانوا يعبدونه وقد كان بلغك ما حل بابائهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل
الاسباب يقتضي تماثل المسببات • وانا لموفوهم • اي هؤلاء الكفرة • نصيبهم • اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا واجلا
كما وفينا اباءهم انصباءهم المقدرة او ما قدر لهم من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تاخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه • غير منقوص • حال مؤكدة من
النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل
هو التوفية تامل • ولقد اتينا موسى الكتاب • اي التورية • فاختلف فيه • اي في شانه وكونه من عند الله تعالى فامن به قوم وكفر به اخرون
فلا تبال باختلاف قومك فيما اتيناك من القران وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته • ولولا كلمة سبقت من ربك • وهي كلمة
القضا بانظارهم الى يوم القيامة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك • لقضي بينهم • اي لاوقع القضا بين المختلفين من قومك بانزال العذاب
الذي يستحقه المبطلون ليتميز به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذلك • وانهم • اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع الضمير
ضميرهم للامن من الالتباس • لفي شك منه • اي من القران وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لاسيما
بعد الشكاية ينادي به نداء غير خفي • مريب • موقع في الريبة • وان كلا • التنوين عوض عن المضاف اليه وان كل المختلفين فيه المؤمنين
منهم والكافرين وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل • ليوفينهم ربك اعمالهم • اي اجزية اعمالهم واللام الاولى
موطئة للقسم والثانية جواب للقسم ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع
ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين
اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الاية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقرئ ان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية
ولما بمعنى الا وقد قرئ به • انه بما يعملون • اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر • خبير • بحيث لا يخفى عليه من جلائله ودقائقه
وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب
توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر • فاستقم كما امرت • لما بين في تضاعيف القصص المحكية من الامم الماضية سوء عاقبة
الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من
العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقران مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتورية وانه لولا سبق كلمة القضا بتاخير عقوبتهم العامة

وسوء احوالهم التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل باباءهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين موفى جزا عمله
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولاسيما الاعمال الخاصة به من تبليغ
الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
وضائق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج من عهدته في غاية
ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود • ومن تاب معك • اي تاب من الشرك والكفر وشاركك
في الايمان وهو المعني بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة
اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقا والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك • ولا تطغوا • ولا
تخرجوا عما حدد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على
حاله عليه السلام • انه بما تعملون بصير • فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه
من غير انحراف بمجرد الراي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب
النصوص الامرة بالاجتهاد • ولا تركنوا • اي لا تميلوا ادنى ميل • الى الذين ظلموا • اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم
والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد
النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك • فتمسكم • بسبب ذلك • النار • واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم
ما في الافضا الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره
على مواساتهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة
طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه
وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط
ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البنا للمفعول من اركنه • وما لكم من دون الله من اولياء • اي من انصار ينقذونكم
من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولي
بل ان يكون لكم بطريق انقسام الاحاد الى الاحاد لكن لا على معنى نفي استقلال لكل منهم بنصير بل على نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام • ثم لا تنصرون •
من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم
بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر على انقاذهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا • واقم الصلوة طرفي النهار • اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت • وزلفا من الليل • اي ساعات منه
قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتيهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان
ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة • ان
الحسنات • التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات • يذهبن السيئات • التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان
الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او مثل من اقرانها
كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر • ذلك • اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القران • ذكرى للذاكرين • اي
عظة للمتعظين • واصبر • على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس
الانتهاء عنه مستعقبا فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور
بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى • فان الله لا يضيع اجر المحسنين • اي
يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في
معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر
على ما ذكر من باب الاحسان • فلولا كان • فهلا كان • من القرون الكائنة • من قبلكم • على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم
• اولو بقية • من الراي والعقل او اولو فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل
ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
من التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقا على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو ابقية وهي المرة من مصدر ابقاه

بقية اذا رايته واشطره اى اولو مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون وقوله لاشقاقهم ● ينهون عن الفساد في الارض ● الواقع منهم
حسبما حكى عنهم ● الا قليلا ممن انجينا منهم ● استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع
الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهى المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ
قوم القران الا الصلحاء منهم مريد الاستثناء الصلحاء من التحضيض على القراءة نحو ذلك الرجل استثناء من النفي اللازم فكانه قيل ما كان من
من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية ● واتبع الذين ظلموا ● بمباشرة الفساد وترك النهى عنه ● ما اترفوا
فيه ● اى انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد
بهم تاركوا النهى وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عبارة ● وكانوا مجرمين ● اى كافرين فهو بيان لسبب
استئصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اى لم ينهوا واتبع الى اخره فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين منهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعليته ذلك لما حاق بهم
من العذاب او على استثناء يترتب على قوله الا قليلا اى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهى
عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور
بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم
بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء
● وما كان ربك ليهلك القرى ● اى ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها وعلم
من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله ● بظلم ● اى ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اى ظالما لها والتنكير
للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى
والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى
وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى ● واهلها مصلحون ● حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله
اعنى بظلم بل لانه على تقييد نفى الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك
والباء للسببية اى لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر وذلك لفرط
رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد على حقوق الله الغنى الحميد وقيل الملك
يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وان تعذر ان يعد من المنكرات التي ابتلوا بها الاشراك بالله لا يلائمه وان الشرك داخل في الفساد في الارض
دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الكرام قومه عنه اولا ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم
على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على الصلاح والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم
متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ● ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ● مجتمعة على الحق
ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق ● ولا يزالون مختلفين ● في الحق اى مخالفين له
كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ● الا من رحم ربك ● الا قوما قد هداهم الله تعالى
بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما فيه من الحق والمبطل يابى الاستثناء
المذكور ● ولذلك ● اى لما ذكر من الاختلاف ● خلقهم ● اى الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحمة فالضمير لمن واللام
في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازى عام لكلا المعنيين ● وتمت كلمة ربك ● اى وعيده او قوله للملائكة ● لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين ● اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما ● وكلا ● اى وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه
● نقص عليك ● نخبرك به وقوله تعالى ● من انباء الرسل ● بيان لكل وقوله تعالى ● ما نثبت به فؤادك ● بدل منه والاظهر ان يكون كلا
في كلا المفعول المطلق لنقص اى كل اقتصاص اى كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول
نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال
اذية الكفار والوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق ● وجاءك في هذه
السورة او الانباء المقصوصة عليك ● الحق ● الذى لا محيد عنه ● وموعظة وذكرى للمؤمنين ● اى الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة
وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه حلى باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعنى في هذه على الفاعل
لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها
ولان عند تاخيره يفوته التقديم تشوق النفس مترقبة فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف

النظم الكريم ● وقل للذين لا يؤمنون ● بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون ● اعملوا على مكانتكم ● على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان ● انا عاملون
على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به ● وانتظروا ● بنا الدوائر ● انا منتظرون ● اى ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ● ولله غيب
السموات والارض ● واليه يرجع الامر كله ● فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه للفاعل من رجع رجوعا ● فاعبده وتوكل عليه ● فانه كافيك وفي
ترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها ● وما
ربك بغافل عما تعملون ● فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اى انت وهم فيجازى كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق ● عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطى عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها عليهم السلام وبعدد من كذبهم
وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى ●

● الر ● الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب في قوله تعالى ● تلك آيات الكتاب ● عين ما سلف في مطلع سورة يونس ● المبين ●
من ابان بمعنى بان اى الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا تشتبه عليهم
حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اى المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشاتين
في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص على تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانة انباء وعن قصة يوسف فانه قد روى
ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتى ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي
عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل ● انا انزلناه ● اى الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو
الاظهر الانسب بقوله تعالى ● قرآنا عربيا ● اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان
جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر
بمعنى المفعول اى انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم ● لعلكم تعقلون ● اى لكى تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا على
انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خالق القوى والقدر ● نحن نقص عليك ● اى نخبرك ونحدثك والقصة من قص اثره اذا اتبعه
لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه اية بعد اية ● احسن القصص ● اى احسن الاقتصاص
نصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل
● بما اوحينا ● اى بايحائنا ● اليك هذا القرآن ● اى هذه السورة فان كونها موحاة مبنى عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان
قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص
على ابدع الطرائق الرائقة الرائعة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والاخرين وان كان لا يميز
الغث من السمين ولا يميز بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد به
المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمى به
المفعول كالخلق والصيد وتعضده حسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كالحسنة ● وان كنت ● ان مخففة من الثقيلة
وضمير الشان الواقع اسمها محذوف واللام فارقة والجملة خبرها والمعنى وان الشان كنت ● من قبله ● من قبل ايحائنا اليك هذه السورة ●
لمن الغافلين ● عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان
النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين ● اذ قال يوسف ● نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص
او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص
ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه من سبب اخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل
من اسف لشهادة المشهور بعجمته ● لابيه ● يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقد روى عنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم ● يا ابت ● اصله يا ابى عوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت هاء في الوقف على
قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وكسرت لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف
وبقى الفتحة وانما لم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض ولم تسكن
كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب ● انى رايت ● من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك

منه انا جعل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص بوقت دون وقت فيكون علامة كبرى لا تخفى على احد
من الناس ● احد عشر كوكبا والشمس والقمر ● روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم
التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل
تسلم قال نعم قال عليه الصلوة والسلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب
اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام
لتناسب ملائمة لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض حلقة الدائرة
واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس
والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل
ثمانون ● رأيتهم لي ساجدين ● استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كان سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلا
في الضمير لوصفها بوصف العقلا اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام وربما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة ● قال
يا بني ● صغره للشفقة او لصغر السن وهو ايضا استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف
يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه
الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى يحقق
ذلك لا محالة وطامعا في حصوله بلا مشقة ● لا تقصص رؤياك ● هي كالرؤية الا انها مختصة بما يكون في المنام كما ان الرؤية بما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة
والقربى وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه ● على اخوتك فيكيدوا ● نصب باضمار ان اي فيحتالوا لك اي لاجلك ولاهلاكك ● كيدا ● متينا راسخا
لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين
على تحويل ما دلت الرؤيا عليه وقد عدل عن هذا الاسلوب كما هو كان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون الفعل مقصودا بالايقاع وقد قيل انما جيء باللام
لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته هنا الذين
خشي غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان
ونفتالي وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة واما المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر فاما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عليه السلام
وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن ذلك جمع الاختين اذ ذاك محرما فلم يكن داخلا تحت النهي
اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معهم ودخل معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه من اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ● ان الشيطان للانسان
عدو مبين ● ظاهر العداوة فلا يألو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك
من اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نهيه عليه السلام عن الرؤيا شانا عظيما وسيتبع منافع وحذره اشاعتها
المؤدية الى ما حوله عقبه يتخبر بعض ظهور آثارها وحصولها اي بعض واسبيل وصولها شروع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال ● وكذلك ● اي مثل
ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وخضوعها على نفسه ● يجتبيك ربك ●
عنه ولك جناب كبريائه والسلوك اتصال من بجناب ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس كافة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم
الشهادة وحصرها عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المشابهة المحققة بين الصور المرتسمة في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا واشباحا
له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك
على وجه الاستكانة والمراد بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه ابلغ بجعله رأسا في الناس كافة ● ويعلمك ● كلام مبتدأ داخل تحت التشبيه اراد به
عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام على ما عبرت على طريقة التعبير والتاويل كانه قيل كما ولا يعلمك ● من
تاويل الاحاديث ● اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى عليك حقية ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي
والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس والشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث
كالاباطيل لا جمع احدوثة وقيل لاجرم اسم جمع احدوثة او جمع احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آيلا
الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي

السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما بلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي هي عبارة عن تمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام
من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة
والاستدلال من الشواهد والدلالات والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز
ما هو آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة
بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسبة الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين
الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل
نبي من الانبياء عليهم السلام معجزة بها يظهر آثاره ويجري احكامه ● ويتم نعمته عليك ● بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله
تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كونه وسيلة
الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة ● وعلى آل يعقوب ●
وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع
كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار
انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال ● كما اتمها على ابويك ● نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك
وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحاق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم
وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع
في جانب المشبه من كل وجه ● من قبل ● اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ● ابراهيم واسحاق ● عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده
وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي للرؤيا والاقتصار
في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ● ان ربك ●
استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه ● عليم ● بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة
على الوجه المذكور ● حكيم ● فاعل لكل شيء حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في
الموضعين لتربية تحقيق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبيا وملوكا ونقلهم
عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي ● لقد كان في يوسف واخوته ● اي في قصتهم والمراد بهم هاهنا اما
جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها ● آيات ● علامات عظيمة الشان دالة
على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة ● للسائلين ● لكل من سأل عن قصتهم وعرفها او للطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم المنتفعون بها دون من
عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس القصص او على نبوته
صلى الله عليه وسلم لمن سأله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد
بها اقتصاصها وجمع الآيات للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما سلف في
اخوته عليه السلام ما ذكر من قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا ما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى
وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه
ليتأسى به ● اذ قالوا ليوسف واخوه ● اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا ترى الى انهم
كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف ● احب الى ابينا منا ● وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لان افعل كذا لا يفرق فيه
بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ضرورة انه اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة
وتاكيده ● ونحن عصبة ● اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك
لان الامور تعصب بهم ● ان ابانا ● في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة ● لفي ضلال ● اي ذهاب عن
طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته ● مبين ● ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا
ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم ● اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا ● من جملة ما حكي بعد
قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين بعقيب المشورة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين
الا من قال لا تقتلوا الى آخره فجعلوا كانهم القائلون واو جوابا للقول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية ويؤيد الاول مسارعتهم الى
القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة ● يخل ●

بالجزم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم لانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الاخرة وقيل روبيل وهو استئناف مبني على سؤال من سال وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خطتي التضييع ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال ان القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه في غيابة الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرا نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما من البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات اي ان كنتم فاعلين ما انتم معتزمون عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا اجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوية بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا ما لك اي اي شيء لك لا تامنا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونحوهما مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه وقد اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى الكل وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع ذلك واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذابة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام وكان يحذره تعالى ذلك وقد لقنهم العلة اي البلاء موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بارائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب مجزي عن الجزاء اي انا لكون ضعفاء وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى لحضورنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم ياتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي تقوى الدواعي الى فعلها في غيابة الجب قيل هو بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن وكان مدين كذلك واما ما قيل انه بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذى ما فعلوا روي انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني

ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا على ابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم وروي ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك من اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق ومستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما يتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان حسبما يقتضيه المتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم ولا سيما اذا لم يبرحوا عنه بعيدا فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا بمراى منا الا ان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة وقد مر في سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم كما يقال جاؤا على جماله باحمال او على الحالية منه والاولى تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرات عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليه السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه السلام حين قد من دبره قال استئناف مبني على سؤال كانه قيل فما قال يعقوب عليه السلام هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وامثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة

على ما تصفون ● على اظهار حال ما تصفون وبيان لكونه كذبا واظهار لسلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتعميل المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف
والصبر على الرزية باباء تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا ينافيه الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه ● وجاءت ●
شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء لنسبتها الى مكانهم فان كنعان
ليس في جانب المصري من مدين في مكان يوسف وفي ايثاره على المرور والاتيان ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند مليك
مقتدر والظاهر ان الجب كان في الامم المينا قاق المتماد ومن اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت ● سيارة ● اي رفقة تسير من
جهة مدين الى مصر ووجه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة
بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام ● فارسلوا واردهم ●
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي واما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود
لا يعرف غيره الذي ذكرناه ● فادلى دلوه ● اي ارسلها في الجب والحذف لما مر فتدلى بها يوسف فخرج ● قال ● استيناف مبني على سؤال يقتضيه
● يا بشرى هذا غلام ● كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة نادرة واي نعمة مكان ما يوجب مباحا من الماء وقيل هو
اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري
بالادغام وهي لغة وبشراي بالسكون على نية الوقف ● واسروه ● اي اخفاه الوارد واصحابه من بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له
في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده
فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد ● بضاعة ●
نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال يبضع عنه اي تقطع للتجارة ● والله عليم بما يعملون ●
وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا في ذلك ● من الحيل ● وشروه ● اي باعوه والضمير
للوارد واصحابه ● بثمن بخس ● زيف ناقص العيار ● دراهم ● بدل من ثمن اي لا دنانير ● معدودة ● اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا
بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما دون الاوقية العدد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت عشرين درهما وعن السدي كانت
اثنين وعشرين درهما ● وكانوا ● اي البائعون ● فيه ● في يوسف ● من الزاهدين ● من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس
وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره خائف ان يظهر له مستحق فيسترده منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون
معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شرائه خشية ذهاب مالهم لما ظهر لهم من الاباق والعيب ولعل صيغة الافتعال المنبئة عن المبالغة
للامر من ان اخذهم له كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة
فانه قيل في اي في حقه زهدوا وقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول ● وقال الذي اشتراه من مصر ● وهو العزيز الذي كان على
خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع ما فيه من الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس
وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياة يوسف عليه السلام فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل
كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف
عليه السلام والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل عشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين
وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان
سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة واتاه
الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ● لامرأته ● راعيل او زليخا وقيل اسمها الاول واللقب الثاني
متعلق بقال لا باشتراه ● اكرمي مثواه ● اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده ● عسى ان ينفعنا ● في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا ● او نتخذه ولدا ● اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس
ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنه ● وكذلك ● نصب على المصدرية وذلك
الاشارة الى ما تقدم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد للتفخيم اي مثل ذلك التمكين البديع ● مكنا ليوسف في الارض ● اي جعلنا له فيها
مكانا عاليا يمكنه فيه او اثبتناه فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما ولتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل
كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها او مكنا له في الارض اي ارضه والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل
العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانا في ارض مصر ولعله عبارة
عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما قال الذي يرتقي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى ● ولنعلمه ●

تاويل

تاويل الاحاديث ● اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية
مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه
ما يترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو تاويل الرؤى المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف
عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لفعل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له
عاقبة حميدة ولا يخفى عليك ان الذي عليه يدور رحى الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة فمادية الى ذلك
اتاني باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فالاولى ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب
العزيز او في منزله وكون ذلك مكنا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين اخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ان
ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحمة للدلالة على فخامة شان المشار اليه
اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض
مصر بالامر والنهي فهو من اثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مبادئه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام
في تضاعيف قضايا العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا ما يصح جعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين
فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما يبين من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق
سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق
سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم
كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له ● والله غالب على امره ●
لا يمتنع عليه امر ولا ينازعه شيء بل انما امره لشيء اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا
او متول على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة بعد اخرى فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة ● ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ● ان الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا او انى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل
او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ● ولما بلغ اشده ● اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين
وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله ● اتيناه حكما ● حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وفقها او نبوة ● وعلما ● اي فقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما اتاه الله تعالى عند
تكامل قواه سواء كان عبارة من النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل اتيانهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل ● وكذلك
اي مثل ذلك الجزاء العجيب ● نجزي المحسنين ● اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان
والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا وجه له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء
صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور
بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان او تنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره فهل جزاء الاحسان
الا الاحسان ● وراودته التي هو في بيتها ● رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتنة التي ستحكى بتفاصيلها له غاية
جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن
التخلص الى ذلك الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الاخبار السابق تحت الاشارة بذلك
في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور بمعزل من التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الداين ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين
الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها
صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي
تجزى فان الاول فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلاة وارادة قراءة القران
حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلاة فاذا قرأت القران وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت
اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل للجانب الفاعل لها فان مطالبة الداين لمطل المماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه
للمطالبة التي هي من جانب الداين وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام
نزل صدورها عن محالها منزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى

الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فعامل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها
الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته ● عن نفسه ● اى فعلت ما يفعل المخادع
لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه من يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهى عبارة عن التمحل فى مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر
او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه فى بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت
قرب الوساد ● وطول السواد ● ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها
مع كونه تحت ملكتها ينادى بكونه عليه السلام فى اعلى معارج العفة والنزاهة ● وغلقت الابواب ● قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة
التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة فى الايثاق والاحكام ● وقالت هيت لك ● وقرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط
وعيب حيث وهيت اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للتبيين اى لك اقول هذا كما فى هلم لك وقرئ هيئت على صيغة الفعل مبنى هيأت بقا
ها يبئ كجاء يجئ اذا تهيأ وهيت لك واللام صلة للفعل ● قال معاذ الله ● اى اعوذ بالله معاذا مما تدعوننى اليه وهذا اجتناب منه على اتم
الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله
تعالى من البرهان النير على ما هو عليه فى حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل ● انه ربى احسن مثواى ● تعليل للامتناع ببعض
الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتى الذى لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها
والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة
تقريره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شئ مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل
ان الشان الخطير هذا وهو ربى اى سيدى العزيز احسن مثواى اى احسن تعهدى حيث امرك باكرامى فكيف يمكن ان اسئ اليه بالخيانة
فى حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربى خبران واحسن مثواى خبر ثان او هو الخبر والاول
بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها من عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففى
الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية فى الدلالة على استحالته
وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى ● انه لا يفلح الظالمون ● تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء فى الخير
ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل فى ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى
دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزنى باهله ● ولقد همت به ● بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى قصدتها وعزمت عليها
عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها
بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب
نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما فى مقالته عليه السلام من الزواجر ● وهم بها ● بمخالطتها اى
مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا لان ذلك
مما سبق من استعصامه المبنى على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا استحالة صدور الهم منه
عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه فى صحبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما
حيث لم يلزا فى قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التاكيد القسمى وعقب الثانى
بما يعفو اثره من قوله عز وجل ● لولا ان رأى برهان ربه ● اى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه
بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين التى تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة
التى بها تظهر فى هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه السلام قد شاهد
الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه فى حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم
بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اى لولا مشاهدته برهان ربه فى شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلى
الدواعى الداخلية ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه
السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعى الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة
لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا فى امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد
للحكم المطلق كما فى مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم
بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين فى جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقى فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما
همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه السلام

بانه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا
اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من انامله
وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك
عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل رأى
تمثال العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها
● كذلك ● الكاف منصوب بالمحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه اى مثل ذلك التبصير
والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه ● لنصرف عنه السوء ● على الاطلاق
فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا ● والفحشاء ● والزنى لانه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم
بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات
العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب ● انه من عبادنا المخلصين ● تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق
التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم
لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم فى سلكهم داخل فى زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك
فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية ● واستبقا الباب ● متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه وقوله كذلك الى اخره اعتراض جئ به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اى تسابقا الى الباب البرانى الذى هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر
او اوصل الفعل الى المجرور نحو واختار موسى قومه او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق فى ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها
مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هى ايضا لتسبقه اليه وتمنعه من الفتح والخروج
او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة ● وقدت قميصه من دبر ● اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط
وقد قيل فى وصف على كرم الله تعالى وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا
دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة او للايذان بمبالغتها فى منعه عن الخروج وبذل مجهودها فى ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح
● والفيا سيدها ● اى صادفا زوجها واذا لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما وقيل الفيا مقبلا وقيل كان جالسا
مع ابن عم للمرأة ● لدى الباب ● اى البرانى كما مر روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
● قالت ● استئناف مبنى على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ● ما جزاء من اراد باهلك سوءا ●
من الزنا ونحوه ● الا ان يسجن او عذاب اليم ● ما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط
او استفهامية اى اى شئ جزاؤه غير ذلك او ذلك ولقد اتت فى تلك الحالة التى تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة
المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه فى استعصائه عليها وعدم
مواتاته على مرادها بالقاء الرعب فى قلبه من مكرها طمعا فى مواتاته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هى
عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهى تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون الايالة وفى ابهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور
بكونه قانونا مطردا فى حق كل احد كائنا من كان وفى ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما توخاه بحكم الغضب
والحمية ● قال ● استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال ● هى راودتنى عن نفسى ● اى طالبتنى للمواتاة لا انى
اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسندت اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من
الامرين وفى التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب واسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها ● وشهد شاهد من
اهلها ● قيل هو ابن عم لها وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون
بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه
الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها فى المهد انطقه الله
تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابى هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان ان الواقع

اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم **ان كان قميصه قد من قبل** اي ان علم انه قد من قبل ونظيره
ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك **فصدقت** بتقدير قد
لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهو وان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان الكلام حيث كان واضح
الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بتبدل الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه بذلك
الاخبار يعرضان للانشاآت **وهو من الكاذبين** وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة
في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع المقدم من قبل عمدا فعلها له عليه السلام
من نفسها عند ارادة المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا للامر المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي
قوله عز وجل **وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين** الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع تخرجا لها
على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال اي شهد قائلا ان الخ وتسميتها شهادة
مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو
الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبيل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلامة ايضا واما على تقدير كونه غيره
فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما ينبئ عنه اما مشاهدة او اخبارا فهو شيء بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية
ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق ما هو
من الجرح والتعديل حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها وضرها وانما حقيقتها فلا ترديد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق
لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته
بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأته وهي تبغضه تقول انت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم
يكن لي زوج فقد وجدت نفسي تميل الى الرجال فان الزوج لها تمنع نكاح اذ تعليق الشيء بامر متقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا
عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلمية وقرئ بسكون العين **فلما رأى قميصه قد من دبر**
كأنه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال **قال انه** اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء
التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكونها من حيث صدورها عنها وتلك الارادة والاسناد عنها بليغ قطع
النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى **من كيدكن** اي من جنس حيلكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن من الافادة وتعميم الخطاب وان لم يكن بجريدة
عن الاضافة اليها الا انها المامور به بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق
ولا اختصاص لها منهن ... وحدها صحية نفس كل بائنة منهن ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع
فيه النزاع من ان ارادة السوء ممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء واللام المعرب عن طعنها في يوسف عليه السلام ... والحزن بان السكت
عنه ... مع ذلك مما امرن صلبها كما اشير اليه **ان كيدكن عظيم** فانه الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء
انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان
يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال **يوسف** حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا**
اي عن هذا الامر ولا تحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك **واستغفري** انت يا هذه **لذنبك** الذي صدر عنك وثبت عليك **انك كنت**
بسبب ذلك **من الخاطئين** من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير
لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة **وقال نسوة** اي جماعة من النساء
وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير
حقيقي كتانيث اللمة واسم لجماعة النساء ... ومن اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث **في المدينة** ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة
لنسوة **امرأة العزيز** اي الملك يريدن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر
حكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن **تراود فتاها**
اي تطالبه بمواقعتها لها وتتمحل في ذلك وتخادعه **عن نفسه** وصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة
والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هاهنا وفي الحديث لا يقل
احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة
اليه المرأة قيل ربما يشعر بجواز عدة لانه ما بينهما من التباين البين الناشئ من المالكية والمملوكية وكل ذلك لزيادة ما من المبالغة في الاشباع
في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج ذليل قد تعذر في مراودة الاخدان لاسيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها

لعبدها لا لسيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال **قد شغفها حبا** اي شق حبه شغاف قلبها وهو
حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن
ابن عباس رضي الله عنه الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود
او مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الانبئة
مفيرا الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث العلية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس بذاك المقام وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل
قد شغفها حبه كما اشير اليه **انا لنراها** اي نعلمها علما مضاهيا للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة **في ضلال**
عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل **مبين** واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها فيما بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين
المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطأ عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم
ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه **فلما سمعت بمكرهن** باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو
مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات **واعتدت** اي احضرت وهيأت **لهن متكأ** اي ما يتكئن عليه من النمارق
والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب بما لا كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان يأكل متكئا وقيل
متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى
يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ
متكا وهو الاترج والسعد واحدته متكة وقيل اسم ما يقطع ... او ما ينقطع من بتك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكي اذا اتكى **وآتت كل واحدة**
منهن سكينا لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها ومن متكأ وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع
ايديهن **وقالت** ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى ان قولها **اخرج**
عليهن اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها باستغفالهن **فلما رأينه** عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج
عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فيما لا يشاهد مضرته من الافاعيل **اكبرنه** عظمنه وهبن حسنه
الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة
المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام
بحذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق **وقطعن ايديهن** اي جرحنها بما في ايديهن
من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركاتهن من منهاج الاختيار والاعتبار حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة
على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به **وقلن حاش لله** تنزيها له سبحانه من صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك
الصنع البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به
الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدليل على
وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم ويدل
على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه فقلبت الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين
اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاشا الاله وقيل حاشا فعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته
به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله **ما هذا بشرا** على اعمال ما عمل ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وقرئ
بشرى اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن **ان هذا الا ملك كريم** بناء على ما ركز
في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال
قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الان من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية
والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلك الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو **الذي**
لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث قلتن ... الى العزيز وصفتن تقدره بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وصفنه به فيما سبق
بقولكن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو حقيق بان تعذرنني اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفي ما قلتن
فالان قد علمتن من هو وما قولكن فينا وانما ابان المعنى لكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلام الفاعل وفاعله
مرادها بعونها بمحبته تمهيدا لعذرهن في تكئتهن ومساعدتهن على ما سعت ... من اللوم وقد فعلت ذلك فالامر بالعكس وما ذكرن من المقال الحق المعتدل بطور

وقد حصل في تعليل ملكيته ان الجمع بين الجمال الرائق ● والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية ومن ابتنا لا ابالام فوقها فذلكن الذي لمتنني فيه فقد كان
عنوان العصمة مما بنا في مشيه مراهمنا بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لهن عذرها وقد اصابهن من قبله ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت
● ولقد راودته عن نفسه ● حسبما قلتن وسمعتن ● فاستعصم ● امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه
في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الراي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه بقوله
معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن سمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون
ولو مال اليها لما زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا يلومها العواذل ولا يأخذها من الحبيب فقالت ● ولئن لم يفعل ما آمره ●
اي امره فيما سيأتي كما فعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او امري اياه اي موجب امري ومقتضاه فالمصدر
والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ● ليسجنن ● بالنون المثقلة اوثرت بنا الفعل
للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل ● وليكونا ● بالمخففة ● من الصاغرين
اي الاذلاء في السجن وقد قرئ بالثقيل والمخففة ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط
موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التاكيد بحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية
ولا خيفة من احد فتضيق عليه الحيل ويعيي به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الايراق والارعاد مظنة لسؤال سائل
يقول فماذا صنع يوسف حينئذ ● قال ● مناجيا لربه عز سلطانه ● رب السجن ● الذي وعدتني بالالقاء فيه وقرئ بالفتح على المصدر ● احب الي ●
او اثر عندي لانه مشقة قليلة نافذة اثرها راحات جليلة ابدية ● مما يدعونني اليه ● من مؤاتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم
وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انحراف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها
اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة
خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها
وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ● والا تصرف ● اي ان لم تصرف ● عني كيدهن ● في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي
بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة ● اصب اليهن ● اي اميل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا
فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب
القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا
انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو الى
طيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق ● واكن من الجاهلين ● اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح ● فاستجاب له ربه ● دعاءه الذي تضمنه قوله
والا تصرف عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام
ما لا يخفى من اظهار اللطف ● فصرف عنه كيدهن ● حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة ● انه هو السميع ● لدعاء المتضرعين اليه ● العليم
باحوالهم وما يصلحهم ● ثم بدا لهم ● اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن
ذلك ● من بعد ما رأوا الآيات ● الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراي
المفهوم من السياق والمصدر المدلول عليه بقوله ● ليسجننه ● والمعنى بدا لهم بداء او راي وجه المحبوس قائلين والله ليسجننه فالقسم
المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان
مطواعة لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان
تأذن لي فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه وقد ارادت بذلك تحبيس [illegible] وقطعا لما [illegible] الا انفرت
حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او
العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الرأي المباشرين للحبس ● حتى حين ● الى حين انقطاع قالة الناس
وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها او يحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ● ودخل معه
السجن فتيان ● من فتيان الملك وعبيده احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك
في طعامه وشرابه فاجابا اليه ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الملك الطعام قال الساقي لا تأكل ايها
الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز

كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على الفاعل الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لايهام
العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ وتكون الجملة حالا من فاعل دخل فتأمل ● قال احدهما ● استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد
ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي ● اني اراني ● اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية ● اعصر خمرا ● اي عنبا
سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا ● وقال الآخر ● وهو الخباز ● اني اراني
احمل فوق رأسي خبزا ● تأخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله ● تأكل الطير منه ● اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال ● نبئنا
بتأويله ● بتأويل ما ذكر من الرؤيين او بتأويل ما رئي واجرى الضمير مجرى اسم الاشارة بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من
سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كأن ذلك والسر في التصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر او بما
رئي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحالة من احواله فلا يتسنى تأويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي
يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص
ما رآه فالخطاب المذكور ليس بحالهما ولا عبارة احدهما من جهتهما بالحكاية للمرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة
المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم
في زمانه بصيغة مفردة خاصة به ● انا نراك ● تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفتائهما منه عليه السلام ● من المحسنين ● من الذين
يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلا حسنا او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله
او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق
مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك
الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق
ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكن احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه
فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق
رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها ● قال لا يأتيكما طعام ترزقانه ● في منامكما حسب عادتكما المطردة
● الا نبأتكما بتأويله ● استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته
وسائر احواله ● قبل ان يأتيكما ● واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل
بالنظر الى ما رئي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الامر الآيل
لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق
للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور
المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقين
بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما
ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما
وان المنام [illegible] من فنون العلوم [illegible] في ذلك تأويل رؤياهما [illegible] وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان
فيه دلالة على فضله لانهما لما اعتقداه عليه السلام بالانتظام في سلك نمط المحسنين وانما قدما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام
فيهما خيرا او توجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير ما هو عمدة من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة
بامره [illegible] وبدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه ثم تخلص اليه من كلامهما فكانه قال تأويل ما قصصتماه علي في غاية الظهور
وانما شأني في المنام [illegible] اي نبئكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم ابينه
لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما ان علمه ذلك ليس من قبيل الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ● ذلكما ● اي ذلك التأويل
والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته ● مما علمني ربي ● بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي
لا يحوم حوله ادراك العقول ● ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب
اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال ● اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ● وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى معنى انه مما علمني بهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية
لان ما ذكر بصدد التعليل ليس علة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك

تلك العلوم البديعة تعليل لانى تركت ملة الكفرة اى دينهم الذى اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها وانما كان يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنها بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر فى اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر فى قوله تعالى انه عمل غير صالح • وهم بالآخرة • وما فيها من الجزاء • هم كافرون • على الخصوص دون غيرهم لافراطهم فى الكفر • واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب يعنى انما اختص بهذه الكمالات وفزت بتلك الكرامات بسبب انى اتبعت ملة آبائى الكرام ولم اتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه فى الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية مقدمة على التحلية • ما كان • اى ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع • لنا • معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا • ان نشرك بالله من شىء • اى شىء كان من ملك او جنى او انسى فضلا عن الجماد البحت • ذلك • اى التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء • من فضل الله علينا • اى ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا للعبادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل علينا بالذات • وعلى الناس • كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بفضل الله العزيز عن التوحيد الذى يوجبه بالشكر قيل • ولكن اكثر الناس لا يشكرون • اى لا يوحدون مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكرا لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان وللقطع بتوهم رجوعه الى المجموع الموهم بعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين وذلك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها فى دلائل التوحيد التى مهدها فى الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اى لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هى له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية • يا صاحبى السجن • اى يا صاحبىّ فى السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة فى مدار الاشجان ودار الاحزان التى تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال • أأرباب متفرقون • لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كل منهم حسبما اراد فى مراتب للآخر مع عدد واستقلاله • خير • لكما • ام الله • المعبود بالحق • الواحد • المتفرد بالالوهية • القهار • الغالب الذى لا يغالبه احد وتعبير ما بينهما على اسناد تعدد الارباب بين لما سقوط الهيهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال سعى الخطابات لمن ادلهم على دينهما • ما تعبدون من دونه • اى من دون الله شيئا • الا اسماء • فارغة لا مطابق لها فى الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط • سميتموها • جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها من مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم فى البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود • انتم وآباؤكم • بمحض جهلكم وضلالتكم • ما انزل الله بها • اى بتلك التسمية المستتبعة للعبادة • من سلطان • من حجة تدل على صحتها • ان الحكم • فى امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية • الا لله • عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره • امر • استئناف مبنى على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله كانه قيل فماذا حكم الله تعالى فى هذا الشأن فقيل امر على ألسنة الانبياء عليهم السلام • ان لا تعبدوا • اى بان لا تعبدوا • الا اياه • حسبما تقتضيه قضية العقل ايضا • ذلك • اى تخصيصه تعالى بالعبادة • الدين القيم • الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلى والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيان انهما على الرتبة ومرتبة علمه الواسع شرع فى تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال • يا صاحبى السجن اما احدكما • وهو الشرابى وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذرا من مشافهته بالسوء • فيسقى ربه • اى سيده • خمرا • روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اى يسقى ما يروى به • واما الآخر • وهو الخباز • فيصلب فتأكل الطير من رأسه • روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل • قضى • اى تم واحكم • الامر الذى فيه تستفتيان • وهو ما رآه من الرؤيين تطاولا الا انه الذى هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوجبه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون فى الحادثة لا فى حكمها يقال استفتى الفقيه فى الحادثة اى طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه فى حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان فى الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى فى حكمها او جوابها بكذا ومنها من علم وذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك الامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون فى النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما بذلك لما انهما بصدده الى ان يقضى عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال مآله لانه فى الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر فى عالم المثال بتلك الصورة وانما توحيده

مع تعدد رؤياهما لوارد على حسب ما وحداه فى قولهما نبئنا بتأويله لا لان الامر واحد بل لان الامرين انما هو واحد لا ليهما من سوء الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيهما هو صورته ومثال له وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا للتعبير وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعى الى جحود الشرابى الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه • وقال • اى يوسف عليه السلام • للذى ظن انه ناج • اوثر على صيغة المضارع مبالغة فى الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضى الامر الذى فيه تستفتيان وهو السر فى ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذى ظنه ناجيا • منهما • من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل فى ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه مما لا يخطر بباله عليه السلام لا سيما وقد تحقق الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجى بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى انى ظننت انى ملاق حسابيه فان التعبير بالوحى كما ينبئ عنه قوله تعالى قضى الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادى • اذكرنى • بما انا عليه من الحال والصفة • عند ربك • سيدك وصفنى له بصفتى التى شاهدتها • فانساه الشيطان • اى انسى الشرابى بوسوسته والقائه فى قلبه اشغالا لا تفرغه عن الذكر والا فالانساء فى الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام عند الملك والاستعانة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه • فلبث • اى يوسف بسبب ذلك الانساء او القول • فى السجن بضع سنين • البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم • وقال الملك • الريان • انى ارى • اى رأيت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية • سبع بقرات سمان • جمع سمين وسمينة ككرام فى جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام • يأكلهن • اى اكلهن والعدول الى المضارع للاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها • سبع عجاف • اى سبع بقرات عجاف وهى جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكنه حمل به من القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روى انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان • وسبع سنبلات خضر • قد انعقد حبها • واخر يابسات • اى وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت الخضر حتى غلبتها على ما روى ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات • يا ايها الملأ • خطاب للاشراف من العلماء والحكماء • افتونى فى رؤياى • هذه اى عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه • ان كنتم للرؤيا تعبرون • اى تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهى الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة فى المنام الى ما هى صور وامثلة لها من الامور الآفاقية والانفسية الواقعة فى الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اى ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المتأخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان تكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر • قالوا • استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هى • اضغاث احلام • اى تخاليطها جمع ضغث وهو فى الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها فى المنام والاحلام جمع حلم وهى الرؤيا الكاذبة الذى لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اى هى اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التى لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهى رؤيا واحدة مبالغة فى وصفها بالبطلان كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم ان لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردا ولتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل • وما نحن بتأويل الاحلام • اى المنامات الباطلة التى لا اصل لها • بعالمين • لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير فى تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع فى كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن التصرف والتكلف فى ذلك لما بين الآل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله • وقال الذى نجا منهما • اى من صاحبى يوسف وهو الشرابى • وادكر • بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اى تذكر يوسف عليه السلام وشؤونه التى شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ • بعد امة • اى مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان والجملة حال من الموصول او ضمير فى الصلة

وقيل يعطونه على نجاة وليس بذلك لان حق كل من الصفة والصلة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك
قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات انا انبئكم بتأويله وعقبه بقوله ● فارسلون ● اى الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما
سبق من التذكر وما لحق من قوله ● يوسف ايها الصديق ● اى ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة فى الصدق حسبما شاهده وذاق
احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال ● افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ● اى فى رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة
عليه حيث لا امكان لوقوعه فى عالم الشهادة اى بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام فى الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل
كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفى قوله افتنا مع انه المستفتى وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة
وانه فى ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال ● لعلى ارجع الى الناس ● اى الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن فى الخارج كما قيل
فانبئهم بذلك ● لعلهم يعلمون ● ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتخلص منه وانما لم يبت القول
فى ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا من المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه
● قال ● استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام فى التاويل فقيل قال ● تزرعون سبع سنين دابا ● قرئ بفتح الهمزة
وسكونها وكلاهما مصدر داب فى العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اى دائبين او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل
هو الحال واوّله عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين
على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذى هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم فى تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال
● فما حصدتم ● اى فى كل سنة ● فذروه فى سنبله ● ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك
بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا
للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان ● الا قليلا مما تاكلون ● فى تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل فى الاكل والاقتصار
على استثناء الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد ما امرهم بما هو من شروع فى بيان بقية التاويل التى تظهر
منها حقية الامر المذكور فقال ● ثم ياتى ● ومن عطف على تزرعون فلا وجه لحمله على معنى الامر حملا لهم على الجد والمبالغة فى الزراعة على انه يحصل بالاخبار
بذلك ايضا ● من بعد ذلك ● اى من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن
اوصاف المرجع بالكلية ● سبع شداد ● اى سبع سنين صعاب على الناس ● ياكلن ما قدمتم لهن ● من الحبوب المتروكة فى سنابلها وفيه تنبيه على ان امره
عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازى كما فى نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف
السمان والتعبير عن ذلك بالتقديم لما انه ما ادخر من السنابل من الحبوب شىء قد مهن وقدم لهن كالذى يقدم للنازل والا فهو فى الحقيقة مقدم
للناس فيهن ● الا قليلا مما تحصنون ● تحرزون لبذور الزراعة ● ثم ياتى من بعد ذلك ● اى من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل
الغلال المدخرة ● عام ● لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلى لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق
● فيه يغاث الناس ● من الغيث اى يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت فى وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اى امدنا برفع المكاره
حين اظلتنا ● وفيه يعصرون ● اى ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر
العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم فى الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ
المذكورات يتوقف صلاحها على مبادى اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتى باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهى التى يدور عليها حسن
موقعه عليه على الناس فى القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث
والعصر وزمانا وهو ظاهر واما لان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام
ولاجله قدم فى الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلى بيان انه يقع فى ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان فى ذلك العام
كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم فى سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة اليهما فى ذلك وان يكون ذلك
فى الاخير لمراعاة الفواصل وفى الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبنى للفاعل
ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت
معنى مطرت وتعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل الى ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك
وانما تلقاه عليه السلام من جهة الوحى فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق فى شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه فى الفضل
وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته فى المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما فى منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله
واتماما للنعمة عليهم حيث لم يبشر به عليه السلام فى الحلم لو توهمها احد ولو برؤية ما يدل عليها فى المنام ● وقال الملك ● بعدما جاءه السفير وسمع

منه ما سمع من تعبير رؤياه ● ائتونى به ● لما علم من علمه وفضله ● فلما جاءه ● اى يوسف ● الرسول ● واستدعاه الى الملك ● قال ارجع الى ربك ● اى سيدك
● فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ● اى فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد فى التفتيش ليتبين براءته
ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام فى البحث للتفصى عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالى به وانما لم يتعرض
لامرأة العزيز مع ما لقى منها ما لقى من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث كانت فى عدوة العداوة واما
النسوة فقد كان يطمع فى صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدى ولم يصرح
بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ● ان ربى بكيدهن عليم ● مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن
للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد ● قال ● استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك
اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ● ما خطبكن ● اى شانكن وهو الامر الذى يحق ان يخاطب المرء فيه صاحبه ● اذ راودتن يوسف ● وخادعتنه عن
نفسه ● ورغبتنه فى اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شائبة من سوء وريبة ● قلن حاش لله ● تنزيها له وتعجيبا من نزاهته وعفته ● ما علمنا عليه من سوء
بالغن فى نفى جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من ● قالت امرأة العزيز ● وكانت حاضرة فى المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت
ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة ● الآن
حصحص الحق ● اى ثبت واستقر وتبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهى القطعة من الجملة اى تبين حصة الحق من حصة الباطل
كما تبين حصص الاراضى وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه
اى القاها فى الارض للاناخة قال حصحص فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما والمعنى اقر الحق فى مقره ووضع فى موضعه ولم ترد بذلك
مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فى محل النزاع فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته فى سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه
التناجى بينهم العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت فى ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق فى نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام فى محل
النزاع وخيانتها فقالت ● انا راودته عن نفسه ● لا انه راودنى عن نفسى ● وانه لمن الصادقين ● اى فى قوله حين افترت عليه هى راودتنى
عن نفسى وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ما الخصحصة من ترى فوق هذه المرتبة من نزاهته حيث لم تتمالك
الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة
ساحته مما قرف به لاسيما عند العزيز قبل ان يحل ساعده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ● ذلك ● اى ذلك
التثبت المؤدى الى ظهور حقيقة الحال ● ليعلم ● اى العزيز ● انى لم اخنه ● فى حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعى تقديم التفتيش
على الخروج من السجن بل ليشمل ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان
ما اتهم به سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رايه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تحملا لامضاء
ما قضاه فلا يليق بجنابه عليه السلام الموثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله ● بالغيب ● اى بظهر الغيب وهو حال من الفاعل والمفعول
اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وايا ما كان فالمقصود بيان كمال
نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها ● وان الله ● اى وليعلم ان الله تعالى ● لا يهدى كيد الخائنين ● اى لا ينفذه
ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم فى كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما فى قوله تعالى يضلون الذين كفروا اى يضلهم
فى ذلك وفيه تعريض بامرأته فى خيانتها امانته وبه فى خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات نزاهته عليه السلام
ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته ● وما ابرئ نفسى ● اى لا انزهها عن السوء
قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربئا بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون فى شأن افعال العباد اى لا انزهها من السوء من حيث
هى هى ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ● ان النفس ● البشرية من حيث هى هى ● لامارة
بالسوء ● مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات فى تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله ● الا ما رحم
ربى ● من النفوس التى يعصمها من الوقوع فى المهالك ومن جملتها نفسى او هى امارة بالسوء فى كل وقت الا وقت رحمة ربى وعصمته لها وقيل
الاستثناء منقطع اى لكن رحمة ربى هى التى تصرف عنها السوء كما فى قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ● ان ربى غفور رحيم ● عظيم المغفرة
لما يعترى النفوس بموجب طباعها ومبالغ فى الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار فى مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية
لتربية مبادى المغفرة والرحمة وقيل هو ايضا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف عليه السلام انى لم اخنه ولم اكذب عليه
فى حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة حيث قلت فى حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربى الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربى غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عليه السلام

لا لخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك ائتونی به استخلصه ای اجعله خالصا لنفسی وخاصا بی فلما كلمه ای فاتوا به فكلمه
وعرف ان لا يدان لبركة الايمان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان امتداد والضمير المستكن فی كلمه ليوسف والبارز للملك
ای فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن
على كل شیء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روی انه عليه
السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انی اسألك بخيرك من خيره
واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابی وكان الملك يعرف سبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤیای شفاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها
فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفی قطفير فی تلك الليالی فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم وميشا
ولعل ذلك انما كان بعد تعبيره عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلنی على خزائن الارض
ای ارض مصر ولنی امرها من الايراد والصرف انی حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية
اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام
ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل فی التأويل
لكونه من فروع تلك الولاية لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض
ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غنی عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين
امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة فی ذلك قيل وكذلك ای مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف ای جعلنا له
مكانا فی الارض ای ارض مصر روی انها كانت اربعين فرسخا فی اربعين وفی التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين فی الارض مسندا الى ضمير العظمة
من التشريف عليه السلام والمبالغة فی كمال ولايته والاشارة الى حصولها من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل
من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكه وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما
يتصرف الرجل فی منزله وقرأ ابن كثير بالنون روی ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر
والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسی ولا لباس آبائی فقال
قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض له الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال
والنساء وباع من اهل مصر فی سنی القحط الطعام فی السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفی الثانية بالحلی والجواهر وفی الثالثة بالدواب
ثم الضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع
من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا فی الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء
بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من نصيبه
من الرحمة الموصوفة وانها اجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التأكيد ولاجر الآخرة ای اجرهم
فی الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذی لا نفاد له خير لهم ای للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا
وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من الجمع بين صيغتی الماضی والمستقبل وجاء اخوة
يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه
ای على يوسف وهو فی مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه
هيئاتهم وزيهم فی الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما فی زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون
ای والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام فی نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم
له امرا مستمرا فی حالتی الحضور والغيبة اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم ای اصلحهم بعدتهم
من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتونی بأخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم
مبالغة فی اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قال لما قيل من انهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم
ذلك وشرطهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم او لما قيل من انه لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فانی انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد
فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبی من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم
قالوا كنا اثنی عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادی عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن
يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندی رهينة وائتونی باخيكم

من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده او لا يأتيه ورود الامر بالاتيان به ولاجل بضاعتهم عند التجهيز ولاجل عليه بايفاء
الكيل والاحسان فی الانزال والامتنان على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولاجل بضاعتهم فی رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدم الاتيان به بطريق المراد
ولا تغليظهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال
الا ترون انی اوفی الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير
المنزلين جملة حالية ای الا ترون انی اوفی الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال انی فی غاية الاحسان فی انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية
بالايفاء لوقوع الخطاب فی اثنائه واما الاحسان فی الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخرجه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام
بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار فی الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم فی ذلك كمعاملته مع غيرهم فی مراعاة مواجب
العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم فی ذلك بما شاء فان لم تأتونی به فلا كيل لكم عندی ای فيما بعد فضلا عن ايفائه ولا
تقربون بدخول بلادی فضلا عن الاحسان فی الانزال والضيافة وهو اما نهی او نفی معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية
الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه ای سنخادعه عنه ونحتال فی انتزاعه من يده
ونجتهد فی ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه
لا نتعايا به وقال يوسف لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهی جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم فی رحالهم فانه وكل
بكل رحل يعبی فيه بضاعتهم التی شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند
ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها ای يعرفون حق ردها
والتكرم فی ذلك او لكی يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا
واما معرفة حق التكرم فی ردها فهی وان كانت فی نفسها غير مقيدة بذلك لكنها لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون
حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعی الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام
لما لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق فی نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علية الجعل المذكور للرجوع من جهة انه ربما
علمهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت فی رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة
التعبئة تنادی بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة
كما سيحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل ای فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة
على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار
المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائی بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال
او يكتل لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل
وقد قلتم فی حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظا
وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمنی بحفظه ولا يجمع علی مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ای تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء
كما قيل فی قيل وكيل قالوا استئناف مبنی على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح
يا ابانا ما نبغی اذا فسر البغی بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبغی وراء ما وصفنا لك من احسان الملك
الينا وكرمه الداعی الى امتثال امره والمراجعة اليه فی الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا
كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار
من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردت الينا تفضلا من حيث لا ندری بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد
منا نطلبه فلم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به فی استيجاب الامتثال لامره والالتجاء
اليه فی استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول
للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير
اهلنا ای نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة ای فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من
المكاره حسبما وعدنا فلا يصيبه من مكروه ونزداد ای بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الامرين والمزيد كيل بعير
ای وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك ای ما يحمله اباعرنا كيل يسير ای مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف

ووقع تعليلا لما سبق كأنه قيل لم حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه
لا يتعاظمه او اى مطلب من مهماتنا و الجمل الواقعة بعده هنا توضيح و بيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين
من تحصيله فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها و نمير اهلنا و نحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره و نزداد بسببه غير ما نكاله
لانفسنا اى كيل بعير فاى شيء نبتغي شيئا وراء ما رأينا و راء هذه المباني و قرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اى اى شيء تبغي
وراء هذه المباني المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه
والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اى شيء تبغي شاهدا على ما صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن
الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار و اما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او
ما نبغي في هذه المباني وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له و اما ان فسر البغي بـ
مجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول و ما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا و كرمه الموجب لما ذكر
والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي و قوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اى ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه
ونحصل ما نمير به اهلنا ونحفظ اخينا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اى جملة
اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا ونسعى في ذلك كقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى و انت خبير بان شأن
الجمل التذييلية ان يكون موكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق
بالحق والحق ابلج وان قوله ونمير ليس كذلك وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا فنعزل من ذلك او ما نبغي في الرأي
وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل بعدها تفصيل وبيان لعدم بغيهم
واصابة رأيهم اى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها و نمير اهلنا و نصنع كيت وكيت فتأمل • قال لن ارسله معكم •
بعد ما عاينت منكم ما عاينت • حتى تؤتون موثقا من الله • اى ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله
موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به ماذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا • لتأتنني به • جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني • الا ان يحاط بكم • اى الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة
العدو وقال من احاط به العدو فقد هلك فانها وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على
انه ويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اى لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال
الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اى ما اريد منك الا فعلك وقد
جوز الاول بلا تأويل ايضا اى لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الا بيان
به من الافعال المثبتة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي لم يكن
مراده عليه الصلاة والسلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت
صل الا ان يكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لا يحجن العام الا ان احصر فان مرادك
انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج الا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل
كما هو مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال فيه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى النار سبيل
المذكور • فلما اتوه موثقهم • عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام • قال الله على ما نقول •
اى على ما قلنا من طلب الموثق واعطائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المودي الى تثبتهم
ومحافظتهم على تذكره • وكيل • مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم
• وقال • ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا • يا بني لا تدخلوا • مصر • من باب واحد • نهاهم
عن ذلك حذرا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا اجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد
اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مظنة لان يعانوا اذ ما طمح كل ناظر وطموح كل طامح واصابة
العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه الصلوة والسلام ان العين حق
وعنه عليه الصلاة والسلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله عليه وسلم
يعوذ الحسنين رضي الله تعالى عنهما بقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل
عين لامة وكان يقول ابوكما كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق عليهم الصلوة والسلام رواه البخاري
في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان في دخولهم

منها بين ادلالة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال • وادخلوا من ابواب متفرقة • بيانا لما هو المراد بالنهي اذ لم
يكف بهذا الامر لكونه مستلزما لما له اظهارا لكمال العناية به وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تخصيص شيء اخر • وما اغني عنكم • اى لا انفعكم ولا ادفع
عنكم بتدبيري • من الله من شيء • اى شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير
وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه • ان الحكم • مطلقا • الا لله •
لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء • عليه • لا على احد سواه • توكلت • في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل • وعليه
دون غيره • فليتوكل المتوكلون • جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل
بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم
وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير • ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم • من الابواب المتفرقة
من البلد قيل كانت اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه • ما كان • ذلك الدخول • يغني • عنهم • شيئا فيما
عنده ووقوع ما وقع • عنهم • من الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة
الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده
الجمع المذكور من بعد وكون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل • من الله • من جهته • من شيء • اى شيئا مما قضاه عليهم مع كونه
مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تعالى • فليس المراد
بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم
بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونه متوقعا في بادي الرأي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان
المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونه مرجوا بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمال بيان عدم ترتب الغرض
المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا لبيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد بذلك ايضا بناء على ما ذكره عليه السلام
تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال
عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل • الا حاجة • استثناء منقطع اى ولكن حاجة وحرارة كائنة • في
نفس يعقوب قضاها • اى اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها
للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول
يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين ليس
للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها
مقتضية عليهم • وانه لذو علم • جليل • لما علمناه • لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر
وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الامر
كما قال وفي تأكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب
عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما قيل
من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي • ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه • بنيامين اى ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال
لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف
حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني معه فيكون
معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه
وتعرف اليه وعند ذلك • قال اني انا اخوك • يوسف • فلا تبتئس • اى فلا تحزن • بما كانوا يعملون • بنا فيما مضى
فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير فلا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي الله عنه وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال
له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا
افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل
ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فلما

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ◦ اى المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب
ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه يستعمله
الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر ◦ فى رحل اخيه ◦ بنيامين وقد روى وجعل على حدة جراب لما تقدم انهم حتى انطلقوا ◦ ثم اذن مؤذن ◦ نادى مناد
ايتها العير ◦ وهى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل
سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما فى قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا
منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا وردوا ◦ انكم لسارقون ◦ هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له
من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر والاوفق للسياق وقرأ اليمانى سارقون
بلا لام ◦ قالوا ◦ اى الاخوة ◦ واقبلوا عليهم ◦ جملة حالية من ضمير قالوا جئ بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم ◦ ماذا تفقدون ◦
اى تعدمون تقول فقدت الشئ اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم
شئ فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شئ فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعات حسن الادب والاحتراز عن المجازفة
وفيه البراءة الاحترازية لاسيما بطريق التأكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث ◦ قالوا ◦ فى جوابهم ◦ نفقد صواع الملك ◦ ولم يقولوا سرقتموه
او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة والصياغة ثم قالوا ترغيبا لما تلقوه من فيهام وزيادة لاعتقاد
انه انما بقى فى رحلهم اتفاقا ◦ ولمن جاء به ◦ من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش ◦ حمل بعير ◦ من الطعام جعلا له لاجل رنّة تحقيق لوعدهم بامتناع
وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد فى رحله ◦ وانا به زعيم ◦ كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن ◦ قالوا تالله ◦ الجمهور على ان التاء
بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء
وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجيب ◦ لقد علمتم ◦ علما جازما مطابقا للواقع ◦ ما جئنا لنفسد فى الارض ◦ اى لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد
او لنفسد فيها اى فساد كان ... فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفى المجئ للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من
نفى الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجئ الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتسرية
الاستحالة صدوره عنهم كما قيل فى قوله تعالى ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد فالكلام على نفى المبالغة فى الظلم دون نفى الظلم
فى الجملة الذى هو مقتضى المقام من ان المعنى لو عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا فى الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا
لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم فى كرتى مجيئنا ما نحن عليه وقد كنا على غاية ما يكون من الديانة
والصيانة مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر عنا افساد ◦ وما كنا سارقين ◦ اى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك
لان العلم باحوالهم المشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفى الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا
للتعجب المفهوم من تاء القسم ◦ قالوا ◦ اى اصحاب يوسف عليه السلام ◦ فما جزاؤه ◦ الضمير للصواع على حذف المضاف اى فما جزاء سرقته عندكم
وفى شريعتكم ◦ ان كنتم كاذبين ◦ لا فى دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفى كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل
◦ قالوا جزاؤه من وجد ◦ اى اخذ من وجد الصواع ◦ فى رحله ◦ حيث ذكروا بعنوان الوجدان فى الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها
فى اعتقادهم المبنى على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد فى يده مال غيره
كيف ما كان فتأمل واحمل كلا من كلامى الفريقين على ما لا يزاحم رأيه فانه ادرب الى معنى الكيد واجدى من الافترا وقوله ◦ فهو جزاؤه ◦ تقرير لذلك الحكم
اى فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل
جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو على ان الاول للمن والثانى للظاهر الذى وضع موضعه ◦ كذلك ◦ اى مثل ذلك الجزاء الاوفى ◦ نجزى الظالمين ◦
بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون ◦ فبدأ ◦ يوسف بعد
ما رجعوا اليه للتفتيش ◦ باوعيتهم ◦ باوعية الاخوة العشرة اى بتفتيشها ◦ قبل ◦ تفتيش ◦ وعاء اخيه ◦ بنيامين لنفى التهمة روى انه لما بلغت
النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا ◦ ثم استخرجها ◦ اى السقاية
او الصواع فانه يذكر ويؤنث ◦ من وعاء اخيه ◦ لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى الاخ قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ
بضم الواو وبقلبها همزة كما فى اشاح فى وشاح ◦ كذلك ◦ نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما فى ذلك من معنى
البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث
لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل ◦ كدنا ليوسف ◦ صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام
فى قوله تكيد والكيد كيدا فانما داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى ◦ ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك ◦ استئناف

وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله فى دين الملك
فى امر السارق اى فى سلطانه قاله ابن عباس او فى حكمه وقضائه قاله قتادة الا به لان جزاء السارق فى دينه انما كان
ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه الصلوة والسلام
فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التى نسبها اليه فى حال من الاحوال ◦ الا ان يشاء الله ◦ اى
الا حال مشيئته التى هى عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون
الا اخذ الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال
والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون العنصر المستفاد من تقدير المجرور مأخوذا بالنسبة
الى العزم مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه الصلوة والسلام
عن اخذ اخيه فى دين الملك فى شأن السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك فى امر
السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له
ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ليأخذ اخاه فى دين الملك به الا ... مستثنيا له بايجاد
ما جرى مجرى الجزء الصورى من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغى
ان يحمل العصرية تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اى مثل ذلك
التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الى آخره وعلى كل حال فالاستثناء من اعم
الاحوال ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اى لم يكن ليأخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب
الا لعلة مشيئته سبحانه وتعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق
اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين
الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدرى ان
المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغييره مخل بالاتصال ◦ ... ◦ وارادة مطلق ما يتدين به
اعم منه ومما حدث تفضى الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف
عليه الصلوة والسلام من اخذ اخيه حينئذ ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك
واذا دل على عجزه مطلقا تؤدى الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة
من احوال عجزه عليه الصلوة والسلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور
فتدبر وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذه بمشيئة الله سبحانه وتعالى واذنه فى دين غير دين
الملك ◦ نرفع درجات ◦ اى رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية
او الظرفية او على نزع الخافض اى الى درجات والمفعول قوله سبحانه وتعالى ◦ من نشاء ◦
اى نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف عليه الصلوة
والسلام وايثار صيغة الاستقبال ◦ ... ◦ للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة
بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ◦ وفوق كل ذى علم عليم ◦
من اولئك المرفوعين ◦ عليم ◦ لا ينالون شأوه والعلوان ان يجعل الكيد عبارة عن المعنيين
الاولين فالمراد برفع يوسف عليه الصلوة والسلام ما اعتبر فيه بالشرطية او الشرطية من ارشاده
عليه الصلوة والسلام الى دس الصواع فى رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء
اخيه مما ينبه من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ
اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف عليه الصلوة والسلام واصحابه الى ما صدر عنهم
ولم نكتف بما صدر من قبل يوسف عليه الصلوة والسلام فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك
فقوله نرفع درجات الى قوله سبحانه وتعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه
اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شئ بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد
منهم عليم لا يبلغ درجته ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم وقد رفع يوسف
الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفى بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور

مكان ما كان وكان عليه الصلاة والسلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجوّز
وعلى وان القرين لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه
عز وعلا وجلاله وعلمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم
والافتاء وان لم يكن واطلاعه قدرته عليه السلام لكنه كان واطلاعه عليه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ
الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات
من نشاء توضيح لقوله كذلك وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف بجرنه اليها وقوله وفوق
كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله
عنه فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم ودرجات من نشاء
بالاضافة والاول انسب اي بالتذييل حيث تسبب منه الرفع الى من تسبب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير
ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى الدرجة اللائقة به والله تعالى اعلم ● قالوا ان
يسرق ● يعنون بنيامين ● فقد سرق اخ له من قبل ● يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من
انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها
اسحاق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت
منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف عليه السلام فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب
عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره فالقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا
صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه ● فاسرها يوسف ● اي اكن الحزازة الحاصلة مما قالوا ● في نفسه ● لا انه اسرها لبعض
اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ● ولم يبدها لهم ● لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق ● قال ●
اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فما قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار
فقيل قال ● انتم شر مكانا ● اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير
للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا ● والله اعلم بما تصفون ● اي عالم بالغ الى اقصى المراتب فان الامر ليس كما تصفون
من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من
علم ● قالوا ● عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين ● يا ايها العزيز ان له ابا ● لم يريدوا بذلك الاخبار بان
له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا ● شيخا كبيرا ● في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة
به يتعلل عن شقيقه الهالك ● فخذ احدنا مكانه ● فلنا عنده منزلة من المحبة والشفقة ● انا نراك من المحسنين ●
الينا فاتمم احسانك بهذه النعمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك ● قال معاذ الله ● اي نعوذ بالله معاذا من ان
ناخذ ● فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار ● الا من وجدنا متاعنا عنده ● لان اخذنا
له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخذ لغيره وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد
من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل والعقد
وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان
الصواع في الرحل على محمل غير السرقة ● انا اذا ● اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه ● لظالمون ● في مذهبكم
وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي [illegible] بالكلام في اثناء المحاورة وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان اخذ
بنيامين لمصالح يعلمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي ● فلما استيأسوا منه ● اي يئسوا من يوسف
واجابته لهم اشد ياس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال
على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا
لظالمون ● خلصوا ● اعتزلوا وانفردوا عن الناس ● نجيا ● اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى التناجي او فوجا نجيا
على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يراد
منهم نجي كانهم عين التناجي لانه من المصادر من الزفير والزئير ● قال كبيرهم ● في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم
وهو شمعون ● الم تعلموا ● لانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم ● الم تعلموا ان اباكم قد اخذ
عليكم موثقا من الله ● عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكونه حلفا باسمه الكريم ● ومن قبل ●

اي من قبل هذا ● ما فرطتم في يوسف ● قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة
او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شأن يوسف عليه السلام
ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع
في شأن يوسف عليه السلام او ان تفريطكم الكائن في شان يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك
التفريط لا بكون تفريطهم السابق كائنا في شأن يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان
الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل
ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا
على اسم ان والرفع على الابتداء فقد عرفت حاله ● فلن ابرح الارض ● متفرع على ما ذكره وذكروه اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي
فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق ● حتى ياذن لي ابي ● في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع
بغير اذن يعقوب عليه السلام ● او يحكم الله لي ● بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز
في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن لنا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقي بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه
وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال
روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب ● وهو خير الحاكمين ● لا يحكم الا بالحق والعدل ● ارجعوا ● انتم ● الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق ● على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة ● وما شهدنا ● عليه ● الا بما علمنا ● وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه
● وما كنا للغيب ● اي باطن الحال ● حافظين ● فلا ندري ان حقيقة الحال كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق
انه سيسرق او انه بلى بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف ● واسأل القرية التي كنا فيها ● اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي
اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة ● والعير التي اقبلنا فيها ● اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران
يعقوب عليه السلام وقيل من صنعاء ● وانا لصادقون ● تاكيد في محل القسم ● قال ● اي يعقوب عليه السلام وهو استيناف مبني على سؤال
نشأ مما سبق فكأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان
بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج الى الجواب ابيهم ● بل سولت ● اي زينت وسهلت وهو اضراب
لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول
او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت ● لكم انفسكم امرا ● من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته ● فصبر جميل ●
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل ● عسى الله ان ياتيني بهم جميعا ● بيوسف واخيه والمتوقف بمصر ● انه هو العليم ● بحالي وحالهم ● الحكيم ●
الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة ● وتولى ● اي اعرض ● عنهم ● كراهة لما صادف منهم ● وقال يا اسفى على يوسف ● الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه
الى نفسه والالف بدل من الياء تناداه اي يا اسفى تعال فهذا اوانك وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزءه كان قاعدة
الارزاء عنده وان تقادم عهده اخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما طامعا في اياهما واما يوسف فلم يكن في
شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما زيد به بهجة النظم الكريم كما في قوله عز وجل وهم
يحسبون انهم يحسنون وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله من كل الثمرات وجئتك من سبا بنبا يقين ونظائرها ● وابيضت عيناه من الحزن ●
الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب
من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل
جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله
تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدة
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك
يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين
صوت عند الفرح وصوت عند الترح ● فهو كظيم ● مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم
من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه ● قالوا
تالله تفتؤ ● اي لا تفتؤ ولا تزال ● تذكر يوسف ● تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات

قال المفسر اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل
مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر ككتف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي من الميتين قال انما اشكوا
بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكا فقال لهم اني لا اشكوا ما بي اليكم
والى غيركم حتى تتسلوني وانما اشكوا همي وحزني الى الله تعالى ملتجيا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله
ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا والهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف وقيل رأى ملك الموت
عليه السلام في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه لا يموت حتى يخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي فتعرفوا
وهو تفعل من الحس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله
لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد منه الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون [illegible]
من ترك الحيل موجب لتبنيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال
فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى امتثال امره واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر
الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة
مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم
بتعيين الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله
الضحاك وابن جريج وهو الاشبه لانهم نظروا الى ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا
او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بنا على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا
للرأفة والشفقة ليبعثوا انما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما تساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي
المتصدقين يحتمل الحمل على المحاباة مثله عليه السلام محمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد
بذلك افرادهم من يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم
والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم عليه او جاهلون عاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم
لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما يرجعهم وقطعهم
من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلبهما بعد ما تبين ان يجوز ان يبعث عليه السلام بطريق الوحي والالهام او على وصية ابيه وارساله اياهم للتجسس
عنه وعن اخيه فلما رآهم قد استعطفوه من ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق
ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله تعالى
وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته
الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا
ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام
فلما قرأه يوسف لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام
تقرير ولذلك اكد بان واللام وقرأه ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه
وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ ائنك او انت يوسف على معنى ائنك انت يوسف
او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف اجابهم عما سألوه عنه وقد زاد عليه قوله وهذا اخي
اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه تقريره قد من الله علينا
فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التعريض والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص مما ابتليتنا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة
بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم رد بنيامين بانه اخي فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق
الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق عقابه فاوجب حفظ الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة
الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين
بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا
وان الشأن كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك

قال لا تثريب اي لا تعنيف ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد
والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب
او بالمقدر خبر اللا او بلا اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم
لانه صفح عن جريمتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه
عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرطنا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت
فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث علم
الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا او يأت الي بصيرا
ويتصره قوله وأتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن يشمله لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهوذا وقال
انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما
فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه انفصل العير
قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل
به يهوذا لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف ونقصان العقل وضعف الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة
اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء
البشير وهو يهوذا القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او بقوله ولا تيأسوا من روح
الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب لقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة
الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله
تعالى اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال
على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له
فكأنهم قالوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار وادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر
لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وعد الاستغفار بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره
الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب
دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على
الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي
جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي
انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم
فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما لقيه قال السلام
عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال
بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف اوى اليه ابويه اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام تنزيل العم
منزلة الاب في قوله عز وجل واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحاق كانت امه
في الحيوة فلا حاجة الى التاويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانه عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فاواهما اليه
وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على
العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية
والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه
وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي التي رأيتها او قصصتها عليك من
قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله اقيم الصلوة لدلوك

لعبدلكم حسب لا يعني وتاخيره من الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تاخيره عن خرورهم ليتصل به
ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله ● وقد احسن بي ● المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله تعالى وبالوالدين
احسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اى لطف بي محسنا الي هذا
الاحسان ● اذ اخرجني من السجن ● بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب
خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه وقوله تعالى ● وجاء بكم من البدو ● اى البادية ● من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ● اى افسد بيننا
بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى
الشيطان ● ان ربي لطيف لما يشاء ● اى لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل
● انه هو العليم ● بوجوه المصالح ● الحكيم ● الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روى ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه
فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك لما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فاسأله قال جبريل الله
تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروى ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان
يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم
له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال ● رب قد آتيتني من الملك ● اى بعضا منه عظيما وهو ملك مصر ● وعلمتني من تاويل الاحاديث ●
اى بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر
واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤى كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه
والملك اعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يكن لشبهة بهذا الاعتذار رضيا سبق لان التعليم
هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير في الذكر والعطف بحرف
الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود ● فاطر السموات والارض ● مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر وصفه تعالى
به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله ● انت وليي ● مالك اموري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة
فيهما واذ قد تمت على نعمة الدنيا ● توفني ● اقبضني ● مسلما والحقني بالصالحين ● من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة
فلما تم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاجروا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان
ان يجعلوه في تابوت من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افراثيم
وميشا وافرايم ولد نون ويوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا
دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ● ذلك ● اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من
الدلالة على بعد منزلته او لكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره ● من انباء الغيب ● الذي لا خبر
حوله احد وقوله ● نوحيه اليك ● خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر
نوحيه اليك ● وما كنت لديهم ● اى لدى اخوة يوسف ● اذ اجمعوا امرهم ● وهو جعلهم اياه في غيابة الجب ● وهم يمكرون ● به
ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه
السلام في مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم
يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ان ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا
سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب من الاشياء عند المكذبين ايضا ولم يكن بينهم
عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فانهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ
هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق لا يحصل الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك
بالحضور تعين انه بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
● وما اكثر الناس ● يريد به العموم او اهل مكة ● ولو حرصت ● اى على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك فانك
● بمؤمنين ● لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روى ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم
بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك ● وما تسألهم عليه ● اى على الانباء او على القرآن
● من اجر ● من جعل كما يفعله حملة الاخبار ● ان هو الا ذكر ● عظة من الله تعالى ● للعالمين ● كافة لا ان ذلك مختص بهم ● وكاين من آية
اى كم عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته في هذه الآية التي جبت بها ● في

السموات والارض ● اى كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الدالة على
● يمرون عليها ● اى يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤون الارض يمرون عليها وفي
مصحف عبد الله يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر ● وهم عنها معرضون ● غير ناظرين اليها
ولا متفكرين فيها ● وما يؤمن اكثرهم بالله ● في اقرارهم بوجوده وخالقيته ● الا وهم مشركون ● بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان
اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اى لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم
قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب ● افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ● اى عقوبة تغشاهم وتشملهم
● او تأتيهم الساعة بغتة ● فجأة من غير سابقة علامة ● وهم لا يشعرون ● باتيانها غير مستعدين لها ● قل هذه سبيلي ● وهي الدعوة الى
التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ● ادعوا الى الله على بصيرة ● بيان وحجة واضحة غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل
فيها معنى الاشارة ● انا ● تاكيد للمستكن في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ● ومن اتبعني ● عطف عليه ● وسبحان الله
● وما انا من المشركين ● مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله ● وما ارسلنا من قبلك الا رجالا ● رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة ● نوحي اليهم
كما اوحينا اليك وقرئ بالياء ● من اهل القرى ● لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ● افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ● من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ● ولدار الآخرة ● اى الساعة والحياة الآخرة ● خير للذين
اتقوا ● الشرك والمعاصي ● افلا تعقلون ● فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء ● حتى اذا استيأس الرسل ●
غاية لمحذوف دل عليه السياق اى لا يغرنهم تمادي ايامهم فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم
لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع ● وظنوا انهم قد كذبوا ● كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه
يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا
القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا ● جاءهم نصرنا ● فجأة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فان
صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس واما ما يرجح بالظن بقولا للجانب واما الظن الذي هو
ترجيح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله سبحانه منزلتهم
وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اى ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء
الفاعل على ان الضميرين للرسل اى ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما جاءوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا وعلى ان الاول للقوم ● فنجي من نشاء
هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ ننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ نجا ● ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين ● اذا نزل بهم وفيه
بيان لمن تعلق بهم المشيئة ● لقد كان في قصصهم ● اى في قصص الانبياء واممهم ويؤيده قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته ● عبرة
لاولي الالباب ● لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والحس ● ما كان ● اى القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة ● حديثا يفترى ولكن
كان ● تصديق الذي بين يديه ● من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ولكن هو تصديق الذي بين يديه ● وتفصيل كل
شيء ● مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات او بوسط ● وهدى ● من الضلالة ● ورحمة ● ينال بها
خير الدارين ● لقوم يؤمنون ● اى يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه ● عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد اربع واربعون آية مكية

● المر ● اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم
بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى ● تلك ● على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول المعبر به اليه ايذانا
بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر واردا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم
وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى ● آيات الكتاب ● اى الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف
المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة
يونس عليه السلام والاظهر ان المراد به القرآن المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف آيات يونس بما اضيفت اليه من نعوت الكمال
خلا انا اذا جعلنا عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة
عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس ● والذي انزل اليك

من ربك اى الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها • الحق • الثابت المطابق للواقع فى كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها
والتعبير عنه بما يدل على ان ما عداه ليس حقا اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه
وفى التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبنى للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة
المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى • ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • بذلك الحق المبين
لاخلالهم بالنظر والتامل والظرفية تعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد
على طريقة الوصف دون الاخبار • الله الذى رفع السموات • اى خلقهن مرتفعات على طريقة قوله سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض
لا انه رفعها بعد ان لم يكن كذلك والجملة مبتدا وخبر كقوله وهو الذى مد الارض • بغير عمد • اى بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به
اى يسند يقال عمدت الحائط اى ادعمته وقرئ عمد على جمع عمود كعمد جمع عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفى عن كل واحدة منها
عمد لا عماد • ترونها • استيناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جىء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هى قدرة الله سبحانه
• ثم استوى • اى استولى • على العرش • بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والمراد
به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى حمل كلمة ثم للتراخى فى الرتبة • وسخر الشمس والقمر • ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركة
وغيرهما • كل • من الشمس والقمر • يجرى • حسبما اريد منهما • لاجل مسمى • لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما
يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهى فيها حركاتهما ويخرج جميع ما يريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها
ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما • يدبر • باصنع من الرفع والاستواء والتسخير اى يقضى وينفذ حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة • الامر •
امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته • يفصل الايات • الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اى يأتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الافعال
العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للاثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير والجملتان
اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او
كلتاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجرى لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله على ان قوله الذى رفع الموصول صفة للمبتدا وجىء به
للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما فى قول الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول • لعلكم • عند معاينتكم لها
ومشاهدتكم على ما قسنا لها • بلقاء ربكم • بملاقاته للجزاء • توقنون • فان من قدر على اختراع هذه الصنائع البديعة
على كل شىء قدير وان لهذه التدبيرات المتقنة مراتب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين
ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء لما ذكر من الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال • وهو الذى مد الارض •
اى بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه وفيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها • وجعل فيها رواسى •
اى جبالا ثوابت فى احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغنا غلبة الوصف بها عن ذلك والحصا دحى فواعل جمع فاعل
فى فوارس وعوادل وقد اكثر استعماله فى صفات العقلاء اما فى غيرهم فلا فلو فرض ذلك اصلا كما فى قوله تعالى ايام معدودات وقوله الحج اشهر معلومات
[illegible] فلا حاجة الى الحمل على ان يفردها صفة لجمع القلة اعنى اجبالا وتعبر بجمع الكثرة اعنى جبالا لا اسقاطها لطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها
منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعيته كل من صيغتى الجبال اما من اجبال والافراد التى تحتها لا اجاعنها واستطاعة جمع القلة
للافراد جمع الكثرة لجمع القلة فكل منهما جمع جبال لا اجبال كما ان طوائف جمع طائفة ولا مال لهذا الى حمل الوصف المذكور بالغلبة
في عداد الاسماء التى تجمع على فواعل كما قيل على انه لا وجه له فان الغالبة انما هى فى الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع
قرار الارض على ثباتها • وانهارا • مجارى واسعة والمراد ما جرى فيها من المياه وفى نظمها مع الجبال فى جملة مفعولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال
منشأ للانهار وبيان لما يدل عليه الجبال من كونها حافظة للارض من الاضطراب لحل بفيضان الانهار وتعاقب الجريان متعرضة على مكنه وتقلبه
وعيشه بالماء والكلأ • ومن كل الثمرات • متعلق بجعل فى قوله تعالى • جعل فيها زوجين اثنين • اى صنفين حقيقيين وهما الفردان
اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين لئلا يتوهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينيته ذلك الاثنينية
اعتبارية اى جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة فى الدنيا ضربين وصنفين اما فى اللون كالابيض والاسود او فى الطعم كالحلو والحامض
او فى القدر كالصغير والكبير او فى الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثانى استينافا
لبيان كيفية ذلك الجعل • يغشى الليل النهار • استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء
الظاهرة بالاغطية اى يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقدير المفعول الثانى على الاول فان تغشية النهار ايضا ساتر
لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشى وعدم هذا فى تضاعيف الايات السفلية وان كان تعلقه بالايات العلوية ظاهرا
باعتبار ان ظهوره فى الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث عقده
العقد لا انضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشى من التغشية • ان فى ذلك • اى فيما ذكر من مد الارض وايجادها بالرواسى واجراء الانهار
وخلق الثمرات واغشاء الليل والنهار وفى الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه فى بابه • لايات • باهرة وهى اثار
عظيمة لتلك الافاعيل البديعة جزئية • لقوم يتفكرون • فان التفكر فيها يؤدى الى الحكم بان يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب
اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد • وفى الارض قطع • جملة مستانفة على طائفة اخرى من الايات
اى بقاع كثيرة مختلفة فى الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك • متجاورات • اى متلاصقات بعضها
الصالح قطعا متجاورات اى جعل فى الارض قطعا • وجنات من اعناب • اى بساتين كثيرة منها • وزرع • من كل نوع من انواع الحبوب وافراده
لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها فى اختلاف ما يباينها اساورها ورسوخ ذلك فيها وتاخير قوله تعالى
• ونخيل • لئلا يقع بينها وبين صفتها وهى قوله تعالى • صنوان وغير صنوان • فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهى النخلة التى لها
راسان واصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بنى تميم وقيس كذئبان بالضم وقرئ بالجر على النخيل وبالجر على المراعاة فليعلم من نظم قوله تعالى
وفى الارض قطع متجاورات فى هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم حالت مدة
حين مد الارض ودحاها الايماء الى كون تلك الاحوال صفات راجحة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وجنات
• يسقى • اى ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتانيث مراعاة للفظ والاول ادق بمقام بيان اتحاد الكل فى
حالة السقى • بماء واحد • لا اختلاف فى طبعه سواء كان السقى بماء الامطار او بماء الانهار • ونفضل • مع تأخذ اسباب التشابه بمحض
قدرتنا واختيارنا • بعضها • على بعض اخر منها • فى الاكل • فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل رد الى قوله يدبر
ويفصل ويغشى وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل اخر من بناء الفعل
للفاعل • ان فى ذلك • الذى فصل من احوال القطع والجنات • لايات • كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون • يعملون على قضية عقولهم من عقل
هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم فى الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح
فى تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هى اهون فى القياس وهذه الاحوال وان كانت فى انفسها
انفسها لا انما فيها الا انه قد جرت عنها امثالها مبالغة فى كونها اية بل جريه مثلها فى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المساواة لبيان الاحوال الكلية
والايات افرادها الحادثة شيئا فشيئا فى الازمنة واحادها الواقعة فى الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها نص على معناها وحيث كانت دلالة
هذه الاحوال على مدلولها اظهر مما سبق على كونها ايات محض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض فى الاكل الظاهر لكل عاقل
مع تحقق ذلك فى الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة فى ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين
غير عاقلين • وان تعجب • يا محمد من شىء بعد ذلك • فعجب • لا عجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب • قولهم • بعد مشاهدة ما عدد لك من الايات
الباهرة فانه تعالى على كل شىء قدير • ائذا كنا ترابا • على طريقة الاستفهام الانكارى المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو فى محل الرفع
على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او فى محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر او بجملة على الاول كلامهم وعلى الثانى تكلمهم بذلك والعامل
فى اذا ما دل عليه قوله • ائنا لفى خلق جديد • وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية وتكرير
الهمزة فى قولهم ائنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل رهنية ذلك واستعدادهم له وفيه
من الدلالة على عتوهم وتماديهم فى النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم فى انكار البعث فعجب قولهم والمال وان تعجب فقد تعجب من موضع التعجب
وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل ويجوز كون الخطاب لكل من يصلح له اى ان تعجب يا من نظر فى هذه الايات من قدرة
من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون شىء عنده والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول
وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا او يجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما فى قوله
فالمعنى وان تعجب فالعجيب الذى لا عجب وراءه قولهم هذا والاول اولى وان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه • اولئك • مبتدا والموصول خبره
اى اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث بعدما عاينوا ما فصل من الايات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون • الذين كفروا بربهم •
تمادوا فى ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واى كفر • واولئك • مبتدا خبره • الاغلال فى اعناقهم • اى مقيدون بقيود الضلال
لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيامة • واولئك • الموصوفون بما ذكر من الصفات • اصحاب النار هم فيها خالدون • لا ينفكون عنها وتوسيط
ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة بل لتخصيص الخلود المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم • ويستعجلونك بالسيئة • بالعقوبة
التى انذروها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره • قبل الحسنة • اى العافية والاحسان
اليهم بالامهال • وقد خلت من قبلهم المثلات • اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يجوزون حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان
ركاكة رايهم فى الاستعجال بطريق الاستهزاء اى يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات

النازلة على أمثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص
وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات
جمع مثلة كركبة وركبات ● وإن ربك لذو مغفرة ● عظيمة ● للناس على ظلمهم ● أنفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب على الحالية أي ظالمين
والعامل فيه المغفرة والمعنى أن ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها ● وإن ربك لشديد العقاب ●
فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للإهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لأحد العيش ولولا وعيده وعقابه
لاتكل كل أحد ● ويقول الذين كفروا ● وهم المستعجلون أيضا وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها
صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا ● لولا أنزل عليه آية من ربه ● مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا
ومكابرة وإلا فأدنى آية أنزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لأولي الألباب ● إنما أنت منذر ● مرسل للإنذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون
كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك إلا الإتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة إلى إلزامهم وإلقامهم الحجر بالإتيان بما
اقترحوا من الآيات ● ولكل قوم هاد ● معين لا يدرك بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم
بما خص به حكم لا يعلمها إلا الله تعالى أو لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك إلا الإنذار فلا يهمنك عنادهم
وإنكارهم للآيات المنزلة عليك واقتراحهم لما سواها بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبتنيين على الحكم والمصالح
تنبيها على أن تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات أمر مبني على الحكم الداعية إلى ذلك إظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهتدي إلا
من تعلق بهداية مشيئته التابعة لحكمه أسناها ثم بعلمها فقال ● الله يعلم ما تحمل كل أنثى ● أي تحمله فما موصولة أو يعلم ما في بطنها من حيث الذكورة
إلى من الولادة لا مجرد تكامل الخلق فقط والعلم متعد إلى واحد أو أي شيء تحمل وعلى أي حال هو من الأحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية
معلقة للعلم وجملتها في محل النصب ● وما تغيض الأرحام وما تزداد ● أي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في أقل
مدة الحمل والمولود في أكثرها وفيما بينهما قيل إن الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في أربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما
فوقه يروى أن شريكا كان رابع أربعة أو يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا
وقوله وزاد أو لازمان قد أسندا إلى الأرحام مجازا وهما لما فيها ● وكل شيء من الأشياء عنده بمقدار ● بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
إنا كل شيء خلقناه بقدر فإن كل حادث من الأعيان والأعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد
بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فإن تحقق الأشياء في نفسها في أي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة
إلى الله عز وجل ● عالم الغيب ● أي الغائب عن الحس ● والشهادة ● أي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل أريد بالغيب المعدوم وبالشهادة
الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم إلى آخره ● الكبير ● العظيم الشأن
الذي [illegible] الغيب والشهادة [illegible] لجميع ما يأتون وما يذرون من الأفعال والأقوال وأنه لا فرق بالنسبة إليه بين السر والعلن
فقال ● سواء منكم من أسر القول ● في نفسه ● ومن جهر به ● أظهره لغيره ● ومن هو مستخف ● مبالغ في الاختفاء كأنه مختف ● بالليل ● وطالب
للزيادة ● وسارب ● بارز يراه كل أحد ● بالنهار ● من سرب سروبا أي برز وهو عطف على من هو مستخف أو على مستخف ومن مبتدأ وعلى الأول
يكون قوله تعالى سواء خبرا عن اثنين كما في قوله [illegible] يستويان كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وإن أسند إلى
من أسر ومن جهر وإلى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند إلى ما أسره وما جهر به إلى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الأخيرين وتقديم الإسرار
والاستخفاء لإظهار كمال علمه تعالى بكونه التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر والأجلى كل سواء ● له ● أي لكل من أسر أو جهر
والمستخفي والسارب ● معقبات ● ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون
أقواله وأفعاله فيكتبونها أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة أو المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض
الياء من إحدى القافين ● من بين يديه ومن خلفه ● من جميع جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر ● يحفظونه من أمر الله ● من بأسه حين أذنب بالاستمهال
والاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ● إن الله لا يغير ما بقوم ● من النعمة والعافية ● حتى
يغيروا ما بأنفسهم ● من الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي فطر الله الناس عليها إلى أضدادها ● وإذا أراد الله بقوم سوءا ● لسوء اختيارهم
واستحقاقهم لذلك ● فلا مرد له ● فلا رد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب ● وما لهم من دونه من وال ● يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء
الذي أراده الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وإيذان بأنهم بما باشروه من إنكار البعث واستعجال
السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه ● هو الذي يريكم البرق خوفا ● من
الصاعقة ● وطمعا ● في المطر وتقديم الخوف على الطمع ظاهر لما أن الخوف [illegible] والمطموع فيه مترتب وانتصابهما إما على

المصدرية أي يخافون خوفا ويطمعون طمعا أو على الحالية من البرق أو المخاطبين بإضمار ذوي أو جعل المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل مبالغة أو على العلة
بتقدير المضاف أي إرادة خوف وطمع أو بتأويل الإخافة والإطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل وإنما جعل المعلل نفس الرؤية التي تضمنها الإراءة
على طريقة قوله ● وحلت بيوتي في يفاع ممنع ● تخال به راعي الحمولة طائرا ● حذارا على أن لا تنال مقادتي ● ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا ● أي أحللت بيوتي حذارا
فلا سبيل إليه لأن ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم ● وينشئ السحاب ● الغمام المنسحب في الجو ● الثقال ● بالماء
وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام
● ويسبح الرعد ● أي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين ● بحمده ● أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وإسناده إلى الرعد لحمله
على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله
تعالى وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك ● والملائكة ● أي ويسبح الملائكة ● من خيفته ● من هيبته وإجلاله
جل جلاله وقيل الضمير للرعد ● ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ● فيهلكه بذلك ● وهم ● أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي
يريكم البرق وقد التفت إلى الغيبة إيذانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل
هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها
من يعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به ● وهم يجادلون في الله ● أي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث
واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات قالوا ولعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق إلى آخره أو على قوله الله يعلم
ما تحمل إلى آخره وأما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لأن قوله تعالى الله يعلم إلى آخره استئناف لبيان بطلان
قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وإنكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الحال أي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم يجادلون
وقد أريد به ما أصاب أربد بن ربيعة أخا لبيد فإنه أقبل مع عامر بن الطفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد
وهو عليه السلام جالس في نفر من الأصحاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجمل الناس وقد كان أوصى إليه أربد
أنه إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام ودار أربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه
شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي إليه فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله
عز وجل على أربد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب
فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن أصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما
برمحي فأرسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ● ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره ● وقيل أريد به ما روي عن الحسن أنه كان رجل
من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عما تدعونني إليه ما هو ومم هو أمن ذهب
أو من فضة أو من نحاس أو من حديد أو من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا
أعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا إليه فرجعوا إليه فما زاد إلا مثل الأولى وأخبث فرجعوا إليه عليه السلام وأخبروا بما صنع
فقال عليه السلام ارجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت
الكافر وهم جلوس فجاؤوا يسعون ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحي إلى النبي صلى الله عليه
وسلم ● وهو شديد المحال ● أي والحال أنه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لأعدائه من محله إذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف
استعمال الحيل وقيل هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل فعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال
ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد ● له دعوة الحق ● أي الدعوة الثابتة
الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والإضافة للإيذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع
والضلال كما يقال لكلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه أي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله
فهجرته إلى الله ورسوله والتعريض بوصف الحقيقة لتربية معنى الاستجابة والأولى هو الأول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال
وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث إن إهلاك أربد وعامر من الله تعالى وإجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما إن كانت الآية
نزلت في شأنهما أو من حيث إنه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم بإجابة دعوته عليهم ● والذين
يدعون ● أي الأصنام والذين يدعوهم المشركون فحذف العائد ● من دونه ● من دون الله عز وجل ● لا يستجيبون لهم بشيء ● من طلباتهم

إلا كباسط كفيه إلى الماء • أي إلا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل
المذكور أعني لا يستجيبون لهم بشيء أو لا استجابة لهم استجابة إلا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحت أو مجلف أي لم يدع ولم يبق إلا مسحت أو مجلف • ليبلغ • أي الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشيء من الإناء ونحوه • فاه • وما هو • أي الماء • ببالغه •
بالغ فيه أبدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه إليه فضلا عن الاستطاعة لما أراده من البلوغ إليه شبه حال المشركين في عدم حصول
ما طلبوه من آلهتهم على شيء أصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصوله إلى فيه شبه حال المشركين
في عدم حصوله على شيء أصلا من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الأطراف فإن الماء في نفسه شيء نافع خلاف آلهتهم والمراد
نفي الاستجابة رأسا إلا أنه قد أخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة إلا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة
الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين • وما دعاء الكافرين إلا في ضلال • أي في ضياع
وخسار • ولله • وحده • يسجد • يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والإفراد • من في السماوات والأرض •
من الملائكة والثقلين • طوعا وكرها • أي طائعين وكارهين أو انقياد طوع وكره أو حال الطوع والكره فإن خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده
لإحداث ما أراده فيهم من أحكام التكوين والإعدام شاؤوا أو أبوا وعدم مداخلة حكم غيره في شيء من ذلك تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على أحد • وظلالهم •
أي وينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم أعني الإنس حيث تتصرف على مشيئته وتتأتى لإرادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال • بالغدو
والآصال • ظرف للسجود المقدر وحال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع أن انقيادها متحقق في جميع أوقات وجودها لظهور ذلك فيهما
والغدو جمع غداة كقني في جمع قناة والآصال جمع أصيل وقيل جمع أصل وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده
أنه قد قرئ والإيصال أي الدخول في الأصيل هذا وقد قيل إن المراد حقيقة السجود فإن الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى كرها
يخصون بالسجود به سبحانه قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفهاما وعقولا
بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الأنباري ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من
هيئة السجود تبعا لأصحابها وأنت خبير بأن اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فإن سجودهم لأصنامهم حالة الرخاء
مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولا يخفى أن انقياد الكل في الإبداع والإعدام له تعالى أدخل في التوبيخ
على اتخاذ أولياء من دونه من تخصيص سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم أيضا كذلك لأنهم العمدة وانقياد غيرهم دليل انقيادهم
على أنه يعني ذلك بقوله عز وجل • قل من رب السماوات والأرض • فإنه تحقيق أن خالقهما ومتولي أمرهما مع ما فيهما على الإطلاق هو الله سبحانه
وقوله • قل الله • أمر بالجواب من قبله عليه السلام إشعارا بأنه متعين للجوابية فالخصم في عزوره سواء أو أمر بحكاية اعترافهم ابتداء بأنه
أمر لا يعلم من ذلك كأنه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة وألقمهم الحجر إذا مر بتلقينهم وذلك أن تقعيهم في الجواب حذرا من الإلزام
فإنهم لا يمكنهم الكون أو ذاك ولا يهتدون إلى إنكاره • قل • إلزاما لهم وتبكيتا • أفاتخذتم • لا تشكروا والهمزة لإنكار الواقع كما في قوله أتضرب
أباك لا لإنكار الوقوع كما في قوله أتضرب أبي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة أي أعلمتم أن ربهما هو الله الذي ينقاد لأمره من فيهما كافة
فاتخذتم متجاوزين • من دونه أولياء • عاجزين • لا يملكون لأنفسهم نفعا • يستجلبونه • ولا ضرا • يدفعونه عن أنفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع
لغيره ودفع الضر عنه لا على أن يكون الإنكار متوجها إلى المعطوفين معا كما في قوله تعالى أفلا تعقلون إذ المعطوف عليه لا يستحق الإنكار
الثاني على الأول مع وجوب أن يرتبه عليه وتقتضيه والمعنى أبعد أن علمتم أن ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه أولياء عجزة والحال أن قضية
العلم بذلك إنما هو الاتخاذ على توليه فكنتم الأمر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني
ووصف الأولياء ههنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الإنكار وتأكيده كتعقيب الاتخاذ هنالك بالجملة الحالية أعني قوله تعالى وهم لكم عدو
فإن كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد إنكاره • قل • تصويرا لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس • هل يستوي الأعمى • الذي هو
المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها • والبصير • الذي هو الموحد العالم بذلك أو الأول عبارة عن المعبود الغافل والثاني عن
المعبود العالم بكل شيء • أم هل تستوي الظلمات • التي هي عبارة عن الكفر والضلال • والنور • الذي هو عبارة عن التوحيد والإيمان
وفرق بينهما ولما دل النظم الكريم على أن الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال الجلي والخطأ البحت
حيث لا يخفى بطلانه على العميان كالأعمى الذي لا يهتدي إلى شيء أصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح أن تكون منشأ لغلطهم وخطئهم
فضلا عن الحجة الهادية لذلك قيل • أم جعلوا لله • أي بل أجعلوا لله • شركاء خلقوا كخلقه • سبحانه والهمزة لإنكار الوقوع ونوعه وقوله
كخلقه هو الذي يتوجه إليه الإنكار وإنما نسب الجعل قيد وارد لإلحاق الإنكار بهذا المعنى والمعنى أنهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه
• فتشابه الخلق عليهم • بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كما خلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطئهم
بل إنما جعلوا له شركاء عاجزا لا يقدر على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم • قل • تحقيقا للحق وإرشادا لهم إليه

الله خالق كل شيء • كائنا ما كان لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة • وهو الواحد • المتوحد بالألوهية المتفرد بالربوبية • القهار •
لكل ما سواه فكيف يتوهم أن يكون له شريك وبعدما شبه المشرك والشرك بالأعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق
الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب الخالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الألسنة
مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحيويتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والأعمال المرضية بالماء النازل من السماء
السائل في أودية بالغة لو جردها بما بعد ذلك سيلا نافعا وإمدادا اقتضته الحكمة في إحياء الأرض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور
عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل إلى البهجة الأبدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات
التي تتخذ منها أنواع الآلات والأدوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير
مداخلة له فيهما واختلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل • أنزل من السماء • أي من جهتها • ماء • أي كثيرا أو نوعا
منه وهو ماء المطر • فسالت • بذلك • أودية • واقعة في مواقعه لا جميع الأودية إذ الأمطار لا تستوعب الأقطار وهو جمع واد وهو الموضع
بين جبال أو تلال أو آكام على الشذوذ وكذا أندية وناج وأنجية قال الواحدي إن فاعلا يجمع على فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم
وعليم وحيث جمع فعيل على أفعلة كجريب وأجربة جمع فاعل أيضا على أفعلة فإن أريد بها ما يسيل فيها مجازا فإسناد السيلان إليها حقيقي وإن أريد
معناها الحقيقي فالإسناد مجازي كما في جرى النهر وإيثاره للتمثيل بها على الأنهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل
بها كما أشير إليه • بقدرها • أي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس وبمقدارها المتفاوت قلة
وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها
المستدعي لكثرة الموارد فإن مورد السيل الجاري في الوادي الصغير أقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا إن أريد بالأودية
ما يسيل فيها أما إن أريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها فإن تلك الأودية على حسب تقدير مياهها
الاستخدام ذكرا ولا من المعنيين • فاحتمل السيل • الجاري في تلك الأودية أي حمل معه • زبدا • أي غثاء ورغوة
وإنما وصف ذلك بقوله تعالى • رابيا • أي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما أريد بالاحتمال المحمل ليكون الحمل من طاف كالأشجار المثقلة
وإنما لم يدع ذلك الاحتمال بأن يقال فاحتمل السيل فوقه للإيذان بأن تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحمل تحقيقا للمماثلة
بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق • ومما يوقدون عليه في النار • أي يفعلون
الإيقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس أضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب • ابتغاء حلية أو متاع • أي لطلب اتخاذ حلية
وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة أو اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الأواني والآلات المتخذة من الرصاص
والحديد وغير ذلك من الفلزات • زبد • خبث • مثله • مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم
ومن ابتدائية والدليل على كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل في الإخلال • بذلك • بالتمثيل في التعبير
عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من إيقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء بإظهار التهاون به كما في قوله تعالى فأوقد لي يا هامان
على الطين وإشارة إلى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار إشعار بالمبالغة في الإحماء للإذابة وحصول الزبد كما أشير إليه
وعدم التعرض لإخراجه من الأرض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما أن لعنوان إنزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف
بل له إخلال بذلك • كذلك • أي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكتة رائقة • يضرب الله الحق والباطل • أي مثل الحق ومثل الباطل
والحذف للإنباء عن كمال التماثل بين الممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الإيماء في تضاعيف ذلك إلى وجوه
المماثلة على أبدع وجوه وأنفعها الحق الثابت والردي من الباطل الزائل فقيل • فأما الزبد • من كل منهما • فيذهب جفاء • أي مرميا به
جفالا والمعنى واحد • وأما ما ينفع الناس • منهما كالماء الصافي والفلز الخالص • فيمكث في الأرض • أما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك
بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنا والآبار وأما الفلز فيصاغ من بعضه أنواع الحلي ويتخذ من بعضه أصناف الآلات والأدوات
فينتفع بكل من ذلك أنواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الأرض ما هو أعم من المكث في نفسها ومن البقاء في أيدي المتقلبين فيها وتغيير
ترتيب اللف الواقع في الفذلكة للموافقة للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكريهما فإن المعتبر
إنما هو البقاء بعد ذهاب الآخر لا قبله • كذلك يضرب الله • أي مثل ذلك الضرب العجيب • يضرب الأمثال • في كل باب إظهارا لكمال
اللطف والعناية في الإرشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل إما باعتبار
ابتنائه على التمثيل الأول أو بجعل ذلك إشارة إليهما جميعا وبعدما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا أكمل بيان شرع في بيان حال
أهل كل منهما حالا ومآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل • للذين استجابوا لربهم • إذ دعاهم إلى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الأمثال
فإنه ألطف ذريعة إلى تفهيم القلوب الغبية وأقوى وسيلة إلى تسخير النفوس الأبية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس • وإبراز الأوابد

العالي بالجمال المانوس فاي دعوة الله سبحانه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له
وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعها متفرقا بحسب
الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان
فالموصول مبتدأ والشرطية كاسمها خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوءى في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى اعطاء لحسن المقا
بلة حقه كما قيل والذين لم يستجيبوا له السوءى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقامها ولفظ السوءى
مشعرا باللام الداخلة على الموصول وضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى
اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة
كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك
العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب مع زيادة
تاكيد فحسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين مؤدى ذلك فقيل ومأواهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسنى
بالجنة وبئس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله
يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا
له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الى اخره كلام مستانف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى
كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة
وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد بتذكيره
بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال
المضروبة لاسيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا
بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس ولا وجه لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتامل افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك من القران الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق الذي
لا حق وراءه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة لاسيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين
مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس ولا وجه لتنويعهم فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهده ويموت على
جهل ولا يتدبر قدره وهو في اقصى مراتب العلم والعمى يتخبط في ظلمات الجهل وغياهب الضلال ولا يتذكر بما ضرب من الامثال
اي لا يعلم ذلك الا انه ابعد زيادة لتقبيح حاله وتعريضه بالاعمى دون الفاقد للعلم والهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على ظهور
حال كل منهما بما ضرب من الامثال وتبين المصير والمآل كانه قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين وماله يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل
انما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي اولوا الالباب اي العقول الخالصة المبراة من شائبة
الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه
ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبينه وبين العباد وهو تعميم بعد
تخصيص وفيه تاكيد الاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء المجتمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل جميع ما يتعلق بهم من الهرة
والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امرهم به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما يكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم
طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء او سمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك
الامر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه
اما في انفس الصلات كما فيما عدا الاولى والرابعة والخامسة وفي اظهار احكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن
الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج
اليه واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف
بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند الفاقة واعطائه من غير مسألة المروءة من اخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كذلك والاول
في التطوع والثاني في الفرض ويدرءون بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس
رضي الله عنه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن

ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون
مآل اهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس فيه تصريح بان بعض ما في حيز الصلة
ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة من غير ان يعتقد ان يكون للصلوات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من
عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنات اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن
صلح من ابائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ
ذلك للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو دليل على ان
الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم
وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او
من ابواب الفتوح قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة العظمى
بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر
من الصلات السابقة لما قدمنا من ان له دخلا في كل منها ومزية زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا ان
يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرها الى
النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويقابلهم في الاتصاف
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجتمعين على الحق
حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف
وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه
في ضمن الحسنات المعدودة ليقعن معتدا بها فلا وجه لنفيه عمن نفيه وبين الحسنات بعد المشرقين كالانفاق وخلا الصلوة والزكاة
من الاعمال خارج اصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه منه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى
بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر وباشر
الفساد بدلا كما حكيه قوله عز وعلا ويفسدون في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك
يشعر بان له دخلا في الانفاء الى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى اولئك اي الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك
اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول يشعر
بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له وذلك على كثير التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها مما دون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطاء
عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق
المضروبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث انه مستتبع للاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق
الواجبة وتكرير لهم للتاكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده
ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر املاء واستدراجا
وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدرة المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله
تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الاخرة اي في جنب نعيم الاخرة الا متاع
الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الاخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه
عن قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار رعاية الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة
الدنيا للذم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه اية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد وكان ما انزل عليه
عليه السلام من الايات العظام الباهرة ليس باية حتى اقترحوا ما لا يقتضيه الحكمة من الايات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول ولذلك
امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه
منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى
الاهتداء ولو جاءته كل اية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من
لتشريفهم ما لا يوصف من اناب اي اقبل الى الحق وتامل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير

والجملة خبر الموصولات المتعاطفة او استئناف لبيان ما يستوجبونه بتلك الصفات او جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح صح

في الصلة على إرادة المشيئة كما أن الصلة الأولى المنبئة على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها والإشعار بما دعا إلى المشيئة الأولى من المكابرة وفيه حث للكفرة
على الإقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وإيثار صيغة الماضي للإيذان باستدعاء الهداية لسابقة الإنابة كما أن إيثار صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة
على استمرار المشيئة حسب استمرار تماديهم ● الذين آمنوا ● بدل من من أناب فإن أريد بالهداية الهداية المستمرة فالأمر ظاهر لظهور كون الإيمان مؤديا
إليها وإن أريد إحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الإيمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين أي الصائرين إلى التقوى وإلا فالإيمان
لا يؤدي إلى الهداية نفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا أو منصوب على المدح ● وتطمئن قلوبهم ● أي تستقر وتسكن ● بذكر الله ● بكلامه
المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ويعلمون أن لا آية أعظم منه فيقترحونها والعدول
إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها ● ألا بذكر الله ● وحده ● تطمئن القلوب ● دون غيره من الأمور
التي تميل إليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر أما سائر المعجزات فالقصور حيث إنها ليست في إفادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بمنزلة
القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة وفيه إشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفئدة …
حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه من قبيل الآيات وهو أظهر الآيات وأبهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من
خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو بذكر الأدلة الدالة على وحدانيته أو بذكره جل وعلا أنسا به وتبتلا إليه فالمراد
بالهداية دوامها واستمرارها ● الذين آمنوا وعملوا الصالحات ● بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز إليه أي قلوب
الذين آمنوا وفيه إيماء إلى أن الإنسان إنما هو القلب أو مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل أعني قوله ● طوبى لهم ● أو خبر مبتدأ
مضمر أو نصب على المدح وطوبى … مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر
وإنما كررت … لتشاكل لها والمعنى أصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك أو الرفع على الابتداء وإن كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام
عليك ويدل على ذلك القراءة في قوله تعالى ● وحسن مآب ● بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك ● كذلك ● مثل ذلك الإرسال
العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ● أرسلناك في أمة قد خلت ● أي مضت ● من قبلها أمم ● كثيرة قد أرسل إليهم رسل ● لتتلو ● لتقرأ
● عليهم الذي أوحينا إليك ● من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الإبهام ثم البيان كما في قوله
تعالى … وفيه ما لا يخفى من ترتيب النفس إلى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها ● وهم ● أي والحال أنهم ● يكفرون
بالرحمن ● البليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته وأحاطت به نعمته والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث إن الإرسال ناشئ منها كما قال
تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولا شكروا نعمه لا سيما ما أنعم به عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو
مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين أمروا بالسجود فقالوا وما الرحمن ● قل هو ● أي الرحمن الذي كفرتم به
● ربي ● … الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل … أي مبلغي
إلى مراتب الكمال وإيراده قبل قوله ● لا إله إلا هو ● أي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل إن أبا جهل
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين فقال إن محمدا يدعو إلهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
الآية ● عليه توكلت ● في جميع أموري لا سيما في النصرة عليكم لا على أحد سواه ● وإليه ● خاصة ● متاب ● أي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمره
عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدار عظمها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه وألطفه
فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وإن قل فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه
أصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم ● ولو أن قرآنا ●
أي قرآنا ما وهو اسم أن والخبر قوله تعالى ● سيرت به الجبال ● وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من لسان المتكلم
إما بيان لعظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروه قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيرها مما أوتي موسى
وعيسى عليهما السلام وإما بيان لغلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآنا ما سيرت به الجبال
أي بإنزاله أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام ● أو قطعت به الأرض ● أي شققت وجعلت أنهارا وعيونا
كما فعل بالحجر حين ضربه موسى بعصاه أو جعلت قطعا متصدعة ● أو كلم به الموتى ● أو بعد ما أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه السلام لكان
ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن
على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الإعجاز إذ لا مدخلية له في هذه الآثار ولا في التذكير والإنذار والتخويف لاختصاص ما ذكر من
… مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار … على المبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر مرارا
من قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن بتقديمه … النفس مستشرفة ومترقبة إلى المؤخر أنه ما ذا فيتمكن عند وروده
عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع … وإن كان … الأفاعيل … على يد عيسى عليه السلام

لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق بنيت ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وأنه حقيق بأن يكون
مصدرا لكل خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم
يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى ● بل لله الأمر جميعا ● أي له الأمر الذي عليه يدور فلك الأكوان وجودا وعدما يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو إليه من الحكم البالغة وهو إضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه أي لو أن
قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لأن الأمر كله له وحده فالإضراب ليس متوجها إلى كون الأمر لله سبحانه
بل إلى ما يؤدي إليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما يقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار ● أفلم ييأس الذين آمنوا ● أي أفلم يعلموا
على لغة هوازن أو قوم من النخع أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر أي أغفلوا عن كون الأمر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ● أن لو يشاء الله ●
على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن ● لهدى الناس جميعا ● بإظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالإنكار متوجه إلى المعطوفين جميعا أو أعلموا كون الأمر
جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه إلى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أي تخلف العلم الثاني عن العلم الأول
وعلى التقديرين فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا إنكار الواقع كما في قولك ألم تخش الله حتى عصيته ثم إن مناط
الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأ هدا
وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الإيمان وعلى الثاني لو أن قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح أي فليس لهم ذلك بل لله الأمر
جميعا إن شاء أتى بما اقترحوا وإن شاء لم يأت به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أي ألم يقنط
الذين آمنوا حال … فلم يقنطوا من إيمانهم حتى أحبوا ظهور مقترحاتهم فالإنكار متوجه إلى المعطوفين أو أعلموا ذلك فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع
المعطوف بعد المعطوف عليه أي التخلف للقنوط عن العلم المذكور والإنكار على التقديرين إنكار الواقع كما في قوله تعالى أفلا تتقون ونظائره لا إنكار
الوقوع فإن عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى أن لو يشاء الله إلى آخره متعلق بمحذوف أي أفلم ييأسوا من إيمانهم علما منهم أو عالمين بأنه لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا وأنه لم يشأ ذلك أو بآمنوا أي أفلم يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى أفلم ييأس من إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية
وبعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكانه حسبما تحكيه كلمة لو فإن ما ذكر من دواعي إنكارهم وقيل إن أبا جهل وأضرابه قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إن كنت نبيا فسير بقرآنك الجبال من مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع فقد سخرت لداود ولست بأهون على الله منه إن كنت نبيا
كما زعمت أو سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها إلى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة أو ابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات
من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الأرض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة إلى الاعتذار في إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن كما احتيج إليه في الوجهين الأولين
وعن الفراء أنه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو في الحقيقة دليل الجواب والتقدير ولو أن قرآنا سيرت به الجبال
أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ● ولا يزال الذين كفروا ● من أهل مكة
● تصيبهم بما صنعوا ● أي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه إما للقصد إلى تهويله أو استهجانه وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول
من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم في ذلك ● قارعة ● داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والرزايا
من القتل والأسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من إرادة التفسير إثر الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما فيه من بيان
أن مدار الإصابة من جهتهم أثر ذي أثير ● أو تحل ● تلك القارعة ● قريبا ● أي مكانا قريبا ● من دارهم ● فيفزعون منها ويتطاير إليهم شرارها شبهت
القارعة بالعدو المتوجه إليهم فأسند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح ● حتى يأتي وعد الله ● أي موتهم أو
القيامة فإن كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة
إليه أحقق ذلك بقوله تعالى ● إن الله لا يخلف الميعاد ● أي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين إغارة واختطاف وتخويف
بالهجوم عليهم في ديارهم فالإصابة والحلول حينئذ من أحوالهم ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه
وسلم مرادا به حلوله بالحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ● ولقد استهزئ برسل ● كثيرة ● خلت ● أي تركتهم ملاوة من الزمان
في أمن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء
ووعيد لهم والمعنى أن ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة ● من قبلك ● فأمليت الذين … والعدول في الصلة
إلى وصف الكفر للبيان … بل الإرادة الجمع بين الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ● ثم أخذتهم ●
● فكيف كان عقاب ● أي عقابي إياهم وفيه من الدلالة على شأنه وكيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى ● أفمن هو قائم ● أي رقيب مهيمن

من قبلك فأمليت للذين كفروا صح

على كل نفس • كائنة من كانت • بما كسبت • من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك التحام
للدلالة وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى
ومن كون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتي وعد الله كانه قيل الامر كذلك أفمن هذا شانه كما ليس في
اعداد الاشياء حتى يشركوه به فالانكار متوجه الى ترتيب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا
تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى • وجعلوا لله شركاء • جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر وحالية
اي أفمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي أفمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا
له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان
بعد الابهام بايراده موصولا للتعجيبة على التعظيم وقوله تعالى • قل سموهم • تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم • او صفوهم وانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة • ام تنبئونه • اي بل أتنبئون الله • بما لا يعلم في الارض • اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم
الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف • ام بظاهر من القول • بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون
له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهذه الاساليب البديعة التي وردت عليها الآية الكريمة منادية
على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين • بل زين للذين كفروا • وضع الموصول موضع المضمر
ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر • مكرهم • تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم • وصدوا عن السبيل • اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر
الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس او من صد صدودا • ومن يضلل الله • اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره او يخذله
• فما له من هاد • يوفقه للهدى • لهم عذاب • شاق • في الحياة الدنيا • بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة
على كفرهم • ولعذاب الآخرة اشق • من ذلك بالشدة والمدة • وما لهم من الله • من عذابه المذكورين • من واق • من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى
صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد • مثل الجنة • اي صفتها العجيبة الشان التي في الغرابة كالمثل • التي وعد المتقون • عن الكفر والمعاصي
وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى • تجري من تحتها الانهار • تفسير لذلك المثل على انه حال
من الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اي مثل
الجنة جنة تجري الى آخره • اكلها • ثمرها • دائم • لا ينقطع • وظلها • ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا • تلك • الجنة المنعوتة بما ذكر • والذين
آتيناهم الكتاب • هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية
باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة • يفرحون بما انزل اليك • اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل • ومن الاحزاب • اي من احزابهم وهم
كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما • من ينكر بعضه
وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا واما ما يوافق ما حرفوه والا فنعي عليهم من اول الامر مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم
فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول اوائلهم فانهم ايضا يفرحون به لكنه معتدا فالكل في الجملة ويكون قوله تعالى
ومن الاحزاب الى آخره تتمة بمنزلة ان يقال • ومنهم من ينكر بعضه • قل • الزاما لهم وردا لانكارهم • انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به • اي شيئا
من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل
الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف اي وانا لا اشرك به • اليه • اي الى الله تعالى
خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد • ادعو • الناس لا الى غيره او الى شيء آخر مما يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام
فما وجه انكاركم • واليه • الى الله تعالى وحده • مآب • مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام
بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل
• وكذلك انزلناه • اي ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع
المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما يقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه • حكما • حاكما يحكم في القضايا والوقائع
بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه • عربيا • مترجما بلسان العرب
والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى موارد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار
على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الى آخره يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو
والاثبات فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع • ولئن اتبعت اهواءهم • التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من
الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل • بعدما جاءك من العلم • العظيم الشان الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه • ما لك من الله •

من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهري لا يكون الولي ناصرا حتى يكون معبودا وحتى يكون حافظا
وداعيا ومدبرا • من ولي • يلي امرك وينصرك على من تبغيك الغوائل • ولا واق • يقيك من مصارع السوء وحيث لم يلزم من نفي الناصر نفي الواقي
من عذابه اعيد كلمة المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر ولا واق لاتباعك اهواءهم وامثال هذه
القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين فلا لام موطئة ومالك سادّ مسدّ جوابي الشرط والقسم • ولقد ارسلنا
رسلا • كثيرة كائنة • من قبلك • وجعلنا لهم ازواجا وذرية • نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم
بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام الى آخره • وما كان لرسول • منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه • ان يأتي بآية •
مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه • الا باذن الله • ومشيئته المتبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام
والالتفات الى ما تقدم وتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة • لكل اجل • اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات • كتاب • حكم معين يكتب على
العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك ان تختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب
تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات • يمحو الله ما يشاء • اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة
حسب الوقت • ويثبت • بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان
الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وفعل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او
يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن مسعود رضي الله عنه
والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل
الكل ويدخل في ذلك موارد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد • وعنده ام الكتاب • اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت
الا وهو مكتوب فيه كما هو • وإما نرينك • اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل • بعض الذي نعدهم • اي وعدناهم من
انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض
رمز الى اراءة بعض الموعود • او نتوفينك • قبل ذلك • فانما عليك البلاغ • اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد
الذي من جملتها • وعلينا • لا عليك • الحساب • محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب
الدنيوي او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك نحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان
ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشير الظفر فقال • اولم يروا • استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او اشكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا • انا نأتي الارض • اي ارض الكفرة • ننقصها من اطرافها • بان نفتحها على
المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا
نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء
الحضور والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا • والله يحكم • ما يشاء كما يشاء
وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم
على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها للتاكيد
لفحوى ما تقدمها وقوله تعالى • لا معقب لحكمه • اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا
حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق
معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب • وهو سريع الحساب • فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بانواع العذاب غب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء
حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام • وقد مكر • الكفار • الذين خلوا • من قبلهم • من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر
هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد
من تعليله الذي هو قوله تعالى • فلله المكر • اي جنس المكر • جميعا • لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان
جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما يبينه قوله عز وجل • يعلم ما تكسب كل نفس •
ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما كسبته ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله
تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون وهذا المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا
منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله • وسيعلم الكفار • حين يقضي به ويتحقق عليه جزاء
كل نفس جزاء ما كسبت • لمن عقبى الدار • اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به
حينئذ وقرئ وسيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر

ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد
ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن
شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته
عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد ايد
كتابه بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر
وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر ومبنيا للمفعول
ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله تعالى اعلم

سورة ابرهيم اربع وخمسون آية مكية

الر من الكلام فيه في نظيره وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ او المبتدأ مضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او
مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس
متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج
الناس من الظلمات اي تخرج به الناس من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور بحت
لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه وللايذان بان ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله
تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية
التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وتعليقه بقدرتهم على ازالة الاحراج جميعا وعد وتحقق الاذن
بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن
ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور
تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم
والاخلال بالبدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
وقيل هو استيناف مبني على سؤال كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له
وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى
الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم للثريا وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي
له ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي نعته على العوالم
بيان لكمال فخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وجوز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا مبتدأ العدول عن هذه
النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة
واصله النصب كسائر المصادر ثم عدل به الى الرفع للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون
منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحياة الدنيا اي يؤثرونها استعمال الاستحباب فيه لان المؤثر
للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي الحياة الآخرة الابدية ويصدون
الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار وقرئ يصدون
من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده وقفه مندوحة من تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف
الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا زيغا واعوجاجا ...

في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون
المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه
ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل
اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم اولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم
ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله
عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع
واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء
وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة
تتضاعف عند التعدد اذ لابد لكل امة من معرفة توافق الكل وتخالفه بحذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم
عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما لا يخفى ولما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم
افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى
انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم
وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفي رجعه الى كل نبي كأنه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد صلى الله عليه وسلم
ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرته اسبابه المؤدية اليه
او يخذله ولا يلطف به لما علم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال
الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانفلق كأنه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان
بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقى
لما كان عليه الكل قبل البيان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام
ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز
فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق
واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية بآياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان
اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء
وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخرج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله
عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون الآية ... ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته
لكل صبار على البلاء شكور على النعماء ... بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه

شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام
بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه
عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون
او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيء او استعبادهم
واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه
على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا
في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والحمل على
من آل فرعون او من جهة المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضرر كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء
منه لا ان البلاء من تلك الافعال للتهم الا ان يجعل في حريدته منسوبة الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز
ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل
الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله عليكم
اي اذكروا نعمة الله عليكم وحين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه
على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله
تعالى عليهم لما فيه من خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واذ قال ربكم والمعنى ذكرهم عليه السلام اولا بنعمه تعالى
عليهم صريحا وضمنا تذكيرهما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بتذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب
على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين لئن
شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض
بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين
ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او لقول مقدر بعده كانه قيل واذ تأذن ربكم فقال لئن الخ وقال
موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد
مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد ويحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة
النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى
لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عندما عاين منهم من دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم
الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله غب تذكيرهم باذن من الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير
ما جرى على الامم الخالية فقال الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر
فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
تخصيص تذكير موسى عليه السلام بما اصاب بني اسرائيل من السراء والضراء والايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد واما
لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو
قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد عطف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء
المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الخ
خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون
ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى
الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبئهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات
الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم
مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها بالقبول
عليها او اسكاتا لهم من التحدث بالايمان والاسلام او لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي على زعمكم وهي البينات

البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالتهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم او عضوها غيظا وضجرا
مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق
الافواه او ردوها الى افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم
كما ينبئ عنه تعجيبهم بقولهم أفي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء من مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية
لانهم لما كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا تنافي
بينهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسلت به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا
فاتونا بسلطان مبين وتوقفوا في ما تدعوننا بالادعاء مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها
بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم
الحمقاء أفي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا
منقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا أانتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا
عليهم بسخافة العقول اي أفي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا
من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول
الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء
المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في الشك وهو صفة
للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة
بالاجنبي اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه ويجوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء
انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينوب عني من ذنوبكم اي بعضها وهو
ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين
ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول
الخروج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان
قالوا استئناف كما سبق ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية
لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى أبشر يهدوننا او كلام مستأنف اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخفيف العبادة
بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اي عما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا فأتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا
من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك
ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم
مكابرة وعنادا او ارادة لما هو وراء ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما
قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن
الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده
بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول
تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء المن بها وما بينا ذلك الا بفضله لا بسعينا فحطها ولتلك الفضائل
والكمالات والاستعدادات من التي يدور عليها ذلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان نأتيكم بسلطان
اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر متعلق بمشيئته تعالى ان شاء
كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه كانهم قالوا
الابري بذلك قوله عز وجل وما لنا اي اي عذر لنا ان لا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاشعار
بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا
منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل
قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه
وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد بما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم
والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من توكل دون غيره وقال الذين كفروا

لم يعودوا قائلين بعض المتمردين العائدين في الكفر اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم
وكذلك لم يقل وقالوا • لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا • لو حلفوا ان يخرجوا الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما راوا البينات
الباهرة للحصر حتى اجتروا على مثل هذه الكلمة العظيمة التي لا تكاد تحيط بها دائرة الامكان حلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما بمعنى مطلق
الصيرورة او اعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف • فاوحى اليهم • اي الى الرسل • ربهم • مالك امرهم عند
تناهي كفر الكفرة • لنهلكن الظالمين • على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه • ولنسكننكم الارض • اي ارضهم وديارهم
عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها • من بعدهم •
اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا • ذلك • اشارة الى الموحى به وهو
اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت • لمن خاف مقامي • موقفي وهو الموقف الذي يقف
فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين • او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم • وخاف وعيد • وعيدي بالعذاب
او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين • واستفتحوا • اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر
عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا • وخاب • اي خسر وهلك • كل جبار عنيد • متصف بضد ما
اتصف به المتقون اي فنصروا وعند استفتاحهم ظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى
مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا
وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة او استفتحوا
جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عقب الطلب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة
• من ورائه جهنم • اي من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته
ما توارى عنك • ويسقى • معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى • من ماء •
مخصوص لا كالمياه المعهودة • صديد • وهو قيح او دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من جلود
اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهمه اولا ثم بينه بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه
• يتجرعه • قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه
مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه • ولا يكاد يسيغه • اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به
فيشرب بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال
فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول النفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها
المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا • ويأتيه الموت • اي اسبابه من الشدائد • من كل مكان •
ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله • وما هو بميت • اي والحال انه ليس بميت حقيقة
كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يبالي ولم يخش من اصناف الموبقات • ومن ورائه • من بين يديه • عذاب
غليظ • يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود
في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته
صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار • مثل الذين كفروا بربهم • اي صفتهم وحالهم العجيبة
الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • اعمالهم كرماد • كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب او هو
استئناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها من وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين
وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد • اشتدت به الريح • حملته واثارته
به • في يوم عاصف • العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكر لريحها شبه صنائعهم المعدودة
لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم
للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليكم مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم
كيت وكيت سوا ازيد بها اعمالهم او اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره • لا يقدرون • اي يوم القيامة • مما
كسبوا • من تلك الاعمال • على شيء • ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل

من رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم • ذلك • اي ما دل عليه
التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء • هو الضلال البعيد • عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب • الم تر • خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى • ان الله خلق السموات والارض •
ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خالقهما • بالحق • ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض
• ان يشأ يذهبكم • يعدمكم بالمرة • ويأت بخلق جديد • اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على
قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة
كان على تبديل خلق اخر بهم اقدر ولذلك قال • وما ذلك • اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم • على الله بعزيز • بمتعذر او متعسر فانه قادر
لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه • وبرزوا لله جميعا •
اي يبرزون يوم القيامة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او لانه لا مضي ولا استقبال
بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله
سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم • فقال الضعفاء • الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ
من يفخم الالف قبل الهمزة • للذين استكبروا • لرؤسائهم الذين استتبعوهم • انا كنا • في الدنيا • لكم تبعا • في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع
تابع كخدم في جمع خادم او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع • فهل انتم مغنون • دافعون • عنا • والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء
والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت • من عذاب الله من شيء • من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار • قالوا •
اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم • لو هدانا الله • اي للايمان ووفقنا له • لهديناكم • ولكن ضللنا فاضللناكم
اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص
ولات حين مناص • سواء علينا اجزعنا • مما لقينا • ام صبرنا • على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد التسوية
كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم ولما اسندوهما ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي
عن التوبيخ باعلام انهم شركاؤهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الى آخره من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك
ليعلم اني لم اخنه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم
فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا • ما لنا من محيص • من منجى ومهرب
من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه
الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه • وقال الشيطان • الذي اضل الفريقين واستتبعهم
عند ما عتبا بما قاله الاتباع للمستكبرين • لما قضي الامر • اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا
في محفل الاشقياء من الثقلين • ان الله وعدكم وعد الحق • اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
• ووعدتكم • اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله • فاخلفتكم •
اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كأنه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك • وما كان لي عليكم من
سلطان • اي تسلط او حجة تدل على صدقي • الا ان دعوتكم • الا دعائي اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه
على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه فانه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز ان يكون
الاستثناء منقطعا • فاستجبتم لي • فاسرعتم اجابتي • فلا تلوموني • بوعدي اياكم حيث لم يجر ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه
الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم • ولوموا انفسكم • حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم
بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة بالمرة
بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور
فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما علق افعاله حسبما اختاره وعليه يترتب السعادة وما قيل من انه للشيطان ان يقال فلا تلوموني ولوموا
انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على مذهب العزل بين مذهب اهل الحق وبين مسالك الجبرية • ما انا بمصرخكم • اي بمغيثكم مما انتم
فيه من العذاب • وما انتم بمصرخي • مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه
ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك اورد الجملة الاسمية فكان كلامه كان جوابا منه عن توجههم اليه

ما به وهذا جواب عن استغاثتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي
مع الله سبحانه بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه [illegible] لكم بان
كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا او كنت ادعو لذلك وارغبتكم فانا اليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق
بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحانه ما تعبدون من بعدي فيكون تعليلا لعدم
اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاعانة والاغاثة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه
فلا وجه له اذ لا احتمال لذلك حتى يحتاج الى التعليل ولان عدة تعليل اصراخهم بكفرهم يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم
عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم
وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى
باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد
علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد
او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها مثلها في الخارج
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وشجرة صفتها او خبر
مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد
قرئ بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة
الجماعة اقوى سبكا وانسب [illegible] اعني قوله تعالى وفرعها اي اعلاها في السماء اي في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء
بلفظ الجنس من الجمع تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة
اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير
للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة
اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان
وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار
استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها
العجيبة في الحياة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة
فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة او عند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح
المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
وهذا شأن الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرنا ابو القاسم ابن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة
قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رأيت يزيد بن هارون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك
قال اتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت الهذا يقال هذا وقد علمت الناس
جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم
والمراد بهم الكفرة بدليل مقابلته ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة
الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة
فلا يثبتهم في مواقف الفتن ولا يهتدون الى الحق فالمراد بالذين آمنوا المخلصون في الايمان الراسخون في الايقان كما ينبئ عنه التثبيت
لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت
بعض واضلال آخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية
المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأ التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفة
العلى غير ما هو مبدأ صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنعت الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر
عمن له ادنى ادراك اي انظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا
نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الآمن

الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر
فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلا منها وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كأنهما قالا ولأن ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية واحلوا اي انزلوا قومهم
بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم
القيامة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى
من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استئناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر
ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب
بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم
على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم
وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم
الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان
مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتكميل
التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضي منه العجب
ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا
حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك
الضالين المضلين ووعيدا لهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احجا بان
يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى
بيان عاقبته الوخيمة وبيان لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام
فان مصيركم الى النار ليس الا ولا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له
حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الى آخره فهو تعليل الامر المامور وفيه من التهديد والتشديد والوعيد الاكيد
ما لا يوصف او قيل لهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يجاسم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انهماكهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم مامورون بذلك من قبل امر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كداب مامور ساع في طاعة امره مطاع
فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه
فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد كما في الامر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم
المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العاطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار مقوليهما المقول تهديدا والمقول
لهم [illegible] وقد دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك وفيه
ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا
بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما
جوابا اقيموا وانفقوا قد اقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر او من جواب الامر المذكور
اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه
بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع ليستلزم انتفاء الشراء على
ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بما يفتدي به
نفسه او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمتاعطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالا
نفاق لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما في سورة البقرة
من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا
الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال
وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك
لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون

بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام وللدلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال ❁ الله ❁ مبتدا خبره ❁ الذي خلق السموات ❁ وما فيها من الاجرام العلوية ❁ والارض ❁ وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا للنعمة شرع في تفاصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدا الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الاثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان ❁ وانزل من السما ❁ اي السحاب فان كل ما علاك سما او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا واياما كان فمن ابتدائية ❁ ماء ❁ اي نوعا منه هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول اما باعتبار كونه مبدا النزول او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر ❁ فاخرج به ❁ بذلك الماء ❁ من الثمرات ❁ الفائتة للحصر اما لان صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد بعنوانها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان ❁ رزقا لكم ❁ تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا وجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السما بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السما كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب او اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشيا بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنايع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم ❁ وسخر لكم الفلك ❁ بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك ❁ لتجري في البحر ❁ جريا تابعا لارادتكم ❁ بامره ❁ بمشيئته التي نيط بها كل شي وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الالات كما يتراءى من ظاهر الحال ❁ وسخر لكم الانهار ❁ ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم ❁ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ❁ يدابان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات ❁ وسخر لكم الليل والنهار ❁ يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة الماخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة ❁ وآتاكم من كل ما سألتموه ❁ اي اعطاكم بعض جميع ما سالتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد واتاكم كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على وجه المعهود فكانكم سالتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما طلبتموه بعض الاستعداد او كل ما سالتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شي واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شي وقيل الاصل واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه فحذف الثاني لدلالة ما بقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحلها ما سالتموه النصب على الحالية اي اتاكم من كل غير سائليه ❁ وان تعدوا نعمة الله ❁ التي انعم بها عليكم ❁ لا تحصوها ❁ لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصا ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها فمعنيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس منوا باصناف العنايا مبتلى بانواع الرزايا ❁ فهو بحيث لو تاملته العينة متقلبا في نعم لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وان من النعما ما حواه حيطة

الامكان وان كنت في ريب فتدبر انه ملك من ملوك اقطار العالم ودانت له مخاطبا كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير ند يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر ودر اقيتا غالية ونفايس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري ومو في تلك الحال جميع ماله من الملك والمال الفية تنجيه عن رداه او شربة تروبه من ظماه او عطا للهلاك فذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل كل ما حوته اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير ما في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام يتناولهما متى شاء من الليالي والايام وقدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان ❁ وانا اه الموت من كل مكان ❁ اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لرابه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا جملتها ومطالبها برمتها مع انه قد تاح له كل ان من انات الليالي والايام حالة اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق ❁ وسلوك سبيل الطور من سبيل النور وتحقيقها علمت ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة العدم ودار البوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس ❁ في كل زمان مضى وكل ان مر وينقضي من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه ان كما لا يستحق الوجود ابتدا لا يستحقه بقا وانما ذلك من جناب المبدا الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتدا ما لم ينسد عليه جميع انحا عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحا عدمه الطارئ لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشي واحد موانع غير متناهية حقيقية لا ادعا وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتدا وبقا وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل ان نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها ولا يطالعك العقول بابصارها شانك لا يضاهى لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك ❁ لك الاحسان بطاولها واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نسالك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ❁ ان الانسان لظلوم ❁ يظلم النعمة باغفال شكرها او يوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان ❁ كفار ❁ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيهم من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا ❁ واذ قال ابراهيم ❁ اي اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تذكيرها ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن اخر من جنايات حيث كفروا بالنعمة الخاصة بهم بعدما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وساله تعالى ان يجعله بلدا امنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم مكرر كذلك من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاه وجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا ❁ رب اجعل هذا البلد ❁ يعني مكة شرفها الله سبحانه ❁ امنا ❁ اي ذا امن او امنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعا والابتهال او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول

الى من تكلمنا وهذا البلقع وهو لا يرد علينا جوابا حتى قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وانما فصل ما بينهما تثنية الامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير ❁ واجنبني وبني ❁ بعدني واياهم ❁ ان نعبد الاصنام ❁ واجعلنا منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد من عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من الانجاب وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسماعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القران العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام وعلى انه لو كان كذلك لما فرط منه ❁ رب انهن ❁ اي الاصنام ❁ اضللن كثيرا من الناس ❁ اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالندا اظهارا لاعتنائه به ورغبته في استجابته ❁ فمن تبعني ❁ منهم فيما ادعوا اليه من التوحيد وملة الاسلام ❁ فانه مني ❁ اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ❁ ومن عصاني ❁ اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة ❁ وصيغة الغير عليه السلام ضمير الجماعة لانه قبيل من تقدم ذكره ❁ فانك غفور رحيم ❁ قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا انه لو عبد ففي بالعرض بينه وبين غيره ❁ ربنا انه عليه السلام ضمير الجماعة لان ما قبل من تقدم ذكره وذكر بنيه والالتفات في قوله رب انهن الى اخره بالالتفات المصدرية وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله ❁ اني اسكنت ❁ الاية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لمن اخل في القبول واجابة المسؤول ❁ من ذريتي ❁ اي بعضهم او ذرية من ذريتي لحذف المفعول وهو اسماعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمينان متضمن لاسكانهم ❁ روي ان هاجر ام اسماعيل كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسماعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم ❁ بواد غير ذي زرع ❁ لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه وتعالى ❁ عند بيتك ❁ ظرف لاسكنت كقولك سكنت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته من المكان في قوله تعالى ❁ المحرم ❁ حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في كل عصر او منع من الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال لتسميته باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه الصلوة والسلام فانه بنزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ❁ ربنا ليقيموا الصلوة ❁ متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير الندا وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى ❁ وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء سؤاله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك دخل عليه الفا فقال ❁ فاجعل افئدة من الناس ❁ اي افئدة من افئدتهم من للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم واما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب لان المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعا بالبلدية فقد حكى بعبارة اخرى كامر ولابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كادر في ادؤر او على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افيد ❁ تهوي اليهم ❁ تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوي يهوى اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع وما اثار دعائه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطاير لعائف على الما فاشرفوا فاذا هم بها جرفقالوا لها ان شئت كنا معك وانسناك والما ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسماعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسماعيل منهم كما هو المشهور ❁ وارزقهم ❁ اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعا بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة ❁ من الثمرات ❁ من انواعها بان تجعل لهم بقربه قرى يحصل فيها ذلك او تجبي اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله

ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام ❁ لعلهم يشكرون ❁ تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعا من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفا في قوله تعالى فاجعل الى اخره ولا في دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا يخفى فانه عليه السلام بعد ما ذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول وبعد ذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكرم يستوجب افاضة النعيم وعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤل ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ❁ ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ❁ من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما تقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اي تعلم ما نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بالاخفي اقدم منه بما يعلن اولان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شي يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير الندا للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض ❁ وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السما ❁ لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الى اخره دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عنى بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشي اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بمتعلق يخفى وتقديم الارض على السما مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشان يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشيا فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدائية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين ❁ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ❁ اي مع كبري ويأسي عن الولادة قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها ❁ اسماعيل واسحاق ❁ روي انه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ❁ ان ربي ❁ ومالك امري ❁ لسميع الدعا ❁ لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعا الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعا بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم ❁ رب اجعلني مقيم الصلوة ❁ مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ❁ ومن ذريتي ❁ اي بعضهم عطف على المنصوب في اجعلني لما مر من اختصاص ما ذكر بالمتضرع فان اتباعهم له في ذلك وذريته اتباع له وانه ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت الى اخره فان اسكانه مع عدم حقيقه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعا الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعا ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ❁ ربنا وتقبل دعاء ❁ اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ❁ ربنا اغفر لي ❁ اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ❁ ولوالدي ❁ وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الاية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله تعالى عز وجل ❁ وللمؤمنين ❁ كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعا بالمغفرة جيء بضمير الجماعة ❁ يوم يقوم الحساب ❁ اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والسوق ولو قيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكى عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكى مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ❁ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ❁ خطاب لرسول

صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذا كما في قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الإيذان بكونه
واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه او تثبيته عليه السلام على حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك
للمبالغة في النهي والإيذان بأن ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بها مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان للغفلة
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وساير الظالمين شديد او لكل احد ممن يستحل
مما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ
عليهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصنائعه تعالى والاغترار بامهاله والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد
على اعمالهم وتجاوز بعد ذلك تغيرا وتطهيرا **انما يؤخرهم** اي يمهلهم متمتعين
كما يؤذن به النهي عن حكمة التاخير المشعر به قوله تعالى قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا
بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يستدعيه ويقتضيه ما ذكر وعلى ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم
ولا تحزن بتاخير ما يستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل هذا
او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التاخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر
انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حظهم من العذاب هو
الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك
ليوم هائل **تشخص فيه الابصار** وترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تطرف
اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار ذلك في قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الصيغة من شخص من البلد وشخص
الى ارتفاع **مهطعين** مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع ومقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة
وخوفا وحيث كان ادامة النظر عبارة عن النظر الى الداعي قيل **مقنعي رؤوسهم** الى الداعي مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله العتبي وابن
عرفة او ناكسيها ويقال اقنع راسه اي طاطاها ونكسها وهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة
من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية **لا يرتد اليهم طرفهم** لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة
اجفانهم التي هي الة الطرف فيكون اسناد الرجع الى الطرف مجازيا او نفس الطرف ... الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او
اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء اخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الى اخره او استيناف والمعنى
لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخيره عما هو من تتمة من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى
وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة
ولا راي فيه واعتبارها خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد معتبرة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا جهة ولا انتباه
او جملة مستقلة **وانذر الناس** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لماذا وامره بانذارهم وتخويفهم منه
والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار
هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان
الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي اندرهم
وخوفهم **يوم ياتيهم العذاب** المعهود وهو اليوم الذي وصف بما وصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيامة وقيل هو يوم
موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق **فيقول الذين ظلموا** اي فيقولون
والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر
اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد
بالناس ما يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار ويقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان
العذاب يعمهم كما يشعر به اندرهم وعدهم باتباع الرسل **ربنا اخرنا** ردنا الى الدنيا وامهلنا **الى اجل قريب** الى امد وحد من الزمان قريب
نجب دعوتك اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى
ونتبع الرسل فيما جاؤونا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل وجمع الرسل اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون
عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعدكل امة باتباع
رسولها **اولم تكونوا اقسمتم من قبل** على اضمار القول عطفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا اولم تكونوا اقسمتم
اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها **ما لكم من زوال** مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث
بنيتم مشيدا واملتم بعيدا اولم تحدثوا انفسكم بالانتقال عنها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد مداه او ما لكم من زوال

من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في
اقسموا كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله
انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير
ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الاية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب
نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الاية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ويقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا
زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ بك ونعوذ بجودك من عذابك وجليل ثوابك ولا تجعلنا
وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاوطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل **في مساكن الذين ظلموا انفسهم** جريا على الاصل لانه منقول عن سكن السكون
واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقوا الاولين بسبب ما اجترحوا من الموبقات
وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم ايلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير
اختصاص الاستعمال في الخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومه لهما الكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار
حال او اخرهم **وتبين لكم** بمشاهدة الاثار وتواتر الاخبار **كيف فعلنا بهم** من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد
وكيف منصوب بما بعده من الفعل والجملة فاعل تبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب
بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه حتى حين **وضربنا لكم الامثال** اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على
السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم
لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم وما لكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الاجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي
او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين
بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال **وقد مكروا مكرهم** حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من
الثاني او منهما جميعا واما قدمت عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير
الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم
او وقد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومباعدة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله سبحانه
وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى المفعول وتسميته مكرا لكونه بمقابلة
مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد
مستانف والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رايهم حيث باشروا فعلا على تحقق
ما يوجب تركه **وان كان مكرهم** في العظم والشدة **لتزول منه الجبال** اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسويا
لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي
يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذفت ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع
القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند
الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من
الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال وعلى انها عبارة عن ايات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته
الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر القرآن العظيم
كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم
لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الايات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم
لازالة الايات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الايات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالتها وقد قرئ الكسائي
لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه
الطبع اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ
وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله
عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وغيره من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون

اخرجنا ،

فلا يتكلمون ،

... الذي حقه التعدية بنفسها اومن السكون ،

وعد النعمة ،

مع ،

من ٧ م

من ،

واستقبالا

على تقطيع ما بقي اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا تجمع الكلام

قوله تعالى وقد مكروا الى آخره حال من الضمير المقدر اى فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم مع ما فعلوا من الاصغاء والمذكور مع ما بينهم من السكون فى مساكنهم المساكن وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اى لم يكن الصادر منهم مجرد الاصغاء والذى ذكر آنفا بل اجترءوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا واصحابه كذلك من قبل وقوله تعالى • وان كان مكرهم لتزول منه الجبال • مسوق لبيان عدم تفاوت الحال فى تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما تراه وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبى صلى الله عليه وسلم اى وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه ما هى كالجبال الراسيات من الشرائع والايات التى هى فى القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة يكون كالاول ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كما فعل الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شأن الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم لا قد ذكرنا من قبل فليتأمل • فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله • لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى الآية كما قيل فانه لا اختصاص له بالعذاب لاسيما الاخروى بل ما سلف آنفا من وعده بعذاب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما ينبئ عنه الفاء الداخلة على النهى المؤذن بترتيبه عليه عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذار الناس يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم من رسلهم بعدما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم فكانه قيل وعد الله بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم فى احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلاف رسلنا وعدنا • ان الله عزيز • غالب لا يماكر وقادر لا يدافع • ذو انتقام • لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهى المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر • يوم تبدل الارض غير الارض • ظرف لمضمر مستأنف ينصب عليه النهى المذكور اى يجزيهم يوم الخ او معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكنه احوال حيث ذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم الانتقام للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيبا لكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب او نصب باذكر او بانتقام او لا يخلف وعده يوم تبدل الى آخره وفيه ايضا ما فى الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل لا يعمل فيما بعده وقيل يوم مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون فى الذات كما فى بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون فى الصفات كما فى قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص فى احد الوجهين فعن على كرم الله تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضى الله عنه تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد • وما الناس بالناس الذين عهدتهم • وما الدار بالدار التى كنت تعلم • وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا • والسموات • اى وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا • وبرزوا • اى الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التى فى بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التى كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم بالاشكال المناسبة لها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو • لله الواحد القهار • للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام وذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضار ولا يغالب كان فى غاية ما يكون من الشدة والصعوبة • وترى المجرمين • عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعى لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدر على تقدير كونه مجزوما • يومئذ • يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ يجزيه وعده • مقرنين • قرن بعضهم مع بعض حسب قرانهم فى الجرائم او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصورها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين • فى الاصفاد • اى القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اى مصفدين • سرابيلهم • اى قمصانهم • من قطران • جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم فى مقرنين والجملة الاسمية اذا وقعت حالا فالاكثر فيها الواو والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار ويطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة

من العذاب لذعه وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما نشاهده منهما اسماء مستعار لما فى الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب لها الآلام والغموم بل وان يكون ما فى القطران المذكور عين ما لابسوه فى هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت فى النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطر آن اى نحاس مذاب بالغ حره • وتغشى وجوههم النار • اى تعلوها وتحيط بها النار التى تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب الى آخره ولكونها مجمع المشاعر والحواس التى خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها فى تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغنى عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزى على رؤوس الاشهاد وقرئ تغشى اى تتغشى بحذف احدى التاءين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء • ليجزى الله • متعلق بمضمر اى يفعل بهم ذلك ليجزى • كل نفس • مجرمة • ما كسبت • من انواع الكفر والمعاصى جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الى آخره اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اى برزوا للحساب ليجزى الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لاسيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة • ان الله سريع الحساب • اذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه فى اعجل ما يكون من الزمان فيوفى الجزاء عقيبه او سريع المجازاة فى قرب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى وهو سريع الحساب • هذا • اى ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب • بلاغ • كفاية فى العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوت عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع • للناس • للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم فى قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرع مختصا بالظالمين • ولينذروا به • عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ او بمضمر يعرف اى كفاية لهم فى ان ينصحوا وينذروا به وهذا بلاغ لهم ليتنبهوا ولينذروا به من تعريف الكفاية على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما فى قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اى ولينذروا به انزل او تلى وقرئ لينذروا به من نذر بالشئ اذا علمه وحذره واستعد له • وليعلموا • بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التى هى اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق وحلق • انما هو اله واحد • لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعى الى التأمل المؤدى الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر فى قوله تعالى • وليذكر اولوا الالباب • اى ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التى يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفى تخصيص التذكر باولى الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولى الالباب الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثانى بالتذكر وروعى ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بهما فى الاولى والعقبى آمين • عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد • والحمد لله وحده •

• الر • قد مر الكلام فيه وفى محله فى مطلع سورة يونس واخواتها • تلك • اشارة اليه اى تلك السورة العظيمة الشأن • آيات الكتاب • الكامل المعهود الغنى عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بما سيأتى من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ ليس فى الاتصاف بذلك كثير مزية من الشهرة حتى تستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر فى سورة الرعد • وقرآن • اى قرآن عظيم الشأن • مبين • مظهر لما فى تضاعيفه من الحكم والاحكام او سبيل الرشد والغى او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وتفخيم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفى الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقه كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا فى بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل فى المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به دون اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهذا الكلام فى فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقى ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع فى بيان ما تضمنته فقيل • ربما • بضم الراء وتخفيف الباء

المفتوحة ووصل بالتشديد وتبع الراء بعضها وبزيادة التاء ساكنة ذا وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبزيادة التاء أيضا مشددة ومخففة
ورب حرف جر لا يدخل إلا على الاسم وما كافة مسوغة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله في قوله تعالى ﴿يود الذين كفروا﴾ لما أن المترقب في أخباره
تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى ﴿لو كانوا مسلمين﴾ منقادين لحكمه ومذعنين
لأمره وفيه إيذان بأن كفرهم إنما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة أو عند موتهم أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين أو عند رؤية
خروج عصاة المسلمين من النار روى أبو موسى الأشعري أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى
من أهل القبلة قال لهم الكفار ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم
بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال
لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الإسلام والحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم وأما نفس الودادة
فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وإنما جيء بصيغة التقليل جريا
على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو ربما وعنده جماعة من
الخاصة وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد إظهار براءته من التزيد وإبراز أنه ممن يقلل المعلوم لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير
القليل وعلى هذه الطريقة إنما سلك إذا كان الأمر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فصار التقليل بمعنى التحقيق وودادة الكافرين للإسلام في كل آن من آنات اليوم
الآخر وأن ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على أحد ولو جيء بكلام يدل على شدته وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء
وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ﴿ذرهم يأكلوا﴾ الآية أو ذهابا
إلى الإشعار بأن من شأن العاقل إذا عن له أمر يكون مظنون الحمد أو قليلا ما يكون كذلك أن لا يفارقه ولا يبارح عنه فكيف إذا كان متيقن الحصول كما في
قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإن المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به أو قليل الوقوع بل التنبيه
على أن العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم أو يقل وقوعه فيه فكيف مقطوع الوقوع وأنه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود
من سلوك هذه الطريقة إظهار الترفع والاستغناء من التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب عليهم
أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا ومن هنا قيل استزادتهم فما هم عليه من الكفر وهذا ظاهر بيان متمايزان ذاتا ومعنى ما فرطنا وأحوال
فقدنا من حرمة الفناء وحسبه ﴿ذرهم﴾ دعهم من النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة إذ لا سبيل إلى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي
ما يتعاطونه ﴿يأكلوا ويتمتعوا﴾ بدنياهم وفي تقديم الأكل إيذان بأن تمتعهم إنما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك
لا إحداثه فإنهم كانوا كذلك أو تمتعهم بلا استماع لما يعظهم من النصائح والزواجر فإن التمتع على هذا الوجه أمر حادث يصلح أن يكون مترتبا على تخليتهم
وشأنهم ﴿ويلههم﴾ ويشغلهم عن اتباعك وعن التفكر فيما يصيرون إليه أو عن الإيمان والطاعة فإن الأكل والتمتع يفضيان إلى ذلك ﴿الأمل﴾ والتوقع لطول
الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الحال وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل إلا خيرا فالأفعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للأمر حسبما عرفت من ضمن الأمر بالترك
للأمر بها على طريقة المجاز أو على أن يكون المراد بالأفعال المجزومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها أصلا ولا ريب في ترتب
ذلك على الأمر بالترك وأن النهي يهيجهم عليه من ارتكاب الشنائع ما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فأمر عليه السلام بتركهم ليتمتعوا فيما هم فيه من حظوظهم
فيتمادوا ما بدا لهم وعصوا بما فاتوا ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم أو وخامة عاقبته أو حقيقة الحال التي ألجأتهم إلى التمني المذكور حيث لم يعلموا
ذلك من قبيل تحقق ما هو فيه كونه وعيدا أيا وعيد تعليل للأمر بالترك فإن علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار
إذ لا يتحقق الأمر بالضد إلا بعد تكرر الإنذار وتقرر الجحود والإنكار وكذلك ما رتب عليه من الأكل والتمتع والإلهاء ﴿وما أهلكنا﴾ شروع في بيان سر
تأخير عذابهم إلى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الأمم الدارجة في تعجيل العذاب أي ما أهلكنا ﴿من قرية﴾ من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها
أو بإخلائها من أهلها غب إهلاكهم كما فعل بآخرين ﴿إلا ولها﴾ في ذلك الشأن ﴿كتاب﴾ أي أجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن
تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له ﴿معلوم﴾ لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف
والجملة حال من قرية فإنها لعمومها لا سيما بعد تأكيده بكلمة من في حكم الموصوفة كما أشير إليه والمعنى ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا حال
أن يكون لها كتاب أي أجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا نغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر أو مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال
أي إلا حال كون قرية من القرى متصفة بحال من الأحوال إلا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب أي أجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة لكن لا للقرية
المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة بل المقدرة التي هي البعض المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أي ما أهلكنا
قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن﴾ فإن قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لأنه إنما
يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد إلا أي ليس لهم طعام من جنس من الأشياء إلا طعاما لا يسمن
فلا بد فيه نفصل بين الموصوف والصفة بجملة إلا كما توهم وأما توسط الواو بينهما وإن كان القياس عدمه فللإيذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث إن
الواو شأنها الجمع والربط فإن ما نحن فيه من الصفة أقرى لصوقا بالموصوف منها بقوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ فإن امتناع انفكاك
الإهلاك من الأجل المقدر عقلي ومن الإنذار عادي جرى عليه السنة الإلهية ولما بين أن الأمم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وأن هلاكهم لم يكن
إلا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين أن كل أمة من الأمم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل ﴿ما تسبق من أمة﴾ من الأمم
المهلكة وغيرهم ﴿أجلها﴾ المكتوب في كتابها أي لا يجيء كتابها ولا تنقضي أمة قبل مجيء أجلها فإن السبق إذا كان واقعا على زمان فمعناه المجاوزة والتخليف
فإذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه أنه جاوزه وخلفه وراءه وإذا كان واقعا على زمان كان الأمر بالعكس والسر في ذلك أن الزمان يعتبر فيه
الحركة والتوجه إلى المتكلم فإن سبقه تحقق قبل تحققه وأما الزماني فإنما يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم إلى المقصد
وإيراده بعنوان الأجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما أن إيراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الإهلاك ﴿وما يستأخرون﴾
أي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وإيثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الإهلاك بصيغة
الماضي لأن المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الأمم الماضية والباقية وإسنادهما إلى الأمة بعد إسناد الإهلاك إلى القرية لما أن السبق
والاستئخار حال الأمة دون القرية مع ما في الأمة من العموم لأهل تلك القرى وغيرهم ممن أخرت عقوبتهم إلى الآخرة وتأخيره في الذكر مع تأخر
عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم إما باعتبار عدم تقدم السبق في الوجود وإما باعتبار أن المراد بيان
سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وإيراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور
والجملة مبينة لما سبق والمعنى تأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أشير إليه ببيان ودادتهم الإسلام إذ ذاك وبالأمر بتركهم وشأنهم إلى
أن يعلموا حقيقة الحال إنما هو لتأخر أجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من إيمان بعض من يخرج منهم إلى يوم القيامة
﴿وقالوا﴾ شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول إليه حالهم والقائلون مشركو أهل مكة لغاية تماديهم
في العتو والغي ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه
السلام وإشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم ﴿إنك لمجنون﴾ كقول فرعون إذ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون يعنون بأن من يدعي مثل هذا
الأمر البديع الخارق للعادات إنك بسبب تلك الدعوى وبشهادة ما تعرض عند ما تدعي أنه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم
مقام الفاعل لأن إنكارهم متوجه إلى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا إلى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى
﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ فإن الإنكار هناك متوجه إلى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وإيراد الفعل على صيغة المجهول لإيهام أن ذلك
ليس بفعل له فاعل ولتوجيه الإنكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى إسناده إلى الفاعل ﴿لو ما تأتينا﴾ كلمة لو ما عند تركبها مع ما تفيده ما تفيده عند تركبها
مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض فإنه عند إرادته لا يليها إلا الفعل ظاهرا أو مقدرا وعند إرادة المعنى الأول لا يليها إلا الاسم ظاهرا أو مقدرا عند
البصريين والمراد هنا هو الثاني أي هلا تأتينا ﴿بالملائكة﴾ ليشهدوا بصحة نبوتك ويعضدوك في الإنذار كقوله تعالى ﴿لولا أنزل إليه ملك
فيكون معه نذيرا﴾ أو معاقبين على التكذيب كما أتت الأمم المكذبة لرسلهم ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك فإن قدرة الله تعالى على ذلك مما
لا ريب فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فإنا لا نصدقك بدون ذلك أو إن كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت أممهم
المكذبة لهم ﴿ما ننزل الملائكة﴾ بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ بالإنزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول
ومن التنزل بحذف إحدى التاءين وما نشأ منه ومن التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق من جهته تعالى جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا
لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن أولها أعني قوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قالوا أجئتنا
بما الله فإنه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا أسعفكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن أول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر
من شدة اقتضائه للجواب وليكون أحد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله ولعل العدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم
بصدد الاقتراح بأن يقال ما نأتيهم بهم للإيذان بأنهم قد أخطأوا في التعبير حسبما أخطأوا في الاقتراح وأن الملائكة لعلو رتبتهم أعلى من أن ينسب إليهم
مطلق الإتيان الشامل للانتقال من أحد الأمكنة المتساوية إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وأن يكون مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وأن يدخلوا
تحت ملكوت أحد من البشر وإنما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل ﴿إلا بالحق﴾ أي ملتبسا
بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والذي
اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فإن ذلك من باب
التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء الكرام من أفراد كل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللئام وإنما الذي يدخل في حكم
الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضرابهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة ﴿وما كانوا إذا منظرين﴾ جزاء
الشرط مقدر وفيه إيذان بأنهم بعد ما لم يتقيدوا بمطلوبهم كما في قوله تعالى وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا إذا حرف جواب وجزاء عند صاحب النظم لفظة
إذا مركبة من إذ وهو اسم بمعنى الحين تقول أتيتك إذ جئتني ثم ضم إليه إن فصار إذ إن ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها وجيء بلفظة إذ دليلا على إضمار فعل بعدها

والتعذيب وما كانوا اذا كان ما طلبوه منظرين • والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضا
بتأخير عذابهم الى يوم القيامة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الى آخره وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة
بازديادهم عذابا وايمان بعض ذراريهم واما نظم بعض ايمانهم بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والعناد وحالهم في المكابرة
والعناد • وعدم انزالهم لعدم مساعدته الحكمة المجاز التنزيل العاجل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار
او انه لا حكمة في ان نأتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى
من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطعية السباق
لا يلائمه فرض وقوع شيء من ذلك بتعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل
الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما حيث
لتجديد عهده ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيامة لازديادهم بل تشديد عليهم
كما مر من قبل حيث كان في انشاء تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم للتعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه
النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم للتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب
فتدبر • انا نحن نزلنا الذكر • رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وتسلية له اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا
نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بسببه الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل
لا فاعل له • وانا له لحافظون • من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ
من مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته
وجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك
الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه
اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل
ورداً له لما ذكر آنفا وللارتباط بما يعقبه من قوله تعالى • ولقد ارسلنا • اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه • من قبلك • متعلق
بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك • في شيع الاولين • اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق
ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين
ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين • وما يأتيهم من رسول • المراد نفي اتيانه لكل رسول
لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع
الا وهو بمعنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها • الا كانوا به يستهزءون • كما يفعله هؤلاء الكفرة
والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على
الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزءون واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات وجوز ان يكون منصوبا
على الوصفية ان يعتد بالموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالكتاب
ولذلك قيل • كذلك نسلكه • اي الذكر • في قلوب المجرمين • اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف
او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او مسلوك السلك الذي سلكناه مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان
ليس لهم استعداد لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار
الصورة والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الابرة والرمح في المطعون • لا يؤمنون به • اي بالذكر حال من ضمير نسلكه او بيان له او بيانا
للجملة السابقة فلا محل لها وتفصيل الضمير في نسلكه للاستهزاء فيتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلكه لا يستهز
ئون به حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
• وقد خلت سنة الاولين • اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف
جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد • ولو فتحنا عليهم • اي على هؤلاء المقترحين المعاندين • بابا من السماء • اي بابا ما لا بابا
من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه • فظلوا فيه • في ذلك الباب • يعرجون • بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب
عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونهم عيانا مستوضحين طول نهارهم • لقالوا • لفرط
تماديهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم من قبول الحق • انما سكرت ابصارنا • اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما

بتخفيفه وقرئ من سكرت اي حارت • بل نحن قوم مسحورون • قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي
الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بنوع من السحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام
مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع تطرق
النظر على الابصار فلعلهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار • ولقد جعلنا في السماء بروجا • قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر
المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع
وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كائنة في السماء • وزيناها • اي السماء بتلك البروج
المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت • للناظرين • اليها فيعتبرين ظاهرا والمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها
وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة • وحفظناها من كل شيطان رجيم • مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها
ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها • الا من استرق السمع • محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض
لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة والمنقطع ان فسر ذلك بالمنع من دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفهم
اليسير من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع • فاتبعه • اي تبعه ولحقه • شهاب • لهب محرق وهي شعلة
نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق • مبين • ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم
في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال أرأيت قوله تعالى
انا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ________ ابن قتيبة ان الرجم كان قبل
مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى
السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى
ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل
وقال الحسن وطائفة يقتل قال الاول اصح • والارض مددناها • بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع
لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الى آخره وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى • والقينا فيها رواسي •
اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول الرعد • وانبتنا فيها • اي في الارض او فيها وفي رواسيها • من كل شيء موزون • بميزان الحكمة ذاتا وصفة
ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة • وجعلنا لكم
فيها معايش • ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل • ومن لستم
له برازقين • عطف على معايش او على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العيال والمماليك والخدم والدواب
وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يرزقون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا
لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين • وان من شيء • ان للنفي ومن مزيدة للتأكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا • الا عندنا خزائنه • الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول
والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته
تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها
ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن
السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية • وما ننزله • اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء
• الا بقدر معلوم • اي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان
تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له
من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا لبيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وما اما عطف على مقدر
اي ننزله وما ننزله الى آخره او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان
بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك
بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار • وارسلنا الرياح • عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض
لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح • لواقح • اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك
او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس ولكن

من السما · بعد ما انشأنا بسائق الرياح سحابا ماطرا · فاسقيناكموه · اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الما
معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا · وما انتم له بخازنين · نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شي الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده
وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه
فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الما تقتضي الغور · وانا لنحن نحيي · بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها · ونميت · بازالتها عنها وقد
يعم الاحيا والاماتة ما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدا خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير
الفصل لان اللام لا تدخل عليه ومنعه من ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع
بين اسمين · ونحن الوارثون · اي الباقون بعد فنا الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضا زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا واخرا
وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم كما يترائ من ظاهر الحال · ولقد علمنا المستقدمين منكم ·
من تقدم منكم ولادة وموتا · ولقد علمنا المستاخرين · من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الابا ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد
وسبق الى الطاعة ومن تاخر ولا يخفى علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه
وان تكرير قوله تعالى ولقد علمنا لما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله عليه السلام في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل
ان امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر اخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق
وما لحق من قوله تعالى · وان ربك هو يحشرهم · اي للجزا وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا
يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم
وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام · انه حكيم · بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشيا
على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي · عليم · وسع علمه كل شي ولعل تقديم وصف الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزا · ولقد خلقنا
الانسان · اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطوا اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام
من صلصال · من طين يابس غير مطبوخ والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل اي يصوت عند نقره وقيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو
صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن · من حما · من طين تغير واسود بطول مجاورة الما وهو صفة لصلصال اي كائن من حما
مسنون · اي مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الما صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب
وقيل منتن فهو صفة لحما وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حما تنبيها على ان ابتدا مسنونيته ليس في حال كونه حما كانه سبحانه
افرغ الحما فصور منه تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر اخر فتبارك الله احسن الخالقين · والجان · ابا الجن وقيل
ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره
مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره · خلقناه · وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية · من قبل · من قبل خلق الانسان
ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستاخرين الاخر والخطاب بقوله منكم للكل · من نار السموم · من نار
الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة
التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم
من تراب وسياق الاية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف
عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا · واذ قال ربك · نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع
فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشي الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
اشعار بعلة الحكم والتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى · للملائكة اني خالق · فيما سياتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع
من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه · بشرا · اي انسانا قيل انما قيل لهم ذلك بهذه العبارة الجارية ولانه
خطاب على الظاهر ان يكون قد قيل له اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا باديا
البشرة بلا صوف ولا شعر · من صلصال · متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن · من حما مسنون · تقدم تفسيره
ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد وما ورد عليه
من اثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غاية الامر انه لم يتعرض له هناك اكتفا بما شرح ههنا · فاذا سويته · اي صورته بالصورة
الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزا بدنه بتعديل طبائعه · ونفخت فيه من روحي · النفخ اجرا الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلا
بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعدادها وافضت عليه ما يحيى به من
الروح التي هي من امري · فقعوا له · امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحنا كما قيل اي اسقطوا له · ساجدين · تحية له وتعظيما

او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب اثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم
واعلم الناس بالقران والسنن · فسجد الملائكة · اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة · كلهم · بحيث لم يشذ منهم احد · اجمعون · بحيث لم
يتاخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية
بحسب الوضع والاصل في الكلام التنزيل على اكمل احوال الشي ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل في افادة
معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا ارتفع الاحاطة من لفظ اخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم
هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في سورة البقرة
فقد خرجنا بفضل الله تعالى وحسن توفيقه عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة · الا ابليس · استثنا متصل اما لانه كان جنيا مغمورا بالوف من الملائكة فعد
منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى · ابى ان يكون مع الساجدين · استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم
من الاستثنا فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الابا والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم
وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه حيث ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير ادم عليه السلام ومفارقة الجماعة والابا
عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام · قال · استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال · يا ابليس ما لك
اي اي سبب لك لا اي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك · الا تكون · في ان لا تكون · مع الساجدين · لادم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف
منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل على كل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد
اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفا بما ذكر في موطن
اخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة
وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه · قال · اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام · لم
اكن لاسجد · اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد · لبشر · اي جسم كثيف
خلقته من صلصال من حما مسنون · اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى دعوى الخيرية وشرف المادة اكتفا بما صرح به حين قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا
منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفي في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام
من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال ااسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل استفسار
عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم امتنع من امتثال الامر ولا من الانتظام
في سلك الملائكة بل مما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وذهل عن ان ما يدور عليه فلك
الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصا على امر رب العالمين جل جلاله · قال
فاخرج منها · اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السما فان وسوسته لادم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى
فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملائكة الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق الندا من بابها كما روي
عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فانك رجيم بالشهب وهو وعيد يتضمن
الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون · وان عليك اللعنة · الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه
وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي · الى يوم الدين · الى يوم الجزا والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه
وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزا لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد
اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية
يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الاخرة
من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى · قال رب فانظرني · اي امهلني واخرني ولا تمتني والفا متعلقة بمحذوف ينسحب عليه
الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني · الى يوم يبعثون · اي ادم وذريته للجزا بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره
وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث · قال فانك من المنظرين · ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله للاخرين على وجه يؤذن
بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشا لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت
اجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفا ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذلك
اهل فانه لا امكان لجعل الفا فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها
وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوباتهم الى الاخرة في علم الله

لا دلالة في هذا الطرد على دخول الابليس ... فان ... ان يكون من بعيد

صح ١٢

ممن سبق من الجن وغيرهم من الثقلين والالزام الاستنظار مع الحيرة ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته الى السؤال البعث
بالمرة وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم
الكريم لابد ان يكون له مقتضى بالحقيقة مبنيا على تغاير واما ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة
ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فما عداه مقتضى لمقتضى الحال والبالغ الى الطبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء
الى مرتبة الاعجاز وقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف • الى يوم الوقت المعلوم • وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه يصعق عندها
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير
بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستيثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلائق
جميعا وطعمهم وجر البعير في يوم واحد لموت اللعين في اوله وسبب في اواسطه وتعاقب في بقيته بر وان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا
مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه فاذا انا بحلقة عظيمة
وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر ادم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا راني ميتا وهو منظر الى يوم القيامة
فاجيب ان يا ادم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والاخرين ثم قال لملك الموت صف كيف
تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحاق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب
النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي
وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والاخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا
قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا
ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث
لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه
فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنزوي منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا
عند قبر ادم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه ادم عليه السلام
وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنته بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء
الله تعالى ويقال لادم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا
اتممت علينا نعمتك • قال رب بما اغويتني • الباء للقسم وما مصدرية والجواب • لازينن لهم • اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي
• في الارض • اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا
فانه فرع من فروعها واثر من اثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله تعالى لازينن جواب قسم
محذوف والمعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسهيل الاباطيل والمعتزلة اولوا
الاغواء بالنسبة الى الغي او بالنسبة له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه له على اغوائي
اذ ورائه تعالى وتعلمه بمن يمنعهم انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد
الثواب • ولاغوينهم اجمعين • لاحملنهم على الغواية • الا عبادك منهم المخلصين • الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم
كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل • قال • هذا صراط علي • اي حق علي ان اراعيه • مستقيم •
لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج
وضلال والظاهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية وقرئ علي
من علو الشرف • ان عبادي • وهم المشار اليهم بالمخلصين • ليس لك عليهم سلطان • تسلط وتصرف بالاغواء • الا من اتبعك من الغاوين •
وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان
بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم • وان جهنم لموعدهم • اي موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة
على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في الفظاعة • اجمعين • تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا واعني التقدير
الوعد المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان • لها سبعة ابواب • يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها حسب مراتبهم في الغواية
وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية • لكل باب منهم • من الاتباع والغواة • جزء مقسوم • حزب معين مفرز من غيره
حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة

للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير
للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية
والغضبية وقرئ جزء بالتثقيل وحذفا الهمزة والقاء حركتها الى الزاي تاما مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او ضميره في الظرف لا في
مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها • ان المتقين • من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة • في جنات وعيون • اي مستقرين
فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن
العظيم • ادخلوها • على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امر منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها
مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال • بسلام • ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم • امنين • من الافات والزوال
• ونزعنا ما في صدورهم من غل • اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين • اخوانا • حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة
وكذلك قوله تعالى • على سرر متقابلين • ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن
في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم • لا يمسهم فيها نصب • اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه
من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال
قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين • وما هم منها بمخرجين • ابد الاباد لان تمام النعمة بالخلود • نبئ عبادي •
وهم الذين عبر عنهم بالمتقين • اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم • فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر
المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب
ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج • ونبئهم • عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم
بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين له
في ضمن الخوف وتنبيههم حلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذابه هو العذاب الاليم • عن ضيف ابراهيم • عن ابن عباس رضي الله
عنه انهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه عليه السلام وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل
عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر
ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكرهم
• اذ دخلوا عليه • نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف او على ضيف ابراهيم حين
عليه لان الضيف في الاصل مصدر • فقالوا • عند ذلك • سلاما • اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما • قال انا منكم
وجلون • اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم
انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم
خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن او لغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به
والتعرض عليه السلام للتقريب للطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام
لسلامهم • قالوا لا توجل • لا تخف وقرئ لا توجل ولا تاجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله • انا نبشرك • استئناف في تعليل
النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا
• بغلام • هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود
• عليم • اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم • قال ابشرتموني • بذلك • على ان مسني الكبر • واثر في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة
منافية للولادة وزاد في ذلك فقال • فبم تبشرون • اي باي اعجوبة تبشروني او باي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة
بشارة بغير شيء وباي طريقة تبشروني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية • قالوا بشرناك بالحق • اي بما
يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله • فلا تكن من القانطين • من الايسين من ذلك فان الله تعالى
قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمة تعالى
في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة
فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه • قال ومن يقنط • استفهام انكاري اي لا يقنط • من رحمة ربه الا الضالون •
المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لذلك

الشيمة الجليلة على وفق الشعور لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم يكن مراده اللعاو
من الملائكة مع ابراهيم عليه السلام خاصة بل مع بشارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكرها ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كأنه لم يذكرها هناك اكتفاء
بما ذكر هنا ● **قال** ● اي ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله ● **فما خطبكم** ● اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة
● **أيها المرسلون** ● صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير اليها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن
فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول
وعدم ابتنائه عليه بل على غيره وخطابه لهم عليه السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصريحه بالخطاب دليل على ان مقالتهم
المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا فكأنه قال عليه السلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فما
ذا هو ولا حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك
اكتفي بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها فتأمل ● **قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين** ● هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم ● **الا آل لوط** ● استثناء متصل من الضمير
في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين
وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى ● **انا لمنجوهم** ● اي لوطا وآله ● **اجمعين** ● اي مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان
ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين والتعليل فان من تعلق بهم التنجية منجي من شمول العذاب
او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى ● **الا امرأته** ● استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا
الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف ● **قدرنا انها لمن الغابرين** ● الباقين مع الكفرة لتهلك معهم
وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاصه بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء
قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص ● **فلما جاء آل لوط المرسلون** ●
شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر
للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه
السلام بقوله تعالى ● **قال انكم قوم منكرون** ● انما قاله عليه السلام لهم ضجرا للنساء التي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم
يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة
والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه
لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم
له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم جوابهم المحكي بقوله تعالى ● **قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** ● اي بالعذاب الذي كنت
توعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع
وليست حاله بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام
من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم
به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه
وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى الاهلاك
اجمالا ثم ذكر فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في موضع آخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه
نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به ● **واتيناك بالحق**
اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور
وقوله تعالى ● **وانا لصادقون** ● تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل
على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيدا اثر تأكيد وقوله تعالى ● **فاسر باهلك** ● شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل
من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير ● **بقطع من الليل** ● بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم ● كم علينا من
قطع ليل بهيم ● وقيل هو ما بعد ما مضى منه شيء صالح ● **واتبع ادبارهم** ● وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق
مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات
المنهي عنه بقوله تعالى ● **ولا يلتفت منكم** ● اي منك ومنهم ● **احد** ● فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف
منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفه او هو للاسراع في السير

الملتفت فلما تخلوا عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة من الاسراء والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك لما عرفت مرارا اكتفاء بما ذكر في
مواضع اخر ● **وامضوا حيث تؤمرون** ● الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر
على الوصول واللحوق للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين ● **وقضينا** ● اي اوحينا ● **اليه** ● مقضيا ولذلك عدي
بالى ● **ذلك الامر** ● مبهم يفسره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى ● **ان دابر هؤلاء مقطوع** ● على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة
على الضمير للدلالة على اتصافهم بتلك القبائح التي هي مدار ثبوت الحكم اي ان هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادل
في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا وتفسيره ثانيا من
الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد ● **مصبحين** ●
داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء ● **وجاء اهل المدينة** ● شروع في حكاية
ما صدر عنه من القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سدوم
منزل لوط عليه السلام ● **يستبشرون** ● اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم ● **قال ان هؤلاء ضيفي** ● الضيف حيث كان مصدرا
في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم
بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشميره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم من السوء ولذلك قال ● **فلا تفضحون** ● اي عندهم بان تتعرضوا
لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا
اظهر من امره ما يلزمه العار ● **واتقوا الله** ● في مباشرتكم لما تسومون ● **ولا تخزون** ● اي لا تذلون ولا تهينوا بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة
الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض
للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذلك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه
من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان
يعرف انه لا ينفعهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام
وكذلك قوله تعالى ● **قالوا أولم ننهك عن العالمين** ● اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا
نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما تصدينا لما اعتراك
تلك الحالة ولما رأى انهم لا يقلعون عما هم عليه ● **قال هؤلاء بناتي** ● يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد
كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ● **ان كنتم
فاعلين** ● اي قضاء الوطر او ما اقول لكم ● **لعمرك** ● قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليه السلام
والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة ● **انهم لفي سكرتهم** ● غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت
عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب ● **يعمهون** ● يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض ● **فاخذتهم الصيحة** ●
اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام ● **مشرقين** ● داخلين في وقت شروق الشمس ● **فجعلنا عاليها** ● عالي المدينة
او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى ● **سافلها** ● مفعول ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر ● **وامطرنا عليهم** ●
في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب ● **حجارة** ● كائنة ● **من سجيل** ● من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ● **ان في ذلك** ●
اي فيما ذكر من القصة ● **لآيات** ● لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق ● **للمتوسمين** ● اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى
يعرفوا حقيقة الشيء بسمته ● **وانها** ● اي المدينة والقرى ● **لبسبيل مقيم** ● اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ● **ان في ذلك** ● فيما ذكر
من المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم ● **لآية** ● عظيمة ● **للمؤمنين** ● بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان
ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية
بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف ● **وان كان** ● اي انه كان على ان ان مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف
واللام هي الفارقة اي وان الشأن كان ● **اصحاب الايكة** ● وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة الشجرة الملتفة المتكاثفة
وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم ● **لظالمين** ● متجاوزين عن الحد ● **فانتقمنا منهم** ● بالعذاب روي ان الله تعالى
سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة ● **وانهما** ●
يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر ● **لبإمام مبين** ● لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ● **ولقد كذب اصحاب الحجر** ● يعني ثمود ● **المرسلين** ●

صالحا فان من كذب واحدا من الانبيا فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه
من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه ۞ والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه ۞ وآتيناهم آياتنا ۞ يعني الآيات
المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم ۞ فكانوا عنها معرضين ۞ اعراضا كليا بل كانوا معارضين
لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا ۞ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ۞ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعدا لوثاقتها او من العذاب
من الغرور وحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها ۞ فاخذتهم
الصيحة مصبحين ۞ وهذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السما صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي في الارض
فتقطعت قلوبهم في صدورهم وقال في سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهوا تموجا شديدا يفضي
اليها كما مر في سورة هود ۞ فما اغنى عنهم ۞ ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ۞ ما كانوا يكسبون ۞ من بنا البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد
المتكاثرة ودنيه تحكمهم والفا الترتيب عدم الاغنا الحاصل يوم نزول العذاب بما كانوا يرجونه لا عدم الاغنا المطلق فانه امر مستمر ۞ وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق ۞ الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك
اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسببها لعدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال
كما ينبئ عنه قوله تعالى ۞ وان الساعة لآتية ۞ فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك ۞ فاصفح ۞ اي اعرض عنهم ۞ الصفح الجميل ۞
اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ۞ ان ربك ۞ الذي بلغك
الى غاية الكمال ۞ هو الخلاق ۞ لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق ۞ العليم ۞ باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شي مما جرى
بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح
الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقدير وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير
والخلاق مختص بالكثير ۞ ولقد آتيناك سبعا ۞ سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن
وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع ۞ من المثاني ۞
بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة واما تكرر قراءتها في غير
الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يعقبها في الصلوة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية
لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان
كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثنا لاشتماله على ما هو ثنا على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة
للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثنا على الله تعالى كانها
تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثني عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض
وعلى الاول للبيان ۞ والقرآن العظيم ۞ ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض والعام على الخاص وان اريد به الاسباع
او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله ۞ الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة في المزدحم ۞ اي ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم ۞ لا تمدن عينيك ۞ لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك ۞ الى ما متعنا به ۞ من زخارف
الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ۞ ازواجا منهم ۞ اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة
الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر
الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقيل لهم لقد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه
القوافل السبع ۞ ولا تحزن عليهم ۞ حيث لم يؤمنوا ولم ينخرطوا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفا المسلمين وقيل انهم المتمتعون
وبالا وتكلة على فان متعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم ۞ واخفض جناحك للمؤمنين ۞ اي تواضع لهم وارفق بهم والن جانبك لهم
وطب نفسا عن ايمان الاغنيا ۞ وقل اني انا النذير المبين ۞ اي المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله ۞ كما انزلنا على المقتسمين ۞
قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الى آخره اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب ۞ الذين جعلوا القرآن عضين ۞ اي
عضوه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه لاقتسامهم
استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي ونحو ذلك او قسموا ما قرءوا من كتبهم وحرفوه فاقروا

ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب بذلك بانه حمل المقام من التسلية
ولقد اوتي عليه السلام ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل
انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك والتعبير
بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تاكيد الانذار وتشديد
وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يتبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة بحتة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع
له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود
بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع مشاركتهم للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف
الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونهم من بحاشا يتاتح الاقتسام وتخصيص من بين عشيرة وجعل الموصول مفعولا اولا للانذار اي انذر المعضين
الذين يجزون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لقعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله
تعالى يوم بدر وقبله بآفات وقيل مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين
ولا مسموع الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا نفس التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار حيث ان ما انزل
بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به غيره ولا مخصوصا بهم بل عاما لاهل القريتين كلهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة وابي
جهل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل هلاك اكثر المقتسمين يوم بدر وانى تقدير المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم
مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما مر وفيه مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه السلام
والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين
تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الهرب الى مسالك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا لمضمر اي انا
النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقد جعل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى
وانت خبير بان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور
عقيبه حيث لم يكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ ضرورة احتياجنا مفعولا اول للنذير او لما دل عليه من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز
الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لما ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت
للموصول والموصوف ولا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذاب هولاء خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بمعزل من التقاسم
على التبييت المذكور السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هولاء ولا علاقة بين السببين منهم ما لاجلها
يصح وقوع احدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين في مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت
المدلول عليه بالتقاسم ضرورة اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على خبره والجملة
القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل واذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب الى الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين
اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من رواغ
النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين
لان الغرض بيان المماثلة بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين
حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى آخره للتنبيه على ما بين الايتاءين من التنافي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان وشتان
بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في
الصلوات الابراهيمية فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام وآله اتم واكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم
وانما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام تفضيله
ما تعلق به الاول على ما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم
ان يؤمنوا بالكل حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ
لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم وتعديد اول علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه
السلام بمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهي عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعن ايمانها لاهلها بالتمتع المنبئ عن وشك زوالها عنهم وعن الحزن لعدم
ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار القيام بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف

ما ادون من القران العظيم نتدرج الى كيفية اياته على وجه اودع فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه
وحيا صادقا ما فصل والله عنده علم الكتاب هذا وقد جعل المعنى ● قل انى انا النذير المبين كما انزلنا في الكتاب انك ستأتي نذيرا على ان المقتسمين
اهل الكتاب الذي اتى به بيان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الواقعة ● هي مع مدخولها في محل النصب على الحالية من مفعول
قل اي قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتاب اي مرافقا لذلك فالانسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا بما
فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم ● وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا
جعلها اعضاء وانما جمع جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القران بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم
لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق الذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوا
بالقران العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء
● فوربك لنسألنهم اجمعين ● اي المقتسمين يوم القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع ● عما كانوا يعملون ● في الدنيا
من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى
والقاء الترهيب الوعيد على اعمالهم التي ذكرها بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام اظهار اللطف به عليه السلام
● فاصدع بما تؤمر ● فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة
والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوحيناه من المثاني السبع والقران العظيم ● واعرض عن المشركين ● اي لا تلتفت
الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تستعد للانتقام منهم ● انا كفيناك المستهزئين ● بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم
والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيما لاخذه
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ● الذين يجعلون مع الله الها آخر ● وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب
عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه ● فسوف يعلمون ●
عاقبة ما يأتون ويذرون ● ولقد نعلم انك يضيق صدرك ● بما يقولون ● من كلمات الشرك والطعن في القران
والاستهزاء بك وبه وحكاية الحال بالتأكيد لافادة تحقيق ما تضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار
متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة ● فسبح بحمد ربك ● فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس
ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار
بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد ● وكن من الساجدين ● اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك وتنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده
على ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ● واعبد ربك ● دم على ما انت عليه من عبادته
تعالى واثبت والاظهار لعنوان الربوبية لان الالتفات لتأكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة
● حتى يأتيك اليقين ● اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق ● واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول
اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين ● وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية

● اتى امر الله ● اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل والايذان بان تحققه في نفسه واتيانه
منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد
حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع والتعالله به وتحقيق الحسن موقع التفريع في قوله عز وجل ● فلا تستعجلوه ●
فان النهي عن استعجال الشيء والاجتماع لعدم وقوعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة عرضه على وقوعه ادعاء لوقوع يستحيل الاستعجال
لا بادعاء قرب وقوعه او وقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء
لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا

● من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها من العذاب يحيق بهم الذي هو عندهم اما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق
الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما مما لا يكون منه مناص رعاية لنكتة سرية يصعب تحققه
لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون
حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما
تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب
كما قيل لما يتوهم من ان المقصود رد العالمين ذاته فانه بمعزل من ابانة حسبما حققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو
الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك النهي انما هو
النهي عن الاستعجال المستلزم للامكان المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة
على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين ثم عدم تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون
امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستعرف عليه ولما كان استعجالهم
ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان آلهتهم تحجزه عن انجاز وعده او امضاء
وعيده وقد قالوا في شأنها هؤلاء شفعاؤنا عند الله نزه سبحانه عن ذلك فقيل ● سبحانه وتعالى عما يشركون ●
اي تنزه وتقدس بذاته عز وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة
الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية
شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه ● وقرئ على صيغة الخطاب ● ينزل الملائكة ●
بيان لتحتيم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين
اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق
علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك اثر ما اوحي به وبالاشارة الى ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهار البطلان رأيهم
في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام
قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التاءين
وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل ● بالروح ● اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين
مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح ● من امره ● بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه
امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره او الناشئ منه
او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره ● على من يشاء من عباده ● ان ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات
تؤهلهم لذلك ● ان انذروا ● بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة
عليهم عليهم السلام والآمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة
لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود
فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه
في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس ● انه لا اله الا انا ● فان الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير
الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وايثار مضمونه عن الحد وليس لذاته بل من حيث اتصاف
المنذرين بما يضاده من الاشراك ولذلك كان في كونه اعلاما انذارا ● وقوله سبحانه ● فاتقون ● خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء
فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية
فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد ما تمتينا الدليل السمعي للتوحيد
شرع في تحرير الادلة العقلية وتفصيل ● خلق السموات والارض بالحق ● اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفائق ● والنمط اللائق ● تعالى ●
وتقدس بذاته لاسيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين ● عما يشركون ● من اشراكهم المعهود او من شركة ما يشركونه به من الباطل الذي
لا يبدئ ولا يعيد وقيد ما نسبه على سنن الكل المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه مبتدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال
● خلق الانسان ● اي هذا النوع غير الفرد الاول منه ● من نطفة ● جماد لا حراك بها ولا حس شيئا لا يحفظ شكلا ولا وضعا ● فاذا هو ● بعد الخلق

خصيم منطيق لا يجادل عن نفسه مكافح للخصوم «مبين» لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته
تعالى ووحدته او مجادل لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت «والانعام» وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر
والضأن والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى «خلقها» او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك
وقوله «لكم» اما متعلق بخلقها وقوله «فيها» خبر مقدم وقوله «دفء» وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول
خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة «ومنافع» هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بالمنافع
ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى «ومنها تأكلون» اي تأكلون ما يؤكل منها من
اللحوم والشحوم ونحو ذلك وتغيير النظم الايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها
ولذلك جعلت محلا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد والمعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط
وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب
باكراء الابل واثمان نتاجها والبانها وجلودها «ولكم فيها» مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية «جمال» اي زينة في اعين الناس
ووجاهة عندهم «حين تريحون» تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي «وحين تسرحون» تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها
فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها
ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر
لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في
استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضروع حافلة الضروع
وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه «وتحمل اثقالكم» جمع ثقل وهو متاع
المسافر وقيل انفسكم واجرامكم «الى بلد» قال ابن عباس رضي الله عنه اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظرا الى انها متاجر اهل
مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظرا الى ان اثقالهم واحمالهم عند قفولهم من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة اشد والظاهر انه عام لكل
بلد بعيد «لم تكونوا بالغيه» واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل «الا بشق الانفس» فضلا عن استصحابها
معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة
الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي
الا بشق قوى الانفس فهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق
الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ
وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السابقة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب
المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف
الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات «ان ربكم لرؤف رحيم» ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور
الشاقة «والخيل» وهو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي وخلق الخيل «والبغال والحمير لتركبوها» تعليل
بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه «وزينة» عطف على محل لتركبوها وتجريده من اللام لكونه فعلا للفاعل المعلل
دون الاول وتأخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون
مصدرا لفعل محذوف واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها «ويخلق ما لا تعلمون» اي يخلق في الدنيا غير ما عدد
من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار
الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه الصلاة
والسلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا
اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل
فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم
سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة «وعلى الله قصد السبيل» القصد
مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي

يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب
الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها
اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره
وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاصل بين كل ما جل من الاسرار ودق المبادي على
سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية من تيه الضلالة ومهاوي الردى الا ترى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب
الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم ادمج سر الوحي الى الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم
عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض
تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق
ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد اي بيان وتعديل له ايما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل
اضافة القصد اليه وقوله تعالى «ومنها» في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون ذلك وقد مر في
قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر «جائر» اي مائل عن الحق
منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها
راجع اليها بتقدير المضاف اي من جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد
اعوجاجه واياما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب وما هو لازم ومطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن
عدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي
يمرضني ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد الاعلام
انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجب تغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك
في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان
يقال وجائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى لعين نكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي الحال وقع ذلك بابقاء لا حاجة
الى تغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر
النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكها الناس باختيارهم ويصلوا الى
المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما لا يجب على الله تعالى
لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى «ولو شاء
لهداكم اجمعين» اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته
تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه
يترتب الاعمال التي بها يناط الجزاء وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه
على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه التمثيل من غير ان يكون استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى
عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف
على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا
حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة للتوسيط بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق المستقيم للتوحيد على وجه اجمالي
وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك بما ذكر من السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما سيأتي من
ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل «هو الذي انزل» بقدرته القاهرة «من السماء» اي من السحاب او من جانب السماء «ماء» اي نوعا منه
وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل الماء من السماء والتشويق الى ما سيأتي من ان
عند تأخر ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن «لكم منه شراب» اي ما تشربونه وهو اما
مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه
حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف
الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته
مما لا يليق بجزالة النظم التنزيلي الجليل «ومنه شجر» من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق او لا وقيل

اجارا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الابال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وقيل حذف مضاف
لانه اكلوا من الشجر فانه حتى يعني الكلأ ● فيه تسيمون ● ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي
علامات في الارض ● ينبت ● اي الله عز وجل وقرئ بالنون ● لكم به ● بما انزل من السماء ● الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ● بيان للنعم الفائضة
عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنة جارية على مر الدهور ولاستحضار صورة
الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر انفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه
لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور
اصالتهما وتباينهما وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها
تحت قوله تعالى ● ومن كل الثمرات ● للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام وحصوله بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم
الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي الذين لم
يزرعوا ولم يغرسوا وقيل المراد تقديم ما يسر ولا تقديم غذاء به فانه غذاء حيوان الانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى
الزرع وما عطف عليه ● ان في ذلك ● اي في انزال الماء وانبات ما فصل ● لاية ● عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال
العلم والقدرة والحكمة ● لقوم يتفكرون ● فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق منها
اسفلها فيخرج منها عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار
والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية
مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه
شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث
افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الاية الكريمة بالتفكر ● وسخر لكم الليل والنهار ● يتعاقبان خلفة لمنامكم
ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ● والشمس والقمر ● يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما اصلاحه
من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لكم تمكينهم من تصرفهما كيف شاؤا كما في قوله تعالى
سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسبما رادهم وفيه
التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد
مستمر والتجدد انما هو في اثاره ● والنجوم مسخرات بامره ● مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات
لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها
اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى
الاسمية المفيدة للدوام او جعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات للدلالة والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم
على انه مفعول اول لفعل مقدر يغني عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة
ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده
وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين
النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه دون غيرها
للدور والتسلسل لنفيه مسبب ان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما نازع
فيه الخصم ولا مما يعلم في قوله ما [illegible] تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله الى انى يؤفكون
وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله الاية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شانه لا يتوهم
ان يشاركه شيء في شيء فضلا من ان يشاركه الجماد في الالوهية ● ان في ذلك ● اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا ● لايات ●
باهرة متكاثرة ● لقوم يعقلون ● وحيث كانت هذه الاثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة
على الوحدانية اظهر جمع الايات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه
حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب
في ان احتياجها الى التفكر اكثر ● وما ذرأ ● عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق ● لكم في الارض ● من
حيوان ونبات حال كونه ● مختلفا الوانه ● اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخرا لله تعالى لما خلق له من الخواص
والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات ونصب [illegible]

الخالق لهم معنى من ذكر التسخير واعتذار ان الاول الاستدلال والثاني لا وما عقليا الجواز ان يكون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب
بفعل مقدر اي خلق والمبتلى ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ● ان في ذلك ● الذي ذكر من التسخيرات ونحوها ● لاية ● بينة الدلالة على ان من هذا شانه
واحد لا نظير له ولا ضد ● لقوم يذكرون ● فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع
والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمدار ما اوصلها به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراده ما يدل
على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة حتى به للاستدلال به على ما يقتضيه
ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية ● وهو الذي سخر البحر ● شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة
بالبر حيوانا او نباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد ● لتاكلوا منه لحما طريا ● هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا
للتلويح باغتصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبي
عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف
لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فاتى بالسمك لم يكن
ممتثلا للامر الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة ● وتستخرجوا
منه حلية ● كاللؤلؤ والمرجان ● تلبسونها ● بين في مقام الامتنان عن لبس نسائهم باسنادهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم ● وترى الفلك
السفن ● مواخر فيه ● مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك ● ولتبتغوا ●
عطف على لتستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا
بذلك ولتبتغوا او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا ● من فضله ● من سعة رزقه بركوبها للتجارة ● ولعلكم تشكرون ●
اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا
لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط
الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وحصولهما معا ● والقى في الارض رواسي ● اي جبالا ثوابت وقد حقق
في اول سورة الرعد ● ان تميد بكم ● كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة
الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال ● وانهارا ● اي وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل ● وسبلا لعلكم تهتدون ● بها الى مقاصدكم ● وعلامات ● معالم يستدل
بها السابلة من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويعرفون به الطرقات ● وبالنجم هم يهتدون ● بالليل في البراري والبحار
حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن
ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري الترداد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم
وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم
لهم واوجب عليهم ● افمن يخلق ● هذه المصنوعات العظيمة ويفعل ما يشاء من الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء ● كمن لا يخلق ● شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة
وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام وانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا
وتعقيب للمرة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك
فيما بينهم حسبما يؤذن به ما نقل اثر من قوله تعالى ولئن سألتهم الاية والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعها اياها او لكون
كل منها خلقا مخصوصا اي ابعد ظهور اختصاصه تعالى ببدائع هذه الشؤون الواضحة الدالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده
باستحقاق العبادة تتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما يقتضيه اشراككم وهذا وان كان حق تشبيه غير الخالق بالخالق
لكن التشبيه حيث كان نسبة القوم بالمنتسبين اخير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملائكة على العدم [illegible]
جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات
[illegible] الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة والعقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم
[illegible] حيث لم يكن مما يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واما ما كان فدخول الاصنام في حكمه [illegible] والمماثلة والمشابهة بالطريق
الاندراج تحت الموصول لعمومه واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانها من المرادة بالموصول خاصة ● افلا تذكرون ●
اي الا تلاحظون فلا تذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر ● وان تعدوا نعمة الله ● بعد ما ذكر اجلال النعمة تعالى [illegible]

منها وكان المقام ايراده عقيبها لكنه لما كان على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة
والقام الحجر اثر ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة
ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغني عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا
نعمه الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ● لا تحصوها ● لا تطيقوا حصرها وضبط عددها
ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ● ان الله لغفور ● حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها
والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك ● رحيم ● حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من اصناف
الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايا نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت
الرحمة لتقدم التخلية على التحلية ● والله يعلم ما تسرون ● تضمرونه من العقائد والاعمال ● وما تعلنون ● اي تظهرونه وحذف العائد لمراعاة
الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر
على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن
او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ● والذين يدعون ● شروع في تحقيق
كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك
الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والالهة الذين تعبدهم
الكفار ● من دون الله ● سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب ● لا يخلقون شيئا ● من الاشياء اصلا اي ليس من شانهم ذلك ولما لم يكن
بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل ● وهم يخلقون ● اي شانهم ومقتضى
ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم
وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والالهية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني
عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز منهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث
اشركوا بالله تعالى مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدار عليه استحقاق العبادة
اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل ● اموات ● وهو خبر ثان للموصول او للضمير
كما قيل وخبر مبتدا محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز
عن ذلك فقيل ● غير احياء ● اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى ● وما يشعرون ايان يبعثون ● اي ما يشعر اولئك
الالهة ايان يبعث عبدتهم ففيه تهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان
البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية ● الهكم اله واحد ● لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة مما سبق من
الحجة ● فالذين لا يؤمنون بالاخرة ● واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يتبعه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلك لهم ● قلوبهم منكرة ● للوحدانية
جاحدة لها وللايات الدالة عليها ● وهم مستكبرون ● عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم
على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ● والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه
فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالاخرة
وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب والعقاب المقتضية يؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية
الموجب لانكارها وانكار مدلولها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التامل
في الايات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى ● لا جرم ● اي حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ● ان الله
يعلم ما يسرون ● من انكار قلوبهم ● وما يعلنون ● من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك ● انه
لا يحب المستكبرين ● تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف
من استكبر عما ذكر ● واذا قيل لهم ● اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غيرهم اثر بيان ضلالهم ● ماذا انزل ربكم ● القائل الوافدون
عليهم او المسلمون او بعضهم على طريقة التهكم وماذا منصوب بانزل او مرفوع اي اي شيء انزل او ما الذي انزله ● قالوا اساطير الاولين ● اي
ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين اي احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا
مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما انزل عليه عليه السلام ● ليحملوا ● متعلق بقالوا اي قالوا ذلك
ليحملوا ● اوزارهم ● الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم ● كاملة ● لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين ● يوم

القيامة ● ظرف ليحملوا ● ومن اوزار الذين يضلونهم ● وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه
فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لحمل
بغير علم حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيامة اوزار الضلال
والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا او ما يتبعه ما سيأتي في قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال
والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيامة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف
عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه
على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل ● الا ساء ما يزرون ● اي بئس شيئا يزرونه
ما ذكر ● قد مكر الذين من قبلهم ● وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب
العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى ● فاتى الله ● اي امره وحكمه ● بنيانهم ● وقرئ بيتهم وبيوتهم ● من القواعد ● من جهة العمد
وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه ● فخر عليهم السقف من فوقهم ● اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام
بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك
الحيل والمكايد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم
السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين ● واتاهم العذاب ● اي الهلاك والدمار ● من حيث لا يشعرون ● باتيانه منه بل يتوقعون
اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم
لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ● ثم يوم القيامة يخزيهم ● فانه معطوف على مضمر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فعل بهم من
التعذيب بعذاب هؤلاء او ما يتوهم منه وما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ثم يوم القيامة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد كما
هو المنبئ ذكر على رؤوس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيا منه وثم للايماء الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير
السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيامة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بان لهم
جزاء اخر فيبقى النفس مرتقبة الى وروده سائلة عنه بانه ما ذا فيقتضيه بانه في الاخرة وتضييق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر
اخزاؤهم لا كونه يوم القيامة اما المفترين في حق القرآن الكريم او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السباق
والسياق كما ستقف عليه ● ويقول ● لهم تفضيحا وتوبيخا وهو تفسير للاخزاء بيان للاخزاء ● اين شركاءي ● اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة
وفيه توبيخ الى توبيخ مع استهزاء بهم ● الذين كنتم تشاقون فيهم ● اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها
والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر
بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوهم في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم
بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا [illegible] بعيد فانه قد تبين عندهم
الامر وجلا عن لان الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لاسيما في شان
متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل ● قال الذين اوتوا العلم ● من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا
يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم
به وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب
الاعراف ● ان الخزي ● الفضيحة والذل والهوان ● اليوم ● منصوب بالخزي على راي من يرى اعمال المصدر المعرف باللام او بالاستقرار في
الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق ● والسوء ●
العذاب ● على الكافرين ● بالله تعالى وباياته ورسله ● الذين تتوفاهم الملائكة ● بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء
والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل النصب
او الرفع على الذم وفائدة تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من امن منهم ولو في اخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى
ان يتوفاهم الملائكة ● ظالمي انفسهم ● اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة
الله تبديلا ● فالقوا السلم ● اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول اين شركاءي وما
بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الاشهاد اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر
وشدة الشكيمة قائلين ● ما كنا نعمل ● في الدنيا ● من سوء ● اي شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه
بالسوء اعترافا منهم بكونه سوءا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام المنبئ عنه

وعلى المتعدين ونحو جواب بعض قوله سبحانه اين شركائي كما في سورة الانعام ولا عن قولهم ولي العلم ادعائه عدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء • بلى • رد عليهم
من قبل أولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون • ان الله عليم بما كنتم تعملون • فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه • فادخلوا ابواب جهنم •
اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة • خالدين فيها • ان اريد بالدخول حدوثه فالحال
مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة • فلبئس مثوى المتكبرين • اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان
التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا وزعمنا للحمل
على ان لا كذب ثمة يرده ما مر ذكره وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم • وقيل للذين اتقوا • اي المؤمنين وصفوا بالتقوى
اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى • ماذا انزل ربكم قالوا خيرا • سالكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة
والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطلق للسؤال شكا وللواقع في نفس الامر معتمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع
الذي يسترعيه من واقع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير لما مر من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد
ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا • للذين
احسنوا • اي عملوا الاعمال الصالحة او فعلوا الاحسان • في هذه • الدار • الدنيا حسنة • اي مثوبة حسنة مكافاة فيها • ولدار الآخرة • اي مثوبتهم فيها
خير • او اي الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق تجوز اسناد الخيرية الى نفس الدار الآخرة • ولنعم دار المتقين • اي دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق
عليه وهذا الكلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جزاءهم المحكي من جملة احسانهم وعدهم به ذلك ثواب الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب
او بدل من خيرا وتفسير له اي انزل خيرا هو هذا الكلام والجامع تالوه ترغيبا للسائل • جنات عدن • خبر مبتدأ محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون
هو المخصوص بالمدح • يدخلونها • صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك • تجري من تحتها الانهار • او كلاهما حال على تقدير علميته • لهم فيها •
في تلك الجنات • ما يشاؤن • الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاؤنه من انواع المشتهيات
وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها
فضل تمكن • كذلك • مثل ذلك الجزاء الاوفى • يجزي الله المتقين • اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون
دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه غيظ للكفرة • الذين تتوفاهم الملائكة • نعت للمتقين وقوله تعالى
طيبين • اي طاهرين من دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت
توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض
ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس • يقولون • حال من الملائكة اي قائلين لهم • سلام عليكم • قال القرطبي رحمه الله اذا
استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة • ادخلوا
الجنة • اللام للعهد اي جنات عدن الى آخره ولذلك جرد عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر
به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة • بما كنتم تعملون • بسبب ثباتكم على
التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي الحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق • هل ينظرون • اي ما ينتظر كفار مكة
المار ذكرهم • الا ان تأتيهم الملائكة • لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وليسوا منتظرين له بطريق الاستعارة لان اتيانه اليهم البتة حلول الامر المنتظر
بالمنتظر لاسيما مع الموجبة له المؤدية اليه فكأنهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بالياء • او يأتي امر ربك • القيامة او جميع
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بان ذلك لطف به صلى الله عليه وسلم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي
لا القيامة لكن لان انتظارها على اشعار لان الملائكة فلا يلائمه العطف وانما تعالى العقاد الاجزاء ان يعتبر مع احدهما
كانه كل واحد من الامرين جعلهم بلا ان قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الآية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب
الدنيوي • كذلك • اي مثل ذلك الفعل من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء • فعل الذين خلوا • من قبلهم • من الامم • وما ظلمهم الله •
بما فعل بهم • ولكن كانوا • بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك • انفسهم يظلمون • لان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين
كما في سورة الزخرف لكنه ادرج فيه ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام انحصار ظلمهم
كل احد على نفسه من حيث الوقوع انحصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس • فاصابهم • عطف على قوله تعالى فعل الذين
من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم • سيئات ما عملوا • اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه
ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم • وحاق بهم • اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة
وافظع • ما كانوا به يستهزؤن • من العذاب • وقال الذين اشركوا • اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول

لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر • لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء • اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك
ولا آباؤنا • الذين نقتدي بهم في ديننا • ولا حرمنا من دونه من شيء • من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول صلى الله عليه وسلم
وطعنا في الرسالة واساسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ونحلل ما احله ولا نحرم منها شيئا كما يقول الرسل
وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله
الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل • كذلك • اي مثل ذلك الفعل الشنيع • فعل الذين من قبلهم • من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله
وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق • فهل على الرسل • الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه • الا البلاغ
المبين • اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي التي من جملتها حتم تعلق مشيئة
الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم
عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف حتى يستدل بعدمه على عدم
حقية الرسل او على عدم مشيئته تعالى لذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم
الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل
فان الرسل ليس شانهم الا التبليغ لاوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجراء موجبهما على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك
مأمورين او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وهو اظهر الى عمل قولهم لو شاء الله الى آخره على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب • ولقد بعثنا
في كل امة رسولا • تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه
الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم • ان اعبدوا الله • يجوز ان تكون ان مفسرة لما في البعث
من معنى القول وان تكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده • واجتنبوا الطاغوت • [illegible] من هدى الله • الى الحق الذي هو
الشيطان وكل ما يدعو الى الضلال • فمنهم • اي من تلك الامم العاصية التي بلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت بعد
صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله • ومنهم من حقت عليه الضلالة • اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف
قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يرض كل شبهة الهداية وعدمها الا
حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده •
فسيروا • يا معاشر قريش • في الارض فانظروا • في اكنافها • كيف كان عاقبة المكذبين • من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة
لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب
للايذان بان ذلك غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترهيبا للنظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعليل
بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء • ان تحرص • خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة • على هداهم • اي ان تطلب هدايتهم بجد
• فان الله لا يهدي من يضل • اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول
موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر
على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهم من جملتهم • وقرئ لا يهدى على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضلله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح
والادغام وبكسر الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل • وما لهم من ناصرين • ينصرونهم
في الهداية ويدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا ان المراد نفي طائفة
من الناصرين من كل منهم • واقسموا بالله • شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث • جهد ايمانهم • مصدر في موقع الحال
اي جاهدين في ايمانهم • لا يبعث الله من يموت • ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق • بلى • اي يبعثهم • وعدا • مصدر مؤكد لما دل عليه
بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه ولمحذوف اي وعد بذلك وعدا • عليه • صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده
او لان البعث من مقتضيات الحكمة • حقا • صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا • ولكن اكثر الناس • لجهلهم بشؤن الله عز شانه من العلم
والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما يقتضيه
الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها • لا يعلمون • انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او لانه لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة حتى فيكذبونه قائلين لقد وعدنا
هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين • ليبين لهم • غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك
لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر ويصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الحال كما هي ومعاينتها
بصورها الحقيقية الشان • الذي يختلفون فيه • من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا • وليعلم الذين
كفروا • بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعد الحق • انهم كانوا كاذبين • في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير

من الحق بالموصول للدلالة على المجانسة وللاشعار بعلية ما في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلها غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده
في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستتبع للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا التحقيق
البعث اذا كان لتبيين الحق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة
على تحقيقه كالقول لمن ينكر انك تفعل لاصلبن رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها واما الغاية الاصلية
للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر ولظهوره
وانما لم يدرج علم الكافرين تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جئ بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي
هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا
واما حصر الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا • انما قولنا • استئناف لبيان كيفية
التكوين على الاطلاق ابداء او اعادة بعد التنبيه على انية البعث ومنه يظهر كيفيته فالفاء فقولنا مبتدأ وقوله • لشيء • اي اي شيء كان مما
عبر عنه بما ان يتعلق به على ان اللام للتبليغ كما في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجله وليس براجح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده
عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك • اذا اردناه • ظرف لقولنا اي وقت اردنا لوجوده • ان نقول له كن • خبر للمبتدأ • فيكون •
اما عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف
اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل
او يقال انما يستدعيه اختصاصا رقوله تعالى في قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار اسبابه بالتكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق
فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لامر
الآمر المطاع فالمعنى انما ايجاد الشئ عند تعلق مشيئتنا به ان يوجد في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق
الايجاد بالقول المطلق فتأمل في الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها له
بجواب الامر • والذين هاجروا في الله • اي في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه • من بعد ما ظلموا • ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه • لنبوئنهم
في الدنيا حسنة • اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية واما
ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم
ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله
عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مكية
وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقل عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين
فاما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اسوة حسنة او لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة وعلى اهل الشرق والغرب كافة • ولاجر الآخرة • اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة • اكبر •
مما نعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في
الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل • لو كانوا يعلمون • الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل
للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد والصبر او لما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها • الذين صبروا • على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة
الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح • وعلى ربهم • خاصة • يتوكلون • منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله
والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير
صبروا • وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم • وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من
البشر كما هو من قولهم لو شاء الله لانزل ملائكة اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة
الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل
• فاسألوا اهل الذكر • اي اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك • ان كنتم لا تعلمون • حذف جوابه لدلالة ما قبله
عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا
ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم • بالبينات والزبر •

بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال لم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء
مع رجالا عند من جوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات
والزبر الا رجالا عند من يجوز ان ما قبل الا الى ما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية
من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي
• وانزلنا اليك الذكر • اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين • لتبين للناس • كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا
• ما نزل اليهم • في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بانواع العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على
وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من
التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان ذلك في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل
• ولعلهم يتفكرون • اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين
من العذاب • افأمن الذين مكروا السيئات • اي اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم
الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب
المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي
وعملوا السيئات وقوله تعالى • ان يخسف الله بهم الارض • مفعول لأمن والسيئات صفة لما هو المفعول كما في الماكرين العقوبات السيئة وقوله
ان يخسف الى آخره بدل اشتمال من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر • لتبين لهم • مضمونه الذي
من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على
توجيه الانكار الى المعطوفين معا او الم يتفكروا فأمنوا على توجيهه الى المعطوف فان الامن من التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر هي
عنه الصلة اي امكروا فأمن الذين مكروا الى آخره • او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون • باتيانه اي في حالة غفلتهم او من مأمنهم او من حيث
يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف عن قوم لوط • او يأخذهم في تقلبهم • اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم • فما هم بمعجزين •
بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما توهمه حالة التقلب والسير في البلاد لتحصيل الاخذ والترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على سرعته ونقله
حسبما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام ومع
• او يأخذهم على تخوف • اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت
حالة التقلب والتخوف مظنة للهرب عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن امانيه حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف
التنقص قال قائلهم • تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن • اي يأخذهم على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا او المراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله سبحانه على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها • فان ربكم لرؤوف رحيم • حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها • أولم يروا • استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي الم ينظروا ولم يروا متوجهين • الى ما خلق الله من شيء • اي من كل شيء • يتفيؤا ظلاله • اي يترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى
فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بالتاء لتأنيث الفعل • عن اليمين والشمائل • اي المراد ما الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي
كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله • سجدا لله • حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال
والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى • وهم
داخرون • اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائص العقلاء والمعنى
ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات
اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام
داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام
حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار
التي لا تظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد
باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود
الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كان
لها ظلال او لا فقيل • ولله يسجد • لا لغيره تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الاول

بحال المخاطبين فقصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان
من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل
فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف
جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة
ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شانهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير
ليس للقصر والجملة اما حال من فاعل يسجد مسندا الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امرهم وفيه تربية
للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافونه حال كونه عاليا عليهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون
ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته ويفعلون
ما يؤمرون اي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة
الى التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ثم بين انه مع ان جميع
الموجودات يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعي وما جرى مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل
اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل
وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين
حيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية
من ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول
وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب لما التفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر
على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول
وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله
ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف
لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا زوال له
لما تقرر ان الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اعقيب تقرر
الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات بالسجود له تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي
ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة
اي نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة
بهم سبب الاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه
لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ
تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث
مع الدالة على وقوعه بعد مهلة من النعم وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة
الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بالمصاحبة وايرادها المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة
ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة
على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد مدة مديدة بل للدلالة على التراخي رتبة فان ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول
عليها بقوله سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال وان وجه الخطاب للناس جميعا
فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر
كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك
والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا
امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون لكفران النعمة
والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب

وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد لتهديد بذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون
ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي
يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك
فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن الهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية
واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما مما تقربوا اليها تالله لتسألن
سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ
عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتعجيب له عز وجل
عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف
المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين
يؤدي الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار كله
مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا يتوارى
يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا
نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتانيث
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون
لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مدار التخطئة
لقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي
الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك
بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه
وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والوجود الواسع
والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما يقولون علوا كبيرا وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم
بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس
الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم والايذان
بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك
عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع
البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة
وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار
بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له رأسا قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة
يونس ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تمهيدا للتعريض وتوطئة
لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى
عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك
واثبات لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوء وانهم مفرطون
اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء
المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونون حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا
تدعوهم الى الحق فلم يجيبوه الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين

اليوم اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيامة على طريقة حكاية حال الآتية وهي
حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي
قريش والمعنى زين للامم السابقة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم • ولهم في الآخرة عذاب اليم •
هو عذاب النار • وما انزلنا عليك الكتاب • اي القرآن • الا لتبين • استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل
الا للتبيين • لهم • اي للناس • الذي اختلفوا فيه • من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد • وهدى ورحمة • معطوفان على محل لتبين
اي وللهداية والرحمة • لقوم يؤمنون • وانما انتصبا لكونهما اثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما
لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة للمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره • والله انزل من السماء • من السحاب او من جانب السماء حسبما
وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطية لما يعقبه من ادلة التوحيد • ماء • نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور وتعليق المنصوب لما مر مرارا
من التشويق الى المؤخر • فاحيا به الارض • بما انبت به فيها من انواع النباتات • بعد موتها • اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي
لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة • ان في ذلك • اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به • لآية • واية آية دالة على وحدته سبحانه
وعلمه وقدرته وحكمته • لقوم يسمعون • هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم • وان لكم في الانعام لعبرة •
عظيمة واي عبرة عارية دركها العقول وتهيم في تيهها البال المحول • نسقيكم • استئناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة • مما في بطونه • اي بطون
الانعام وتذكير الضمير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكياش واخلاق كان تانيثه في سورة
المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون هنهنا
وفي سورة المؤمنين • من بين فرث ودم لبنا • الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على
قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما
يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد
اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض ويطيب طعمه فيصير لبنا
ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعدادها ومعادنها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها
كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته فمن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونه لانه
مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم
مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير يبعث النفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل
تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا
بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى هو الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه
لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة • خالصا • من شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما
عليه مع كونهما مكتنفين له • سائغا للشاربين • سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف مثل
هين وهين • ومن ثمرات النخيل والاعناب • متعلق بما دل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم
كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى • تتخذون منه سكرا • استئناف لبيان كنه الاطعام
او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد او متعلقا بمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف
اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير
او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم • ورزقا حسنا • كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان
كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة • ان في ذلك لآية • باهرة • لقوم يعقلون • يستعملون عقولهم
في الآيات بالنظر والتأمل • واوحى ربك الى النحل • اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين • ان اتخذي •
اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة
والتأنيث لغة اهل الحجاز • من الجبال بيوتا • اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء • ومن الشجر ومما يعرشون • اي يعرش
الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب

والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها • ثم كلي من كل الثمرات • من كل ثمرة تشتهيها
حلوها ومرها • فاسلكي • ما اكلته منها • سبل ربك • اي مسالكه التي يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي
الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة منقادة لما امرت به الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس • ذللا • جمع ذلول وهو حال من السبل
اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به • يخرج من بطونها • استئناف عدل به عن خطاب
النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت • شراب • اي العسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى
كلي من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطونها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة
حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه • مختلف الوانه • ابيض واسود
واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل او الفصل او الذي اخذت منه العسل • فيه شفاء للناس • اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر
الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك
فسقاه فشفاه فبرئ كأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن
شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن • ان في ذلك • الذي ذكر من اعاجيب آثار قدرة الله تعالى • لآية عظيمة • لقوم يتفكرون •
فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين
الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه جل جلاله • والله خلقكم •
لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول العمر الى آخره وتطوراته فيما بين
ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل
وهي سن الكهولة والرابعة قبل توفيه اي يعاد • الى ارذل العمر • اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون
على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة
الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة • لكيلا يعلم
بعد علم • كثير • شيئا • من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علمه بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا • ان الله عليم
بمقادير اعماركم • قدير • على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب بنيتهم وعدل
امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ • والله فضل بعضكم على بعض في الرزق • اي جعلكم متفاوتين
فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم • فما الذين فضلوا • فيه على غيرهم • برادي رزقهم • الذي رزقتهم اياه • على ما ملكت ايمانهم •
على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية • فهم • اي الملاك والمماليك • فيه • اي في الرزق • سواء • اي لا يردونه عليهم
منه شيئا يسيرا بحيث لا يرضون عبيدا واماء مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم من الرزق الذي
هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته
الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية • افبنعمة الله يجحدون • حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه
الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي يشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على
الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم
فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعمهم المفضلين او على ظلمهم المؤذن بذلك او ما للنفي
برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى
كأنه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد حكي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت • والله
جعل لكم من انفسكم • اي من جنسكم • ازواجا • لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع
آدم عليه السلام • وجعل لكم من ازواجكم • وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره • بنين •
وبان نتيجة الازدواج هو التوالد • وحفدة • جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فان من عادة البنات
الخدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين

مما يجر ورما من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل
لمصلحتكم ما به تسكنون اليه واتخذوا وجعل لمنفعتكم محبة مناسبة لكم بنين وحفدة • ورزقكم من الطيبات • من اللذائذ او من الحلالات ومن
للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة • افبالباطل يؤمنون • وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء للعطف
داخلة على الفعل وتقديم العطف على مقدر اي يكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون
دون الله سبحانه • وبنعمة الله • تعالى الفائضة عليهم مما ذكر وما لا يحيط به دائرة البيان • هم يكفرون • حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم
الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف
الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه • ويعبدون من دون الله • لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي يكفرون بنعمة الله
ويعبدون من دونه • ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا • اي يجعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي ما لا يقدر على ان
يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن في السموات والارض صفة لرزقا
اي كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا للايملك اي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك • ولا يستطيعون • ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موات
لا حراك بها فالضمير للالهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس
به • فلا تضربوا لله الامثال • التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام وشأن النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد
الى النهي عن الاشراك به تعالى في شأن من الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشأنه شأنا من الشؤون
واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم
مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل
من ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد
• ان الله يعلم • تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح • وانتم
لا تعلمون • ذلك والا لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا في مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الامر
والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي
الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال • ضرب الله مثلا • اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال
بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعد ما بينهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه ندا جليا • عبدا مملوكا لا يقدر على شيء • بدل من مثلا وتفسير
له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما
في كونهما عبدا لله سبحانه وتعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون الذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام
المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة • ومن رزقناه • من موصوفة معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك •
والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق • منا • من جنابنا الكبير المتعالي • رزقا حسنا • حلالا طيبا او مستحسنا
عند الناس مرضيا • فهو ينفق منه • تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق واثار
ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي • سرا وجهرا • اي حال السر والجهر او
انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى
الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل
على تباين الحال بينه وبين صنيعه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا
بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين المثلين فان العبد المملوك
حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين • هل يستوون • جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف
بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان
الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم
فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذل اذل منه وهي الاصنام • الحمد لله • اي كله له لانه مولي جميع النعم لا يستحقه
احد غيره وان ظهرت على ايدي غيره الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله
سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه • بل اكثرهم لا يعلمون • ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم
للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون • وضرب الله مثلا رجلين
اي مثلا اخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وقيل مثلا ثم ذلك ليتطلع النفس الى وروده وتترقبه فيتمكن لديها عند وروده

فضل • رجلين احدهما ابكم • وهو من ولد اخرس • لا يقدر على شيء • من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه
وهو كل ثقل وعيال • على مولاه • على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى
• اينما يوجهه • اي حيثما يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول
وما صيغة الماضي من التوجيه • لا يأت بخير • بنجح وكفاية مهم البتة • هل يستوي هو • مع ما فيه من الاوصاف المذكورة • ومن يأمر بالعدل
اي من هو منطيق فهم ذو راي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل • وهو • في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام
الخاص والعام • على صراط مستقيم • ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما فان محصل الصفات
المذكورة عدم استحقاق المأمورية ومحصل هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل
والاخر يأمر بالعدل الاية لمراعاة الملائمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد
بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا اخلق الفريقين على ما هما عليه فكان
خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي
• ولله • تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا • غيب السموات والارض • اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل
لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد
بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبية لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه
اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض • وما امر الساعة
التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور اثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه
من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان الغيبها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شأنها في سرعة المجيء • الا كلمح البصر • اي كرجع الطرف
من اعلى الحدقة الى اسفلها • او هو • اي بل امرها فيما ذكر • اقرب • من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر
حركة انية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل الآن غير منقسم من آنات الزمان
وهو ان ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما
عبر عنها في فاتحة السورة المصرحة بالاتيان • ان الله على كل شيء قدير • ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما
امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهو اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والاخرين وتبديل صور
الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب
على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وفيه غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما انه
عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على ان الجعل المذكور بعد الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج

واما مستأنف ● ان في ذلك ● الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك
وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء
لانها لا تلقى تحجرا كبيرا ● لآيات ● ظاهرة ● لقوم يؤمنون ● اي من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به ● والله جعل لكم
تعطف على ما مر وتقديم لكم على ما سلف من ان المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده
وقوله تعالى ● من بيوتكم ● اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق ● سكنا
فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه
وتطمئنون به ● وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ● اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط
● تستخفونها ● تجدونها خفيفة سهلة المأخذ ● يوم ظعنكم ● وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ● ويوم اقامتكم
وقت نزولكم في الضرب والبناء ● ومن اصوافها واوبارها واشعارها ● عطف على قوله تعالى من جلود والضمير للانعام على وجه التنويع
اي وجعل لكم من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز ● اثاثا ● اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث
● ومتاعا ● اي شيئا يتمتع به بفنون التمتع ● الى حين ● الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى والفناء وقيل
الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل ● والله جعل لكم مما خلق ● من غير صنع من قبلكم ● ظلالا ● اشياء تستظلون بها من
الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة ● وجعل لكم من الجبال اكنانا ● مواضع تسكنون بها
من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الرائق بين المفاعيل كالذي مر غير مرة ● وجعل لكم سرابيل ● جمع سربال وهو كل ما يلبس
اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها ● تقيكم الحر ● خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر او لان وقايته
هي الاهم عندهم لما مر آنفا ● وسرابيل ● من الدروع والجواشن ● تقيكم بأسكم ● اي الباس الذي يصل اليكم من بعضكم في الحرب من الضرب
والطعن والقتل من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك
ولا يأويه الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الى آخره ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الى آخره ثم بما لا غنى عنه في الحرب
حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال ● كذلك ● اي مثل ذلك الاتمام البالغ ● يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ● اي ارادة ان تنظروا
فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا
لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر واما لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جانب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب
او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع ● فان تولوا ● فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات ● فانما عليك البلاغ المبين ●
اي فلا ضرر عليك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب ● يعرفون
نعمة الله ● استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من
الله تعالى ● ثم ينكرونها ● بافعالهم حيث عبدوا غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها
لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه ● واكثرهم الكافرون ● اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم
بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وتعليل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا لنقصان
العقل والتفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ● ويوم نبعث من كل امة شهيدا ● يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم
بالكفر والعصيان وهو نبيها ● ثم لا يؤذن للذين كفروا ● في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع من الاعتذار
المنبئ عن الاقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم ● ولا هم
يستعتبون ● يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم
نبعث الى آخره او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى ● واذا رأى الذين ظلموا العذاب ● الذي يستوجبونه بظلمهم
وهو عذاب جهنم ● فلا يخفف عنهم ● ذلك ● ولا هم ينظرون ● اي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم ● واذا رأى الذين اشركوا
شركاءهم ● الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال
● قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ● اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه

قوله سبحانه ● فالقوا ● اي شركاؤهم ● اليهم القول انكم لكاذبون ● فانهم كذبوهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم
وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن
ثم الذين كانوا راضين بعبادتهم لاجل او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم
لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا
ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم ● والقوا ● اي الذين اشركوا ● الى الله يومئذ السلم ● الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب
بعد الاستكبار عنه في الدنيا ● وضل عنهم ● اي ضاع وبطل ● ما كانوا يفترون ● من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم
وذلك حين كذبوهم وتبرؤوا منهم ● الذين كفروا ● في انفسهم ● وصدوا ● غيرهم ● عن سبيل الله ● بالمنع من الاسلام والحمل على الكفر
● زدناهم عذابا فوق العذاب ● الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال
البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد
الى النار ● بما كانوا يفسدون ● متعلق بقوله زدناهم اي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد ● المذكور
ويوم نبعث ● تكرير لما سبق تثنية للتهديد ● في كل امة شهيدا عليهم ● اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم
اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم ● وجئنا بك ● ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة
الماضي للدلالة على تحقق الوقوع ● شهيدا على هؤلاء ● الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة ● ونزلنا عليك الكتاب ● الكامل في الكتابية
الحقيق بان يخص به اسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدير قد ● تبيانا ● بيانا بليغا ● لكل شيء ● يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك
احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبرهم هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه
عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها
واحالة لبعضها
على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق الاجتهاد فكانت السنة
والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولو يشير ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون
الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين
من انصار ● وهدى ورحمة ● للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب ● وبشرى للمسلمين ●
خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ● ان الله يأمر ● اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة
الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار ● بالعدل ● بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس
الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية
البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن
الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب
المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط
بين البخل والتبذير ● والاحسان ● اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه
قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ● وايتاء ذي القربى ● اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون
اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشأنه ● وينهى عن الفحشاء ● الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا ● والمنكر ● ما ينكر شرعا
او عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية ● والبغي ● الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية
الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام
صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن
فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى ● يعظكم ● بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين
● لعلكم تذكرون ● طلبا لان تتعظوا بذلك ● واوفوا بعهد الله ● هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ● اذا عاهدتم ● اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام
● ولا تنقضوا الايمان ● التي تحلفون بها عند المعاهدة ● بعد توكيدها ● حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا
بالتوكيد مختصا به ● وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ● شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ● ان الله يعلم ما تفعلون

من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك • ولا تكونوا • فيما تصنعون من النقض • كالتي نقضت غزلها • اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
• من بعد قوة • متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه • انكاثا • طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه
على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة
قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة قدرها فكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن • تتخذون ايمانكم دخلا بينكم • حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع
الخبر اي مشابهين بامرأة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه • ان تكون امة
بان تكون جماعة • هي اربى • اي ازيد عددا واوفر مالا • من امة • من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم
وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم • انما يبلوكم الله به • اي بان تكون امة
اربى من امة اي يعاملكم معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ام
تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال • وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
تختلفون • حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا • ولو شاء الله • مشيئة قسر والجا • لجعلكم امة واحدة • متفقة على الاسلام
• ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة • بل يضل من يشاء • اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه
• ويهدي من يشاء • هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها • ولتسألن • جميعا يوم القيامة • عما كنتم تعملون • في الدنيا وهذا
اشارة الى ما لوح به من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال • ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم • تصريح بالنهي عنه بعد
التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه • فتزل قدم • عن محجة الحق • بعد ثبوتها • عليها ورسوخها
فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة • وتذوقوا
السوء • اي العذاب الدنيوي • بما صددتم • بصدودكم او بصدكم غيركم • عن سبيل الله • الذي ينتظم الوفا بالعهود والايمان فان من نقض
البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره • ولكم • في الآخرة • عذاب عظيم • ولا تشتروا بعهد الله • اي لا تاخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله
صلى الله عليه وسلم او اياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان • ثمنا قليلا • اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش
يعدون لضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا • ان ما عند الله • عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي • هو
خير لكم • مما يعدونكم • ان كنتم تعلمون • اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم الى
آخره تعليل للخيرية بطريق الاستئناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا • ينفد • وان جم عدده وبقي
وان طال امده • وما عند الله • من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية • باق • لا نفاد له اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث
كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام
ما لا يخفى وقوله تعالى • ولنجزين • بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد
القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات لما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال وليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل
الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين • صبروا • على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفا بالعهود
والفقر وقرئ بالياء من غير التفات • اجرهم • مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور
المذكورة • باحسن ما كانوا يعملون • اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله
سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او
لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر
الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة
باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات
فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم من مدارية
الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها • من عمل صالحا • اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل
صالح غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى
• من ذكر او انثى • مبالغة في بيان شموله للكل • وهو مؤمن • قيده به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وتخفيف العذاب
لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه

ومقارنته للعمل الصالح • فلنحيينه حيوة طيبة • في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة
والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا
يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه • ولنجزينهم • في الآخرة • اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة
تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس
لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد وادعاء
انه لا مزيد على ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل
• فاذا قرأت القرآن • اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة
بالقراءة • فاستعذ بالله • فاسأله عز جاره ان يعيذك • من الشيطان الرجيم • من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك في القراءة فان له
همة بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنك بمن عداه عليه السلام وبما عدا القراءة
من الاعمال والامر للندب وعن عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين
وداود وحمزة من القراء وعن ابن عباس رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال عليه الصلاة والسلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ • انه • الضمير
للشان او للشيطان • ليس له سلطان • تسلط وولاية • على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون • اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون
في كل ما ياتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان
اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل
للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه • انما سلطانه • اي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر
والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى
• على الذين يتولونه • اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور معزل من ذلك • والذين هم به • سبحانه وتعالى
• مشركون • او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل
على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى
ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير من مقابله وايثار الجملة الفعلية
الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز
عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة
الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها
• واذا بدلنا آية مكان آية • اي اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخنا الاولى • والله اعلم بما ينزل
اولا وآخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى لا خر فكم من مصلحة في وقت تنقلب
في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور
المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات
ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال • قالوا • اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ • انما
انت مفتر • اي متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم هاهنا للايذان بان ذلك كفرة
ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم • بل اكثرهم لا يعلمون • اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد
هذا الحكم الى الاكثر لان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا • قل نزله • اي القرآن المدلول عليه بالآية • روح القدس • يعني جبريل
عليه السلام اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة
في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما يقتضيه الحكمة البالغة • من ربك •
في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم
المنبئة عن التلقين المحض • بالحق • اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على
ان النسخ حق • ليثبت الذين آمنوا • على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم
واطمانت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال • وهدى وبشرى للمسلمين • المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي

نعتا وهداية وبشارة وفيه ثم تصريح بحول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار • ولقد نعلم انهم يقولون • مقررا لما نقل
عنهم من المقالة الشنعا • انما يعلمه • اي القران بشر على طريقة البت مع ظهور انه نزل به الروح الامين عليه السلام وتحلية الجملة بفنون
التاكيد لتحقيق ما تضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجدد في متعلقه فانهم مستمرون
على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرءان
التورية والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرءانه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى
قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان
مدار خطائهم ليس بنسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين
والاخرين • لسان الذي يلحدون اليه اعجمي • الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير
لكل امالة عن الاستقامة فقالوا لحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة
وقرئ بفتح اليا والحا وتعريف اللسان • وهذا • القران الكريم • لسان عربي مبين • ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان
لابطال طعنهم وتقريره ان القران معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي
اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثنا الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال العجز • ان الذين لا يؤمنون
بايات الله • اي لا يصدقون انها من عند الله تعالى بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افترا واخرى اساطير معلمة من البشر
• لا يهديهم الله • الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم • ولهم في الاخرة
عذاب اليم • وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بايات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الى الافترا والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى • انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله •
رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس
وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي
يكذب بايات الله ويقول انه افترا ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافترا على الحقيقة لان حقيقته الكذب
والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافترا كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في
بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب
ويليق ذلك بمن لا يؤمن بايات الله لانه لا يترتب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان
يصدر عنه افترا البتة • واولئك • الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بايات الله • هم الكاذبون • على الحقيقة او الكاملون في
الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب اياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة
عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب
مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروة وقيل الكاذبون في
قولهم انما انت مفتر • من كفر بالله • اي تلفظ بكلمة الكفر • من بعد ايمانه • به تعالى وهو ابتدا كلام لبيان حال من كفر بايات الله بعد
ما امن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتدا والخبر محذوف لدلالة الخبر الاتي عليه او هو خبر لهما
معا او النصب على الذم • الا من اكره • على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثنا متصل من حكم الغضب والعذاب
او الذم لان الكفر لغة يعم القول كما اشير اليه وقوله تعالى • وقلبه مطمئن بالايمان • حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع
بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمينان القلب بالايمان بالاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر
باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل
على ان الايمان هو التصديق بالقلب • ولكن من • لم يكن كذلك بل • شرح بالكفر صدرا • اي اعتقده وطاب به نفسا • فعليهم
غضب • عظيم لا يكتنه كنهه • من الله • اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب • ولهم عذاب عظيم • اذ لا جرم
اعظم من جرمهم وجمع الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا
اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فابى ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل
الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم

بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما
ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد عليه السلام قال رسول الله قال
فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له • ذلك •
اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور • بانهم • بسبب انهم • استحبوا الحيوة الدنيا • اثروها • على الاخرة وان الله لا يهدي • الى الايمان
والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء • القوم الكافرين • في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد
الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان اثروا الاخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية
قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى • اولئك • اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح • الذين طبع
الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم • فابت عن ادراك الحق والتامل فيه • واولئك هم الغافلون • اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن
تدبر العواقب • لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون • اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد • ثم ان ربك للذين هاجروا • الى دار الاسلام
وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي انه لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوحيه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة
الخبر الاتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثنا
من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة • من بعد ما فتنوا • اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع
اطمينان قلوبهم بالايمان وقرئ على بنا الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا • ثم جاهدوا في سبيل الله تعالى
وصبروا • على مشاق الجهاد • ان ربك من بعدها • من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بنا الحكم على الموصول من علية الصلة له او
من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم • لغفور • لما فعلوا من قبل • رحيم • ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من العمل وفي التعرض لعنوان
الربوبية في الموضعين ايما الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به
عليه السلام واشعار بان افاضة اثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه الصلوة والسلام ولكونهم اتباعا له • يوم تاتي كل نفس •
منصوب برحيم او باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين • تجادل عن نفسها • عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها
شان غيرها فتقول نفسي نفسي • وتوفى كل نفس • اي تعطى وافيا كاملا • ما عملت • اي جزا ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا
بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير والايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا
في يوم واحد • وهم لا يظلمون • لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم • وضرب الله مثلا قرية • قيل ضرب المثل صنعه
واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يبعد ان لا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اولا
لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا
لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لديها فضل
تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله
بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا • كانت امنة • ذات امن من كل مخوف • مطمئنة • لا يزعج اهلها مزعج • ياتيها رزقها • اقوات اهلها صفة ثانية لقرية
وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها امنة مطمئنة ثابت مستمر • رغدا • واسعا • من كل مكان • من نواحيها • فكفرت • اي كفر اهلها
• بانعم الله • اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتا كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان
بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة • فاذاقها الله • اي اذاق اهلها • لباس الجوع والخوف • شبه اثر الجوع والخوف وضررهما
المحيط بهم باللباس الغاشي فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها
في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الردا اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الما الكثير لما كان كثير الاستعمال
في المعروف المشبه بالما الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الردا المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس
الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع
الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال المضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما
ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينهما وبين اتيان الرزق وقد قرئ
بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف • بما كانوا يصنعون • فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران
المذكور واسناد ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار
صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة • ولقد جاءهم • من تتمة المثل جي بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة
على الخلق ايضا اي ولقد جا اهل تلك القرية • رسول منهم • اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون

وما يذرون • فكذبوه • في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم • فاخذهم العذاب • المستاصل
لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك • وهم ظالمون • اي حال التباسهم بما هو ظلم من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه
بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جريا على
سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن
سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف
الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم جار في ادراك الوهم وشأو العقول
صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف
حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم
الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام
ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم
وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق
كيف لا وقوله سبحانه • فكلوا مما رزقكم الله • مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم
حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم
وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله • حلالا طيبا • وذروا ما تفترون من تحريم البحائر
ونحوها • واشكروا نعمة الله • واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر
بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل
فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب
في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد قد
تمهدت مباديه لا بعد ما وقع ما وقع ومن ذا الذي يؤمر بالاكل
والشكر وحمل قوله سبحانه وتعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار
بذلك قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب
الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار
كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله
من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل • ان كنتم اياه تعبدون • اي تطيعون
او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته تعالى • انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • تعليل لحل ما امرهم باكله مما
رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون من حرمته من البحائر والسوائب
ونحوها • فمن اضطر • بالجاء من الضرورة فتناول شيئا من ذلك • غير باغ • اي على مضطر آخر
• ولا عاد • اي متجاوز قدر الضرورة • فان ربك غفور رحيم • اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم
سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
والسلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
فقال • ولا تقولوا لما تصف السنتكم • اللام صلة كما في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شأن ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وتفكر فضلا عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه • الكذب • منتصب بلا تقولوا
وقوله • هذا حلال وهذا حرام • بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او ان يكون القول
من السنتهم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب بتصف وتكون ما مصدرية وقوله هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا بمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها
له في المسامع كأن السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس

ويعرفه او وصفه وابن في تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها
الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بوصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى
الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني • لتفتروا على الله الكذب • فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة
اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة • ان الذين يفترون على الله الكذب • في امر من الامور • لا يفلحون • لا يفوزون
بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها • متاع قليل • خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة • ولهم في الاخرة عذاب اليم •
لا يكتنه كنهه • وعلى الذين هادوا • خاصة دون غيرهم من الاولين والاخرين • حرمنا ما قصصنا عليك • اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم
الاية • من قبل • متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فانهم كانوا
يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا • وما ظلمناهم • بذلك التحريم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • حيث فعلوا
ما عوقبوا به عليه حسبما نعي عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا الاية ولقد الجمهم الحجر بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الى قوله ان كنتم صادقين
روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم • ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة • اي بسببها او ملتبسين بها
ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره • ثم تابوا من بعد ذلك • اي من بعد ما عملوا ما عملوا
والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة • واصلحوا • اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح • ان ربك من بعدها • من بعد التوبة • لغفور •
لذلك السوء • رحيم • يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله ثم ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر • ان ابراهيم
كان امة • على حياله حائزا من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو
رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج
الدامغة او لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون
بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية
دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه • قانتا لله • مطيعا له قائما باوامره • حنيفا • مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه
بحال • ولم يك من المشركين • في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لارد على كفار قريش في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم وعلى اليهود و
المشركين بعزيرهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا الى قوله وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد
التحريم والسبت سابقا ولاحقا • شاكرا لانعمه • صفة ثالثة لامة واوثرت صيغة جمع القلة للايذان بانه عليه السلام لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة
وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل • اجتباه • للنبوة • وهداه الى صراط مستقيم • موصل
اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء • وآتيناه في الدنيا
حسنة • حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس كافة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي
منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه السلام • وانه في الاخرة لمن الصالحين • اصحاب الدرجات العالية في الجنة
حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين الى قوله من ورثة جنة النعيم • ثم اوحينا اليك • مع علو طبقتك وسمو رتبتك • ان
اتبع ملة ابراهيم • الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهي الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه
ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف
الا الى النبي عليه السلام ولا يكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا
بالصراط المستقيم • حنيفا • حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة
والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة
عليه عليه السلام • وما كان من المشركين • تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه • انما جعل السبت •
اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف
في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى آخره فان اليهود كانوا يزعمون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عليه السلام كان محافظا عليه اي ليس السبت
من شرائع ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد
مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول لجريه على سنن الكبرياء والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ
على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت • على الذين اختلفوا فيه •

للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله تعالى به واختيارا لـ
لعكس ذلك لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم العائدة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك
ان موسى عم امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق
السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة
فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله قردة دون اولئك المطيعين • وان ربك ليحكم بينهم • اي بين الفريقين المختلفين فيه • يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان
ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الاخر بالنسبة الى ما سيقع في الاخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي
وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم
ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه وتعالى به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا
بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله ولا ريب في ان الكلمة بينهم تحكي بان
المراد بالحكم هو الفصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبي عم باتباع ملة ابراهيم عم وبين امر
النبي عم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتأمل • ادع • اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او انزل الفعل
كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر
بايجادها على وجه مخصوص • الى سبيل ربك • الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم عم وفي التعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي عم في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم
باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى • بالحكمة • اي بالمقالة المحكمة الصحيحة
وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة • والموعظة الحسنة • اي الخطابات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك
تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القران المجيد
فانه جامع لكلا الوصفين • وجادلهم • اي ناظر معانديهم • بالتي هي احسن • بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين
واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهيبهم كما فعله الخليل عم • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله • الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر • وهو اعلم بالمهتدين • اليه وذلك
وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من يرعوي عن الضلال
بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الامتناع لما فيه من خبث جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية
المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى
الله سبحانه اذ هو اعلم بمن بقي على الضلال وبمن اهتدى اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال
بالفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة
ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين ومآلهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عم فيما يختص
بشأن الدعوة بما امره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال • وان عاقبتم • اي ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان
اكلت فكل قليلا • فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به • اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة
والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما ادى الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن
ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان
دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة
وقيل انه عم لما رأى حمزة يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان
عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في
تقييده بقوله وان عاقبتم حث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الاكد فقيل • ولئن صبرتم • اي عن المعاقبة بالمثل • لهو • اي الصبر • خير • لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل • للصابرين • مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر ووصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر
المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم دخولا اوليا ثم امره عم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم
الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووثوقه به فقيل • واصبر • على ما اصابك من جهتهم من فنون الالام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية
• وما صبرك الا بالله • استثناء مفرغ اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه

والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم
بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جليلة الاثر وتنبيه ومعونته تعالى من حيث تسهيله وتيسيره فقط
• ولا تحزن عليهم • اي على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك فلا تأسف على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم
والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم • ولا تك في ضيق • بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اي لا يكن صدرك في حرج
ويجوز ان يكون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق • مما يمكرون • اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم
بمطلوب من قبلهم فات والثاني التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لاسيما على الوجه الاول
لزيادة التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله تعالى بشراشر نفسه منزها عن كل ما سواه من
الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فينهى عن الخوف من وقوعه • ان الله مع الذين اتقوا • تعليل لما سبق من الامر والنهي
والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية
المتقين انما هي من حيث انهم مباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائرها فالمراد بالتقوى المرتبة
الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق
والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي الموروث للولاية المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن
الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما مر في الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى
فاصبر ان العاقبة للمتقين وعن احد المفسرين كما حققوا في مقامه والا فمجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص
في تركها فكيف بالصبر المشار اليه وانما مدارة المعنى المذكور وكانه قال ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر عليه النظم الكريم مبالغة
في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اهل التقوى الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى • والذين هم محسنون • للاشعار
انه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما نطق به حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا
من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقته الاتيان بالاعمال على
الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى وايراد
الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان
لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا
واما هو عليه السلام ومن تابعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه السلام
مستتبع لاقتداء الامة به كقوله من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر
الراس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر مثل
الذي مات واحسن الوصية والحمد لله وحده •

سورة الاسرى مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

• سبحان الذي اسرى بعبده • سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في
زيد المعارك او حاتم طي واستعماله بفعل متروك الاظهار تنزيه من اسبح الله سبحانه وتعالى وفيه ما لا يخفى في الدلالة على التنزيه البليغ
من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل
ومن جهة العدول الى المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام
المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه فمعنى التنزه من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة
تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل كالسرى
وقوله تعالى • ليلا • لافادة قلة زمان الاسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء لا لدلالته على البعضية من حيث
الافراد فان قولك سرت ليلا كما تفيد بعضيته زمان سيرك من الليالي تفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل
فانه تفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد الاشارة

بمحمد عليه السلام في عبادته سبحانه وتعالى وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به
مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال
قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين • من المسجد الحرام • اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه
وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل
عليه السلام بالبراق وقيل دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد
فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام
ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم فقال عليه السلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه
ابو جهل فقال يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال
الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك فقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف
بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا
عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها فقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم
نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد
ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة
واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل
البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التعبير
بالتنزيه لتعجبه تعالى من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه
قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان ضعف قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان
طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها في اقل من ثانية وقد تقرر
ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة فان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة للامكان فيقدر على
ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة • الى المسجد الاقصى
• اي بيت المقدس سمي به لانه لم يكن وراءه مسجد وفي ذلك من التشريف ما لا يخفى • الذي باركنا حوله • ببركات الدين والدنيا
لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام • لنريه • غاية للاسراء • من آياتنا • العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة
من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه
على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء • انه هو السميع
لاقواله عليه السلام بلا اذن • البصير • لافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه
ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة بافعاله واقواله حاصلة من غير حاجة الى التقريب
ولا الالتفات الى الغيبة لتربية المهابة • وآتينا موسى الكتاب • اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع
ثمة من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما
لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تنشيطا للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التوراة بعد ما اسرينا به الى الطور
• وجعلناه • اي ذلك الكتاب • هدى لبني اسرائيل • يهتدون بما في تضاعيفه • الا تتخذوا • على ان لا تتخذوا او كتبت لان لا
تفعل كذا وقرئ بالياء على ان مصدرية ومعنى آتينا موسى الكتاب هداية بني اسرائيل لئلا تتخذوا • من دوني وكيلا • مكولا كقوله تعالى
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى
• ذرية من حملنا مع نوح • نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التأكيد بتذكير انعامه تعالى عليهم
في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النهي من دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اي ربا امركم وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو تتخذوا
بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض النحاة وقرئ ذرية بكسر الذال • انه • اي ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا • كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء
به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام • وقضينا • اي اعلمنا واحكمنا من

الى بني اسرائيل او حين البعض في الكتاب اي في التوراة فان الانزال والوحي الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم • لتفسدن في الارض • جواب قسم محذوف ويجوز
اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن • مرتين • مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه السلام
وحبس ارمياء حين سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام • ولتعلن علوا كبيرا • لتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتغلبن الناس
بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود • فاذا جاء وعد اولاهما • اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب الموعود • بعثنا عليكم • لمؤاخذتكم
بجناياتكم • عبادا لنا اولي بأس شديد • وقرئ عبيدا لنا ذوي قوة وبطش في الحروب سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت
• فجاسوا • اي ترددوا وطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا • خلال الديار • في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم
واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية • وكان • ذلك • وعدا مفعولا • لا خلف
فيه لا صارف عنه ولا مبدل • ثم رددنا لكم الكرة عليهم • اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم
عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك
من جده كشتاسف ابن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه الصلاة والسلام فاستولوا على
من كان فيه من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام جالوت • وامددناكم باموال • كثيرة بعد ما نهبت اموالكم • وبنين • بعد ما سبيت اولادكم • وجعلناكم
• اكثر نفيرا • مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز • ان احسنتم
اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان تكون الاعمال حسنة في انفسها او ان تعلم
الاحسان • احسنتم لانفسكم • لان ثوابها لها • وان اسأتم • اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق او بوجه السوء الذاتي او بفعلكم الاساءة • فلها • اذ عليها
وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها • فاذا جاء وعد الآخرة • حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة • ليسوءوا
وجوهكم • متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله تعالى عنه لنسوءن
على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل • وليدخلوا المسجد • عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به
• كما دخلوه اول مرة • اي في اول مرة • وليتبروا • اي يهلكوا • ما علوا • ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم • تتبيرا • وذلك بان سلط الله عليهم
سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما
يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت
منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال لمثل هذا ينتقم الله منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ • عسى ربكم ان يرحمكم • بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما
كنتم عليه من المعاصي • وان عدتم • الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى • عدنا • الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة
بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم
يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله • وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا • اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين
وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم • ان
هذا القرآن • الذي آتيناكه • يهدي • اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى • للتي • للطريقة التي • هي اقوم • اي اقوم
الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل
للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك
به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين • ويبشر المؤمنين • بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف • الذين
يعملون الصالحات • التي شرحت فيه • ان لهم • اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال • اجرا كبيرا • بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا
تضاعفا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها
معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل • اعتدنا لهم عذابا اليما • وهو عذاب جهنم
اي اعتدنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة
معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار
بالخبر السار والنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز ان التبشير بمعناه ويبشر المؤمنين بشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم • وقوله تعالى • ويدع الانسان بالشر • بيان لحال المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان
الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه

من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي ابشر وراه من العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو اشد من العذاب المذكور
اما لسانه حقيقة كذلك من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كانهم يدعون كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعائه بالخير
المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله وكان الانسان اي من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا يسارع
الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء
على اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض الاحيان
كما عند الغضب يدعو ويدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول
عنه ما يعتريه روي انه عليه الصلاة والسلام دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبر به
النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه الصلاة والسلام اني سألت الله تعالى ان يجعل دعائي
على من لا يستحق من اهلي رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق
ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد
الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما
عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة
على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولان الليلة اضيفت الى ما قبلها
من النهار كانت من شهر وصاحبها من شهر آخر وترتيب غاية … اي جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما
في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين يدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما ويهديان الى ما يهدي اليه القرآن الكريم
من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق
مضمون الجملة السابقة ومحونا جعلنا ممحو الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابداعه على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل اي انشأهما كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل
ومتمماته وجعلنا آية النهار اي الآية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره
فبصر واما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما والمحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما في ذكروا اما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا
الى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله
تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اي وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم اي رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير
عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل
الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل
آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اي لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة
مع تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما عدد السنين والحساب التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب
اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنين من حيث تحققها
مما ينتظمه الحساب وانما الذي تعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة مما ليس في حقيقته المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها
من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها افراد
من تلك الطائفة المعدودة بعدها اي بعضها من عنوان بعينه في ذلك تحصل شيء معين وتحقيقه ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء
ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد
احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شيء كذلك ولما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف
اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات
والالوف اعتباري لا يجدي في تحصيل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه
من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات او ان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب
تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب
او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان والله سبحانه اعلم وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش
والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله

تعالى فصلناه تفصيلا اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
فظهر كونه هاديا وبالتي هي اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طائره اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له
كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسبما تقتضيه في العلم الازلي من قولهم
طار له سهم كذا في عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة
او الغل العنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له يوم القيامة بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا
للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيامة والبعث للحساب
كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاولتين او حال من المفعول المحذوف الراجع
الى الطائر وعلى الاخيرتين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا
وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اي يلقى الانسان عن يمينك يحفظ
حسناتك اياه فتلك الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك
واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة اقرأ
كتابك اي قائلين له ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة
بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا وشرا يحدث منه في جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح
متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة
مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر
على لوح نفسه كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء زائدة
واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي ووضع
موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكتابة مما يتولاه الرجال او لانه مبني على تأويل النفس
بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة ابن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير من
اهتدى فانما يهتدي لنفسه تذكيرة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي
من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه
الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل عليها اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداها
ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر
وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منهما وزرها
وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة
نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته
لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء
الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة
على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها
وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال
في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار
اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما
في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه
الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه
في وقته المقدر له لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما
يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك
قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه

المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنها الجزاء اللاتي دون وقته كما في قوله تعالى اتى امر الله
اي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا في الوجه الاول من عذاب الاستيصال الذي بينا انه لا يصح
قبل البعثة او بنوع في الوجه الثاني مما ذكرنا نوعه شأنه من مطلق العذاب اعني عذاب الاستيصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنونا
يقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين • امرنا • بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها • مترفيها • متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم
بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصل في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به اشا
لظهور ان المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه واتا لان المراد وجد منا الامر كما
يقال فلان يعطي ويمنع • ففسقوا فيها • اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اي ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب
اثر ما ظهر منهم ما ظهر من الفسق والطغيان • فدمرناها تدميرا • لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر
مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشي
فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وليعضده قراءة امرنا وامرنا من الافعال
والتفعيل وقد حملنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعد مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدي
ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم واترة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان بعثهم
بالامر به • وكم اهلكنا • اي وكثيرا ما اهلكنا • من القرون • بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم
وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او مائة ويؤيده ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا ن
فعاش مائة سنة او مائة وعشرون • من بعد نوح • من بعد زمنه عليه الصلاة والسلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت
احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قوم نوح عليه الصلاة والسلام في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره
عليه الصلاة والسلام رمز الى ذكرهم • وكفى بربك • اي كفى ربك • بذنوب عباده خبيرا بصيرا • يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير
المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل
قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلومات والزام الحجة من كل وجه • من كان •
يريد • باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلومات على العلل كالاسباب
او باعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض
الغنيمة • العاجلة • فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان هنا مع الاقتصار على مطلق
الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث
الدنيا ويجوز ان يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى •
عجلنا له فيها • اي في تلك العاجلة فان الحياة واستمرارها من جملة ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن
يرد ثواب الدنيا نؤته منها • ما نشاء • اي ما نشاء تعجيله من نعيمها لا كل ما يريد • لمن نريد • تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في
له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وتعالى وقيل هو لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين
لا يقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يتراءى من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق
القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى • ثم جعلنا له • مكان ما عجلنا له • جهنم • وما فيها من اصناف العذاب • يصلاها • يدخلها وهو
حال من الضمير المجرور او من جهنم او استيناف • مذموما مدحورا • مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة • ومن اراد باعماله
الآخرة • الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم • وسعى لها سعيها • اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما
يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص • وهو مؤمن • ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية
للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة • فأولئك • اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك
الجامعون لما مر من الخصال الكريمة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان • كان سعيهم مشكورا • مقبولا عند الله تعالى حسن القبول مثابا عليه

وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها • كلا • التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق
الاخير المريد للخير الحقيقي بالاسعاف فقط • نمد • اي نزيد مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل
لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا
وتلويحا واتكالا على ما يلحق عبارة واشارة كما ستقف عليه ان شاء الله وقوله تعالى • هؤلاء • بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل
لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار وفيه تذكير لما به الامداد وتعيين
المضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى • من عطاء ربك • اي
من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي
والعمل بل بمحض التفضل • وما كان عطاء ربك • اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر لمزيد الاعتناء بشأنه واشعارا بعليته للحكم • محظورا •
ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل
لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر • انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض • كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار
مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الآخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من
العطايا العاجلة من وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل
اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى • وللآخرة اكبر • اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر
• درجات واكبر تفضيلا • لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويجعل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها
بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا
مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من
عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من
الفريقين على البعض الآخر منهما وللآخرة الخ وانما لم يعتبر عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله
الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه لانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق
في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه • لا تجعل مع الله الها آخر • الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب
التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب • فتقعد • بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي عجز عنه • مذموما مخذولا • خبران او حالان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين
والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة • وقضى ربك • اي امر امرا مقطوعا به وقرئ واوصى ربك ووصى ربك
• ان لا تعبدوا • اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية • الا اياه • لان العبادة غاية
التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة • وبالوالدين • اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا
لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش • اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما • اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك
دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية
والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضميره
المثنى وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس
المراد فان المقصود نهي كل واحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام • فلا تقل لهما • اي لواحد منهما حالتي الانفراد
والاجتماع • اف • وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تتضجر
بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل
• ولا تنهرهما • اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات • وقل لهما • بدل التأفيف والنهر • قولا كريما • ذا كرم او هو وصف
له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول
يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب
ودأب الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا
ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا في باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم

ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه • واخفض لهما جناح الذل • عبارة عن الاخذ للجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعيارهما لا يكون الا بذلك فكانه
قيل واخفض لهما جناحك الذليل او جعل الذلة جناح كما جعل لبيد في قوله • وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • للقرة
زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه ترحيما لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة ترك الطيران كما يفعله
القفال فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افتقر خلق الله تعالى اليهما
ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية • وقل رب ارحمهما • برحمتك الدنيوية والاخروية التي من
من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما • كما ربياني • الكاف في محل النصب على انه نعت بمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما
او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والاخر في الاخر كما يلوح به
التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كانه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني • صغيرا • ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل
تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه
ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات
الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى
الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبرائيل
عليه الصلاة والسلام وقال ان هذا الشيخ قد انشا في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك
يافعا تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا باكيا اتململ كاني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني
تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة كانك انت المنعم المتفضل • فليتك اذ لم ترع حق
ابوتي • فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك • ربكم اعلم بما في نفوسكم • من البر والعقوق
ان تكونوا صالحين • قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد • فانه تعالى كان للاوابين • اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد
يخلو عنه البشر • غفورا • لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما
لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا • وآت ذا القربى • اي ذا القرابة • حقه • توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين
ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى • والمسكين وابن السبيل • فان المامور به في حقهما المواساة المالية لا محالة اي
واتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية • ولا تبذر تبذيرا •
نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات والقائها كيف ما كان من غير
تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسب الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط
وكلاهما مذموم • ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين • تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة
المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا
اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وساير
ما لا خير فيه من المناهي والملاهي او المقارنة اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد • وكان الشيطان لربه كفورا • من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران
نعمه تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال
الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر صفاته
القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما
خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران
ونهاية الضلال والطغيان • واما تعرضن عنهم • اي ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين • ابتغاء رحمة من ربك • اي
لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء • ترجوها • من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل
شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عليه الصلاة والسلام فقيل فقل
لهم • قولا ميسورا • سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد وقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم
فقرهم • ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط • تمثيلا لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي
في قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في التصوير بابلغ الصور ولما كان غائلة الاسراف في اخره بين قبحه

في اثره فقيل • فتقعد ملوما • اي فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت • محسورا • نادما او منقطعا
بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي
فقال ان امي تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل عليه الصلاة والسلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فياباه
ان السورة مكية خلا ايات في اخرها وكذا ما قيل انه عليه الصلاة والسلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري
فجاء عباس بن مرداس فانشا يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت
دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه الصلاة والسلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب
• ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه على اخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحكمة
فليس ما يرهقك من الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك • انه كان بعباده خبيرا بصيرا •
تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن
السموات والارض واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا
تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى بحسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا
لقوله • ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق • اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عن ذلك • نحن نرزقهم
واياكم • لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد
على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل
من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا
الى رزقكم • ان قتلهم كان خطأ كبيرا • تعليل اخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطء الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرئ بالفتح
والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك • ولا
تقربوا الزنا • بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهي عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة
في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق
باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما • انه كان فاحشة • فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد
• وساء سبيلا • اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين
يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال عليه الصلاة والسلام اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلاث
في الاخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الاخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود
في النار • ولا تقتلوا النفس التي حرم الله • قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد • الا بالحق • الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد
احصان وقتل نفس معصومة عمدا والاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء
من الاشياء الا بالحق ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق • ومن قتل مظلوما • بغير حق يوجب قتله او يبيحه
للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي انا امرته
بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا • فقد جعلنا لوليه • لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث • سلطانا • تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذه
بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنايته او حجة غالبة • فلا يسرف • وقرئ لا تسرف • في القتل • اي لا يسرف الولي في امر القتل بان
يجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان
يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي • انه كان منصورا • تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره
بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستبد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر
او للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان
الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل ما يليان الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف ح اسراف القاتل
على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والاجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم • ولا تقربوا مال اليتيم • نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء
ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى • الا بالتي هي احسن • اي بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه

واستماره • حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط • واوفوا بالعهد • سوا جرى بينكم
وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفا به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالبا • فرقا بينه
وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ان العهد • الظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود
كان مسؤلا • اي مسؤلا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود
اي مشهود فيه ونظيره على قوله تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم
بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا
الكيل اي اتموه ولا تخسروه • اذا كلتم • اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس
فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاية • وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان
او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل
السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف
مع استقامة الالة كان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا في قوله
تعالى اوفوا الكيل والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي • خير • في الدنيا اذ هي امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر
الجميل بين الناس • واحسن تاويلا • عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه • ولا تقف • ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف
من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القايف • ما ليس لك به علم • اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري
انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند كان قطعيا او ظنيا
واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه قول الكميت • ولا ارمي البري بغير ذنب ولا
اقفو الحواصن ان رمينا • ان السمع والبصر والفؤاد • وقرئ بفتح الفا والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفا • كل اولئك • اي كل واحد من
تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولا وان غلب في العقلاء لكنه من
حيث انه اسم جمع لذا التي يعم القبيلين جا لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام • كان عنه مسؤلا
اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤلا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير الغايب
على طريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤلا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤلا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس
بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القايم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا
ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود ويجوز
ان يكون مسؤلا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسال ابن جني ابا علي عن
قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغب بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع
اي يفعل الاعطا والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤلا او مسؤلا صاحبه • ولا تمش
في الارض • التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح • مرحا • ذا مرح او بطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا
مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر • انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها
اي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطاتك وقرئ بضم الرا • ولن تبلغ الجبال • التي هي بعض اجزاء الارض • طولا • حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر
انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه • كل ذلك • اشارة
الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين • كان سيئه • الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة • عند ربك
مكروها • مبغضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشيا واقعة بارادته
سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكباير للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى
كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل
على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في اية الليل وآية
النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى
فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او تجري على موصوف مذكر اي امرا مكروها او تجري مجرى الاسما زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من
المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيآته وقرئ شانه • ذلك • اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة • مما اوحى اليك ربك

اي بعض او من جنسه • من الحكمة • التي هي علم الشرايع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان هذه الايات الثماني عشرة كانت في الواح موسى عليه الصلاة والسلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التوراة ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من
الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كاينا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار • ولا تجعل مع الله الها اخر • الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها
ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكما وحك بيافوخه عنان السما وقد رتب عليه ما هو عايدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد
مذموما مخذولا ورتب عليه هنهنا نتيجته في العقبى فقيل • فتلقى في جهنم ملوما • من جهة نفسك ومن جهة غيرك • مدحورا • مبعدا من رحمة الله تعالى وفي
ايراد الالقا مبنيا للمفعول جري على سنن الكبريا وازدرا بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة ياخذها اخذ بكفه فيطرحها في التنور • افاصفاكم ربكم
بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا • خطاب للقايلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصفا بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفا للعطف
على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص واثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر
وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد تصدرهما بالتعرض لعنوان الربوبية لتشديد النكير وتاكيده واشير بذكر الملائكة
عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله
تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا • انكم لتقولون • بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه • قولا عظيما • لا يقادر
قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة
السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم يضيفون اليه ما يكرهون من اخس الاولاد ويفضلون عليه
انفسهم بالبنين ثم يصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلايق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلة ما افحشها
وكفرة ما اشنعها وافظعها • ولقد صرفنا • هذا المعنى وكررناه • في هذا القرآن • على وجوه من التقريب في مواضع منه وانما ترك الضمير
تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض
عنهم ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة
من الايات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في
عراقيبها نصلي وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من اثار القرآن وشانه • وما يزيدهم
اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ • الا نفورا • عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدي الى معرفة بطلان ما هم عليه
من القبايح • قل • في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى • لو كان معه • تعالى • الهة كما يقولون • اي المشركون قاطبة وقرئ بالتا
خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي معية مثل مقالتهم الشنعا • وجزا للوا
لطلبوا • الى ذي العرش • الذي له الملك والربوبية كونا مثلها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة • اذا لابتغوا • ...
جواب عن مقالتهم الشنعا وجزا للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الذي له الملك والربوبية على الاطلاق • سبيلا • بالمبالغة
والمغالبة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة • والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه • في انه صريح في ان المراد بيان
انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغا السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير
ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقيا به • وتعالى • متباعد • عما يقولون •
من العظيمة التي هي ان يكون معه الهة وان يكون له بنات • علوا • تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا • كبيرا • لا غاية وراءه
كيف لا وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولون من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم
اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه
كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه الهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان
فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من من شانه ذلك • تسبح • بالفوقانية وقرئ بالتحتانية
وقرئ سبحت • له السموات السبع والارض ومن فيهن • من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال
ولسان الحال بطريق عموم المجاز • وان من شيء • من الاشيا حيوانا كان او نباتا او جمادا • الا يسبح • ملتبسا • بحمده • اي ينزهه تعالى بلسان الحال
عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا
عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة • ولكن لا تفقهون تسبيحهم • ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ

وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل • انه كان حليما • ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها
من الاعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك • غفورا • لمن تاب منكم • واذا قرأت القرآن
الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع • جعلنا • بقدرتنا ومشيئتنا المبنية
على دواعي الحكم الخفية • بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة • اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة
من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيد لما سينقل عنهم من انكار
البعث واستعجاله ونحو ذلك • حجابا • يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترأوا على تفوه العظيمة التي
هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل
امرأة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه وانا اخاف
ان تراك قال عليه الصلاة والسلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله
الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم • مستورا • ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او مستورا في نفسه بحجاب آخر [illegible]
تؤكد حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون • وجعلنا على قلوبهم اكنة • اغطية كثيرة جمع كنان • ان يفقهوه • مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه
او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى • وفي آذانهم وقرا • صمما وثقلا مانعا من سماعه
اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشئون النبي عليه السلام وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها
بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع
قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيه على ان حالهم هذا اشنع من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما
باوصاف مانعة من التصديق والايمان لكون القرآن سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان
هناك امرا حجبهم وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام • واذا ذكرت ربك في
القرآن وحده • والحال انه غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده • ولوا على ادبارهم • اي هربوا ونفروا • نفورا • او ولوا نافرين
نحن اعلم بما يستمعون به • ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه الصلاة والسلام رجلان من
من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار • اذ يستمعون اليك • ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار
بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى • واذ هم نجوى • لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل
بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون فيما بينهم والاول
ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية
بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون • اذ يقول الظالمون • بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون
به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم
ان تتبعون • ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو والهزء • الا رجلا مسحورا • اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة
يتنفس اي بشرا مثلكم • انظر كيف ضربوا لك الامثال • اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون • فضلوا • في جميع ذلك عن منهاج المحاجة • فلا
يستطيعون سبيلا • الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه
من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى • وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا • استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث
بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يعزب على المخاطب والمتكلم
والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل
فيها ما دل عليه قوله تعالى • ائنا لمبعوثون • لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار
وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص الانكار به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه
اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة
الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم
في الضلال ما لا مزيد عليه • خلقا جديدا • نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق • قل • جوابا لهم وتقريبا لما

استبعدوه • كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم • اي يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة بينها وبينه فانكم مبعوثون
ومعادون لا محالة • فسيقولون من يعيدنا • مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة • قل • لهم تحقيقا للحق وازاحة
للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال • الذي فطركم اول مرة • اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذى به
ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة
بلى انه على كل شيء قدير • فسينغضون اليك رؤسهم • اي يحركونها نحوك تعجبا وانكارا • ويقولون • استهزاء • متى هو • اي ما ذكرته من
الاعادة • قل عسى ان يكون • ذلك • قريبا • نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها
اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث ان يقع في زمان قريب
او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب • يوم يدعوكم • منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه
بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر المستكن في
عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير • وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم • وهو
ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار • فتستجيبون • اي يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة
التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجواب • بحمده • حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين
او حامدين له تعالى لكمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها • وتظنون • عطف على تستجيبون اي تظنون عندما ترون ما
ترون من الامور الهائلة • ان لبثتم • اي ما لبثتم في القبور • الا قليلا • كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا • وقل لعبادي • اي المؤمنين
يقولوا عند محاورتهم مع المشركين • التي • اي الكلمة • التي هي احسن • ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن • ان الشيطان ينزغ بينهم • اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشارة والمعاداة
والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاي • ان الشيطان كان • قديما
للانسان عدوا مبينا • ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم • ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم • بالتوفيق
للايمان • او ان يشأ يعذبكم • بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها
ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان • وما ارسلناك
عليهم وكيلا • موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال
وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين
للمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله • وربك اعلم بمن في
السموات والارض • وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون
ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا
انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم • ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض • بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق
الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع • وآتينا داود زبورا • بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك
والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعباد الله
الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور
تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر او
بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على انه جمع زبر بمعنى مزبور • قل ادعوا الذين زعمتم • انها آلهة • من دونه
الله تعالى من الملائكة والمسيح وعزير • فلا يملكون • فلا يستطيعون • كشف الضر عنكم • بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك • ولا تحويلا
اي ولا تحويله الى غيركم • اولئك الذين يدعون • اي اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين • يبتغون • يطلبون لانفسهم
الى ربهم • ومالك امورهم • الوسيلة • القربة بالطاعة والعبادة • ايهم اقرب • بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من
هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى
بالطاعة والعبادة • ويرجون رحمته • بها • ويخافون عذابه • بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية
ان عذاب ربك كان محذورا • حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام • وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه
وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا • وان من قرية • بيان لتحتم حلول عذابه

تعالى من اعدائه ان ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴿وان من قرية﴾ كلمة ان نافية
ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من القرى ﴿الا نحن مهلكوها﴾ اي مخربوها البتة بالخسف
بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس في غيرها من الدلالة
على التحقق والتقرر وانما قيل ﴿قبل يوم القيامة﴾ لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء
عمر الدنيا ﴿او معذبوها﴾ اي معذبو اهلها على الاسناد المجازي ﴿عذابا شديدا﴾ لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا
يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما نيط به الاهلاك من قبلية يوم القيامة كيف لا
وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيامة ﴿كان ذلك﴾ الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب ﴿في الكتاب﴾
اي اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل
الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك
المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا
وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة امنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية
امنة حتى تخرب مصر ومصر امنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية
على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش
فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون من الفرات قطرة وخراب البصرة من
قبل الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين
وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية
لا يساعده السياق ولا السباق ﴿وما منعنا ان نرسل بالآيات﴾ اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك
﴿الا ان كذب بها الاولون﴾ استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم
ارساله تعالى لها وان كانت مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع من ذلك من التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم
المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الاخرين لكمال الاشتراك في العتو والعناد وافضائه
الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي للاستئصال
المخالف لما جرى به قلم القضاء من تاخير عقوبات هذه الامة الى الاخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم
عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتاييده عليه الصلاة
والسلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير
واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الاخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا
صنيعهم ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ عطف على بعض ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث
آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة ﴿مبصرة﴾ على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار
او بصائر يبصرها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول
وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ﴿فظلموا بها﴾ فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر
بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب
مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا او لانها من جهة انها حيوان اخرج من
الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المقترحة ﴿الا تخويفا﴾ لمن ارسلت هي
عليهم مما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب ويجوز
ان تكون حالا من ضمير ظلموا اي ظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها
فنزل بهم ما نزل ﴿واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس﴾ اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنه فلا يخفى عليه شيء
من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس﴾ الى اخر الآية
تنبيه على تحققه بالاستدلال عليه بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه

لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الاخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات
المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن
ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناكها عيانا
مع كونها آية عظيمة واية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة ﴿الا فتنة﴾ افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم ﴿والشجرة
الملعونة في القرآن﴾ عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم
في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت
فيها الشجرة ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا يضرها
ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر
كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ﴿ونخوفهم﴾ بذلك وبنظائره من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على التجدد والاستمرار ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿الا طغيانا كبيرا﴾ متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا
بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو
الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه
من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لما ان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا
حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف
بك قد احاط بهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة
الا ترى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد
فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر
وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه عليه
الصلاة والسلام في المنام من مصارعهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى
الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عليه الصلاة والسلام انه سيدخل مكة
واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا
واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا
بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا بالتخويف غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه الصلاة والسلام في وقعة بدر
من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة
ما جعلت فتنة للناس ﴿واذ قلنا للملائكة﴾ تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد
وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وبعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما الصلاة والسلام في الطاعة وابتغاء
الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اي واذكر وقت قولنا لهم ﴿اسجدوا
لآدم﴾ تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك ﴿فسجدوا﴾ له من غير تلعثم امتثالا للامر واداء لحقه عليه الصلاة والسلام
﴿الا ابليس﴾ وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود ﴿قال﴾ اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك
ان لا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه
في سورة الحجر ﴿أأسجد﴾ وانا مخلوق من العنصر العالي ﴿لمن خلقت طينا﴾ نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى
الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول اي اأسجد له واصله طين والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالموصول لتعليل
انكاره بما في حيز الصلة ﴿قال﴾ اي ابليس لكن عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه
من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال
الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
﴿ارايتك هذا الذي كرمت علي﴾ الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف
لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدا حذف
عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارايتك اتامل

كان المتكلم ريثما يتم المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه ● لئن أخرتن حيا ● إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه
قوله ● لأحتنكن ذريته ● أي لأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الأرض فأجرد ما عليها أكلا أو لأقودنهم حيث ما شئت ولأستولين
عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت في حنكها الأسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لأزينن لهم في الأرض
ولأغوينهم أجمعين وإنما علم تأتي ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو استنباطا من قولهم أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء أو توسما من خلقه ● إلا قليلا ● منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى ● قال اذهب ● أي امض لشأنك الذي اخترته
وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه ● فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ● أي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب
رعاية لحق المتبوعية ● جزاء موفورا ● أي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة أي وفر وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لما في قوله
فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو للفعل المقدر أو حال موطئة لقوله موفورا ● واستفزز ● أي استخف ● من استطعت منهم أن
تستفزه ● بصوتك ● بدعائك إلى الفساد ● وأجلب عليهم ● أي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح ● بخيلك ورجلك ● أي بأعوانك وأنصارك
من راكب وراجل من أهل العبث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس فما كان
من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل إبليس والخيل الخيالة ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على أنه فعل بمعنى فاعل كتعب
وتاعب ومعناه مثل حدث وحدوث وندس وندوس ونظايرهما أي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز أن يكون
استفزازه بصوته وإجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم
من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم ● وشاركهم في الأموال ● بحملهم على كسبها
وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي ● والأولاد ● بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والإشراك كتسميتهم
بعبد العزى والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة ● وعدهم ● المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة
والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل ● وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ● اعتراض لبيان شأن مواعيده ○
والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية
شيطنته للغرور وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ● إن عبادي ● الإضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه
ليس منهم وأن الإضافة لثبوت الحكم في قوله تعالى ● ليس لك عليهم سلطان ● أي تسلط وقدرة على إغوائهم كقوله تعالى إنه
ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ● وكفى بربك وكيلا ● لهم يتوكلون به ويستمدون منه في الخلاص عن إغوائك والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الإضافة إلى ضمير إبليس للإشعار بكيفية كفايته تعالى لهم
أعني سلب قدرته على إغوائهم ● ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر ● مبتدأ وخبر والإزجاء السوق حالا بعد حال أي هو القادر الحكيم
الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر ● لتبتغوا من فضله ● من رزقه الذي هو فضل من قبله أو من الربح الذي هو معطيه ومن
مزيدة أو تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى
فلا يملكون الآية ● إنه كان بكم ● أزلا وأبدا ● رحيما ● حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه وهذا تذييل
فيه تعليل لما سبق من الإزجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على أن المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة ○
المنقسمة إلى الجليلة والحقيرة ● وإذا مسكم الضر في البحر ● خوف الغرق فيه ● ضل من تدعون ● أي ذهب عن خواطركم
ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم ● إلا إياه ● وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه ○
استقلالا أو اشتراكا أو ضل كل من تدعونه عن إغاثتكم وإنقاذكم ولم يقدر على ذلك إلا الله على الاستثناء المنقطع ● فلما نجاكم ●
من الغرق وأوصلكم ● إلى البر أعرضتم ● عن التوحيد أو اتسعتم في كفران النعمة ● وكان الإنسان كفورا ● تعليل لما سبق من الإعراض
أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم ● أن يخسف بكم جانب البر ● الذي هو مأمنكم أي
يقلبه ملتبسا بكم أو بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة إلى قدرته سبحانه وقهره
وسلطانه وقرئ بنون العظمة ● أو يرسل عليكم ● من فوقكم أو من تحت وقرئ بالنون ● حاصبا ● ريحا ترمي بالحصباء ● ثم لا تجدوا
لكم وكيلا ● يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فإنه لا راد لأمره الغالب ● أم أمنتم أن يعيدكم فيه ● تارة ● في البحر أو ثرت
كلمة في على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه ● تارة أخرى ● إسناد الإعادة إليه تعالى مع
أن العود إليه باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم إلى ذلك وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الأولى بحيث لولا
الإعادة لما عادوا ● فيرسل عليكم ● وأنتم في البحر وقرئ بالنون ● قاصفا من الريح ● وهي التي لا تمر بشيء إلا كسرته وجعلته كالرميم أو التي

لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر ● فيغرقكم ● بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالياء
على الإسناد إلى ضمير الريح ● بما كفرتم ● بسبب إشراككم أو كفرانكم لنعمة الإنجاء ● ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ● أي ثائرا يطالبنا بما فعلنا
انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ● ولقد كرمنا بني آدم ● قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم
أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به
نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه
بيده وما قيل من شركة القردة له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فإنه يتناول له برجله التي يطأ بها القاذورات
لا بيده ● وحملناهم في البر والبحر ● على الدواب والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك
وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الأرض ولم نغرقهم بالماء وأنت خبير بأن الأول هو الأنسب بالتكريم إذ جميع الحيوانات ○
كذلك ● ورزقناهم من الطيبات ● أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم ● وفضلناهم ● في العلوم
والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح ● على كثير ممن خلقنا ● وهم من عدا الملائكة
عليهم الصلاة والسلام ● تفضيلا ● عظيما فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة
ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الأعلى الذين هم العقول
المحضة وإنما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم
بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل
في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه إن قيل أي حاجة إلى التعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فإن
استثناء الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفراده عليهم قلنا
لا بد من تعيينه البتة إذ ليس من الأفراد الفاجرة للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه أصلا بل هم أدنى من كل
دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ● يوم
ندعو كل ● نصب على الظرفية بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل والمفعول
ويدعو بقلب الألف واوا على لغة من يقول في أفعى أفعو ويجوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا النجوى ○
أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى ● كل أناس ●
من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت أحوالهم في الآخرة بحسب
أحوالهم وأعمالهم في الدنيا ● بإمامهم ● أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم
التي قدموها فيقال يا أصحاب الكتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كذا يا أهل كتاب كذا وقيل الإمام جمع أم كخف
وخفاف والحكمة في دعوتهم بأمهاتهم إجلال عيسى عليه الصلاة والسلام وتشريف الحسنين رضي الله تعالى عنهما والستر
على أولاد الزنا ● فمن أوتي ● يومئذ من أولئك المدعوين ● كتابه ● صحيفة أعماله ● بيمينه ● إبانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا
لصاحبه وتبشيرا له من أول الأمر بما في مطاويه ● فأولئك ● إشارة إلى من باعتبار معناه إيذانا بأنهم حزب مجتمعون
على شأن جليل أو إشعارا بأن قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الإيتاء وما فيه من
من الدلالة على البعد للإشعار برفعة درجاتهم أي أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الإيتاء المذكور ○
● يقرؤون كتابهم ● الذي أوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ● ولا يظلمون
أي لا ينقصون من أجور أعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة ● فتيلا ● أي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة
أو أدنى شيء فإن الفتيلة مثل في القلة والحقارة ● ومن كان ● من المدعوين المذكورين ● في هذه ● الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل ○
من فنون التكريم والتفضيل ● أعمى ● فاقد البصيرة لا يهتدي إلى رشده ولا يعرف ما أوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا
عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما أودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقت له من العلوم والمعارف الحقة ● فهو
في الآخرة ● التي عبر عنها بيوم ندعو ● أعمى ● كذلك أي لا يهتدي إلى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لأن العمى الأول موجب للثاني
ويجوز كون الثاني بمعنى التفضيل على أن عماه في الآخرة أشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما ● وأضل
سبيلا ● أي من الأعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي أوتي كتابه بشماله بدلالة حال
ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع أنه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع ○
في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للإيذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى وأما إن كان من المكذبين الضالين بعد قوله

تعالى فاما ان كان من اصحاب اليمين والقوم لما علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الاخر السبب ودل
بالمذكور في كل منهما على المتروك في الاخر تعويلا على شهادة العقل كاني قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله • وان كادوا ليفتنونك • نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا لا نفتخر
بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان
وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا اية رحمة اية عذاب
واية عذاب اية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا فان مخففة من المثقلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين • عن الذي اوحينا اليك • من اوامرنا ونواهينا
ووعدنا ووعيدنا • لتفتري علينا غيره • لتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحت ثقيف او قريش حسبما نقل • واذا لاتخذوك
خليلا • اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي • ولولا ان ثبتناك • على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك • لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا • من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم
وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه عليه الصلاة
والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وهدايته • اذن • لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات • اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك
لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة وبضعف
الممات عذاب القبر • ثم لا تجد لك علينا نصيرا • يدفع عنك العذاب • وان كادوا • الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة • ليستفزونك • اي
ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم • من الارض • اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة • ليخرجوك منها واذا لا يلبثون • بالرفع على خبر كادوا وان
قرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك • خلافك • اي بعدك قال خلت الديار خلافهم
فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيرا • اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك • الا قليلا • الا زمانا قليلا وقد كان كذلك
فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه الصلاة والسلام وقيل نزلت الاية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه الصلاة والسلام فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل • سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا • نصب على المصدرية
اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنة
لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل • ولا تجد لسنتنا تحويلا • اي تغييرا • اقم الصلاة لدلوك الشمس • لزوالها كما ينبئ عنه قوله
عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ
يدلك عينيه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك
لثلاث خلون • الى غسق الليل • الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل
اقامة كل صلاة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عليه الصلاة والسلام كما ان اعداد ركعات كل صلاة موكولة الى بيانه عليه
السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل فيها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة
فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر وكذلك فصل
وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدأ وقتها ومنتهاه واستدل به على
امتداد وقته الى غروب الشفق • وقوله تعالى • وقران الفجر • اي صلاة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء
قاله الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما سمي ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار
التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة
ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على تطويل القراءة في صلاة الفجر • ان قران الفجر • اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام
به • كان مشهودا • يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو
الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس
وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر • ومن الليل • قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون الاغراء
به حرفا ولا يجدي نفعا لكون معناها التبعيض فانه لا يلزم ليس اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية

بمضمر اي قم بعض الليل • فتهجد به • اي ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجي للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظايرها والضمير
المجرور للقران من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل
منصوب بتهجد اي تهجد بالقران بعض الليل على طريقته واياي فارهبون • نافلة لك • فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة
بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخير ذكرها عن ذكر صلاة الفجر مع تقدم وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل
لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه
زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرايضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير
تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجد فان ذلك عبادة زايدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران اي حال
كونها صلاة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك
عسى ان يبعثك ربك • الذي يبلغك الى كمالك اللايق بك من بعد الموت الاكبر كما انبعث من النوم الذي هو الموت الاصغر
بالصلاة والعبادة • مقاما • نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا
الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام • محمودا • عندك وعند جميع الناس
وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع
الخلايق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوايك وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه يجمع الناس في صعيد واحد
فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت • وقل رب ادخلني • اي
القبر • مدخل صدق • اي ادخالا مرضيا • واخرجني • اي منه عند البعث • مخرج صدق • اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة
فهو تلقين الدعاء بما وعد من البعث المقرون بالاقامة المعهودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصد وقيل ادخاله مكة عليه الصلاة والسلام ظاهرا عليها واخراجه
منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمل من اعباء الرسالة واخراجه
منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل صدق ومخرج
بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا لقوله • وعضه دهر يا ابن مروان لم يدع الا
مسحتا او مجلف • اي لم يدع فلم يبق • واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا • حجة تنصرني على من خالفني او ملكا
وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس
الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض • وقل جاء الحق • اي الاسلام والوحي الثابت
الراسخ • وزهق الباطل • اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج • ان الباطل
كان زهوقا • اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو علم لرتبة باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذي لقنه
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة
كانت بيده في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره • وننزل من القران ما هو شفاء وقد نزل من القران الانزال ما هو شفاء
لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام • ورحمة للمؤمنين • به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء كأن كل القران كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما يستدعي
الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك لمن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافي
المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقدم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في
كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء لكن لا في كل حين بل عند نزوله الجسماني كما في الفاتحة وايات الشفاء
لا يساعده قوله سبحانه • ولا يزيد الظالمين الا خسارا • اي لا يزيد القران كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين
الاشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء للاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من
داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك

من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك ضلالا كفرا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من
الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت
والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه
تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك • واذا انعمنا على الانسان • بالصحة والسعة • اعرض • عن ذكرنا فضلا عن
القيام بمواجب الشكر • ونأى • تباعد عن طاعتنا • بجانبه • الثاني بجانب اي لوى عنا عطفه وولاه عرض وجهه فهو تأكيد
للاعراض او عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين • واذا مسه الشر • من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المس
الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك • كان يؤوسا • شديد اليأس من روحنا
وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظايره
فان ذلك شان بعض اخرين منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء في رأى واما على انه بمعنى
نهض • قل كل • اي كل احد منكم وممن هو على خلافكم • يعمل على شاكلته • طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر
روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه • فربكم • الذي براكم على هذه الطبايع المتخالفة • اعلم بمن هو اهدى سبيلا • اي اسد طريقا
وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين • ويسألونك عن الروح • الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي
هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم
في التوراة • قل الروح • اظهر في مقام الاضمار والاضافة للاختصاص العلمي الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف
ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم
حولها عقول البشر • وما اوتيتم من العلم الا قليلا • لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن
مختصون بهذا الخطاب قال عليه الصلاة والسلام بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وما قالوا ذلك لسوء فهمهم فان الحكمة الانسانية
ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال
به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكاينة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء
الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه والمعنى انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكاين من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط
بكنهه دايرة ادراك البشر واما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما
قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزييات ولذلك قيل من فقد حسا
فقد فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه الحس ولا شيا من احواله يدور عليه معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه
وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كاين بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملايمته لحال السائلين
لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فان ما سالوا عنه مما يفي به علمهم حينيذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم
روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل القران ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام
البشر • ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك • من القران الذي هو شفا ورحمة للمومنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها
وتثبيتك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه
ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطية للقسم ولنذهبن
جوابه النايب مناب جزا الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشية والمراد من الاذهاب به المحو عن المصاحف والصدور
وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة وليصلين
قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في
مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسري عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف
وينزع ما في القلوب • ثم لا تجد لك به • اي بالقران • علينا وكيلا • من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا • الا
رحمة من ربك • فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته
غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقايه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يعتز بقدره

الجليل وبعوطي في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها • ان فضله كان عليك كبيرا • كارسالك وانزال الكتب عليك وابقايه في حفظك
وغير ذلك • قل • للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر • لين اجتمعت الانس والجن
اي اتفقوا • على ان ياتوا بمثل هذا القران • المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى
وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لان غيرهما قادر على المعارضة • لا ياتون بمثله • اوثر
الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي ياتون بكلام
مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبي عنه اللام
الموطية وساد مسد جزا الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير • وان اتاه خليل
يوم مسالة • يقول لا غايب مالي ولا حرم • وحيث كان المراد الاجتماع على الاتيان بمثل القران مطلق الاتفاق على ذلك سوا
كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتالبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار
قيل • ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا • اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا ياتون بمثله لو لم يكن
بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله
حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحل
النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا ياتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا
عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض اياته ببعض ولا مساغ لكون الاية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداده ونفي الشي انما يقرر بنفي ما دونه لا بنفي ما
فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه
وسلم بل الى الكافرين من قبله عليه الصلاة والسلام • ولقد صرفنا • كررنا ورددنا على انحا مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان
وزيادة رسوخ واطمينان • للناس • في هذا القران • المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة • من كل مثل • من كل معنى بديع هو في الحسن
والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول • فابى اكثر الناس • اوثر الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا • الا كفورا
الا جحودا وانما صح الاستثنا من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة
ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا
في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء • وقالوا • عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة
متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج • لن نومن لك حتى تفجر • وقرئ
بالتخفيف • لنا من الارض • ارض مكة • ينبوعا • عينا لا ينضب ماوها يفعول من نبع الما كيعبوب من عب الما اذا زخر
او تكون لك جنة • اي بستان تستر اشجاره ما تحتها من العرصة • من نخيل وعنب فتفجر الانهار • اي تجريها بقوة • خلالها تفجيرا
كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرايها كما ينبي عنه الفا لا ابتداوه • او تسقط السما كما زعمت علينا
كسفا جمع كسفة كقطع وقطعة لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السما والكاف في كما في محل النصب على انه
صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السما • او تاتي بالله والملايكة
قبيلا • اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملايكة محذوفة لدلالة هذه عليها
اي والملايكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله • فاني وقيار بها لغريب • او جماعة فيكون حالا من الملايكة • او يكون لك بيت
من زخرف • من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة • او ترقى في السما • اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم رقي الدرج
ولن نومن لرقيك • اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها • حتى تنزل علينا كتابا • فيه تصديقك • نقروه • نحن من غير
ان نتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نومن لك حتى تتخذ الى السما سلما ترقى فيه وانا
انظر حتى تاتيها وتاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملايكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك
الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان
يكفيهم بعض ما شاهدوه من المعجزات التي تخر لها صم الجبال • قل • تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد
يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان
ربي • وقرئ قال سبحان ربي • هل كنت الا بشرا • لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السما ونحوه • رسولا • مامورا من قبل ربي بتبليغ
الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلايم حال قومهم ولم يكن

اسم الايات اليهم ولا لهم ان يحكموا على الله سبحانه وتعالى بشيء منها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفته وما منع الناس اي
الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء
الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا
في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان
هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول
ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع
شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب لقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون
به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور
مع كونه حاسما لمواد شبههم متحيلا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق
المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا في
السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه
واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم
للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون
موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من
قبلنا ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت
ما علي من موجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوحيد الشهيد لما ان كونه عليه الصلاة والسلام رسولا
باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اخبرناكم او اعلم قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا
للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر
احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن
يهدي الله كلام مبتدأ مفصل لما اشار اليه الكلام السابق من مجازات العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق
بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق
فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم او من ضمير الجماعة اعتبارا للمعنى من غير تعرض لمقابلة الافراد
نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله
تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب
الذي تستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد
ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيامة على وجوههم حال من الضمير المنصوب
اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجرور في الحال الثانية
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مؤوفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم تعاد اليهم قواهم وحواسهم بما يلذ مسامعهم لما انهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون
بالايات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس وان
يحشروا كذلك ثم تعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم اما
حال او استيناف كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق
به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة
بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب
جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا باياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة وذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز
ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد
الانكار ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي

مخلوقين مستأنفين اولم يروا اي ولم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق
مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف
على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا
محققا لا ريب فيه هو القيامة فابى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو انتم تملكون
رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة
ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذن لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد
الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا
في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات
الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات
وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن منزلة اذ ذاك
وان الاولين لا تعلق لهم بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا
به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله
ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي رجله ويده عليه السلام ف
لا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه الصلاة والسلام بذلك لما انه المهم للسائل وقوله لما انه كان في التوراة مسطورا وقد علم
انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم من فرعون وقلنا له ارسل معي
بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي ف
وقيل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام اي فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق
بقلنا او سأل على القراءة المذكورة وبآتينا او بمضمر هو اذكر او اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء
فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط
عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الآيات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما ل
للايذان بانه لا يقدر على مثل هاتيك الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك
تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم من ضرورة ذلك العلم العلم بانه عليه الصلاة والسلام على كمال رصانة العقل
فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة المتكلم اي لقد علمت بيقين ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم
ان يحوم حول سحر واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك
او هالكا وقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه الصلاة والسلام يحاذي اليقين
فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يستخفهم ويزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقهم
لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام
القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه
من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره
وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثه عليه الصلاة والسلام اثر تحقيق حقية
انزال القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس
على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ويقع من الحوادث والوقعات قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه
نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة و
تمكنوا من التمييز بين الحق والباطل او رأوا نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون
على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال
التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها واختيار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لانهم من قول

تعالى آمنوا به اولا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي انكم لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا للقول على سبيل
التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم • ويقولون في سجودهم سبحان
ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده • ان كان وعد ربنا لمفعولا • ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان
هذا • ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى والشكر لانجاز الوعد والثاني
لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله • ويزيدهم • اي القران بسماعهم • خشوعا • كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن • نزلت حين سمع المشركون • رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة
الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى • ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى • والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما
استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له
لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع
اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال من الجلال والجمال والاكرام • ولا تجهر بصلاتك • اي بقراءة
صلاتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها • ولا تخافت بها • اي بقراءتها بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين
وابتغ بين ذلك • سبيلا • اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا • امرا وسطا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل
باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب • وروي ان ابا بكر رضي الله عنه يخفت ويقول اناجي
ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها • وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة
نهارا والجهر ليلا • وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية • وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا • كما يزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك
علوا كبيرا • ولم يكن له شريك في الملك • اي الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الالهة • ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع
منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد
من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك
نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى • وكبره تكبيرا • وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة
ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية • وعنه صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية [illegible]

سورة الكهف مائة وعشر آية مكية

• الحمد لله الذي انزل على عبده • محمد صلى الله عليه وسلم • الكتاب • اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب
الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القران او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول
اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي
التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه الصلاة والسلام الى اعلى معارج العبادة
وتشريف له اي تشريف واشعار بان شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه الصلاة والسلام
وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى • ولم يجعل له عوجا • اي شيئا من العوج
بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها
عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة
استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في اعوجاج المنتصب
كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى • قيما • بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار
والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة

فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا الذي عنه العوج مع
كونه من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المنفية معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على
تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل ح بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف • وقرئ قيما • لينذر • متعلق بانزل
والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان
الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا به • باسا • اي عذابا • شديدا من لدنه • اي صادرا من عنده
نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع
• ويبشر • بالتشديد وقرئ بالتخفيف • المؤمنين • اي المصدقين • الذين يعملون الصالحات • الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار
صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال
هو الايمان • ان لهم • اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة • اجرا حسنا • هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى • ماكثين • حال
من الضمير المجرور في لهم • فيه • اي في ذلك الاجر • ابدا • من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على
التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى • وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا • متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي الباس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية
شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون
الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل
في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على
تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج
سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار
حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين امنوا يفضي الى اخلاء النظم الكريم عن الدلالة على حلول الباس الشديد
على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام • ما لهم به • اي باتخاذه
سبحانه وتعالى ولدا • من علم • مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او مستانفة لبيان
حالهم في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق العلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه • ولا لابائهم
الذين تقولوه فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطا بل انما قالوه رميا بالقول عن عمى وجهالة من غير
فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى لقد
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله تعالى • كبرت كلمة • اي عظمت
مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه وتعالى الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول
عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بالبعد من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت
هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع • تخرج من افواههم • صفة للكلمة مفيدة
لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها • ان يقولون • ما يقولون
في ذلك الشان • الا كذبا • الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضميران لهم ولابائهم شبه حاله عليه السلام في شدة الوجد
على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقران وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته
تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه الصلاة والسلام على الحذر والاشفاق من ذلك • فلعلك
باخع نفسك • اي مهلك • نفسك على اثارهم • غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة • ان لم يؤمنوا بهذا الحديث • اي القران الذي
عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بعد
على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه • اسفا • مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب
او حال مما فيه من الضمير اي متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين
منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم • انا جعلنا ما على الارض • استئناف وتعليل لما في لعل من معنى
الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما
في الارض جميعا • زينة • مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في • لها • اما متعلقة بزينة او بمحذوف
هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرها بالعذاب

الاخرة من قبيل التابع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا
بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلين تحت الابتلاء
لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم • ايهم احسن عملا • فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما يتبين المحسن منهم
والمسيء وتمتاز طبقات كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه
في مطلع سورة هود عليه السلام واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوي لما فيه من معنى
العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر
والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فح يحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز
وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون
للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شانها
وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة
كما تفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضاء
لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية لجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم
احسن عملا • وانا لجاعلون • فيما سياتي عند تناهي عمر الدنيا • ما عليها • من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية واما الاظهار في مقام الاضمار
لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه • صعيدا • مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض
وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه • جرزا • ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار
يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجرورة اذا ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال
جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا
عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب
ومجازون لهم بحسب اعمالهم • ام حسبت • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي
هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت • ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا • في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر • من اياتنا • من بين اياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة
التي ذكرناها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس • عجبا • اي اية ذات عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر
مبالغة وهو خبر لكانوا ومن اياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الايات التي من جملتها ما ذكر
من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية ابن ابي الصلت وليس بها الا
الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه
الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم اخرون وكانوا
ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين • اذ اوى • ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجا
• الفتية • اي اصحاب الكهف اوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس
على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه • الى الكهف • يجعلونه
مجلسا لعبادتهم ملاذا • فقالوا ربنا اتنا من لدنك • من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة باتنا
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له اي اتنا كائنة من لدنك • رحمة • خاصة تستوجب
المغفرة والرزق والامن من الاعداء • وهيئ لنا من امرنا • الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والثبات على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة
الشيء اي اصلح ورتب واتم لنا من امرنا • رشدا • اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى
وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة
فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه ولغتنامه بحصوله لا محالة ولهذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على التقدير
تعلقه باتنا وتقديم لنا على من امرنا للابذان من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك
رايت منك اسدا • فضربنا على اذانهم • اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة من وصول الاصوات الى الاذان
بضرب الحجاب عليها وتخصيص الاذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لانها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة
للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الاذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على

يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سياتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا
له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية
خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم • في الكهف • ظرف مكان لضربنا • سنين • ظرف زمان له باعتبار بقائه
لا ابتدائه • عددا • اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول وصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب
باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الايات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل • ثم بعثناهم •
اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت • لنعلم • بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وايا ما كان
فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بجعله على ما يجيء وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به
الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا ونظايرهما التي يتحقق فيها
العلم بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى
الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم
الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شيء من ذلك في سلك الغاية واما الذي ترتب عليه تفرقهم الى
مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة
عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه
عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فات بها من المغرب وهو المراد هاهنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة
من يختبرهم • اي الحزبين • اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سياتي • احصى • اي اضبط • لما
لبثوا • اي للبثهم • امدا • اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم
من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم واية
بينة لكفارهم وقد اقتصر هنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سياتي على ما صدر عنهم من التساؤل
المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ الى اخر ما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله
الذين امنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه
استلزام الارادة لتحقق المراد فيجوز المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختير واختصر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا
للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانا
وفي موقع المفعولين ان جعل يقينا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ وروي عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين
الفتية والاخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم
والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى
احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها
الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد
معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد
العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما انتهى غايته ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المنفصلة العارضة له
بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو ان انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء
كما سوى بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة
معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة
الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق
الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير
ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان تكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما
قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما حققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من انه احصى
اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الايات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا
يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتاخر عنه وليس كذلك وادعاء ان بناء افعل التفضيل من المزيد عليه
غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل ولسان

عمله انما هو في تمييز التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلا مانع ان يجعل لصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر وزنا
او تقطيعا او يقال ان العامل فيه امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع
في المحذور بلا فاصل مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظاير فرع ما فيه من الاعتساف والخلل معزول من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود
بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار
عجز الكل عنه راسا انه فعل ماض قطعا و توهم ابو انه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار
حال الحكاية والله تعالى اعلم • نحن نقص عليك • شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف اي نحن
نخبرك بتفاصيل اخبارهم وفيه تصريح بان استعاقتهم على سورة يوسف عليه السلام • نبأهم • النبأ الخبر الذي له شان وخطر • بالحق • اما
صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا
ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج
اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس
فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع
الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن اثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع ارابه
وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا
بالصلاة والدعاء فبينماهم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا
ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما
عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم
ما فعل بساير المسلمين فازمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه
وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه اناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه وتعالى بالانين والجؤار وفوضوا
امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من
الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها
في الاسواق وفروا الى الجبل فلما راى يمليخا ما راى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهد من الهول ففزعوا
الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينماهم كذلك اذ ضرب الله تعالى على اذانهم فناموا
ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق
بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا
لهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عز وعلا منهم • انهم فتية • استيناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية
جمع قلة للفتى كالصبية للصبي • امنوا بربهم • وفيه الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة
حسبما سيحكى عنهم • وزدناهم هدى • بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما
عليه سبك النظم وسياقه من التكلم • وربطنا على قلوبهم • اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان
واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار • اذ قاموا • منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار
الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقالوا
نحن ايضا كذلك نجده فقاموا جميعا • فقالوا ربنا رب السموات والارض • ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي مقتضاها فان ربوبيته
عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي انفسه وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فحينئذ
يكون ما سياتي من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده • لن ندعو • لن نعبد ابدا • من دونه الها •
معبودا اخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم الهة وللاشعار
بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية • لقد قلنا اذا شططا •
اي قولا ذا شطط اي تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث
كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالمعبود ونداء تعالى التفرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا
من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا من حد العقول بعيدا عن طوق النظم • هؤلاء • هو مبتدا وفي اسم الاشارة تحقير لهم • قومنا • عطف بيان
له • اتخذوا من دونه الهة • خبره وفيه معنى الانكار • لولا ياتون • تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا ياتون • عليهم • على الوهيتهم او على صحة

اتخاذهم لها الهة • بسلطان بين • بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والعام تعجيز • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا •
بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة
كما مر تحقيقه في سورة هود • واذ اعتزلتموهم • اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني • وما يعبدون الا الله • عطف على الضمير
المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير
كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض
بين اذ وجوابه • فأووا • اي التجئوا الى الكهف • قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه
اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف • ينشر لكم •
يبسط لكم ويوسع عليكم • ربكم • مالك امركم • من رحمته • في الدارين • ويهيئ لكم • يسهل لكم • من امركم الذي انتم بصدده من الفرار
بالدين • مرفقا • ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان
من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده • وترى الشمس • بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا
بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن راي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية
الى الكهف وما حكي من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب
وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رايته ترى الشمس • اذا طلعت تزاور • اي تتزاور
وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل عن
كهفهم • الذي اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة • ذات اليمين • اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه
الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم • واذا غربت • اي تراها عند غروبها • تقرضهم • اي تقطعهم من القطيعة والصرم
ولا تقربهم • ذات الشمال • اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج
خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى • وهم في فجوة منه • حال حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم
يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير • ذلك • اي ما صنع الله بهم من
تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها • من ايات الله • العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته
وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات
نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا
يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم
فذلك مع انه لا يلائم كيف هذا شانه وانما جعله اشارة الى حفظ الله تعالى اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة
او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم كما ياتي اراده في تضاعيف القصة • من يهد الله •
الى الحق بالتوفيق له • فهو المهتد • الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق
ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه على ان امثال هذه الاية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها
ومن يضلل • اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه • فلن تجد له • ابدا • وان بالغت في التتبع والاستقصاء • وليا • ناصرا
مرشدا • يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه • وتحسبهم • بفتح السين وقرئ بكسرها
ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق • ايقاظا • جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل
كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم • وهم رقود • اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب
على اذانهم • ونقلبهم في رقدتهم • ذات اليمين • نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم • وذات الشمال • اي جهة تلي شمائلهم كيلا تاكل
الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم
عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى
تقلبهم • وكلبهم • قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا
حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف
في لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل نقود وقيل تطون وقيل قال
خالد معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا • باسط ذراعيه

حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والوزاع من المرفق الى راس الاصبع الوسطى • بالوصيد • اي بموضع الباب من الكهف • لو اطلعت عليهم • اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء للمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو • لوليت منهم فرارا • هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول • ولملئت منهم رعبا • وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قوله لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الاية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد • وكذلك بعثناهم • اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل اية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم • ليتساءلوا بينهم • اي ليسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لساير اثاره • قال • استيناف لبيان تساؤلهم • قائل منهم • هو رئيسهم واسمه مكسلمينا • كم لبثتم • في منامكم لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة • قالوا • اي بعضهم • لبثنا يوما او بعض يوم • قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب • قالوا • اي بعض اخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالالهام من الله سبحانه • ربكم اعلم بما لبثتم • اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستيناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا • فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة • قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبي عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى • فلينظر ايها • اي اهلها • ازكى • احل واطيب او اكثر وارخص • طعاما فليأتكم برزق منه • اي من ذلك الازكى طعاما • وليتلطف • وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف • ولا يشعرن بكم احدا • من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للامر بالتلطف • انهم • تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم • ان يظهروا عليكم • اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها • يرجموكم • ان ثبتم على ما انتم عليه • او يعيدوكم في ملتهم • اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر واوفر • ولن تفلحوا اذن • اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير • ابدا • لا في الدنيا ولا في الاخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى • وكذلك • اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين • اعثرنا • اي اطلعنا الناس • عليهم ليعلموا • اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة • ان وعد الله • اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا • حق • صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث • وان الساعة • اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء • لا ريب فيها • لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم • اذ يتنازعون • ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم

عليهم حين يتنازعون • بينهم امرهم • ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد واخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا موحدا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى وروي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل التنازع في امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل • فقالوا • فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فقالوا اي قال بعضهم • ابنوا عليهم • اي على باب كهفهم • بنيانا • لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى • ربهم اعلم بهم • من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه وتعالى ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فادخل متعلق بقوله تعالى • قال الذين غلبوا على امرهم • وهم الملك والمسلمون • لنتخذن عليهم مسجدا • وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فياباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو متاخر في الوقوع • سيقولون • الضمير في الافعال الثلثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم • ثلاثة رابعهم كلبهم • اي ثلاثة اشخاص رابعهم كلبهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قاله اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء في التاء • ويقولون خمسة سادسهم كلبهم • قيل قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا • رجما بالغيب • رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك • ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم • هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي اخر كما قيل • قل • تحقيقا للحق وردا على الاولين • ربي اعلم • اي اقوى علما • بعدتهم • بعددهم • ما يعلمهم • اي ما يعلم عددهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم • الا قليل • من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي اخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كلبهم كفشططيوش كذا ذكره الامام الواحدي في الوسيط • فلا تمار • الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم • فيهم • في شان الفتية • الا مراء ظاهرا • قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه وتعالى من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق • ولا تستفت فيهم • في شانهم • منهم • من الخائضين • احدا • فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضماير الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه تخليص معاني الاول من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنتظمة في سمط واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الاخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في الامارة والنهي واذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لعدم ما يتوهم من احتمال جواز او احتمال وقوع بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره

عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا
فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه عليه الصلاة
والسلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد
ذلك مفهوم بطريق دلالة النص مردود انما يصح لو لم يكن بمعناه في سياق النهي فان وسعة المجال دليل على العدول فليتأمل الا ان يشاء الله
استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في
وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئته اذن فان النسيان ايضا بمشيئة الله تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل
لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثنائه اعتراضه النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا
كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم
ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر
اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون
الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت
بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان
يهدين ربي اي يوفقني من الايات والدلائل الدالة على نبوتي لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الايات
والدلائل الدالة على نبوتي رشدا اي ارشاد الناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من
من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا
من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير
الى عزة مقداره وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثمانية وروي عن علي كرم
الله تعالى عنه انه قال اهل الكتاب انهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث
سنين فيكون ثلاثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلاثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما حسنه ههنا ان علامة
الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب السموات
والارض اي ما غاب فيهما وخفي عن احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع ذكر بصيغة
التعجب على ان شأن علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه
اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله
ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية
عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى
لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا
ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك
وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل اشتمال القران الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى
الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره عليه الصلاة والسلام بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا
تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره غيره ولن تجد ابد الدهر وان بالغت في الطلب
من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند الملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي دائبين على
الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء
المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام انؤمن لك واتبعك الارذلون
فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك
وجهه حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضائه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي
جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو ولا تصرف عينك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف
لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم
طموحا الى الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول

من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيد للتلازم كما في قوله لمن زحلوقة
زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخريين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلنا
غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم نسمه
بالذكر عن ذكرنا كأولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء من مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء
في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك تجلية النفس لا ببرية الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى
القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا ايانا بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما
للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه وتعالى
تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة
وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من
جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المأمور
به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا التفريع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله
تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن فليؤمن
كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة
بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر على مضمون المأمور به
والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل وقوله
تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة
بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي المبالاة والاهتمام وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير
التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه
على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي
للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه بحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت
فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد واني ذلك في النار وانما
هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان المفهوم من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل
تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اي ان الذين امنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم
الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة
لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون
ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من الديباج وما غلظ جمع
بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو شأن المتنعمين نعم الثواب
ذلك وحسنت اي الارائك مرتفقا اي متكأ واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب
اولهما ثانيهما لان المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة
كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين
او محققين هما اخوان في بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه
ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه البر فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر اسمه الاسود
بن عبد الاسد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي الله عنها اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين
بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما
مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا اخر كقولك غشيته به وجعلنا

وجعلنا بينهما • وسطهما • زرعا • ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق • كلتا الجنتين • اي اكله • ولم تظلم منه • لم تنقص من اكلها • شيئا • كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار يأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض • وفجرنا خلالهما • فيما بين كل من الجنتين • نهرا • على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع عن السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار • وكان له • لصاحب الجنتين • ثمر • انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة • فقال لصاحبه • المؤمن • وهو • اي القائل • يحاوره • اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع • انا اكثر منك مالا واعز نفرا • حشما واعوانا وذكورا لانهم الذين ينفرون معه • ودخل جنته • التي ترجمت احوالها وعددها وصفاتها وهيئاتها وتوحيدها اما للعموم لتعلق الغرض بعدها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة • وهو ظالم لنفسه • ضار لها بعجبه وكفره • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال • ما اظن ان تبيد هذه • الجنة • اي تفنى • ابدا • لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات • وما اظن الساعة قائمة • كائنة فيما سيأتي • ولئن رددت • بالبعث عند قيامها كما تقول • الى ربي لاجدن خيرا منها • اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين • منقلبا • مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج • قال له صاحبه • استئناف كالسابق • وهو يحاوره • جملة حالية كالسابقة فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة • اكفرت • حيث قلت ما اظن الساعة قائمة • بالذي خلقك • اي في ضمن خلق اصلك • من تراب • فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلاة والسلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة فتدبر • من نطفة • هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد • ثم سواك • رجلا • اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ • لكنا هو الله ربي • اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الالف في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكن هو الله بلا انا ولكن بطرح انا وكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد • ولا اشرك بربي احدا • فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك • ولولا اذ دخلت جنتك قلت • اي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر • ما شاء الله • اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها • اي في الآخرة وهو بيان لما فيه من آثار خيرية بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا لا للافضلية فيهما من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة • ثوابا • عائدة تعود الى صاحبها • وخير املا • حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما من المال والبنين فليس لصاحبه امل ينال به وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها • ويوم نسير الجبال • منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منثورا منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله يوم القيامة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير • وترى الارض • اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول • بارزة • اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا • وحشرناهم • جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور

انفاقها • لا قوة الا بالله • اي هلا قلت ذلك اعترافا بالعجز على نفسك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره • ان ترن انا اقل منك مالا وولدا • انا ضمير المتكلم او ضمير فصل توسط بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تأكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفي قوله تعالى وولدا تعريض لمن فسر النفر بالولد • فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك • هو جواب الشرط والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وبك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك • ويرسل عليها حسبانا • هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم قياسا للاولين اكثر • من السماء فتصبح صعيدا زلقا • مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات • او يصبح • عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثاني على يرسل • ماؤها غورا • اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة • فلن تستطيع • ابدا • له • اي للماء الغائر • طلبا • تحاول رده • واحيط بثمره • اهلكت امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلكت امواله وانما حذف لدلالة السياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة • فاصبح يقلب كفيه • ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم • على ما انفق فيها • اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا تنالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال • وهي • اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل • خاوية • ساقطة • على عروشها • اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها • ويقول • عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول • يا ليتني لم اشرك بربي احدا • كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط • ولم تكن له • وقرئ بالياء التحتانية • فئة ينصرونه • يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم • من دون الله • فانه القادر على ذلك وحده • وما كان منتصرا • ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه • هنالك • في ذلك المقام وفي تلك الحال • الولاية لله الحق • اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة • واضرب لهم مثل الحياة الدنيا • اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل • كماء • استئناف لبيان المثل اي هي كماء • انزلناه من السماء • ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير • فاختلط به • فاشتبك بسببه • نبات الارض • فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه • فاصبح • ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفه • هشيما • يابسا مكسورا • تذروه الرياح • تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كأن لم يغن بالامس • وكان الله على كل شيء • من الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء • مقتدرا • قادرا على الكمال • المال والبنون زينة الحياة الدنيا • بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم

فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى الافراد والاوقات الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولان زينته بدونهم اتم من العكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لانها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى انما يتفاخرون به من المال والبنين شي يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي شانها ان تزول قبل زوالها • والباقيات الصالحات • هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كلما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المومنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا واما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا • خير • اي مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف واما الذي يحتاج الى التعرض له فخيريتها • عند ربك • اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة لها في الاصل اذ لا مشاركة لها في الخيرية في الآخرة • ثوابا • عائدة تعود الى صاحبها • وخير املا • حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما سر من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثية الخيرية والمبالغة فيها • ويوم نسير الجبال • منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير • وترى الارض • اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول • بارزة • اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا • وحشرناهم • جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك • فلم نغادر • اي لم نترك • منهم احدا • يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ما يغادره السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت • وعرضوا على ربك • شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليامر فيهم بما يامر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى • صفا • اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا • لقد جئتمونا • على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان يكون هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص بالمتعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض • كما خلقناكم • نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقناكم • اول مرة • او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شي مما تفتخرون به من الاموال والانصار لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم • بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا • اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكون جملة فعلية متصرفة غير دعائية والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع • ووضع الكتاب • عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد في اثنائه من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان • فترى المجرمين • قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا • مشفقين • خائفين • مما فيه • من الجرائم والذنوب • ويقولون • عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا • يا ويلتنا • منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا الاهوال ما لاقوا اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك • ما لهذا الكتاب • اي اي شي له • لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها • اي عدها وضبطها وجملة لا يغادر حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل ما شانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة

ولا كبيرة الا احصاها • ووجدوا ما عملوا • في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا • حاضرا • مسطورا عتيدا • ولا يظلم ربك احدا • فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون ظالما لعدله القديم الازلي • واذ قلنا للملائكة • اي اذكر وقت قولنا لهم • اسجدوا لآدم • سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله • فسجدوا • جميعا امتثالا بالامر • الا ابليس • فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى • كان من الجن • كلام مستانف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا • ففسق عن امر ربه • اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية للاشعار بكمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المومنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى • افتتخذونه • فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه • وذريته • اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين • اولياء من دوني • فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي • وهم • اي والحال ان ابليس وذريته • لكم عدو • اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا • بئس للظالمين • اي الواضعين للشي في غير موضعه • بدلا • من الله سبحانه وتعالى ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى • ما اشهدتهم • استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته • خلق السموات والارض • حيث خلقتهما قبل خلقهم • ولا خلق انفسهم • اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس وذلك ان يرجع الضمير الثاني الى الظالمين ويلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار الانكار المذكور في شي على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عن شهود خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متمحضا في نفي الكمال المصحح لتولي الكل وهو المناط للانكار المذكور • وما كنت متخذ المضلين عضدا • اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء • عضدا • اعوانا في شان الخلق او في شان من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكن ذلك وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيومنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين عضدا على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون وبضمتين بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كخدم جمع خادم • ويوم يقول • اي الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة • نادوا شركائي الذين زعمتم • انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته • فدعوهم • اي نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة اذ المعلوم ان لا طريق الى المدافعة • فلم يستجيبوا لهم • فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به • وجعلنا بينهم • بين الداعين والمدعوين • موبقا • اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم الصلاة والسلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان • ورأى المجرمون النار • وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك • فظنوا • اي ايقنوا • انهم مواقعوها • مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة • ولم يجدوا عنها مصرفا • انصرافا او معدلا ينصرفون اليه • ولقد صرفنا • اي كررنا ورددنا على وجوه كثيرة من النظم • في هذا القرآن للناس • لمصلحتهم و

ومنفعتهم • من كل مثل • من جملة سائر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البدعية الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة
والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا • وكان الانسان • اكثر شي جدلا • اي اكثر الاشياء التي تاتي
منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه
وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل • وما منع الناس • اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم • ان يؤمنوا • من ان يؤمنوا بالله تعالى
ويتركوا ما هم فيه من الاشراك • اذ جاءهم الهدى • اي القران العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له • ويستغفروا ربهم
عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل • الا ان تاتيهم سنة الاولين • اي الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار
اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال • او ياتيهم العذاب • اي عذاب الاخرة • قبلا • اي انواعا جمع
قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب
والمعنى ان ما تضمنه القران الكريم من الامور الموجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة الغريبة لما امتنع الناس من الايمان ولكانوا مجبولين
على الجدل المفرط • وما نرسل المرسلين • الى الامم متلبسين بحال من الاحوال • الا حال كونهم • مبشرين • للمؤمنين بالثواب • ومنذرين • للكفرة والعصاة
بالعقاب • ويجادل الذين كفروا بالباطل • باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا • ليدحضوا به
اي بالجدال • الحق • اي ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم الصلاة والسلام ما انتم الا بشر
مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوها • واتخذوا اياتي • التي تخر لها صم الجبال • وما انذروا • اي الذي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب
والعذاب او انذارهم • هزوا • استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به • ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه • وهو القران العظيم
فاعرض عنها • ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا الشك وان كان بمدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان معناه
العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القران للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا
خارج عن الحد • ونسي ما قدمت يداه • اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر
في عاقبتها • انا جعلنا على قلوبهم اكنة • اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم • ان يفقهوه • مفعول
لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه او مفعول له • اي كراهة ان يفقهوا على كنهه • وفي اذانهم • اي جعلنا فيها • وقرا • ثقلا
يمنعهم من استماعه • وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا • اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء الشرط
وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عليه الصلاة والسلام مالي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم
الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه • وربك
مبتدا وقوله تعالى • الغفور • خبره وقوله تعالى • ذو الرحمة • اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة
دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي
فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان
تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل • لو يؤاخذهم • اي لو يريد مؤاخذتهم • بما كسبوا • من المعاصي التي من
جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن ايات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات • لعجل لهم العذاب • لاستيجاب اعمالهم
لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق
بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار
عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه • بل لهم موعد • اسم زمان هو يوم بدر
او يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة • لن يجدوا • البتة • من دونه موئلا • منجى او ملجا يقال وال
اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه • وتلك القرى • اي قرى عاد وثمود واضرابهم وهي مبتدا على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره
قوله تعالى • اهلكناهم • او مفعول مضمر مفسر به • لما ظلموا • اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش ما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما للتعميم
الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين
الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى اخره • وجعلنا لمهلكهم • اي لهلاكهم • موعدا • اي وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك وهذا
استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتاخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما
والمكان • واذ قال موسى • نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام • لفتاه • وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه الصلاة والسلام
سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم وان كان سمجا ولعل المراد بذكره عقيب بيان ان لكل امة موعدا التذكير
بما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة • لا ابرح • من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة

الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله • حتى ابلغ • فان ذلك غاية تستدعي ذا غاية هي السير او يجوز ان يكون اصل
الكلام لا يبرح مسيري حاصلا حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة
الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ • مجمع البحرين • هو ملتقى بحر فارس والروم
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم • او امضي حقبا • اي زمانا طويلا
اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشا هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل
واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطب خطبة بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا
له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه
الصلاة والسلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه
السلام سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك
اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه
قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ
حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان • فلما بلغا • الفاء فصيحة كما اشير اليه • مجمع بينهما • اي مجمع البحرين
وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل • نسيا حوتهما • الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه
وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليهما السلام ان يامره فيه بشيء وروي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التي لا تصيب ماءها
ميتا الا حيي وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ موسى
عليه الصلاة والسلام وقيل توضا يوشع عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء • فاتخذ سبيله في البحر سربا • مسلكا كالسرب
وهو النفق قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما الصلاة والسلام وانتصاب سربا على انه
مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ • فلما جاوزا • اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة
قيل اوكلا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى عليه الصلاة والسلام الجوع بعد ذلك • قال لفتاه اتنا غداءنا • اي ما نتغدى به
وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب • لقد لقينا من سفرنا هذا • اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد • نصبا • تعبا واعياء
قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ
عن الجوع واما باعتبار ما في اثنائه من التغدي من استراحة ما • قال • اي فتاه عليهما السلام • ارايت اذ اوينا الى الصخرة • اي التجانا اليها
واقمنا عندها وذكر الاوي الى الصخرة مع ان المذكور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق
المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الاوي اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة
للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه الصلاة والسلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده
من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا
نابه خطب ارايت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخبار عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف
اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل • فاني نسيت الحوت • وفيه تاكيد التعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم
الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور بايتائه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده
ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك
امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة • وما انسانيه الا الشيطان • بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى • ان اذكره •
بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية
المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة
فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه
الصلاة والسلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها • واتخذ سبيله في البحر عجبا • بيان لطرف اخر من امر الحوت منبئ عن طرف
اخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا
ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه
كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي اتعجب منه عجبا وقيل انه من كلام موسى عليه الصلاة والسلام وليس بذاك • قال • اي موسى
عليه السلام • ذلك • الذي ذكرت من امر الحوت • ما كنا نبغ • وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اي

اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام • فارتدّا • اي رجعا • على آثارهما • طريقهما الذي جاءا منه • قصصا • يقصّان قصصا اي يتّبعان
آثارهما اتّباعا او مقتصّين حتى اتيا الصخرة • فوجدا عبدا من عبادنا • التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا
بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام • آتيناه رحمة من عندنا • هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب
الكبرياء • وعلّمناه من لدنّا علما • خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب • قال له موسى • استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق
كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى • هل اتّبعك • على ان تعلّمن مما علّمت رشدا • استئذانا منه في اتباعه له على وجه
التعلّم • مما علّمت رشدا • اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلّمن ومفعول علّمت
عائد محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان
يتعلم من غيره ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما الصلاة والسلام
قال • اي الخضر • انك لن تستطيع معي صبرا • نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلّله بقوله • وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا • ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان
يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علّمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علّمكه الله
لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك • قال • موسى عليه الصلاة والسلام • ستجدني ان شاء الله صابرا • معك غير معترض عليك وتوسيط
الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر • ولا اعصي لك امرا • عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب
والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله سبحانه وتعالى • قال فان اتبعتني •
اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مرّ من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة • فلا تسألني عن شيء •
تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض • حتى احدث لك منه ذكرا • اي حتى ابتدئك ببيانه
وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألنّي بالنون
المثقّلة • فانطلقا • اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه الصلاة والسلام الى بني اسرائيل وقيل
انهما مرّا بسفينة فكلّما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول • حتى اذا ركبا في السفينة • استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع
تجريده عنها في مثل قوله تعالى عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشير اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها
لما قيل من ان في لوها معنى الدخول • خرقها • قيل خرقها بعدما لججوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك
قال موسى • اخرقتها لتغرق اهلها • من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي • لقد جئت • اتيت
وفعلت • شيئا امرا • اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم وقيل الاصل امر كخفف • قال • اي الخضر • الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا • تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بالوعد • قال لا تؤاخذني بما نسيت • بنسياني او بالذي نسيته
او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة
على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي
ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما
تركت من وصيتك اول مرة • ولا ترهقني • اي لا تغشني ولا تحملني • من امري • وهو اتباعه اياه • عسرا • اي لا تعسر علي متابعتك
ويسّرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين • فانطلقا • الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله • قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين • قال • اي
موسى عليه الصلاة والسلام • اقتلت نفسا زكية • طاهرة من الذنوب وقرئ زاكية • بغير نفس • اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص
نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل
تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه الصلاة والسلام ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه الصلاة والسلام
في معرض الجزاء المقصود افادة لما سيق له الكلام مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه الصلاة والسلام من الخوارق البديعة لاستشراف
النفس الى ورود خبرها لغلبة وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان وندرة تخريج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه
الى ترقب احوال موسى عليه الصلاة والسلام ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى فان صدور الخوارق منه عليه الصلاة والسلام خرج
بوقوعه مرة عن خرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد
عند مشاهدة خارق آخر او يبادر الى المناقشة كما في المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل وهذه من شأن النظم

واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من رفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان كون
القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض
عليه ادخل من موجبات لزوم صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك • لقد جئت شيئا نكرا • قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه
كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة • قال الم اقل لك
انك لن تستطيع معي صبرا • زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية • قال • اي موسى عليه الصلاة والسلام • ان سألتك عن شيء بعدها • اي بعد هذه المرة
فلا تصاحبني • وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك • قد بلغت من لدني عذرا • اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك
ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف
النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد • فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية • اي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله
من الله وقيل هي برقة وقيل قرية بالاندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شرّ القرى التي لا يضاف
فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى • استطعما اهلها • في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعامهم
لهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم كان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا
في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم • فابوا ان يضيفوهما • بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا
كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من
الازورار • فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض • اي يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض
الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكواكب لسقوطها بسرعة وقيل هو افعلال
من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا • فاقامه • قيل مسحه بيده فقام
وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع • قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا • تحريضا له على اخذ الجعل
لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر ولتخذ
افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء • قال
اي الخضر عليه الصلاة والسلام • هذا فراق بيني وبينك • على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه
اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك
الفراق حسبما هو الموعود • سانبئك • السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة • بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا • التاويل رجع الشيء الى ماله
والمراد به ههنا المال والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره
مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون
ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه الصلاة والسلام وعتاب • اما السفينة • التي خرقتها • فكانت
لمساكين • لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة • يعملون في البحر • واسناد
العمل الى الكل انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين • فاردت ان اعيبها • اي اجعلها ذات عيب
وكان وراءهم ملك • اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي
الازدي • ياخذ كل سفينة • اي صالحة وقد قرئ كذلك • غصبا • من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تقديم
ارادة تعييب السفينة على سببه اعني خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشأنها اذ هي المحتاجة الى
التاويل وللايذان بان الاقوى في الداعية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم
ايضا ولان التاخير فصل بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب • واما الغلام • الذي قتلته • فكان ابواه مؤمنين • ولم
يصرح بكفره او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره • فخشينا ان يرهقهما • فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين • طغيانا • عليهما
وكفرا • لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه الصلاة والسلام منه ذلك لان الله سبحانه وتعالى اعلمه
بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة
على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك • فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه • بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض
لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما • زكاة • طهارة من الذنوب والاخلاق الردية

اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما
الله ابنا مسلما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة ● واما الجدار ● المعهود ● فكان لغلامين
يتيمين في المدينة ● هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما
الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون ● وكان تحته كنز لهما ● من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله
عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يودي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل و
عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم ● وكان ابوهما صالحا ● تنبيه
على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء ● فاراد ربك ● اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة
الرب الى ضمير موسى عليه الصلاة والسلام دون ضميرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه
وتعالى ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ● ان يبلغا اشدهما ● اي حلمهما ● ويستخرجا كنزهما ● من تحت الجدار ولولا
اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية ● رحمة من ربك ● مصدر في موقع الحال اي مرحومين
منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة
من ربك ● ولعل اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا ● وما فعلته عن امري ● اي عن رايي واجتهادي
تاكيدا لذلك ● ذلك ● اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة ● تاويل ما لم تسطع
اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف ● عليه صبرا ● من الامور التي رايت اي مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبيه الموعود او الى البيان نفسه
فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة غير ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا في حياة
الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب
من مائها واخطاه ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر
حيا لما عاش بعد مائة عام ● وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به
ويسالونك عن ذي القرنين ● هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او سالته قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم
على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحاق اسمه مرزبان بن مرذبه
من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور
بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن
مدركة ذكره ابن هشام وهو التبابعة وقيل انه افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالاثار
الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقش الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض
ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال ● قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند ● بلغ
المشارق والمغارب يبتغي ● اسباب امر من حكيم مرشد ● وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس
وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية
التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف
ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل
وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن
دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن
العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام
الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنوز كل بلدة فيها ويكتب ذلك
بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسط له درع فنام عليها فاذته الشمس فاظلوه فنظر فقال هذه ارض من حديد
وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة الاف سنة واثنين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان
عليهما الصلاة والسلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت ولكن ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس
والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول ● واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له

في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ● ولقوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله
تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله تعالى عنه سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال
اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا
صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة
التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي
وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فطاف معه بالكعبة هو واسماعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم عليه السلام
بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوي له الاسباب
وبشره ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع الاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي
كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب
واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك
وقيل لانه كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس
الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه راى في منامه
انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من
امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيليس بن مصريم
بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن ثونة بن سرحون بن رومية بن ثوبط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن
العيزر بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ
بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه الصلاة والسلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان
وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال ابن كثير وانما نبهنا على هذا لان كثيرا من
الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القران العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطا كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا
وملكا عادلا ووزيره الخضر عليه الصلاة والسلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما
من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية
لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا
كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها
ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الاثار ما فيه عبرة لاولي الابصار ● قل ● لهم في
الجواب ● ساتلوا عليكم منه ذكرا ● اي ساذكر لكم من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو
حكاية عن جهة الله عز وجل قيل ساتلوا او ساتلو من جهته تعالى في شانه ذكرا اي قرانا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق
المناسب لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال ساشكر عمرا ان تراخت منيتي
ايادي لم تمنن وان هي جلت ● للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الاية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة
بل موصولة بما بعدها ريثما سالوه عليه الصلاة والسلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطا عليه
الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف ● وقوله عز وجل ● انا مكنا له في الارض ● شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين
ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود
وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الاخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب
والالات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي
ما لم نجعلكم فيها قادرين على ذلك فيها او مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية
كما اشير اليه في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والراي والاسباب
حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها
● واتيناه من كل شيء ● اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه ● سببا ● اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى
المقصود من علم او قدرة ● اي الة ● فاتبع ● بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب ● فاتبع ● سببا ● يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة
الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني ● حتى اذا بلغ مغرب الشمس

اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزاير
المسماة بالخالدات التي هي مبدا الاطوال على احد القولين ● وجدها اي الشمس ● تغرب في عين حمئة ● اي ذات حمأة وهي الطين الاسود
من حمئت البير اذا كثرت حماتها ● وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية رضي الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال
حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في
ماء وطين وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون اليا في الثانية منقلبة
من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس
نصية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب
ووجد عندها ● عند تلك العين ● قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله عز وجل ذكره بين
ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى ● قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب ● بالقتل من اول الامر ● واما
ان تتخذ فيهم حسنا ● اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة
الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما
تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة
نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي ● قال ● اي ذو القرنين
لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعدما تلقى امره تعالى مختارا الشق الاخير ● اما من ظلم ● اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر
على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك ● فسوف نعذبه ● بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن امن اعطاه
ومن كساه ● ثم يرد الى ربه ● في الاخرة ● فيعذبه ● فيها ● عذابا نكرا ● اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة
ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته ● واما من امن ● بموجب
دعوتي ● وعمل عملا صالحا ● حسبما يقتضيه الايمان ● فله في الدارين ● جزاء الحسنى ● اي فله المثوبة الحسنى والفعلة الحسنى او الجنة جزاء
على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر اي يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين
المبتدا والخبر المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا
منونا على انه المبتدا والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خيّر بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر
التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعي في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون
اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب ●
وسنقول له من امرنا ● اي مما نامر به ● يسرا ● اي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة
وقرئ بضمتين ● ثم اتبع سببا ● اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى المشرق ● حتى اذا بلغ مطلع الشمس ● يعني الموضع
الذي يطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه
في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب ● وجدها تطلع على قوم لم
نجعل لهم من دونها سترا ● من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا
الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم
مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع
الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا
هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم
وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض ● كذلك ● اي امر ذي القرنين كما وصف
لك في رفعة المحل وبسطة الملك وامره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر لوجد او نجعل او صفة
قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم ومن اسل سترهم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك ● وقد
احطنا بما لديه ● من الاسباب والعدد والعدد ● خبرا ● يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه
الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتامل ● ثم اتبع سببا ● اي طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال ● حتى اذا بلغ بين السدين ● بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض
الترك مما يلي المشرق لا جبل ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو

مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله
تعالى فراق بيني وبينك ● وجد من دونهما ● اي من ورائهما مجاوزا عنهما ● قوما ● اي امة من الناس ● لا يكادون يفقهون قولا
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل
من الترك وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن
قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجه
قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه الصلاة والسلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة
والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج ● قالوا ● اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان فهم
ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما اتاه الله تعالى من الاسباب ● يا ذا القرنين ● ان ياجوج وماجوج ● قد ذكرنا
انهما من اولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية
صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في غاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرون
ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان وقيل من اج الظليم اذا
اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث ● مفسدون في الارض ● اي في ارضنا بالقتل
والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا
● فهل نجعل لك خرجا ● اي جعلا من اموالنا والفا لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك اداؤه ● على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ● وقرئ بالضم ● قال ما مكني ● بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني ● فيه ربي ● وجعلني
فيه مكينا قادرا من الملك والمال وساير الاسباب ● خير ● اي مما تريدون ان تبذلوه لي من الخرج فلا حاجة بي اليه ● فاعينوني بقوة ●
اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالات لا بد منها في البناء والفا لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من
مالهم او على عدم قبول خرجهم ● اجعل ● جواب للامر ● بينكم وبينهم ● تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج
وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ● ردما ● اي حاجزا حصينا وسدا متينا وهو اكبر من السد والتوثيق
ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم وهو اكبر من السد ● اتوني زبر الحديد ● جمع زبرة
كغرفة وغرف وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بالوصل
بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف البا كما في امرتك الخير ولان ايتاء الالة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل
تخصيص الامر بالايتاء بها دون ساير الالات من الصخور والحطب ونحوها لما ان الحاجة اليها اشد اذ هي الركن في السد ووجودها
اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى
سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز وجل ● حتى اذا ساوى بين الصدفين ● اي اتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا
شيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين
ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول ● قال ● للعملة ● انفخوا ● اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا ● حتى اذا جعله ● اي
المنفوخ فيه ● نارا ● اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك
وهم بمنزلة الالة ● قال ● للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها ● اتوني افرغ عليه قطرا ● اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد
الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه انفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل ● فما اسطاعوا ● بحذف تاء الافتعال
تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفا فصيحة اي فعلوا
ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه
وينقبوه ● فما اسطاعوا ان يظهروه ● اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته ● وما استطاعوا له نقبا ● لصلابته وثخانته وهذه معجزة
عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن
افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء
قدير وقيل بناه من الصخور مربوطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا ● قال ●
اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم ● هذا ● اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا الذي

الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربي على
كافة العباد ولا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الاثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي
والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل
اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك
لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة
ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع
فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة
رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة
تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر ومؤكد لمضمونها وهو اخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام
مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا وتحقيق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض
مباديه يموج في بعض اخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة
الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض اخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد وذلك انهم ياتون البحر
فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت
المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم
في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه الصلاة
والسلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة
الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بما يقع في النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشاة
الاخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه
كنهه وعرضنا جهنم اي اظهرناها وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث
يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة
لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم في غطاء وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب
عن ذكري عن الايات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري
على وجه يليق بشاني او عن القران الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه
وسلم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية
كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الايات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة
وللاشعار بعلية الاصابة لما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الايات
واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الاخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي
والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا انكار الوقوع
كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف
عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون
والمعنى اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من الملائكة وعيسى وعزير عليهم الصلاة والسلام وهم تحت سلطاني
وملكوتي من دوني اولياء معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل ان الفاء للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان
ناشئ من التعامي والتصام وادخال همزة الانكار عليها للانكار ذم دخلا له من المعطوف عليه لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه
ترك الاضمار والتعرض لوصف اخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم
الاختيارية الحادثة لحسبانهم ليحسن تفريعه عليها وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل
وتخصيص الانكار بحسبانهم المتاخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز الصلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم الصلاة والسلام منزهون
عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان
في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر والفعل

والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اي هياناها للكافرين المعهودين
عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم
وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد
العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء
الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنه بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب
الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان بمعلومية النبا للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا
نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث
كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة اثارها غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين
ضل سعيهم في اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد
بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل
الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا
على الذم على ان الجواب ما سياتي من قوله تعالى اولئك الاية ياباه ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه
مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح
واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون
انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل
سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك وينتفعون باثاره او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع كما في قوله تعالى
اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني
نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم اولئك كلام مستانف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب
خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال
السعي مع الحسبان المذكور الذين كفروا بايات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم
في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الاخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم
لهم اي لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيامة وزنا اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع
واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز
به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات
بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك بيان لمال كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مال اعمالهم المحبطة
بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم
به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر
القبائح التي انباء عنها قوله تعالى واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالايات والرسل
بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين امنوا بيان بطريق الوعد لمال الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان
مالهم بطريق الوعيد اي امنوا بايات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده
وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرافة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث
من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال
الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه
كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة
الفردوس وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة
مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سالتم الله تعالى فاسالوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة

نزلا خبر كانت ولهم متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان
جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه
ايذان بانها عندما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر • خالدين فيها • نصب على الحالية • لا يبغون عنها
حولا • مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصورون ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه
ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة • قل لو كان البحر • اي جنس البحر
مدادا لكلمات • وهو ما تمد به الدواة من الحبر • لكلمات ربي • لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة
من الاشراك • لنفد البحر • مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه • قبل ان تنفد • وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد • كلمات ربي • لعدم تناهيها
فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف
وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير • ولو جئنا • كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام
الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة ل
لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة • بمثله مددا •
عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد
وقرئ مدادا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مددا • قل • لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى • انما انا بشر مثلكم • لا ادعي الاحاطة
بكلماته التامة • يوحى الي • من تلك الكلمات • انما الهكم اله واحد • لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك • فمن
كان يرجو لقاء ربه • الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق ب
حال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته • فليعمل • لتحصيل تلك الطلبة العزيزة • عملا صالحا • في
نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولا يشرك بعبادة ربه احدا • اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا
بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض ل
لعنوان الربوبية لزيادة التقرير والاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه
فنزلت تصديقا له وروي انه عليه الصلاة والسلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصدت ان يقتدى بك
وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ال
الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ عند
مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان
مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والحمد لله سبحانه على نعمه العظام

سورة مريم ثمان وتسعون آية مكية

• كهيعص • بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبفتحهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من
هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء للسور او مسرودة على نمط التعديد
وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال
فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا
كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى
فلان او على انه مبتدأ خبره • ذكر رحمة ربك • اي المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها
هي نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار
بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه
قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الله الخ والاول اشارة الى ما ينبئ به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة المؤلف
منها اي هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو

ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام للايذان
بان تنزيل السورة عليه الصلاة والسلام تكميل له عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى • عبده • مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف
اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله
عز وعلا • زكريا • بدل منه او عطف بيان له • اذ نادى ربه نداء خفيا • ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله لا
اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه الصلاة
والسلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص من لائمة
على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غلبة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك
منه عليه الصلاة والسلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل
ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران • قال • جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب • رب اني وهن العظم مني • اسنادا
للوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها
تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني
متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها • واشتعل الرأس
شيبا • شبه عليه الصلاة والسلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها
ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرج مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه
من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله
لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا و
والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين • ولم اكن بدعائك رب شقيا • اي لم اكن بدعائي اياك خائبا
وقتا من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل
رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه الصلاة والسلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب
الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره و
وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
والسلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه
فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته • واني خفت الموالي • عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه على مضمونه
فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف
ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا دينهم وقوله • من ورائي • اي من بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي
فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد مر ذلك او بالموالي لما فيه من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي لا بخفت ل
لفساد المعنى وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او
خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين اي درجوا ولم يبق منهم من به تقوّ
واعتضاد فالظرف متعلق بخفت • وكانت امرأتي عاقرا • اي لا تلد من حين شبابها • فهب لي من لدنك • كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف
معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول
ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض
فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية • وليا • اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين
لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف
والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه الصلاة والسلام من كبر السن وضعف
القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه الصلاة والسلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه
الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه الصلاة والسلام للخوارق ال
الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر
ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى • يرثني •

يرثني صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا
يورثون المال قال عليه الصلاة والسلام نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل وقيل يرثني الحبورة وكان عليه الصلاة والسلام حبرا
• ويرث من آل يعقوب • يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة والصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة
زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب ابن اسحاق بن ابرهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو
عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه الصلاة والسلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم
وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال
من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب بالتصغير عليه ابيا بلا ورائه عليه الصلاة والسلام لما يرثه في حالة صغره وقرئ
وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه
الصلاة والسلام انبيا ولا علما • واجعله رب رضيا • مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتنا بشان
ما يستدعيه • يا زكريا • على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان يخاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات
بل بواسطة الملك على ان يحكي اي الملك له عليه الصلاة والسلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه الصلاة والسلام ووعد باجابة
دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما تقتضيه المشيئة الالهية المبنية
على الحكم البالغة فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابرهيم
عليه الصلاة والسلام في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه
عز وجل ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما الصلاة والسلام
على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه الصلاة والسلام تاكيد للوعد وتشريف له عليه الصلاة
والسلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى • لم نجعل له من قبل سميا • اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله
يحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه الصلاة والسلام فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسما ساير الناس تنويه بالمسمى لا محالة
وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له
عليه الصلاة والسلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا
اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول
عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لانه حيي دين الله تعالى بدعوته • قال • استيناف مبني على السوال كانه قيل فما
ذا قال عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل قال • رب • ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع
والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه
كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات • انى يكون لي غلام • كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة
وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام
ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما
انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى • وكانت امراتي عاقرا • حال من ضمير المتكلم بتقدير
قد وكذا قوله تعالى • وقد بلغت من الكبر عتيا • حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تاكيد اي كانت امراتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف
وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من
عتا يعتو واصله عتوو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التا فانقلبت الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية
ايضا لاجتماع الواو واليا وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية هاهنا بذكر حال امراته على عكس
ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور هاهنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم
يسبق في الدعا ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امراته لما ان المسارعة الى بيان قصور شانه انسب وانما قاله عليه الصلاة والسلام
مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة
الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من
الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك
منه عليه الصلاة والسلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعا والبشارة ستون سنة

وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد • قال • استيناف كما مر مبني على سوال نشا مما سلف والكاف في قوله تعالى • كذلك قال ربك • مقحمة كما في
مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول
آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى • هو علي هين • جملة مقررة للوعد
المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة
وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حينئذ حال من ربك واليا عبارة عن ضميره كما
سنعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبريا لتربية المهابة
وادخال الروعة كقول الخلفا امير المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريفا
له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه الصلاة والسلام من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق
من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه الصلاة
والسلام الاطمينان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغايب العايد الى الرب الى يا العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه
هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين
على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلا مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه عن القراءة بالواو لانها لا تدخل
بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت
وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الى آخره استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية
الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتنا بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب
ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه الصلاة والسلام اي قال تعالى الامر كما قلت
تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امراته وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مسوق لازالة استبعاده
بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما
جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآلها تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته
في نفسه وقوله تعالى • وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا • جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتدا خلق البشر اذ هو الواقع
اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق من العدم حقيقة
بان يقال وقد خلقت اباك او آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتاكيد
الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه الصلاة والسلام من العدم اذ لم تكن
فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة ساير آحاد الجنس انطوا اجماليا مستتبعا لجريان آثارها
على الكل فكان ابداعه عليه الصلاة والسلام على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه الصلاة والسلام
على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور
اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان تكون معيارا لحال
ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان
حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشي
على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فياباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك • قال رب اجعل لي آية • اي علامة
تدلني على تحقق المسؤل ووقوع الحبل ولم يكن هذا السوال منه عليه الصلاة والسلام لتاكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما
لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف
عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت
الاشارة في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السوال ينبغي ان يكون بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي
ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعا زكريا عليه الصلاة والسلام كان
في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه الصلاة والسلام وهي بنت عشر سنين او بنت
ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر او
بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تاخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه
لا مسوغ لكون آية مبتدا عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ • قال آيتك الا تكلم الناس

اي لا تقدر على ان تكلم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ● ثلث ليال ● مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران ● سويا ● حال من فاعل
تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس
فخرج على قومه من المحراب ● اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج
عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا مالك ● فاوحى اليهم ● اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى ● ان سبحوا
اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او بان صلوا ● بكرة وعشيا ● هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلاة الفجر
وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامرهم بذلك ● يا يحيى ● استئناف طوي قبله جمل كثيرة
مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى ● خذ الكتاب ● اي التورية ● بقوة ● اي بجد واستظهار بالتوفيق ● وآتيناه الحكم صبيا
قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنباه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين روي انه
دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا ● وحنانا من لدنا ● عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي آتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا
او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما ● وزكوة ● اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدقنا به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس
وكان تقيا ● مطيعا متجنبا عن المعاصي ● وبرا بوالديه ● عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ● ولم يكن جبارا عصيا
متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه ● وسلام عليه ● من الله عز وجل ● يوم ولد ● من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ● ويوم يموت ● من عذاب
القبر ● ويوم يبعث حيا ● من هول القيامة وعذاب النار ● واذكر في الكتاب ● كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر
بذكر قصة ● مريم ● اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة
زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس فيها مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله
● اذ انتبذت ● ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المامور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق
الاستئناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل
الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله
تعالى ● من اهلها ● متعلق بانتبذت وقوله ● مكانا شرقيا ● مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه
العامل في الجار والمجرور وهو السر في تاخيره عنه اي اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة
وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى ● فاتخذت من دونهم حجابا ● وكان موضعها
المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك عليه الصلاة والسلام في صورة آدمي
شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى ● فارسلنا اليها روحنا ● اي جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفية
للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
● فتمثل لها بشرا ● سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم
بيت المقدس وذلك لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته
واما ما قيل من ان ذلك لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمخالف للمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى ● قالت اني اعوذ
بالرحمن منك ان كنت تقيا ● فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم
كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره
تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى
ان كنت تقيا ● تنبيه اي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه اي فاني عائذة به او فتعوذ
بتعوذي او فلا تتعرض لي ● قال انما انا رسول ربك ● يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول
ربك الذي استعذت به ● لاهب لك ● غلاما ● اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى
ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها
من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما ● زكيا ● طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن
الى سن على الخير والصلاح ● قالت اني يكون لي غلام ● كما وصفت ● ولم يمسسني بشر ● اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح اي ولم اك فاجرة
رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ● ولم اك بغيا ● عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن
كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اك فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصله بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء

وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل ولا يلحقه التاء كما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانه من باب النسب كطالق او
بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها ● قال ● اي الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها ● كذلك ● اي الامر كما قلت لك وقوله
تعالى ● قال ربك ● الخ استئناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك ● هو ● اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير
ان يمسك بشر اصلا ● علي ● خاصة ● هين ● وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى
ولنجعله آية للناس ● اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل هبة الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل
ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات
الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ● ورحمة ● عظيمة كائنة ● منا ● عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده ● وكان
ذلك ● امرا مقضيا ● محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح المحفوظ لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا
بان يقضي ويفعل لتضمنه حكما بالغة ● فحملته ● بان نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل انه عليه
الصلاة والسلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت
في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل
ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين ● فانتبذت
به ● اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله ● تدوس بنا الجماجم والتريبا ● فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي
فانتبذت ملتبسة به ● مكانا قصيا ● بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل ● فاجاءها المخاض
الى جذع ● اي فالجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كاتى في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر
مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج ● الى جذع النخلة ● لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق
والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها
وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو حرسة النفساء
الموافقة لها ● قالت يا ليتني مت ● بكسر الميم من مات يمات كخاف وقرئ بضمها من مات يموت ● قبل هذا ● اي هذا الوقت الذي
لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه الصلاة والسلام من الوعد الكريم استحياء من الناس
وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي
عن عمر رضي الله تعالى عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده
امه ● وكنت نسيا ● اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر
وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت
عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ كعصا ● منسيا ● لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ
بكسر الميم اتباعا للسين ● فناداها ● اي جبريل عليه الصلاة والسلام ● من تحتها ● قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها
اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه الصلاة والسلام وقرئ فخاطبها من تحتها
بفتح الميم ● ان لا تحزني ● اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار ● قد جعل ربك
تحتك ● اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرت بالجري جرى وان امرت بالامساك امسك ● سريا ● اي نهرا
صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه الصلاة والسلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء
عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ
كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك راسا
وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا
نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه الصلاة والسلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية ● وهزي ● هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا
عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى ● اليك ● اي الى جهتك والباء في قوله عز وجل
بجذع النخلة ● صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ
بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز به او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز
اي هزي اليك الرطب كائنا بجذعها ● تساقط ● اي تسقط ● النخلة عليك ● اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من

من الاسقاط بالتاء والياء وتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط وليسقط
من السقوط على ان التاء للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى • رطبا • على القراآت الثلث الاول مفعول وعلى الست البواقي
تمييز وقوله تعالى • جنيا • صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل
اي طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع • فكلي واشربي • اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره • وقري
عينا • وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك وما اهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام
العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم
الى الوقوف على سريرة امرك • وقري • وقرئ بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات
ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال
قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه • فاما ترين من البشر احدا • اي فان تري آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من
يقول لبات بالحج لتآخي ما بين الهمزة والياء من التآخي • فقولي • له • اني نذرت للرحمن صوما • اي صمتا وقد قرئ كذلك
او صياما وكان صيامهم بالسكوت • فلن اكلم اليوم انسيا • اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت
ان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر
فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام
فانه نص قاطع في قطع الطعن • فاتت به قومها • اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها • تحمله • اي
حاملة له • قالوا • يا مريم لقد جئت • اي فعلت • شيئا فريا • اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه
او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالفري تحقيقا للاستغراب • يا اخت هارون • استيناف لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ
وهارون هو النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان
بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به • ما كان
ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا • تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد
الصالحين افحش • فاشارت اليه • اي الى عيسى عليه الصلاة والسلام ان كلموه والظاهر انها بينت حينئذ نذرها وانها
بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد
به • قالوا منكرين لجوابها • كيف نكلم من كان في المهد صبيا • ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وكان لايقاع مضمون الجملة في
زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف
صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما • قال • استيناف مبني على سؤال
نشا من سياق النظم الكريم كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه الصلاة والسلام • اني عبد الله • انطقه الله
عز وجل بذلك اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما الصلاة
والسلام وعن السدي رضي الله تعالى عنه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي
انه عليه الصلاة والسلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته
فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان • آتاني الكتاب • اي الانجيل • وجعلني نبيا •
وجعلني مباركا [illegible] نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم
او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا • اينما كنت • اي حيثما كنت • واوصاني
بالصلاة • امرني بها • والزكوة • زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل • ما دمت حيا • في الدنيا • وبرا بوالدتي
عطف على مباركا اي وجعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بفعل دل عليه اوصاني
اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة والزكوة والتنكير للتفخيم • ولم يجعلني جبارا شقيا • عند
الله تعالى لفرط تكبره • والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا • كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر
انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله
تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى • ذلك • اشارة الى من نعتت نعوته الجليلة
وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد
المحسوس • عيسى ابن مريم • لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا

باضداد

باضداد ما يصفونه • قول الحق • بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق
او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال
في معنى واحد • الذي فيه يمترون • اي يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر والنصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب • ما كان
لله • اي ما صح وما استقام له تعالى • ان يتخذ من ولد سبحانه • تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى • اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يتعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تاخير
فمن هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى • وان الله ربي وربكم فاعبدوه • من تمام
كلام عيسى عليه الصلاة والسلام قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف
اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم • فاعبدوه • كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلاة • هذا •
اي الذي ذكرته من التوحيد • صراط مستقيم • لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى • فاختلف الاحزاب من بينهم • لترتيب ما بعدها
على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه الصلاة والسلام مع كونها
نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت
النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية
هو عبد الله ونبيه • فويل للذين كفروا • وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم • من مشهد يوم عظيم
اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم
عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وسائر ارائهم بالكفر
والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه عليهما الصلاة والسلام • اسمع بهم وابصر • تعجب
من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم • يوم ياتوننا • للحساب والجزاء اي يوم القيامة جدير بان يتعجب
منهما بعد ان كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم
وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب • لكن الظالمون اليوم • اي في الدنيا
في ضلال مبين • لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك
ظالمون لانفسهم • وانذرهم يوم الحسرة • اي يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه • اذ قضي
الامر • اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال
حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان
المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف • وهم في غفلة • اي عما يفعل بهم في الاخرة • وهم
لا يؤمنون • وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين
وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل • انا نحن نرث
الارض ومن عليها • لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث
لارثه • والينا يرجعون • اي يردون للجزاء الى غيرنا استقلالا او اشتراكا • واذكر • عطف على انذرهم • في الكتاب •
اي في السورة او في القرآن • ابراهيم • اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فانهم ينتمون
اليه عليه الصلاة والسلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح • انه كان صديقا • ملازما للصدق في كل ما ياتي
ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب
الامر فان وصفه عليه الصلاة والسلام من دواعي ذكره • نبيا • خبر اخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى
من النبيين والصديقين الاية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم
تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق • اذ قال • بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان
او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين الاثرتين حين
قال • لابيه آزر • متلطفا في الدعوة مستميلا له • يا ابت • اي يا ابي فان التاء عوض عن ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل
يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء • لم تعبد ما لا يسمع • ثناءك عليه عند عبادتك له وجوارك اليه • ولا يبصر • خضوعك وخشوعك

بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ● ولا يغني عنك ● اي لا يقدر على ان يغني عنك
شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه الصلاة والسلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب
وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به
عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء
التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض
صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم
عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر
ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي
مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال ● يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ● ولم
يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له يعرف
باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال ● فاتبعني اهدك صراطا سويا ● اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب
منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاد الردي والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان
انه مع عراه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال ● يا ابت لا تعبد الشيطان ●
فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها ● وقوله ● ان الشيطان كان للرحمن عصيا ● تعليل لموجب
النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص
حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين
سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض
لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله ● يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن ● تحذير من سوء عاقبة
ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب
مؤكدة لما افادته التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول
العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم ● فتكون للشيطان وليا ● اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف
للمجاملة وابراز الاعتناء بامره ● قال ● استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه
عليه الصلاة والسلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده ● اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم ● اي اتعرض
وتنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا
عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى ● لئن لم تنته لارجمنك ● تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي
والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان ● واهجرني ● اي فاحذرني
واتركني ● مليا ● اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به ● قال ● استئناف كما سلف ● سلام عليك ● توديع ومتاركة على
طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن ● ساستغفر لك ربي ● اي
استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى
انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور
استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا
يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه الصلاة والسلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك
ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد
من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية
انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما سيأتي في
تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه
لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين
الامر وقد كان استغفاره عليه الصلاة والسلام قبل التبين فلم يتناوله النهي اصلا وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لان
المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان

يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر
المرجو ايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يرتاب فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين
الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية
لانها كانت هي الحاملة له عليه الصلاة والسلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي واما
جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى ● انه كان بي
حفيا ● اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله ● واعتزلكم ● اي اتباعد عنك وعن قومك ● وما تدعون من دون
الله ● بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي ● وادعوا ربي ● اعبده وحده ويجوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة
الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يؤذن به السباق والسياق
● عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا ● اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من
اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل
لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى ● فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله ● بالمهاجرة الى الشام ● وهبنا له اسحاق ويعقوب ● بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب
المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسماعيل عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب
هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من
اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو اعداد كثيرة هذا وقد روي انه
عليه الصلاة والسلام لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب ولعل
هو الاقرب الاظهر ● وكلا ● اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى ● جعلنا نبيا ● قدم عليه للتخصيص
لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ● ووهبنا لهم من
رحمتنا ● هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم
من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين ● وجعلنا
لهم لسان صدق عليا ● تفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين
والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء
بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل ● واذكر في الكتاب موسى ●
قدم ذكره على ذكر اسماعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم الصلاة والسلام ● انه كان مخلصا ● موحدا اخلص عبادته عن
الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى اخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه ● وكان رسولا
نبيا ● ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى ● وناديناه من جانب الطور الايمن ●
الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه الصلاة
والسلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة ● وقربناه نجيا ● تقريب
تشريف مثل حاله عليه الصلاة والسلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا
حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ● ووهبنا له
من رحمتنا ● اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض رحمتنا ● اخاه ● اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي
وزيرا من اهلي هارون اخي لا نفسه لانه كان اكبر سنا منه عليهما الصلاة والسلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل
وقوله تعالى ● هارون ● عطف بيان له وقوله تعالى ● نبيا ● حال منه ● واذكر في الكتاب اسماعيل ● فصل ذكره عن
ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى ● انه كان صادق الوعد ● تعليل لموجب الامر
وايراده عليه الصلاة والسلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله
صابرا فوفى ● وكان رسولا نبيا ● فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم الصلاة
والسلام كانوا على شريعته ● وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة ● اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن
هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ● وأمر اهلك بالصلاة ● قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل
الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم ● وكان عند ربه مرضيا ● لاتصافه بالنعوت

الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة • واذكر في الكتاب ادريس • وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ
بن اخنوخ وهو ادريس عليهم الصلاة والسلام • واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة
قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب • انه كان صديقا • ملازما للصدق في جميع احواله • نبيا • خبر اخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا • ورفعناه
مكانا عليا • هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك
ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة • روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه الصلاة والسلام انه
سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها
مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه
خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء • اولئك • اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى • الذين انعم الله عليهم • صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية
حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى • من النبيين • بيان للموصول وقوله تعالى • من ذرية آدم • بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون كلمة
من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية • وممن حملنا مع نوح • اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا
وهم من عدا ادريس عليه الصلاة والسلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح • ومن ذرية ابراهيم • وهم الباقون • واسرائيل •
عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية
وممن هدينا واجتبينا • اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى • اذا تتلى عليهم آيات
الرحمن خروا سجدا وبكيا • خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى
واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه • وسجدا
وبكيا • حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء
في الياء وحركت الكاف بالكسر للمجانسة للياء وقرئ يتلى بالتحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء •
للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك
الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة •
يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك • فخلف من بعدهم
خلف • يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء • اضاعوا الصلاة •
وقرئ الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها • واتبعوا الشهوات • من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك
في فنون المعاصي وعن علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه هم من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور • فسوف يلقون غيا • اي
شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد لقوله • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائما •
وعن الضحاك جزاء غي لقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه
اوديتها وقوله تعالى • الا من تاب وآمن وعمل صالحا • يدل على ان الآية في حق الكفرة • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح • يدخلون الجنة •
بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول • ولا يظلمون شيئا • اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون
شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم • جنات عدن • بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها
عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هي او تلك جنات الخ او مبتدا خبره التي
وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا • وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلام •
لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك
لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف ولا صفة • بقوله تعالى • التي وعد الرحمن عباده • وجعله بدلا منه خلاف الظاهر
فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف • والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال
سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى • بالغيب • متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العايد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم •

ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اي
وعدها اياهم بسبب ايمانهم • انه كان وعده • اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي
ثابتة بنص الوحي قيل • مأتيا • اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا منجزا
من اتى اليه احسانا اي فعله • لا يسمعون فيها لغوا • اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه
تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن • الا سلاما • استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة
عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا
استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • او على ان معناه الدعاء بالسلامة
وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى • ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا • وارد على عادة
المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي • تلك الجنة • مبتدا وخبر جيء
به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها • التي نورث • اي نورثها
من عبادنا من كان تقيا • اي نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى
ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة
المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد • وما نتنزل الا بامر ربك • حكاية لقول
جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين
والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة •
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول
على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال • والمعنى • وما نتنزل وقتا غب وقت
الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي • له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك • وهو
ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته • وما كان ربك
نسيا • اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه
اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه
والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم لبعض بطريق التبجح
والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه •
وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال
العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى • رب السموات والارض وما بينهما • بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى
فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحة سبحاته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف
او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى • فاعبده واصطبر لعبادته • لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى
رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه الصلاة والسلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى حين
عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الى اخره فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت
انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة
فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بعلى المستعملة كما في قوله تعالى واصطبر
عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما
يورد عليك من شداته • هل تعلم له سميا • اي هو الشريك في الاسم والظاهر انه يراد به ههنا الشريك في اسم خاص •
قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه
واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى لبيان استقلاله
عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في اسم الجليل فان المشركين مع
غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا
يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة ح باعتبار ما في الاسمين الكريمين من
الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر • ويقول الانسان • المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم

وان لم يفعله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وانما البعض المعهود منهم وهم الكفرة اولي ابي بن خلف فانه اخذ عظاما
بالية ففتها فقال يزعم محمد ان نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد • ائذا ما مت لسوف اخرج
حيا • اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه
بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام
للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر • اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد
به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير
فيما يجري عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار
التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر • انا خلقناه من قبل • اي من قبل الحالة التي
هو فيها وهي حالة بقائه • ولم يك شيئا • اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق
بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة واعادة مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره
فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل • فوربك • اقسامه باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه الصلاة
والسلام لتحقيق الامر والاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته • لنحشرنهم • اي لنجمعن القائلين بالسوق
الى المحشر بعدما اخرجناهم • من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني
عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال • والشياطين • معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه
روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم
لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ
نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده • ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا • ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه
فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم
بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت التاء للتخفيف
فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت
الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من
هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به
قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون
من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة • ثم لننزعن من كل شيعة •
اي من كل امة شاعت دينا من الاديان • ايهم اشد على الرحمن عتيا • اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر
الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة
من اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم
مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته
زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره
اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم
من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كانه سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او يتعلق بافعل وكذا الباء في قوله
تعالى • ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا • اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم
وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد
• وان منكم • التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول
انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان • الا واردها • اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار
بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا
ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها • كان • اي ورودهم اياها • على ربك حتما مقضيا • اي امرا محتوما اوجبه الله

عز وجل على ذاته وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه • ثم ننجي الذين اتقوا • الكفر والمعاصي مما كانوا عليه
في حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة • وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول
وقرئ ثمه ننجي بفتح الثاء اي هناك ننجيهم • ونذر الظالمين • بالكفر والمعاصي • فيها جثيا • منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل
على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم وقوله
تعالى • واذا تتلى عليهم آياتنا • الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة
مآلهم اي واذا تتلى على المشركين • آياتنا • التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة
وقوله تعالى • بينات • اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات
الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا • قال الذين كفروا • اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين
بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه
الفجرة واللام في قوله تعالى • للذين آمنوا • للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله
تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم
ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى • اي الفريقين • اي المؤمنين والكافرين كانهم قالوا اينا
• خير • نحن او انتم • مقاما • اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل • واحسن نديا • اي مجلسا ومجتمعا يروى
انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين
يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منزلا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه ولغاية عنده اذ
هو المعيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل
وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا • من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم
فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله • وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا • اي كثيرا من القرون
التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء
اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد
ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك نكرة مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم
واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية
لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والرفه وقرئ ريئا على
القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة • قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم
من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم
والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور • فليمدد له الرحمن اي يمد له
ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان
يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله
تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا
للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله
تعالى • حتى اذا رأوا ما يوعدون • غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد حسب الذات وهو ظاهر
ولا استمرار حسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمير الاولين
باعتبار لفظها وقوله تعالى • اما العذاب واما الساعة • تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة
المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو
دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى • فسيعلمون • جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى
اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الاخروي فقط فسيعلمون • من هو شر مكانا • من الفريقين بان يشاهدوا الامر

الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما • واضعف جندا • اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا
يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفا كلا ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا
يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل
من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد
القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه
تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى • والباقيات الصالحات خير • على تقديري الاستيناف والعطف كلام مستانف
وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى • عند ربك • اي الطاعات التي تبقى
فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير
عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم • ثوابا • اي عائدة مما يتمتع به الكفرة
من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير
اليه بقوله تعالى • وخير مردا • اي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة
بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم • افرايت الذي كفر باياتنا • اي باياتنا التي من جملتها ايات البعث نزلت في العاص
بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال
فاذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث
قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فاوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة
بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين الم تر وارايت بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول يعلق
بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارايت مثل الذي
صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنك اشياء وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي
يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت فرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها
وقال مستهزئا بها مصدرا كلامه باليمين الفاجرة والله • لاوتين • في الاخرة • مالا وولدا • اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة
وجراته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقيل ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا
الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الاية وانت خبير بان المشهور استعمال ارايت في معنى اخبرني بطريق
الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد
او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى • اطلع الغيب • رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب
منها اي اقد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا واقسم
عليه • ام اتخذ عند الرحمن عهدا • بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية
الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعد الله تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب
منطوق مقاله كان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى • كلا • ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب
ما يقول • اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي يتبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام
من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد فبني الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة
تبعية مبنية على تشبيه الاظهار والكتابة على ورود الاسناد باحدهما ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب
لعقوبته قطعا • ونمد له من العذاب مدا • مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه
او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب
ونرثه بموته • ما يقول • اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله
مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما اتيناه • وياتينا يوم القيامة فردا • لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا
ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه ويأتينا له يعني الارث وقيل المراد بما يقوله نفس
القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت